



مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صروف دكتور في الفلسفة

وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلد الثاني والثلاثون

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

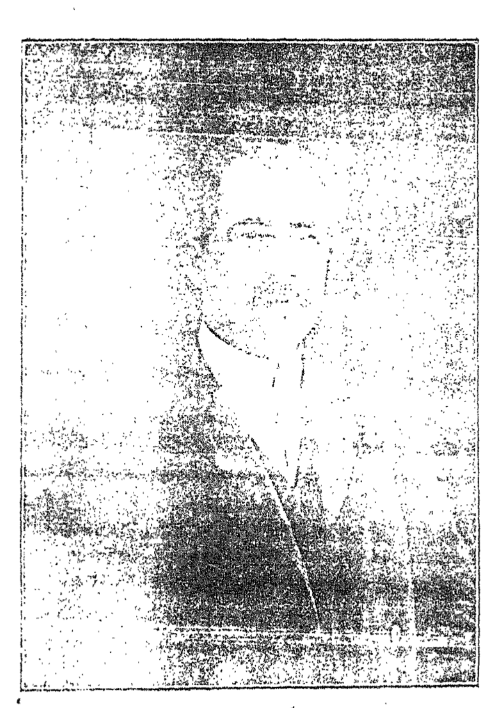
VOL. XXXII

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

فهرس المجلد الثاني والثلاثين

فهرس



الدكتور نقولا نمر

نشرت في المقطم . ولما رأى ان اقامتهُ في اميركا ستطول رغمًا عنهُ وعلى خلاف ما قدَّرهُ ارسل واستعفى من خدمة الجيش المصري

وكان كاتبًا بالطبع مقتدرًا على الوصف الى حدٍّ يجعلهُ في الطبقة الاولى بين الكتَّاب بالعربية والانكليزية كما يظهر من مقالاتهِ وخطبهِ المنشورة في الطبيب والمقتطف ومن كتبهِ الكثيرة التي كان يراسل بها اصدقاءهُ ولاسيما اذا قصد ان يصف بلادًا مرَّ فيها او حوادث جرت لهُ فان مكاتيبهُ التي بعث بها الينا من اميركا ووصف فيها رحلتهُ اليها لو حفظت ونشرت لجاءَت من كتب الرحلات الجليلة وكذلك مكاتيبهُ عن رحلتهِ الى ارثريا في بلاد الحبشة حيث ذهب مرتين لمشاهدة مناجم الذهب فانهُ وصف بها تلك البلاد وصفًا منقطع النظير جبالها ووهادها وانجمها واشجارها وحيواناتها الاهلية ووحوشها البرية واطيارها وحشراتها وعادات اهلها الاحباش ومعايشهم وما هم فيهِ من الفقر المدقع والذل الذي امات نفوسهم وكاد يفنيهم وخصب البلاد وكثرة خيراتها الزراعية والمعدنية وتقلب الهواء فيها وكثرة الضواري في فيافيها حتى كان رجالهُ يضطرون ان يوقدوا النار حولهم الليل كلهُ ردعًا لها الى غير ذلك من الوصف الذي لا يُرَى الاَّ في كتب اهل الرحلات الكبيرة كسبيك وستانلي وابن بطوطة

والظاهر ان تقلب الهواء وفساد الماء في تلك البلاد أضرَّا بهِ فرجع في الصيف الماضي منحرف الصحة وأُصيب بداء عياءِ ضاعت فيهِ حيلتهُ وحيل اخوانهِ الاطباء فذهب الى بلاد الشام مستشفيًا وعاد منها وقد تمكن الداء منهُ فعلم ان لا مردَّ لما قضاهُ الله وجعل يحدّث بمكارم المرسلين الاميركيين وسائر الاصدقاء الذين اعتنوا بهِ في مدينة بيروت ويودُّ ان يفسَّح لهُ في الاجل لكي يقوم بشكرهم ثم يلتفت الى الحياة الدنيا ويقول مضى شطرها الافضل ولست بمصيب منها غير ما اصبت ولا آسف على ما فات الى ان فاضت روحهُ في الخامسة والعشرين من شهر نوفمبر الماضي قبل نصف الليل بدقائق قليلة وكان قد شعر بدنو الاجل وطلب من الذين حولهُ ان لا يكلموهُ ثم أغمض عينيهِ ولفظ انفاسهُ الاخيرة فذهب الى رحمة مولاهُ

فتىً ينفح الايام من طيب ذكرهِ ثناءً كأن العنبر الورد شاملهُ

وشاع نعيهُ في اليوم التالي فوفد لتعزية شقيقهِ الدكتور فارس نمر احد منشئي هذه المجلة جمهور غفير من الاصدقاء والمحبين وبينهم كثيرون من الامراء والعظماء والرؤساء الروحيين ومشوا بنعشهِ في موكب مهيب الى الكنيسة الانجيلية فصلوا عليهِ ثم ساروا بهِ الى المدفن حيث واروا جسمهُ التراب

منزلاً موحشًا وان كان معمو رًا بجلّ الصديق والاحباب

يحسب ان فضول المال ذاهبة جزافًا فالقليل الذي يزيد على نفقاتهِ مما يكتسبهُ بصناعتهِ لا يمنعهُ عن المحتاجين اليهِ جاريًا على موجب الآية القائلة لا تمنع الخير عن اهلهِ وفي طاقة يدك عملهُ . وهذه الاخلاق التي امتاز بها هي التي دعتنا الى تسطير هذه السطور

وُلد الفقيد في حاصبيا مدينة وادي التيم سنة ١٨٥٨ ويتم من ابيهِ في مذابح سنة ١٨٦٠ فانتقلت بهِ امهُ مع اخيهِ واختهِ الى مدينة صيداء ثم الى مدينة بيروت واقامت على تربيتهم وكانت من فضليات النساء واحسنهنَّ تدبيرًا ثم انتقلت بهم الى مدينة القدس الشريف ووضعت الولدين في المدرسة الانكليزية فتعلما فيها مبادئ القراءة العربية والانكليزية ثم ادخلتهما المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فاتمَّ الفقيد دروسهُ العلمية فيها سنة ١٨٧٦ وذهب الى دمشق يدرّس في احدى مدارسها ثم عاد الى المدرسة الكلية فدرس فيها الطب ونال الشهادة الطبية سنة ١٨٨٣ . وعُرف بالدعة وسلامة النية وقلة الاهتمام بمشاغل الحياة

واشتغل مدةً بتحرير مجلة الطبيب ولهُ فيها مقالات حسان انشاء وترجمة . ثم قدم هذا القطر وانتظم في خدمة الحكومة طبيبًا في الجيش المصري وشهد بعض المعارك الحربية في الحدود وكان اكثر اقامتهِ في اصوان ووادي حلفا فامتلك قلوب اخوانهِ الضباط بشهامتهِ وكرم اخلاقهِ ولين عريكتهِ وتعرَّف بكثيرين من السيَّاح الاوربيين والاميركيين فانهُ كان يعالج مرضاهم ويعتني بهم كأنهم من ذويهِ فلجَّ عليهِ كثيرون منهم بالذهاب الى اوربا واميركا وما زال بعض الاميركيين يلحون في دعوتهِ حتى لبَّى طلبهم وقصد الولايات المتحدة الاميركية فلقي من اصدقائهِ فيها كل مجلَّة وكانوا يقيمون الحفلات الخصوصية اكرامًا لهُ وقد رأينا بين اوراقهِ خطبًا تلاها في بعض تلك المجتمعات ومنها خطبة القاها في حفلة دعاهُ اليها ضباط الآلاي السابع من الجنود الاميركية . ويظهر من الخطبة ان رجال ذلك الالاي من نخبة البيوت الاميركية وكانوا يعملون اعمالهم ثم يخرجون للتمرُّن الحربي فقد جاء في الخطبة ما نصهُ

I am really astonished to see that you, the choicest young gentlemen of the best American families of New York, should join this regiment and after attending to your own private business should sacrifice your time to military exercise.

اي " انني متعجب جدًّا من رؤيتي هنا نخبة شبان الأسر الاميركية في نيويورك منضمين الى هذا الالاي وانكم تضحون وقتكم للتمارين الحربية بعد ما تتمون اعمالكم اليومية ". ثم انتقل الى الكلام على محبة الوطن التي دعت اولئك الرجال الى التطوُّع في خدمة بلادهم

وقابل رئيس الولايات المتحدة ولقي منهُ كل اكرام وكتب رسائل كثيرة عن رحلتهِ هذه

وكان فوق ذلك مقصداً يقصدهُ التلامذة وغيرهم لاستشارتهِ في امورهم فلم يبخل على احدٍ بوقتهِ. وقد انتدبتهُ عمدة الكلية اخيرًا لادارة القسم العلمي "Dean of the College" فنهض باعباء هذه المهمة واخذ يسعى في ادخال اساليب التعليم الحديثة ليجعل الكلية تجري على نمط أعلى كليات اميركا . ومما اشتهر بهِ قدرتهُ على سبر غور التلامذة براجح عقلهِ فلم ينطلِ عليهِ المحال . وكانت علاقتهُ بالمعلمين شديدة فكان ينشطهم باقوالهِ وتصرفاتهِ ويوجه افكارهم الى احدث الاساليب التعليمية ويشجعهم على التأليف ويرغبهم في خدمة الشرق . ومع كل اشغالهِ بالادارة وتدريس الصفوف كان يؤلف في الرياضيات التي لهُ القدح المعلى فيها وبقي مدة يرسل بيان الحوادث الفلكية للمقتطف . وكان الناظر اليهِ لاول وهلة لايدرك مكانتهُ في العلم لتواضعهِ ورغبتهِ عن الفخفخة الباطلة ولكن اقتدارهُ كان يظهر متى تكلم او خطب . وكان من اللجنة الاميركانية التي ذهبت مع الوفود العلمية الى اصوان لرصد كسوف الشمس في ٣٠ اغسطس سنة ١٩٠٥ وخطب السنة الماضية في هذا الشأن فبسط فيهِ الحقائق باسهل صورة

وقد بدأ اعمالهُ المدرسيَّة هذه السنة بهمتهِ المعتادة ومنذ اربعة اسابيع هاجمتهُ الحمى التيفوئدية فاضطربت الافكار عليهِ . وبعد ظهر الاربعاء الواقع في ١٢ ك ١ (دسمبر) أُحتضر فاجتمع جمهورٌ كبير من التلامذة والمعلمين يدعون الى الله ان يشفيهُ . ولا شك ان هذا الامر لمن اكبر الادلة على تعلق القلوب بذلك الشخص المحبوب . وفي آخر الاجتماع دخل رئيس المدرسة واعلن باسفٍ ان الاستاذ وست انتقل بسلامٍ من دار الفناء الى دار البقاء فاخذ الحضور ينتفضون من ألم المصاب واجهشوا بالبكاء وتصاعدت زفراتهم ويا لله من هول تلك الساعة بل ما اشد ذلك الليل الذي خيَّم فيهِ الحزن على ابناء الكلية . وبعد ظهر اليوم التالي سير بالجنازة من المستشفى البروسياني يحف بها عمدة المدرسة ومعلموها وتلاميذها مع جمهور غفير من العلماء الافاضل وكانوا يسيرون وكأن على رؤوسهم الطير من هول النازلة . وما زالوا حتى بلغوا محفل الكلية حيث وضعت الجنازة امام المنبر واخذ التلامذة يضعون عليها الاكاليل العديدة علامة حبهم لذلك الاستاذ الذي كان يحبهم ثم نهض الرئيس الدكتور هورد بلس وقرأ ما يناسب المقام من آيات الكتاب وفاه بخطاب اظهر فيهِ مقام الفقيد وكان الدمع يهاجمهُ اثناء الكلام فيتجلد واي قلبٍ لاينفطر من ذلك المشهد — فقيد في عالم العلم لايتجاوز الرابعة والاربعين من العمر وعائلتهُ بجانب تابوتهِ وهي ستة صغار وامهم التي كانت في تلك الساعة مظهرًا للصبر الجميل — وختم صلاة الجنازة الشيخ الجليل الدكتور بلس وهو مستند من الوهن على

بجلهِ وبعد ذلك سير بالجنازة الى المدفن الاميركاني وفيها مئات من طلبة العلم ورجالهِ

ونهار الاحد الماضي اقامت المدرسة للفقيد احتفالاً تذكاريًّا فخطب فيهِ عددٌ من عمدة المدرسة واساتذتها وتلامذتها وعددوا مناقب الفقيد وصفاتهِ وهو تلميذ ومعلم ورجل اعمال ورجل دين ومحب للشرقيين وغير ذلك من المحامد الادبية والعقلية

ولا شك ان الشرق يتأثر كلما افل نجم من افاضل الغرب الذين وقفوا حياتهم على خدمتهِ ولاسيما مثل الاستاذ وست الذي لهُ الايادي البيضاء في خدمة عدد ليس بقليل من شبان سوريا ومصر وارمينيا وجزائر المتوسط. برَّد الله قلوب آلهِ واصدقائهِ"

بيروت جرجس الخوري المقدسي

مرض النوم وحلَمَهُ

من اشهر المسائل العلمية التي سبر العلماء اغوارها وحلوا اسرارها وهتكوا استارها في العشر السنوات الماضية مسألة الحيوينات الحلمية او المكروبات التي يسميها علماء الحيوان "البروتوزوى" اي الحيوانات الاولى او الدنيا وعلاقتها بامراض الناس والمواشي . فقد عرف الآن ان هذا الحلَم سبب كثيرٍ من الامراض ولا سيما امراض المنطقة الحارة كالملاريا مثلاً فان لافران وروس وغيرهما أبانوا جلية سببها وطبيعتها واثبتوا بالبرهان ثلاثة امور عنها: الاول ان سببها حلَم من نوع البروتوزوى يوجد ويتوالد في الدم. والثاني انها تنقل من المريض الى السليم بواسطة نوع من البعوض العضوض . والثالث ان الحلَم يقيم مدة في امعاء البعوض قبل انتقالهِ منها فينمو فيها ويتوالد على طريقة تختلف عن طريقة توالدهِ في دم المريض

وقد عرف من ايام لفنستون ان الخيل والمواشي الافريقية تموت بداء ينشأ عن لدغ ذباب التستسي . والمعروف من هذا الذباب ثمانية انواع حتى الآن وهي من جنس "الدبترا" او الذباب ذي الجناحين المختص بافريقية دون غيرها من القارات . واسم الداء الذي ينشأ عنها ناجانا وهو سريع الفتك بالمواشي والخيل التي تجلب من الخارج ولكنهُ لا يصيب الناس. وقد ذهب الباحثون مذاهب شتَّى في ماهيتهِ حتى اهتدى بروس الى الحقيقة فانهُ وجد ان سبب الداء حييوينات في الدم من جنس حلَم "البروتوزوى" المعروف عند علماء الحيوان باسم تريبانوسوما وان هذا الحلَم ينتقل من الحيوانات المريضة الى السليمة بواسطة ذباب التستسي وهذا الذباب ينشر داء الناجانا كما ينشر البعوض الملاريا . ووجد ايضاً ان الامرين الاول والثاني اللذين أُثبتا عن الملاريا ينطبقان على الناجانا . بقي عليهِ ان يرى ما اذا كان

الامر الثالث ينطبق عليهِ ايضاً. على انهُ اكتشف امرًا آخر مهمًا وهو ان حلَم الناجانا يوجد في دم الحيوانات البرية كالغزلان ولكنهُ لا يؤثر فيها وهذا لم يثبت عن الملاريا بعد

وكان قد اشتهر منذ زمان طويل ان زنوج الساحل الغربي من افريقية يصابون بمرض بطيء ولكنهُ مميت سمي مرض النوم لان الذي يصاب بهِ يعتريهِ سبات في ادوار المرض الاخيرة ولعلهُ المرض الذي ذكرهُ ابن خلدون في تاريخهِ . ولم يعرف شيء عن ماهية هذا المرض الاّ منذ عهد قريب حين تفشّى في اوغنده واخذ يفتك بسكانها الوطنيين ويصيب الاوربيين. وتفاقم شرهُ حتى طلبت الحكومة الانكليزية من الجمعية الملكية فانتدبت لجنة للبحث في ماهيتهِ واستئصال شأفتهِ وارسلتها الى تلك البلاد . ولم يمضِ عليها الاّ القليل





(شكل ١) حلم مرض النوم المعدي (شكل ٢) حلم الذباب البري غير المعدي

حتى اكتشفت ان سبب المرض حلَم يوجد في دم المريض في اول ادوار المرض ثم يخترق السائل المخي الشوكي (cerebro-spinal fluid) فيحدث السبات المختص بهِ. واثبت بروس ايضاً ان الحلم ينتقل من المريض الى السليم بواسطة ذباب اهليّ من نوع التستسي اسمهُ العلمي (Glossina palpalis) وان مرض النوم للانسان مثل مرض الناجانا للمواشي ولكن اعراض المرضين مختلفة. بقي ان تعرف ماهية علاقة الحلم بالذباب تمامًا اي هل يقيم الحلم وينمو ويتوالد في جوف الذباب كما يفعل حلم الملاريا في جوف البعوض او لا

وفي اوائل سنة ١٩٠٥ أُرسل المستر منتشن استاذ الحيوان وتشريح المقابلة في المدرسة الجامعة بلندن من قبل الجمعية الملكية الى افريقية ليبحث في علاقة حلم مرض النوم وذباب التستسي المذكور آنفًا . وكان المعروف عنها حينئذٍ كما اثبت بروس ونبارو بتجاربهما ان ذبابة التستسي تنقل مكروب المرض من الحيوان المصاب الى السليم اذا لدغت الاول ثم لدغت الثاني في ثمان واربعين ساعة . ودرس اثنان من اعضاء لجنة مرض النوم علاقة الحلم

بالذباب ايضاً فوجدا الحلم في نحو ٨ر ١ في المئة من الذباب الذي امسكاه ووجدا ان هذا الحلم يختلف كثيراً في منظره وتركيبه عن الحلم الذي يوجد في دم الذين يصابون بمرض النوم . فبحث منتشن معها لمعرفة ما اذا كان هناك علاقة بين مكروبات مرض النوم (شكل ١) والمكروبات التي توجد في ذباب التستسي بالطبيعة (شكل ٢) فثبت لهم ان ليس بين الفريقين اقل علاقة وان للمكروبات الاخيرة لا تضر الانسان اصلاً

وكان الغرض من التجارب التي جربوها امرين الاول ان يعلموا تماماً الطريقة التي تنقل ذبابة التستسي بها مكروب مرض النوم من المصاب الى السليم فاذا كانت المكروبات او الحلم تقضي مدة في جسم الذبابة قبلما تنتقل منه لم تستطع الذبابة ان تنقل مكروب الداء الى الانسان الذي تلذعه الا بعد مرور مدة يتم فيها بلوغ المكروب كما هي حال مكروب الملاريا . فلكي يعلموا طول المدة اللازمة لبلوغ المكروب كانوا يطلقون الذباب على حيوان مصاب ثم على حيوانات سليمة من السعادين واحداً واحداً في اوقات متساوية وبقوا يعملون تجاربهم مدة ثلاثة اسابيع فكانت الحيوانات السليمة تعدى كل مرة في ٤٨ ساعة على الاكثر

على انهم اثبتوا ايضاً من الجهة الاخرى إمكان ما يسمى بالعدوى الميكانيكية المباشرة اي انهُ اذا تركت ذبابة التستسي تمتص غذاءها من دم حيوان مصاب ثم أُطلقت حالاً على حيوان سليم تمتص غذاءها من دمهِ فقد يعدى . وتفننوا في ترتيب تجاربهم فكانوا يتركون الذبابة اولاً على حيوان مصاب ثم على حيوانين سليمين الواحد بعد الآخر حالاً فوجدوا ان الاول كان يصاب دون الثاني وذلك لانهُ اذا غرزت الذبابة خرطومها في جسم الحيوان الاول افرغت كل ما فيهِ من المكروب وهذا يدل على ان العدوى الميكانيكية تتم بواسطة الخرطوم

والغرض الثاني من التجارب معرفة ما هناك من العلاقة بين الحلم الذي يوجد في الذباب بالطبيعة وبين مرض النوم فكانوا يطلقون الذباب الذي يحوي الحلم المشار اليهِ على حيوانات سليمة تصاب بمرض النوم فبقوا يفعلون ذلك مدة طويلة فلم يعد حيوان منها ولم يصب بعارض من اعراض مرض النوم فثبت لهم ان لا علاقة البتة بين الاثنين

بقي ان يعلم من اين يأتي ذباب التستسي بالمكروب غير المعدي فقد يمتصهُ من دم الحيوانات الاهلية التي يتغذى بدمها وقد يكون المكروب من الحيوينات الحلمية المختصة بالذباب . هذا ولا بدَّ من الاشارة في الختام الى ان تفشي مرض النوم في اوغندة ونواحي بحيرة فكتوريا نيانزا حديث العهد لان المرض كان معروفاً في سواحل افريقية الغربية دون غيرها فلا يعلم كيف دخل اوغندة بعد ذلك

ارملة الجندي

الا انما هذا الذي لك انقلُ لهُ مثلما ارويهِ اصلٌ مؤصَّلُ
قضى احد الضباط في الحرب نحبهُ وكان اذا دارت رحى الحرب يبسلُ
وزوجتهُ كانت رهينة حبهِ وكان لهُ قلبٌ بها متشغّلُ
من اللاء لم ياتينَ فاحشةً ولا زُننَّ بما منهُ العقائل تخجلُ
نوارٌ كشخصٍ للعفاف مجسَّمٍ فانْ ذكر الناس العفاف تُمثّلُ
ترقرق ماءُ الحسن في وجهها الذي هو البدر ليلَ التم او هو اجملُ
فجلَّ لفقدان الوليّ مصابها وباتت تناجي الهمَّ والعين تهملُ
وقد كان منها الخد كالورد زاهياً فاصبح ذاك الورد بالهمّ يذبلُ
ولازم حمّى الدق ناعم جسمها فامست على رغم الشبيبة تنحلُ
ويعرق منها الجسم في كل ليلةٍ وتنفث من سلٍّ دماً حين تسعلُ
وانشب في احشائها الداء ظفرهُ فظلّت لهُ احشاؤُها تتبزّلُ
سقامٌ بها اعيا الاطباء برؤُهُ اذا لم يعنها الله فالامر مشكلُ
أمكروب داء السل هل انت عارفٌ لمن انت تؤذي او بمن انت تنكلُ
ارحها فما ابقيت الاّ حشاشةً بها حكمها عمّا قريبٍ سيبطلُ
تجنَّبْ فقد مزقت احشاء صدرها أانت بها حتى الممات موكَّلُ
وفسّح لها في العمر وارحم شبابها فانكَ ان ارجأتها انت مُفضلُ
لكِ الله من مسلولةٍ حان حينها وعمّا قليلٍ للمقابر ترحلُ

***

وفاجأها فقرٌ فباعت لدفعهِ اثاثاً بهِ قد كانت الدارُ تجملُ
الى ان تخلّى البيت من كلّ ما بهِ ولم يبقَ فيهِ ما يُباع ويُنقلُ
تجانبها الادنى وكلٌّ لذاتها واعرض عنها جارها المتموّلُ
هنالك ابدى الجوع ناجذهُ لها وزاد بها الداء الذي هو مُعضلُ
فخارت قواها في غضير شبابها وحارت فلم تدر الذي هي تفعلُ
كذلك جسم المرء يأكلهُ الطوى اذا المرء لم يُلفِ الذي هو يأكلُ

فسارت على ربث توأم محلةً ترجّي بها خيرًا لها وتؤمّلُ
وتزجي لها طفلاً جميلاً امامها كما تستحثُّ الخشفَ ادماءُ مغزِلُ
لقد اضعف الجوعُ المبرِّحُ خطوهُ فسار وفي احشائهِ النار تُشعلُ
يخور اليها بالبكاء فتنحني عليهِ وتُسلي قلبهُ وتُقبّلُ
وتمسح عينيهِ اللتين اذالتا دموعًا على الخدّين منهُ تسلسلُ
تحاول امُّ الطفل منع دموعهِ ولكنها رغمًا عن الامّ تهطلُ
خبيرٌ بقصد الامّ يشكو لها الونى بعينيهِ الاّ انهُ ليس يسألُ

•••

تروح الى دار الحكومة تبتغي معاشًا لها مستأخرًا ليس يحصلُ
ريالان بعد الزوج قد رُتّبا لها وذلك نزرٌ ليس بالعيش يكفلُ
تقول لذي امرٍ على المال سيّدي اليك بجاهِ المصطفى اتوسلُ
انلني معاشي اليوم وارحم فاننا جياعٌ اذا لم يُعطَ من اين نأكلُ
فاوسعها شتمًا وردّ سؤالها وقال لها موتي طوًى لستُ ابذلُ
فعادت على يأسٍ بها ملَّ قلبها وقد خنقتها عبرةٌ تتغلغلُ
امالكَ امرِ المال انك زدتها سقامًا على سقمٍ أقلبك جندلُ
الم ترَ انَّ السلَّ انحل جسمها وحمّلها الاعوازُ ما لا تحمّلُ
منكّدةٌ قد طالبتك بحقّها فلو كنتَ تقضي سؤلها كنتَ تعدلُ

•••

وآبت الى المأوى فباتت على طوًى تكابد طولَ الليل والليلُ أليلُ
واعوزها زيتٌ تُنوّرُ بيتها بهِ والدجى سجفٌ على الارض مسبلُ
تجرّ اليها الليل اجنادَ همّها اذا فرَّ منها جحفلٌ كرَّ جحفلُ
تقول ألا مالي ارى الصبح مبطئًا وعهدي بهِ في سالف الدهر يعجلُ
فيا ليلُ ما ادري وقد طلتَ داجيًا أعنّي على الايام ام انت اطولُ
ألا ليتَ امي لم تلدني او أنني نفتني المنايا قبل انّي اعقلُ
بزمتَ بمالي من حياةٍ فانها شقائي وانّ الموت منها لافضلُ
حياة امرّتها الرزايا كأنما يمازجها منهنَّ صابٌ وحنظلُ
وعتبي على الاقدار فهي بما جرتْ بهِ لم تكن (استغفر الله) تعدلُ

فياموت زر ان الحياة تعاسةٌ ويانفسُ جودي ان دهركِ يبخلُ

***

وما سفري ان متُّ ينأى وانما الى بطنها من ظهرها انتقلُ
ألاَ ان بطن الارض للمرءِ منزلٌ كما ان ظهر الارض للمرء منزلُ
ولم ارَ بين المنزلين تفاوتًا سوى ان ذا اعلى وذلك اسفلُ
ولا مثل بطن الارض دار عدالةٍ تساوي بها حالاً رؤوسٌ وارجلُ
ولست على الشكوى ادوم اذا دنا حمامي الاَّ ريثما اتحوَّلُ
ولكنَّ روحي للسماء رقيُّها هنالك من نجمٍ لنجمٍ تجوّلُ
الى ان تلاقي روح زوجي «صادقٍ» فتتصل الروحان والبينُ يخجلُ
فلو ابصرت روحي على البعد روحهُ اذًا لمشت روحي اليهِ تهرولُ
تقبل روحي روحهُ وتشمهُ وتشكو اليهِ ما بها كان ينزلُ
وتمسك بالايدي بفضل ردائهِ وما إِنْ تخلى بعدُ للحرب يرحلُ
وقولي لهُ يا روح بعدك عيشنا تغيَّرَ حتى كاد لا يتحملُ
واصبح من قد كان بالامس سائلاً باحوالنا عمَّا بنا ليس يسألُ
تجنبنا الادنى ومن كان صاحبًا ومن كان يُطرِبنا ومن كان يجملُ
وخرّي على اقدامهِ وتذللي لهُ ان من يُبدي الهوى متذلّلُ

***

وفي فمها بان ابتسامٌ كأنها تشاهد شخص الزوج فيما تخيَّلُ
تراهُ قريبَ الارض في الجوّ ثابتًا فلا هو يستعلي ولا هو ينزلُ
فمدت يدًا نحو الخيال مشيرةً اليهِ وقالت وهي في البين تسعلُ
بربّك انبئني أَإِنّك «صادقي» قد ازدرتَ ام انت الخيالُ الممثّلُ
فان كنتَ اياهُ فقل غير كاتمٍ لماذا لماذا انت لا تتنزّلُ
اصادقُ انت السؤْل للنفس فاقترب وانت لها انت الرجاءُ المؤمّلُ
فان كان لي ذنبٌ بهِ عفت مسكني فاني لذاك الذنب بالدمع اغسلُ
أمالكَ يومي اهدني لسعادتي فاياك استدعي واياك آملُ
اذا ذكرتك النفس جاشت صبابةً وفار عليها من غرامك مرجلُ
تبدّل مني كلُّ شيءٍ عهدتهُ ولكنما حبّيك لا يتبدلُ

فهل انت في حبي كما كنت سابقاً وقلبك كالقلب الذي كنتَ تحملُ
اذا كنت عني انت وحدك راضياً فكلُّ صعوبات الحياة تسهلُ
هلمَّ الى جنبي فاني مريضةٌ بحمَّى بها جسمي بها متزلزلُ
وسارعْ واحضر لي طبيباً مداوياً كما كنت قبلاً ان تشكيتُ تفعلُ
ولكنني اخطأتُ فيما طلبتهُ ذهولاً ومن قاسى الحوادث يذهلُ
فانيَ لا ابغي سواك مداوياً فانت طبيبي والشفاء المؤملُ
اقم عندنا لا ترحلنَّ فانْ تقمْ فكلُّ نحوسات الزمان ترحَّلُ
نعيش كما كنا نعيش بغبطةٍ ونمرح في ثوب السلام ونرفلُ
فحينئذٍ لا حادثٌ يستفزُّنا ولا احدٌ بيني وبينك يفصلُ

∴

وغاب فقالت آه بل انت ميتٌ ولكنما روحي اليك ستُقبلُ
وحانت لصوب الطفل منها التفاتةٌ فقالت وفيَّاضٌ من الدمع مهملُ
ولكن صبيي من يقوم بامره اذا زارني حتفي الذي يتعجلُ
أأترك من بعدي صغيري «احمداً» وحيداً بلا حامٍ بهِ يتكفلُ
و«احمدُ» ريحاني فان ابتعد فمن يشمّمهُ بعدي ومن ذا يقبّلُ
أليست تكاليف الحياة التي لوت جناحي على طفلٍ كاحمدَ تثقلُ

∴

واغمي من جوعٍ على الطفل احمدٍ فصاحت اغثْ ربي عليك المعوَّلُ
اطلَّت عليها جارةٌ ذات عيلةٍ لتعلم مَن في ظلمة الليل يعولُ
ونادت من الباكي كذا بجرارةٍ وذيل الدجى الضافي على الارض مسدلُ
اجابت بصوتٍ راجفٍ متقطعٍ وقالت انا يا هذه انا «سنبلُ»
«جعادة» ان ابني تغيَّبَ نفسهُ من الجوع ان الجوع ويلي يقتلُ
جعادةُ ان ابني الوحيد هو الذي بهِ في ليالي وحدتي اتعلَّلُ
جعادةُ انَّ الامر جدٌّ فادركي وللجار حقٌّ واجبٌ ليس يغفلُ
فجاءت اليها بالسراج ونبهت قُوى الطفل حتى عاد يرنو ويعقلُ
سقتهُ حليباً كان ملءَ ثُديِّها فنام وباتت امُّهُ تتململُ
وتذرف عيناها الدموع وقلبها تظلُّ بهِ الاحزان تعلو وتسفلُ

الى الصبح حتى بان فانطلقت الى محلٍّ بهِ اهلُ المبرّة تنزلُ
عليها ثيابٌ رثةٌ وملاءةٌ كأَحشائها في كل آنٍ تبزَّلُ
تكفكف دمعًا بالبنان وكلما مشت خطوةً او خطوتين تمهلُ
تمدُّ يمينًا بالسؤال ضعيفةً وتخجل منهم عند ما هي تسألُ
أأرملةَ الجنديّ لا تخجلي فمنْ حقوق العلى ان الحكومة تخجلُ

الزوراء

حِكَم

من اقوال الشيخ مُصلح الدين سعدي الشاعر العجمي الشيرازي

ولد هذا الشاعر الشهير في مدينة شيراز في اوائل القرن الثالث عشر للميلاد . درس اولاً في تلك المدينة ثم انتقل الى بغداد واكمل دروسهُ فيها واخذ يجوب البلاد ليقف على احوال الناس . ولما عاد الى بلادهِ قال لقد طفت في اماكن كثيرة وعاشرت سكانها وجمعت شيئًا من كل زاوية والتقطت سنبلة من كل حقل . وتوفي في مسقط رأسهِ سنة ١٢٩١ م شيخًا مسنًّا . قيل قضى من حياتهِ ثلاثين سنة في الاسفار وحجّ خمس عشرة مرة

وقال فيهِ بعض مؤرخي بلادهِ انهُ كان حسن المحاضرة سريع الخاطر متوقد الذهن وذكروا بعض امثلة لذلك . منها انهُ اسرهُ الافرنج مرةً مدة حروب الصليبيين ففداهُ رجل بعشرة دنانير ثم زوَّجهُ بابنةٍ لهُ شرسة الطباع واعطاهُ مئة دينار . ففي ذات يوم ارادت ان تعيّرهُ فقالت لهُ الست انت الرجل الذي فداك ابي من الاسر بعشرة دنانير قال بلى انا هو ذلك الرجل الذي فداني ابوكِ بعشرة دنانير ثم استعبدني لكِ بمئة دينار . ومن ملَح حديثهِ ان رجلاً من شعراء تبريز اراد ان يتهكَّم عليهِ فاخذ طاسًا وقلَبهُ وقال لماذا رؤُوس الشيرازيين كهذا . وكان الشيخ اصلع كاكثر اهل بلادهِ . فاخذ الطاس وقلبهُ الى ان استوى وظهر فراغهُ ثم قال ولماذ رؤُوس التبريزيين كهذا . وقيل ان شاعرًا من تبريز قصد الازدراء بهِ فسألهُ من ايّ البلاد جئت قال من شيراز الفيحاء . قال الشيرازيون في تبريز اكثر عددًا من كلابها . فقال السعدي ذلك على خلاف ما هو في بلدنا فان التبريزيين فيها اقل من كلابها

وكان سعدي من اعظم شعراء الفرس . واكثر دواوينهِ شهرةً ثلاثة البستان وهو قصيدة في غاية الرقة تتضمن افضل الحكم وقواعد الاداب . والثاني الجلستان وهو اكثر ما يُقرأ

ويقتبس عند الفرس حتى ذهبت اقوالهُ امثالاً بينهم · والثالث دُرْج الحكمة وهو ديوان صغير حسن العبارة رقيق الوزن واللفظ كبير المعاني الادبيَّة منتشر في كل بلاد ينطق فيها بالفارسية · وقد ترجم الانكليز الدواوين الثلاثة وطبعوها اكثر من مرَّة وما يأتي بعض ما ورد فيها · على ان رونق الاصل لا يظهر في الترجمة

الكرَم

اذا اكرمتَ اكرمك الناس قاطبةً · لا شيء في الدنيا افضل من الكرم · اذا جُدتَ كنت سعيداً . الكرم حصاد الحياة · الله كريم فكن كريماً

ومن اقوال العرب في ذلك الخيِّر مرزوق · اذا اطعمتَ أشبع . اصل المحاسن كلها الكرم وجميع خصال الخير من فروعهِ . وقال شاعرهم

ولا تمنعنْ ذا حاجةٍ جاء راغباً فانك لا تدري متى انت راغبُ

المعروف والاحسان

اغلب الدنيا بالاحسان والمعروف · كن سيداً في عالم الخير والاحسان . الاحسان صفة الصالحين وما يتوجب على المفلحين · المعروف خير الدواء لكل الاسواء

ومن اقوال العرب

زيادة المرء في دنياهُ نقصانُ وربحهُ غيرَ محضِ الخيرِ خسرانُ

والخلقُ كلُّهم عيالٌ لهُ الله تحت ظلالهِ

واحبهم طرًّا اليهِ أبرّهم لعيالهِ

البخل

لو ملك البخيل نصف الدنيا لم يذكرهُ احد بخير

مهما كثرت اموال البخيل لا يزال عرضةً للضيق كما لو كان فقيراً

الكريم يتمتع بلذة مالهِ والبخيل يتألم لما عندهُ من المال

ومن اقوال العرب البخيل يعيش عيشة الفقراء في الدنيا ويحاسب حساب الاغنياء في الآخرة · وقال الشاعر

ارى الناس اخوان الكريم وما ارى بخيلاً لهُ في العالمين خليلُ

التواضع

اذا جعلت التواضع شأنك صار لك الناس خلاَّنا

التواضع يرفع الانسان ويزيّن رجال المناصب

العاقل يختار التواضع ناظرًا الى الغصن المثقَّل المتدلّي الى الارض

التواضع يحبب الناس بك ويرفع شأنك عندهم ويفتح لك باب الجنة

وقالت العرب التواضع سلَّم الشرف • من رفع نفسهُ فوق قدرهِ استجلب مقت الناس• وورد في اشعارهم

تواضعْ اذا ما نلت في الناس رفعةً   فانَّ رفيع القوم من يتواضعُ

ومن جهلت نفسهُ قدرهُ   رأى غيرهُ منهُ ما لم يَرَهْ

الكبرياء

يا ابني اياك والكبرياء لئلا يذهب عنك الخير . الكبرياء من عادات الجاهل لا من صفات العاقل . الكبرياء منبع النكبات • فاذا عرفت ذلك لماذا تتكبر وتخطئ

وقالت العرب لا يتكبر الاَّ كل وضيع ولا يتواضع الاَّ كل رفيع

اذا شئت ان تحيا سليماً من الاذى   فلا تؤذِ مخلوقًا ولا تتكبرِ

ورافعْ نفسهُ بالكبرِ يخفضها   تدنو ويحسبها تعلو بهِ دَرَجا

الكبرُ خفضٌ والتواضع رفعةٌ   والحرصُ فقرٌ والمزاح سقوطُ

العلم

ينال المرءُ من العلم خيرًا لا ينالهُ من النسب والمقام والغنى • العاقل من يطلب العلم فان سوق العقل رائجة ابدًا . اطلب العلم ولو في اباعد الارض . لا تصطلح امورك الاَّ بالمعرفة

وقالت العرب من لم يتعلم في صغرهِ لم يتقدم في كبرهِ

لا تقلْ اصلي وفصلي ابدًا   انما اصلُ الفتى ما قد حصلْ

اذا مرَّ بي يوم ولم اتخذ يدًا   ولم استفدْ علماً فما ذاك من عمري

الظلم

لا تظلم الفقير الذي لا ناصر لهُ وتنسى ضيق القبر. لا تسرع وتجرْ على احد لان غضب الله سيدركك بغتةً . لا تقهر المسكين لان الظالم هالك ولا محالة

وقالت العرب اياك ودمعةَ اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري في الليل والناس نيام

لا تظلمنَّ اذا ما كنت مقتدرًا   فالظلم آخرهُ يأتيك بالندمِ

تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ   يدعو عليك وعينُ الله لم تنمِ

وما من يدٍ الاَّ يدُ الله فوقها   ولا ظالمٌ الاَّ سيبلى بأظلمِ

خفْ دعوة المظلوم فهي سريعة   طلعت فجاءت بالبلاء النازلِ

القناعة

يا انسان اذا حزت القناعة كان لك سلطة في عالم الراحة · اذا عضدتك انياب الفقر فاذكر ان عند الحكماء ليس الغنى بشيء . الفقر لا يعيب المرء . الذهب والفضة فخر الاغنياء واما الفقراء فلهم خلوّ البال · وقالت العرب القناعة كنزٌ لا يفني

لكلِّ حالٍ مدَّةٌ وتنقضي ما غلب الايام الاَّ من رضي
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلقَ في ظلها همًّا يؤرّقهُ
هي القناعة فالزمها تعش ملكًا لو لم يكن منها الاَّ راحة البدنِ
وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها بغير القطن والكفنِ
واقنعْ ففي بعض القناعة راحةٌ واليأسُ مما فات فهو المطلبُ

الحرص وهو الشجع والطمع

اياك وان تسقط في شرَك الحرص او تشرب كاس الطمع لئلاَّ تجنّ وتسكر. لا تسرف على حياتك باحراز الغنى فان وعاء الفخار ليس بقيمة الدرَّة · من وقع في فخاخ الطمع كانت غلَّة حياته طعامًا للرياح ·لو كان لك مال قارون وكنوز الدنيا باجمعها فمصيرك الحزن والقبر. لماذا تتقلَّب في الجوَى طمعًا بالغنى فانهُ يرحل عنك سريعًا

وقالت العرب عزٌّ من قنع وذلٌّ من طمع

والنفسُ راغبة اذا رغَّبتها واذا تُرَدُّ الى قليل تقنعُ
والنفسُ كالطفل ان تهملهُ شبَّ على حبّ الرضاعِ وان تفطمهُ ينفطمِ
قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يشبِ ان الحريص على الدنيا لفي تعبِ
هبِ الدنيا تُعاد اليك عفوًا اليس مصيرُ ذلك للزوالِ

الامانة

كن ثابتًا في الامانة والاَّ كانت مساعيك باطلة·اذا لم تصرف نفسك عن الامانة اعزَّك الاعداء · اذا لم تحوَّل عن سبل الامانة لم يخجل وجهك عند مقابلة اصحابك·اذا فصلت نفسك عن احبابك خُنت ما توجبهُ عليك الامانة

وقالت العرب وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل

وارعَ الامانةَ والخيانةَ فاجتنبْ واعدل ولا تظلمْ يطيب المكسبُ
اذا قلتَ في شيء نعم فاتمهُ فان نعم دينٌ على الحرّ واجبُ
والاَّ فقل لا تسترح وترح بها لئلاَّ يقول الناسُ انك كاذبُ

الصبر اذا كنت صبورًا كنت سعيدًا . الصبر خلق الانبياء . الصبر يأتيك بما تبتغيهِ وهو مفتاح لما تتوق اليهِ . كن صابرًا اذا كنت عاقلاً فان العجلة من الشيطان

وقالت العرب الصبر مفتاح الفرج

بالصبر تبلغ ما ترجوهُ من املٍ فاصبر فلا ضيق الاَّ بعدهُ فرجُ
اني رأيتُ وفي الايام تجربةٌ للصبر عاقبةً محمودةُ الاثرِ
وقلَّ من جدَّ في امرٍ يؤملهُ واستصحب الصبرَ الاَّ فاز بالظفرِ

الكذب إياك يا اخي والكذب لان الكاذب محتقر لا يعتبرهُ احد . من يتعوَّد الكذب زال النور من نفسهِ . الكذب يعيب المرء وينزع الشهامة منهُ . ليس للكاذب من مفرٍ يوم الدين . يا ابني الكذب اقبح الذنوب لا يُبقي للانسان اسماً كريمًا

وقالت العرب لو صُوّر الصدق كان اسدًا ولو صُوّر الكذب كان ثعلبًا . امران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدَّة الاعتذار

ما احسن الصدقَ في الدنيا لقائلهِ واقبح الكذبَ عند الله والناسِ
ثوبُ الرياء يشفُّ عمَّا تحتهُ فاذا اكتسيتَ بهِ فانك عارِ

يوحنا ورتبات

سكة حديد مصر والراس

نشرت جريدة السينتفك اميركان رسالة من مكاتبها الافريقي فصَّل فيها مسير سكة الحديد من مصر الى الكاب واوضح بعض ما يتعلق بهِ بالرسوم . وهذا ما ورد فيها ملخصاً . قال

من اشهر مشروعات سكك الحديد مشروع الخط الذي يمدُّ الآن من مدينة الراس الى القاهرة شاطرًا القارَّة الافريقية الى شطرين شرقيٍ وغربيٍ . وقد بلغوا في مدّها من الجنوب مكانًا يبعد نحو ٣٧٤ ميلاً عن شلالات فكتوريا على نهر زمبيسي او نحو ٢٠١٤ ميلاً شمالي مدينة الراس ونحو ١٥٠٠ ميل جنوبي القاهرة

وهذا المشروع بدأ سنة ١٨٨٩ وكانت مدينة كمبرلي الحدَّ الشمالي الاقصى لسكة حديد الراس وهي تبعد ٦٤٧ ميلاً عن مدينة الراس . فعزم سسل رودس ان يستأنف مدَّ الخط منها و يصلهُ بسكة حديد السودان ولكن المشروع الاصلي تغير كثيرًا بسبب ما هناك من المصاعب الهندسية التي اعترضتهُ

واعظم المصاعب التي لقيها المهندسون قلة الماء الكافي للقيام باعمال سكة الحديد . وقد استبدلت الفلنكات الخشبية التي تمدُّ القضبان عليها بفلنكات من الفولاذ وعددها ١٩٤٠ في كل ميل لان النمل الابيض يأكل فلنكات الخشب

والخط يمتد من كبرلي الى نهر الفال حيث بني كبري (جسر) طوله ١٣٥٤ قدماً ومنهُ الى بشوانالند ثم الى مدينة مفكن . وقد نسف البوير هذا الكبري في اثناء الحرب فأُعيد بناؤُهُ سنة ١٩٠١ . واعلى نقطة يبلغها هناك ترتفع ٤٤٠٠ قدم عن سطح البحر ثم يمرُّ الخط في بلاد بولوايو ومنها الى نهر زمبيسي حيث مدَّ كبري قرب شلالاتهِ (وقد وصفناهُ هو والشلالات في بعض اجزاء المقتطف) وطول الكبري ٥٠٠ قدم وعلوهُ عن الماء ٤٠٠ قدم

ومن ضفة النهر الشمالية يمتدُّ الخط شمالاً مسافة ٩٢ ميلاً حتى يصل الى كالومو عاصمة روديسيا الشمالية ثم الى منجم بروكن هِل على بعد ٢٨٢ ميلاً منها شمالاً بشرق . وما مدَّ من السكة الى الآن وطولهُ ٢٠١٤ ميلاً يصلح كلهُ للركوب ونقل البضائع حتى ان الذي يركب القطر من مدينة الراس يصل الى مكان يبعد ٣٧٤ ميلاً عن نهر زمبيسي شمالاً بلا عائق يعوقهُ

هذا وان متوسط ما كان يمدُّ من الخط في اصعب اقسامهِ ميل في اليوم وهذا كثير بالنظر الى كثرة المصاعب والمشاق والى ان جميع العمال الذين يعملون في الخط من الوطنيين . ومما يحكى بهذا الصدد ان مهندساً فرنسويًّا من الخبيرين بمد سكك الحديد في تلك البلاد زار هذه السكة ولما قيل لهُ انهم يمدون ميلاً في اليوم لم يصدّق بل قال ان جهد ما يستطيعون مدُّهُ نصف ميل على الكثير . فبدأ العمال بالعمل امامهُ ومدُّوا ربع ميل في ٢٠ دقيقة واتموا خمسة اميال و ٣/٤ الميل في عشر ساعات

ومتوسط ما يوقدون من الفحم في وابورات تلك السكة ٦٤ رطلاً في الميل . ومتوسط سرعة قطرات الركاب ٣٠ ميلاً في الساعة وقطرات البضاعة ٢٠ ميلاً . ومتوسط اجرة العامل نصف ريال في اليوم . ونسبة المستخدمين البيض الى الوطنيين كنسبة ١ الى ٤

ومما يجب ذكرهُ ان هذا الخط لا يكون حديديًّا كلهُ بل اذا وصل الى ضفاف البحيرات الاستوائية الكبيرة مثل بحيرة تنجنيكا نقل الركاب والبضاعة بالقوارب البخارية الى الضفاف المقابلة اذ يكاد يستحيل مدُّ الخط حولها لانها مكتنفة بجبال وعرة المسالك وهذا لا يحطُّ من قيمة الخط لان الوقت ليس بالامر الجوهري حيث حركة العمل والتجارة قليلة فاذا كثرت الحركة اصبح الوقت حينئذٍ اوليًّا

ومتى تمَّ مدُّ الخط الى بحيرة تنجنيكا بقي ٤١٠ اميال لاتمام السكة كلها . وطول هذه

البحيرة ٤٠٠ ميل وهي صالحة للملاحة كلها فلا بدَّ من عبورها من الطرف الواحد الى الطرف الآخر فينزل الركاب من القطر عند كتوتا على طرفها الجنوبي ويركبون الزوارق البخارية الى اومباره عند طرفها الشمالي . ويليها شمالاً برزخ يفصل بينها وبين بحيرة كيفو وعرض هذا البرزخ ٩٠ ميلاً وطول البحيرة ٦٠ ميلاً ولا بدَّ من عبورها بالقوارب ايضاً لصعوبة الارض حولها . ويلي هذه البحيرة بحيرة البرت ادورد وهي تبعد عنها ٦٠ ميلاً ولكن الارض حولها سهلة منبسطة فيسهل مدُّ سكة الحديد فيها حتى الضفة الجنوبية من بحيرة البرت اي مسافة ٢٢٠ ميلاً . ومن هذه البحيرة يمكن ركوب السفن والقطارات شمالاً حتى البحر المتوسط فيما خلا بقعة بين دوفيل ورجاف تتخللها الشلالات السريعة مسافة ١٠٠ ميل فلا بدَّ من مدّ سكة الحديد فيها

ولكن هناك طريقاً اخرى تمرُّ في الحبشة وقد سمح النجاشي منليك بمدّ سكة الحديد في املاكهِ بين السودان واوغندا في معاهدة الحدود التي عقدت سنة ١٩٠٢ . وكان السدُّ يعوق مسير السفن في النيل بين فشوده وبحيرة البرت حينئذٍ فأُزيل منهُ كما لا يخفى وقد انشأَت الحكومة السودانية خطاً منتظماً للبواخر بين رجاف والخرطوم منذ اوائل سنة ١٩٠٤ والمسافة الف ميل والخرطوم متصلة بالقاهرة بسكة الحديد الاَّ في مسافة قصيرة بين وادي حلفا واصوان والمسافة كلها من شمال قارة افريقية الى جنوبها ٦٠٠٠ ميل . انتهى

وفي ٤ ديسمبر الماضي عقد اجتماع في لندن فقرأَ السر لويس متشل من اعضاء وزارة الراس سابقاً مقالة في هذا الموضوع ذكر فيها اصل المشروع وتاريخ مدّ الخط وقال انهُ لا يمكن العدول عن اتمامهِ كما اشاع البعض . نعم انهُ قد يعرض ما يؤَخر اتمامهُ امَّا تركهُ فلا . وسواءٌ تمَّ الخط في ايامنا او لا فان الفضل فيهِ عائد على سسل رودس . وقد كان ينظر في مشروعهِ هذا الى ما لا بدَّ ان يفضي اليهِ من انهاض الهمم وحثها على حرث اراضي افريقية واستنباط مناجمها وتمهيد سبل سكنها وما ينتج عن ذلك من زيادة عدد البيض فيها . وهو مصيبٌ في نظرهِ اذ حيث مدَّ الخط فهناك يستطيع البيض ان يسكنوا ويتكاثروا . اما ما مدَّ منهُ او سيمدُّ من الشمال فيبلغ طولهُ نحو ١٦٠٠ ميل ومن الجنوب ما يزيد على الفي ميل

وتلاهُ اللورد ملنر فقال ان كلَّ المشروعات العظيمة مثل سكة حديد مصر والراس لا بدَّ ان تمرَّ في ثلاثة ادوار الاول فكرة المشروعات وما يعترض من العقبات لاخراجها من القوة الى الفعل . والثاني تحقيق قسم منها والمشروع الذي نحن بصدد الكلام عنهُ في هذا الدور . ولكنَّ هناك دوراً ثالثاً لا بدَّ ان يمرَّ فيهِ وهو ان يتمَّ كلُّ ما قُصد الخطُّ لهُ . واني ادعو لكم بطول العمر حتى تروا تحقيق هذا الامر الاخير وربما جنيتم ثمار الخط وتحققتم صواب المشروع

قبلما يتمُّ مدُّ الخط كلهِ . ومن المحتمل ان يتأخر وصل طرفي السكة الواحد بالآخر ولكن وصلهما ليس ضروريًّا لاظهار مزايا المشروع وفضل مبتدعهِ ولاسيما في القسم الجنوبي من السكة

جرذان الطاعون

فشا الطاعون في مدينة سدني باستراليا مدة ست سنوات متوالية واشتدَّت وطأتهُ سنة ١٩٠٢ حتى بات الناس في خطر منهُ وقد حسبت الوفيات فكانت ثلث الاصابات . فاهتمت الحكومة شديد الاهتمام بذلك واخذ الاطباء يبحثون في سبب الوباء قصد استئصالهِ فوجدوا ان الجرذان هي سببهُ فشهروا عليها حربًا عوانًا ودسوا لها السمَّ في المنازل والشوارع وعينت الحكومة رجالاً لالتقاطها وكانت تعطي كلاًّ منهم ستة بنسات (نصف شلين) عن كلّ جرذ يمسكهُ . فهبَّ الفقراء من كلّ صوب يغتنمون هذه الفرصة للحصول على معاشهم بدلاً من الاعتماد على السرقة والتسوُّل حتى بلغ عدد الجرذان المقتولة ما يزيد على مئة الف . والمظنون ان الجرذان نقلت الوباء الى سدني من سواحل الهند او سواحل افريقية

وكلُّ من رأى مدينة سدني الجميلة ايام الوباء وآثار فتكهِ بأهاليها حكم ان الجرذ اشد عداوة للانسان من الضواري وقد بات ذكرهُ مما تقشعرُّ لهُ الابدان ويجبن قلب الشجاع

وقد اطَّلعت على مقالة مفيدة عن الجرذ والطوارم وعاداتهِ فرأيت ان الخصها وابعث بها الى المقتطف لتنشر فيهِ حرصًا على فوائدها · قال صاحب المقالة

الجرذ في سدني نوعان وهما الاسمر والاسود . فالاسمر يسكن المراحيض والمجارير التي تنقل الاقذار بعد ما طرد الاسود منها واضطرهُ الى سكن الاشجار وما اشبه بسبب ما بينهما من العداوة

ولم يكتفِ الجرذ الاسمر بطرد الاسود من المراحيض كما تقدَّم بل طردهُ من وطنهِ كلهِ في اوربا وبعض انكلترا . وموطن الاسمر الاصلي غربي الصين فانتقل منهُ الى اوربا بواسطة السفن والبواخر التي تمخر بينها وبين اسيا وبواسطة اخرى ايضًا وهي على ما يقول علماء الحيوان ان طوائف منهُ تجمعت سنة ١٧٢٧ وقطعت نهر الفولكا في روسيا وسافرت من هناك غربًا . واول ظهورها في اوربا كان في مدينة باريس في اواسط القرن الثامن عشر . ويقال انها دخلت انكلترا سنة ١٧٣٠

وما كادت الجرذان السمر تدخل اوربا حتى جعلت همها الاول اهلاك عدوّها الجرذ الاسود وحيث حلَّ الاسمر هرب الاسود . ووجدوا مرارًا كثيرة ان الجرذ الاسمر والجرذ

الاسود كانا يعيشان معاً بسلام في السفر فكأَن الاسمر كان يخشى عاقبة البغي وهو مسافر فيتناسى ما بينهُ وبين الاسود من البغضاء حتى اذا بلغ البرّ والتقى بالاسود نسي الصفاء الحديث وذكر البغض القديم فنكل بخصمهِ تنكيلاً . وقد حبس بعضهم مئة جرذ من السمر والسود في قفص واحد ليلة كاملة وفي الصباح افتقدها فلم يجد سوى الجرذان السمر

وقد وجد بالامتحان ان الجرذ الاسيوي اكثر الحيوانات عرضة لأن يصاب بالطاعون ويليهِ خنزير غينيا فلذلك ولأنهُ سريع الانتقال من مكان الى مكان يعدُّ الدَّ اعداء الانسان فلا عجب بعد ذلك اذا عمد الانسان الى كلّ واسطة لكفّ اذاهُ وقطع دابرهِ . ومن افضل الوسائط التي استنبطها لمنع الجرذان عن النزول من البواخر الى البرّ ان يؤْخذ ترس مسنن من الحديد ويدخل في حبل المرساة الذي يصل بين الباخرة والبرّ وتمشي الجرذان عليهِ في نزولها من الباخرة وذلك بعد ان يطلى بالزفت فتمتنع من السير عليهِ . ولكن بعضهم يقول انهُ اذا تعذّر على الجرذان النزول على الحبل سبحت في الماء حتى تصل البرّ وهذا القول لم يثبت بعدُ

ومن غريب امر هذا الجرذ انهُ لا يصبر على العطش طويلاً فاذا عطش قرض براميل المسكرات وشرب حتى يسكر . وهو كثير التوالد فاذا صار عمر الانثى ستة اشهر ولدت سبعة جرذان او ثمانية واحياناً اربعة عشر جرذاً وهي تلد ثلاث مرات في السنة وتأْكل صغارها في غالب الاحيان . ولما كان هذا الحيوان نهماً بالطبع فان القوي يفترس الضعيف وهي حكمة في الطبيعة مآلها الى منع تكاثرهِ . وقد قال بعض الكتّاب ان الجرذان تأْكل الجرذ المسموم فتموت وخالفهم آخرون فاثبتوا ان الجرذان تشمُّ رائحة السمّ . على ان بما لا ريب فيهِ ان الجرذان الحية يأْكل بعضها بعضاً كما تقدم .

وللجرذ أعداء كثيرون منهم الانسان والكلب والهرُّ وابن عرس وبعض انواع الطيور. ولكنهُ لا يبالي باعدائهِ ولا بما ينصبون لهُ من الاشراك ويدسون من السموم لابادتهِ فاذا دهمهُ الخطر احتال للخلاص بصبر ورباطة جاش واذا لم يرَ مناصاً من الخطر دافع عن نفسهِ دفاع القوي الشجاع . قال بكلند في كلامهِ عن نموّ الجرذ وسرعة توالدهِ ان كلباً قتل ٢٥٢٥ جرذاً ولو بقيت حيَّة لولدت في ثلاث سنوات ٦٣٣,١٩٠,٢٠٠,١ جرذ

ومن غرائب اطوار بعض الناس انهم يربون الجرذ ويدللونهُ كما يفعلون بالكلاب والقطط فيأْلف مثلها . قال بعضهم ربينا جرذاً اعمى فكان يجلس امام نار مطبخنا هو وهرُّنا معاً كأَن لا عداوة بينهما . واتفق ذات يوم ان زارنا هرٌّ غريب فافترسهُ

استراليا وديع ابو رزق

قيام الممالك وانحطاطها

تابع ما قبله

لما استهلَّ القرن الثامن للميلاد قامت دولة العرب فانتشر علمها في اسيا الصغرى وشمالي افريقية واسبانيا — في اكثر البلدان خصبًا واقدمها عمرانًا . فاتَّجر العرب بخيرات تلك البلاد الواسعة فعمَّت تجارتهم المسكونة واتصل تجارهم من الصين شرقًا الى بلاد اسوج غربًا وصارت بغداد مركز تجارة العالم ومحط غناهُ واضحت مدن العرب مقرًّا للعمران فشادوا المدارس الجامعة وجمعوا المكاتب الحافلة ونشأ من اهل الاسلام احذق الاطباء واعظم القضاة وامهر المهندسين ولا تزال آثار ثروتهم في المشرق والمغرب ومعالم عمرانهم في اللغات الاوربيَّة ومنها كلمة امير البحر (admiral) ومخزن (magazine) وطرحة (tare) وتعريف (tariff) ونظير (nadir) وما اشبه

الاَّ ان الممالك العربية لم تكن متكافلة . فوقع فيها الشقاق وتغلَّب الاوربيون عليها وزال معها ما امتازت بهِ من العلم واتساع نطاق التجارة

ولم تكد قوة العرب تضعف حتى قويت سواحل ايطاليا باتجاه التجارة من المشرق اليها فقامت فيها البندقية وجنوى وبيزا واملفي ولكل منها حكومة جمهورية وكان السبق فيها لاملفي فتسلَّطت على البحر وفاقت غيرها ثروة وعلمًا وجاهًا وصارت شرائعها شرائع البحر الى اليوم وهي التي ادخلت استعمال الحك المغنطيسي في سلك البحر وصار كل اهل المشرق يتعاملون بنقودها فحسدتها بيزا ونشبت الحرب بين المدينتين فكان الفوز لاهالي بيزا فنهبوا املفي سنة ١١٣٥ وانحط شأنها من ذلك الحين وامست قرية حقيرة وقلَّ من يعلم الان انها كانت سيدة البحار

واستعزَّت بيزا بفوزها وتسلَّطت على كورسكا وسردينيا وجزائر بالاريا فبنى اهلها المباني الفخيمة فيها ودامت ترفل في عزها مئتي سنة ثم دالت دولتها وفازت جنوى عليها وقتلت واسرت ستة عشر الفًا من اهاليها في واقعة ملوريا فاصبحت سيدة البحار وامست بيزا قرية بعد ان كانت اكبر مدن اوربا في عهدها وكان سكانها ١٥٠٠٠٠ واقتسمت جنوى والبندقية سيادة البحر فاشتدَّت المناظرة بينهما مدة ثلاثة قرون واخيرًا تمَّ الفوز للبندقية فبلغت اوج مجدها في القرن الخامس عشر وصارت مركز تجارة الدنيا ومحط الغنى والعلم وكانت قوتها في سفنها فقد كان فيها من البحارة خمسون الفًا

وبقي العمران محصوراً في سواحل بحر الروم مدة الفي سنة لكن العرب والطليان اوصلوهُ الى شمالي اوربا فنشأت لهُ معاهد جديدة على سواحل البحر الشمالي وبحر بلطيك اقيمت فيها معامل الصناعة واسواق التجارة

ثم دار فسكو ده غاما حول جنوبي افريقية ووصل الى الهند فرأى اهالي اوربا ان جلب البضائع الهندية بطريق رأس الرجاء الصالح اقل نفقة من جلبها برًّا الى ان تصل الى سواحل بحر الروم. فتغيرت طريق التجارة وكان ذلك الضربة القاضية على البندقية حتى طلب البنادقة ان يشتروا كل البضائع الشرقية التي كانت تصل الى البرتوغال بحرًا لكي يبقى لهم يد في تجارة المشرق فُرفض طلبهم واضطروا يعيشوا بقية زمانهم على الاموال التي ذخروها فانحطَّ شأن البندقية رويداً رويداً من ذلك الحين

وكانت مدينة بروغ في البلجيك قد اقتسمت الثروة مع البندقية لما كانت تجارة المشرق في يد البنادقة لانها واقعة في قلب اوربا فلما انتقلت التجارة الى اهالي البرتغال بقيت بروغ في مقامها لانها واسطة عقد المدائن الاوربية وبلغ عدد سكانها في القرن الخامس عشر مئتي الف نفس اي انها كانت حينئذٍ اكبر من لندن وباريس فاعتمد اهلها واهل البلاد المجاورة لها على الصناعة والتجارة وترفهوا واهملوا فنون الحرب فحاربهم دوقات برغندي وقهروهم فهاجر كثيرون منهم الى هولندا والمانيا وفرنسا وانكلترا وانشأوا المصانع فيها وضعف شأن بروغ وهاجر تجارها الكبار الى انفرس فصارت عاصمة التجارة في شمالي اوربا لكن امرها لم يطل لانها حصرت ونهبت فهرب تجارها الى امستردام. ونشبت الحرب الدينية بين هولندا واسبانيا ودامت ثمانين سنة فاستفادت منها هولندا وساءت حال اسبانيا وكان لاسبانيا والبرتغال في بداءة الحرب اعظم المستعمرات لان البابا اسكندر السادس قسم العالم الجديد (اميركا) بينهما سنة ١٤٩٣ ثم لما تغلبت اسبانيا على البرتغال سنة ١٥٨٠ صارت اميركا كلها من نصيب اسبانيا وصارت اسبانيا اغنى ممالك الدنيا واقواها برًّا وبحرًا فلم تنتهِ حرب الثمانين سنة حتى انتقل غناها واغنى مستعمراتها الى يد الهولنديين لانهم تغلبوا عليها بحرًا فصارت لهم السيادة على البحار وقبضوا على تجارتها . وقد حقق السر والتر رالي وغيرهُ من الثقات ان سفن الهولنديين التجارية كانت في بداءة القرن السابع عشر اكثر من سفن سائر ممالك الارض جمعاء. وكان اسم نيويورك حينئذٍ نيوامستردام وكانت مستعمرة هولندية واستولى الهولنديون على برازيل انتزعوها من يد البرتغال واستولوا ايضاً على جزائر الطيوب ورأس الرجاء الصالح وانتشرت نجلهم البحرية في كل الاقطار وصارت سلطنتهم مثل سلطنة الانكليزية الآن وكانوا

اقوى الامم كلها واغناها. وكان في الامكان ان تصير اميركا كلها هولندية بدلاً من ان تصير انجلوسكسونية . وكانت السفن الهولندية تحمل بضائع انكلترا وفرنسا فصارت امستردام مركز الحركة المالية للدنيا كلها وجعلت هولندا تجبي الجزية من كل المسكونة

ان عظمة انكلترا التجارية والبحرية حديثة العهد فانهُ لما كانت القوة في يد اهالي الفلمنك كانت انكلترا في الدرجة الثالثة فانها كانت بلاداً زراعية يجلب الفلمنكيون صوفهم منها وكانت تجارتها في يد تجار من الالمان اسمهم استرلن ومنهُ سمي الذهب الانكليزي بالذهب الاسترليني فكانوا في البلاد الانكليزية كالتجار الانكليز الآن في بلاد الصين فنزعت الملكة اليصابات الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها لكي تنهض همة الانكليز للتجارة . ولم يكن عند الانكليز حينئذٍ سفن تجارية يُعتدُّ بها ولا كانوا يهتمون بصيد السمك بل كانت حرفتهم البحرية القرصنة

ولما بلغت هولندا اوج مجدها استعزّت داخل سدودها البحرية واهملت جنودها والصنائع التي تقوي رجالها وتزيد خيرات ارضها فلم تعد حاصلاتها تكفي ثمن سكانها واهملت مصايدها التي كانت تعتمد عليها لتربية البحّارة من رجالها فاقتصر تجارها على منافعهم الخاصة واعتقد الهولنديون انهُ ما من دولة تجسر ان تحاربهم بعد ان حاربوا اسبانيا وقهروها فاهملوا بحريتهم ايضاً حاسبين ان ثروتهم الطائلة تمكنهم من تقويتها عند الحاجة الى ذلك باسرع ما يمكن من الوقت فعلم كرومول مواقع ضعفهم وهاجمهم سنة ١٦٥٢ فتغلَّب قوادهُ على قوّادهم ثم سنَّ القوانين البحرية التي غلَّت ايدي تجار هولندا ومهَّدت السبيل لعظمة انكلترا البحرية ثم توالت النكبات على هولندا من انكلترا وفرنسا فمحقت سيادتها البحرية والتجارية

وسنة ١٦٦١ استلم كولبر ادارة فرنسا وكانت فرنسا زراعية فقيرة وهولندا تجارية صناعية غنيَّة فعزم على اغتنام جانب من صناعة هولندا وتجارتها ووضع رسوماً باهظة على بضائعها فانتقل جانب كبير من صناعتها الى فرنسا وحذت بلدان اخرى حذوهُ . واما الهولنديون فبقوا على حرية التجارة لا يأخذون المكوس على بضائع الاجانب الى ان تلاشت صناعتهم وتجارتهم . ورغبت انكلترا وفرنسا في توسيع تجارتهما واستعمارهما من اسلاب الهولنديين فاختصموا عليها ونشبت الحروب بينهما ومضى قرن كامل من عهد الملك لويس الرابع عشر الى عهد نبوليون الاول وهما تتناظران على امتلاك البحار والاستئثار بالاستعمار فلما قهر نبوليون استتبت السيادة البحرية لانكلترا . فبالسيف نالت سيادتها البحرية والصناعية والاستعمارية وبسياسة حكامها الذين حموا تجارتها وصناعتها . ثم ان حروب نبوليون خربت اوربا واوقفت دولاب صناعتها وتجارتها وازالت منها كل مناظرة لانكلترا . وكان السلم ضارباً اطنابهُ في

انكلترا فاستأثرت بالصناعة والتجارة والثروة واصبح العالم كلهُ مديونًا للشعب الانكليزي

ولكن "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح" ففي اواسط القرن الماضي كانت انكلترا تستخرج من الفحم الحجري وتنسج من المنسوجات القطنية وتسبك من الحديد اكثر من كل ممالك الارض وكان فيها من النقود وسكك الحديد والسفن اكثر مما في كل الممالك واعتقد الانكليز كما قال كوبدن ان الطبيعة نفسها هيأت انكلترا لتكون دار صناعة الدنيا ولتبقى كذلك ابد الدهر فاطمأنوا بهذا الاعتقاد واهملوا تحصين بلادهم سياسيًّا وماليًّا فجعلت عظمتهم تنحط من ذلك الحين صناعيًّا وتجاريًّا وماليًّا . والآن ترى الولايات المتحدة والمانيا تناظرانهم في سيادتهم التجارية والبحرية لانهما تتقدمان تقدمًا سريعًا وهم واقفون في اماكنهم فماذا خبأ المستقبل لانكلترا هل تتعلم من التاريخ وقد مال نجمنا الى الافول

ان تاريخ ثلاثة آلاف سنة يعلمنا ان المقتنيات كلها من املاك واموال لا تكون نصيب الضعيف المسالم بل نصيب القوي الكمي ولا ينالها الخامل الذي يتبع آراء العلماء والادباء بل البطل الباسل الذي يتسلح بالهمة والاقدام والعقل والتدبير . وان الثروة والقوة لا تحفظان الا بحد السيف . وان المال لا يقوم مقام القوة ولكن القوة تقوم مقام المال وهي افضل منهُ وان الاموال لا تحمي نفسها . وان اهمال الزراعة والاستعداد الحربي كان الضربة القاضية على كل الممالك التجارية السالفة من فينيقية الى هولندا وان المدن الكبيرة تلتهم قوة البلاد

ولقد اهملت انكلترا زراعتها وبنت لنفسها بناء ماليًّا لم يرَ العالم اعظم منهُ اقامتهُ على عمود واحد نصبتهُ في بلاد غريبة ودول الارض تنشر الآن هذا العمود بمنشار من الفولاذ فلا تستطيع بريطانيا ان تحفظ عظمتها الا باساطيلها ولا تستطيع اساطيلها ذلك الا اذا كانت اقوى من اساطيل سائر الدول

ولا يخفى ان بريطانيا ليست الآن اغنى ممالك الارض كما كانت قبلاً وان الحق للقوة في المعاملات الدولية والبقاء للاصلح والاقوى حسب النواميس الطبيعية والشرائع السياسية

والآن وقفت بريطانيا في مفرق الطرق فاما ان تقوى على الاحتفاظ بما لها او ان تنحط وتتلاشى . وتسميتها سلطنة واحدة انما هو من باب التساهل لان اجزاءها المختلفة ليست محكمة الارتباط فهي مثل سلطنة الهولنديين ومثل سلطنة الفينيقيين

ولقد انقرضت الممالك القديمة لانها لم تجارِ عصرها فان كانت بريطانيا لا تجاري روح هذا العصر ان كانت لا تترك سياسة الاهمال والاكتفاء بالاعتزال والانصباب على حشد المال والتمسك باهداب المحال والبقاء على إعفاء بضائع الاجانب من المكوس ولا تعود الى

الاعتناء بالزراعة واستثمار خيرات الارض وتدريب شعبها على الفنون الحربية حتى يكونوا على استعداد للحرب دائماً ولا تهتم بربط اوصالها وتوحيد قوتها حتى يستطيع المجموع كلهُ ان يدافع عن نفسهِ — ان كانت لا تفعل ذلك كلهُ فقد قضي عليها حسب سنَّة العمران وسنة الطبيعة وستدرج كما درجت فينيقية وقرطاجنة واثينا ورومية والقسطنطينية والمملكة العربية واملفي وبيزا وجنوى والبندقية والمملكة الهولندية

تغير الاقليم

(تابع ما قبلهُ)

تقلبات الاقليم الزمنية وكلف الشمس — ظهر بالمراقبة ان مغنطيسية الارض تتغير في ادوار متساوية يبلغ طول الدور منها ١١ سنة فآل هذا الاكتشاف الى البحث فيما اذا كان هناك ادوار مثلها في الحوادث الجوية . والبحث في ذلك قديم يمتدُّ الى القرن السابع عشر ولكنَّ العلماء لم يعنوا بهِ العناية الواجبة حتى سنة ١٨٧٠ ومع ذلك كلهِ لم تصب مباحثهم المرمى ولا وفت بالغرض المطلوب لصعوبة الموضوع وغموضهِ . ولا غرابة ان توجد علاقة بين الامرين وان لم تؤيدها الحوادث كل التأييد فقد دلَّت الارصاد على تغيرات في الحرارة والمطر كل احدى عشرة سنة في بعض الاماكن ولكن هذه التغيرات طفيفة وغير قياسية ولا تتناول مساحات واسعة حتى يمكن الانباء بتغير الاقليم في ازمان معلومة . ففي بعض الاحوال ترى العلماء مختلفين في علاقة الاقليم بازمان ظهور الكلف وفي البعض الآخر ترى نتائج الابحاث متناقضة

فقد أبان كوبن مثلاً ان الحرارة تكون على معظمها في المنقطة الحارة خصوصاً حينما تكون كلف الشمس على اقلها ولكن اختلاف متوسط الحرارة السنوية عند ما تكون الكلف على اقلها وعند ما تكون على اكثرها انما هو درجة وثلث درجة في المنطقة الحارة واقل من درجة في غيرها. ورأى نورد من البحث عن السنين الواقعة بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ ان الحرارة تكون على اقلها حينما تكون الكلف على اكثرها . ويظهر ان هذه النتيجة مناقضة لما اثبتهُ كوبن وللقول بان الشمس تكون اشدَّ حرارة حين تكون الكلف على اكثرها وقد فسَّروا هذا القول بناء على ان وقوع المطر وتكوُّن السحب — وكلاهما يكون على اكثرهِ حين تكون الكلف على اكثرها — يخفضان الحرارة ولا سيما في المنطقة الحارة : فظاهر من ذلك ان

المسألة لا تزال مشوشة مرتبكة وان علاقة الكلف بحرارة هواء الارض غير جلية

والمرجَّح ان الكلف ليست السبب الوحيد في تقلب اقليم الارض ولا السبب المباشر لهُ ايضاً . قال السر نورمن لكير " لا يكاد يكون ثمة ريب ان التنوُّات الشمسية هي العوامل الاولية في التقلبات المغنطيسية والجوّية في شمسنا وفي التقلبات الارضية ايضاً " . وفي سنة ١٨٧٢ رأى ملدروم وكان حينئذٍ مديراً لمرصد موريتيوس انهُ توجد علاقة بين ظهور الكلف ووقوع المطر وعصف الزوابع والاعاصير في الاوقيانوس الهندي الجنوبي اي ان المطر يزيد والزوابع والاعاصير تكثر في السنين التي تكون فيها الكلف على اكثرها والعكس بالعكس . والمراد بالمطر المتوسط السنوي لما يقع منهُ في معظم الازمنة والامكنة التي يقاس فيها لا كلّها . ووجد بويي بعد ذلك مثل هذه العلاقة في زوابع الهند الغربية . ووجد هل ان امطار المواسم (التي تقع في الهند صيفاً) تزيد في النصف الاول من دور الكلف بعد ما تأخذ في القلة . على ان الامطار التي تقع في شمال الهند شتاء تجري على ضدّ ذلك اي انها تكون على اقلها في زمن اشتداد الكلف او عقبهُ

وقد قضى كثيرون من العلماء زماناً طويلاً يبحثون ليعلموا هل من علاقة بين وقوع المطر وظهور الكلف ولكنهم لم يتوصلوا الى نتائج مقررة بل ان نتائجهم كثيراً ما ترى متناقضة فلا يمكن التعويل عليها في الانباء بما تكون عليهِ حالة السنة القادمة من مطر او قيظ . ووجهّ العلماء انظارهم خصوصاً الى وقوع المطر في الهند مدة ظهور الكلف لما هناك من العلاقة الشديدة بين المجاعات وامطار المواسم فيها . وفي سنة ١٨٨٩ اعترف بلانفورد ان وقوع المطر في الهند عموماً لم يطابق ظهور الكلف في دوريها السابقين اي مدة ٢٢ سنة قبل السنة المذكورة . ودرس السر نورمن لكير وابنهُ تغير المطر في البلدان الواقعة حول الاوقيانوس الهندي وعلاقتهُ بتغيُّر حرارة الشمس فوجد ان وقوع الامطار في الهند يغزر مرتين في كل دور من ادوار كلف الشمس الواحدة قرب الزمان الذي تكون فيهِ الكلف على اكثرها والاخرى قرب الزمان الذي تكون فيهِ على اقلّها . وان مجاعات الخمسين سنة الماضية حدثت في خلال كل مرتين . وعندها انهُ لو علم الناس سنة ١٨٣٦ من هذا الامر ما نعلمهُ الآن لأمكنهم الإنباء بجميع المجاعات التي حدثت بعد ذلك الأوان على ما يرجَّح

ومن العلماء مَن بحث في علاقة ظهور الكلف بالظواهر الجوية الأخرى غير الحرارة والمطر والزوابع ومعظم ما علموهُ من هذا القبيل انما هو مجرَّد حدس وتخمين . ولكن يظهر انهم توصلوا الى ما يبشر بالنجاح من حيث تغير ضغط الهواء وعلاقتهُ بتغير الاقليم

دور بروكنر — سمي كذلك نسبة الى الاستاذ بروكنر السويسري وقد درس تغير الاقليم درساً دقيقاً فاثبت ان الاقليم يتغير تغيرًا طفيفاً من حيث الحرارة ووقوع المطر كلَّ ٣٥ سنة . وبدأ بحثهُ بدرس ما يطرأ على سطح بحر قزبين من الارتفاع والانخفاض ثم درس ارتفاع الماء وانخفاضهُ في الانهر التي تصبُّ في البحر المذكور واستطرد الى تسجيل مواعيد تجمُّد المياه في انهر روسيا وذوبان الجليد منها واخيرًا توسع في ابحاثهِ حتى تناولت قسماً عظيماً من الارض فعرف كلَّ ما طرأ عليهِ من حرّ قادح وبرد قارس ومواعيد قطف الكروم ووقوع الامطار وما اشبه ذلك في الماضي والحاضر . مثال ذلك انهُ توصل في ابحاثهِ الى ان عرف ميعاد تجمد انهار روسيا وذوبان الجليد منها سنة ١٥٥٩ وميعاد قطف الكروم الى اواخر القرن الرابع عشر وقرس الشتاء في سبع سنوات متباعدة حتى سنة ١٠٠٠ مسيحية . فوجد انهُ في كلّ دور متوسط طولهِ ٣٥ سنة تأتي سلسلة سنين باردة كثيرة المطر ثم تعقبها سلسلة سنين اخرى حارة كثيرة القحط . ووجد ايضاً ان متوسط سعر الحبوب في السنين الماطرة يزيد ١٣ في المئة عما يكون في السنين القاحطة . وليس طول هذا الدور ٣٥ سنة في كلّ الاحوال فقد يكون مرة ٢٠ سنة واخرى ٥٠ بل ان متوسط الفترة بين سلسلة السنين الماطرة وسلسلة السنين القاحطة نحو ٣٥ سنة . ثم ان الادوار الماطرة والقاحطة تختلف حرارتها كما تختلف الفترات التي بينها في الطول ومتوسط الاختلاف نحو درجتين وكذلك اختلاف وقوع المطر اكثر ظهورًا في داخلية البلدان منهُ في سواحلها ومتوسطهُ العمومي ١٢ في المئة . واذا اغضينا عن البلدان الشاذّة كان ٢٤ في المئة ففي غربي سيبيريا يقع من المطر في السنين الماطرة ضعف ما يقع في القاحطة . والاماكن التي مطرها العادي قليل تشعر بالقحط اكثر من غيرها فاذا جاءت سنو القحط فقد يهجرها اهلها ولا يعودون اليها

وعاد بروكنر فدرس احوال المطر في السنين الاخيرة في روسيا والولايات المتحدة وبعض الاماكن في اواسط اوربا وشرقي سيبيريا فاستدلَّ منها على ما يؤيد نتائجهُ الاولى وهو انهُ وجد ان المطر اخذ يقلُّ في الاماكن المذكورة اجمالاً منذ نحو سنة ١٨٨٥ . وهاك جدولاً يبيّن ادوار بروكنر والفترات التي بينها

حارٌّ	١٧٤٦—١٧٥٥	١٧٩١—١٨٠٥	١٨٢١—١٨٣٥	١٨٥١—١٨٧
جافٌّ	١٧٥٦—١٧٧٠	١٧٨١—١٨٠٥	١٨٢٦—١٨٤٠	١٨٥٦—١٨٧٠
بارد	١٧٥٦—١٧٩٠	١٨٠٦—١٨٢٠	١٨٣٦—١٨٥٠	١٨٧١—١٨٨٥
ماطر	١٧٧١—١٧٨٠	١٨٠٦—١٨٢٥	١٨٤١—١٨٥٥	١٨٧١—١٨٨٥

وأيد رختر دور بروكنر بما يطرأ على انهر الجليد في سويسره من التغير ولكن لما كانت انهر الجليد هذه مختلفة الطول فهي لا تزحف ولا تتقهقر كلها في وقت واحد وزحفها يُرى في زمان البرد والرطوبة

ومما يجب ذكرهُ هنا ان بروكنر وجد ان الاقاليم البحرية تجري على عكس دورهِ فان الازمنة التي تكثر فيها الامطار في داخلية اوربا يقل فيها ضغط الهواء بينما يكون الضغط كثيرًا والهواء جافًا فوق الاوقيانوس وبالعكس . وذهب لكير الى ان الهيجان الذي يحدث في الشمس يطابق دور بروكنر وان لهُ ثلاثة ادوار مختلفة في الطول فالواحد طولهُ بين ثلاث سنوات واربع والثاني نحو احدى عشرة سنة والثالث نحو خمس وثلاثين سنة

ادوار اطول — وهناك دلائل تدلُّ على وجود ادوار في تغير الاقليم يزيد طولها على ١١ سنة و ٣٥ سنة . فقد ظهر لبروكتر مرارًا ان دورين من ادوارهِ كانا يندمجان الواحد في الآخر بحيث يصعب تعيين حدودهما . وظهر لرختر مثل ذلك في انهر الجليد بالالب ولغيرهما في اماكن اخرى . ومن رأي كلو ان الظواهر الشمسية والارضية تدلُّ على وجود ادوار طول الواحد منها ٣٠٠ سنة . على ان ذلك كلهُ مجرَّد فرض وترجيح

تغير الاقليم في الادوار الجيولوجية — مما لا يختلف الجيولوجيون فيهِ ان الاقليم تغير في الادوار الجيولوجية كما يدلُّ الدور الجليديُّ عليهِ . وقد طال الجدال بين العلماء في اسباب ذلك التغير سواء كان في شدَّة الحرارة الواصلة من الشمس الى الارض او في الشمس نفسها او في احوال جوّ الارض او في العلاقات الفلكية التي بين الارض والشمس او في توزع اليابسة والماء او في وضع محور الارض او في علوّ الاماكن على سطح الارض . ولكنهم لم يبتُّوا شيئًا بعد ولم يوردوا دليلاً على صحة هذا الرأي او ذاك

النتيجة — ان الاعتقاد العام بتغير الاقليم في جيل او جيلين لا تؤيدهُ المباحث المتيورولوجية . وكذلك القول بتغير الاقليم في زمن التاريخ لا يعوَّل عليهِ رغمًا عما يقدَّم من الادلة في هذا السبيل لان معظم هذه الادلة متناقض لا يركن اليهِ . فقد استدلَّ دوفوز بعد بحث طويل ان تغير الاقليم لم يثبت بالبرهان بل كلُّ ما هناك تغير طفيف يحدث في ادوار معلومة ولكنهُ تغير لا يبنى عليهِ حكم ولا تفيد معرفتهُ فائدة عملية

هذا ما يقال في التغير واما اسبابهُ فمختلف فيها كما تقدم ولكن اقرب تلك الاسباب تغير هيجان الشمس واضطرابها ونتائج البحث في هذا السبب تبشر بحلّ قريب

الدول البحرية

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

قالت عداتك ليس المجد مكتسباً مقالة الهجن ليس السبق بالحضر

بريطانيا سيدة البحار في هذا العصر وقد خلفت الدول البحرية السابقة وفاقتها كلها كما فاقت الدول البحرية الحاضرة فعدد بحارتها في سفنها الحربيَّة ١٢٩ الفًا وعدد البحارة عند الفرنسويين ٥٢ الفًا وعند الالمان ٤٢ الفًا . وقد كانت اساطيل هذه الدول الثلاث في شهر اكتوبر الماضي على ما في هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	المانيا
بوارج مدرعة	٤٦	١٥	١٩
طرادات من الدرجة الاولى	٣٧	٦	٣
" " " الثانية	٢٤	١	٥
" " " الثالثة	٦	٤	٧

هذا عدا ما عند هذه الدول من السفن الحربية الصغيرة من كل الانواع وعدا البوارج والطرادات التي تبنى الآن او لم يتم بناؤُها حتى الآن. واذا حسبت قوات هذه السفن بمقدار محمولها بالاطنان كانت قوات الدول الاوربية الاربع الكبرى هكذا

	انكلترا		فرنسا		المانيا		روسيا	
	عدد	طن	عدد	طن	عدد	طن	عدد	طن
بوارج من الدرجة الاولى	٦٠	٨٤٠٧٨٥	٢٥	٣٠٠٢٦١	٢٤	٢٨٢٦٧٠	١٢	١٥٥٠٦٣
طرادات من الدرجة الاولى	٦٧	٦٥٤٣٠٠	٣٠	٢٦٥٦٠٩	٨	٧٨٥١٤	١٤	١٣٥٨٣٥
" الثانية	٤٤	١٩٨٨٨٠	١٣	٥١٢١٢	٢١	٨٥٨١٦	٢	٩٤٨٨
" الثالثة	٣٧	٦٨٣٣٠	١٦	٢٩٢٣٤	٢١	٤٣٧٠٤	٤	١١١١٦
والجملة		١٧٦٢٢٩٥		٦٤٦٤١٦		٤٩٠٧٠٤		٣١١٤٠٢

فواضح من ذلك ان قوة انكلترا البحرية اعظم كثيرًا من مجموع قوات فرنسا والمانيا وروسيا.

وكل سفينة من سفنها الحربية اقوى مما يقابلها في سفن سائر الدول فاقوى بارجة عند الالمان بلغت نفقات عملها مليونًا و ٢٠٠ الف جنيه واقوى بارجة عند الانكليز وهي الدردنوت التي أُنزلت حديثًا بلغت نفقات عملها مليونًا و٨٠٠ الف جنيه . وما تنفقهُ بريطانيا كل سنة على بناء سفنها الحربية يعادل ما تنفقهُ الدول الثلاث معًا كما ترى من هذا الجدول وهو بالجنيهات

	انكلترا	فرنسا	المانيا	روسيا
سنة ١٨٩٦	٧٧٦٥٦٤٦	٤٧٩٣٢٦٨	١١٠٢٣٤٠	١٤٢٢٤٧٠
« ١٩٠٤	١٢٠٩٨٠٩٢	٤٥٧٧٣٣٦	٣٣٨٧٢٣٠	٤٦٢٠٩١٢
« ١٩٠٦	٩٦٧١٧٦٠	٣١٣٦٩٤٣	٣٥٩٤٦٦٧	٤٤٢٨٥٠٨

ونفقات روسيا في سنة ١٩٠٤ و١٩٠٦ تشمل تسليح ٤٩ سفينة من متلفات التربيد و ٤ غواصات

وتنفق انكلترا على بحريتها اكثر بكثير مما تنفق فرنسا والمانيا معًا كما ترى من هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	المانيا
ميزانية ١٨٩٧	٢١٨٣٨٠٠٠	١٠٦١٠٩٢٠	٥٨٧٦٢٧٥
« ١٩٨٥	٢٦٨٨٩٥٠٠	١٢٥١٣١٤٣	١٠١٠٢٧٤٠
« ١٩٠٧	٣١٨٦٩٥٠٠	١٣٠٠٣٢٣٨	١٢٣٤٧٣٧٩

ومن سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٧ زادت ميزانية الحربية في انكلترا اكثر من ١٠ ملايين جنيه وزادت في فرنسا مليونين وثلث وفي المانيا ستة ملايين ونصف وفيهما معًا اقل من تسعة ملايين جنيه

وزادت ميزانية النفقات لبناء السفن الحربية في انكلترا من ٥ ملايين سنة ١٨٩٧ الى ١١ مليونًا و ٦٠٠ الف جنيه سنة ١٩٠٤

قلنا ان عدد البحارة في السفن الحربية الانكليزية يبلغ الآن ١٢٩ الفًا ولم يبلغ في سنة من السنين هذا القدر الأ سنة ١٨١٠ فانهُ بلغ حينئذٍ ١٤٤٧٦٢ بسبب نشوب الحروب حينئذٍ ثم نقص رويدًا رويدًا حتى بلغ سنة ١٨١٧ اقل من ٢٣ الفًا وزاد بعد ذلك رويدًا رويدًا حتى بلغ سنة ١٨٥٦ نحو ٦٨ الفًا

وقد كانت نفقات الحكومة البريطانية سنة ١٨٨٢ نحو ٨٣ مليون جنيه فيخص النفس من السكان جنيهان و ٧ شلنات و ٦ بنسات فصارت سنة ١٩٠٥ نحو ١٤٢ مليون جنيه تخص النفس من السكان ثلاثة جنيهات و ٥ شلنات و ٨ بنسات وكان متوسط نفقات الحكومة

السنوي من سنة ١٨٨٢ الى ١٨٩١ نحو ٨٨ مليون جنيه فصار من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٥ نحو ١٤٠ مليون جنيه يخص البحرية والحربية من ذلك ٦٦ مليون جنيه في السنة ومع كل هذه النفقات وهذا الاستعداد للحرب يقول بعض الباحثين ان البلاد الانكليزيَّة مقصّرة في استعدادها وان ذلك سيوردها حتفها كما يظهر من المقالة السابقة

رسالة الرئيس روزفلت

ما اجدر كلَّ اميركي ان ينشد في رؤَساء حكومتهِ ما أَنشدهُ السموأَل في رؤَساء قومهِ من قصيدتهِ المشهورة حيث قال

اذا مات منَّا سيّدٌ قام سيّدٌ ٭ قوولٌ لما قال الكرام فعولُ

فان رؤَساء جمهورية الولايات المتحدة من جورج واشنطون اولهم الى روزفلت رئيس الجمهورية الحالي كلهم كريم في كريم ومثال الهمة والعفة والنزاهة والاستقامة وكلّ فضيلة . واذا اراد الله لقوم عزًّا ورفعة مقام نفخ في صدور رؤَسائهم من علمهِ وايدهم بروح من عندهِ . ولقد جاءت رسالة الرئيس روزفلت التي تليت في مجلس الامة الاميركية في ٤ الماضي مطابقة لما اشتهر عن رؤَساء الجمهورية الاميركية من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والميل الى السلام ومعاملة اصناف الناس بالانصاف والاحسان : قال في " العمل وراس المال "

لا بدَّ في الكلام عن العمل ورأْس المال والمسائل التي لها علاقة بالشركات التجارية من تذكر امر يفوق في اهميتهِ سائر الامور وهو الضرر العظيم الذي ينشأ عما ينادي بهِ البعض من التذمُّر وعدم الرضى عن حال من الاحوال . فهؤُلاء يحاولون إِثارة حقد الجمهور على جميع الاغنياء بالسواء ويسعون في تحويل الاعمال الجليلة التي تعمل لتحسين مراقبة الشركات وازالة المساوىء المتعلقة بالثروة الى اعمال اساسها التهييج والنفاق وغايتها اثارة غضب الناس واحقادهم الى حدّ الجنون

وترى دعاة السوء والمتشائمين بالويل والخراب والذين لا همَّ لهم الاَّ المناداة بالثبور وعظائم الامور يحاولون احيانًا الانضمام الى فريق المبشرين بالخير الساعين الى اصلاح الحكومة والهيئة الاجتماعية اصلاحًا صادقًا ويتزيون بزيهم وهم في الحقيقة الدُّ اعداء المبدإ الذين يدَّعون نصرتهُ والدفاع عنهُ كما ان الذين يذيعون النمائم في الجرائد والمجلات هم اعدى اعداء الصالحين الذين يجعلون دأْبهم رفع ما انحطَّ من شؤُون حكومتنا ومجتمعنا . فالمناداة ببغض

الغني وافتراء الكذب عليهِ والسعي في تضليل الرجال الامناء الذين لم يتعلموا العلم الكافي ليتمكنوا من اكتشاف الخطر الذي تتضمنهُ هذه الاضاليل — كلُّ ذلك يعدُّ عداوةً لجمهور الامة وكذبًا على كلّ مبدإ شريف وتقليد سامٍ من مبادئ الحياة الوطنية الاميركية وتقاليدها. وزد على ذلك انهُ وان افضى هذا التهويل وهذا التهييج الى شهرة بعض انصارها وانتصار البعض الآخر انتصارًا سياسيًّا وقتيًّا فلا بدَّ ان يخذلا اخيرًا او يأولا الى خراب كلّ ما بناهُ المحرّضون على الشر وما بناهُ المصلح الامين والمدافع عن حقوق الامة من الخير. ولا تسود الرشوة في مكان مثلما تسود في الجماعات التي بات القول الاول فيها للمحرّض والمهيج اذ تنفصم فيها كلُّ عروة ادبية ويحلُّ التهييج والحماس محلَّ النظر الصحيح والانصاف في معاملة الناس بعضهم لبعض. واذا عمّت الفوضى اضطرّ الناس اخيرًا ان يلجأوا الى كل قائد يستطيع اعادة النظام فاذا استتبَّ النظام واستراحوا مما كانوا يرزحون تحتهُ من تحريض المحرّضين والسخط على اهل الثروة وما اشبه لم يستطع احد بعد ذلك ان يثير خواطرهم ثانية على ما يرتكبهُ الاغنياء من المساوئ فينوءون بالاحمال التي ثاروا اولاً ليتخلصوا منها

فالامل الوحيد لنجاح شعبنا انما هو السير في الطريق الذي رسمهُ مجلس الامة في السنة الماضية بعزم وثبات وتعقّل ورباطة جاش. والامتناع كلّ الامتناع عن سلوك سبيل اللؤماء الذين يعتمدون في نجاحهم على ادنى ما في الناس من الغرائز والاهواء ليثيروا فريقًا من الاميركيين على اخوانهم - او سبيل آخرين سواء في الدناءة واللؤم ممن يقودهم جشعهم او سعيهم في زيادة ثروتهم الى استخدام اخوانهم آلات لنيل مآربهم غير مكترثين لخيرهم الادبي ولا المادي. فالرجل الذي يرشو الآخرين لينال منصبًا ساميًا انما هو مساوٍ في الشرّ للرجل الذي يرشوهم لربح ماليّ. ومحال ان ينتج خيرٌ من الشر

اما الرجال السذّج البسطاء من عمّال وفلاحين وتجّار الذين يشتغلون برؤوسهم ويعملون بايديهم ويجلون تقاليد اميركا ويحبون بلادهم ويسعون الى اكرام جارهم فليذكروا ان اعظم ضربة على حكومة الشعب انتخاب محرّض من الناعبين بالسوء ليخطب على مرسح الاغتصاب والرياء. فاذا عرض لنا مثل ذلك فلا مناص لنا من الجهاد لانهُ بهذا يمحق نظام الحكومة الديمقراطي والجمهوري. وانتصار الرعاع مثل انتصار الاغنياء فاذا سلمنا من الواحد لم يكفنا ذلك حتى نسلم من الآخر. واما الرجل الامين الذي يحصل قوتهُ بيديهِ ويعامل اخوانهُ بالرفق والانصاف غنيًّا كان او فقيرًا فليخف من الذين يعدون كثيرًا ولا يعملون شيئًا او لا يعملون سوى الشرّ بتحريض الرعاع على سلب الاغنياء كما يخاف من الراشي الذي يسمح لكبار

الاغنياء بامتصاص دم العامة لمأرب ينالهُ . فاذا تركنا هذه الحكومة في ايدي رجال من هذين الصنفين كنّا اعداء لبلادنا

ثم انتقل الى الكلام على الشركات التجارية والمالية واطال فيهِ وذمَّ شيوع الطلاق الى حدّ ان اضرَّ بمجموع الامة . واستطرد من ذلك الى اليابان واليابانيين فقال :

والواجب علينا ان نعامل جميع الامم بالعدل والانصاف ولا نقتصر على معاملة الامم كذلك بل نعامل كل الذين يهاجرون الى بلادنا طبقاً لقوانيننا بالعدل والرضى وحسن القبول لا فرق في ذلك سواء كانوا كاثوليكاً او انجيليين يهوداً او وثنيين انكليزاً او المانيين روسيين او يابانيين ايطاليين او سواهم . وكل ما يحق لنا ان نسأل عنهُ او نعترض عليهِ هو سلوك المهاجر وسيرتهُ . فاذا كان مستقيماً وصادقاً في معاملتهِ للناس وللحكومة فقد وجب علينا احترامهُ ومعاملتهُ بالحسنى . ويجب علينا خصوصاً ان نتذكر ما يُطلب منا للغريب النازل في ابوابنا . فان اذلال هذا الغريب او الاساءة اليهِ او التحزب عليهِ او التفريق بينهُ وبين سواهُ قصد عدم معاملتهِ بالسواء — كل ذلك دليل الانحطاط في التمدن وفي الآداب ما دام ذلك الغريب قد دخل بلادنا على مقتضى قوانيننا واحسن السلوك فيها . فالواجب على كل اميركي ان يتذكر ذلك وخصوصاً اذا كان من موظفي حكومة الجمهورية او حكومة كل ولاية من ولاياتها المتحدة

والذي حدا بي الى هذا القول ما أراهُ من معاملة اليابانيين بالجفاء والعدوان في جهات من هذه البلاد . نعم ان هذه العداوة محصورة في اماكن قليلة وبين جماعات متفرقة ولكنها عار عظيم على شعبنا وربما جرَّت اسوأ العواقب على امتنا . فان عرى الصداقة بيننا وبين اليابان لم تزل موثقة من يوم دخول الكومدور بري اليها منذ خمسين سنة وفتحهِ ابوابها لتمدن الغربيين الى يومنا هذا . وقد نمت اليابان من ذلك الحين وتقدمت تقدماً ادهش العالمين اذ لم يسبق لهُ نظير في تاريخ البشر بل لم يحدث ما يقرب منهُ في عهد المتمدنين . وهي بلاد ذات تاريخ قديم وماضٍ مجيد عظيم تمدنها اقدم عهداً من تمدن شمال اوربا موطن اجداد معظم الاميركيين . على انها كانت منذ خمسين سنة فقط لا تفوق في ارتقائها درجة عن ارتقاء اوربا في الاعصار الوسطى ثم ارتقت في الخمسين سنة الماضية من كل وجهٍ من وجوه المعاش ارتقاءها المعدود معجزة العالم اليوم واصبحت تعدُّ من اعظم الامم المتمدنة . فهي امة عظيمة في ابواب الحرب والقتال . وفي اساليب السلم والامن . وفي اعمالها العسكرية والحربية . وفي اعمالها الصناعية والتجارية . وفي اشغالها الفنية والعلمية . وقد اثبت جنودها في البر والبحر انهم يحكون في ميادين القتال وساحات النزال اعظم جنود اشتهروا في التاريخ ونبغ فيها قواد الجيوش العظام وقام منها امراء

البحر المعدودين . واثبت رجالها براً وبحراً انهم من اشجع الشجعان ومن الابطال الصادقي الولاء الذين لا تقعدهم الشدائد عن الميجاء ولا يبالون بتجرع كاس الحمام كما اثبتوا ان الوطنية لها في نفوسهم اسمى منزلة وفي قلوبهم اشد محبة . والناس يضربون الامثال الآن بارتقائهم في الصناعة والتجارة ارتقاء لم ترتقهِ امة في مثل تلك المدة وكذلك تقدمهم في العلم والفلسفة يحكي تقدمهم في غيرها

وبعد ما اطال في اطراء اليابانيين بما لا يحتمل المقام استيفاءه قال ان السواد الاعظم من الاميركيين يجلهم ويكرم مثواهم وان الاجنبي القادم من اليابان يعامل في اكثر الجهات احسن معاملة كما لو كان قادماً من ممالك اوربا المتمدنة ويستحق ان يعامل كذلك

واشار الى ما اظهره البعض من العداوة لهم في سان فرنسيسكو وفي الجهات الاخرى وعدّ هذا العداء ضرباً من الحمق وقال ان الاميركيين يعاملون احسن معاملة في بلاد اليابان ومن الواجب ان يعاملهم الاميركيون ايضاً بمثل هذه المجاملة والمودة في اميركا والاّ كانت عداوتهم لهم في بلادهم اعترافاً منهم بانحطاط تمدنهم . اما الحكومة فستفعل كل ما في وسعها لاستئصال شأفة هذا العداء حتى لا يضر عمل القليلين من الاميركيين سمعة الامة كلها وعليهِ فاني اطلب معاملة اليابانيين بالحسنى كما اطلب ذلك للالمان والانكليز والفرنسويين والروسيين والايطاليين باسم الانسانية والمدنية ولخير الامة الاميركية نفسها لان الواجب علينا ان نعامل جميع الناس بالحسنى على السواء

وطلب في الختام من مجلسي الشيوخ والنواب الموافقة على قانون جديد يتعلق بتجنس اليابانيين المهاجرين الى اميركا بالجنسية الاميركية متى ارادوا ذلك وتعديل القوانين الجنائية والمدنية تعديلاً يخول رئيس الولايات المتحدة الاميركية حماية حقوق الاجانب طبقاً للمعاهدات الدولية

ثم رحّب بمؤتمر السلم الذي سيعقد في مدينة الهاي بهولندا ولكنهُ حذّر من تضحية مصالح الامة في سبيل السلم فقال

يجب ان لا يبرح من الاذهان ان الحرب جائزة بل واجبة على كل ابي النفس وعلى كل امة ابية بحيث لا ينال السلم الاّ بتضحية ما يعتقده الانسان واجباً عليهِ او بتضحية مصالح الامة . والسلم خير كبير بوجه عام وينطبق على العدل والاستقامة ولكن ضمائر الامة مقيَّدة بالعدل لا بالسلم مثل ضمير كل فرد من افرادها ولا تستطيع الامة ان تضحي ما تعتقده واجباً عليها كما لا يستطيع الفرد ان يضحي ما هو واجب عليهِ . وكذلك لا تستطيع الامة التي

لا تموت كما يموت الفرد ان تغضّ الطرف عن مصالح الاجيال المقبلة كما لا تستطيع ان تغض الطرف عن مصالحها الحاضرة . ولا يجوز لاحد من رجال الحكومة ان يضحي مصالح الامة الضرورية بسبب قصر نظره في العواقب او مجاراةً لاهماله او لامياله الشخصية . والحرب العادلة اصلح للامة من كل سلم ينال بالخضوع للبطل او للظلم . فعلى كل امة ان تستعد للحرب لتنجو من الانقلاب ومع ذلك فالانقلاب في الحرب خير من الاحجام عنها لان الامة المغلوبة على امرها لا يقتضي ان تكون ذليلة وانما الذليل من لا يذود عن حوضهِ بسلاحهِ .

علينا كامة ان نبذل جهد الطاقة لحفظ السلم اذا كان مقروناً بالشرف ولا يجوز لامة قويةً كانت او ضعيفة ان تعتدي على امة اخرى كما لا يجوز لرجل ان يعتدي على آخر . وعلينا ان نبذل كل جهدنا لتقريب ذلك اليوم الذي يعمُّ فيهِ السلم ام الارض السلم المبني على اساس العدل لا على الخضوع للظلم . ويمكننا ان نفعل كثيرًا في هذا السبيل ولكن لا يمكننا ان نفعل كل شيء ومن يحاول فعل امرٍ فوق طاقتهِ فقد لا يفعل شيئًا او يخطئ المراد في ما يفعلهُ . ويجب ان لا يبرح من بالنا ان المتطرفين في مطالبهم لا ينالون الغاية التي يقصدونها بل يكونون حجر عثرة في سبيل المعتدلين الذين يرجى منهم الوصول الى تلك الغاية. وحتى الآن لا نرى سبيلاً لاقامة قوة تتفق عليها دول الارض كلها وتكون حكمًا وازعًا عن الشر والعدوان فمن الحماقة ان تتخلى الامة الحرّة عن القوة التي تحمي بها حقوقها او تحمي بها حقوق الغير اذا طُلب منها ذلك . ولا شيءَ يزيد الشر ولا شيءَ يؤخر استيلاء السلم والعدل في الدنيا مثل ان تكون الامة حرّة مستنيرة تطلب العدل والانصاف ومع ذلك تجرّد نفسها من كل قوة وتترك الظلم والتوحش في سلاحهما يعيثان فسادًا . فاذا كانت دولة من الدول تريد فصل الخصومات بالتحكيم سلميًّا فعليها ان تكون قوتها الحربية كافية لتجعل كلامها مسموعًا وطلبها مقبولاً

ثم التفت الى اساطيل الولايات المتحدة فقال " انها هي الضامنة للسلم الذي تتمتع بهِ هذه البلاد ويجب علينا ان نستفيد مما يعلمناهُ التاريخ . والشعب القوي الحكيم يتعلم ويستفيد من الامور التي اخطأ فيها كما يتعلم ويستفيد من الامور التي اصاب فيها "وذكر الحرب التي نشبت سنة ١٨١٢ وقال انهُ لو كان عند الولايات المتحدة حينئذٍ اسطول تذود بهِ عن نفسها لما نشبت تلك الحرب . ولم يطلب ان تزاد الاساطيل الاميركية دوامًا بل ان تبقى على قوتها الحاضرة بابدال ما يعتق من بوارجها ببوارج جديدة لانهم اذا ابطلوا بناء البوارج سنة واحدة يكونون قد تأخروا سنةً الى الوراء

مدرسة عليكده ومؤسسها

صدر الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وفيهِ تسع عشرة مقالة في مواضيع مختلفة سياسية وادبية ست من هذه المقالات دبجتها اقلام النساء وهي المقالات الفضلى لان اكثر مقالات الرجال عن الحرب والسياسة واما مقالات النساء فاكثرها عن التعليم والتهذيب ومنها مقالة موضوعها الاسلام في الهند مدارها على مدرسة عليكده ومؤسسها السيد احمد خان وهي من اصرح ما قرأناه عن تلك المدرسة فلخصناها في ما يلي

قالت الكاتبة ان السيد احمد خان يفرق عن كل الذين قصدوا اصلاح حال المسلمين وهم لا يعرفون مبادئ العمران الاوربي في ان اولئك حاولوا الرجوع بالمسلمين الى ما كانوا عليهِ في زمن الخلفاء الراشدين اما هو فحاول مجاراة العصر الحاضر كأن لسان حالهِ يقول البس لكل حالة لبوسها لانهُ عاشر الاوربيين وعرف مقتضيات الزمان ورأى ان مستقبل الهند للانكليز لا للمغول . وكان معاصروهُ يسفهون رأيهُ ثم لما تعلَّم اللغة الانكليزية حكموا انهُ كافر ومنع انسباؤُهُ واصدقاؤُهُ من معاشرتهِ ومخالطتهِ ومضت مدة طويلة وهو مقاطَع مقصيّ . واخيرًا اجترأت امرأة من اقاربهِ على دعوتهِ الى بيتها وقدمت لهُ الطعام واكلت من الصحفة التي اكل منها وتلك جرأة لم يكن احد يقدم عليها فوقف الناس مبهوتين وتجاسروا من ذلك الحين على معاشرتهِ

وعكف على ما كان يحسبهُ واجبًا عليهِ وهو احكام عرى الوئام بين ابناء ملتهِ وحكامهم من الانكليز . ثم قامت الفتنة فكانت ضربة قاضية على امانيهِ لانها تركت وراءها حزازات في الصدور يتعذر برؤُها فعزم على الرحيل عن بلاد الهند والمهاجرة الى بلاد لا يرى فيها فرقًا بين سكانها لكنهُ عاد ففكر في ما يمكن ان يحل بابناء بلادهِ بعد الفتنة فرأى ان المروءَة تقضي عليهِ بالبقاء بينهم ليقاسمهم الضرَّاء ويسعى في تخفيفها على قدر طاقتهِ

وكان المسلمون في ذلك الحين اقل شعوب الهند استفادةً من وسائل التعليم والتهذيب التي استخدمتها الحكومة الانكليزية . ومما قالهُ في هذا الصدد " ان حالتنا الاجتماعية وتقاليدنا الماضية ومالها في نفوسنا من المنزلة الفائقة وتصوراتنا الدينية التي رضعناها مع اللبن كل ذلك يمنعنا عن ان نقدر التعليم الانكليزي قدره " (1)

ولم يكن الناس يعبأُون بالتعليم وحتى الآن يكتفي الاغنياء بتعليم اولادهم المبادئ

(1) من خطابهِ للورد لتن سنة ١٨٧٧

البسيطة في الكتاتيب الدينية فحاول ان ينهض الناس من ذلك الخمول راجياً ان يشترك ابناء ملته في المستقبل السعيد الذي قدره لبلاد الهند في ظل العلم البريطاني ولا يتم لهم ذلك ما لم يفتحوا ابوابهم للعلوم الغربية ولوسائل العمران الغربي فكان مدار مطالبه التوفيق بين الشرق والغرب . وتوفق بعد عناء شديد مدة عشر سنوات الى تأليف لجنة تبحث عن الاسباب التي تمنع المسلمين من ارسال ابنائهم الى مدارس الحكومة والوسائل التي يمكن العمل بها لجعلهم يتعلمون العلوم اللازمة لهم . وعينت هذه اللجنة جوائز تعطيها لمن ينشئ الرسائل المفيدة في التعليم فاتتها اثنتان وثلاثون رسالة فطالعتها فوجدت انها تشير بانشاء مدرسة كلية لتعليم ابناء المسلمين . فاقيمت في السنة التالية لجنة لجمع الاموال التي يكتتب بها اهل البر لانشاء مدرسة كلية انكليزية شرقية وابتدأ العمل في هذه المدرسة سنة ١٨٧٥ في عليكده وبعد سنتين وضع لورد لتن اساسها واهتمت الحكومة الانكليزية بها شديد الاهتمام واكتتب بالاموال اللازمة لها كثيرون من مسلمي الهند ومن الانكليز ولكن اكثر الاموال من المسلمين واكثرهم تبرعاً نظام حيدراباد فان وزيره السرسالار جنغ كان اول من قدر هذا العمل قدره . وشاركهم الهنود الوثنيون في هذا العمل المبرور لان السيد احمد خان جعل نظام المدرسة بحيث يرغب الهنود الوثنيون في مساعدتها ايضاً . وزاد عدد التلامذة من ١١ سنة ١٨٧٥ الى ٢٧٠ سنة ١٨٧٧ ودخل المدرسة السنوي من ٥٥٠٠ ربية الى ٤٤٠٠٠ ربية

اما الغرض من هذه المدرسة على ما قاله السيد احمد خان فهو "التوفيق بين العلوم الشرقية والعلوم الغربية وجعل مسلمي الهند رعايا مستحقين الرعوية البريطانية موالين للحكومة ولاء ناتجاً عن معرفة نفعها لهم لا عن الخنوع لسلطتها[(١)]" واشار الى التعليم الديني فيها في خطبة اخرى فقال "اننا ادخلنا فيها من التعليم الديني ما لا نراه في مدرسة اخرى لكي نرقي آداب التلامذة وقد اعتمدنا على المبادئ التي ترقي الآداب لا على الرسوم والشعائر[(٢)]". وغرضه تقوية اجسام الطلبة مع تهذيب عقولهم وقد قال في ذلك "ان لا بد من الالعاب الرياضية كما لا بد من تثقيف العقل وتهذيب الاخلاق[(٣)]". واشار الى ذلك مراراً كثيرة وجعل نظام المدرسة مثل نظام مدارس الحكومة . وقد كلل عمله بالنجاح لانه بذل جهده وقضى عمره فيه . وكان همه الاول متجهاً الى ما خاف ان لا يهتم به غيره فكان في وقت من

(١) خطابة للورد لتن سنة ١٨٧٧ (٢) خطابة للسر اوكلند كولفن سنة ١٨٨٨ (٣) خطابة للورد ربن سنة ١٨٨٤

الاوقات حائرًا بين ان يتم بناء المدرسة او بناء الجامع ولم تكن الاموال التي لديهِ كافية للاثنين فاتمّ المدرسة وترك الجامع قائلاً ان ابناء وطني يتمون بناءهُ ولو لم يفعلوا شيئًا آخر واما المدرسة فاخاف انهم يهملونها

ولما توفي سنة ١٨٩٨ كانت المدرسة مديونة بنحو مئة الف ربيَّة وقد فقدت لفقدهِ اليد التي كانت تديرها لكن الذين يكرمون اسمهُ عضدوها وحفظوها . وخلفهُ النواب محسن الملك فكان خير خلف لخير سلف وقد قال لي انهم معتمدون على انفسهم ومتوقعون النجاح بسعيهم

ومباني المدرسة ليست فاخرة لكن صيتها كالمسك وقد انتشر في الاقطار وكثر تلامذتها فلم تعد مبانيها تسعهم ولا تزال تردُّ كثيرين من الطلبة لضيقها . وكثرة الطلبة لا تزيد دخلها لقلة الاجور التي تتقاضاها ولذلك فهي في حاجة شديدة الى المال للتعليم وللاكثار من الاساتذة الانكليز لتصير جامعة مستقلة في اعطاء درجاتها عن مدرسة الله اباد ومدرسة كلكتا وحينئذٍ تصير كما قدَّر لها السيد احمد خان حينما شرع في انشائها ولم يكن فيها الاَّ احد عشر طالبًا اي تصير معهدًا للعلوم الاسلامية ومصدرًا للاصلاح المنتظر الذي يردُّ الدين الى اصولهِ الاولى ويبعد عنهُ الاوهام التي ولَّدتها ازمنة الجهل

ولا يسعني المقام لوصف هذه المدرسة بالتفصيل ولا انا قادرة على ذلك فاكتفي بالاشارة الى الغرض الذي يتوخاهُ اساتذتها وهو الغرض الذي ارادهُ منشئها الحكيم اي التوفيق بين الانكليز والهنود لكي يعملوا معًا لمصلحة البلاد . ولقد تكلمت مع ثلاثة من اساتذتها الوطنيين وهم يحسنون اللغة الانكليزية مثلي احدهم شيعي من اصل فارسي دخل اسلافهُ بلاد الهند مع اول فاتحيها هربًا من خلفاء بغداد من بني العباس . والاثنان الاخران من السنَّة وقد دخل اسلافهما الهند مع فاتحيها ايضًا بعد ما دخلها اسلاف الاول . فسألتهم عما اذا كان انتسابهم الى المذهب الواحد او الى المذهب الآخر يؤثر في معاملاتهم بعضهم مع بعض فاجابني واحد من السنية قائلاً ان هذا الاختلاف في المذهب لا يؤثر تأثيرًا يذكر فانهُ لم يعلم ان صديقهُ شيعي الاَّ بعد ان تصادقا بزمن طويل . فلا شأن لاختلاف المذاهب في عليكده

والطلبة يقصدون هذه المدرسة من كل الاقطار الاسلامية من بلاد ملقًا شرقًا الى بلاد الصومال غربًا وقد رأيت في مجموعة الخطب التي القاها السيد احمد خان خطبة يقول فيها " يسرنا ان نعدَّ بين تلامذتنا السردار محمد يوسف خان الذي هو من اكبر الحكام في بلوخستان"[١] . ولهذا الرجل قصة تستحق ان تدون في بطون التاريخ فانهُ ابن جام (حاكم)

(١) خطابة للقاضي ستريت سنة ١٨٩١

"لاس بلا" المدو الالد لخان خلاط مناظره في بلوخستان حسب تقاليد البلاد مدة الالفي سنة الماضية ولما صار له من العمر اربع عشرة سنة رأى ابوه ان يرسله الى عليكده لكي يتعلم فيها ويتفقه ويكون رهناً عند حكومة الهند على ولاء ابيه لها . وكان الفتى بديع المنظر قال المستر موريس انه " اجمل فتى وقعت عليه عيني " فسرَّ من المدرسة وبرع في علومها والعابها واختلب قلوب الذين عاشروه . ولم يمضِ عليه سنتان فيها حتى بلغت مساوئ ابيه حدًّا لا يطاق فخلعته حكومة الهند ونصبت ابنه بدلاً منه . فخرج من مقام العلم والتهذيب الى بلاد على حدود الهند تكثر فيها القلاقل والفتن وكان في خدمته رجل امين اتى معه من بلاط ابيه فلما بلغ "لاس بلا" وجد ان اباه لا يفكر في طاعة حكومة الهند وانه كان يعدّ حملةً على خان خلاط وامره ان يذهب فيها . فجعل ينصح لابيه ان لا يخرج من طاعة الحكومة ولم يكن ابوه يعرف غير بلاده فلم يعبأ بنصائحه . وبقي الابن يحاول اقناع ابيه ستة اشهر فكان كالضارب في حديد بارد واخيرًا اضطرَّ ان يجاري اباه وخرج معه لحرب خان خلاط . وكان لابيه اخ يتمنَّى ان يخرج اخوه وابنه للحرب لكي يفتن البلاد عليه فلم يكادا يخرجان حتى جمع جيشاً كثيفاً وتبعهما ووعد حكومة الهند بانه يحتفظ بحياة الولد وما زال يقتفي اثرهما وهما يهربان من وجهه بين الجبال الى ان حصرهما في كهف كبير ولما فرغ زادهما خرج اخوه برجاله لقتاله فقتل هو ورجاله ووقع ابنه جريحاً ففتش عمه عنه بين القتلى واطلق سبيله

ولما جلتُ في مباني المدرسة كانت الشمس قد مالت الى المغيب فررنا في حديقة رئيسها وقد قام الورد فيها على اغصانه وهبَّ نسيم عليل يصير به فصل الشتاء في شمالي الهند اجمل الفصول . فدخلنا النادي وغرف الدرس والقراءة والنوم وما زلنا ننتقل من مكان الى آخر الى ان وصلنا الى المطبخ واذا رئيس الطهاة فيه رجل كبير السن من نسل المغول سلاطين الهند وهو حفيد بهادر شاه آخر سلطان من سلاطين دهلي . لما فشت الفتنة في بلاد الهند كان طفلاً مع امه ولكنه لا يزال يتذكر كيف توسلت امه الى السلطان ليحميها فاجابها انه لا يستطيع ان يحمي نفسه فهربت به الى قبر همايون ومن هناك الى القرى المجاورة وجعلت تبيع حلاها لتأكل هي وابنها فلما بلغ اشده حاول استرجاع شيء من املاك ابيه فلم يستطع لمضي الزمن . وغاية ما يتقاضاه الآن من حكومة الهند خمس ربيات في الشهر هذا كل ما بقي له من ملك اسلافه . ولما كنا نتكلم عنه دخل وحيا وهو شيخ طويل القامة مهيب الطلعة فكلمته بالفارسية وقلت له اني سمعت قصته فحنا رأسه وقال نعم " اني من ابناء الملوك " . فعجبت من تقلبات الدهر وغير الايام

وخرجنا الى ساحة اللعب فذكرتني بساحة اللعب في مدرسة اتُن وكانت الشمس قد كادت تتوارى في الحجاب رجاء الامام وهو رجل جليل القدر فدخل الجامع الذي تركهُ السيد احمد خان قبل ان يتمَّ فاتمَّهُ الذين خلفوهُ وبادر التلامذة من ساحة اللعب وخلعوا احذية الكاونشوك التي كانوا يلعبون بها وتوضأوا ودخلوا يصلون وراء الامام والروح التي علَّم بها السيد احمد خان ترفُّ فوق ذلك المعهد العلمي تعلِّم الطلبة احترام الماضي وارتجاء المستقبل والسلام الذي يُنال بالعلم والعرفان

هذه خلاصة المقالة . وقد رأينا نحن اثنين من تلامذة تلك المدرسة فوجدناهما من اشد الناس ولاء لحكومة بلادهم

علم الاخلاق

لسبنسر

(٤) العدل (وهو يتضمن المساواة والانصاف)

لا شيء ادل على وجود الخير في الشرّ من وجود فضيلة العدل في نقيصة الانتقام ولو على قدر طفيف فان الغرض الاول من مقابلة الاعتداء بمثلهِ منع المعتدى عليهِ للمعتدي من محقهِ ومحافظتهُ على حق وجودهِ الذي يتضمنهُ العدل . والغرض الثاني اجراء العدل مجراهُ بتأييد مبدإِ المساواة بين الاثنين وذلك يكون بان يلحق المعتدى عليهِ بالمعتدي اضرارًا مساوية للاضرار التي نالتهُ منهُ

على ان هذه الطريقة لاعادة التوازن قلما تفي بالمطلوب . لان المنتقم لا يكتفي عادة بمقابلة الاضرار التي تنالهُ بمثلها بل يذهب الى ابعد من ذلك فيثير انتقام المعتدي وهكذا حتى تأول الحال الى حروب مستعصية بين القبائل وعداوات موغرة مزمنة بين العائلات والافراد تبقى من جيل الى جيل

وقد يظهر الفريقان احيانًا ميلاً الى الموازنة بين الاعتداء والانتقام حتى لا ترجح كفة الواحد على كفة الآخر . فان كثيرًا من القبائل الهمجية مثل اهل استراليا الاصليين تظهر باعمالها ان قتل رجل من هذه القبيلة لا بدَّ ان يقابل بقتل رجل من تلك وهو الذي ثبت انهُ قتل او اشتبه فيهِ . هذا ولما كان الموت من المرض او الشيخوخة يعزى عند بعض القبائل الى مكايد الاعداء وكان لا بدَّ من مقابلتهِ بمثلهِ اقتضى الامر ان يفقد الفريقان من رجالهما

لاعادة الموازنة . (وواضح ان هذا النوع من اعادة الموازنة لا يمكن ان يستمرَّ الى النهاية اذ لو أُريد مقابلة الموت العادي سواءٌ كان من المرض او الشيخوخة بمثلهِ لانقرضت القبيلتان قتلاً) اما بعض القبائل التي هي اكثر ارتقاء كاهل سومطره مثلاً فانها تسوّي امثال هذه المنازعات بالمساومة جهرًا على دفع فدية من المال لا بالاغتيال

فاجراء العدل مجراهُ على هذه الكيفية بين القبائل المختلفة لهُ هذه الصفة المميزة وهي انهُ لا فرق فيهِ بين ان يكون الرجل الذي يُقتَل انتقاماً مذنباً او بريئًا

وما يجري بين القبائل من هذا القبيل يجري بين العائلات ايضاً . قال الاستاذ بلامثريت عن بعض قبائل لوزون ما يأتي

" ان سفك الدماء شريعة مقدَّسة عندهم . فاذا قتل عاميٌّ عاميًّا آخر سوّي الامر على طريقة بسيطة وهي قتل القاتل او آخر من عائلتهِ يكون عاميًّا مثلهُ . ولكن اذا قتل عاميٌّ رجلاً وجيهاً او شريفًا لم يُرْضَ بقتل القاتل بل لا بدَّ من قتل رجل مساوٍ لهُ في الرتبة لانهم يقولون انهُ لا مساواة في قتل رجل ليس احسن من الكلب . وعليهِ تفتش عائلة القتيل لعلها تجد بين اهل القاتل رجلاً وجيهاً تقتلهُ بدم قتيلها وتتجاهل القاتل الحقيقي . فاذا لم تجد مطلوبها انتظرت ريثما يرقى رجل من عائلة القاتل الى مصاف الاعيان فتنتقم منهُ لقتيلها ولو بعد سنين كثيرة . ومتى تمَّ الانتقام تصالحت العائلتان "

ففي هذه الحالة ترى الصفة المميزة هي المساواة بين خسارة الجانبين . ومثل ذلك يشاهد بين الشعوب الساميَّة عموماً . قال بركهارت عن العرب " من الشرائع التي تجري عليها طوائف العرب كلها ان من يسفك دم آخر من غير عائلتهِ يبيت مديونًا لتلك العائلة بدم المقتول . واولاد الذين كان يحقُّ لهم الانتقام عند ما وقع القتل يتوارثون ذلك الحقَّ خلفًا عن سلف . ولهذا النظام العادل الفضل الاعظم في منع قبائل العرب من ابادة بعضها بعضاً فان اخذ الثار على هذه الصورة يقلل سفك الدم في الحروب " وذلك لأن خوف الانتقام يمنع رجال العائلات والقبائل المختلفة من قتل بعضهم بعضاً . وكان الساميُّون القدماء يرون رأي الساميين الحديثين من هذا القبيل كما يستفاد مما ورد عن الاسرائيليين في العهد القديم كسفر الملوك الاول [1] وغيره

(١) مل ١ ص ٢ ع ٣١ « فقال لهُ الملك افعل كما تكلم وابطش بهِ وادفنهُ وأزل عني وعن بيت ابي الدم الزكي الذي سفكهُ يوآب » وع ٣٣ « فيرتدُّ دمهما على رأس يوآب ورأس نسلهِ الى الابد ... الخ » والملك المتكلم هنا هو داود وقد اوصى بهذا الكلام ابنهُ سليمان وهو يحتضر.

ثم ان ما كان يصيب العائلة من الضرر لم يكن مجرَّدًا عن الشعور بما يصيب الفرد من الضرر ايضاً قلَّ ذلك او كثر وهو واضح كلَّ الوضوح بين بعض القبائل الهمجية. قال بعضهم يصف قبائل غيانا " ليس لهذه القبائل نظام للبوليس لأن احترام كلّ فرد منهم لحقوق الآخرين على موجب التقاليد القديمة وخوفهُ من قيام الجمهور عليهِ فيما لو خالف تلك التقاليد يجعلان علاقتهم بعضهم ببعض على غاية الانتظام .... واذا اخطأ واحد الى آخر اقلّ خطاءٍ ولو سهواً فلا بدَّ لهُ من التكفير عن خطائهِ باحتمال مثلهِ". وكان العبرانيون يعنون بتسوية الضرر الفردي اكثر من عنايتهم بتسوية الضرر العائلي كما يستنتج من قولهِ " نفسٌ بنفسٍ . عينٌ بعينٍ . سنٌّ بسنٍّ . يدٌ بيدٍ . رجلٌ برجلٍ " (تثنية ص ١٩ع ٢١)

هذا ويظهر ان انحطاط المسأولية العائلية ونموَّ المسأولية الفردية مصاحبان للتغير الذي طرأ على النظام الاجتماعي فصار الفرد بهِ اساس تركيب المجتمع بدلاً من العائلة لانهُ كلما اسرع النظام العائلي الى الانحلال لم يعد ثمة جماعات تتبادل مسأولية الجرائم التي يرتكبها افرادها بل لا بدَّ للافراد انفسهم ان يحملوا تلك المسأولية . ومن شكل الانتقام غير العادل الذي تسأل بهِ الجماعات اكثر مما يسأل الافراد الذين يؤلفونها ينشأ شكل عادل يسأل بهِ الافراد انفسهم عما يعملون وينال الجاني جزاء ما جنت يداهُ فلا يحمل غيرهُ عقابهُ .

وفي كتب العبرانيين ما يؤيد ذلك . فقد مثّل الله في كتاباتهم القديمة معاقباً المذنبين اليهِ ونسلهم ايضاً حيث قال " افتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من من مبغضيَّ ". اما في الكتابات المتأخرة فقد وردت نبوءَة بمجيء زمان يبطل فيهِ هذا الامر. فقد جاء في سفر ارميا ص ٣١ع ٢٩ و ٣٠ ما نصهُ " في تلك الايام لا يقولون بعدُ الآباء أكلوا حصرماً واسنان الابناء ضرست . بل كلٌّ واحد يموت بذنبهِ كلُّ انسان يأكل الحصرم تضرس اسنانهُ "

وبين الشعوب الاوربية نرى نموَّ هذا الشكل من العدل مصاحباً لانحطاط نظام الجماعات وقيام نظام الافراد . ولذلك يستغرب الاوربي منا بقاء هذا النظام حيثما يصادفهُ كالصين مثلاً فانهُ اذا قتل صينيٌّ اوربياً فكثيرًا ما نرى الحكومة تقدّم رجلاً غير القاتل ليحاكم على الجريمة . وسبب هذا الفرق ان الهيئة الاجتماعية الراقية ترى ان العدل يقضي بالمحافظة على العلاقة التي بين سلوك الانسان ونتيجة سلوكهِ . اما الامم التي هي اقلُّ ارتقاء فترى ان اعظم مظاهر العدل او المساواة مقابلة الجرم بمثلهِ ولا يُستغرب ذلك في زمان راجت فيهِ سوق المشاحنات والمنازعات وكثر فيهِ القتل والجرح

ومما نراهُ ايضاً ان بعض القبائل تحافظ على مبدإِ المساواة حتى في وسط الحرب . قال بعضهم يصف الحروب القديمة المذكورة في الكتب الهندية " ان عاطفة الشرف وعزة النفس التي اشتهر بها الهنود القدماء جعلتهم يعدُّون الهجوم على العدو النائم اثماً معيباً . فان اسواثاما ايقظ قاتل ابيهِ من نومهِ قبلما ذبحهُ " . وكثير من التواريخ غير تواريخ الهند تشير الى انتشار هذا المبدإِ في اماكن شتى وهو ان الفريق المهاجم في الحرب يجب ان يكون مساوياً للفريق المهاجم . غير ان المبدأ الاعمَّ عكس ذلك وهو اغتنام كل فرصة لاغتيال الاعداء واخذهم على غرَّة .

ومبدأُ المساواة في المعاملة اكثر ظهورًا بين اعضاء الجماعة الواحدة من المجتمع الانساني منهُ بين الجماعات المختلفة وارتقاؤهُ اعظم حيث الميل الى الحروب والانهماك بها اقلّ . هذا وان الحرب حتى الحرب التي غايتها الاخذ بالثار انما هي ظلم وعدوان اذ يؤْخذ البريءُ فيها بجريرة الاثيم فيجرح ويقتل الذين لم يظلموا احدًا ولم يعتدوا على احد . وقد افضت الحرب بالضرورة الى انشاء نظام لا يلتفت فيهِ الى مطالب العدل سواءٌ كان ذلك في طرقها الاجبارية بين صف المقاتلة او في استبدادها بالعبيد والخدم الذين يتبعون الجيش (القديديين) او في اذلال النساء . وعليهِ فان علاقة افراد المجتمع الانساني بعضهم ببعض في عهد التمدن كانت اقرب الى العدل والانصاف كلما ابعدوا عن الحرب وشواغلها فلم تبدُ تباشير العدل وتزد وضوحاً وجلاءً الاَّ بعد هذا الانقلاب

ولا بدَّ من الاشارة ايضاً الى العادات والعواطف التي تصاحب المسالمة . فقد ذكرت في فصل سابق (فصل الغزو) اقواماً مسالمين وقلت ان مسالمتهم للغريب كانت مصحوبة بمسالمتهم للقريب ايضاً وبعض السبب فيها احترامهم لمطالب الغير على ما يقتضيهِ العدل . وذكرت في الفصل الماضي (فصل الإِيثار) شهادة ارباب الاسفار بما تتصف هذه القبائل بهِ من الامانة العظيمة في معاملاتها . ولا ريب ان هذه الامانة دليل على شيوع عاطفة العدل . وأُضيف الى هذه الادلة ادلة اخرى تستنتج من معاملة هذه القبائل المسالمة لنسائهم واولادهم . فقد قابلت (في كتاب مبادئ الاجتماع) بين انحطاط المرأَة عند القبائل المحاربة من همجية ومتمدنة بعض التمدن وارتفاع شانها عند القبائل المسالمة الهمجية وقلت ان قبائل التوداس يمنعون المرأَة من عمل الاعمال الشاقة حتى الخروج من المنزل للاستقاء والاحتطاب مع انهم منحطون في امور شتى غير هذا الامر . وان نساء بعض القبائل الاخرى لا يعملن عملاً ما خارج البيوت ولا يكرهن على زواج من لا يحببنهُ مما يدلُّ على اعتراف تلك القبائل بمبدإِ

المساواة الذي هو من لزوميات العدل . وازيد على ذلك الآن شاهدًا لم اذكرهُ قبلاً . فقد روى السائح هلوب ان احد زعماء الوطنيين في جنوبي افريقية قال لهُ عن قبيلتهِ " اننا لا نطلب دم بهيمة فضلاً عن دم انسان " ولذلك تحتقر هذه القبيلةَ القبائلُ القوية المجاورة لها . قال " وحجة اعدائهم عليهم انهم لينو العريكة مسالمون للغريب . وهم يعاملون النساء بالرفق والانصاف خلافًا لمجاوريهم من البشوان والماتابيل "

فهذه الشواهد تدلُّ على ان عاطفة العدل واضحة كلَّ الوضوح حيث تسود روح السلم وتقل روح الحرب . اما التصريح بها فلا ينتظر من قبائل همجية مثل هذه لامتزاج عاطفة العدل عندها بالعدل نفسهِ وكلُّ ما يعلم من هذا القبيل يعلم بالاستنتاج . فان في عدم تصور بعضها كيف يستولي الانسان على ما ليس لهُ دليلاً على العدل . ومثلهُ ما تفعلهُ احدى القبائل المسالمة فانهُ اذا اضطرَّ احد رجالها ان يهجر منزلهُ فرارًا من خطر يدهمهُ وكان عليهِ دين لصاحب المنزل وضع ما عليهِ في صرّة وعلقها بعتبة الباب . وكذلك اذا اتُّهم رجل في بعض القبائل بالسرقة انتحر تخلصاً من العار . وفي غيرها اذا نُسب اليهِ عمل قبيح حفر قبرهُ بيديهِ ودفن نفسهُ . اما القبائل التي هي ارقى في سلَّم المجتمع الانساني الى حدٍّ انها تعرف القراءة والكتابة فاننا نرى صورة العدل واضحة في كتاباتها

على ان معظم الامم القديمة المحاربة كانت تخلط بين العدل والغيرية عموماً . فكتب الصينيين والفرس والهنود القدماء والمصريين والعبرانيين لا تفرق بين العدل من جهة والكرم والرفق من الجهة الاخرى كما يفهم من القاعدة التي يظنُّ انها مختصة بالدين المسيحي على حين انهُ يوجد ما يشبهها عند الامم السابقة للتاريخ المسيحي وهي "كلُّ ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم " فانها تمزج الكرم بالعدل . فاولاً انها لا تفرق بين ما يجب عليك ان تفعلهُ بالغير بناء على العدل والانصاف وبين ما يجب عليك ان تفعلهُ لهُ بناء على الرفق واللطف . وثانياً انها لا تتضمن اعترافاً صريحاً ولا غير صريح بمطالب الفاعل التي نسميها حقوقاً . اما العدل بحقيقة معناهُ فيتضمن عنصرًا ذاتياً وعنصرًا غيريًّا اي العلم بمطالب الذات او النفس والعلم بمطالب الغير . والشعور بمطالب النفس وتأييدها لا يمكن ان ينمو في مجتمع اسس على الحرب والتعاون الاكراهي . ولو اطلقت يد كل انسان ليفعل ما يشاء ضمن دائرة العدل والانصاف لغلّت يد المجتمع او شلّت . وتحت الحكم المطلق مجال واسع للتسامح والكرم ولكنّ هذا المجال ضيق دون العدل . وكلما قلّت اسباب العداء الخارجي بين الجماعات وزادت اسباب التعاون الداخلي اسرعت العواطف وصورها في النموّ والارتقاء

مفاخر البطالسة

بطليموس التاسع

لما توفي بطليموس السابع قامت زوجتهُ كليوباطرة وهي اختهُ ايضاً كما تقدَّم ونصبت ابنها ملكاً على مصر وكان طفلاً وهو بطليموس الثامن وبلغ ذلك عمهُ بطليموس التاسع فجمع جيشاً كثيفاً وزحف بهِ على الاسكندرية ولكن لم تنشب الحرب بينهُ وبين ابن اخيهِ لان سفراء رومية حكموا ان الملك لبطليموس التاسع فاقروهُ على تخت مصر واشاروا عليهِ بان يتزوج ارملة اخيهِ حلاً للاشكال فرضي بذلك ورضيت هي ايضاً لان الزواج السياسي كان شائعاً في مصر من قديم الزمان فاذا اجتاح البلاد ملك اجنبي ولم يرَ الكهنة والشعب سبيلاً للخلاص منهُ زوَّجوهُ باحدى بنات ملوكهم السابقين حتى يصير ملكهُ شرعيًّا حسب سننهم . ولم يملك بطليموس الثامن سوى بضعة اشهر ثم اغتالهُ عمهُ لكي لا يبقى لهُ مزاحم واستقل بالملك سنة ١٤٦ قبل المسيح ولقب يورجيتس وللحال اخذ يفتش عن الذين اظهروا لهُ العداء في عهد اخيهِ وينتقم منهم فقبض على كثيرين من اغنياء الاسكندرية ووجهائها وقتلهم واستصفى اموالهم واباح للجنود المسترزقة ان يطوفوا في المدينة وينهبوا ما شاؤُوا فهرب كثيرون من سكانها من جورهِ. ثم انغمس في الملاهي والملاذ على ما قالهُ مؤرخو اليونان حتى كرههُ الجميع وتزوج بابنة اخيهِ وهي ابنة اختهِ التي صارت زوجتهُ

ولما فرغ صبر الاسكندريين ثاروا عليهِ وحرقوا قصرهُ فهرب الى قبرص ومعهُ ابنهُ ممفتس من اختهِ وبلغهُ وهو في قبرص ان اختهُ استوت على عرش الملك فقتل ابنهُ وقطع رأْسهُ ويديهِ وارسلها اليها وجعل وصولها اليها يوم عيد ميلادها فزاد حنق الاسكندريين عليهِ وخرجوا لقتالهِ لكنهم لم يفلحوا وتمكَّن بعد سنتين من العودة الى الاسكندرية واسترجاع الملك فهربت زوجتهُ الى ديمتريوس ملك سورية فارسل جيشاً الى مصر للاقتصاص من بطليموس لكن جيشهُ عاد بالفشل خيانةً . وكان اسكندر زابيناس بن اسكندر بلاس مطالباً بملك سورية فعضدهُ بطليموس على ديمتريوس الثاني فطردهُ من سورية وملك مكانهُ لكن وقعت النفرة بينهُ وبين بطليموس بعد زمن قصير فاصطلح بطليموس مع زوجتهِ وردها الى مصر وانتصر لانطيوخس غرُبس بن ديمتريوس الثاني وملكهُ سورية وزوجهُ بابنتهِ تريفينا فصارت ملكة سورية

وتوفي بطليموس التاسع سنة ١١٧ قبل المسيح وقد ملك ٥٤ سنة وترك ابنين وثلاث بنات

وما قيل عن ظلمهِ وجورهِ وانغماسهِ في الملاهي والملاذ لا ينطبق على ما خلَّفهُ من الآثار الكثيرة فلا يبعد ان يكون مؤرخو اليونان قد سوَّدوا صحيفتهُ لانهُ كان ميَّالاً الى الديانة المصرية وكهنتها فقد بنى هيكل ابت في كرنك حيث كانت تعبَد فرس البحر التي وصفت في الكتابات القديمة بانها " ام الآلهة سيدة السماء وربة القطرين الالهة المجيدة الساكنة في طيبة " . وعلى جدران هذا الهيكل صورة بطليموس هذا وصورة زوجتهِ كليوباطرة وهما يعبدان ابت وامن را وآلهة اخرى كثيرة ويقربانِ لها القرابين

وترى صورتهُ وصورة اختهِ زوجتهِ في مدينة هبو في الشط الغربي وهناك هيكل يسمى الآن قصر العجوز بناهُ بطليموس هذا تذكارًا لاسلافهِ وترى صورتهُ فيهِ وهو يعبد اثنين منهما . وقد وجد اسمهُ واسم زوجتهِ في الدير البحري وفي الكاب حيث حفر هيكلاً في الصخر

واتم هيكل ادفو الذي شرع في بنائهِ بطليموس الثالث . وعلى هذا الهيكل كتابة قديمة يقال فيها ان بطليموس الثالث وضع اساسهُ في السنة العاشرة من ملكهِ اي سنة ٢٣٧ قبل المسيح وتم بناءُ الهيكل وزخرفتهُ في السنة الثامنة والعشرين من ملك بطليموس التاسع اي سنة ١٤٢ قبل المسيح . وعليهِ فقد تم بناؤُهُ في ٩٥ سنة لكن البطالسة الذين تلوا بطليموس التاسع زادوا في بنائهِ وزخرفتهِ الى السنة الخامسة والعشرين من ملك بطليموس الثالث عشر سنة ٥٧ قبل المسيح فكل الزمن من حين وضع اساسهُ الى ان تمَّ بناؤُهُ وزخرفتهُ ١٨٠ سنة تخللتها فترات كثيرة كما تقدم . فقد كان الملوك يتزلفون الى الكهنة بتقديم النفقات اللازمة للبناء والزخرفة والكهنة يتزلفون الى الملوك بنقش صورهم والقابهم على الجدران — تجارة نفاق بنفاق اتبعها الفريقان الاَّ من كان مخلصاً منهم في معتقدهِ

ويقال في تلك الكتابة ان الاساس وضع حيث كان هيكل قديم بني حينما كان الآلهة يسكنون على الارض ورُسم رسمهُ في السماء ورئيس بنائهِ ايمهاتب بن فتاح اله منف وقد بني الهيكل الاول بهمة الاب وابنهِ

وبنى بطليموس التاسع جدارًا في هيكل كوم امبو ورمم رواق الاعمدة وزاد في نقوش الجدران . واعتنى بهيكل ايسس في جزيرة انس الوجود وزاد في زخرفتهِ وكان الذاهبون الى تلك الجزيرة والمارُّون بها ينزلون ضيوفًا على كهنتها فيأكلون ويشربون مجانًا فشكا الكهنة منهم الى الملك فامر بمنع ذلك ونُقش امرهُ على قاعدة احدى المسلتين اللتين كانتا قائمتين على باب الهيكل ثم سقطت تلك المسلة ووجدها المستر بنكس بين الانقاض سنة ١٨١٥ وهي من الغرانيت الاحمر فاستأذن محمد علي باشا في نقلها الى بلاد الانكليز فاذن لهُ فنقلها على نفقتهِ

وهي الآن قائمة في املاكهِ في كنجستن هول بدرستشير وعلى كل جانب من جوانبها الاربعة كتابات هيروغليفية وعلى قاعدتها الكتابة المشار اليها آنفًا وهي باليونانية

ولبطليموس التاسع آثار ومبانٍ في دبود وفي الدكة ببلاد النوبة ويستنتج من ذلك انهُ كان على تمام الوفاق مع المصريين وكهنتهم . ثم يعلم من التاريخ انهُ كان محالفًا للرومانيين ومنشطًا للعلوم والمعارف ومشاركًا فيها فانهُ وسَّع مكتبة الاسكندرية وزاد كتبها كما فعل اسلافهُ وكان استاذهُ ارسترخس النحوي فاقتدى بهِ في محبة العلم والعلماء وألَّف رسائل شغلت اربعًا وعشرين كتابًا وقد حالفهُ الرومانيون على مقتضى سياستهم لانهم كانوا يستفيدون منهُ . لكن كل ما قيل في مدحهِ ينتفي تمامًا اذا ثبت انهُ قتل ابنهُ نكاية بامهِ

النور والبصر

يودُّ كثيرون من قرَّاء المقتطف ان لا يخلي جزءا منهُ من بحث علمي دقيق ولو عسر فهمهُ على جمهورهم . وباب المباحث العلمية واسع جدًّا ولا يزال كثير من فروعها غامضًا لتعذُّر الوصول اليهِ بالامتحان مثال ذلك مسأَلة الابصار فاننا نرى المرئيَّات ونشعر بوجودها بواسطة النور ولولاهُ ما رأينا شيئًا منها فكيف يفعل النور بعيوننا حتى يجعلنا نشعر بالمرئيات . هل يؤَثر فيها تأْثيرًا ميكانيكيًّا او تأْثيرًا كيماويًّا وما هي كيفيَّة هذا التأْثير

لا يخفى ان النور والحرارة والكهربائية هذه القوى الثلاث تسبب افعالاً كيماويَّة في بعض المواد . فغاز الكلور وغاز الهيدروجين اذا مزجا معًا في الظلام لم يتحدا ابدًا ولكن اذا وقع عليهما نور الشمس وهما ممتزجان اتحدا حالاً بتفرقع شديد . وعلى فعل النور الكيماوي بنيت صناعة التصوير الشمسي فان النور يفعل بكلوريد الفضَّة فعلاً كيماويًّا ويسودهُ بحل الفضة منهُ . وبهِ يتمُّ نمو النبات لانهُ يفعل بالمادة الخضراء التي فيهِ فعلاً كيماويًّا يمكّن النبات من اخذ الغذاء من اكسيد الكربون الثاني والماء

وقد شوهد ان الحبيبات الملونة التي في خلايا شبكية العين تتحرَّك بفعل النور وان النتوات الهرمية التي في الشبكية تقصر اذا وقع النور عليها وتطول اذا حجب عنها . وفي شبكيات بعض الحيوانات كالضفدع مادة ملونة تزول في النور وتظهر اذا حجب النور عنها وتتغير تغيرًا واضحًا اذا عرضت للانوار المختلفة غير النور الابيض ويكون التغير فيها بحسب درجة النور

ولا يخفى ان النور اهتزاز سريع في الاثير او في دقائق الجسم المنير تختلف سرعتهُ

باختلاف لونهِ فاذا كانت سرعة الاهتزاز ٤٥٠ مليون مليون في الثانية من الزمان فالنور الذي تراهُ العين احمر اللون واذا زادت السرعة تغيَّر اللون من الاحمر الى البرتقالي فالاصفر فالاخضر فالازرق فالنيلي فالبنفسجي حسب ترتيب الالوان في الطيف الشمسي ويكون عدد الاهتزازات قد بلغ في اللون البنفسجي ٧٢٧ مليون مليون في الثانية من الزمان · واذا زادت سرعة الاهتزاز عن ذلك لم تعد العين ترى لونًا من الالوان كأن السرعة تصير اشد من ان تؤثر فيها تأثيرًا تشعر بهِ · وعليهِ فامواج النور تفعل بشبكية العين فتؤثر فيها وتؤثر ايضًا في مادة ملونة موجودة فيها ويختلف تأثيرها هذا باختلاف امواج النور

ولكن كيف يحدث الابصار اي كيف ينتقل هذا التأثير الى عصب البصر وكيف يفعل بهِ

اذا شُرِّحت شبكية العين وُجد على سطحها طبقة مؤلفة من اجسام مستطيلة كالعصي ومن اجسام اخرى مخروطية الشكل فهذه الاجسام هي اوّل ما يتأثر بالنور الواصل اليها والمرجح انهُ يتولد فيها مادة خميرية كما يتولَّد في كل الخلايا البروتوبلازمية كالبسين الذي يتولد في الخلايا المعدية فيحول الطعام الى بيتون والاميلبسين الذي يتولَّد في الخلايا البنكرياسية فيحول النشا الى سكَّر وفي الحالين تتولد افعال كيماوية وعصبية · وقياسًا على ذلك يقال انهُ يتولد في خلايا شبكية العين مادة خميرية تحوّل فعل النور الى فعل كهربائي او عصبي يصل الى مراكز البصر في الدماغ فيشعر بهِ هناك حسب اختلاف درجاتهِ · والظاهر ان التجارب في عين الضفدع تؤيد ذلك فانها اذا استخرجت من وقبها ووضعت بين طرفي المجرى الكهربائي حتى مرَّ المجرى فيها من الامام الى الوراء ووقع النور عليها حينئذٍ زاد المجرى قوةً واذا حُجب النور عنها زاد المجرى قوةً في اول الامر ثم ضعف · وقد فسَّروا ذلك بان الفعل الباني (انابوليك) في العين يقوى بفعل النور والفعل الهادم (كتابوليك) يبطل فجأة عند اول انحجاب النور

ولا يبعد ان تكون المواد الخميرية التي في شبكية العين مختلفة وكلٌّ منها يتأثر من نوع مخصوص من النور وكلها تحوّل هذا التأثير الى فعل كهربائي يختلف باختلاف النور وينتقل على الاعصاب الى المراكز البصرية فتشعر بهِ حسب اختلافهِ · والمرجح ان التجارب التالية تؤيد هذا الاستنتاج وتكشف غوامض كثيرة متعلقة بالبصر

عمل الاطالس

في دار التحف بمدينة تورين قطعة من ورق البردي عليها خطوط وكتابات قديمة ظهر بعد البحث انها خريطة مصرية صُنعت ليستدل بها على موقع مناجم الذهب في بلاد النوبة والطريق الموصلة اليها وقد نشرنا صورة هذه الخريطة غير مرة في المقتطف وهي من اقدم الخرائط الباقية الى الآن لانها صُنعت قبل المسيح بنحو ١٣٧٠ سنة

ويظهر من النظر في الآثار الاشورية ان اهالي بابل واشور كانوا ينقشون الخرائط على صفائح الخزف قبلما رسمها المصريون على صحائف البردي · والفضل للمتقدمين على كل حال لكن المتأخرين جروا في عمل الخرائط شوطاً طويلاً جدًّا فبلغوا في عملها حدًّا يفوق التصور فان الذي يشتري ببضعة غروش خريطة كبيرة مثل خريطة اليابان وكوريا ومنشوريا ومواقع الحرب بين الروس واليابان لا يخطر بباله ولا يتصور مقدار التعب الذي تعبهُ مئات والوف من الناس حتى تمكنوا من عمل هذه الخريطة فان تخطيط الارض ومواقع البلدان وما فيها من المدن والدساكر والانهر والجبال يقتضي سنين كثيرة ونفقات طائلة لا تستطيعها الأ الدول الكبيرة · ثم ان رسم الخرائط على مقتضى ذلك يستلزم تعباً كثيرًا ونفقات كبيرة ويأتي اخيرًا تصغير هذه الخرائط وطبعها وتلوينها وجمعها في الاطالس وفي كل ذلك من المشقة ما يفوق الوصف

صنعت شركة هرمسورث منذ مدة وجيزة اطلساً جامعاً ألحقتهُ بمعجم للبلدان المذكورة فيهِ · ووصف بعضهم كيفية عملهِ في الجزء الاخير من مجلة لندن فقال

ان في هذا الاطلس خمس مئة خريطة ورسم وقد أُلحق بهِ معجم فيهِ مئة الف وخمسة آلاف اسم من اسماء الاماكن والمدن مشروحة شرحاً وجيزًا

وكل خريطة من الخرائط تطبع خمس مرات بخمسة انواع من الحبر ولا بدَّ من تجفيف الورق بعد كل طبعة ثم بلهِ ثانيةً ولا يتم ذلك في اقل من شهر · واذا اريد طبع خريطة واحدة فقط اقتضى حفر الرسوم لها وطبعها عشرة اشهر اذا جرى على تمام السرعة

فأولاً يلزم ان تؤْخذ خرائط الحكومة التي صنعتها لها ادارة المداحة وهي كبيرة جدًّا فيها كل التفاصيل المطلوبة وتفاصيل اخرى لا يحتاج اليها في الخرائط العادية ولا يمكن اثباتها فيها اذا صُغرت لكثرتها . ويختار منها التفاصيل اللازمة او التي هي ألزم من غيرها ويحتمل اثباتها في الخريطة المصغرة ويستعان بكل ما جدَّ بعد عمل خرائط الحكومة مما لهُ

علاقة بها حتى تكون الخريطة الجديدة تامة في تفاصيلها وواصلة الى آخر ما وصل اليهِ البحث

ثانياً يرسم الرسام الخريطة على موجب ذلك ويعطيها للنقاش فيأخذ هذا في نقشها على لوح من النحاس. وعملهُ دقيق شاق لا يستطيعهُ الاَّ من زاولهُ منذ نعومة اظفاره. والخريطة التي مساحتها قدمان مربعان فقط يقتضي نقشها اربعة اشهر اذا كان النقاش غاية في المهارة لكثرة ما يكون فيها من الاسماء والتفاصيل الدقيقة. فقد عدوا في خريطة واحدة من اطلس هرمسورث اربعة آلاف اسم

ثالثاً ان لوح النحاس هذا لا يستعمل لطبع الخرائط بل تطبع عنهُ ورقة من الورق المحضر لهذه الغاية خاصة وتستعمل الورقة طابعاً فيطبع الرسم الذي انتقل اليها على لوح من الالومنيوم. والواح الالومنيوم تقوم الآن مقام الحجارة التي كانت تستعمل في الطبع الحجري لانها تفضل عليها من كل وجه لخفتها وسهولة استعمالها

وتطبع الخرائط عن الواح الالومنيوم بالحبر الاسود اي الحدود والانهر والجبال والاسماء الخ. فاذا اريد تمييز البلدان بعضها عن بعض بالوان مختلفة كما هي العادة في الخرائط فهناك عمل آخر ونفقات اخرى لان كل لون من الالوان يقتضي طبعة خاصة ولوحاً خاصاً يطبع عنهُ فاذا كان في الخريطة خمسة الوان لزم ان يعاد طبعها خمس مرات عن خمسة الواح مختلفة وان تصنع هذه الالواح على تمام الدقة حتى لا يقع حدُّ لون منها فوق لون آخر ولا يقع بعيداً عنهُ بل يكون الحد الواحد لاصقاً بالحد الآخر تماماً وهلمَّ جرًّا. فاذا اريد ان يكون في الخريطة خمسة اقسام ملونة بخمسة الوان مختلفة طبع الرسم الاصلي على خمسة اوراق ورشَّ عليها غبار محمرُّ اللون حتى يلصق بالحبر ثم تطبع كلٌّ منها على لوح من الالومنيوم ويختار الجزء الذي يراد ان يلوَّن باللون المطلوب و يغطى كل ما سواهُ بمادة صمغية. وقد يطبعون لوناً فوق لون فينتج لون ثالث كما اذا طُبع الازرق فوق الاصفر فانهُ ينتج منهما لون اخضر

والورق يتمدَّد و يتقلص باختلاف الرطوبة والجفاف والحر والبرد فاذا تغير حجم ورق الخرائط اقلَّ تغير قبل اتمام طبعهِ اختل وضع الرسوم عليهِ ولذلك اضطرَّ الذين طبعوا اطلس هرمسورث ان ينشروا الورق في غرفة آلات الطبع بضعة اسابيع حتى يبلغ تغيرهُ حدهُ ولا بدَّ من ان يكونوا قد تحكموا في حرارة تلك الغرفة ورطوبتها حتى تبقيان على درجة واحدة فلم يعد حجم الورق يتغير فيها

وطبع الخرائط يجب ان يكون بطيئاً حتى يلصق بها المقدار الكافي من الحبر فاذا اريد

طبع مقدار كبير منها وجب ان يستعمل عدد كبير من المطابع

اما المعجم فصنع على هذه الصورة : — كُتبت الاسماء كلها على قطع من الكرتون مثل اوراق الزيارات كل اسم على ورقة وشرح كل اسم منها من احدث معجمات البلدان ثم رُتبت على حروف المعجم وطبعت بالحروف كما تطبع الكتب عادة

وما تقدم من التدقيق مقصور على الخرائط الدقيقة المتقنة واما الخرائط العادية فعملها اسهل واقل نفقة

امير افغانستان

ملخصة عن مجلة المجلات الانكليزية

موت الامير عبد الرحمن

لما آلت امارة افغانستان الى الامير عبد الرحمن والد الامير الحالي قضى العشر السنوات الاولى من حكمهِ يجدُّ ويجتهد في اصلاح شؤُون امارتهِ وكانت اعمالهُ موسومة ببعد النظر والاعتماد على النفس . فأتمَّ كلَّ ما من شأْنهِ ان يرفع اسمهُ ويصلح حال بلادهِ سواءٌ كان ذلك في الشؤُون الحربية او المالية او الادارية . ولما تمَّ ذلك لهُ وآنس من نفسهِ القوة والعزة اراد ان يجحد معروف الحكومة الانكليزيَّة ويكفر بجميلها . وكانت حكومة الهند قد اوقفت دخول بعض الذخائر الحربية الى بلادهِ فجوابًا على فعلها هذا توقف عن قبول الاعانة المالية التي تدفعها اليهِ وسيَّر الجيوش الى الحدود وارسل الى اللورد سالسبري رأْسًا (وكان رئيس الوزارة الانكليزية حينئذٍ) كتابًا يشكو فيهِ والي الهند . وبقي بعد ذلك وخصوصًا بين سنة سنة ١٨٩٠ و ١٨٩٨ يبذل وسعهُ في تكدير العلائق بين بلادهِ والهند ببسط حمايتهِ على بعض قبائل الحدود المعادية لانكلترا واثارة روح التعصب بينها وتحدّي حكومة الهند الى القتال بعبارات شديدة اللهجة في اثناء انهما كها بحملة الحدود فقلقت الحكومة من مسلكهِ العدائي هذا ولكن قلقها جعل يقلُّ بتقدم الامير في السنّ ولاسيما لأَن والي الهند تغيَّر في تلك الفترة وأُسندت الولاية الى اللورد كرزون وكان الامير يكرمهُ كلَّ الاكرام ويجلُّ قدرهُ . ثم عاجلهُ القضاءُ قبلما اثَّرت صداقتهُ لوالي الهند في سياسة الحدود وخلفهُ ابنهُ الاكبر حبيب الله خان

جلوس حبيب الله

وكان الامير حبيب الله معروفاً في الهند لما جلس على كرسي امارة افغانستان لأن أباهُ وكل اليهِ في سنيهِ الاخيرة كثيرًا من الشؤُون الادارية فتمرس باحوال البلاد وكان يحضر الدربار الذي يقام في الهند بالنيابة عن ابيهِ مدة الخمس السنوات الاخيرة من عمرهِ وهو يميل الى الاستبداد بحكم الفطرة والمكان فلم يبدُ عليهِ اقلّ ميل الى تأييد تابعيتهِ للحكومة الانكليزيّة بل ان انفتهُ وسموّ مركزهِ يحدوان بهِ الى حسبان نفسهِ مستقلاً تمام الاستقلال عنها واستبدال الروابط القديمة التي تربطهُ بها بروابط اخرى تنافي المبادئ المتضمنة في المعاهدة التي عقدت بين انكلترا وافغانستان سنة ١٨٨٠

ولا نعلم ما اذا كان المستر مورلي ناظر المستعمرات الحالي يعترف بمساواة الامير لوالي الهند فاذا اعترف بذلك آل الامر الى فقدان الانكليز ما لهم من النفوذ والسطوة في اواسط اسيا . ولكن من اصعب الصعب عليهم ان يأبوا على الامير حقهُ في عقد محالفة يكون اساسها الارتباط المتبادل لاسيما وان معاهدة داين التي عقدت بينهم و بينهُ في واخر سنة ١٩٠٤ تعترف بامير افغانستان ملكاً مستقلاً وقد دلتهم الحوادث التي جرت منذ ولي عرش الامارة على اميالهِ نحوهم فاذا هو مثل ابيهِ في مجاملتهم وعدم المبالاة بمطالبهم ٠ واعظم تلك الحوادث دلالة على استقلالهِ ما جاهر بهِ من حماية بعض الدراويش التابعين لقبائل الحدود المستقلة وكانت حكومة الهند قد حظرت عليهم دخول بلادها ٠ وكذلك كيفية استقبالهِ لوفد داين وصرفهِ اياهُ ومقابلتهِ دعوة حكومة الهند لهُ مرارًا لزيارتها بالمجاملة والحذر ظنًّا منهُ ان غاية تلك الدعوة المتكررة تضييق نطاق استقلالهِ وزيادة المراقبة على بلادهِ في حين ان الغرض الحقيقي منها توثيق الصلات التي كانت بين والدهِ وحكومة الهند

ولم يقف عند هذا الحدّ من رفض الدعوات التي كانت ترسل اليهِ تباعًا بل انهُ لما أنفذت حكومة الهند اليهِ وفدًا ليعزيهُ عن وفاة ابيهِ عقد محفلاً حافلاً لاستقبالهِ وشدّد في القول انهُ عازم على احترام اسباب الشكوى التي كان والدهُ يشكوها وزاد على ذلك قولهُ ان ما تقيد بهِ الاب من القيود والروابط لا يلزم الابن . وكان قبل ذلك قد قام يدعي لنفسهِ حقّ ابيهِ في مشترى كلّ ما يشاءُ من السلاح والذخيرة وأخذ يقترض المال على حساب الاقساط الشهرية المتأخرة من الاعانة . فرأت الحكومة انهُ وان لم تكن ثمت حاجة الى ارغامهِ على ما تريد قوة واقتدارًا فلا غنى لها عن شدّ الروابط التي ارتخت بين كابول وكلكتا . وهذا سبب معاهدة داين التي مرّت الاشارة اليها واليك بيانها

معاهدة داين

ان حبيب الله كثير الارتياب في النفوذ الاجنبي وقد ظهر ارتيابهُ في كل عمل من اعمال سياستهِ الخارجية . وبلغ منهُ سوء الظن بمقاصد الانكليز بين سنة ١٩٠١ و١٩٠٤ مبلغًا عظيمًا كاد يفضي الى قطع العلائق بينهُ وبينهم فرأت الحكومة الانكليزية في اواخر سنة ١٩٠٤ ان لا بدَّ من عمل يعمل لازالة ذلك فأوفدت المسترلويس داين (وهو الآن السر لويس داين) الى كابول فتمَّ الاتفاق بينهُ وبين الامير على الامور الآتية : وهي اولاً ان تدفع الحكومة الهندية متأخرات الاعانة وقدرها ٤٠٠٠٠٠ جنيه . وثانيًا ان تستمر على دفع الاعانة السنوية التي كانت تدفعها الى ابيهِ وقدرها ١٨ لكًا من الربيات (١٢٠ الف جنيه) . وثالثًا ان يشتري الامير ما شاء من السلاح والذخيرة بلا قيد . ورابعًا ان يُعترف بهِ اميرًا مستقلاًّ لافغانستان وتوابعها

وانما تساهلت حكومة الهند معهُ هذا التساهل رجاء ان يقابلها بالمثل ولكنهُ لم يتساهل في شيء ولم يتنازل عن شيء مع انهُ ارسل ابنهُ عناية الله خان رئيس وفد شرف لتحية اللورد كرزون . وعليهِ فان الحالة الآن مثلما كانت عليهِ عند وفاة الامير عبد الرحمن سنة ١٩٠١

مطالب حكومة الهند

اما مطالب حكومة الهند في افغانستان فيمكن جمعها تحت بندين الاول ما يطابق مسأوليتها من جهة المحافظة على سلامة افغانستان ومنع تجزئتها . والثاني ما ينشأ عن سوء التفاهم السياسي . فمن جهة الامر الاول يقال ان مطالب حكومة الهند الآن انما هي ثمة طبيعية للحماية التي تحمي افغانستان بها من الاعتداء الاجنبي . فاذا أُريد منها ادامة تلك الحماية في الاستقبال والمحافظة على ما بينها وبين الامير من العهود والمواثيق وجب ان يمهد السبيل امامها الى ذلك . والاَّ فما دامت لا تنال امتيازًا في افغانستان فلا يمكنها العمل بمعاهدة يطلب منها فيها حماية الحدود الشمالية من البلاد وهي على بعد خمس مئة ميل عنها وطريقها اليها صعبة السلوك وجيش افغانستان غير تام الاهبة والتدريب

وعليهِ فلا غنى عن مد سكك الحديد الحربية التي لها في شمال الهند الى كابول وكندهار ومد خطوط التلغراف بين كابول وكندهار وهرات والمزار الشريف في الهند وتنظيم جيش افغانستان عن يد ضباط من الانكليز . ولا يخفى انهُ لا يمكن اتمام عمل من هذه الاعمال بلا رضى الامير ولما كانت غاية الحكومة الهندية حملهُ على معاونتها في تحقيق اماني لا يقصد بها سوى خير افغانستان لا غير فهي تبحث في هذه المسألة بروح التساهل والمسالمة . ومما لا بدَّ

من ذكرهِ هنا ان مقاومة هذه المشروعات صادرة كلها عن بطانة الامير في كابول وهي تستمد روح المقاومة لكل شيء اجنبي من تعاليم الائمة الذين لهم الحول والطول في البلاد. هذا ومع ان الامير مقاوم لهذه المشروعات ايضاً فقد صرح مراراً بانهُ يلتجي الى حكومة الهند فيما لو وقعت الحرب بينهُ وبين دولة اخرى وخاف من الانغلاب فيها. ولما كان ذلك ليس ببعيد الوقوع فمن الخطإ ان يمنع المراقبة الاجنبية لجيشهِ لاسيما وان الجنود قابلون للتعليم والتدريب بسرعة وسهولة

اما الامر الثاني فانهُ يختلف كل الاختلاف عن الاول ومدارهُ على تعرض الامير للقوافل التي تدخل بلادهُ من الهند ومراقبتهِ لشؤُون قبائل الحدود ومحافظتهِ على القوانين التي سنها ابوهُ ضد استخدام آخر نقطة تصل سكة الحديد اليها . على ان هذه المسائل الثلاث قابلة للحل في كل آن

سياسة الامير الداخلية

ولننتقل من سياسة الامير الخارجية الى الداخلية فنقول ان حكمهُ موسوم بالرفق وحب الخير لرعيتهِ فما رقي عرش الامارة حتى ازال مظالم جباية الضرائب . ولتسهيل التجارة وتوسيع نطاقها وتشجيع قومهِ عليها امر الخزينة ان تسلف التجار المال لتخلصهم بذلك من اقتراض المال بربا فاحش من الهنود واصدر المناشير في البلاد يدعو فيها الذين هاجروها هرباً من استبداد ابيهِ للعودة اليها

والامير اميل الى الدين وشؤُونهِ منهُ الى الحرب وفنونها حتى لقبهُ بعض الائمة بسراج الملة والدين كما لقب غيرهُ اباهُ بضياء الملة والدين . وكان لهُ سبع زوجات فطلق ثلاثاً منهنَّ وابقى اربعاً اجابة لطلب شيخ ائمة كابول وعملاً بالشرع. وغالى في اتباع بعض السنن فنهى الرجال عن لبس الملابس الموشاة بالذهب والاحذية المزركشة والمناديل الزاهية الالوان ولبس الحلي وامر النساء ان يستبدلن الازار الابيض بازار غامق اللون. ومصدر هذه الحركة كلها اخوهُ قائد الجيش العام السردار نصر الله خان الملقب باعتماد الدولة فانهُ شديد التحمس وقد جمع حولهُ جميع ائمة كابول يؤَيدونهُ ويشدون ازرهُ

اطوارهُ

والامير حبيب الله يختلف عن ابيهِ في احتقارهِ لجميع الاجانب على السواء وارتيابهِ فيهم اما ابوهُ فكان يلبس لكل حال لبوسها ويراعي في معاملتهم مصلحتهُ فيحاسنهم او يخاشنهم طبقاً لمقتضى تلك المصلحة

وهو اصغر جسماً من ابيهِ واضعف بنية وشديد الشبه لهُ. اذا اشار محدثاً ابرقت أَسرَّتهُ .

وهو الين جانباً من ابيهِ واكثر حلماً ولكن اباهُ كان ابعد نظراً في الامور واسدَّ رأياً واربط جناناً

ولهُ هزل لا يشتهيهِ صديق لصديق . حكي انهُ كان ذات يوم يلبس حذاءهُ فرأى فيهِ عقرباً سوداء فنادى الخادم الذي وكل اليهِ العناية بملابسهِ وقال ان الحذاء ضيقٌ وامرهُ ان يلبسهُ امامهُ ليتسع قليلاً ففعل فلسعتهُ العقرب شرَّ لسعة

وحكي ان داء النقرس اشتدَّ عليهِ يوماً فقالوا لهُ ان في المدينة طبيباً هندياً قدم حديثاً فلنستدعهِ اليك لعلهُ يصف لك دواء يريحك من هذا الداء . فاعدَّ لهُ الطبيب منوّماً واوصاهُ ان يشربهُ جرعات على عدة ايام . ولكنهُ خاف ان يكون في الدواء سمٌّ فامر احد خدمهِ ان يشرب نصف الزجاجة فشربها فمات من كبر الجرعة . ولما رأى ذلك عدل عن شرب الدواء . واخيراً شفي فاستدعى الطبيب وبشّرهُ بشفائهِ ففرح ظناً منهُ ان شفاءهُ كان نتيجة شرب الدواء ووعد نفسهُ باحسن جزاء . فاخرج حبيب الله الزجاجة وفيها النصف الباقي من الدواء وقال ان نصف هذه الزجاجة قتل خادمي الذي شربهُ وبقي النصف الآخر فاشربهُ انت ونم معافًى فلم يسع الطبيب الاَّ الامتثال فشربهُ وكاد يقضي نحبهُ لو لم يبادرهُ رجل اوربي من خدم الامير بمقيء

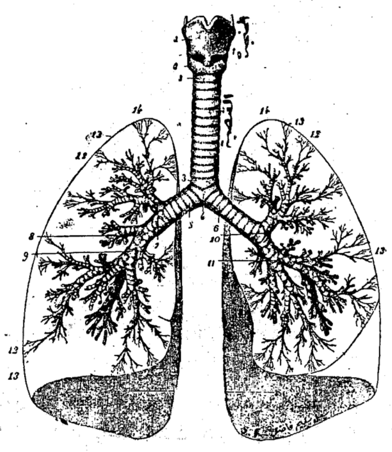
فان كانت هاتان الروايتان صحيحتين فما ابعد الزمن الذي تجاري فيهِ افغانستان بلاد اليابان او غيرها من البلدان المستقلة . واذا بحثت عن تأخر بلدان المشرق رأيت علتهُ الكبرى امراءها

التنفس الطبيعي والاصطناعي

مقتطف من كتاب « مرشد الراغبين في اسعاف المصابين » انظر باب التقريظ والانتقاد

التنفس الطبيعي — هو النظام الذي بهِ يتخلص الدم القاتم غير النقي من الحامض الكربونيك السام ويستعيض منهُ بغاز الاوكسجين وعند ذلك يحمر ويقال عنهُ طاهر . وللتنفس حركتان احداهما " الشهيق " وهو استنشاق الهواء الى الصدر عند تمددهِ والاخرى " الزفير " وهو اخراج الهواء من الصدر عند هبوطهِ . واعضاء التنفس هي الرئتان المعلقتان في تجويف الصدر على جانبي القلب . فعند الشهيق يندفع الهواء من الانف واحياناً من الفم الى " القصبة " ومنها الى الرئتين . وطرف القصبة الاعلى يقال لهُ " الحنجرة " وهو متسع

وفيهِ الاوتار الصوتية • وطرفها الاسفل ينتهي بفرعين يتصل كلٌّ منهما باحدى الرئتين ثم يتشعب الى عدة شعب صغيرة وهذه الى اصغر على مثال غصون الشجرة (شكل ١) واخيرًا تنتهي تلك الشعب بملايين الاكياس الدقيقة جدًّا يقال لها " الخلايا الهوائية " (شكل ٢) ويسمى مجموع تلك الفروع " بالشعب الصدرية " وهي التي يسير فيها الهواء عند الشهيق الى الخلايا الهوائية • وهذه الخلايا الصغيرة رقيقة الجدران جدًّا ومغلفة بشبكة كثيفة من اوعية



شكل ١ (الرئتان)

الدم الشعرية . فبينما يجري الدم في تلك الاوعية الشعرية يتبادل مع الهواء في الخلايا الهوائية الحامض الكربونيك الضارّ وغاز الاوكسجين النافع فيمتص الهواء الاول والدم الثاني. وبالزفير يصعد الهواء من الخلايا الهوائية فاسدًا اي غنيًّا من الحامض الكربونيك فقيرًا الى غاز الاوكسجين وينقهقر في الشعب الصدرية الى القصبة ويطرد من الأنف واحيانًا من الفم الى الخارج • مما تقدم يسهل علينا ان ندرك فائدة استنشاق الهواء النقي لحفظ الصحة وان نفهم الضرر الذي ينشأ عن الازدحام في مكان ضيق حيث يمتلئ الهواء سريعًا من الحامض الكربونيك

السام ويفلت منهُ ذلك الغاز الضروري لاستمرار الحياة وهو الاوكسجين وان نعرف ايضاً الخطر الذي ينجم عن داء الخناق (الدفثيريا) وغيره من الامراض التي تصيب اعلى القصبة وتفضي الى سدها



شكل ٢ (الخلايا الهوائية)

ولنبحث الآن قليلاً عن كيفية التنفس فنقول ان تجويف الصدر كما مر مؤلف من صف اضلاع على الجانبين متصلة بواسطة وصلات غضروفية بالقص (عظمة الصدر) من الامام وملتصقة بالعمود الفقري (سلسلة الظهر) من الوراء . ثم ان اسفل الصدر ينفصل عن اعلى البطن بجدار عضلي قوي محدب الى الاعلى يسمى «الحجاب الحاجز» والصدر كلهُ مغلف ومبطن بعضلات تمر من ضلع الى اخرى. ومن المعلوم ان الرئتين مرنتان للغاية. فعند الشهيق ينخفض الحجاب الحاجز الى اسفل وفي الوقت نفسهِ يرتفع الجزء الامامي من الاضلاع والقص وبذلك يتسع تجويف الصدر جدًّا فيندفع الهواء من القصبة الى الرئتين ليملأ الفراغ بتمددهما . وعند الزفير يرتفع الحجاب الحاجز وتنخفض الضلوع والقص فيقل الفراغ وتتقلص الرئتان فيطرد الهواء من الصدر الى القصبة ومنها الى الخارج . ومتى كان الانسان في كمال الصحة والراحة يتعاقب الشهيق والزفير من خمس عشرة الى ثماني عشرة مرة في الدقيقة الواحدة

ولا تفرغ الرئتان تماماً من الهواء بل يبقى فيهما جانب منهُ على الدوام مهما طال الزفير وانما عند كل شهيق يخلط الهواء الجديد بالهواء المتخلف في الصدر فيصلحهُ

وقال عن التنفس الاصطناعي في كلامهِ عن "الغرق" ما يأتي

الغرق من الحوادث التي ينبغي على الافراد ان يكونوا ملمين بطرق علاجها قبل حضور الطبيب. والغريق يموت بسبب انقطاع الاوكسجين عن الرئتين وتسمم الدم لعدم تطهيرهِ بهِ فاذا بادرت الى معالجة الغريق « بالتنفس الاصطناعي » على اثر انتشالهِ نجحت غالباً في رد حياتهِ اليهِ — اذا لم يكن قد قضى نحبهُ — واعدت تنفسهُ الطبيعي وورود الاوكسجين الى رئتيهِ ولا تقتصر على معلوماتك الخصوصية او ما تتلقنهُ من هذا الكتاب وغيرهِ بل استدع الطبيب حالاً واستحضر احرمة وثياباً ناشفة. ولكن لا تبطىء مطلقاً في معالجة الغريق في مكان مطلق الهواء وتعريض وجههِ وصدرهِ للريح الا اذا كان الطقس بارداً جداً او ممطراً الخ. واول ما توجه اليهِ نظرك هو اعادة التنفس الطبيعي اليهِ ثم تدفئتهُ وتقوية دورتهِ الدموية. ولا تيأس من حياة الغريق وانت تزاول التنفس الاصطناعي حتى يحضر الطبيب ويفحصهُ او تمضي ساعة على الاقل من وقت وقوف نبضهِ وانقطاع تنفسهِ

التنفس الاصطناعي — للتنفس الاصطناعي طرق عديدة الغرض منها كلها تقليد حركات التنفس الطبيعي. وانما تقتصر على بيان الطريقة التالية تحاشياً من حدوث الارتباك بذكر غيرها معها ولانها مع بساطتها الكلية مضمونة النجاح ويمكن لشخص واحد مزاولتها بعد تمرين قليل وهي :—

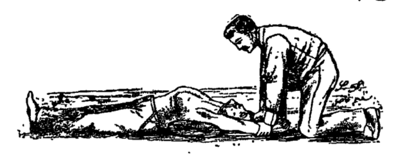
وضع الغريق — اضجع الغريق اولاً ووجههُ الى الاسفل واسندهُ ببعض الثياب المطوية وضع احدى ذراعيهِ تحت جبهتهِ جاعلاً رأسهُ اوطأ قليلاً من جسمهِ حتى يخرج الماء الذي في جوفهِ . ثم اقلبهُ حالاً على ظهرهِ او القهِ على سطح مائل اذا امكن بحيث تكون قدماهُ اوطأ من رأسهِ وارفع رأسهُ وكتفيهِ قليلاً واسندهما على وسادة واطئة او على حزمة ثياب مطوية تحت لوحي الكتفين . ثم انزع كل لباس ضيق حول العنق والصدر كالياقة ورباط الرقبة والحزام الخ

افراغ فتحات الفم والانف لمرور الهواء في القصبة — اخرج ما بقي من الماء في الفم ونظفهُ جيداً مع الانف . ثم افتح الفم واجذب اللسان الى الخارج وامسكهُ بمنديل او اربطهُ بذقنهِ بحلقة من اللاستك او شريط او نحوها

حركات التنفس الاصطناعي — (١) الشهيق اي ادخال الهواء الى الرئتين . قف عند

رأس المصاب واقبض على ذراعيهِ بالقرب من اعلى المرفقين واجذبهما نحو جانبي الرأس الى الوراء ثم ابسطهما بلطف على مساواة الرأس وابقهما كذلك نحو ثانيتين من الزمن (شكل ٣) وبذلك ترتفع اضلاع صدرهِ وبالتالي يدخل الهواء النقي الى رئتيهِ . (٢) الزفير اي اخراج الهواء من الرئتين : اعد في الحال ذراعي المصاب الى جانبي الصدر واضغط بهما ضغطاً خفيفاً على الاضلاع مدة ثانيتين اخريين (شكل ٤) فتنخفض الاضلاع ويخرج الهواء الفاسد من رئتيهِ .(٣) كرر تلك الحركات على التعاقب بنحو خمس عشرة مرة في الدقيقة وواظب على عملك هذا مدة طويلة الى ان يشرع العليل في التنفس من تلقاء نفسهِ

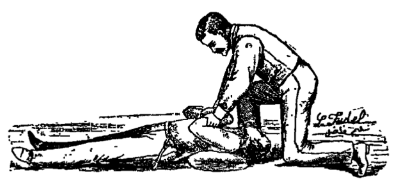
التحريض على التنفس — في اثنا اجرائك حركات التنفس الاصطناعي المذكورة آنفاً كلف احد الحضور ان ينزع الثياب المبللة عن الغريق ثم يهيج انفهُ بالنشوق (السعوط) او غاز النشادر او غيره من الروائح المنبهة ويدغدغ حلقهُ بريشة دجاج ويفرك صدرهُ ووجههُ ويرشها بالماء البارد والحار على التوالي ويضغط على القص (اي العظم المتوسط في الصدر) ويدلك جسمهُ واطرافهُ السفلى بقطعة ناشفة من الفلانلا او الجوخ . ومما يفيد ايضاً ان يجذب لسانهُ الى الخارج ثم يدفعهُ الى الداخل مرات متوالية



شكل ٣ (ادخال الهواء الى رئتي الغريق)

رفع درجة الحرارة وتقوية الدورة الدموية — متى اخذ العليل يتنفس وجب ان تلفهُ في احرمة ناشفة او ثياب دافئة (تستعيرها من احد الحضور اذا لزم الامر) وافرك الاطراف نحو اتجاه القلب فركاً عنيفاً تحت الغطاء لكي تستكد الدم بسيرهِ في العروق الى القلب . وتزاد حرارة جسمهِ بوضع الفلانلات الحارة او الزجاجات او الاكياس الجلدية المملوءة ماء حارًّا او الطوب المحمى على المعدة وتحت الابطين وبين الفخذين وعلى اخمص القدمين . ومتى عادت الحياة للعليل واستطاع البلع اسقهِ جرعات صغيرة مما يتيسر الحصول عليهِ وقتئذٍ من الماء الحار او كميات قليلة من الخمر او الشراب الروحي المخفف بالماء او القهوة . ثم اضجعهُ في فراش واذا مال الى النوم فاتركهُ لينام

واذا حصل للعليل رد فعل وعسر تنفسهُ فضع لبخاً كبيرة من الخردل على صدرهِ وظهرهِ فيستريح



شكل ٤ (اخراج الهواء من رئتي الغريق)

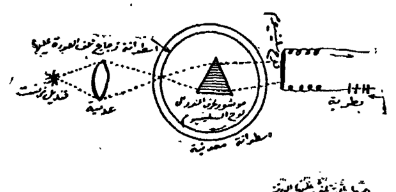
اما العلامات التي تدل غالباً على الموت فهي انقطاع التنفس ووقوف حركة القلب واغماض الجفنين اغماضاً جزئياً وتمدد الحدقتين وانطباق الفكين . انما ينبغي ان تترك الحكم النهائي في هذا الامر للطبيب وليس من شؤون غيره ان يبت فيهِ بتاً قطعياً . انتهى

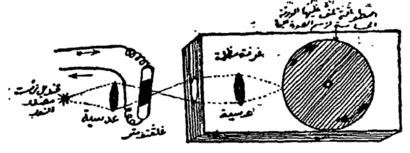
الصور بالتلغراف

ادَّعى البعض في اول هذا القرن ان المكتشفات العلمية قد بلغت حدها وان ما سيزاد عليها انما هو من قبيل التفصيل والتعميم ما عدا اموراً عدوها وقالوا انهُ ينتظر اكتشافها او حلّ غامضها في القرن العشرين . ولكن ما تمَّ في السنوات الست التي مضت من هذا القرن يدلُّ على ان المكتشفات والتحقيقات العلمية والفنية ستبقى جارية مجراها وربما بلغت مكتشفات القرن العشرين اضعاف مكتشفات القرن التاسع عشر

ومن الامور التي كشفت حديثاً طريقة لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف من بلاد الى اخرى . فان الصور كانت تنقل قبلاً بالتلغراف وكذلك الخطوط على اشكالها ولكن الصور التي كانت تنقل كانت ترسم رسماً بخطوط واضحة واما الصور الفوتوغرافية بما فيها من النور والظلمة فتعذَّر نقلها الى ان قام رجل اسمهُ كورن وهو استاذ في مدرسة مونخ الجامعة واستنبط اسلوباً لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف او بالتلفون سماهُ تلفوتوغرافيا اي الفوتوغرافيا عن بُعد . وهو شاب في السادسة والثلاثين من عمرهِ وُلد في برسلو ودرس

في ليبسك وبرلين وباريس ولندن وقد مضى عليهِ اربع سنوات وهو يمتحن هذا الاسلوب ويصلحهُ الى ان وفى بالغرض





ويتضح اسلوبهُ هذا من النظر الى هذين الرسمين ففي الرسم الاول قنديل كهربائي ساطع النور من قناديل نرنست يقع نورهُ على بلورة محدَّبة السطحين وهي المسماة عدسية فيجتمع في محترقها على الاسطوانة الداخلة التي فيها الموشور الزجاجي وهذه الاسطوانة من الزجاج الشفاف وعليها تلف الصورة الفوتوغرافية اي قشرة الجلاتين التي ترسم الصورة الفوتوغرافية عليها . والاسطوانة تدور كما تدور اسطوانة الفونوغراف فيمر محترق النور على كل نقطة منها في خطوط لولبية ويخرقها كثيرًا او قليلاً حسب شفافيتها اي حسب كون اجزائها شفافة او مظلمة تبعًا للصورة الفوتوغرافية المرسومة عليها . ويقع النور بعد مروره فيها على الموشور الزجاجي الموضوع في وسط الاسطوانة فينحرف بهِ ويخرج في خطوط موازية ويقع على لوح من معدن السلينيوم وهو شديد التأَثر بالنور وتخنهُ بطرية كهربائية فيمر مجراها الكهربائي فيهِ فيؤثر في الكهربائية حسب قوة النور الواقع عليهِ . وهنا اساس الاختراع فان معدن السلينيوم يتأَثر بالنور تأَثرًا شديدًا فيصير يؤَثر بالمجرى الكهربائي المار بهِ ويسير المجرى الكهربائي في سلكين معدنيين من اسلاك التلغراف العادية او سلك واحد والارض الى ان يصل الى المكان الذي يراد نقل الصورة اليهِ وهناك قنديل آخر ساطع النور من قناديل نرنست كما يرى في الشكل الاسفل يجتمع نورهُ على غلفنومتر من

السلينيوم فيؤثر في النور كما اثر النور فيهِ في المكان الاول وتدخل اشعة النور الى غرفة مظلمة فيها اسطوانة عليها ورقة جلاتين حساس فيؤثر النور فيها وهي دائرة حسب حالتهِ التي وصل فيها من القوة والضعف فترتسم عليها صورة فوتوغرافية لان النور يقع على كل نقطة منها وهي دائرة دورانها الحلزوني فتكون هذه الصورة مثل الصورة الاولى لكنها تكون مؤلفة من خطوط متوازية . والمدة اللازمة لارسال صورة عادية من بلاد الى اخرى لا تزيد على اثنتي عشرة دقيقة ويرجو الاستاذ كورن ان يصير قادرًا على ارسال الصورة في ست دقائق فقط

وثمن آلة كورن هذه نحو مئة جنيه وقد رأينا صورًا أُرسلت بها ثم حفرت بطريقة الزنكوغرافيا (الحفر الكيماوي) العادية وطبعت فجاءت واضحة تقرب من الصور المنقولة عن الصور الفوتوغرافية العادية واوضح من صور الزنكوغرافيا الاولى التي كانت تصنع منذ بضع وعشرين سنة . فاذا جرت صور التلفوتوغرافيا في اتقانها مجرى صور الزنكوغرافيا لا يمضي بضع سنوات حتى تصير مثل اجمل الصور الزنكوغرافية وادقها

هذا ويقال ان الاستاذ كورن مهتم بنقل الصور مع الاصوات اي باضافة التلفوتوغراف الى التلفون حتى يصير الانسان قادرًا ان يكلم زوجتهُ مثلاً من بلاد الى اخرى ويرسل اليها صورتهُ وهو يكلمها فتسمع صوتهُ وترى صورتهُ في وقت واحد . لكن هذا العمل يقتضي الف سلك من الاسلاك الكهربائية على ما قال . وما من احد يستطيع ان ينبئ بالحد الذي تقف عندهُ المكتشفات العلمية والصناعية



الاعتقاد بالخلود

سيديَّ الفاضلين

اطلعتُ على ما نشرتموهُ من رسالتي في عدد ١١ من المقتطف . وقرأتُ ما ذيلتم بهِ الرسالة . فاستأذن جنابكم بنشر ما يأتي

ورد في الجزء التاسع ما نصهُ " ليس بين اعتقادات البشر ما هو اغرب من الاعتقاد بخلود النفس بعد الموت فقد جهلهُ اليهود القدماء ..... والاَّ فمن اعجب العجب ان لا يشار اليهِ ولو تلميحًا في كتبهم الدينية وغيرها . فانهُ لم يذكر في التوراة اي العهد القديم بل

ذكر في الانجيل فقط "

وبما ان الداعي على يقين ان ذلك خطأ . وكنت وما زلت اظن ان كاتب الرسالة الاصلي هو الفيلسوف سبنسر وهو يزعم انهُ خبير في التوراة وهو غير خبير فيها ولا [illegible] . وبالنظر الى علوّ منزلتهِ عند القراء واحلالهم مكتوباتهِ محل الثقة . رأيت ان [illegible] حقيقةً من أجلّ الحقائق التاريخية وأثمنها . ويحمل الناس على الظن ان التوراة [illegible] كلّ نصٍّ وتلميح عن خلود النفس بعد الموت . فكتبت لكم بعض الآيات التي [illegible] هذا الوهم وتبطل دعوى الكاتب . فتكرّمتم بنشرها في جزء ١١ وذيلتموها بقولكم ان عبارة المقتطف في الجزء التاسع كانت مبهمة وان المراد بها اسفار موسى فقط وان الاسفار التي [illegible] يظن كثيرون من المفسرين انها حديثة كتبت قبل المسيح بزمن وجيز . وفي هذه [illegible] من مواقع النظر ازيد مما في العبارة الاولى وفيها اقول

اولاً . ان موضوع البحث ليس متى كتبت اسفار العهد القديم ولا من هم كاتبوها [illegible] هل اعتقد القدماء من اليهود خلود النفس بعد الموت او لا . وهل ذكر الخلود [illegible] في غير الانجيل . فاذا سلمتم معنا بانهُ ورد في دانيال وأيوب والجامعة وغيرها من الاسفار ما أوردتهُ من النصوص فقد ثبت خطأً ما كتب في عدد ٩ من المقتطف سواءٌ كانت [illegible] مبهمة او واضحة وسواءٌ كتب سفر دانيال قبل المسيح بمئة سنة او بألف سنة . فالقضية هي ان اليهود عرفوا خلود النفس ونصوا عليهِ في اكثر من موضعين وثلاثة في اسفارهم الدينية . وهذا ما أردنا اثباتهُ

ثانياً . اذا ثبت لكم ان سفر دانيال حديث . وان المزمورات التي تشير الى عدم بقاء النفس في الهاوية هي حديثة ايضاً وان سفر الجامعة حديث (مع انهُ يتعذَّر على اعظم المنتقدين اثبات ذلك) فما قولكم في سفر ايوب . أهو حديث ام قديم . وهل من شارح ادَّعى انهُ كتب بعد السبي . واذا ثبت لكم ان سفر ايوب كتب قبل كل اسفار موسى فماذا ترون في نصهِ الواضح في الخلود وبقاء النفس بعد الموت . ألا تثبت هذه العبارة ان كاتبها ومعاصريهِ عرفوا امر القيامة وصدَّقوهُ

ثالثاً . في نفس الاسفار الخمسة وردت اشارات واضحة تفيد البقاء بعد الموت اقتصر على اثنتين منها وهي في اول اسفار الكتاب واقدمها (التكوين)

١ انتقال اخنوخ الى السماء حياً . فيقول الكتاب وسار اخنوخ مع الله . ولم يوجد لان الله نقلهُ . فعبارة كهذه لا ترد في كتب قوم لا يعرفون الخلود . فان سيرهُ مع الله .

واخذ الله اياهُ ولم يعد يرجع يبين وجودًا في غير هذا المحيط

٢ً لما وقف يعقوب امام فرعون وسأَلهُ كم هي سنو حياتك . أَجابهُ ان ايام سني غربتي هي مئة وثلاثون سنة لم تبلغ سني حياة آبائي في غربتهم " . فتسمية الحياة "غربة" من اهل الكتاب قد تُلمح حسب ظني الى بقاء او استيطان في غيرها

رابعًا . قلتم بقيت فرقة يهودية الى عهد المسيح تنكر الخلود . وهذه العبارة توهم حدوث عقيدة الخلود ورفض فرقة منهم اياها . والحقيقة خلاف ذلك . فان الخلود هو عقيدة اليهود الاصلية ولكن فرقة الصدوقيين انكرتها لانها تبعت فلسفة ابيكور الحسية الحديثة . اما الفريسيون الذين هم اكثر محافظة على تقاليد اليهود فكانوا ضدهم في ذلك وثبتوا على القديم

خامسًا , واخيرًا ان المصريين اسلاف اليهود واليونان والرومان في الفلسفة والمدنية كانوا يعرفون الخلود ويصدقون بهِ . والاهرام افضل شاهد لذلك . اما اعتقاد المسيحيين " ان المسيح أَنار الخلود " فلا يعني انهُ مبتدع هذه الحقيقة بل انهُ بقيامتهِ من الاموات أَثبتها عمليًا وقدَّم مثالاً عليها . وبذلك أَلقى عليها نورًا زادها ايضاحًا وأَدخلها في عداد الحسيات التي لا مراء في ثبوتها . هذا يقين المسيحيين . والقارئ اللبيب حكم لذاتهِ في ما تقدَّم والله حسبنا وكفى بالله وكيلاً

حمص حنا خباز

[المقتطف] اولاً المقالة المنشورة في المقتطف ليست لسبنسر ولا هي مبنية على كتاباتهِ

ثانيًا إن كلمة خلود او الكلمة العبرانية المرادفة لها لم ترد في اسفار موسى الخمسة ولا في كل اسفار العهد القديم فلم يذكر الخلود صريحًا في التوراة . ويظهر من آيات كثيرة وردت فيها ان كثيرين من الاقدمين كانوا يقولون مع ايوب ان ماتِ انسان أَفيحيا . الرجل يموت ويبلى الانسان يسلم الروح فاين هو . قد تنفد المياه من البحر والنهر ينشف ويجف والانسان يضطجع ولا يقوم . الاَّ ان ايوب او كاتب سفر ايوب عاد فاستنتج الخلود استنتاجًا كما سيجيءُ

ثالثًا ان العهد القديم يسمي مكان الاموات شيول وقد ذكرت هذه الكلمة ٦٥ مرة في العهد القديم ومعناها الهاوية او المكان العميق المظلم الذي يذهب اليهِ الاموات فلم يكن مقر الاموات بعد الموت واضحًا في العهد القديم

رابعًا ان اليهود كانوا في اول امرهم يخافون من الهاوية مسكن الاموات حاسبين ان من ينزل اليها ينقطع عن كل شيء قال الملك حزقيال في صلاتهِ المذكورة في سفر اشعيا

" لان الهاوية لا تحمدك الموت لا يسبحك لا يرجو الهابطون الى الجب امانتك الحيُّ الحيُّ هو يحمدك كما انا اليوم " وقال صاحب الزبور " ليس الاموات يسبحون الرب ولا من ينحدر الى ارض السكوت " . ويقال انهم كانوا يعتقدون ان الهاوية ليست في سلطة الله بل لها اله خاص وهو اله الموت الذي يرعى الناس هناك ثم لما صاروا يعتقدون ان الله يتغلَّب على اله الموت اعتقدوا انهُ يخلّص نفوس اتقيائهِ من الهاوية ولذلك قال صاحب المزمور التاسع والاربعين انما الله يفدي نفسي من يد الهاوية . وصاحب المزمور السادس عشر لانك لن تترك نفسي في الهاوية لن تدع تقيك يرى فساداً . وبلغ الاعتقاد بخلود النفس اوضحهُ في قول ايوب وبدون جسدي ارى الله . ثم صاروا يفرقون بين الابرار والاشرار على ما جاء في سفر دانيال الابرار للحياة الابدية والاشرار للازدراء الابدي

خامساً ان اعتقاد المصريين بالخلود على ما في كتاباتهم المحفوظة الى الآن كان اوضح جدًّا من اعتقاد اليهود بهِ على ما يشار اليهِ في التوراة بل ان تسعة اعشار رسوم المصريين الدينيَّة متعلقة بالحياة بعد الموت حتى تجد مدافنهم اجمل من منازلهم بما لا يقدر وكل ما بقي من كتبهم الدينية انما هو كتب صلوات الاموات وما يلاقونهُ في دار الخلود وعبادتهم هناك واما اليهود فلا تجد في كتبهم شيئًا من ذلك

سادساً ان اوضح اشارة الى الخلود هي في سفر ايوب كما تقدم لكن بعض الباحثين عن تاريخ اسفار العهد القديم يقولون الآن ان سفر ايوب من الاسفار الحديثة فقد كتب القس فوربس فلبس في جزء سبتمبر الماضي من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة مسهبة ابان فيها بادلة كثيرة ان سفر ايوب رواية تمثيلية من نوع الدراما وقد حللهُ الى فصول الرواية وبيَّن هو وغيرهُ ان لغة المتكلمين مختلفة بعض الاختلاف كأَن موّلف الرواية انطق كلاًّ منهم باللهجة المستعملة بين القوم الذين ينسب اليهم

اما تاريخ كتابتهِ فقال الاستاذ دريفر انهُ سنة ٥٣٨ قبل المسيح ويظن القس فلبس انهُ احدث من ذلك ومن رأيهِ ان كاتبهُ قلَّد بهِ رواية يوريبدس " الالكترا " فان الروايتين تبتدئان على اسلوب واحد وهذا رأي ثيودورس اسقف مبستيا الذي قام منذ الف وخمس مئة سنة فانهُ قال ان سفر ايوب رواية تمثيلية كتبها كاتبها مقلداً اليونانيين وسمى ابنتهُ الثالثة قرن هفوك وهو في الترجمة السبعينية كورني كوبيا اي قرن الخصب او قرن املثيا المعروفة في خرافات اليونان

وجعل الدكتور شين تاريخ كتابة سفر ايوب سنة ٥٠٠ قبل المسيح . ولكن في السفر

ادلة تدل على انهُ احدث من ذلك ولهذا جاءت الاشارة فيهِ الى خلود النفس اوضح مما هي في غيرهِ من الاسفار القديمة

ولا يخفى عليكم اننا نبتعد عن الجدل في المقتطف لان اهل الجدل لايقتنعون مهما توفرت ادلة الاقناع ويتعذر علينا ان نجول معكم في بحث ونحن نعتمد على ما يجدُّ فيهِ كل يوم وحضرتكم تعتمدون على ما قيل فيهِ منذ سنين. فلو قرأتم ما كتبهُ الباحثون في هذا الموضوع حديثًا لرأيتم كلام المقتطف صوابًا لاغبار عليهِ وهو ان اسفار التوراة القديمة تدلُّ على ان اليهود كانوا يجهلون الاعتقاد بخلود النفس ولذلك لم يذكر فيها صريحًا . نعم ان فيها عبارات تشير الى خلود النفس ولكن فيها عبارات اخرى تشير الى عدم الخلود كما تقدم

الاحتلال البريطاني

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

كنت أُطالع تاريخ الحرب السودانية لجبرائيل بك حداد الطرابلسي فاستدللت منهُ على ان محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية بدا لهُ ان يوسع تخوم مملكتهِ فأَراد الاستيلاء على السودان نظرًا لعلاقتهِ الشديدة بمصر ونظرًا لعدم وجود حكومة منظمة فيهِ . ولا يلام محمد علي على ذلك لانهُ يطلب من كلّ انسان عالي الهمة ان يسعى جهدهُ في ترقية الناس ادبيًّا وماديًّا فتمَّ لهُ ما تمناهُ

ولقد استغربت جدًّا تداخل الانكليز في مصر الآن وتوظيف رجالهم في دوائر الحكومة المصرية فبأي حقّ فعلوا ذلك . وبأي حقّ حملوا على الدراويش تحت العلم المصري ثم امتلكوا بلاد السودان وما معنى هذه المساعدة التي غايتها امتلاك البلاد وكيف تسكت الحكومة الخديوية عن ذلك . راجيًا الافادة على صفحات مقتطفكم الاغر . ولكم الشكر والمنة

شيكاغو اليان بطرس حلوه

[المقتطف] لا شبهة في ان حالة القطر المصري والقطر السوداني من حيث احتلال الانكليز لها حالة جديدة في عالم السياسة . فان الذي جرى عليهِ اهل السياسة حتى الآن انهم اذا دخلوا بلادًا امتلكوها كما فعل الاتراك لما دخلوا القطر المصري والقطر السوري فانهم امتلكوها وكما فعل محمد علي لما دخل بلاد السودان فانهُ امتلكها بحق الفتح وكما فعل الفرنسويون في الجزائر وتونس . او خرجوا منها وتركوها كما فعل الانكليز في بلاد الحبش .

اما الذي فعلوهُ في القطر المصري والقطر السوداني فبين بين لانهم دخلوا القطرين واحتلوها ولم يمتلكوها بل اقتصروا على مساعدة الوطنيين في ادارة شؤُون البلاد اما في القطر المصري فقاموا مقام اكثر الاجانب الذين كانوا منتظمين في حكومتهِ وزادوا على ذلك زيادة ليست كبيرة واما في القطر السوداني فصالح الحكومة كلها تقريبًا في يدهم لاسباب معلومة

ولقد كان الداعي الى دخولهم القطر المصري اختلال الأمن فيهِ وخوف اصحاب الديون المصرية على اموالهم واكثرهم من الانكليز والفرنسويين. ولما أحجمت فرنسا عن مشاركة انكلترا انفردت انكلترا بارسال جنودها وعزمت على الخروج بعد دخولها مشترطة انهُ اذا اختلَّ الامن مرة أُخرى تعيد جنودها الى القطر. والظاهر ان الماليين الذين يخشون على اموالهم اغروا الباب العالي حتى لم يقبل بهذا الشرط فبقيت انكلترا في مصر. وكان السودان قد خلع طاعة الحكومة المصرية وحاولت انكلترا استرجاعهُ وانفقت على ذلك اموالها ودماء رجالها فلم تستطع واستقلَّ السودان عن مصر وصار بلادًا مطموعًا فيها حتى لو لم تستردهُ مصر بمساعدة انكلترا لفتحتهُ فرنسا او دولة أُخرى وضمتهُ الى املاكها وتحكمت بالنيل على اسلوب يجعل القطر المصري في قبضة يدها وتحت رحمتها فقامت انكلترا وساعدت مصر على استرجاع السودان وان شئت فقل على منع فساد الاحكام فيهِ وعلى التحكم بالنيل حتى لا يقل الماء الوارد بهِ الى مصر بل يزيد فتمَّ لها ذلك. ولقد استفاد هذا القطر والقطر السوداني من الاحتلال البريطاني فوائد مادية لا تقدَّر ونرجو ان نقرن هذه الفوائد المادية بما يساويها من الفوائد الادبية. وكل حاكم لا يجور ولا يظلم تجب طاعتهُ "وكل مكان ينبت العزَّ طيبُ"

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

امرأة تدافع عن اخواتها

كتبت احدى الكاتبات الانكليزيات مقالة في النساء وحقوقهنَّ المدنية ومقامهنَّ بازاء الرجال قالت فيها ان كثيرين من العلماء العصريين يقولون اننا ننزل النساء منزلة دون منزلتهنَّ الحقيقية ونجعلهنَّ متعلقات بالرجال فنقيد بذلك حريتهنَّ وحركتهنَّ الاجتماعية .

وسبب هذا القول خطاء في ادراك مقامنا الحقيقي . فأولاً أيمكن ان تتنزّل المرأة منزلاً اسمى من المنزل الذي خصتها الطبيعة بهِ وهو ان يكون زمام العناية الادبية في العالم بيدها وهذا اعظم البواعث على تأييد ملك العفاف والصلاح في العيشتين الخصوصية والعمومية . وهل ثمة مجال للعمل اوسع من هذا ومقام اجتماعي وعمل شريف ارفع منهُ . وغاية ما يسعى طالبو الحقائق اليهِ تحرير المرأة من رقّ العمل بيدها لتحصيل رزقها حتى تتفرّغ لاتمام وظيفتها الطبيعية في المنزل كزوجة وأمّ ومربية لرجال المستقبل . والمنزل هو المركز الذي تشعّ منهُ سطوة المرأة الادبية الى العائلة ومنها الى العالم حولها ولكنهُ ليس المجال الوحيد لاظهار قوّتها وعملها . فانها فرد من افراد المجتمع كما انها زوجة وأمّ ولها سهم في جميع الواجبات والاعمال الاجتماعية والعمومية فلا بدّ لها من نيل ذلك السهم . وهي العنصر المطهر المقوّم للآداب والقوة التي تقنع وتكبح وتليّن . وليس لها قوّة مادية بل قوّتها قائمة بالمحبة وضعفها هو عين قوّتها الادبية

والحقّ ان اعظم قوى العالم قوّة لتثقيف العقول والآداب ورفع لواء الطهر والعدل والرحمة في الشؤون الوطنية والدولية وابقاء روح الايمان بالمبدإ الحقّ مستعرة في الصدور والحثّ على كلّ تقدم اجتماعي

البنات في اليابان

قالت كاتبة انكليزية تصف حالة البنات في اليابان ما يأتي :

في توكيو عاصمة اليابان عشرة آلاف بنت قدمنها من سائر المملكة ليتعلمن في مدارسها وهنّ يسكنّ منازل رخيصة ولا يعنى احدٌ بامرهنّ والنتيجة موجبة للاسف . وذلك لانهنّ يخرجنَ من مراقبة والديهنّ فجأة ويتركن منازلهنّ ورؤوسهنّ مملوءة باحلام الاستقلال ومساواة الرجال ويقضين ساعات الفراغ في قراءة الكتب والروايات المفسدة للاخلاق فأفضى هذا كلهُ الى انحطاط آدابهنّ وسوء سمعتهنّ

وقالت كاتبة يابانية مسيحية في هذا الصدد ان كلمة " محبة " لم تكن معروفة عند اليابانيات بالمعنى المفهوم في اوربا قبل اختلاطنا بالاوربيين بل ان واجبات المرأة نحو رجلها كانت مقصورة على الخضوع والطاعة لهُ ومعاملتهِ باللطف واللين فكانت النتيجة الوفاق والوئام . فلما امتزجنا بالاوربيات جعل بعض المعلمات منهنّ يقلن لبناتنا " ان شرّ الامور ان تتزوّج البنت من غير ان تحبّ وان طاعة الوالدين في امر مثل هذا ذنب ضدّ الطبيعة

والدين المسيحي . فاذا أحبت الفتاة فتىً وجب ان تبذل كلَّ شيء في سبيل زواجهِ . "
فكانت النتيجة ان كثر هربهنَّ مع الشبان للزواج واختفاؤهنَّ وانتحارهنَّ

دفاع عن الملكة دراجا

دراجا على ما يذكر القراءُ هي ملكة السرب السابقة التي عشقها الملك اسكندر الشاب وتزوجها فساءَ هذا الزواج جمهورًا كبيرًا من السربيين واضمرت فئة من كبار رجال الحكومة والجيش الشرَّ للملك وزوجتهِ حتى اذا كان شهر يونيو من سنة ١٩٠٣ اغتالوهما وقتلوهما شرَّ قتلة فذمَّ العالم المتمدن هذه الفعلة الشنعاء وعدها عملاً وحشيًّا حتى قطعت اوربا علائقها السياسية بالسرب وطلبت معاقبة زعماء المكيدة

وقام كثيرون يكتبون في تقبيح هذا الجرم المنكر وتبرئة الملكين وآخرهم اخت الملكة دراجا فانها كتبت مقالة في احدى المجلات الانكليزية عنوانها " الحقيقة فيما يتعلق بالملكة دراجا " وهاك بعض ما جاء فيها قالت

" زوّجت شقيقتي كرهًا وهي لا تزال صغيرة السنّ لمهندس سكّير . فلما مات زهدت بامور الدنيا وعاشت عيشة عزلة وانفراد مع امها واخوتها واخواتها الصغار . وكنا فقراء فاضطرت ان تقدم على الكتابة لتحصيل رزق عائلتها وترجمت رواية نشرتها احدى الجرائد السربية . ولما صارت ملكة لم تنسَ ماضيها الوضيع بل انها قالت مرة في حفلة ضمّت جميع الوزراء انني لا اخجل بفقري السابق واشتغالي بالكتابة لأعيش

" وبين سنة ١٨٩١ و ١٨٩٧ كانت سيدة شرف للملكة نتالي (ام الملك اسكندر) فكانت مثال الطهر وكرم النفس . والملكة نتالي تقرُّ بذلك اذ كانت امرأة تخاف الله بل ان اهل البلاط كانوا يستغربون تطرفها في لزوم العزلة والحياد حتى ظنَّ البعض ان فيها مسًّا . وكان عمرها حينئذٍ تسعًا وعشرين سنة وعشراؤُها من الشبان الشرفاء من الفرنسويين والاسبان فلم يستطع احد منهم ان يفوه امامها بكلمة مجون ولو تلميحًا لما كان في منظرها من الانفة والمهابة الرائعة

" وفي خريف سنة ١٨٩٤ كلف الملك اسكندر بها وهي لا تدري ثم لما باح لها بغرامهِ بقيت سنتين ترفض سماع كلامهِ . واخيرًا ادركت ان حبهُ لها ليس مجرّد هيام وتتيّم بها ولا هو ظلّ سحابة يظهر ثم يضمحل باسرع مما ظهر بل حبٌّ حقيقي صادر عن قلب يتلهب وجدًا واخلاصًا ومع ذلك رفضت الاقتران بهِ قائلة ان اهل السرب لا يحبون تزوج الشبان

بالارامل وانها اكبر منهُ سنًّا وانها تخشى ان لا تتمكن من اكتساب ميل الشعب اليها وحبهِ لها اذا وافقتهُ على طلبهِ وتزوجت بهِ فسخر بكلامها واكَّد لها ان لا شيءَ يحوّل عزمهُ عنها · ولما ضاقت المذاهب دونها عوّلت على مغادرة البلاد والسكن خارجها زاعمة ان النأي يشفي من الوجد . فاخبرت الملك بما عزمت عليهِ فقال ان كنت تنوين هجري وهجر البلاد رغم ارادتي فاني اترك البلاد والتاج وكلَّ شيء واتبعك اينما تمضين. فاني اريد ان اعيش سعيدًا مسرورًا ولا سعادة ولا سرور لي في سواك · واريد ايضًا ان تكوني زوجتي امام الله وامام شعبي

"ولكنها فرّت من وجههِ فأرسل من يستعطفها عليهِ ويعيدها اليهِ ففكرت فيما عسى ان تفعل واخيرًا رأت ان مشيئة الله قضت بزواجها وخافت عليهِ عاقبة رفضها فعادت الى قصرهِ كئيبة فاحسن استقبالها واكرم مثواها ووضع خاتم الخطبة في يدها حالاً فعل ذلك يوم السبت ولم يصبر الى الاحد كما هي العادة . هكذا قال لنا هو نفسهُ"

التعليم الابتدائي

كتبت لادي باجت الكاتبة الشهيرة مقالة مسهبة في مجله القرن التاسع عشر قالت فيها ان نظام التعليم الابتدائي الاجباري المتبع في اوربا هو الذي اكثر اهل البطالة فيها واوقعها في مشكل يعسر عليها الخلاص منهُ · فان اموال الامة تنفق الآن على ربط الاولاد في الكتاتيب وتعليمهم علومًا كثيرة لا يحتاجون اليها وعلومًا قليلة يحتاجون اليها ولكن يمكنهم تحصيلها في ثلاثة اشهر اذا علّموها كبارًا · اليس الاصلح للامة ان تعلّم ابناءها حرفة يتعيشون بها وتعلم بناتها كيفية القيام بالواجبات البيتية

من الامور المقررة ان امهر العمال في البلاد التي التعليم فيها ليس اجباريًّا هم من الاميين الذين يجهلون القراءة والكتابة . وكلما زاد تعليم الصغار قلّ عدد العمّال الماهرين

ما اسعد الامة التي يتعلم بناتها ان يطبخن ويكنسن ويغسلن ويكوين ويخطن ثيابهنَّ وثياب ازواجهنَّ واولادهنَّ ويصلحن بيوتهنَّ وينظفنها ويجملنها . فان قوّة المرأة قائمة بكيفية ادارة بيتها وجعلهِ مقرًّا للراحة والسرور

وقيمة المرء والمرأة في ما يحسنانهِ فبيّاعة اللبن التي تقوم بما يجب عليها وتتقن عملها افضل من السيدة الشريفة التي تكتفي باسمها وتضيع وقتها في ما لا يفيد فان الاولى تزيد نفعًا يومًا فيومًا واما الثانية فتنحط رويدًا رويدًا حتى لا تعود شيئًا مذكورًا



الصمغ العربي

في التقرير الثاني عن معامل ولكم في مدرسة غوردون بالخرطوم فصول مفيدة وفي جملتها فصل عن الصمغ العربي ترجمناهُ هنا تعميماً لنفعهِ

عرف الصمغ العربي من قديم الزمان فقد استعملهُ المصريون القدماء قبل التاريخ المسيحي بنحو الفي سنة لعمل الاصباغ التي كانوا يدهنون بها · وكان الصمغ يجمع من شجرة الاكاسيا العربية وكانت كثيرة في وادي النيل الاَّ ان الجانب الاكبر منهُ كان يرد الى البلاد بسفن تأتي بهِ من عدن ويصل الى عدن من بلاد العرب نفسها ومن بلاد الصومال · ثم صار كلُّ الصمغ الواصل الى عدن في زمن الرومان والقرون الوسطى من بلاد الصومال اما صمغ بلاد العرب فصار يرسل الى جدَّة ويصدر منها الى اوربا · والآن قلَّ اهتمام العرب بالصمغ العربي ولم يعد يرد الاَّ من السودان ومستعمرة السنغال الفرنسوية

وانقطعت تجارة الصمغ في زمن الدراويش وانتعشت بعد استرجاع السودان ويرجى ان تعود الى ما كانت عليهِ فيصير لها المقام الاول

ويستخرج الصمغ في السودان وفي السنغال من اصناف مختلفة من شجر الاكاسيا ولكن اجودهُ في السودان من الصنف المسمى هشاب و في السنغال من الصنف المسمى اكاسيا السنغال وفي السودان صمغ آخر اسمهُ الطلح يستخرج من صنف آخر من الاكاسيا · وللسنط صمغ كالصمغ العربي لكنهُ اسمر فلا يستعمل في التجارة

وقد كتب المستر موريل مدير الغابات السابق عن الصمغ وشجرهِ فقال " ان اجود الصمغ (الهشاب) يرد اكثرهُ من كردوفان ويجمع قليل منهُ من جهات البحر الازرق ويسمى هشاب الجزيرة ويقال ان صمغ الهشاب كثير في كسلا · واذا كان الصمغ من اشجار اعتني بها سمي هشاب جنينة وهو من جنائن كردوفان فحالما ينقطع وقوع المطر ينتزع القشر قدداً من الاغصان الكبيرة في الاشجار التي عمر الشجرة منها ثلاث سنوات فاكثر ينزعها رجال معهم فؤوس يقطعون بها القشر قطعاً عرضياً ثم يسلخونهُ بايديهم قدداً قدداً ويعتنون بسلخها حتى لا يسلخ معها اللحاء الداخلي فلا يلحق الشجرة ضرر · ويكون طول

القدة قدمين او ثلاثاً وعرضها من عقدة الى ثلاث عقد حسب غلظ الغصن واذا كان طول القدة ست اقدام او اكثر فقد لا يتحلب من تحتها صمغ اكثر مما يتحلب من تحت قدة اقصر منها . وكذلك اذا جرح الخشب او كان سلخ الجلد بالغاً حتى أزيل معهُ اللحاء الداخلي فان الصمغ المتحلب يكون قليلاً حينئذٍ وتضرُّ الشجرة

ويجمع الصمغ لاول مرة بعد سلخ اللحاء بنحو شهرين ثم يجمع الجنينة كلَّ اربعين يوماً حتى تقع الامطار ويظهر الورق على الاشجار حالاً بعد وقوعها فيمتنع تحلب الصمغ

والصمغ على انواع منهُ هشاب الوادي وهشاب جنينة وقضاب وهذا الاخير لا قيمة لهُ لما فيهِ من الوسخ واذا وجد منهُ شيءٌ بين الصمغ الجيد طرح خارجاً

وافضل تربة لزرع الصمغ التربة الحديدية (ferruginous) الرملية التي ريها الطبيعي حسن ويقع عليها من المطر ما يبلغ ٤٠ الى ٧٠ عقدة كلَّ سنة . واذا اشتدَّت الرطوبة في التربة لم يخرج الصمغ

وعمر شجر الصمغ من ٣ سنوات الى ٢٠ سنة . وشجرة الهشاب التي علوُّها ٨ الى ١٠ اقدام ومحيط جذعها ٦ الى ٨ عقد تبدأ باخراج الصمغ

ويستصوب في الجنينة تفريق الاشجار بعضها عن بعض لان كثرة الظلّ مضرَّة بنموّها

ومقدار الموسم يختلف باختلاف الارض فقد أخبرني رجل من شرغيله انهُ استخرج من الجنينة من ارض مساحتها ١٠ افدنة ١٠٠ رطل في الجنينة الاولى و٧٥ رطلاً في الثانية و٦٠ في الثالثة ثم صار المتوسط بعد ذلك ٥٠ رطلاً في عدة جنينات ثم هبط الى ١٠ ارطال في اواخر الموسم . اي ان المتوسط السنوي فيها يبلغ ١٢ الى ١٥ قنطاراً

وقدّر الموسم في تربة اجود منها كثيراً فكان ٧٠٠ قنطار في ٣٠ جنيه

وصمغ الطلح يجمع غالباً من غابات النيل الازرق واشجارهُ لا تسلخ ولا تجرح بل ان جامعي الصمغ يجمعونهُ كما يجدونهُ عليها وهو نوعان احمر وابيض

وقد بحث المستر جريج سمث في اصل الصمغ وسببهِ فوجد انهُ يتكون بواسطة نوع خصوصي من المكروب وكان يظنُّ قبلاً ان تكونهُ نتيجة حالة مرضية تعرض للاشجار

هذا وان الصمغ يستعمل كثيراً في الصناعة فالجنس الجيّد منهُ يستعمل في عمل المربيات والحلوى وصبغ الحرير وغيره والالوان المائية والمستحضرات الطبية . والجنس الدون يستعمل في عمل الحبر وعيدان الكبريت والورق وما شاكل . وقيمة الصمغ متوقفة على لونهِ ورائحتهِ وطعمهِ وتفاوتهِ وقوة لزوجتهِ فكلما كان نقيَّ اللون خالياً من الرائحة والطعم شديد اللزوجة غلا

ثمنهُ . ويقال على وجه العموم ان الصمغ الجيد يخرج من الشجر الصغير والدون من الشجر الكبير

وكثير من الصمغ يرسل الى تريسته حيث ينقَّى وينظف وهناك يقسم الى قسمين صمغ "خرطوم" وصمغ "كردوفان" فالاول يمتاز بكونهِ صلبًا صقيلاً لامعًا ويصنع منهُ سائل ابيض شديد اللزوجة . والثاني الين منهُ واذا جفَّ علتهُ الشقوق وهو يفقد شفافيتهُ اذا عرّض للشمس ويصير ابيض اللون ويصنع منهُ سائل شديد الصفرة حسن الطعم وربما كان اقلَّ لزوجة من الاول

موسم القطن المصري في هذا العام
واظهار حقيقة

اختلف المقدرون في تقدير الموسم هذا العام والاكثرون على انهُ كبير يبلغ ستة ملايين وسبع مئة الف قنطار وقد وصل منهُ الى الاسكندرية حتى كتابة هذه السطور في ٢٨ دسمبر ٤٦٥٩٣١٣ قنطارًا

فاذا بلغ ستة ملايين وسبع مئة الف قنطار كما يقدَّر فهو اكبر موسم استغل حتى الآن واقرب موسم اليهِ كان موسم سنة ١٨٩٧ كما ترى في هذا الجدول

موسم سنة	١٨٩٧	٦ ٥٤٣ ١٢٨	قنطارًا
« «	١٨٩٨	٥ ٥٨٩ ٣١٤	«
« «	١٨٩٩	٦ ٩١٠ ٠٥٠	«
« «	١٩٠٠	٥ ٤٢٧ ٣٣٨	«
« «	١٩٠١	٦ ٣٧١ ٦٤٣	«
« «	١٩٠٢	٥ ٨٣٨ ٠٩٠	«
« «	١٩٠٣	٦ ٥٠٨ ٩٤٧	«
« «	١٩٠٤	٦ ٣٥١ ٨٧٩	«
« «	١٩٠٥	٥ ٩٥٩ ٨٨٣	«

فاذا تحققت الآمال وبلغ موسم هذا العام ٦٧٠٠٠٠٠ قنطارًا فالربح منهُ يزيد كثيرًا على الربح من اي موسم كان قبلهُ لارتفاع اسعارهِ فان القنطار بيع في اوائل الموسم بنحو ٣٨٠

غرشاً ثم زاد رويداً رويداً حتى بلغ ٤٥٠ غرشاً ولا يبعد ان يكون متوسط ما اخذهُ اهل الزراعة ثمن قطنهم ٤٠٠ على الاقل ومتوسط ما اخذهُ القطر المصري من اوربا واميركا ثمن القنطار وبزرتهِ ونفقات حلجهِ ونقلهِ الى الاسكندرية وربح التاجر والسمسار الخ ٤٦٠ الى ٤٧٠ غرشاً فيبلغ ثمن موسم هذا العام ٣١ مليوناً من الجنيهات على الاقل

ولا عبرة بتسعير الجمرك المصري ولا بقولهِ انهُ ينقص عشرة في المئة من الثمن فان القطن الذي صدر في شهر نوفمبر الماضي بلغ ١١٠١٢٦٧ قنطاراً وبلغ ثمنهُ حسب تسعير الجمرك ٣٣٩٠٠٦٣ جنيهاً اي ان ثمن قنطار القطن ٣٠٠ غرش واذا اضفنا اليهِ العشرة في المئة التي تقول ادارة الجمرك انها تنقصها من الثمن بلغ ثمن القنطار ٣٣٠ غرشاً على حين انهُ كان يشترى من المزارع باكثر من ٤٠٠ غرش هو وبزرتهُ فاين نفقات حلجهِ ونقلهِ وربح العميل والتاجر ولذلك فالجمرك ينقص ٢٥ في المئة من الثمن الى ٣٠ في المئة على الاقل فاذا بلغ ثمن موسم هذا العام ٣١ مليوناً من الجنيهات لا ينتظر ان يظهر ثمنهُ في تقرير الجمرك اكثر من ٢٣ مليوناً وهذا الامر من الاهمية بمكان عظيم ولم ننتبه لهُ قبل الآن ولا كان في الامكان تحققهُ قبلاً لكثرة تقلب الاسعار اما هذه السنة فكان سعر القطن في نوفمبر ودسمبر جارياً على وتيرة واحدة تقريباً فسهل علينا اكتشاف هذا الخلل في تسعير الجمرك

اذا ثبت ذلك اي اذا ثبت ان القطر المصري سيأخذ من اوربا واميركا ٣١ مليوناً من الجنيهات ثمن موسم هذا العام وما ينفقهُ عليهِ فهذهِ الواحد والثلاثون مليوناً تكفي لايفاء ثمن كل الواردات وربا دين الحكومة ودين الاهالي وتبقى صادرات اخرى ثمنها نحو مليونين ونصف من الجنيهات وكل الاموال التي ينفقها السياح وغيرهم في هذا القطر

موسم القطن الاميركي

لم يتحقق حتى الآن كم يبلغ موسم القطن الاميركي هذا العام ولكن المرجح انهُ لا يقل عن اثني عشر مليون بالة فهو موسم كبير ومع ذلك لا يزال سعر القطن الاميركاني مرتفعاً ولا يخشى من هبوطهِ على ما يظهر لزيادة المقطوعية وقد بلغ موسم القطن الهندي مبلغاً لم يبلغهُ من قبل ومع ذلك لم يهبط سعرهُ . وفوق ذلك فان سعر القطن المصري قد زاد على النسبة المعتادة بينهُ وبين القطن الاميركي لجودتهِ ولانهُ انشئت معامل خاصة لغزلهِ ونسجهِ وتقليد الحرير بهِ فسيحفظ مقامهُ من حيث الثمن مهما اتسع نطاق زراعتهِ في هذا القطر

باب التقريظ والانتقاد

تذكار راغب وصبري

هو ديوان جديد للشاعر الاديب رشيد افندي مصوبع اللبناني جمله تقدمة الى السريين صاحب العطوفة ادريس بك راغب وصاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية قال في مدح الاول

ولا يعجبن الناس من عود مدحهِ ... وقد سمعوا قبلاً بهِ مدحاتي
فهذا سري قد غدت حسناتهُ ... تعود كعود الغصن بالثمرات
ويا طالما الناس استعادوا مغنياً ... اذا شنف الاسماع بالنغماتِ

وقال في مدح الثاني

وان حمي خلا من ذكر صبري ... يتوق لهُ فينشق منهُ عودا
اقابلهُ بايام شداد ... فترجع تلكمُ الايام عيدا
فان يد الوجود لني انتقاد ... لمثلك فاضلاً نفع الوجودا
تهبُّ بك القريحة مثل نارٍ ... غدا مسك الثناء لها وقودا

ومن القصائد الحسان فيهِ قصيدة يصف بها سوق احسان اقامتها العذارى الاسرائيليات قال فيها

كل خود للسحر من مقلتيها ... عقدٌ قد خلبن بالنفثات
اخذت للفقير منا زكاةً ... قابلتها من حسنها بزكاةِ
وغدا الزهر غالي السعر اذ قد ... كان يعطى من تلكم الراحاتِ
هكذا يُعرَض الجمال محلًّى ... بجميل الافعال والغاياتِ

خمس رسائل نادرة

الاولى في شرح حديث ابي ذر ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرَّماً فلا تظالموا الخ وهي لشيخ الاسلام بن تيمية الحرَّاني . الثانية في الرواة الثقات التكلم فيهم بما لا يوجب ردهم للحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة الامام عمر بن ابرهيم الخيامي الى القاضي ابي نصر النسوي في الخلق والتكليف . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في

قول النبي انزل القرآن على سبعة احرف والمراد بهذهِ السبعة. والخامسة رسالة الادب الصغير من حكم عبد الله بن المقفع وقد طبعت هذه الرسائل على نفقة حضرة عبد المجيد افندي زكريا فلهُ الشكر على نشرهِ كتب الادب النادرة

البحر المتوسط والتمدن

خطبة تاريخية ادبية للكاتب البليغ انطون افندي الجميّل محرر جريدة البشير ومدرس البيان في كلية القديس يوسف ذكر فيها طرفاً من تاريخ المالك التي قامت على سواحل هذا البحر ورجّى ان يعود الى سواحلهِ العمران الذي غادره حاسباً ان المنافع الناجمة عن سكة الحجاز تكفي للاعراب عن هذا المستقبل الزاهر

كتاب الاخلاق والسير

كتاب الاخلاق والسير في مداواة النفوس الفهُ الامام ابو محمد بن سعيد بن حزم الاندلسي وهو من خيرة الكتب الادبية المهذبة للنفوس المقومة لعوج الاخلاق . وقد قسم الى عدة فصول فمنها فصل في ابواب العقل والراحة وفصل في العلم وفصل في الاخلاق والسير وفصل في الاخوان والصداقة والنصيحة وقد نقلنا معظم هذا الفصل الى الجزء الماضي من المقتطف

ولغة الكتاب بليغة وقد عني بتصحيحهِ وطبعهِ وضبط كلماتهِ اللغوية وشرح بعضها حضرة الشيخ احمد افندي عمر المحمصاني الازهري فلهُ الشكر على ذلك

مرشد الراغبين في اسعاف المصابين

الّف هذا الكتاب النفيس حضرة الكاتب المجتهد يوسف افندي بشتلي من موظفي نظارة الداخلية وجمع فيهِ كثيراً من الفوائد التشريحية والفسيولوجية والعلاجية ويكفي ذكر بعض ما فيهِ من المواضيع للوقوف على اهميتهِ للكلّ على السواء فمن مواضيعهِ جسد الانسان وتركيبهُ . والجروح والنزف والوسائط التي تستعمل لضمد الجروح ومنع النزف وتكسر العظام وخلعها وكيفية جبرها . والآفات والعوارض الفجائية مثل ارتجاج الدماغ واحتقانهِ والنقطة والهستيريا والاغماء والتسمم والغرق والحرق وضربة الشمس ولدغ الحشرات وما اشبه من الآفات

وهو مزين بالرسوم الكثيرة ومذيل باقوال بعض المجلات والجرائد المصرية الشهيرة في تقريظهِ ويلي ذلك فهرست ابجدية لجميع المواضيع . وقد نقلنا فصلاً منهُ في هذا الجزء للدلالة على اسلوبهِ فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اسنان الغنم الذهبية

بيروت · احد المشتركين بلغني عن ثقة ان اسنان الغنم تكون احياناً مكسوة بطلاء ذهبي وقد فتش كثيرون عن العشبة التي تحول سطح الاسنان الى مادة ذهبية او يرسب منها مادة ذهبية على الاسنان فلم يجدوها · فهل ذلك صحيح وما هو النبات الذي يتولد منهُ الذهب على الاسنان

ج ان ذلك صحيح وقد شاهدنا الاسنان الذهبية ولكن الطلاء الذهبي الذي عليها ليس ذهباً ولا نحاساً بل هو فصفات الكلس ممزوج بمادة آلية اي انهُ مادة ترابية تلمع كالذهب والظاهر انهُ يتكون في البلدان التي مياهها قلوية فتكثر المادة الرمادية في نباتها . وطالما خدعت هذه الاسنان الناس فظنوا انها تدل على نبات يتولد الذهب منهُ

(٢) الساعات المضبوطة

طرابلس الشام . ر . ك لو فرضنا ان ساعة مضبوطة تمام الضبط ربطناها عند الغروب على الساعة الثانية عشرة تماماً وبقيت سائرة مضبوطة مدة شهرين او ثلاثة ورجعنا عند الغروب وفحصناها فهل نجدها قد تغيرت اي تقدَّمت او تأخرت عن الساعة الثانية عشرة ولماذا ذلك

ج نعم نجدها تغيرت بل هي تتغير من يوم الى يوم وسبب ذلك دوران الارض حول الشمس فلو كانت الشمس ثابتة والارض تدور على محورها مرةً كل اربع وعشرين ساعة تماماً لظهر غروب الشمس كل يوم عند الساعة الثانية عشرة تماماً ولكن الشمس تنتقل شرقاً حسب الظاهر ٣٦٠ درجة في السنة اي درجة واحدة تقريباً كل يوم وعند التدقيق ٥٩ دقيقة و ٨ ثوانٍ و ٣٥ في المئة من الثانية ففي مدة دوران الارض على محورها تكون الشمس قد انتقلت نحو الشرق ولذلك يتأخر الغروب نحو اربع دقائق وعند التدقيق ٣ دقائق و ٥٥ ثانية وتسعة اعشار الثانية من الوقت · ولو كانت حركة الشمس في دائرة

البروج على التساوي ابداً لكانت هذه المدة اي الاربع الدقائق هي المدة التي يطول فيها اليوم ولكن الشمس او الارض تسرع تارة وتبطئ اخرى لان مدار الارض حول الشمس اهليلجي . ولو فرضنا وجود ساعتين احداهما تتبع الوقت الظاهر في سيرها والاخرى الوقت الاوسط لوجدنا ان الساعة الاولى تتقدم تارة عن الثانية وتتأخر اخرى ومعظم الفرق بينهما ١٧ دقيقة و ١٧ ثانية قرب اليوم الثالث من نوفمبر (ت ٢) وتتوافقان اربع مرات كل سنة قرب ١٥ ابريل (نيسان) و ١٤ يونيو (حزيران) و ٣١ اغسطس (آب) و ٢٤ دسمبر (ك ١) وهذه الاوقات تتغير قليلاً لسبب آخر . والخلاصة ان الساعات المضبوطة لا توافق مغيب الشمس دائماً واذا وافقتهُ فهي غير مضبوطة

(٣) السبيرتو والسكر

المطرية بالدقهلية . حسين افندي عبد الفتاح الجمل . هل السبيرتو مسكر وحدهُ او هو لا يسكر الا اذا مزج بالخمر

ج هو مسكر بنفسهِ وهو العنصر المسكر في الخمر ولولاهُ ما كانت الخمر مسكرة وكلما قل مقدارهُ قلَّ فعلها المسكر

(٤) اشعة رنتجن والجنين

ومنهُ . علمنا ان اشعة رنتجن تخترق باطن الجسم وتظهر ما فيهِ فهل يمكن استعمالها لمعرفة ما اذا كان الجنين ذكراً او انثى ولو في الاشهر الاخيرة

ج يظهر لنا ان ذلك متعذر لان الصور التي تظهر بها في باطن الجسم لا تكون واضحة تماماً واذا كانت الاجزاء المصورة بها من مادة واحدة فلا يظهر فرق بينها بحيث يتميز جزء منها عن جزء

(٥) جبال البحر

ومنهُ . سمعنا ان في البحر جبالاً عالية كما في البر فهل ذلك صحيح وكم هو ارتفاع اعلى جبال البحر

ج ان في البحر مرتفعات ومنخفضات كما في البر وكثير من الجزائر الصغيرة قمم جبال غائصة في البحر . ولما كانت الولايات المتحدة تسبر غور البحر منذ سبع سنوات لمد سلك تلغرافي في الاوقيانس الباسيفيكي رأى رجالها المكلفون بذلك جبالاً عمق حضيضها عن سطح البحر ٥٠٠٠ قامة وعمق رؤُوسها عن سطح البحر ٦٨٩ قامة فارتفاعها ٤٣١١ قامة اي نحو ٢٥ الف قدم فهي مثل اعلى جبال الارض



جوائز نوبل

منح مجلس نواب نروج جائزة نوبل على السعي في حفظ السلام للمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية وسلم رئيس المجلس الجائزة الى معتمد اميركا قائلاً لهُ أبلغ المستر روزفلت تحية الامة النروجية ودعوتها ان تراهُ مداوم السير في سبيل اعلاء السلم في المستقبل . فشكر المعتمد الاميركي المجلس على منحتهِ وقال ان الرئيس روزفلت ارسل رسالة برقية يقول فيها ان الحصول على هذه الجائزة لمن اعظم اوسمة الشرف التي ينالها انسان مهما كان قدرهُ واينما كان مقامهُ . ثم قرأ رسالة أخرى بعثها الرئيس وأعرب فيها عن شكرهِ على منح الجائزة لهُ وقال انهُ يفضلها على سائر المنح والهبات وانهُ عزم على انفاقها لانشاء لجنة سلمية صناعية في وشنطون اذ السلام في عالم الصناعة لا يقلُّ شأناً عنهُ في عالم السياسة

وعقد ملك اسوج المشهور بحبهِ للعلم والعلماء مجلساً في ١٠ دسمبر الماضي ومنح فيهِ الجوائز الاخرى للعلماء الآتية اسماؤُهم وقلدهم نياشين ذهبية وهم الاستاذ مواسان الفرنسوي نال جائزة الكيمياء وخصوصاً لتجاربهِ في استخراج الفلور واستخدام الاتون الكهربائي في التجارب العلمية . والاستاذ طمسن من كمبردج جائزة الطبيعيات وخصوصاً للبحث في ماهية الكهربائية . والاستاذ جولجي الايطالي جائزة الطب وخصوصاً لتشريح الجهاز العصبي . وأُرسلت جائزة علم الادب الى الاستاذ كاردوتشي البولوني عن يد معتمد ايطاليا . ومقدار كلٍّ من هذه الجوائز وفي جملتها جائزة السلام ٧٦٥٩ جنيهاً

المكروبات واضدادها

اكتشف مكروب الدفثيريا سنة ١٨٧٥ واكتشف بيرنغ الالماني وكتاساتو الياباني المصل المضاد لهُ سنة ١٨٩٠ فقلت وفيات الدفثيريا بذلك الى نصف ما كانت عليهِ قبل اكتشاف المصل . واكتشف مكروب التتانوس سنة ١٨٨٠ والمصل المضاد لهُ سنة ١٨٩٤ وهذا المصل يقي من المرض ولكنهُ ندر ان يشفي منهُ . واكتشف باستور المصل المضاد للكَلَب سنة ١٨٨٥ . وكوخ الالماني مكروب الكولرا سنة ١٨٨٣ وهفكن الالماني طريقة التلقيح للوقاية منهُ سنة ١٨٩٣ .

واكتشف مكروب الطاعون سنة ١٨٩٤ وكلُّ ما بلغوهُ من النجاح في مقاومتهِ مذكور في مقالة نشرناها في صدر الجزء الماضي . واكتشف مكروب الحمى التيفويدية سنة ١٨٨١ واكتشف مصل لتشخيصها وتمييزها عن سائر انواع الحمى المستمرّة . واهتدى بعضهم الى مصل لمقاومتها وجرَّبهُ فجاء ببعض المرام. واكتشف الدكتور بروس الانكليزي مكروب حمى مالطة او حمى البحر المتوسط فعرف الاطباء مصدر هذا الداء وقلت الاصابات بهِ من ٢٥٨ اصابة في يوليو واوغسطس وسبتمبر من سنة ١٩٠٥ الى ١٥ اصابة في الاشهر المقابلة من هذه السنة

علاج السرطان

اكتشف الدكتور بيرد الانكليزي لقاحاً سماهُ تريبسين وجرَّبهُ في بعض حوادث السرطان ويقال انهُ نجح فيها وجرَّبهُ غيرهُ من اطباء الانكليز وكثيرون من اطباء الاميركيين وقالوا انهُ شفي بعض المصابين. وفي ١٠ ديسمبر الماضي كتب الدكتور صليبي مقالة في جريدة بال مال التي تصدر في لندن بعنوان " قرب انقراض السرطان " قال فيها ان اللقاح المشار اليهِ جرّب في بعض المصابين فشفي قسم منهم وتحسن حال القسم الآخر كثيراً . وهذا اللقاح احد المختمرات الهضمية التي تتكون في البنكرياس وتمرُّ مع العصارة البنكرياسية الى الاثني عشري اي القسم الاعلى من المعى الدقيق . على ان جمهوراً كبيراً من اطباء الانكليز ينكر فائدة هذا اللقاح ويقول انهُ لم يكتشف سبيل حتى الآن الى شفاء السرطان الاَّ مشراط الجراح وفي طليعة هؤلاء الدكتور ادموند اوين فانهُ خطب على كلية الجراحين الملكية بلندن في ١٢ ديسمبر الماضي خطبة موضوعها "معالجة السرطان بالطرق الحديثة " قال فيها ان الجراحة لا تستطيع الآن شفاء السرطان لا بالمشراط ولا باشعة اكس ولا بنور فنسن ولا بعقَّار يحقن بهِ الدم او يشرب او يدهن بهِ الجلد . وشتان ما بين المعالجة والشفاء على ان افعل وسائط المعالجة سكين الجراح بلا خلاف . اما الذين يقولون غير ذلك فهم دجالون والجرائد التي تكثر من نشر الاعلانات عنهم تضرُّ ضرراً عظيماً

وقالت جريدة نانشر الانكليزية بهذا الصدد ما يأتي

" رأى طبيبان في وقت واحد ان التريبسين مفيد في علاج السرطان وهما الدكتور بيرد والدكتور شومكنزي وقد بنى الاول بحثهُ على اسباب امبريولوجية (متعلقة بعلم الاجنة) والثاني على قلة اصابة المعى الدقيق بالسرطان فانهُ احصى ١٠٥٣٧٤ حادثة من حوادث السرطان في القناة الهضمية فوجد بينها ٢٠ حادثة فقط أُصيب فيها المعى

الدقيق بالسرطان . ووجد بيرد في التجارب السرطانية التي جرَّبها في الفيران ان حقنها بالتربيسين كان يأول الى تقلُّص بثرات السرطان وانحلالها وجرَّب الاستاذ مورتون الاميركي مثل هذه التجارب في الناس فنجحت وسينشر نتائج تجاربهِ قريباً وهي تنتظر بذاهب الصبر

اما ما عرف واشتهر حتى الآن فهو ان كثيرين في هذه البلاد جرَّبوا التربيسين فلم تأتِ تجاربهم بالنجاح المطلوب فقد يفيد في بعض الاصابات الموضعية البسيطة كما يفيد الراديوم واشعة اكس ولكن القول ان التغلب على الداء قريب بناء على ما لدينا من المعلومات قول خارج عن دائرة العقل فضلاً عن انهُ يضرُّ بالعلم اضرارًا عظيماً ويزيد آلام المصابين بهذا الداء الوبيل لانهُ يولّد فيهم آمالاً لا يمكن تحقيقها"

طيران الانسان

كان العلماء يقولون باستحالة الطيران الى الآن بدعوى انهُ لا يعوم في الهواء الاَّ ما كان اخفَّ منهُ وليس بين المواد المستعملة في الاعمال العادية الاَّ ما هو اثقل من الهواء بكثير حتى قام سنتوس ديمون واخترع آلة اثبت بها امكان الطيران . وقد جرَّبها لاول مرة في باريس في ٢٣ اكتوبر الماضي فرفعتهُ عدة اقدام عن الارض وحملتهُ مسافة ٧٠ مترًا . وعاد فجرَّبها مرة اخرى في ١٢ نوفمبر فحملتهُ نحو ٢١٥ مترًا في ٢١ ثانية . وسارت بهِ اولاً مسافة ٢٥ مترًا على مساواة سطح الارض ثم علت بغتة الى علوّ نحو ٥ امتار

وكان بعضهم قد عين جائزة قدرها الفا جنيه لمن يطير في الهواء مسافة نصف ميل وعينت جريدة الماتن الفرنسوية مبلغ ١٠ آلاف جنيه لاول من يقطع المسافة بين باريس ولندن طائرًا سنة ١٨٩٨ . وقامت جريدة الدايلي مايل الانكليزية على اثر تجارب ديمون فعينت جائزة قدرها ١٠ آلاف جنيه لاول رجل يطير من لندن الى منشستر في ٢٤ ساعة . وعين صاحب الجرافيك اليومية مبلغ الف جنيه جائزة لاول من يخترع آلة اثقل من الهواء تطير براكب او اكثر بين مكانين يبعد الواحد عن الآخر ميلاً . وعينت احدى الشركات مبلغ الني جنيه للذي يربح جائزة الدايلي مايل بشرط ان تصنع الآلة التي يركبها في انكلترا او احدى البلدان التابعة لها . فاذا تمكن سنتوس ديمون من اتمام الشروط المتقدمة اصبح غنياً لانهُ ينال مبلغ ٢٥ الف جنيه جوائز وقد اوصى بعمل آلة اخرى اخفّ من الآلة التي عمل التجارب المتقدمة بها تكون قوتها قوة مئة حصان وثقلها ٢٠٠ رطل

على ان ريظ اخوان في اميركا شرعوا في عمل تجارب الطيران منذ بلغتهم اخبار

نجاح ديمون ولم نعرف نتيجة تجاربهم لانهم كتموها عمدًا ولكن نقل عن اكبر الثقات وهو السرهيرام مكسيم الميكانيكي المشهور انهم اخترعوا آلة يستطيعون بها الطيران مسافة مئتي ميل او ثلاث مئة ميل بلاانقطاع

معادن الهند

جاء في بعض الاحصاءات ان قيمة ما استخرج من المعادن في السنة الماضية من الهند بلغت ٥٧٠٧٩٥٦ جنيهًا وهي تزيد ٣٥٠١١٦ جنيهًا عما بلغت سنة ١٩٠٤ .منها ٢٤١٦٩٦٦ جنيهًا قيمة ما استخرج من الذهب وهو الاول و يليهِ الفحم الحجري فقد استخرج منهُ ما بلغت قيمتهُ ١٤٣٦٩٥١ جنيهًا ثم البترول فالملح فملح البارود . ومما استخرج منها ايضًا الياقوت واليشب والحديد والماس وغير ذلك على مقادير صغيرة متنوعة

بلورة كبيرة

روت جريدة ناتشر الانكليزية نقلاً عن احدى الجرائد اليابانية انهم اكتشفوا في بعض انحاء اليابان بلورة طولها اربع اقدام ونصف وسمكها قدم ونصف وثقلها يزيد على ١٠٠٠٠ رطل . قالت ناتشر ولعلَّ المراد ١٠٠٠ لا عشرة آلاف لان بلورة بهذا الحجم لا يزيد وزنها على الف رطل فان في ميلان بلورة طولها ثلاث اقدام ونصف ومحيطها خمس اقدام ونصف ولا يزيد وزنها على ٨٧٠ رطلاً

بحرية اليابان

بنى اليابانيون بارجة جديدة اسمها ستسوما وانزلوها الى البحر حديثًا وهي اضخم من البارجة دردنوت التي بناها الانكليز اخيرًا وملأُوا الجرائد اطنابًا فيها . فان تفريغها ١٩٢٠٠ طنٍ وتفريغ دردنوت ١٨٠٠٠ طنٍ وقوة آلاتها ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها تزيد على ٢٠ ميلاً بحريًا في الساعة وسلاحها اربعة مدافع ضخمة قطر فوهة الواحد منها ١٢ بوصة و١٢ مدفعًا قطر فوهة الواحد ١٠ بوصات هذا ما عدا السلاح الصغير

القومندان بيري

منحت الجمعية الجغرافية الوطنية في وشنطون النشان الذهبي المعين للاعمال العظيمة للقومندان بيري الذي عاد حديثًا من رحلتهِ الى القطب الشمالي . وقد قلدهُ اياهُ رئيس الولايات المتحدة في حفلة أُقيمت في ١٥ الماضي

التلغراف اللاسلكي

عملت حديثًا تجارب في التلغراف اللاسلكي بين لندي قتال و بشاور في الهند و بين المكانين جبال شامخة .نجحت التجارب مما أثبت ان اعتراض الجبال لا يقف في سبيل ارسال الاشارات في الاماكن الجبلية

هبة لمستوصف باستور

توفي حديثاً رجل فرنسوي واوصى بماله كله لمستوصف باستور وقدره ٥٠ الف جنيه . وقد سئل الدكتور رو في ذلك فقال ان قد زاره محامٍ واخبره بوجود وصية ترك كاتبها فيها جميع ماله للمستوصف ولكنه قال في الوصية ايضاً انه قد تظهر وصية اخرى يوصي فيها ببعض المال او كله لورثاء مختلفين وعليه فلا بدَّ ان تمرَّ مدة طويلة قبلما يعرف نصيب المستوصف من التركة

اكتشافات اثرية

وصل حديثاً الى مدينة سريناجار في كشمير سائح بروسي اسمهُ الدكتور ڤون لكوك كانت الحكومة البروسية قد انفذتهُ للسياحة في انحاء اواسط اسيا المجهولة واكتشاف آثارها التاريخية . فعاد سالماً ومعهُ كثير من الصور المصورة على الجبس وارضها مذهب كما في الصور الايطالية القديمة وكثير من الالواح المكتوب عليها بعشر لغات مختلفة وواحدة منها غير معروفة . ويقال ان اكتشافاته تعدُّ اعظم الاكتشافات الاثرية من عهد لايارد ورولنصون حتى الآن ومن رأي جريدة نانشر ان هذا القول مبالغ فيهِ لان الدكتور ستين من علماء الآثار اكتشف مثل هذه الاكتشافات منذ سنين

بركان نيزكي

في اريزونا باميركا الجنوبية بركان او مخروط بركاني اسمهُ كون بوت يمتاز عن غيرهِ من براكين الارض بانهُ ليس فيهِ مواد بركانية كما في غيرهِ من البراكين . وقد فسَّر احد العلماء ذلك منذ عشر سنوات بان هذا البركان اقتصر على نفث الابخرة المائية فلم تخرج منهُ حمم ولا حجارة مصهورة لكن هذا التفسير لا يكفي لتعليل شكل البركان . وقد علم من زمان قديم ان الحجارة النيزكية كثيرة في تلك الجهات فعللوا ذلك الآن بان نجيمة من النجيمات دنت من الارض فاسرعت في سيرها جداً بقوة جذب الارض لها وتمزَّقت اطرافها من شدَّة الحمو المتولد من سرعة الحركة في جو الارض فكان من ذلك النيازك الكثيرة التي ترى الآن في تلك البلاد اما هي فوقعت على الارض وغارت فيها من شدَّة سرعتها وعظم ثقلها فتكوَّن في محل غورها في الارض الفوهة التي يقال انها فوهة بركان . والمظنون ان بعض براكين القمر تكوَّن على هذه الصورة

الالكحول في الخبز

لا يخفى ان اختمار العجين يجب ان يولّد فيهِ الكحولاً مثل سائر انواع الالكحول التي تتولد من اختمار المواد النشوية والسكرية والظاهر ان حرارة الفرن لا تطرد الالكحول

من الخبز فقد حُلل الخبز الانكليزي الجديد فوجد فيهِ الالكحول ومقدارهُ من ٢ الى ٤ في الالف

حفظ الحديد من الصداء

وجد بالامتحان انهُ اذا كانت رطوبة الهواء شديدة حتى لم يكفِ الدهان العادي لوقاية الحديد من الصدإ كما في الاسكندرية فالورق يقيهِ منهُ وذلك بان ينظف الحديد جيدًا بفرشاة من السلك ويدهن بدهان صمغي ثم يلصق بهِ الورق المشرَّب بالبارافين ويدهن بدهان عادي فوق الورق · ويقال انهُ مضى الآن ٢٧ شهرًا على الحديد الذي عولج كذلك ولم يصدأ وما يصدق على الحديد يصدق على الصلب ايضًا

النظارة الكبرى

كانت الانظار متجهة الى ما يكون من امر المرآة الكبيرة التي صنعها الاستاذ رتشي وقطرها ستون عقدة وركبها في نظارة عاكسة فقام المستر هوكر احد اغنياء اميركا ووهب المال اللازم لعمل نظارة تكون قطر مرآتها مئة عقدة اي متران و ٥٤ سنتمترًا وسيكون سمكها ١٣ عقدة وبعد محترقها ٥٠ قدمًا وثقلها نحو مئة قنطار مصري وينتظر ان يتم عملها ونحتها وصقلها في مدة اربع سنوات ولا تصقل باليد بل بالآلة التي اتقنها الاستاذ رتشي

البرق الارضي

لا يخفى ان البرق يسطع في الجو واذا اتصل بين السماء والارض فيكون سيرهُ من السماء الى الارض لا من الارض الى السماء وقد شاهد البعض بروقًا ظهر لهم انها سارت من الارض الى السماء لكن الاستاذ تايت الطبيعي المشهور حسب ان ذلك خطأ من عين الرائي وان سير البرق يكون دائمًا في جهة واحدة من السماء الارض · الّا ان الدكتور لكير جمع صورًا فوتوغرافية كثيرة وتفحصها جيدًا فوجد ان واحدًا في المئة من البرق يسير من الارض الى السماء والباقي من السماء الى الارض

طلبة العلوم الدينية في مصر

احصى حضرة امين بك سامي ناظر المدرسة الناصرية مدارس الجوامع الاسلامية المعدة لتعليم العلوم الشرعية وسائلها ومقاصدها في القطر المصري فوجدها ٣٤٧ فيها ١٠٢٥ من المدرسين اكثرهم من الشافعية فان عددهم ٤٥٧ ويتلوهم المالكية وعددهم ٣٦٣ ثم الحنفية وعددهم ٢٠٢ ثم الحنابلة وهم ٣ فقط · وعدد الطلبة في هذه المدارس كلها ٢١٣٥٢ . والشافعية منهم ١٠٣٨٩ والمالكية ٦٥٢٢ والحنفية ٤٤٠٨ والحنابلة ٣٣ . اما الجامع الازهر وحدهُ فعدد المدرسين فيهِ الآن

٣١٧ وعدد الطلبة ٩٧٥٨ . فاذا فرضنا ان متوسط مدة الطلب عشر سنوات وجب ان يخرج من هذه المدارس الفا طالب كل سنة على الاقل واذا فرضنا ان متوسط ما يعمرهُ الطالب بعد خروجهِ عشرون سنة فيكون في القطر الآن اربعون الفاً من الذين طلبوا العلم في الازهر او غيرهِ من المساجد اي واحد من كل مئتين وخمسين نفساً من السكان

هبة لمصر

اهتمَّ حضرات المرسلين الاميركيين في القطر المصريّ منذ زمن بانشاء مدرسة عالية لتعليم البنات في العاصمة وقد ابتاعوا الارض اللازمة لها في الشارع العباسي واهتموا ايضاً بتوسيع مدرستهم الكلية في اسيوط ولكن اعوزهم المال اللازم لذلك . وقد كتبوا الى المثري الاميركي الشهير المستر روكفلر يستجدونهُ لهذا العمل المبرور فابقى الطلب الى ان حضر الى هذا القطر ورأى عملهم فيهِ ولما عاد الى اميركا منحهم مبلغ مئة الف ريال (٢٠ الف جنيه) وهي هبة يذكرها لهُ كلُّ مصريّ بالشكر

هبات سنية

احتفل المستر يشوفشيم بعيد زواجهِ الذهبي فوزع مئة الف جنيه على الاعمال الخيرية اعطى منها اربعين الف جنيه لجمعية البحث عن داء السرطان وعشرة آلاف جنيه لمستشفى الملك ادورد وعشرة الاف جنيه للجنة البحث عن داء السل وما بقي لمستشفيات كثيرة وهو يهودي ولكنهُ لم يخص مستشفيات اليهود ومدارسهم الاَّ بعشرة الاف جنيه من هذا المال

دوزنة التلغراف اللاسلكي

اكبر عيب في التلغراف اللاسلكي ان الاشارات التي ترسل بهِ يمكن ان تتناولها آلة اخرى غير الآلة التي يراد ارسالها اليها وقد ادَّعى كثيرون انهم وجدوا طريقة لتنويع الآلات والاشارات حتى يتعذَّر تناول الرسالة الاَّ على الآلة التي اريد ارسالها اليها لكن ذلك لم يتحقق الاَّ الآن فقد استنبط المستر بولسن مستنبط التلغرافون آلة ترسل بها الاشارات الكهربائية على اسلوب مخصوص فلا تصل الاَّ الى الآلة التي من نوعها تماماً وقد دوزنت مثلها وعرض السر وليم بريس هذه الآلة في محفل حضرهُ دوق ارجيل وزوجتهُ فثبت انها تفي بالمراد اذا تمَّ اتقانها

سكر الهند

يقدّرون ان خمس سكر الدنيا يستخرج من الهند وخصوصاً مما فيها من قصب السكر وبعض انواع التمر ومع ذلك فانها تجلب منهُ ربع مليون طنّ سنوياً من الخارج . وما يستخرج منها يقدَّر بثلاثة ملايين طنّ

الكسوف التام

تكسف الشمس كسوفًا تامًا في اوائل هذا العام في الثالث عشر من شهر يناير ولا يظهر الكسوف تامًا الاَّ في اواسط اسيا فيبتدئ من طرف بحر قزبين الشمالي عند شروق الشمس ويمرُّ بجزاك بين تشقند شمالاً وبخارى وسمرقند جنوبًا قرب الساعة التاسعة صباحًا ويتم انحجاب الشمس هناك الساعة ٩ والدقيقة ٥٩ والثانية ٥٨ و ٤ اعشار ويدوم الانحجاب التام نحو دقيقتين

مقابلة الانكليز بغيرهم

كتب بعض الانكليز مقالات عنوانها ما هي الامور التي يفوقنا الغير فيها" فقال واحد ان البوير يفوقوننا في لعب الكرة من حيث المعاملة الحسنة فاذا رفس احد منهم الآخر في خلال اللعب خطا لم يقابلهُ الآخر بالمثل كما نفعل نحن

وقال آخر ان النمسويين يفوقوننا في كيفية العناية بالفقراء والعجزة والمرضى وترتيب اموال الاعانات التي تبذل لهذه الغاية

وقال آخر ان اهل نروج يفوقوننا في اصلاح حال السكيرين وتقليل شرب المسكرات باتباع نظام خير ما هو في بابهِ فلنقتبسهُ عنهم

وقال آخر ان اليابانيين يفوقوننا في التجارة فلنتعلم امثولتنا التجارية منهم فان الحرب المالية في اليابان تلت الحرب مع روسيا وقامت على قدم وساق باتم اتقان ونجاح واخذ الاوربيون والاميركيون يتقهقرون في تجارة بعض الاصناف امام اليابانيين وفي طليعة تلك الاصناف الدخان هذا فضلاً عن ان الرسوم الباهظة التي يقتضيها اليابانيون في دلني على البضاعة الواردة اليها من الخارج تزيد الطين بلة وتمنع الاوربيين من مزاحمتهم وقد قدر عجز الوارد من الدخان الاميركي الى اليابان في السبعة الاشهر الاولى من السنة الماضية بما يزيد على سبعة ملايين جنيه . هذا والحرب المالية في اوائلها فكيف اذا حمي وطيسها وتطاير شررها

الكحول الصبير

يستخرج من نبات الصَّبير الكحول اشدّ فعلاً من الكحول الخشب ويقال انهُ اذا زرعت اربعة افدنة بهذا النبات واستخرج الالكحول منها واستعمل وقودًا في آلة بخارية كفت لري ١٦٠ فدانًا من الارض

النحاس في الزيت

ووجد السنيور بساريني ان زيت الزيتون لا يخلو من قليل من النحاس وهو طبيعي فيهِ ولكنهُ قليل جدًّا يبلغ درهمًا في كل مئتي الف درهم من الزيت فلا يضر بالصحة

فهرس الجزء الاول من المجلد الثاني والثلاثين

رواية

اميرة انكلترة

مقدمة

وضعت هذه القصة الكاتبة الفرنسوية مدام صوفيا كوتين وقد نسجت سداها من تاريخ البعثة الصليبية الثالثة التي جرَّدها اهل اوربا على السلطان صلاح الدين الايوبي في اواخر القرن الثاني عشر على اثر فتحهِ لبيت المقدس وجعلتْ لحمتها الغرامية حب الملك العادل اخي صلاح الدين للاميرة متيلدة شقيقة رتشرد ملك انكلترة وأدمجت حوادث الحبّ في عرض سرد المعارك الدموية التي اقتضتها هذه البعثة ومثّلت وقائع الحرب والغرام في مصر والشام تمثيلاً جمع بين حسن الوصف وبلاغة الرصف وسهولة الايراد وصحة الانتقاد فكان اصدق دليل على براعة المؤلفة وطول باعها في هذا الفن الجليل

وقد قرأْتُ روايتها في اللغة الانكليزية ورأيت ان اترجمها الى اللغة العربية لقرّاء المقتطف وانا واثقٌ انهم يرون رأْيي فيها ويجدونها من افضل القصص التي تحسن مطالعتها في اوقات الفراغ

ولكنها لمّا كانت موضوعة في مجلدين لم ارَ بدًّا من مخالفة الاصل في اماكن كثيرة منها تلخيصاً واختصارًا حتى تجيء الترجمة على قدر ما يحتملهُ المقام ولا تزيد عن الفراغ المعيَّن لها في المقتطف والسلام   المترجم

اميرة انكلترة

الفصل الاول

تأهُّب واستعـداد

بعد حصار طويل اسال الدماء بحورًا دخل صلاح الدين مدينة القدس ظافرًا منصورًا فشق على اهل اوربا سماع هذا الخبر وشخص وليم رئيس اساقفة صور الى رومية واخبر البابا أُربان الثالث بما كان فانقضَّ عليهِ هذا النبأ انقضاض الصاعقة وخرَّ عند سماعهِ مائتًا وقضى بين ذراعي رئيس الاساقفة آسفًا ولا يردُّ الاسف فائتًا

وعلى الفور نشر خلفهُ غريغور يوس الثامن منشورًا يأمر بهِ باعداد بعثة صليبية جديدة وعهد باذاعة هذا المنشور الى رئيس الاساقفة فطاف بهِ اوربا محرضًا منشطًا يستفز الاقوام بقوة عارضة نادرة المثال وبلاغة منطق هي السحر الحلال ولم يزل يجهر في النداء ويلج في الدعوة وهو يوقظ العزائم المتناعسة وينهض الهمم المتقاعسة ويوطن النفوس ويؤلف القلوب على خوض غمرات القتال حتى بلغت كلماتهُ عروش الملوك والقياصرة فنهضوا بنفس واحدة وتحالفوا على الجهاد متعاهدين بانهم لا يتركون السلاح ولا يطوون رايات الحرب والكفاح حتى يدخلوا بيت المقدس ويسترجعوا المدينة التي عدوا سقوطها عارًا عليهم لا يحتمل ولا يزيلهُ عنهم الاَّ استردادها بالعجل

وكان في مقدمة الملوك المحالفين رتشرد الاول ملك انكلتره (الملقب بقلب الاسد) وفيليب اغسطس ملك فرنسا وقد عسكر كل منهما في سهل ينتظر تجمع جيشهِ الذي كان عددهُ يزداد يوميًا تلبية لدعوة رئيس اساقفة صور

ثم افترق هذان الملكان بعد ما تواعدا ان يجتمعا في مسينا فاقلع فيليب من جنوى ورجع رتشرد الى لندن ليعهد بادارة الملك في غيابهِ الى اخيهِ يوحنا وسبقتهُ خطيبتهُ برنغاريا الى صقلية حيث ترتب انهُ يحتفل بالاقتران بها

وكانت خطيبتهُ هذه ابنة الدون سانكو دي نافر وكان لها نصيب وافرٌ من المجلات

ألادبية التي استمالت بها قلب ذلك الملك العظيم فآثرها على كثيرات من الاميرات الحسان اللواتي كان يشار الى جمالهنَّ بالبنان وفضلها حتى على اليكس شقيقة فيليب اغسطس التي طالما حاولت اصطياد قلب الاسد بحبائل المحاسن ولم تظفر منهُ بطائل لانهُ رأى ان حسنها المنقطع النظير ينقصهُ من الآداب شيء كثير . وهكذا تغلبت فتاة الادب والكمال على غادة الحسن والجمال وفازت باستمالة قلب رجل كان من اعاظم الرجال

وقبلما خرج رتشرد لطيتهِ البعيدة المحفوفة بالمصاعب والمخاطر رام الاشتراك في الاحتفال بترهُّب اختهِ الصغرى الاميرة متيلده التي لم يرَها قط منذ طفوليتها وكان لا يرجو انهُ يراها بعد الآن . فاراد قبل ان يحجبها ثوب الرهبنة عن نظر العالم او يسقط هو صريعاً في ساحة الجهاد ان يتعرَّف بها و يودّعها الوداع الاخير

فخرج في بطانتهِ ومعهُ رئيس اساقفة صور (الذي كان مزمعاً ان يرئس الاحتفال بترهُّب اختهِ) الى ذلك الدير الذي وُضعت فيهِ بعد ولادتها باشهر قليلة وكانت عازمة ان تبقى فيهِ الى الابد

وكانت افكار هذه الاميرة لا تتعدَّى حدود الدير الذي قضت فيهِ ست عشرة سنة ولا تتجه نحو شيء آخر سوى الطهارة المطبوعة عليها وعيشة التبتل التي دُعيت منذ نعومة اظفارها اليها . فلم تعلم شيئاً عن شرف اصلها ولا عن رائع جمالها . وقلما درت باحوال العالم الخارجي الذي لم تخترق اصواتهُ حجاب السكون السائد على الدير

ولما اقبل اخوها ومن معهُ اسرعت الى استقبالهِ وقد ورَّد السرور وجنتيها وشعرت اول مرةٍ في حياتها بفرحٍ غير متعلق بنذورها

و بعد ما استقبلت رئيسة الدير وراهباتهِ ضيفهنَّ العظيم ورحبن بهِ الترحيب اللائق بشأنهِ ذكر على مسامعهنَّ الغرض الذي لاجلهِ عزم على الزحف بجيوشهِ الى الارض المقدسة راكباً الاهوال ومقتحماً الاخطار حباً بشأن الدين والذود عن ذمارهِ وشرع يصف بفصاحتهِ المعهودة سقوط المدينة المقدسة والمشاقّ العظيمة القائمة في سبيل الناهضين للجهاد في استرجاعها والافراح المعدة لاولئك الذين نشطوا للأخذ في هذا العمل الخطير

فانشأ هذا الكلام ميلاً جديداً في قلب الاميرة متيلدة ولم تلبث أن أعلنت رغبتها في مرافقة اخيها الى الارض المقدسة قبل ان تحتجب عن العالم

ولم تجد لها معارضاً في ذلك لأن زيارة الارض المقدسة كانت تعدُّ في تلك الايام اعظم ضحية مقبولةٍ عند الله وخير استعدادٍ للتبتل

فتقدمت الرئيسة الى متيلدة وجعلت في عنقها ذخيرة علامة ايمانها الرمزية واخذتها الى الملك ووضعت يدها في يده وقالت : —

" لا تستطيع جلالتك ان تدرك قيمة هذه الوديعة التي استودعك اياها ولا ما يذخره فؤادها من الطهارة والتقوى . واني أتوسل الى العناية السرمدية ان تقي هذه النفس الشريفة وتحمي حياتها الطاهرة . "

ثم التفتت الى رئيس الاساقفة وقالت :—

" واما أنت ايها الاب المحترم فاني استودعك نفساً انقطعت منذ طفوليتها لعبادة الله وأرجو ان تبقيها اهلاً لهذا المقام السامي الخطير . وانتِ يا ابنتي العزيزة احرصي على قلبك حتى لا تبتلعهُ كبرياء حصولك على هذا الامتياز العظيم ولا تدعي حمامة الوداعة والتواضع تهجر حمى نفسك الطاهر واذكري على الدوام انهُ ما من مقام — مهما كان رفيعاً ولا من طبيعة — مهما كانت مقدسة — في أمنٍ من التجربة . فسدي أذنيك دون الاصوات التي يُراد بها تجربتك واغراؤك واصغي على الدوام الى ما يُسرهُ اليك الروح القدس فلا يعود لصوت العالم سبيل للبلوغ اليكِ "

فقال الملك :— " كوني مطمئنة ايتها الرئيسة المحترمة فبحول الله وقوة حسامي تكون أختي في معسكري كما كانت ضمن اسوار هذا الدير من حيث الأمن والاعتزال عما يكدر صفاء طهارتها ونقاوة آدابها "

ثم اشار بالانصراف وخرج بعد ما ودّع الرئيسة والراهبات اللواتي ودّعن متيلده الوداع الاخير واستودعنها عناية القدير

ولما اخذت اسوار الدير تتوارى عن نظرها شيئاً فشيئاً ابتدأت تضطرب وتنزعج ولاسيما لما لاح لديها الافق عن بعد شاسع فسألت اخاها بحيرةٍ ولهفة عن المسافة التي تفصلهما عن الارض المقدسة فاجابها ضاحكاً من سذاجتها : —

" يجب ان نقضي يا عزيزتي اياماً بل شهوراً طوالاً قبل ان نصل الى المكان المقصود . ولكن ماذا يخيفك يا متيلدة اما قلتُ لكِ منذ هنيهة ان هذا الصارم البتّار يقيكِ جميع المخاوف والاخطار "

ولا حاجة الى وصف المؤثرات التي احاطت بنفس متيلدة في اثناء هذا السفر الطويل المحفوف بالمشاق والاهوال . فللقارىء ان يتصور ما تؤثرهُ انواء البحار وعصف الرياح وعجيج الامواج وصراخ البحارة واغاني العساكر في فؤاد فتاةٍ لم تعرف قبل الآن غير غرف الدير ولم

تسمع سوى اصوات الراهبات في إنشاد التسابيح

ولما بلغ رتشرد مسينا عرّف اختهُ بخطيبتهِ وما ابطأَت هاتان الفتاتان ان تعارفتا وتآلفتا ووجدت كلٌّ منهما برفيقتها خير ما صبت اليهِ نفسها

الفصل الثاني

تاج واكليل

ان الاختلاف الذي نشأ بين رتشرد وفيليب اغسطس وكان منشأهُ في الغالب تنكرد ملك صقلية المنافق حال دون احتفال ملك انكلترا باقترانهِ بخطيبتهِ في مسينا ولم يعد يتمكن من هذا الاحتفال الاَّ بعد غلبتهِ على قبرس

فبعد ما قهر اسحق ملك قبرس واستأثر بعرشهِ زاد تاجًا آخر على رأس برنغاريا

ولما ذاعت انباء انتصارهِ اسرع اليهِ لوسيان ملك القدس وهو شابٌ متغطرس متصلفٌ لم يتمكن من صيانة عرشهِ مع شدة بسالتهِ وشجاعتهِ . وكان في هذا الوقت مخلوعًا مطرودًا وقد ضعف حقهُ في المطالبة بهِ لان كونراد مركيز مونفرات كان يعارضهُ فيهِ

على ان نفسهُ ظلَّت تحدّثهُ بامكان استرجاع تاجهِ من ايدي اعدائهِ ولهذا جاء يستعين برتشرد على مناظرهِ كونراد الذي اخذ فيليب اغسطس بناصرهِ وصرَّح حين جاء الى سورية بصدق دعواهُ وصحة طلبهِ . فقويت شوكة كونراد حاكم صور المدينة الوحيدة التي بقيت في حوزة الصليبيين في سورية واغلق ابواب عاصمتهِ في وجه لوسيان ورفع عليها راية التمرد والعصيان

وكان ريموند امير انطاكية وبوهيموند امير طرابلس ورينود امير صيداء وليونراد امير ارمينية وغيرهم من امراء الصليبيين قد صحبوا لوسيان الى قبرس يتظلمون الى رتشرد ويستعينون بهِ على ردّ حقوقهم المهضومة فوعدهم بانهُ لن يبرح بلاد الشام حتى يثبت كلاًّ منهم في امارتهِ لكنهُ ابى لعزة نفسهِ قبول ما عرضوهُ عليهِ وهو ان يكون ملكهم المطلق السيادة ويكونوا هم أمراء تابعين لهُ يؤدون اليهِ الجزية . وطلب منهم ان يمكثوا عندهُ ويحضروا احتفال اقترانهِ ببرنغاريا فاجابوهُ الى ما طلب بسرورٍ وارتياحٍ لا مزيد عليهما

وقد جرى ذلك الاحتفال على وجهٍ تجلَّت فيهِ الابهة والعظمة بابهى المجالي وابهر المظاهر وكان اول احتفال دنيوي حضرتهُ متيلدة وهي سادلة برقعها الطويل على محياها الجميل فاذهلها هذا المشهد العظيم وراع طهارة نفسها

وكان لوسيان جالساً بجانب اخيها الملك فاستشفَّ من خلال برقعها لمحات من حسنها البديع انشأت فيهِ ميلاً شديدًا اليها . ولكنهُ ما أبطأ ان ذكر زوجتهُ سيبل ونذور متيلدة الدينية فتصوَّر الموانع التي تحول دون الجري في سبيل هذا الميل الجديد واضطر ان يطويهُ في صدرهِ على علاتهِ ولا يبوح بهِ في الوقت الحاضر الا لذاتهِ

وبعد انقضاء احتفال الزواج نهض الملك رتشرد يتأهَّب للاقلاع الى فلسطين . لكنهُ اذ علم من لوسيان ان بحر الروم مغشي بسفن العرب من شمال سورية الى مصر وان الملك العادل اخا صلاح الدين واعظم ابطال الشرق يروح ويجيء في عرض البحر ابى ان يسمح لزوجتهِ وشقيقتهِ بالذهاب معهُ والتعرض لاخطار الحرب التي تتهددهُ وحدثتهُ نفسهُ المطبوعة على ركوب الاهوال ومصادمة الابطال ان يلاقي خصمهُ في ساحة لاتعاق فيها ذراعهُ الشديدة عن الطعن والضرب بالدفاع عن اعز الناس عندهُ . فارتأى ان يتركهما واعوانهما في قبرس وينطلق هو اولاً برجالهِ حتى اذا بلغ العرب خبر خروجهِ تجمعوا عليهِ من كل صوبٍ وتركوا البحر مفتوحاً . وبناء عليهِ امر ان السفينة المعدة لزوجتهِ واختهِ وحرسهما لاتقلع من قبرس حتى يكون هو وجيشهُ قد دخلوا ميناء عكاء

فاذعنت متيلدة لمشيئة اخيها بلا توقف لانها متعودة على الطاعة الكاملة منذ ميطت عنها التمائم . اما برنغاريا فراعها خبر هذا الفراق الفجائي وجثت عند قدمي زوجها متوسلة اليهِ ان يسمح لها بان تقاسمهُ الاخطار المزمع ان يخوض غمراتها

وعلى رغم شدة تأثرهِ من حزنها واكتئابها لبث مصرًّا على عزمهِ موضحًا لها ان حضورها معهُ يضعف شجاعتهُ التي لم يعترها ضعف حتى الآن ويحدث فيهِ قلقًا واضطرابًا لم يشعر بهما من قبل وربما اضطرَّ ان يتنكب حرباً لابد لهُ من خوض غمارها واقتحام اخطارها

وكان من عزم الملكة ان تزيد في الحاج وتكثر من الالحاح ولكن الملك كان ذا عزيمة ماضية لم يقدم احد قط على معارضتها فاشار الى الملكة ان تلوذ باطراف السكوت وتجيبهُ الى ما اراد بملء الطاعة والامتثال . وبناء عليهِ سكتت خوفاً من غيظهِ ولم تحرِ جواباً

ولما أقلع من قبرس سار معهُ ملك القدس واعوانهُ الامراء وبقي مع الملكة دوق نورثمبرلند ودوق غلوسستر وسيمون دي مونتفورت كونت ليستر وبعض اشراف فرنسا منهم البطل أدم دي تورين كبير الحجاب وانجوران دي فاين وجوسلين دي مونمورانسي وهذا الاخير كان شاباً حسن المنظر جميل الطلعة شديد البأس ومع انهُ كان في مقتبل العمر وزهرة الصبوة فلقد طالما عمل اعمال صناديد الرجال وأقدم إقدام اعظم الابطال

واراد رتشرد ان يبقى رئيس اساقفة صور مع زوجتهِ وشقيقتهِ فخاطبهُ رامقاً الملكة بنظرٍ يشفُّ عن شيء من التوبيخ اللطيف :—

" انهما مفتقرتان ايها الاب المحترم الى تعليمك اياهما ان تعبدا الله بالصبر والطاعة كما نعبدهُ نحن بالقوة والبسالة "

وبينما كان رتشرد واعوانهُ في عرض البحر طلع عليهم مركبان من مراكب العرب وفي كلٍّ منهما ثماني مئة رجل . وبعد قتال عنيف استظهر الصليبيون عليهما فاغرقوا احدهما واسروا الآخر واستأنفوا المسير بلا معارضٍ حتى رست سفنهم امام عكاء في اليوم الثامن من شهر يونيو سنة ١١٩١

ولما دخل لوسيان المدينة بلغهُ خبر وفاة زوجتهِ سيبل فأزال هذا النبأ مانعاً كبيراً من طريق آمالهِ التي علل نفسهُ بها حين رأى متيلدة لكنهُ هدَّدهُ في الوقت نفسهِ بخسارة فادحة من وجهٍ آخر لأن سيبل ابنة بودوين ووارثة عرش القدس الذي لم يتمكن من الجلوس عليهِ الاَّ بالاقتران بها . والآن بموتها يتحوَّل هذا الحق الى شقيقتها زوجة خصمهِ مركيز مونتفرات فترجح كفتهُ عليهِ . لكنهُ مع هذا كلهِ ظلَّ متقوياً برتشرد ولم ينفك يجاهر بحق انتقال الملك اليهِ . وكان من حزبهِ البيسانيون والفليون وامراء مار يوحنا . واما الهيكليون والجنويون والالمانيون المنقادون الى فيليب اغسطس فكانوا من حزب كونراد مركيز مونتفرات الذي تباهى بكونهِ حاكم صور وتَزَيَّا بمناظرهِ لوسيان الذي كان ملكاً بلا تاجٍ ولا شعبٍ

وفيما كانت هذه المظاهرات العدائية مستفحلة في معسكر الصليبيين كان السلطان صلاح الدين يعنى بتحصين بيت المقدس وتوفير اسباب مناعتهِ حتى لا يقوى اعداؤُهُ على استرجاعها في المستقبل

وكان معسكر رتشرد في جهة البحر بحيث يسهل عليهِ ان يرقب حركات المحاصرين ويمنع عنهم النجدات برًّا وبحرًا

وفي شرق المدينة خفقت رايات فيليب أغسطس مقابل امنع ابراجها المدعو بالبرج " الملعون " . وفي قلب المعسكر نشرت اعلام النسر الالمانية . وكانت هذه الجيوش الثلثة تتميز بعضها عن بعض بلون الصليب المعلَّق بهِ راياتها . فكان في راية فرنسا احمر قانياً وفي راية المانيا ابيض يقفاً وفي راية انكلترا اخضر خاتماً

وكان ديوان رتشرد يفوق الدواوين الاخرى في مظاهر الابهة والعظمة وفاخر الاثاث والرياش . اما ديوان فيليب فكان بسيطاً جدًّا من هذا القبيل لكنهُ عامر بنخبة اشراف فرنسا وعظمائها

ولم يستحسن رتشرد ان يقضي الزمان باطلاً في ظلال الترف والتنعم فالحَّ بوجوب تشديد الحصار على عكاء لأن الاسراع في فتحها يسهل عليهم استرداد القدس. لكن كونراد المتغطرس أبى ان يترك حصنهُ صور ويشدّ ازر الصليبيين ما لم يعدوهُ بتاج بيت المقدس . وظلَّ فيليب ايضاً ملازماً جانب السكون غير مبدٍ في هذا الامر حراكاً لانهُ احبَّ ان يؤيد كونراد في ما اراد ورام ان يخالف رتشرد في رأيهِ تشفياً منهُ اوحسداً لهُ فلم يوافقهُ على تشديد الحصار ولا شاركهُ في الهجمات العامة بل اقتصر على مناوشات طفيفة ليست بذات شأن

ولما رأى العساكر ما بين اعاظم قادتهم من الشقاق وعدم الاتفاق جاهروا بالتذمر والشكوى وانكروا عليهم هذا الفعل المعيب الذي يخشون انهُ يحول دون بلوغ الغاية التي تجنَّدوا للجهاد في سبيلها ويريحوا اوطانهم حبّاً بتحصيلها

وكان لوسيان هذه المدة كلها ملازماً للملك رتشرد متصلاً بهِ غير منفصل عنهُ دقيقة واحدة — لانهُ منذ وفاة قرينتهِ سيبل أصبح يتوقع صحة ما حلم بهِ من جهة الاميرة متيلدة . وقد نشطهُ الى ذلك ما تمكَّن بينهُ وبين اخيها من علاقات الصداقة وصلات المحبة — فكان رتشرد مرجع نجاح لوسيان وتحقق امانيهِ في الامرين — متيلدة وعرش القدس

ولما كان رتشرد صادق العاطفة سليم النية انخدع بملث لوسيان وتملقهِ ولم يرتب في صدقهِ وإخلاصهِ فازداد تعلقاً بهِ حتى انهُ لم يعد قادراً على مفارقتهِ . فكانا من ذلك الحين ينامان في خيمة واحدة ويأكلان على مائدة واحدة ويحاربان في جهة واحدة . ويقتسمان الغنائم بنسبة واحدة حتى اوشكا ان يكونا شخصاً واحداً ونفساً واحدة

الفصل الثالث

أسر الملكة والاميرة

اما الملكة فكانت منذ فارقها الملك تقضي معظم وقتها في البكاء والصلاة ممثلة لعينيها ذهاب من تحبهُ نفسها فريسة في ايدي الاعداء وكثيراً ما رأتهُ في نومها مضرَّجاً بالدماء او راسفاً بقيود الاسر يقاسي صروف العناء . وقد حاول رئيس إساقفة صور تسكين اضطرابها وازالة قلقها فكان كمن يحاول ان يقبض الهواء او يكتب على صفحات الماء . على ان ما عجز عنهُ رئيس الاساقفة تمَّ بما لا مزيد عليهِ من السهولة والسرعة عند وصول المرسلين من قبل الملك يدعونها اليهِ

ومع ان البسالة عُدَّت في هاتيك الايام من لوازم الامارة ومميزاتها وكان حرس الملكة

من اعظم اشراف اوربا وأُمرائها لم يكن واحدٌ منهم يجسر ان ينظر الى اقنوم متيلده الطاهر الاَّ بعين الخشية والوقار لأَنها مع ما ازدانت بهِ من رائع الحسن وفائق الجمال كانت ممتازة بمظهر طهارة وصلاح تسكن عندهُ كل حركة تنشأ عن الميل العالمي . وذلك كان واقياً لها من جوامح الحبّ وطوامح الاهواء . وقلما كانت تظهر للرجال ولكنها اذا ظهرت كان الناظر اليها مطرقة متحجبة يتحوّل عن الاعجاب بمنظرها الوسيم الى الخشية والوقار والتجلة والتكريم قائلاً في نفسهِ ما هذه بشرا ان هي الاَّ ملك كريم

وكانت الملكة قد أَلفتها واحبتها حبًّا لا مزيد عليهِ . فشقّ عليها ان تراها في هذه العيشة الخشنة مسوقة بالتقشف وتعب الجسد وحبس النفس حتى انها حاولت غير مرة ان توقظ عواطفها بالاشارة ولو من طرف خفيٍّ الى الامراء والملوك الذين يودون ان يطرحوا تيجانهم عند قدميها متسابقين الى نيل نعمة في عينيها . وكثيرًا ما مثلت لها الافراح الناشئة عن الاتحاد بالزواج فلم تلقَ منها الاَّ اعراضًا وارتباكًا — لا خوفًا من التجربة بل انكارًا لاشارات كهذه تأباها نفسها الطاهرة ويمجها ذوقها الصالح

وبعد ما اقلعت السفينة التي استقلتها الملكة واعوانها من جزيرة قبرص جرت الرياح على ايثارها ووفق مشتهاها وسارت تشق عباب المياه حتى اقبلت على عكاء واستطاع الركب ان يتبينوا المدينة ولو على بعد شاسع . واذ ذاك هبت ريح عاصف بقوة لا تقاوم وخيبت كل مساعي البحارة في دفع السفينة الى البر

وظلت السفينة ساعات تترنح ترنح السكران وتضطرب اضطرابًا ضاعت في تسكينهِ حيلة البحارة والربان حتى كانت اشبه بكرة تتقاذفها التيارات المتلاطمة والامواج العاجة . ثم مالت العاصفة في مهبها الى الجنوب الغربي ودفعت السفينة على تخوم دمياط الرملية . ولم يلبث العرب المرابطون هناك ان رأَوها من بعيد فاسرعوا الكرة عليها طامعين في اسرها وسبي من فيها

ولكن لم يكن حصولهم على ما طمعوا فيهِ بالامر السهل لان الرجال الذين يحاربون دفاعًا عن ملكتهم والامراء الذين كان من اكبر فروضهم تضحية نفوسهم في سبيل صون الجمال والدين لا يسلمون للاعداء قبلما يصلونهم حربًا وعوانًا . ولذلك برز في طليعة الامراء اصغرهم سنًّا واشدهم بأْسًا اعني بهِ جوسلين مونمرانسي فاستل حسامهُ وهجم هجمة الاسد الضرغام وصدم خصومهُ صدمة لم يستطيعوا عندها ثباتًا فاضطروا الى الاحجام . واذ ذاك اقبل من ميناء دمياط مركب آخر مشحون بالكماة فحول ميل كفة الانتصار في ذلك النهار . ولما ابصرهُ الذين كانوا في المركب الاول وشاهدوا في مقدمهِ رجلاً طويل القامة بادي الهيبة هتفوا من شدة

الفرح :— " الملك العادل ! الملك العادل ! الحمد لله الحمد لله "

ثم استأنفوا الهجوم وجدّدوا القتال . اما جوسلين فوطّن نفسهُ على ان يموت موت الابطال ويبيع حياتهُ بارواح من يقفون في طريقهِ من الرجال . وطفق يدور ويجول ويفتك ويصول حتى قطعت فتكاتهُ عزائم الشجعان واقام حولهُ سورًا من الهامات والابدان

وفيما كان رئيس الاساقفة في خيمة الملكة قائمًا بحراسة الاميرتين سمع العرب يهتفون هتاف الانتصار فغشيتهُ سحب اليأس وقال لها :—

" شاركاني يا ابنتيَّ في التوسّل الى الله الذي عليهِ وحدهُ يجب ان نعتمد الآن لنجاتنا — عوذا الملك العادل عنا — الملك العادل الذي لا تستطيع قوة في الارض ان تقاومهُ "

وبعد ما جثتا معهُ للصلاة الى الله التماسًا للخلاص من وهدة المخاطر التي انطبقت عليهم سألتهُ الملكة مضطربة :—

" من ذا العربيُّ الذي انذرتنا بقطع الامل من النجاة منهُ ؟ "

فاجابها :— " هو الملك العادل اخو السلطان صلاح الدين والدُّ اعدائنا وقد شاهدتهُ بعيني مادًّا مطار النار والدمار على مدننا واهرائنا . ولولاهُ لم تسقط القدس في ايدي المحاصرين مهما طال امد الحصار ولا دخلها صلاح الدين بموكب الظفر والانتصار "

وفيما هو يتكلم ارتفعت اصوات السلاسل والاغلال مؤذنة بانتهاء القتال فهبَّ الى الخارج مندفعًا بين اخوتهِ لعلهُ يستطيع تخفيف العذاب الذي أُعدَّ لهم . وكان يعرف الملك العادل من وقتٍ طويلٍ ولا يجهل ما لهُ عندهُ من كرامة الشأن وحسن الرعاية

فتركت الاميرتان وحدهما تتوقعان ما سيحلُّ بهما واستسلمت الملكة لعوامل الحزن واليأس من جرَّاء هذا الخطب المفاجىء الذي سوف يقضي بتطويل شقة بعادها عن زوجها ورفعت يديها تدعوهُ مستغيثةً بهِ . وضغطت متيلدة الذخيرة التي في صدرها المهداة اليها من الرئيسة مستمدّةً غوثًا من ذلك الذي اتجهت كل افكارها اليهِ وأصبح معوّلها في النجاة عليهِ

ثم فُتح باب خيمتها بغتةً ودخل منهُ رجل ذو هيبةٍ ووقارٍ وسيادةٍ خُلقَ لها وخلقت لهُ هذا الرجل الجليل خاطب الملكة بلغتها قائلاً

" لا تخافي ايتها السيدة ان ملكة انكلترا وجميع من هم معها اسراي — لكنهم لن يكونوا ابدًا عبيدي . ولسوف تُنقلون الى قصري حيث يحفُّ بكم رجالي وتعاملون بما تستحقون من الإكرام وتمكثون مقيَّدين بوعدكم فقط حتى يتمكن اخي صلاح الدين من مفاوضة رتشرد في امركم "

فارتعدت فرائص متيلدة عند سماعها هذه الكلمات لانها حققت مخاوفها وهمّت ان تنسلّ من جانب الملكة وتحجب عن النظر ولكن الملكة ادركت ذلك فامسكت بيدها وقدّمتها الى الملك العادل قائلة : —

" ان هذه ايها الامير شقيقة رتشرد تقاسم زوجتهُ الاعتراف بحسن صنيعك فاعتمد كلامنا وثق بنا ولسوف تجدنا اهلاً لذلك "

فتقدم الملك العادل الى متيلدة ومدّ يدهُ ليصافحها فثنت رأسها ونكصت الى الوراء وزادت في التحجب والتستر

ولما جاء الملك العادل باسراه الى ظهر سفينتهِ اعانهُ النور على تحقيق ملامح كلٍّ من الاميرتين اللتين وقعتا في قبضة يدهِ . وكانت الاميرة متيلدة قد حسرت قناعها ليسهل عليها النزول الى الزورق الذي أُعدّ لنقل الاسرى الى دمياط فرأى ابصرهُ في وجهها البديع من الحسن الفاتن والجمال النادر المثال ولم يكن يعلم شيئاً عن الحاجز الذي اقامهُ في وجههِ قانون الرهبنة فضلاً عن العوائد القومية . فترك الملكة واسرع الى جانب متيلدة واخذها بيديهِ وحملها نازلاً بها الى الزورق ووضعها على متكإٍ وجعل يتفرس فيها بنظرٍ يتقد شوقاً وحباً

وقد جرى هذا كلهُ بسرعة لا مزيد عليها حتى اخذت متيلدة دهشة وحيرة لم تقوَ معهما على ابداء اقلّ مقاومة ولبثت دقائق لا تبدي حراكاً كعصفورٍ في قبضة الصياد . ثم وثبت على قدميها ورفعت نظرها الى وجههِ وهي تتوقع ان ترى بربرياً فظّ الهيئة لكنها دهشت اشدّ الدهش عند ما شاهدتهُ ذا صورة جليلةٍ وملامح جميلة وظواهر خطيرة تشفُّ عن عزّة نفسٍ خليقة بالاجلال وتدلُّ على رفعة شأنٍ يندر ان يكون لها نظير عند افضل الرجال

فألقت بنفسها عند قدمي رئيس الاساقفة الذي عطف عليها وهي تواري خدّيها المصبوغين بحمرة الخجل في مطاوي ردائهِ وتذرف دموعاً احرّ من الجمر -

فأدرك رئيس الاساقفة ما نالها فأجلسها وبذل جهدهُ في مؤاساتها ثم التفت الى الملك العادل وقال لهُ

" اعلم ايها الملك ان هذه الفتاة ليست كباقي الفتيات بل هي من سلالة ملوك انكلترة تخلت عن مقامها العالي الرفيع ووقفت حياتها على خدمة الله وأقل لمسٍ ينوبها من رجلٍ يعدُّ تدنيساً لتبتلها الطاهر المقدّس . فاسمح لها اذاً ايها الامير المعظم ان تبقى امينةً لنذورها آمنة في تزهدها حتى يقضي الله بتعيين الوقت لاتفاق صلاح الدين ورتشرد من جهة اطلاقها "

وكان الملك العادل لم يزل شاخصاً في تلك الفتاة الحسناء مسحوراً بجمالها البارع فأجابهُ

" يصعب عليَّ تصديق ما قلتهُ ان لم تشهد على صحتهِ الاميرة نفسها . " ثم التفت اليها وسألها :—

" أَصحيح ما سمعتهُ الان ايتها الاميرة انك منقطعة الى زهدٍ ابدي تخفين فيهِ محاسن لم تنظر عيون البشر اجمل منها ؟ "

فرفعت نظرها نحو السماء من غير ان تنظر اليهِ وقالت :—

" اللهمَّ انت تعلم ان اسمى غايات نفسي ان اخدمك خدمة انفصل فيها عن العالم كلَّ الانفصال "

فقال الملك العادل لرئيس الاساقفة

" ساعمل ايها الاب المحترم بمقتضى ارادة اميرة انكلترة فتعيش في قصري عيشة تنطبق على عوائدها واميالها "

ثمَّ ركب زورقهُ الخاصّ وسبق الاسرى الى دمياط

ولما قربوا من الشاطىء وجدوا على الرصيف محفاتٍ معدة للاميرتين وحشمهما. والباقون من الاسرى — ما عدا الجرحى — مشوا على اقدامهم . اما مونترانسي فاذ كان مثخنًا بالجراح ومغشيًّا عليهِ من شدة النزيف وُضع على لوح من خشب وحمل الى قصر الملك العادل

وكان الملك العادل يقيم في دمياط بقصر الخلفاء القديم الباقية فيهِ آثار الزخارف شاهدة على عظمة اصحابهِ الاولين . فكانت ارضهُ مرصوفة بانفس الرخام والمرمر وجوانبهُ مزدانة باعمدة البرفير والحجر السماقي وجهاتهُ الاربع محاطة بالحدائق الغنَّاء والجنان البديعة واعاليهِ زاهرة بالمقاصير الانيقة والعلالي الرفيعة ومداخلهُ الخاصَّة مخفورة بالخصيان وابوابهُ العامة محروسة بنخبة الشجعان

وقد اعد منزلاً لائقًا بأسراهُ الاشراف وعين قصرًا آخر للاميرتين ورئيس الاساقفة وامر اجابةً لالتماس الملكة ان يتولى خدمة الاسرى رجال مسيحيون واذن لرئيس الاساقفة ايضًا ان يمارس طقوس الكنيسة في غرفة داخل القصر وسمح لاعوان الملكة من الامراء والاشراف ان يتولوا خفارتها والقيام بخدمتها في ساعات معينة من النهار

وكان قصر الاميرتين مفروشًا باثمن البسط الفارسية ومضمخًا بانفس الاطياب الشرقية من بخورٍ وندٍّ وعودٍ ومرٍّ تفوح روائحها من المباخر الذهبية معطرة الارجاء . وكان صحنهُ مغشّى بالفسيفساء وفي وسطهِ اربعة تماثيل من البرفير تتدفق منها مجاري المياه المعطرة الى حوض من المرمر ثم تندفع من وسطهِ ناشبة على اشكالٍ هرمية مبردة الهواء ومطربة المسامع بخريرٍ

اعذب من توقيع الغناء . وحول تلك التماثيل متكآت فاخرة تبسم للجلوس عن ثغر الراحة والرخاء وعلى الشبابيك شجوف حريرية تلطف اشعة النور وتأذن لنسمات الهواء ولا تحول دون تمتع الناظر برؤية الورد وازهار الليمون والآس والرمان المائجة بين يدي النسيم والفائحة بارج طيب يشفي السقيم

وما أبطأ الملك العادل ان انفذ الى اسراه عبيداً حاملين سلالاً مملوءة من اشهى الثمار واجمل الازهار وانفس الحلويات واطيب الاشربة

وقد قضت الملكة ليلتها بالبكاء والنحيب واحيتها بالتنهد وذرف الدموع . اما ملكة (؟) فمع شدة بكائها وجدت في فؤادها شيئاً من الصبر والتسليم لمشيئة الله

وفي الصباح زارها رئيس الاساقفة فسألته الملكة عن الملك العادل قائلة : —

" انك ايها الاب المحترم مستوطن اسيا وبطريرك صور منذ ثلثين سنة ومستشار ملوك القدس وسفير في بلاط صلاح الدين . فلا بد ان تكون اعلم من كثيرين غيرك بعوائد عدونا وء فاته وتقدر ان تخبرنا بالوسائل التي يمكننا اتخاذها لاطلاق سبيلنا "

فاجابها " اني اعلم الناس بنشأة صلاح الدين ومقدار قوته ولي اطلاع تام على جميع الفضائل التي تزين صفاته . واعلم ايضاً ما لاخيه الملك العادل عنده من نفوذ الكلمة ومضاء الامر . والله يعلم كم كنت انال من الامتيازات المفيدة النافعة لو اذن لي ان اسعى في تحصيلها بالحكمة والتعقل بواسطة هذا الامير المتفرد في اريحيته وكرامة نفسه . فيالت رجالنا اعاروا نصائحي جانب الاصغاء بل ليت لوزنيان واموري وثقا بما لي من الاختبار فكانت الارض المقدسة سليمة من الارزاء التي تعبث بها اليوم وتلعب وتأكل عليها وتشرب "

وهنا تنهد الحزين الآسف واطرق غارقاً في لجج التأملات . ثم ثاب اليه التجلد وعاد الى (؟) جواب على سؤال الملكة قائلاً

الفصل الرابع

صلاح الدين والملك العادل

" نشأ صلاح الدين واخوهُ الملك العادل في بلاط اتابك نور الدين في دمشق . وكان ابوهما ايوب قد بذل جهدهُ في تهذيبهما وهو لا يتوقع شيئًا من العظمة المذخورة لهما في المستقبل . ولما كان شديد الاخلاص لمكيهِ الذي احبهُ محبةً لا توصف تجرَّد لإجراء كل ما يسرُّهُ من اعمال الفتح والتدويخ والإصلاح فكان افضل مثال لابنيهِ في الامانة والطاعة لسلطانهما . ولم يظهر على صلاح الدين في طفوليتهِ علامات عظمة مستقبلة ولا لوائح بسالة خارقة . اما الملك العادل فكان من نعومة اظفارهِ ميالاً الى كل ما يبدو فيهِ حب اكتساب المجد والشهرة . على انهما مع اختلافهما في الطباع والاميال كانا مرتبطين بمحبة اخوية شديدة الإحكام متينة الالتحام ومتحدين في الطاعة للشريعة الاسلامية بما لا غاية بعدهُ من الاجلال والاحترام

" وقد صحبا عمهما شيركوه الى مصر عند ما ارسلهُ اليها اتابك نور الدين ليستأصل منها الخلافة الفاطمية ويقيم الخلافة العباسية مكانها . ولم يلقَ شيركوه في هذه المهمة موانع تحول دون بلوغ ما اقدم عليهِ لأن مصر كانت حينئذٍ في غاية الضعف وقد جعل العاضد لدين الله زمامها في ايدي اناسٍ اضعف منهُ همةً واقل عزمًا واقدامًا . فلما بلغهُ خبر قدوم شيركوه في خيلهِ ورجلهِ نهض يروم الدفاع فلم يجد اليهِ سبيلاً فعمد الى الحيلة واستمال عدوهُ بالرشوة وعرض على شيركوه نصف ما في خزينتهِ من المال وانهُ يجعلهُ اكبر وزرائهِ

" فبهرت هذه الرشوة العظيمة عيني شيركوه فاقسم لصاحب مصر بتأييدهِ وعدل عن اتمام ما ارسلهُ اتابك نور الدين اليهِ — ولما سمع الملك العادل بما عزم عمهُ عليهِ وبَّخهُ توبيخًا شديدًا وتهدَّدهُ علنًا بالشكوى الى نور الدين — فحمي غيظ شيركوه على ابن اخيهِ وكاد يوقع بهِ لولا توسط صلاح الدين بالصلح بينهما

" ولما ذهب شيركوه بابني اخيهِ الى الخليفة دهش صلاح الدين مما شاهدهُ من مجالي الابهة والعظمة ومظاهر الثروة والغنى وايقظ في فؤادهِ مطامع لم يشعر بها من قبل واغراهُ بالطموح الى الاستئثار بسلطة مطلقة لا يكون فيها لاحدٍ غيرهِ اقلّ دخل . ولم تلبث هذه الاماني ان تمكَّنت منهُ حتى وطَّن نفسهُ على الجري في تيارها واخذ يتوقع سنوح الفرصة لاخراجها من حيز القوة الى الفعل

" ولما توفي شيركوه استوزر خليفة مصر صلاح الدين فكان ذلك بشيرًا بصحة احلامهِ وتحقيق امانيهِ . ثم مات الخليفة واستأثر صلاح الدين بالسلطة والحكم ورأى ذلك الملك العادل فكبر عليهِ الامر واجتمع باخيهِ ولامهُ على ما فعل لانهُ يشين اسمهما وصيتهما فضلاً عن انهُ ينغص عيش ابيهما الشيخ ويغض من كرامتهِ . وذكَّر اخاهُ منن سيدهما نور الدين الذي مهَّد لهما سبيل الارتقاء الى هذا المقام السامي

" ولما رآهُ مصرًّا على عزمهِ وغير مبالٍ بنصائحهِ وتوسلاتهِ تركهُ وشأنهُ ووجه اهتمامهُ الى محاربة الصليبيين . ولا حاجة الى وصف ما ساقهُ الى ارض فلسطين وسكانها من الاجتياح والاكتساح اذ لم تصدهُ الحصون والقلاع ولا أرهبتهُ الجيوش والفيالق بل كان كما لقبهُ شعبهُ اسد النزال وصاعقة القتال . وفي تدمير الرملة وطبرية ودك طرابلس وبيت لحم وتدويخ عكاء وبيت المقدس ما ينبئ عن ذلك بمزيد الجلاء ويدل على ما نحن فيهِ من البؤس والشقاء "

ثم انقضت عدة ايام لم يقدر فيها رئيس الاساقفة ان يزور الاميرتين الا في ساعة الصلاة فانقطع عن تتمة حديثهِ لهما وكان في ما بقي من وقتهِ مشغولاً اما مع الملك العادل الذي سألهُ ان يطلعهُ بالتفصيل على عوائد اهل اوربا وشرائعهم واخلاق ملوكهم وعظمائهم او في عيادة المرضى والجرحى من الاسرى . وكان يقضي كل يوم ساعة او ساعتين عند مونمورانسي الذي كانت جراحهُ تنذر بالخطر على حياتهِ وهو صابر على آلامها صبر الكرام . على ان العناية الشديدة التي بذلت بهِ تغلبت اخيرًا على الخطر فأزالتهُ شيئًا فشيئًا واخذت تظهر عليهِ علامات البرء والشفاء . وقد سرَّ الملك العادل بهذا الخبر لانهُ كان قد رأى من مونمورانسي بطلاً مغوارًا فسرَّ ببشرى ابلالهِ ولو كان من اعدائهِ

ولما سنحت للملكة فرصة أخرى سألت رئيس الاساقفة ان يطلعها على ما فعلهُ نور الدين سلطان دمشق بصلاح الدين جزاء خروجهِ عليهِ في مصر فقال :—

" بينما كان الملك العادل يوقع بنا صنوف الويل والخراب كان نور الدين يتأهب للزحف على مصر والاقتصاص من صلاح الدين . وبعد ما خرج لطيتهِ ادركتهُ المنية وحالت دون ادراكهِ لهذه الامنية وخلا الجوُّ لصلاح الدين من كل جهة . ثم تزوَّج ارملة نور الدين ونال بهذا الاقتران زيادة المنعة في ما أخذهُ من السلطة والسيادة . وانقطع اخوهُ الملك العادل عن مجافاتهِ . ومن تلك الساعة تثبت عرشهُ واصبح حائزًا بجميع دول المشرق المتحدة

" وقد تكلل الصلح بين هذين الاخوين بغزوات عديدة وفتوحات مجيدة كالموصل ودمشق وحلب ولم يثبت على قدم الدفاع في وجههما سوى بيت المقدس . على ان المنازعات الاهلية التي ثارت بين سكانها اوجبت الخوف عليها لأن اموري كان قد مات ولم يقدّر لبودوين المنكود الحظ ان يعيش بعده طويلاً فمهّدت شقيقته الكبرى سيبل طريق الجلوس الى عرش القدس لزوجها لوسيان لانها هي الوارثة الشرعية . ولكنّ كثيرين من الامراء اصحاب المدن الخاضعة لمملكة بيت المقدس لم يبايعوه وقام منهم كونراد مركيز دي مونفرات وادّعى حق الملك لنفسه وعضده ريموند صاحب طرابلس واوشكا ان يزيلا لوسيان من موقفه لولا تحنه وصلابة وجهه وشدة دهائه . ولما خاب كونراد من الحصول على ما اراد تهدّد الصليبيين بالانحياز الى صلاح الدين ان لم يكرهوا لوسيان على ترك عرش القدس

" وفي تلك الاثناء استدعاني لوسيان اليه ونصّ عليّ تفصيل الشقاق الحاصل والنزاع الواقع واشار الى ما نتج عن ذلك من ضعف العزائم وفتور الهمم وانذرني بسوء مصيرنا ان لم نسرع الى التلافي والتدارك وطلب مني ان اذهب الى بلاط صلاح الدين في دمشق واسعى بالحصول على هدنة بشروط موافقة

" وقد اجبته الى ما طلب مع شدة احترازي من أن اتهم بالتحزّب له والانحياز اليه . لاني مع عدم احترامي لصفاته لم يسعني الاّ الاعتقاد بانهُ اقدر من سواه على ارجاع السلام الى هذه المملكة المتداعية

" وقد قوبلت في دمشق باحتفاء واكرام لا مزيد عليهما ودُعيت يوم وصولي الى المثول امام السلطان صلاح الدين في سرادقه الخالي من كل مظاهر الزخرفة والتأنُّق والتنعُّم . وكان صلاح الدين نفسهُ ممتازاً عن رعاياه بشدة بساطة ملبسه . ولما رآني حياني مبتسماً واكرم اخوه مثواي وقال لي : —

" ان مجيئك الينا ايها الاب المحترم دليل على ميلكم الى المساهلة والاخلاص بالوعد فاعرض مقترحاتك على اخي فينظر فيها وانا أُعقب عليها بما يبدو لي . واننا مسرورون جدًّا من المعاملة الحسنة التي تعاملون بها اسرانا . وان حنوّك ومحبتك شاملان جميع من هم في حاجة اليهما . ولهذا سوف تلقى في بلاط اخي من حسن الرعاية وكرم الوفادة ما أنت خليق به ومن يزرع خيراً يحصد ثناء وشكراً ومن يكن نظيرك يجب ان يكون له اصدقاء كثيرون "

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٤

رثاء الشيخ ابرهيم اليازجي

لصديقهِ الاستاذ ابرهيم الحوراني

أَضحى البسي حالك الدياجي واخلعي ... حلل الشعاع على كواكب مدمعي
لا تلمعي ودعي الشروق لأَنهُ ... غربت اشعة ذي الضياء الالمعِ
نعت النعاةُ ولم اثِق اذ لم يزل ... في ناظري وحديثهُ في مسمعي
كيف التفتُّ أَراهُ مبتسماً على ... عهدي بهِ فكأَنهُ يحيا معي
صورٌ بها انسى البلية لحظةً ... تمحى فيتلوها اشدُّ تفجُّعِ
ياليت أَخيلةَ السلوّ حقيقةٌ ... فأُبشّرَ الدنيا بحيا من نعي
نفذ القضاء فما الخيال بدافعٍ ... جاءَت جهينة باليقينِ الموجعِ
سبحَتْ بابراهيم سابحة النوى ... في اللججِ من عبراتِ كلّ مشيعِ
لم يبقَ بعد اليازجيّ لرائدٍ ... من نجعةٍ غير السُّرى في البلقعِ
عُقد اللسان عن البيانِ وعقدهُ ... نثِرت فرائدهُ الحسانُ كأَدمعي
لك يا ابا البلغاء معجز منطقٍ ... في طرسِ ما كتبت يمينُ المبدعِ
لك يا ابن ناصيف بن عبد الله في ... نسبِ العلا آيُ الدليل المقنعِ
اشقيقَ وردةِ شامنا ذكر اسمكم ... وردٌ حديقتهُ بوادٍ ممرعِ
أَأَخا الخليل العينُ سال عبابها ... فتولد القاموسُ من ذا المنبعِ
لم أَبككم لكن بكيتُ بكم على ... قلب بسيف بعادكم منقطعِ
ولهان ودّعت الحياة وطيبها ... اسفاً على من سار غير مودّعِ

جهد البلاء قضى بذا ورضيتهُ ... يرضى الوجيع من المصاب الاوجعِ

يانفس يوم الجمع يوم الملتقى ... بالصحب بعد تفرُّقِ التجمعِ

لم تفنَ تلك الذات لكن غيرت ... صوَرُ المركبِ من فتات البرمعِ

دفنوا حجاب النفس في جوف الثرى ... والنفس حلت بالمحلِّ الارفعِ

والو البلاغة والنهى دفنوهُ في ... جدث تحيط بهِ حنايا الاضلعِ

ياذا اليقين غدًا اراك فما بقى ... اهل الشكوك على سوى المتزعزعِ

قالوا الممات من الحياة وما دروا ... ان الحياة من الممات الانجعِ

ما ذا تخيل شاعرٍ بل حكمة ... نزلت على روع الحكيم الاروعِ

فالحبُّ ينبت بعد ما يبلى اما ... تحيي بعد ذهابهِ من مزرعِ

غربت لتطلع شمس طلعتكم ألا ... ان الغروب السير نحو المطلعِ

ما ميتة الانسان الا رقدةٌ ... فقيامة الموتى انتباهُ الهجّعِ

ومعادنا كالحتف يحدث مرّة ... ما للتناسخ عندنا من موضعِ

ان الخلود حقيقة ازليّةٌ ... نفي النفاة لها هباءة زعزعِ

لم ينفها العلم الحديث واُثبتت ... في مجمع العلم القديم المجمعِ

اذوي الحجى دون الحقائق برقعٌ ... والكل يجهل ماوراء البرقعِ

لو اسفرت هان الردى وبدا لنا ... حزن الضريح الصعب سهلَ المضجعِ

وعلامَ لا نهوى شَعوبَ وحبها ... لأُلي الاسى طبع بغير تصنعِ

يوم الولادة للمنيَّة مشرعٌ ... والعمر مدّة وِرْدِ ذاك المشرعِ

يأتي الوليدُ الى بسيطةَ باكيًا ... فكأنهُ قد ودَّ لو لم يوضعِ

وكأنهُ ميتٌ بلا كفنٍ وقد ... خيطت لهُ كفنًا ثياب الرضعِ

قل ياخبيرُ لمن يريدُ سعادةً ... في الارض تطلب مستحيلاً فاربعِ

كم من عزيزٍ ذي غنىً وكرامةٍ ... حسد الصريع على صريع المصرعِ

لله سرٌّ في البرية ما طوى ... من نهجهِ الحكماء عرض الاصبعِ

لو شمت لمحة بارقٍ من كنههِ ... لكشفتُ اسرارَ الجهات الاربعِ

اني جهلتُ فكان غيث مدامعي ... جودًا وما في الجوّ غيرُ اليلمعِ

ياساكن الرمس الذي اقصيتهُ ... ودنا بطيّب نشرهِ المتضوّعِ

اعطيت مصر النفس غير مطالبٍ ... فتمسكت بنزيلها المتبرعِ

شربت هوى النيلين مصر فغيبت اصفاها في قلبها المتصدع
يامصرُ أبكارُ العلوم استودعت أنقى صعيدكِ أنفسَ المستودَعِ
فستاهُ قطر الشام قطر نجيعهِ من مقلتيهِ وقال يا ارض ابلعي
ودجاهُ قال لاعين ترعى السها اسماءَ طوفانِ الاسى لا تقلعي
أنظم الرثاءَ فيامطوَّقة اسجعي وسلاف احزاني اجرعيهِ ورجعي
امسيت بعد ضيائهِ احيي الدجى بين الغوارب والنجوم الطلَّعِ
وشغلت اسحاري بسمع حمائمٍ تبكي هديلاً غائبًا لم يرجعِ
وعلى غريب الدار تحت فأرّخوا ناح الاسيف على غريب المربعِ ١٩٠٦
وشجرت شدوي والسرورَ ختمتهُ بغموم تاريخي وفاة اللوذعِ ١٣٢٤

مظفر الدين شاه

وبلاد ايران

تقضى هذا الملك العادل بعد ان وهب أُمتهُ حكومة دستورية . فعل ما لم يفعلهُ اكثر الملوك الدستوريين الاَّ تحت صليل السيوف ودوي المدافع فابقى لهُ أطيب ذكر في قلوب رعيتهِ

وُلِدَ في الخامس والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٥٣ وخلف اباهُ ناصر الدين شاه في مايو سنة ١٨٩٦ فلم يمتَّع بالملك سوى عشر سنوات وبضعة اشهر . ومملكتهُ من أقدم ممالك المشرق أسَّسها قورش المادي وعزَّزها داريوس وزركسيس . وهو الشاه السادس من بيت قاجار الذي رقي الى سرير الملك سنة ١٧٩٤ بعد حروب اهلية دامت خمس عشرة سنة

واحتفل بتتويجهِ في الثامن من شهر يونيو سنة ١٨٩٦ فخاطب وزراءهُ وكبار رجال دولتهِ حينئذٍ قائلاً " بدء كل عمل حمد الله وشكرهُ على نعمهِ السابغة فنشرع بحمدهِ ونستعين بهِ ونكل أمورنا اليهِ في قيامنا بهذا العمل العظيم وهو ادارة بلاد فارس وحماية الاسلام . ونرجو أننا بمعونة الله القدير نحتفظ برعايانا الذين هم وديعة الله في يدنا ونسوسهم بالعدل ونوردهم موارد السلام ونبذل جهدنا في اسعادهم وفي حفظ الروابط الوديَّة بين مملكتنا وسائر الممالك " انتهى نقلاً عن كتاب "ملوك الناس" الموضوع باللغة الانكليزية . وفي هذا الكتاب ان لورد كرزن حاكم الهند وصفهُ قبل ان وُلِّي عرش الملك فقال ان لهُ معرفة بالتاريخ والماماً بعلم النبات وهو أنيس المحضر لين العريكة بعيد عن الدعوى وحب الترفع ميال الى طريقة الشيخية

عن تديُّن لا عن تعصُّب . وان المستر جون فورستر فريزر الذي طاف حول الارض ومثل لدى الشاه مراراً قال انهُ كثير الاهتمام بالمسائل السياسيَّة الاوربيَّة يستغرب انقطاع ملوك اوربا عن الاهتمام بها وتركهم الفصل فيها لوزرائهم . انتهى

وقد كانت اقامتهُ وهو وليُّ للعهد في مدينة تبريز والياً لولاية ازربيجان . واغتيل ابوهُ سنة ١٨٩٦ فاسرع الى طهران وخاف في اول الامر من أخويهِ ظل السلطان والي اصفهان ونائب السلطنة الذي كان وزير الحرب ولكن انكلترا وروسيا عضدتاهُ دفعاً لما ينجم عن الشقاق من الحروب الاهليَّة وبادر الجنرال قوزاقوسكي الروسي قائد قزاق الفرس واستلَّ سيفهُ ووقف في صدر الحفلة التي اقيمت لتنصيبهِ على تخت الملك

ووعد شعبهُ حينئذٍ بانَّ خطط الحكومة والالقاب والاوسمة الملكيَّة والحربية لم تعد تعطَ الَّا لمستحقيها ولا يباع شيءٌ منها بالمال. لكن دخل الحكومة كان قليلاً ونفقاتها كثيرة فشعرت بالضيقة المالية حالاً واضطرَّ ان يقترض الاموال من روسيا ويتركها ديناً على البلاد . وعزل امين السلطان وزير ابيهِ واقام مكانهُ امين الدولة فوعد باصلاح الاحكام وكتب لائحة بالاصلاح الموعود ولكنهُ لم يخرجهُ من القوة الى الفعل . واشتدَّت الضيقة المالية ثانيةً فعزل امين الدولة واعاد امين السلطان واعطاهُ لقب اتابك وامرهُ بتدبير المال اللازم لنفقاتهِ ونفقات الحكومة فلجأَ الى انكلترا وكاد يعقد قرضاً فيها مقدارهُ مليون ومئتا الف جنيه ورهن لهُ دخل الجمارك في جنوبي مملكة ايران ولكن لورد سلسبري لم يقبل بذلك فاضطرَّت ايران ان تلجأَ الى روسيا واقترضت الاموال منها ومن ثم رجحت السياسة الروسية في طهران على السياسة الانكليزية ونتج عن ذلك ان تقيدت دولة ايران بقيود قد تمنعها من الارتقاء مثل انها لا تنشئُ سككاً حديدية في بلادها ولا تسمح لاحد ان ينشئَ فيها سككاً حديدية ما لم ترضَ روسيا بذلك . واعطيت الامتيازات كلها لتجار الروس وهم عاجزون عن ان يصلحوا بلادهم فكيف يصلحون بلاد غيرهم

وزار اوربا سنة ١٩٠٠ وقوبل في بطرس برج باحتفال عظيم واتى باريس لزيارة معرضها وهجم احد الفوضويين على مركبتهِ قاصداً الايقاع بهِ فقابلهُ بجنان رابط وشجاعة امتاز بها بيت قاجار . وسُرَّ سروراً عظيماً بزيارتهِ لاوربا فاعادها على كثرة ما تقتضيهِ من النفقات . وبعث اليهِ ملك الانكليز وفداً خاصاً بنشان الغارتر وفي اليوم الذي قلد فيهِ بهذا النشان اعلنت روسيا انها اتفقت مع ايران اتفاقاً تجاريًّا يضرُّ بمصالح انكلترا

وظلت المناظرة على شدتها بين الروس والانكليز في بلاد ايران الى ان نشبت الحرب

بين الروس واليابان وشغلت بها روسيا فمالت كفة السياسة الى جهة انكلترا . ثم لما أحكمت الصلات بين روسيا وانكلترا بعد الحرب قلّ التنافر بين مصالحهما . والدولتان تتناظران لترويج مصالح رعاياهما في بلاد ايران قصد الكسب التجاري كما لا يخفى ولكن الكسب التجاري قد لا يكون منهُ ضرر بل قد لا يكون منهُ الاّ النفع اذا ساعد التجار اهاليَ البلاد على استثمار خيراتها وتعليم اهاليها

وقد ظهر لنا من محادثة بعض الايرانيين انهم عالمون بمصلحة بلادهم غير راضين عن بقاء احوالها على ما كانت عليهِ لا سيما وانهم اهل تجارة وقد جابوا الاقطار وعرفوا ما ينفع البلاد وما يضرها . وقيل لنا ان ائمة الدين ليسوا اقل من التجار تنوّرًا وان بعضهم درس في المدارس الاوربيّة ولذلك كثرت شكواهم من تأخر البلاد وبلغ من امرهم في الصيف الماضي ان جاهروا بمقاومة الشاه ولما عجزوا عن ان ينالوا منهُ شيئًا انطلقوا الى كربلاء وأُقفلت الاسواق وخاف الناس سوء العاقبة فلجأ التجار منهم الى السفارة البريطانية فرأى الشاه من الصواب ان ينقاد لمطالب الامة فعزل وزيرهُ عين الدولة ومنح البلاد حكومة دستورية ومجلس نواب انتُخب اعضاؤهُ في شهر سبتمبر الماضي واجتمعوا الاجتماع الاول في ١٢ اكتوبر وافتتح هذا المجلس بنفسهِ ولقي حينئذٍ من شعبهِ كل دلائل الطاعة والولاء

وكان من اول اعمال المجلس انهُ اعترض على اقتراض الاموال من اوربا حاسبًا ان الامة تنشىء بنكًا اهليًا يقرض حكومتها المال اللازم لها ولكنهُ لما اراد الانتقال من الاقوال الى الافعال وجد ان الامة لا تهتم بذلك او لا تستطيعهُ . ولا بدّ من ان تمرّ السنون وتُستثمر موارد الثروة وينتشر العلم في البلاد قبلما يصير اهلوها قادرين على الاستغناء عن الاجانب

وكان مصابًا بداء في كليتيهِ فجاءت هذه الاحوال مقوية للداء لانها زادت قلقهُ فدُعي لهُ مشاهير اطباء طهران في شهر اكتوبر الماضي فتشاوروا واتفقوا على نوع المرض وعلى انهُ مصاب ايضًا بداء الاستسقاء . واشتدّ الاستسقاء عليهِ في شهر نوفمبر فمنعهُ اطباؤهُ عن المآكل الجامدة واقتصروا على تغذيتهِ بالمآكل السائلة . واتى طهران حينئذٍ طبيب الماني مشهور بمعالجة هذا الداء اسمهُ الدكتور دمتش فاضطرّ الشاهَ الى البقاء في قصرهِ وعدم الخروج منهُ وكان يُجبَر على الخروج يوميًّا اقناعًا للشعب انهُ في قيد الحياة وعلى تمام الصحة . واباح لهُ اكل المآكل الجامدة فاصطلحت حالهُ في اواسط نوفمبر وظُن حينئذٍ ان الخطر زال تمامًا او تأخر طويلاً ولكن لم يفرغ الشهر حتى اشتدّ الاستسقاء عليهِ وبقي جسمهُ يغالب الداء الى ان غلبهُ الداء في الثامن من يناير الماضي الساعة الحادية عشرة ليلاً واعلن ذلك في الصباح التالي

والحال جاء ولي عهده الامير محمد علي مرزا الى القصر وبايعهُ الامراء والعلماء وكبار رجال الدولة

وسيبقى اسم مظفر الدين شاه مذكورًا في تاريخ ايران بانهُ منحها حكومة دستورية نيابيَّة تستطيع ان ترقى بواسطتها الى اعلى مراتب الدول العظيمة

وبلاد ايران شرقي بلاد الدولة العلية طولها من الشمال الى الجنوب ٧٠٠ ميل ومن الشرق الى الغرب ٩٠٠ ميل ومساحتها نحو ٦٢٨٠٠٠ ميل مربع وكثير منها قفار قاحلة وسكانها قلال جدًّا فلا يصيب الميل منها ١٦ نفسًا · وقد قدّر عدد سكانها سنة ١٨٨١ سبعة ملايين و٦٥٣ الف نفس · سكان المدن منهم نحو مليونين والقبائل الرحَّل نحو مليونين والباقون يسكنون القرى والارياف · ويقدر عدد السكان الآن بنحو عشرة ملايين من النفوس

والعاصمة طهران وفيها نحو ٢٨٠ الف نفس وتتلوها تبريز وفيها مئتا الف واصفهان وسكانها نحو سبعين الفًا ومن امهات مدنها مشهد وقرمان ويزد وشيراز وهمذان وقزوين وكلها اسماء مشهورة في كتب العرب لخروج كثيرين من العلماء والائمة منها

واكثر اهالي ايران على مذهب الشيعة وفيها قليل من الفرس واليهود والارمن والنساطرة

وفي البلاد كثير من المدارس يتعلم فيها الطلبة قواعد الدين والفارسيَّة والعربيَّة وبعض العلوم الابتدائيَّة · وفي طهران مدرسة صناعية فتحت سنة ١٨٤٩ اساتذتها من الاوربيين وفيها ايضًا مدرسة حربيَّة وفي تبريز مدرسة أُخرى ويدير الاولى استاذ ايراني درس في برلين وفيها مئة طالب · وفي طهران وغيرها من المدن مدارس ابتدائية كثيرة تحت ادارة نظارة المعارف . وسنة ١٩٠٠ فتحت في طهران مدرسة لتعليم فنون السياسة

وكان دخل الحكومة سنة ١٨٩١ نحو مليون و٧٧٥ الف جنيه ولكن لما صارت الحكومة مضطرة ان تدفع الاموال لأُوربا ذهبًا ودخلها من رعاياها فضة بلغت قيمة دخلها مليونًا و٣٢٧ الف جنيه فقط سنة ١٩٠٤ لان الحكومة تتقاضى الاموال من الاهالي فضةً وتدفع ربى دينها وثمن ما تشتريهِ من اوربا ذهبًا فينقص دخلها على حسب نقص قيمة الفضة . ولكن اصلحت ادارة البلاد منذ سنة ١٩٠٣ اصلاحًا يمنع الزيادة في نفقات الحكومة والنقص في دخلها وينتظر ان لا تزيد النفقات على الدخل بعد الآن . ونصف دخل الحكومة من الجمارك والمصايد والمعادن والبوسطة والتلغراف والنصف الآخر من الضرائب المفروضة على الاهالي · وتدفع الحكومة ربًا لدينها خمسة في المئة كما كانت مصر تدفع قبل الاحتلال

وجيش ايران ١٣٠ الفًا ولكن الجيش العامل لا يزيد على ثلاثين الفًا وهو مقسوم الى اثني عشر فيلقًا عدد رجال كل فيلق من ٥٠٠٠ الى ١١ الفًا ولكل فيلق منها سردار خاص

به . ولايران سفينتان حربيتان صغيرتان قوة آلة احداها ٤٥٠ حصاناً وفيها اربعة مدافع صغيرة قطر فوهة المدفع منها ثلاث عقد وقوة آلة الاخرى ٣٠ حصاناً والسفينتان تابعتان لادارة الجمارك لمنع التهريب

والبلاد زراعية يصدر منها القمح والشعير والارز والاثمار المختلفة والعقاقير الطبية والصوف والقطن والحرير والجلد والافيون

وصدر منها سنة ١٩٠٤ من الحرير والمنسوجات الحريرية ما ثمنهُ مليون و٢٣٧ الف جنيه ومن الافيون ما ثمنهُ ٣٠٠ الف جنيه ومن صمغ الكثيراء ما ثمنهُ ١٢٠ الف جنيه ومن التنباك ما ثمنهُ ٣٠ الف جنيه ومن القطن والمنسوجات القطنية ما ثمنهُ ٤٤٢ الف جنيه ومن الصوف ما ثمنهُ ١٧٣ الف جنيه ومن البسط ما ثمنهُ ٤٠٧ آلاف جنيه ومن اللؤلؤ والحجارة الكريمة ما ثمنهُ ٦١ الف جنيه

وفي البلاد كثير من مناجم الرصاص والنحاس والقصدير والانتيمون والنكل والتوتيا والمنغنيس والبورق . والحديد كثير جدًّا فيها ومعادنهُ غنية وفيها فحم حجري جيد قرب طهران وفيها النفط وزيت البترول ويكثر فيها الفيروز

ومراكز تجارتها في تبريز وطهران واصفهان ولها تجارة واسعة مع اوربا . وقد بلغت قيمة صادراتها ووارداتها سنة ١٩٠٤ نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات واكثر تجارتها مع روسيا وانكلترا

وفيها سكة حديدية طولها ستة اميال من طهران الى شاه عبد العظيم فتمت سنة ١٨٨٨ وهي لشركة بلجيكية وسكة للمركبات بين طهران وكوم وطولها ٩١ ميلاً وبين طهران ورشت طولها ٢٢٠ ميلاً . وسكة للقوافل بين الاهواز واصفهان وسكك اخرى يسهل السير فيها ولكنها لا تقوم مقام السكك الحديدية في تسهيل التجارة واستثمار خيرات البلاد

ونظام التلغراف فيها حسن فان فيها نحو عشرة آلاف ميل من اسلاكهِ و١٣٠ مكتباً لهُ

وادخل نظام البوسطة اليها سنة ١٨٧٧ ادخلهُ رجل نمسوي في خدمة حكومة ايران وكان دخلها يضمن ضماناً فأبطل ذلك سنة ١٩٠٢ واضيفت ادارة البوسطة الى ادارة الجمارك . ويظهر لنا من انتظام وصول جرائدنا وكتبنا اليها ان نظام البوسطة على ما يرام

والبلاد كثيرة الخيرات واهلها على غاية الذكاء والنشاط وكان لاسلافهم شأن عظيم وقد زال الاستبداد الذي اخنى عليهم واضعفهم فيرجى ان يعودوا الى سابق مجدهم ويصيروا بلادهم من اغنى بلدان المشرق واوسعها عمراناً

ولا تذكر بلاد ايران ومدينة طهران الا ويخطر على البال غنى ملوكها وما في قصورهم من

التحف والحجارة الكريمة . اما الغنى فلم يعد احد يصدق بهِ ولا من الايرانيين انفسهم على ما سمعناهُ من الذين ذاكرناهم في هذا الموضوع من وجه الايرانيين

واما التحف والجواهر فكثيرة عندهم قالت مسز بشوب في رحلتها في ايران وكردستان (على ما في كتاب ملوك الناس) انها دخلت دار الكنوز في قصر طهران فرأتها غرفة فسيحة كثيرة النقش فيها مائدة مغطاة بالذهب حولها صناديق من الزجاج على موائد من المرمر . وفي هذه الصناديق جواهر الشاه وكنوز المملكة من اللؤلؤ والماس والياقوت والزمرُّد والصفير والاسلحة القديمة المرصعة بالجواهر الكريمة من التروس والسيوف والخوذ والدروع وفيها كلها من حجارة الماس والياقوت والزمرد واللؤلؤ ما يفوق الوصف حتى ان الناظر اليها يظن انهُ في حلم لا في يقظة

وهناك صندوق فيهِ كل نياشين الشاه مرصعة بالحجارة الكريمة وصناديق كثيرة طول الصندوق منها قدمان او ثلاث وعرضهُ قدم او اكثر وهي مملوءة باللآلىء وحجارة الياقوت والماس والصفير والزمرد تتألق بالوان شتى . والجواهر مكومة كوماً كأنها عرم الشاي او الارز . وهناك كرة من الذهب قطرها عشرون عقدةً تدور في منطقة من الذهب ومنطقة خط الاستواء ومنطقة البروج مرصعتان بحجارة الماس الكبيرة والبلدان محدودة على الكرة بحجارة الياقوت واما بلاد ايران فحدودها من الماس والاوقيانوس مرصع بالزمرُّد . وكأنَّ هذا لا يكفي لاظهار الابهة والمجد فترى حولها كوماً من النقود الذهبية كل قطعة منها تساوي ثلاثة وثلاثين جنيهاً

ولا مشاحة في صدق هذه السيدة وفي ان قصور ايران من افخر قصور الملوك وفيها من الجواهر والتحف ما يعز وجود نظيرهِ ولكن ما هي هذه الجواهر وهذه التحف بالنسبة الى غنى الممالك وما قيمة النقود الذهبية ولو كوّمت كوماً بالنسبة الى غنى الاغنياء من الاوربيين الاميركيين فان غنياً واحداً من اغنياء اميركا يستطيع ان يشتري كل تحف شاه ايران بدخل سنة واحدة من امواله . والغنى الحقيقي هو غنى البلاد والثروة الحقيقيَّة هي ثروة الامة . بلاد مثل ايران لا يبلغ دخل حكومتها السنوي مليونًا ونصف مليون من الجنيهات لا يحقُّ لها ان تعدَّ بين الممالك الكبيرة ولا بين الممالك الغنيَّة فان مصر على صغرها يبلغ دخل حكومتها السنوي عشرة اضعاف ذلك . ومن الاغنياء من دخلهُ السنوي ضعفا ذلك او ثلاثة اضعافهِ ولكن اذا صلحت احوال البلاد واستثمرت موارد ثروتها حتى صار دخل حكومتها السنوي عشرة ملايين من الجنيهات او اكثر وصارت قيمة صادراتها وارداتها عشرين او ثلاثين مليونًا فحينئذٍ يقال انها دخلت في مصاف البلدان الغنية

المفاضلة بين الشعراء

لامراء انهُ ما تعدَّد اهل صناعةٍ ما او اهل علمٍ ما في عصرٍ من الاعصار او امةٍ من الامم حتى لهج الناس باسم الموازنة بينهم وحمل لواءَ كلٍّ منهم جماعة وصار كل فريق يقدّم صاحبهُ ويدّعي لهُ الافضليَّة على سائر اهل فنهِ او صناعتهِ فاشتدَّ التنازع بينهم واتَّسعت مسافة الخلاف حتى خفضوا من خفضوا واعلوا من اعلوا ذاهبين في ذلك مذاهب اغراضهم او مذاهب اذواقهم ولكن قلَّ بينهم من بنوا احكامهم على بيناتٍ تثبت اذا عصفت بها الحجج وهبَّ عليها زعازع (١) البحث واكثر ما ترى ذلك متى تولَّى المفاضلة من لم يستنيروا بنور العلم او من هم عبيد الاغراض واسرى الاهواء · فهنالك يعلو الصياح ويرتفع ضجيج الجدال ويخيّم غبار الاهواء على البصائر حتى ما ترى للمفضول حسنةً ولا للفاضل سيئةً . وقد يتمادى كلٌّ في اطراء صاحبهِ والغضّ من صاحب مجادلهِ الى حدّ ان يقول المنتصر لهُ أقصروا فقد البستموني ثوبًا اطول من قامتي واعرض من حجم جسمي · سنَّة الدهر في مدح الاغرار واهل المآرب

ولما كان أُدباء العصر بل العوامُّ من اهلهِ كثيرًا ما يخوضون لجج هذا البحث كما خاض الذين من قبلهم عنَّ لي ان اتجه صوبهُ فانشأْت هذه المقالة ابيّن بها كيف يفضل الشاعرُ الشاعرَ ذاكرًا وجوه المفاضلة وفاتحًا ابواب الموازنة آملاً انها ترشد من ضلال . وتهدي الى سداد · حتى اذا حكم ذو علمٍ ان زيدًا اشعر من عمرو لا يكتفي بنظرةٍ اجمالية بل يطيل نظرهُ في قصائد الاثنين ثم يحكم ايهما اشعر ولكن بادلَّة لا يبطلها بحث محقق ولا يجرحها تنقيب مدقق

تمهيد

قبل الافاضة في بيان وجوه المفاضلة اقول لا بدَّ لمن شاقهُ ان يعرف ايّ الشعراء اشعر ان ترسم في فكرهِ حقيقة الشعر كما ترتسم فيهِ صور الكائنات المنظورة فمن ارتسم في لوح ذهنهِ صورة الفهد والذئب والسبع مثلاً فايَّان رأى الواحد منها او رآها كلها عرفها بمقابلة صورها يوم تمرُّ بهِ بما كان قد انطبع لها من الصور على صحيفة ذاكرتهِ

اما الشعر فهو خيالات فكرية تلبس البرود البهيَّة حتى تكاد تبرز بها اجمل من الغادة الهيفاء في انخر ملابس الثراء فهو يجسم المعنويات ويمثل الحالات ويصوّر الموصوفات فاذا

(١) الزعازع رياح شديدة الهبوب تقلقل الاشياء

كلفتُ الشاعر وصف بستانٍ كدت ترى الوان زهرهِ وخضرة شجرهِ ولدونة غصونهِ وشهي ثمارهِ حتى لتظنك واقفاً فوق ذلك البستان تسمع تغريد اطيارهِ وتتنسم نفحات ازهارهِ وتخال الشاعر قد صوّر البستان في ابيات زهريتهِ على حدّ قولهِ

ما زالتِ الاوراقُ توجد في الريا ض وقد أراني الروضَ في الاوراقِ

ومن هذا الباب قول ابن الوردي

واصباغ الوانٍ واحداق نرجسٍ وقاحُ ابتْ اجفانها ان تغمضا
وقامات اغصانٍ رشاقٌ تعانقت فنثورُ منظوم الازاهر قد أضا
وشقّ الشقيقُ عنهُ ثوباً كثا كلٍ عليها ثيابٌ للدما ليسَ تنتضى

ومنها على جانبيهِ الدوحُ لا بل عرائسٌ تروم لنثر الدرّ ان تتنفضا

ولصفيّ الدين الحلي زهرية لطيفة منها

وردَ الربيعُ فمرحباً بوُرودهِ وبنورِ بهجتهِ ونَوْرِ ورودهِ
وبحسن منظرهِ وطيب نسيمهِ وأنيقِ ملبسهِ ووشيِ برودهِ

ولابي فراس الحمداني

ويومٍ جلا فيهِ الربيع رياضهُ بانواع حليٍ فوق اثوابهِ الخضرِ
كأن ذيول الجلنارِ مطلّةً فضولُ ذيول الغانيات من الأُزرِ (١)

ولابن الساعاتي

والطلُّ في سلك الغصون كلؤلؤٍ رطبٍ يصافحهُ النسيم فيسقطُ
والطير تقرأُ والغديرُ صحيفةٌ والريح تكتبُ والغمام ينقّطُ

واذا وصف لك معركةً فكأنما اراك الجيشين بين الكرّ والفرّ والهجوم والدفاع والسيوف مساولة والدماء متفجرة واسمعك صهيل الخيل وغمغمة (٢) الابطال ودويّ الرصاص ومثّل لعينيك المدافع ترسل قذائف المنايا تحطّم الاعضاء وتخطف الارواح وذلك كقول ابن هانئ من قصيدةٍ

فُتقت لكم ريحُ الجلاد بعنبرٍ وامدّكم فلقُ الصباح المسفرِ
وجنيتمُ ثمرَ الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الاخضرِ

ومنها . ومشوا على قطع النفوس كأنما تمشي سنابك خيلهم في مرمرِ

وللقاضي ابن عطية في وصف معركةٍ ابيات تمثّل الجيشين يتقاتلان فمن يقرأها او يسمعها منشدةً يخيّل اليهِ انهُ على ربوةٍ تطلّ على حومة الوغى وهي

---

(١) الجلنار زهر الرمان (٢) الغمغمة اصوات الابطال عند القتال

كم صدمةٍ لك فيهم مشهورةٍ غصّ العراقُ بذكرها والشام
في مأزقٍ (١) فيه الاسنّة والظبي برقٌ ونقع (٢) العاديات غمامُ
والضربُ قد صبغ النصولَ كأنما يجري على ماء الحديد ضرامُ
والطعنُ يبعثُ النجيع (٣) كأنَّما تنشقُّ عن زهر الشقيق كمامُ (٤)

وان وصف ظالمًا يفتك بمظلوم مثّل لك سبعًا ضاريًا يفترس شاة جمَّاء. وان استجار اراك ضعيفًا يصرعه قويّ او عصفورًا انقضّ عليه نسر او ثعلبًا وثب عليه اسد فيثير بذلك نجدتك ويستصرخ حميتك . ومن احسن ما ورد من ذلك قول الشاعر

اذا كان ذئبُ الغاب يرعى نعاجهُ كتبتُ على اعناقها الدائمُ اللهُ

فلا اوقع في النفس من هذا البيت في بابه فهو يريك الظالم ذئبًا والمظلوم نعجةً ولو ان رافائيل المصوّر الشهير الذي يتغالى العظماء في اشتراء ما ترك من الصور البديعة لقي صاحب هذا البيت لاعترف لهُ بمزيّة التقدم في التمثيل

ومن جيّد ما قيل في الاستجارة والاستجداء هذان البيتان المشهوران

أيغدرني الزمان وانت فيهِ وتأكلني الكلابُ وانت ليثُ
ويروى من حياضك كل صادٍ واعطش في حماك وانت غيثُ

وان استعطفك صوّر لك حالةً تثير كامن الرحمة وتدعو الى الشفقة دعوةً تليّن القلوب الصلدة واراك نفسهُ على حاجةٍ لا تستريح النفس الشريفة الّا بسدّها وذلك كما قال الحطيئة

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ حُمر الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ

وان وصف المحاسن استحسنت وصفهُ على عروس شعرهِ من ذلك قول ابن معتوق.

خفرت بسيف الغنج ذمة مغفري وفرت برمح القدّ درع تصبري
وجلت لنا من تحت مسكة خالها كافورَ فجر شقّ ليل العنبرِ
وغدت تذبّ عن الرضاب لحاظها فحمت علينا الحورُ وردَ الكوثرِ
ودنت الى فمها أراقم فرعها فتكفّلت بحفاظ كنز الجوهرِ
يا حامل السيف الصحيح اذا رنت اياك ضربة جفنها المتكسّرِ
وتوقّ يا ربّ القناة الطعن إن حملت عليك من القوام باسمرِ

(١) المضيق وموضع الحرب (٢) الغبار (٣) الدم (٤) الكمام جمع الكم وهو غلاف الزهرة

الى ان يقول ·

فزعت فضرّست العقيق بلؤلؤ سكنت فرائدهُ غدير السكر
وتنهّدت جزعاً فأثّر كفّها في صدرها فنظرتُ ما لم انظرِ
اقلام مرجانٍ كتبن بعنبرٍ بصحيفة البلور خمسة اسطرِ

ومن هذا الباب قولهُ من داليّةٍ لهُ

نبتت رياحينُ العذار بوردهِ فكسا زمرّدُها عقيقة خدّهِ
وبدا فلاح لنا الهلالُ بتاجهِ وسعى فمرّ بنا القضيبُ ببردهِ

الى ان يقول

وسطت على حرب الرماح معاشرُ ال اغصانِ فانتصرت بدولة قدّهِ

واذا مدح كسا ممدوحهُ رداء تروق العين رؤيتهُ والبسهُ مجداً حاكت المآثر بردتهُ واذا هجا خيّل المهجوّ ملطخاً باقذار المثالب وذكر من فعلاتهِ ما هو اخبث رائحة من الجيف وكذا شأنهُ في سائر ابواب الشعر

ومن اقدر الشعراء على الوصف الشنفرى فقد وصف الذئاب الجائعة في لاميتهِ وصفاً بلغ من المطابقة للموصوف ما لا غاية بعدهُ فاذا قرأت ذلك الوصف فكأنك ابصرت تلك الذئاب بعينك من ذلك قولهُ

مهلهلةٌ (١) شيبُ (٢) الوجوه كأنها قداحٌ (٣) بكفي ياسرٍ (٤) تتقلقلُ
مهرّتةٌ (٥) فوهٌ (٦) كأنّ شدوقها شقوق العصيّ كالحاتٌ وبُسّلُ (٧)

وجوه المفاضلة بين الشعراء

لا مندوحة لمن يفاضل بين الشعراء من ان يراعي هذه الوجوه وهي (١) اشراق الديباجة ومتانة النسج و (٢) تمكّن القوافي و (٣) ابتكار المعاني وابتكار الاساليب و (٤) النظم في كل بابٍ من ابواب الشعر و (٥) النظم على كل بحرٍ من بحورهِ و (٦) التخلّص من الجوازات الشعرية المكروهة و (٧) الاجادة في اسوار القصيدة وهي بيت المطلع وبيت التخلص وبيت الختام و (٨) طول القصيدة و (٩) التقارب في الطبقة كما بين جرير والاخطل والفرزدق والاّ أُغلق في وجههِ باب المفاضلة واصبح كمن يريد ان يثبت حقاً لواحدٍ على آخر ولا دليل لهُ من ادلة الاثبات

(١) رقيقة اللحم (٢) جمع شيباء مأخوذ من شاب اذا ابيضّ (٣) السهام قبل ان تراش (٤) المقامر (٥) الواسعة الاشداق (٦) مفتوحة الفم (٧) كريهة المرأى

اما اشراق الديباجة ورشاقة العبارة ومؤاخاة الالفاظ للمعاني فمنبتهُ تعلق النفس من كل شيءٍ باجودهِ . ومعلوم ان الالفاظ حُلل المعاني وشتان ما بين فاخر الثياب وخسيسها وجيدها ورديئها والاَّ فاين الشعَر من الحرير والخزف من الذهب

واما تمكن القوافي فيريك التحام اول البيت بآخره وارتباط صدرهِ بعجزهِ ويقضي للشاعر بان الكلام طوع لسانهِ او قلمهِ اذا دعاهُ لبَّاهُ ولا يدعو منهُ الاَّ ما يراهُ الأَجدر بالمقام كالبنَّاء فانهُ يطلب من الحجارة ما هو على قدر الموضع الذي يريد ان يضعهُ فيهِ فان كان اكبر او اصغر ردَّهُ لان الاكبر يضيق عنهُ المكان والاصغر لا يملأهُ

واما ابتكار المعاني فناطقٌ بان لصاحبهِ فكرًا يقود الافكار وراءهُ وذهنًا مخصبًا تغتذي الاذهان من ثمارهِ فهو الغنيُّ الذي يجود على العقول بما يكشف من كنوز المعاني . ولا اعلم مزيَّةً للعقل وراء هذه

واما ابتكار الاساليب فهو فضل منبتهُ صدق الحس وقوَّة الخيال ورقة الفطنة وهو يقرب من فضل ابتكار المعاني . ألا وان المعنى الواحد الذي يتعاورهُ الشعراء يتفاوت وقعهُ في النفوس بتفاوت الصور والاساليب فقد تراهُ سمينًا ناضرًا وقد تجدهُ غثًّا باردًا وقد يأتي في عبارة الواحد خرزًا وفي عبارة الآخر دُرًّا فمن أُوتي التفنن في لطف الاسلوب يُعدُّ ولا ريب في الطراز الاوَّل

واما النظم في كل ابواب الشعر وهي المدح والهجاء والفخر والنسيب وما يتفرَّع منها فهو قاضٍ لصاحبهِ بالفضل من الجانبين جانب اللفظ وجانب المعنى . وقريحة المقتدر على ذلك شبيهة بمخزنٍ كبيرٍ يحوي كل صنفٍ من البضائع الثمينة وذلك غاية الغايات في الانشاء نظمًا ونثرًا

واما النظم على كل بحور العروض فيدلُّ على ان الناظم [illegible] الكلمة في بحار مملكة الشعر كلها واما من ينظم على بعض الابحر واذا كلّفَ ان ينظم على غيرها رجع الى حالة المغزرم (١) كلما نظم بيتًا يقطّعهُ خشيةَ ان يخرج عن ميزانهِ اما بنقصٍ او بزيادة فهو لا يتجاوز مقام الوزير الذي لا سلطة لهُ ولا حيث سلّطهُ السلطان. على ان هذا الوجه لا علاقة لهُ بجودة الشعر ورداءتهِ

واما التخلص من الجوازات الشعرية المكروهة فدليل سلطة مطلقة للشاعر في اللغة والعروض فاذا كانت اللفظة لا توافق الوزن الاَّ بمخالفة قاعدة نحوية او صرفية جاء بغيرها ولم يتكلف عناء ولا مشقة فان محفوظهُ من مختار اللفظ كثير وكلهُ قائم لديهِ قيام العبيد بين ايدي اسيادهم

(١) المغزرم المبتدئ بقول الشعر كما جاء في الاغاني

ومطاوعة اللفظ للناظم مزية لا تنكر . واعلم ان لا اعون على السلامة من الجوازات المستهجنة كاستنكاف الشاعر منها وعدّها دمامل يسيل صديدها على محيا شعرهِ

على ان فحول الشعراء قد لاذوا احياناً ببعض الجوازات ولم يبالوا وذلك انهم بما نالوا من رفعة القدر وعظمة الشان في النفوس صارت لهم إمارة على الكلام فيمدون مقصورهُ ويحركون ساكنهُ ويسكّنون متحركهُ ويؤنّثون المذكّر ويذكّرون المؤنّث وكان الاجدر بهم ان لا ينزلوا هذه المنازل السافلة ولاسيما وقياد الكلام بايديهم ولكن هو الاستخفاف ينزل بصاحبهِ الى حيث لا يجمل

واما الاجادة في اسوار القصيدة وهي بيت المطلع وبيت التخلص وبيت الختام فكفى بها رفعة انهم قالوا اذا اجاد الشاعر في المطلع والتخلص والختام فقد سلمت قصيدتهُ من نظر النقاد. اما براعة الاستهلال فلما وراءها من اجتذاب القلوب واقبال النفوس بلذةٍ وشوق . واما براعة التخلص فلما فيها من الدلالة على ترتيب المعاني واحكام ربطها وحسن تعلق بعضها ببعض بحيث لو وقف الشاعر عن المعنى المتخلص اليهِ لاستطاع السامع اللبيب ان يعرفهُ وتلك مزية بينة. واما براعة الختام فلأن حسنها اشبه شيءٍ بانتهاء المسافر الى بلدهِ وسرورهِ بمشاهدة اهلهِ على افضل ما يريد لهم. ومن لم يحسن الختام نكمن يطعم الفاكهة قبل النضج. وقصارى القول ان من طلبت نفسهُ الجلوس على كرسي القضاء بين الشعراء فلا بد ان يأخذ شعر كلٍّ منهم ويجمع مالهم من الاجادات في ابواب الشعر فمن كانت اجاداتهُ اكثر ولم يخرج بهِ ضيق الذرع بالكلم عن الاقيسة اللغوية الى المكروه من الجوازات الشعرية وتوفَّرت لهُ كل تلك الوجوه كان هو الاشعر واما من ساواهُ في الاجادة ولكنهُ لم ينظم الاَّ في بعض ابواب الشعر وعلى بعض الابحر فلا يعدُّ في طبقتهِ. على ان من قصَّد القصائد في جميع الابواب واطال ولكن كانت اساليبهُ كالوجوه المنقوفة ومعانيهِ كالأنوار الضعيفة وقوافيهِ قلقةً لا ينتظر مثلها من يقرأ صدر البيت واضطرَّهُ القصور الى استعمال الجوازات المستهجنة فيقدَّمُ عليهِ صاحب قصيدةٍ واحدة غرّاء كقصيدة السموأل في الفخر وقصيدة بشر بن عوانة التي يصف بها قتالهُ للاسد وقصيدة ابن الانباري في الوزير الطاهر بن بقيَّة بل يقدَّم عليهِ صاحب بيتٍ واحدٍ من مثل هذا المطلع البديع

مضى الردى بطويل الرمح والباعِ منابتَ العشب لاحامٍ ولا راعِ

واما طول القصيدة فيستلزم بسطة فكر وقوَّة على التفنن في المعاني واستيفائها بجميع اطرافها وغزارة مادَّة من اللغة. ومن يعجز عن نظم القصائد الطويلة فهو بلا مراء دون من يقدر عليه

فليست القصيدة المؤلفة من مائة بيت او من مائتي بيت كقصيدةٍ مؤلفة من خمسة عشر أو عشرين بيتاً فتلك لا تخرج الاَّ من قريحةٍ سيَّالة وفكرة متوقدة وحافظةٍ قوية تكسوها افخر الحلل وتمدّها بالفاظ تواجه المعاني وقوافٍ تراها راسخةً في اواخر الابيات رسوخ الاطواد

على اني لا اقصد بهذا انادعو الشعراء الى الاطالة في القصائد فلكل مقام مقال والكلام كلهُ منظومهُ ومنثورهُ يطوّل ويقصّر على حكم مقتضى الحال وانما اردت ان أُثبت مزيَّةً لمن ينظم مائة بيت او ما فوق ذلك على رويٍّ واحدٍ وبحرٍ واحد ويجعلها خدوراً لبدائع المعاني فهو ولا مشاحةَ اغزر مادَّةً واقوى فطرةً ممن ينظم القصائد القصار ولا قِبل لهُ بنظم الطوال

واما التقارب في الطبقة فانما كان مجال المفاضلة وداعي الموازنة لخفائهِ الاَّ على اهل الخبرة بجيّد الشعر ورديئهِ ولا تفاضل بين من شعرهُ في الاوج ومن شعرهُ في الحضيض فان ذلك مما هو معلوم عند اهل الذوق لا يجهلهُ الاَّ من يجهل ان السيف امضى من العصا والدرّ اغلى من الخرز

واما الحكم بأنَّ فلاناً اشعر من فلانٍ قبل ان يقتضى من الوقت ما يكفي للموازنة بينهما على الاعتبارات والوجوه التي ذكرت فهو حكم قابل للنقض ولو حكم بهِ ائمة الكون كلهم اجمعون

هذا واني قد عزمت ان اجمع في هذه المقالة ما لكلٍّ من حبيب الطائي وابي عبادة البحتري وابي الطيّب المتنبي من الابيات في المعاني التي تعاوروها كالمدح بالجود والشجاعة ابتغاء ان اضع نصب عين المطالع كلَّ او جلَّ ما جاء بهِ كلٌّ منهم من الاساليب في ايراد ذلك المعنى وهو افيد درس لطلاَّب القريض

سعيد الخوري الشرتوني

العصر العباسي

نشرت اولاً في المقطم في ٨ يناير عيد جلوس الجناب الخديوي

استقبل اهالي القطر هذا العيد السعيد بالبشر والايناس وهم جديرون بذلك لان الخمس عشرة سنة التي مضت منذ تولى سمو الخديوي المعظم عباس الثاني اريكة الخديويَّة المصريَّة كانت اعوام خير ونعم عمت القطر المصري واشترك فيها القطر السوداني

ان خمس عشرة سنة ليست بالزمن الطويل في حياة الامم والممالك وقد تمرُّ ولا يتغير في غضونها حال البلاد تغيراً يشعر بهِ بل قد يمرُّ القرن والقرنان والامم على حالها من حيث مقامها السياسي والمعاشي والاجتماعي ولكن الخمس عشرة سنة التي مرت على القطر المصري من حين

تولى الجناب الخديوي اريكة اجداده الى الآن ابقت في تاريخ هذا القطر اثرًا لا ينسى مدى الدهر لانهُ ارتقى في غضونها ماليًّا وادبيًّا ارتقاء لا مثيل لهُ في تاريخهِ السالف ولا في تاريخ مملكة من الممالك الاخرى شرقية كانت او غربية

فاولاً بلغ في عدد سكانهِ مبلغًا لم يصل اليهِ في عهد الفراعنة ولا في عهد البطالسة ولا في عهد الروم ولا في عهد العرب . وما ذلك الاَّ لتوفر اسباب المعيشة ووسائل الاعتناء بالصحة العمومية ودفع عوادي الادواء والاوباء. ولم تشرع الحكومة المصرية في الاحصاء الجديد حتى الآن مع انها اعدت معداتهِ كلها ولكنها ستشرع فيهِ قريبًا والمرجح انها تجد عدد السكان نحو اثني عشر مليونًا من النفوس فيكونون قد زادوا في العصر العباسي ثلاثة ملايين او اكثر او ثلاثين في المئة وهذه زيادة عظيمة لا نرى مثلها في بلاد اخرى

وثانيًا قدرت ايرادات الحكومة المصرية حينما تولى الجناب الخديوي بتسعة ملايين و٩٥٠ الف جنيه اي باقل من عشرة ملايين جنيه وقدرت المصروفات بتسعة ملايين واربع مئة الف جنيه اما هذه السنة فتقدر الايرادات بنحو خمسة عشر مليون جنيه والمصروفات بنحو اربعة عشر مليونًا وربع مليون

وهذه الزيادة العظيمة في ايرادات الحكومة ليست ناتجة من زيادة الضرائب لان ضرائب الاطيان صارت الآن اخف مما كانت منذ خمس عشرة سنة بل من نمو الثروة العمومية اي من زيادة ايراد الجمارك وسكك الحديد والبوسطة والتلغرافات ورسوم التسجيل وما اشبه

وثالثًا ان هذا النمو في عدد السكان وفي ايراد الحكومة بلغ ثلاثين في المئة في مدة خمس عشرة سنة اما النمو في نفقات التعليم العمومية فبلغ اكثر من اربع مئة في المئة لان ميزانية نظارة المعارف كانت ٩١٠٠ الف جنيه سنة ١٨٩٢ فصارت الآن نحو اربعمئة الف جنيه وقس على ذلك النفقات التي يراد بها نفع الاهلين خاصة كالادارة الطبية

ورابعًا ان مقتنيات هذا القطر كلها من اطيان وعقار لم تكن قيمتها تزيد على مئتي مليون جنيه منذ خمس عشرة سنة اما الآن فلا تقل قيمتها عن ستمئة مليون جنيه فزادت ضعفين في خمس عشرة سنة مع ان عدد السكان زاد نحو ثلاثين في المئة فقط وعليهِ فالثروة العمومية صارت ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ قبل هذه السنين القليلة

وخامسًا ان هذه الزيادة في قيمة الممتلكات بعضها اعتباري فقط كما لا يخفى ولكن اكثرها حقيقي مبني على زيادة الايراد باصلاح طرق الري والصرف وارتفاع اسعار الحاصلات في الاسواق التي ترسل اليها حاصلات القطر المصري . فان قيمة الصادرات من القطر المصري

بلغت سنة ١٨٩٢ اقل من ١٤ مليونًا من الجنيهات والمرجح انها بلغت في العام الماضي اكثر من اربعة وعشرين مليونًا مع ان ثمن قنطار القطن قدّر فيها بثلثمئة غرش وهو اكثر من اربع مئة غرش فتكون قيمة الصادرات الحقيقية نحو ٢٨ مليونًا من الجنيهات . أي ان قيمة صادرات القطر تضاعفت في الخمس عشرة سنة الماضية

وسادسًا لما تولى الجناب الخديوي كان الظلم ناشرًا رواقهُ على كل بلاد السودان وكانت احوال تلك البلاد تدعو الى الخوف والقلق — الخوف على الحدود المصرية من غارات الدراويش والقلق على النيل لئلاَّ تقع مصادره في يد دولة قوية تصادر مصر وتمنعها من التحكم فيهِ . فزال كل ذلك الآن ونشر العدل لواءهُ في ربوع السودان وصار السودانيون يطالبون الحكومة بكل اساليب الحضارة الجديدة حتى بانارة مدنهم بالنور الكهربائي . وتيسر للحكومة المصرية ان تدرس طبائع النيل والبلاد التي يمرُّ فيها حتى تتحكم فيهِ وتجلب من مائهِ الى القطر المصري ما يفي بري اطيانهِ كلها ولو في اشد السنين شرقًا

هذه نظرة مجملة في احوال القطر المصري والنجاح الذي نجحهُ والارتقاء الذي ارتقاهُ في العصر العباسي نعم ان القطر المصري لم يبنِ اساطيل حربية يغزو بها البلدان المجاورة ولا زاد عدد جيشهِ زيادة تمكنهُ من الزحف على البلدان الاخرى ولكنهُ احتفظ بحدودهِ كلها واسترجع السودان الى اقصاهُ وتحكم بماء النيل حتى صار يروي بهِ ارضًا لم تروَ في عصر من العصور الغابرة وصارت مصر في بحبوحةٍ من الامن بحيث تقاطر الماليون اليها من اوربا لاستثمار اموالهم فيها والفضل في ذلك كلهِ لرجالها وللمحتلين الذين ساعدوهم ولا سيما لعميدهم السياسي الحكيم

وربَّ سائل يسأل ما هو نصيب الجناب الخديوي من كل ما تمَّ في بلادهِ مدة حكمهِ . والجواب عن ذلك ان نصيبهُ منهُ هو مثل نصيب كل ملك من الارتقاء الذي ترتقيهِ بلادهُ في عهدهِ فان البلدان الدستورية لا تطلب من ملوكها ان يقبضوا على مقاليد الحكومة ويتصرفوا فيها كيف شاءوا بل تكتفي منهم بتقليد المناصب اربابها واستخدام الرجال الامناء الذين يديرون دفة الحكومة ويسيرون بالبلاد في طريق الرقي والاسعاد . وكل ملك يتعرض لشؤون مملكتهِ حتى يديرها كلها بيدهِ يوردها موارد الخراب والدمار لانهُ يستحيل عليهِ ان يجمع في رأسهِ من القوى العقلية والاختبارات العلمية والفنية ما يؤَهلهُ للقيام باعمال المئات والالوف من الرجال

فمن نعم الله على مولانا الخديوي المعظم ان قد اسعد حكمهُ برجالٍ اكفاء اداروا دفة بلادهِ واوردوها موارد السعادة اجانب كانوا او وطنيين . وكل من قام منهم بما يجب عليهِ من

اكبر وزير الى اصغر خفير كل واحد من هؤلاء بنى حجرًا في بناء الارتقاء الوطني الذي ارتقاهُ هذا القطر. والجناب الخديوي رئيس هذهِ الحكومة السعيدة يهنأ بهم ويحقُّ لهُ ان تفاخر آباءهُ واجدادهُ وكل من وليَ عرش مصر حتى من البطالسة والفراعنة لان البلاد لم يرتقِ في ايامهم كما ارتقت في ايامهِ . ادام الله لهُ سني الاسعاد ومتّع رعيتهُ بالرفاهة واعاد عليهِ وعليهم هذا العيد السعيد اعوامًا عديدة وهم رافلون بحلل المجد والهناء

نجاح الاساتذة

اقترحت مجلة انكليزية على جماعة من نظار المدارس الكبيرة الذين اشتهروا بنجاحهم في صناعة التعليم ان يكتبوا لها فصولاً وجيزة عن سر نجاحهم فاجابوها الى اقتراحها وكتبوا اليها ما يلي :

قال الدكتور سبنسر ناظر المدرسة الجامعة بلندن وصاحب المقالات الكثيرة في فن التعليم

ان الاستاذ نفسهُ هو الدرس الاول الذي يدرسهُ التلامذة وقد جمع بعضهم المناقب اللازمة لنجاح الاستاذ فقال انها المزايا الشخصية وجودة البنية وذكاء العقل ودماثة الاخلاق وسعة المعارف هذهِ هي اغراض التعليم الخمسة وهي مرتبة حسب اهميتها واذا اريد التخصيص فالمزايا اللازمة لنجاح الاستاذ هي تدبُّر الامور وشدة الانتباه وبشاشة الوجه والمودة للتلامذة وقوة الارادة . هذهِ المزايا لازمة لكل من يطلب النجاح في صناعة التعليم واذا كان ناظرًا لمدرسة وتُطلَبُ منهُ ادارتها وجب ان يكون خبيرًا بادارة المدارس واسع النظر مقتدرًا على التنظيم والترتيب

اما سعة العلم وقوة العارضة والتظاهر بمظاهر رجال الفضل والترفع عن مخالطة التلامذة الصفات التي يظنُّ انها تعلي شأن ناظر المدرسة فلا تقوم مقام المقدرة على التنظيم والترتيب اذا كانت هذهِ المقدرة مفقودة

ولا يجري نظام المدرسة على ما يجب من السهولة ما لم تجدد واجبات اساتذتها وتلامذتها تجديدًا تامًّا حتى يُعرَف ما يطلَب من كل واحد وما يطلَب لهُ . نعم ان الواسع الحيلة يستطيع ان يحل المشاكل حالما تعرض لهُ ولكن ذلك لا يغني عن التنظيم والترتيب ومن يحاول ان يستبدل النظام المحكم بالمقدرة الشخصية لا ينال الَّا الفائدة الاقل بالتعب الاكثر

وقال المستر جلكس ناظر مدرسة دلوتش الكلية

ان الصفات التي اراني الاختبار انها لازمة لنجاح الاساتذة هي معرفة الله والناس لان هذه المعرفة تجعل الانسان ليّن العريكة بشوشاً يرثي لغيرهِ ولا يؤْثر نفسهُ على احد . ويجب ان يضاف الى ذلك قوة ادراك ما تنظر اليهِ البصيرة وسرعة الانتباه وحسن الصوت

وقالت مس دوروثي بيل ناظرة مدرسة البنات الكلية في شلتنهام

ان اهم مزايا المعلم (او المعلمة) ان تكون افكارهُ جلية وتعبيرهُ عنها واضحاً ولا يتم لهُ ذلك الاَّ اذا كان فاهماً الموضوع الذي يتكلم عنهُ تمام الفهم وكانت مخيلتهُ قوية حتى يوضح مرادهُ بصورة جلية . ويتعذَّر تعداد كل الصفات التي تجعل الانسان انيس المحضر يسرُّ معاشريهِ ولكن التلامذة يفضلون ان يكون معلمهم بشوش الوجه متمسكاً باهداب الصدق والانصاف حسن المحاضرة . ولا بدَّ للاستاذ من ان يودَّ تلامذتهُ حتى تصل ربط المودَّة بينهُ وبينهم

وهذه الصفات تبلغ غايتها من الفائدة اذا بُنيت على رغبة حقيقية في نفع التلامذة فان الاساتذة الذين يحبون تلامذتهم ويريدون خيرهم هم الذين ينجحون في تعليمهم ولو نقصتهم صفات اخرى من الصفات اللازمة للنجاح

وقال الدكتور ادموند وار ناظر مدرسة اتن

اذا كان الاساتذة متصفين بكل الصفات العقلية والادبيَّة اللازمة تبقى صفتان لازمتان للنجاح الاولى ان يودَّ الاساتذة تلامذتهم والثانية ان يؤْثروا تلامذتهم على انفسهم .

وقال المستر باتون ناظر مدرسة منشستر

هي المناقب السبع الاولى مودة التلامذة التي تظهر بالاشتراك معهم في العابهم واحاديثهم . الثانية الاخلاص لهم ولو دعي الى استعمال الصرامة . الثالثة الصبر عليهم ويحسن بالاستاذ ان يكون انوفاً ولكن لا يحسن بهِ ان يتجاوز في اللين حد الصبر . الرابعة جلاء الفكر الذي بدونهِ لا يستطيع الاستاذ ان يعبّر عما في ذهنهِ بصراحة . الخامسة حسن الترتيب والتنظيم في العقل والعادة . السادسة الهمَّة في اجراء الاعمال جسداً وعقلاً . السابعة حسن التفاؤُل بالمستقبل الاعتقاد بان كل الاشياء تعمل معاً للخير

وقالت مس ميارد ناظرة مدرسة وسنفلد الكلية

ان الفعل " علّم " يتعدى الى مفعولين وهما التلميذ والعلم الذي يُعلّمهُ. والغالب ان المتعلمين يهتمون بتعليم العلم ويهملون التلميذ وهذا خطأ فيجب عليهم ان يهتموا بالاثنين على السواء وهذا الاهتمام قد لا يظهر جليًّا ولكن التلميذ ينتبه لهُ ويعلمهُ فيرغب في العلم ويهتم بتحصيلهِ وهذه الرغبة اثمن من تحصيل العلم . والتلميذ الذي يخرج من المدرسة وهو يعلم يقينًا ان في العالم علومًا تستحق ان تعلم وتستحق ان تبذل الهمة في تعلمها يكون قد استفاد فائدة كبيرة تنفعهُ مدى العمر

وقال الدكتور مكنامارا الذي اقام عشرين سنة مدرسًا في المدارس الابتدائية ان نجاح التعليم يتوقف على الصفات التالية

(١) جودة الصحة والبنية

(٢) شدة الصبر

(٣) محبة الاستاذ للتلامذة

(٤) شدة الانتباه للامور ولو كانت طفيفة جدًّا

وقال القس فوثروب ناظر مدرسة هويتلند التي تعلم المعلمين

ان الصفات اللازمة لنجاح الاساتذة في التعليم هي

اولاً المحبة الفطرية للتعليم وللتلامذة

ثانيًا المقدرة على ادارة التلامذة وجعلهم يخضعون للقوانين والاوامر

ثالثًا طلاقة الوجه والنظر الى الحسنات والاغضاء عن السيئات

رابعًا عين ترى المدرسة كلها في لحظة واحدة

خامسًا الشعور بالواجب على الاستاذ لدينهِ ولوطنهِ

وقالت مس برستل ناظرة مدرسة منشستر العالية

يظهر لي بالاختبار والمشاهدة ان الصفات اللازمة للنجاح في التعليم هي شخصية اهمها مقدرة المعلمة على ارشاد المتعلمات الى ما بهِ خيرهن وهذه المقدرة تصاحب محبة التعليم ومحبة التلميذات وبدونها لا نجاح . ويتلو ذلك المقدرة على ازالة المصاعب والدخول إلى عقل التلميذ او التلميذة ووضع المعرفة امامهُ على اسلوب يمكنهُ من اكتسابها بنفسهِ وجعلها جزءا من معارفهِ وهذه المقدرة اكتسابية تنال بالتعلم والتمرن اللذين يطلبان الآن من كل من يتولى صناعة التعليم ولا بد منها لكل من يعلم الاولاد الى السنة الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرهم . والاولاد الذين سنهم

اقل من ذلك تعليمهم اصعب ونجاحهُ يتوقف على حسن اسلوبهِ . وفي سن المراهقة بين الثانية عشرة والسادسة عشرة لا تحتاج التلميذات الى تعلم الدروس كما يحتجن الى حسن الارشاد فيستفدن من مناقب معلمتهنَّ اكثر مما يستفدنَ من علمها واذا جزن سن السادسة عشرة صرنَ يستفدن من علمها ومن مناقبها معاً

وقد يذهب عن البال ان المعلم يجب ان يتعلم دائماً . يجب ان يواظب على الدرس وان يسافر احياناً لكي يوسع معارفهُ وينعش قواهُ العقلية والاَّ صار آلةً للتعليم . وهذا كلهُ يصدق على المعلمة كما يصدق على المعلم ويدعو الى طول الاجازات المدرسية . وقد عرف اهالي اميركا ذلك وعملوا بهِ فيطيلون اجازات المدارس لكي يدرس المعلمون والمعلمات في غضونها ويوسعوا معارفهم ويزيدوا استعدادهم للتعليم

واخيراً لا بدَّ للمعلم والمعلمة من جودة البنية وحسن الصحة وطلاقة الوجه وحسن الصوت ولين العريكة وان يكون جسمهُ او جسمها خالياً من العيوب الخلقية

وقال المستر يوكسل الذي علَّم سنين كثيرة قبلما صار سكرتيراً لمجلس اتحاد المعلمين ونائباً عنهم في مجلس النواب

أرى ان نجاح المعلم يتوقف اكثرهُ على صفاتهِ الشخصية اي على جودة صحتهِ وطلاقة وجههِ فيصعب على من كان ضعيف البنية خامل الذهن شكس الاخلاق ان يفلح في صناعة التعليم ويتلو ذلك مقدرتهُ في التعبير عن افكارهِ بصورة جلية واضحة فان ذلك لا يتمُّ الاَّ لمن عرف الموضوع الذي يريد تفهيمهُ لتلامذتهِ حق المعرفة وعرف ايضاً ما يجب ابلاغهُ الى اذهانهم والصورة التي يبلّغ فيها . ولا بدَّ من رابطة بين عقل التلميذ وعقل المعلم وهذا يناقض تعليم ~~الصبيان والبنات معاً اذا كانوا فوق العاشرة لان المعلم يدرك عقول الصبيان ومناحيها والمعلمة تدرك~~ عقول البنات ومناحيها ولكن لا المعلم يدرك عقول البنات حق الادراك ولا المعلمة تدرك عقول الصبيان ولذلك فاذا أُريد النجاح في تعليم الصبيان والبنات فوق السنة العاشرة من العمر وجب ان يختار المعلمون لتعليم الصبيان والمعلمات لتعليم البنات

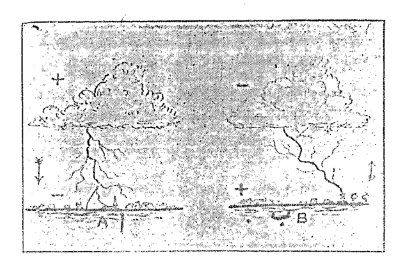
البرق الارضي السموي

مرّت القرون والناس لا يعلمون شيئًا عن حقيقة البرق الى ان قام فرنكلين العالم الطبيعي الاميركي واثبت انهُ من الكهربائية وانهُ والشرارة الكهربائية سيَّان فهو تفريغ كهربائي من سحابة مكهربة بالكهربائية الايجابيَّة الى سحابة سلبيَّة او الى الارض. هذا هو المعتاد في سير البرق ولا بدَّ من ان يكون كثيرون قد شاهدوا سيرهُ احيانًا من الارض الى السماء على خلاف المعتاد فقد ذكر بعضهم في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني سنة ١٨٥٦ انهُ راقب بعض البروق مراقبة دقيقة فوجد انها تسير من الارض الى السماء . وقال احد امراء البحر انهُ شاهد نوءًا كهربائيًّا من شاطئ لا بلاتا ظهرت فيهِ السماء كشعلة من نار لكثرة البروق ولكن لم تصب سفينتهُ ولا سفينة أخرى من السفن التي كانت هناك بصاعقة منها . وشاهد البرق مرةً يصعد من الارض الى السماء

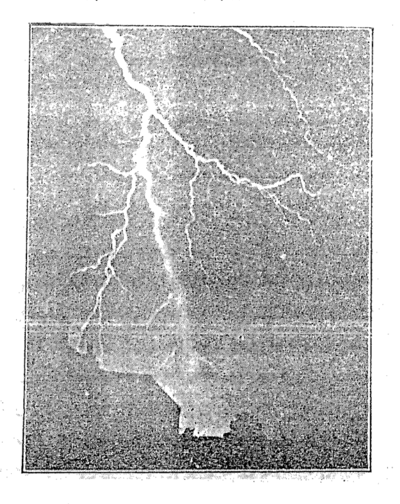
وقد كتب الدكتور لكيَر مقالة مسهبة في هذا الموضوع نشرها في مجلة المعرفة والاخبار العلمية قال فيها ان صديقهُ المستر بيل كان مرةً يرقب الجو عند الظهر وكان اليوم شديد الحرارة فسمع هزيم الرعد عن بعد ثم جعل الصوت يدنو وتكاثفت الغيوم بهيئة مريعة ثم اومض البرق واذا جهتهُ من الارض الى السماء قال وقد شاهدت ذلك النوع من البرق يسير من الارض الى السماء مرارًا قبل الآن ولكنني شاهدتهُ في هذا المكان دون سواهُ وكان بُعد البرق عني حينئذٍ ثلاثة اميال ثم تلتهُ بروق كثيرة من السماء الى الارض

قال الدكتور لكير والمستر بيل دقيق النظر وقد فرق جيدًا بين البرق النازل والبرق الصاعد وقال انهُ انما رأى البرق الصاعد في ذلك المكان دون سواهُ

وخطب الاستاذ تايت خطبة مشهورة في الانواء الكهربائية سنة ١٨٨٠ قال فيها ان مدة سير البرق قصيرة جدًّا فيستحيل على العين ان تتبعهُ في سيرهِ فتحكم ما اذا كان نازلاً او صاعدًا واما شعور الرائي بسير البرق من هذه الجهة الى تلك فسببهُ ان مركز شبكية العين اشد شعورًا من غيرهِ فالنقطة التي يتفق ان تقع صورتها على مركز الشبكية اولاً ترى قبل غيرها اي تشعر العين بها قبل غيرها ثم تشعر ببقية النقط فيظهر لها كأَن سير البرق خط متحرك من النقطة التي التفتت اليها اولاً الى النقطة التي رأتها اخيرًا مثال ذلك لنفرض ان البرق سار في الخط ا———ب وان العين التفتت اولاً الى النقطة ا فان المركز البصري يرى النقطة ا قبلما يرى النقط التي بعدها الى ب فيظهر لهُ كأَن خط النور تحرَّك



البرق من الارض الى الغيم   البرق من الغيم الى الارض



البرق من الغيم الى الارض والتشعب نحو الارض

من ا الى ب واذا التفتت العين الى النقطة ب اولاً ظهر سير البرق من ب الى ا . لكن هذا التعليل لا يوضح كيف يرى سير البرق متعرّجاً في بعض الاحيان حتى يظهر كأنهُ نزول الى اسفل ثم يصعد الى اعلى ثم ينزل الى اسفل ولا كيف لا يرى البرق صاعداً الاَّ نادراً مع ان العين قد تنظر الى اسفل قبلما تنظر الى اعلى كما تنظر الى اعلى قبلما تنظر الى اسفل

وعاد الدكتور لكير فقال انهُ لم يتفق لهُ ان رأى برقاً يصعد من الارض الى السماء مع انهُ وقف مراراً يراقب البرق وعينهُ متجهة الى الافق . ورأى بروقاً كثيرة متشعبة كأنها نهر لهُ فروع كثيرة تصبُّ فيهِ وظهر لهُ كأنها لم تحدث في لحظة واحدة ولكنهُ صوَّرها بالفوتوغرافيا فدلّت صورها على حدوثها في لحظة واحدة لان التصوير الفوتوغرافي كان من النوع السريع اي الذي يؤْخذ في لحظة واحدة وكانت صورة البرق وشعبهِ تظهر متصلة كلها مما يدلُّ على انها حدثت في وقت واحد

وقد صادق الدكتور لكير على ما قالهُ الاستاذ تايت وهو ان سير البرق اسرع من ان تشعر بهِ العين . ثم قال انهُ يمكن الحكم على سير البرق وكونهِ من السماء الى الارض او من الارض الى السماء بفحص صورهِ الفوتوغرافية فما كان متشعباً من اعلى الى اسفل فهو سائر من اعلى الى اسفل وما كان متشعباً من اسفل الى اعلى فهو سائر من اسفل الى اعلى كما ترى في الصورتين المتقابلتين . ففي الحالة الاولى اي حينما يكون البرق سائراً من اعلى الى اسفل تكون كهربائية الغيم ايجابية وكهربائية الارض سلبية كما هو الغالب فيجري المجرى الكهربائي والشرارة الكهربائية من الغيم الى الارض . وفي الحالة الثانية اي حينما يسير البرق من اسفل الى اعلى تكون كهربائية الغيم سلبية وكهربائية الارض ايجابية فيجري المجرى الكهربائي من اسفل الى اعلى على ما هو معلوم في سير المجرى الكهربائي فقد اثبت الاستاذ سلفانوس طمسن ان تشعب المجرى الكهربائي يكون دائماً في جهة القطب السلبي

وقال الدكتور لكير انهُ ظهر لهُ من تفحص صور البروق الفوتوغرافية ان سير البرق يكون في ٩٩ في المئة منها من السماء الى الارض وفي ١ في المئة فقط من الارض الى السماء ولذلك فكهربائية الغيوم ايجابية في الاغلب وكهربائية الارض تحتها سلبية الاَّ في احوال نادرة جداً تصير فيها كهربائية الارض ايجابية وكهربائية الغيم فوقها سلبية وحينئذٍ يكون سير البرق من اسفل الى اعلى كما ترى في الصورة السفلى

والانواءُ الكهربائية كثيرة في بلاد العرب وكل البلدان التي دخلها العرب فلا بدَّ من ان يكونوا قد رأَوا كل انواعهِ وسموها باسماءٍ تمتاز بها على جاري عادتهم . ومن اسمائهِ عندهم

الاسكوب وهو البرق الذي يمتد الى جهة الارض كأنهُ منسكب عليها انسكاباً . والخذروف وهو اللامع في السحاب المتقطع منهُ كانهُ خذروف الوليد يضيء بهِ السحاب متشعّعاً . والعقة وهي البرقة المستطيلة في السماء والشقيقة وهي من البرق ما انتشر في الافق ولعلَّ المراد بهِ البرق المتشقق او المتشعب ويقال انعقَّ البرق اي تشقق . ولم نرَ بين مواد اللغة مادةً تدلُّ على ان العرب انتبهوا الى البرق الذي يظهر صاعداً من الارض الى السماء اما لندرتهِ في بلادهم او لأنهم لم يروهُ قط اما البرق الذي يسير بين سحابة واخرى في خط افقي فلا شبهة في انهم رأوهُ ولم يميزوهُ لكثرة حدوثهِ في بلادهم

السبرتزم والاستاذ لمبروز

الاستاذ لمبروز عالم ايطالي اشتهر ببحثهِ في قوى العقل ومخادع الدماغ واستنتج ان المجرمين كلهم مصابون بدخَل في عقولهم وان ارتكاب الجرائم من نتائج خلل العقل . ولم يصادق علماء العقليات كلهم على هذا الاستنتاج ولكنهم لم يرفضوهُ بتاتاً بل لا يزالون يبحثون فيهِ الى الآن . وقد كان مخالفاً لمدّعي السبرتزم اي مناجاة الارواح وما يتصل بها فاقنعوهُ بصحة دعواهم وانشأ الآن مقالة في هذا الموضوع رأينا ان نلخصها عنهُ قال

بقيت الى سنة ١٨٩٠ وانا من اشد الناس مناقضة لاهل السبرتزم وكنت اجيب الذين يطلبون مني ان ابحث في هذا الموضوع بقولي ان دعاوي اصحابهِ في حد السخافة وانهُ يستحيل ان توجد القوَّة مجردة عن المادة وان يُعمَل عمَل من غير آلة او اداة يُعمل بها فقضيت الجانب الاكبر من عمري وانا لا اصدق الا بما يقع تحت الحس والمشاهدة معتقداً ان الافكار كلها من متولدات الدماغ وان الجرائم والافعال العقلية الخارقة العادة ناتجة كلها عن نمو غير عادي في بعض اجزاء الدماغ وضمور في البعض الآخر كما اوضحت ذلك في كتابي (نوابغ الرجال) وكتابي الثاني (المجرمون) وكتابي الثالث (البيض والسود) . وفضلاً عن ذلك كنت قد بلغت السن الذي يستنكف فيهِ الانسان من قبول الآراء الجديدة ولو كانت حقيقتها جليَّة وقد خارت قواي من مناظرة الذين ناظروني في اصل الجرائم وخالفوا رأيي فيها وكنت اضن بما بقي لي من الجلد ان انفقهُ في غير الدفاع عن آرائي التي قضيت فيها عمري واخاف من الدخول في مباحث جديدة تثير عليَّ الخصوم وتدعوني الى الحرب والدفاع

وزد على ذلك اني كنت اكره البحث في امور لا يمكن تحقيقها بالامتحان الدقيق ولا

البحث فيها في نور النهار فان اعمال اهل السبرتزم تظهر في الليل او في الظلمة ولا تحتمل الامتحان العلمي المدقق

وفي نحو ذلك الوقت اتفق لي ان شاهدت حادثة من اغرب الحوادث التي وقعت تحت نظري فاني دُعيت لمعالجة ابنة رجل له مقام رفيع في بلدي وكانت قد أُصيبت بنوبة هستيرية وبدت منها امور لا يمكن تعليلها فسيولوجيًّا ولا باثولوجيًّا فكانت تفقد حاسة البصر تمامًا فلا تعود ترى شيئًا بعينيها ولكنها كانت ترى بأُذنيها فاذا عُصبت عيناها وفتح كتاب امام أُذنها قرأَت ما فيهِ . واذا جُمع النور ببلورة على اذنها اضطربت منهُ كأَنهُ بهر عينيها ونادت قائلة لماذا تريدون ان تعموني

وبعد ذلك انتقلت حاسة الذوق من فمها الى ركبتها وحاسة الشم من انفها الى اصابع رجلها وصارت تشعر بما يحدث بعيدًا عنها وتنبأُ بما سيحدث في المستقبل . فكانت ترى اخاها وهو في دار الموسيقى على كيلومتر من البيت الذي هي فيهِ وجعلت تصف تلك الدار ومخادعها وصفًا دقيقًا مع انها لم ترَها من قبلُ ولا سمعت وصفها وتصف ايضًا ثياب الراقصات فيها . وكانت تشعر بمجيء ابيها وهو آتٍ الى البيت قبل ان يصل اليهِ بمئات من الامتار مع انها كانت في غرفة مقفلة الشبابيك

وجعلت تنبأُ بما سيحدث لها وتعين وقت حدوثهِ بالدقة التامة مثال ذلك انها قالت مرةً انها ستفقد قوة المشي بعد اسبوعين تمامًا في الساعة التاسعة من النهار . فتمَّ ما أَنبأَت بهِ في اليوم والساعة والدقيقة . وقالت مرةً اخرى انها ستصاب بميل لا تستطيع مقاومتهُ الى العض وان ذلك سيحدث لها وسط النهار بعد شهر وثلاثة ايام فأَبقيتها تحت المراقبة الشديدة واستعملت كل الوسائل لاصرف فكرها عن ذلك واوقفت كل ساعة في البيت عن الحركة حتى لا تعلم بدنو الاجل ولكن لم يجدِ ذلك نفعًا فان الميل الى العض تولاها في اليوم المعين والساعة المعينة ولم يعد يهدأ لها روع الاَّ اذا مزَّقت ارطالاً كثيرة من ورق الجرائد باسنانها وملأَت غرفتها بها

وأَنبأَت ان فالجها يشفى بالالومينيوم فجعلنا نضع على جسمها معادن اخرى تشبهُ الالومينيوم فتقول حالاً انهُ غيرهُ واخيرًا وضعنا عليهِ معدن الالومينيوم نفسهُ وكان نادرًا حينئذٍ ولم يرَهُ احد في بلدها من قبلُ فاصطلح حالها

فاستغربتُ امرها جدًّا وحاولت ان اجد لهُ تعليلاً مقبولاً فلم اجد واضطررت ان اسلّم بان كل ما يعلم من حقائق الفسيولوجيا والباثولوجيا لا يعللهُ واتضح لي حينئذٍ ان حالتها الهستيرية

نبهت فيها قوًى قامت مقام الحواس العادية ثم خطر لي انهُ قد يوجد في السبرتزم ما يعلّل ذلك

وبعد بضع سنوات كنت في نابلي أتفقد بيمارستاناتها فالتقيت هناك ببعض المعجبين بأسابيا بلادينو ولا سيما بالمسيو شيابن وهذا طلب مني ان امتحن اسابيا بلادينو (وكانت مشهورة بمناجاة الارواح) فرفضت ان امتحن شيئاً في الظلام او في مشهد عمومي فقال لي انهُ يمكنني ان امتحنها في غرفتي في ظهيرة النهار فرضيت بذلك لان الحوادث المار ذكرها كانت قد أثرت في ذهني تأثيراً شديداً وأتت أسابيا الى غرفتي ورفعت امامي مائدة من مكانها وجعلت بوقاً ينهض من نفسهِ وينتقل من عن السرير الى المائدة ثم يعود من المائدة الى السرير فزال ما كان يخامرني من الريب وملت الى تصديق ما اراهُ وسلمت حينئذٍ بامتحان قواها امام ثلاثة من رصفائي

وفي الوقت المعين حضرت مع الرصفاء الى غرفتي وعملت الاعمال العادية من مثل نقل الاشياء من اماكنها والقرع على المائدة ثم رأيت الستارة التي فوق سريري قد دنت مني والتفت عليَّ وحاولتُ التخلص منها فلم استطع بل كنت اشعر كأنها ورق من الرصاص اكتنفني وكان في الغرفة صحفة فيها دقيق جاف فارتفعت في الهواء وانقلبت اسفلها اعلاها ولم يقع الدقيق منها ولمستهُ فاذا هو غروي مع انهُ كان قبلاً جافاً وبقي كذلك ربع ساعة . ولما قمنا وهممنا بالخروج من الغرفة رأيت خزانة كبيرة كانت في زاويتها قد اخذت تسير الهوينا نحوي كأنها فيل يمشي التبختري

وفي جلسة أخرى وضعت آلة قياس القوة (دينومتر) على مائدة امام أسابيا وطلبت منها ان تمتحن قوتها بها فدلّت ابرة الآلة على ٤٢ كيلوغراماً وقالت انها كانت ترى طيفها (او روحها) يضغط على الآلة . ووضعنا جرساً على الارض بعيداً عنها وطلبنا منها ان تقرعهُ فجعل ذيل ثوبها ينتفخ و يمتد نحو الجرس ونحن نمنعهُ من ذلك واخيراً رأينا كأنَّ يداً غير منظورة مسكت الجرس ودقتهُ

وحضرنا مشهداً روحياً في ميلان انا والدكتور ريشه فرأينا غصنين من الورد النضير خرجاً من كمينا

ووضع شبارلي (الفلكي) رزمة من الورق امام اسابيا وطلب منها ان تكتب اسمها عليها باصبعهِ فقالت بعد قليل انها كتبت اسمها فالتفتنا الى الورق ولم نرَ عليهِ شيئاً اما هي فاكدت انها كتبت اسمها واخيراً وجدنا إسمها مكتوباً على الورقة الاخيرة من رزمة الورق وفي مرة ثالثة رأيناهُ مكتوباً على عصا الستارة وهي على ثلاثة امتار فوق رؤوسنا

ووضعنا اسابيا على قبان فرأيت انها تزيد ثقلها او تنقصهُ اكثر من عشرين رطلاً . ووضعنا كرسياً على القبان فزاد ثقلها ولكنهُ لم يكن يزد الاّ اذا مس القبان ذيل ثوب أُسابيا ولم يكن هناك سبيل للخداع لاننا كنا ممسكين بيدي أُسابيا ورجليها وكثيرًا ما كنا ندعها تخلع ثيابها وتلبس ثيابًا اخرى نحضرها لها ونربط رجليها حتى لا تحركهما

والتعليل الذي ارتأيتهِ لذلك كلهِ بناءٌ على درسي الطويل هو ان بعض المراكز العصبيَّة تزيد قوتها فتضعف قوة المراكز الاخرى وهذه القوة الزائدة تفعل الافعال المشار اليها كما يحدث في النوابغ فان الذي ينبغ في بعض القوى العقلية تضعف قواهُ العقلية الاخرى او قواهُ الادبيَّة

وقد كانت أُسابيا مصابة بآلام عصبية بسبب جرح اصابها في رأسها وهي طفلة ولكن هذه الآلام العصبية كانت تفارقها كلما اصابتها غيبوبة او نامت النوم المغنطيسي وبدت منها الاعمال المتقدمة . ومما قوَّى اعتقادي بهذا التعليل ان الفكر نفسهُ نوع من الحركة وان افعال السبرتزم تؤثر في الاشخاص والاشياء القريبة من الوسيط (الميديوم) اي الذي تصيبهُ هذه الغيبوبة اكثر مما تؤثر في الاشخاص والاشياء البعيدة عنهُ وان انتقال الافكار يمكن ان يعلل بانتقال الحركات الفكرية في الفضاء كانتقال الامواج الكهربائية في تلغراف مركوني ولكن المسيو ارما كورا الذي درس السبرتزم اكثر مني كثيرًا اثبت لي بالدليل ان معارفنا الحاضرة لا تكفي لتعليل حوادث السبرتزم تعليلاً شافيًا. فقد ابان لي ان الفكر ينتقل الى ابعاد شاسعة جدًّا ولا يضعف مع ان الحركات الكهربائية ونحوها تضعف قوتها في انتقالها كمربَّع البعد وان الدماغ ليس عمودًا منصوبًا في الجو كأعمدة تلغراف مركوني

ثم رأيت امورًا اخرى غريبة من أُسابيا رأيتها تتكلم بلغات لا تعلمها وتجيب على مسائل بتلك اللغات ورأيت تجارب كروكس وهوم وكاتي كنج وريشه Richet رأيت كل ذلك وجدتني مضطرًّا الى التسليم بان ظواهر السبرتزم سببها الاكبر موجودات غير ارضيَّة تد تقابل بالقوة المشعة التي تبقى في الانابيب الزجاجية بعد اخراج الراديوم منها

والظواهر التي ترى كثيرًا من مثل ارتفاع الاشخاص عن الارض وانتقال الاجسام من مكان الى آخر على خلاف نواميس الجاذبية ومن مثل خرق الاجسام الكثيفة وملاشاة الزمان والمكان تدلُّ كلها على ان الانسان الذي يكون في هذه الحالة يقوى على نقض النواميس الطبيعية المعروفة

انتهى كلام الاستاذ لبروز وقد وقع للدكتور شميل حادثة مثل حادثة الفتاة التي نبهت افكار الاستاذ لبروز الى هذا الموضوع شاهدناها نحن ايضاً ووصفها الدكتور شميل في مجلة الشفاء في الجزء الصادر في اغسطس سنة ١٨٨٧ اي قبل الحادثة التي شاهدها لبروز بثلاث سنوات فرأينا ان ننقل ذلك الوصف عن الشفاء اتماماً للفائدة وجعلناهُ في المقالة التالية بعنوانها الاصلي

اختلاط ذهنٍ هستيري

يؤْثر عن اراغو احد علماء الهيئة الفرنساويين انهُ قال في آخر ايام حياتهِ وقد جرى امامهُ ذكر المغناطيس الحيواني وهو مع ذلك لم يكن يصدق بهِ هذا القول " ان الذي يلفظ اليوم لفظة " مستحيل " في ما خلا العلوم الرياضية لا يعد حكيماً " ولقد كان العلماء من عهد قريب بخلاف عامة الناس ينكرون ما يروى عن الانسان من الافعال الغريبة كقراءة الافكار والاهتداء الى كشف المخبإِ ومعرفة امور حاصلة ولكنها مجهولة والانباء بما سيحصل عادّين كل ذلك اكاذيب مختلقة وناسبين اصحابها الى الدجل ورواتها الى عدم التحقيق او الغرض في الرواية . وما ذلك الاَّ لان العلماء كانوا يجدون صعوبة في تطبيق مثل هذه الامور على مبادئ العلوم الطبيعية بخلاف عامة الناس فانهم لم يكونوا يجدون ادنى صعوبة في تفسيرها لاعتمادهم في ذلك على ما وراء المنظور . واما اليوم فانك تجد كثيراً من العلماء الذين تهيأ لهم مشاهدة مثل هذه الحوادث مضطرين للتسليم بها مجتهدين في معرفة اسبابها . ولقد وجدوا ان بين هذه الحوادث الغريبة والامراض العصبية الهستيرية نسبة شديدة . ولا يخفى ما أبان لهم درس هذه الامراض في هذه الايام الاخيرة من الامور الممكنة التي وان كانت في ظاهرها غريبة جدًّا الاَّ انها غير خارجة عن مدار العلم الطبيعي ولقد تهيأ لهم معرفة كثير من نواميسها نعم انهُ لا تزال امور كثيرة منها مغلقة امامهم الاَّ ان ذلك لا يوجب انكارها منهم ولا ركوب متن الاغراب في تفسيرها . ولا ريب ان البحث فيها بحثاً علمياً سيكشف في المستقبل كثيراً من اسرارها ويعلم الناس حينئذٍ ان ليس شيءٌ غريب تحت السماء خارج عن سنن هذا الكون . واذا كانت هذه الامور قد بقيت لهذا العهد موضوعاً للانكار والريب وسرًّا مغلقاً فلأن الناس لم يدرسوها قبل ذلك درساً دقيقاً ولم يبحثوا فيها بحثاً علمياً . ونخشى جدًّا ان يطول امر الوقوف على اسرارها لندرتها وعدم تمكن درسها

لذلك كما ينبغي لان الذي يتهيأ لهُ ان يرى حادثة قلما يتهيأ لهُ ان يرى سواها ولا يخفى ان البحث في الاشياء لا يستطاع ان يستفاد منهُ معرفة طبائع هذه الاشياء الاَّ بمشاهدة كثير منها وتدقيق النظر فيها والمقابلة بينها وهذا لا يتيسر لأُولئك الذين لا يتاح لهم الاَّ رؤْيتها متفرقة . أليس ان غرائب الهستيريا كانت من عهد قريب موضوعاً لريب العلماء وما ذلك الاَّ لان الحوادث التي تبلغهم عنها كان رواتها من العامة او كانت هي من مشاهدات افراد منهم متفرقين ولم يتحقق امرها الاَّ بعد ان اعتنوا بها اعتناءً خصوصيًّا ودرسوا منها مئات والوفًا وقابلوا بينها ودققوا النظر فيها وذلك في المستشفيات ولولاهُ لما أُمكن ان يجتمع تحت نظر واحدٍ كثيرٌ منها ولا امكن ان يتقدم العلم فيها عما كان عليهِ من عهدٍ قريب . وهو فضلٌ عظيم للعلاَّمة شركو الفرنساوي الشهير فانهُ هو الذي فتح ابواب المستشفيات لهذهِ الامراض وفتح بها بابًا رحبًا للعلم ولكنَّ ذلك وحدهُ دون ما يلزم لسرعة الوقوف على حقائق افعال المجموع العصبي فان العالم واسعٌ جدًّا ومثل هذه الحوادث المتفرقة كثيرة فيهِ ومع ذلك فلا يعتني بدرسها الاَّ في مستشفى واحد في مدينة واحدة من مملكة واحدة وهو مستشفى السلبتريار بباريس من فرانسا ولهذا سيطول امر الوقوف على اسرارها ومعرفة سائر غرائبها وخصوصياتها

ولقد رأينا من عهدٍ قريب في رجل من ابناء هذه البلاد حالةً هستيرية من اغرب ما سمعنا وقد رآها معنا اناس آخرون من اطباء وغير اطباء وذكرنا لمعًا منها في العدد الماضي من الشفاء . وغرابتها ليس من حيث اعراض المرض فانها كانت اعراضًا هستيرية مألوفة ما خلا اعراض اختلاط الذهن الذي طال امرهُ جدًّا ولا من حيث ذكر الوقائع الماضية المعروفة منهُ بالتدقيق بل من حيث الانباء بامور صحيحة ماضية او حاضرة مجهولة منهُ ومستقبلة مجهولة من الجميع ومرادنا ان نذكر ملخصها في هذا العدد

وقبل ذلك لا بدَّ من تمهيدٍ نبين بهِ الامور المهمة منها تسهيلاً لفهمها

فالرجل المذكور ربعة عصبي المزاج نحيف الجسم سنهُ نحو ٣٧ سنة عرض لهُ منذ نحو ١٨ سنة تشنج فيما يقول اهلهُ بقي فيهِ نحو ثلاثة اشهر والظاهر من وصفهم لهُ انهُ الهستيريا ولم يكن بهِ مرض قبل ذلك ثم زالت التشنجات وعاد الى صحتهِ . والظاهر من كلامهم انها بقيت تتردد عليهِ من حينٍ الى آخر ولكنها كانت خفيفة اشبه بغشية لا تدوم الاَّ بضع ثوانٍ او دقائق ثم من عهد احدى عشرة سنة توفي ابوهُ والظاهر من وصفهم انهُ توفي بالسكتة فعرض لهُ حينئذٍ نوب هستيرية فيما قالوا دامت ثمانية ايام متواصلة لا يذوق فيها طعامًا وكانت النوب تتكرر عليهِ في النهار مرارًا ولما كانت تتركهُ كان يستيقظ كالعادة ثم اخذت الاعراض

العصبية تخف حتى انها من عهد نحو سنتين كادت تفارقهُ تماماً

اما ابوهُ فكانت صحتهُ جيدة طول ايام حياتهِ انما في السنين الاخيرة عرضت لهُ اعراض سكتة وفالج وقد تكررت عليهِ مرتين او ثلاثاً وفي كل مرة لم تكن شديدة ولم تطل زماناً الى ان توفي اخيراً فجأَةً . اما امهُ فكانت صحتها جيدة جداً الى حين وفاة زوجها فحصل لها على اثر ذلك ديسنطاريا دامت بها مدة ثم برئت منها ولكنهُ تخلف لها بعد ذلك أَلم في المعدة شديد بقي نحو ثلاث سنين

والرجل متزوج من عهد ١٨ سنة وولد لهُ اولاد كثيرون ذكور واناث ولم يعش لهُ منهم سوى بنت واحدة عمرها نحو ثلاث سنين وتوفوا جميعهم بالتشنج قبل ان يبلغوا سن سنة . وكان لطيف المعاشرة جداً متودداً متقرباً من الناس متكلماً فصيحاً وهو ذكي جداً ومهذب ويعرف اللغة العربية والفرنساوية جيداً ويحسن التكلم بالايطالية والتركية والفارسية وقد خسر اموالاً كثيرة في الاشغال . الاَّ انهُ ذو عند غريب وكان ذا ثبات في متابعة بعض البواعث وربما كان في افعالهِ شيء من الشذوذ وكان سريع التأثر الاَّ انهُ كان يصبر على مضض البلوى ولا يظهر تأثرهُ . فعرض لهُ منذ خمس سنين اشتباك في دعوى مهمة جداً يتوقف عليها مستقبل ثروتهِ وقد تابع هذه الدعوى بثبات وصبر لا مزيد عليهما الى ان خسرها اخيراً خسارةً نهائيةً وذلك في اول يونيو سنة ١٨٨٧ فحصل لهُ بعد ذلك بقليل اي الساعة الثانية افرنجية بعد الظهر نوع من الذهول وانقطع عن الكلام وكان عند ذلك في الاسكندرية فلما رآهُ بعض اصدقائهِ بهذه الحالة سافر بهِ عند المساء الى مصر ليكون بين اهلهِ وكان وصولهُ اليها الساعة التاسعة ليلاً فدعيت اليهِ بعد وصولهِ حالاً فرأيتهُ جالساً لا يتكلم واذا سئل فلا يجيب وعيناهُ شاخصتان وفي العين اليمنى حوَل الى الجهة الوحشية وعلمت السبب ولم اعلم شيئاً غير ذلك وكنت لم ارهُ من قبل الاَّ مرةً واحدة فوصفت لهُ حجامات دموية على القفا ولبثت منتظراً وبعد الحجامات وصفت صبَّ الماء على رأسهِ فما لبث الماء ان اصاب رأسهُ حتى تشنج فللحال سألت اهلهُ هل يصيبهُ هذا التشنج عادةً فقالوا نعم فعلمت حينئذٍ ان الرجل هستيري وحسن انذاري فيهِ بعد ان كنت قد اوجست من ذلك عليهِ خوفاً . وما لبثت النوبة بضع دقائق حتى انصرفت فاستيقظ حينئذٍ وعرف اهلهُ وبكى ولم يطل بهِ ذلك بضع ثوان حتى عاد الى ذهولهِ الذي كان قبل النوبة فأمرتهم بتكرار صب الماء على رأسهِ وان امكن فوضع الثلج عليهِ وانصرفت وعدتهُ في اليوم التالي فوجدتهُ كما تركتهُ الاَّ انهُ غير صامت كالاوَّل بل يتكلم ويطلب الانتقام من شخص معلوم واكثر كلامهِ في الدعوى وكان يأتي

كل ما يعرض عليهِ من ماكلٍ ومشربٍ وطلب ان يسقى مسهلاً او مقيئًا فوُصف لهُ مسهل من ماء معدني فشربهُ بكل سهولة

والمسائل المهمة التي نريد تنبيه النظر اليها في هذه الحادثة هي ان هذا الرجل بقي ١٥ يومًا منقطعًا عن الطعام وفيها يقول هو ١٨ يومًا (كما عرفت منهُ اذ صار يخبر عن مرضهِ في ما بعد اي بعد تغير حالة المرض) لم يذق فيها سوى قليل من الماء والقهوة وكان يدخن كثيرًا ولم يستيقظ فيها الاَّ كلما صبَّ الماء على رأسهِ اذ كان يقع اولاً في النوبة الهستيرية . ثم ينتبه منها ويعرف الذين حولهُ واين هو لحظات قليلة ثم يرجع الى اختلاط الذهن وقد تناول فيها المسهل ثلاث مرارٍ وكان يحسُّ بتعب قبلهُ وبراحة بعدهُ فيطلبهُ من نفسهِ وكان كلما عرض عليهِ الطعام ينفر جدًّا . وفي هذا التاريخ غصبناهُ بقليل من المرق فقضى ليلهُ في عذاب شديد واول ما اصبح طلب المسهل ولم يسترح حتى فعل المسهل فعلهُ وبعد وبعد ذلك صار يقبل قليلاً جدًّا من اللبن نحو نصف اقة طول النهار يشربهُ على مرارٍ متوالية وفي ٢١ يونيو ابتدأ بهِ الرعاف وتكرَّر بهِ سبعًا وثلاثين دفعة الى يوم الاحد الواقع في ٦ اغسطس الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة بعد الظهر ونزف منهُ دمٌ كثيرٌ حتى كنا خائفين عليهِ منهُ . وكان يرى في اول الامر قبل الدم بساعات شيئًا احمر ويقول لنا وهو في اختلاط الذهن انهُ خائف من نزولهِ وكان مقدارهُ يختلف من بعض نقط الى رطل مصري ورطلين واكثر وهذا ما حيَّرنا جدًّا لان مقدار السوائل التي كان يتناولها لم يكن كثيرًا والمساهل التي لم يكن يستريح الاَّ بها لم يكن المستفرغ بها قليلاً وهو مع ذلك اي بعد نحو سبعين يومًا لم يهزل كثيرًا بالنسبة الى ذلك كلهِ وهذا ما يجعل هذهِ الحادثة مهمة واهم من كثير من الحوادث الاخرى المعروفة وان طال بها الانقطاع عن الطعام اشهرًا لانهُ في تلك كان يصاحب ذلك غالبًا انحباس المفرزات اما هنا فانطلاق الامعاء بالمسهل وادرار البول كان كثيرًا جدًّا في اكثر الاحيان. نعم انهُ كان ينحبس بعض الايام ولكنهُ في البعض الآخر كان يكثر افرازهُ ويتكرَّر في الساعة مرارًا وزد على ذلك خسارة الدم التي كانت وحدها كافية لقتل اقوى البشر ولم ينتقل في كل هذه المدة عن يومهِ الذي اصابهُ فيهِ المرض ولا عن ساعتهِ ولا عن مكانهِ فكان يقول ان اليوم يوم الاربعاء الواقع في اول يونيو والساعة الثانية افرنجية بعد الظهر وان المكان اللوكندة وفي الاسكندرية ثم صار يعرف الايام بالضبط وذلك بعد الاقناع ويعرف انهُ مريض من اول يونيو وهو في دور اختلاط الذهن ولكنهُ لم ينتقل من الاسكندرية واللوكندة . وكان يرى جميع الاشخاص امامهُ بصورة شخص واحد وهو الذي كان معهُ

حين عروض العارض ويسمعهم يتكلمون بصوتهِ الاَّ انهُ كان يميز جيدًا قرَّة معانيهم واختلاف حديثهم وكان ذلك لهُ موضوع استغراب

وكان لهُ ذاكرة غريبة لذكر جميع الحوادث المتعلقة بحياتهِ قبل يوم يونيو ويذكرها بالتدقيق بتواريخها واحيانًا كثيرة بايامها ودقائقها وكانت افعالهُ تدلُّ عليهِ انهُ في شخصين ووجدانين فلم يكن يذكر شيئًا في اليقظة مما كان يعرض لهُ في اختلاط الذهن ولا في اختلاط الذهن مما يعرض لهُ في اليقظة وكان يبدو ضعيفًا جدًّا في اليقظة لا يستطيع ان يقطع خيط القطن وشديدًا جدًّا في اختلاط الذهن حتى يُخال لنا انهُ يكسر الحديد وكان في اختلاط الذهن يكره المرق جدًّا ولا يقبل الاَّ اللبن ويحب التدخين وفي اليقظة لا يقبل الاَّ المرق ويكره التدخين ولم يكن يستطيع القيام من فراشهِ الاَّ في دور اختلاط الذهن . واخذ ذات يوم وذلك في اواخر مدتهِ بعد ان طالت اوقات يقظتهِ وهو متهيج حبتين من حبوب مسهلة فلم تفعل الحبتان فعلهما وكانت حبة واحدة من قبل كافية لاسهالهِ. وتعب جدًّا من الامساك فزرتهُ وكان في اليقظة فطلب ان يأخذ مسهلاً لانهُ يشعر في نفسهِ بتعب ولم يكن يذكر الحبتين فسمح لهُ بكوبة ماء معدني يشربها في اليقظة ثم بعد حين حصل الاسهال المطلوب في دور اختلاط الذهن فاستغرب حينئذٍ ابطاء الحبتين في فعلهما اذ لم يكن يذكر الماء المعدني. وفي اليقظة كان يقول ان الماء المعدني لم يفعل فعلهُ المطلوب ولكنهُ كان يشعر في نفسهِ براحة وغير ذلك من الامور الكثيرة التي تدل على انهُ في وجدانين

وكان في هذه المدة يظهر امرين غريبين وهما معرفة الساعة باوقاتها بالضبط فيقول الساعة كذا والدقائق كذا ولا يغلط وقد امتحناهُ مرارًا وامتحنهُ غيرنا اناس كثيرون وابعدنا جميع الساعات من الغرفة التي هو فيها حتى صرنا لشدة يقيننا بقولهِ اذا رأينا فرق دقيقتين او ثلاث دقائق بين ساعتهِ وساعتنا نعوّل على ساعتهِ . وكان يقول لنا ان الساعة مرتسمة في دماغهِ ويشير الى مقدم رأسهِ . واغرب من ذلك انهُ كان اذا وصف لهُ الطبيب دواءً وقال لهُ خذهُ كل ساعة او ساعتين يطلبهُ في ميعادهِ ولو كان نائمًا فكان يستيقظ لهُ . وثانيًا معرفة البقرة من اللبن الذي يأكلهُ فيقول ان هذا لبن بقرة حمراء وهذا لبن بقرة صفراء واكد لنا الاهل بان ذلك صحيح لانهم يأخذون اللبن من البقر عن باب البيت وقال لنا مرة ان عمر البقرة الفلانية كذا وعمر ولدها كذا فسألوا فوجدوا قولهُ صحيحًا الاَّ ان اصحابها لم يدققوا التدقيق الذي دققهُ لانهُ هو عين الاشهر والايام والساعات والدقائق واغرب من ذلك انهُ في نومهِ المغناطيسي او السمنمبوليسمي الذي صار يعرض لهُ فيما بعد من تلقاء نفسه عندما في موثر قال

في نومهِ " انهم يمتحنونني وقد سألوا اصحاب البقرة عن زمن ولادتها " وذلك في نفس اليوم الذي صار السؤال فيهِ

وفي ٢٩ يوليو تغيرت حالتهُ فزاد على اختلاط الذهن النوم السمنمبولسمي الحقيقي فصار يغمض عينيهِ و يتكلم وهو نائم كأنهُ يتخاطب مع شخص آخر لهُ عليهِ سلطة غريبة وكان دائمًا يدير وجههُ الى يسارهِ اذ يعرض لهُ ذلك وترتسم حينئذٍ على هيئتهِ صورة الحالة التي يكون فيها سامعًا كان او مجاوبًا بابدع ما يمكن بحيث ان الناظر الى اسرَّة وجههِ يكاد يعلم ما يسمعهُ هو ثم ينتبه من ذلك اما مستيقظًا واما الى اختلاط الذهن وكان في هذه الحالة الاخيرة يخبر باكثر ما يقولهُ وهو نائم اذا سئل. وثاني يوم قال وهو في هذه الحالة انني قتلت فلانًا يريد بهِ الرجل الذي كان يريد الانتقام منهُ وغدًا ساسافر الى مصر بالاكسبرس. وفي الغد في ميعاد سفر القابور المذكور عرض لهُ النوم الهبنوتسمي وصار يعدّد المحطات التي يمرُّ بها في مواعيدها حتى وصل الى القاهرة في وقت وصول القطار نفسهِ ففتح عينيهِ حينئذٍ واخذ يقبّل الاهل و يسلّم على كل احد منهم بمفردهِ وكان العرق يقطر من جسدهِ طول مدة سفرهِ حتى بلَّت اثوابهُ . وهذا العرق كان يعرض لهُ كلما نام هذا النوم ولكن كان يقلُّ كل مرَّة عن مرَّة . وبعد ذلك صار اذا سئل اين هو يعرف و يقول انهُ في القاهرة منذ اوَّل آب اي من حين سفرهِ الوهمي . ثم صار هذا النوم يتكرَّر مرارًا في اليوم وصار يتكلم فيهِ بامور مختلفة تتعلق بهِ . والغريب انهُ راجع فيهِ تاريخ حياتهِ والوقائع التي جرت لهُ وتاريخ مرضهِ الاخير وجميع الوسائل التي استعملت لهُ وانواع الطعام الذي أكلهُ والشراب الذي شربهُ والادوية التي تناولها بمقاديرها واوقاتها اما الادوية فلم يكن يذكرها بتركيبها بل بصورتها التي أُعطيت لهُ فيقول حبوب كذا لكذا مثلاً . وقد تأكدنا صدقهُ في جملة اشياء نعرفها فاخبر كم اقةً من الثلج استعمل على رأسهِ وفي اي الايام وكم تناول من الحبوب الفلانية والحبوب الفلانية وكان يذكر الاحوال التي وُصفَ فيها والايام مما نعرفهُ ولكنهُ كان يدقق ايضًا في ذكر الساعات والدقائق مما نرجح صحتهُ ولا نجزم بها لعدم ذكرنا ذلك بهذا التدقيق وكان يتغير كلامهُ وصوتهُ بحسب الموجسات ففي ذات يوم اخذ يرافع في قضيةٍ ذاكرًا اياها بكل تفاصيلها وتواريخها ولما كان يصل فيها الى عبارات تقتضي الحدَّة كان صوتهُ يرتفع بقوَّة عجيبة وكان اكثر كلامهِ باللغة الفرنساوية بعبارةٍ فصيحة جدًّا وكنَّا نعجب من هذه القوَّة التي يصبح فيها مع علمنا ضعفهُ الزائد اذ يكون مستيقظًا

وكان ينبيءُ بما سيعرض لهُ بعد يوم او ايام او يشعر بما سيجدُ عليهِ وكان صادقًا في كثيرٍ

منها . فكان يقول مثلاً ان غداً في الساعة الفلانية ينزل الدم من انفهِ ويكون كثيرًا او قليلاً فيصدق . وفي يوم الخميس الواقع في ٣ آب سألتهُ وهو في دور اختلاط الذهن هل يعرف كم مرَّة سينزل الدم ايضاً فاجاب بعد التأمل ان غداً في الساعة الفلانية سينزل واما بعد غدٍ فلا ولكن يوم الاحد ما بين الساعة الخامسة والسادسة صباحاً سينزف منهُ مقدارٌ كثيرٌ ولا يعود ينزف بعد ذلك . وكان كذلك بكل تدقيق الاَّ انهُ عاد فنزف ثانيةً في مساء يوم الاحد الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة وقد انبأ بهِ قبل مجيئهِ بعشرين دقيقة وقد استغرب ذلك وابدى استغرابهُ في نومهِ بعدهُ ثم قال من جملة كلامهِ " في اول يونيو الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة كان اول نزول الدم وفي الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة كان آخرهُ " . وكنت حاضرًا اسمعهُ فكدت ان اخطئهُ لانهُ لم يرعف الاَّ في ٢١ يونيو بعد الظهر حتى فطنت الى انني ليلة مجيئهِ الى القاهرة في اول يونيو بقطار الاكسبرس الذي يصل اليها الساعة التاسعة وخمس عشرة دقيقة ليلاً امرت لهُ بالحجامات فترجح عندي ان يكون قولهُ صحيحاً لان ذلك كان بعد وصولهِ وبعد استدعائي اليهِ الذي كان حالاً وبعد وصولي وفحصي لهُ فلابدَّ ان يكون كل ذلك قد اخذ نحو ساعة من الزمان . ولما هبَّ من نومهِ الى اختلاط ذهنهِ قلت لهُ وهل ينزل الدم بعد ذلك قال كلاَّ الاَّ في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٧ عند الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة صباحاً فانهُ ينزل منهُ بعض نقط قليلة الاَّ انهُ مساء يوم الجمعة نزف منهُ شيء وكان قد حصل لهُ انفعال عظيم ثم قال ولولاهُ لبقيت ستين يوماً ايضاً

وسألناهُ في ذلك اليوم ايضاً اي يوم الخميس في ٣ اغسطس متى يشفى فقال يوم الاحد بعد العشرين من الشهر القمري سيكتب كثيرًا ويشفى ثم اردف ذلك بقولهِ انهُ ينام نوم اهل الكهف " . واعلم ان النوم عندهُ اذ يكون متهيجاً هو اليقظة واذ يكون مستيقظاً هو التهيج . ثم في يوم الاثنين مساءً وهو نائم النوم المبنوتسمي اكد شفاءهُ في ١٤ اغسطس ولكنهُ جعل كتابتهُ حينئذٍ مشروطة بعدم كدرهِ . وفي يوم الثلثاء لم يسمع منهُ ذكرٌ للكتابة في كل نومهِ وفي مساء هذا اليوم نحو الساعة السابعة كنت عندهُ مع احد الاطباء فسمعناهُ يتكلم في نومهِ (ولا يخفى ان هذا النوم كان متقطعاً ويتكرر مرارًا في اليوم) ويشكر لجسنهِ على تأكيدهِ لهُ الشفاء في ١٤ اغسطس ثم قال باللغة الفرنساوية يالله ان غداً يومٌ رديءٌ جدًّا وساتكدَّر فيهِ كثيرًا

وفي ثاني يوم وكان يوم الاربعاء حصل لهُ الكدر الذي اشار اليهِ عند الساعة السادسة بعد الظهر بظروف غريبة فان رجلاً من اقاربهِ ممن يكرههُ جدًّا ويسيءُ بهِ الظنَّ وكان قاطناً

بالاسكندرية حضر في ذلك اليوم من الاسكندرية الى القاهرة وعند الساعة السادسة بعد الظهر زار بيتهُ وكان يظنهُ لا يعي فمرَّ من امام باب غرفتهِ وكان مفتوحًا وصادف ذلك عند يقظتهِ ووعيهِ فاوَّل ما رآهُ غضب غضبًا شديدًا وامرهم بان يقفلوا الباب في وجههِ وبقي يرتجف نحو عشر دقائق ثم جعل بعد ذلك يظهر غضبهُ في نومهِ . وكان بينهُ و بين هذا الرجل علاقة في دعوى فاخذ يترافع بها وهو نائم وكنت حاضرًا اسمعهُ يتكلَّم بصوتٍ جهوري وحدَّة غريبة . وذكر في نومهِ اشياء كثيرة صادق الاهل على صحتها وزعموا انها مجهولة منهُ قبل ذلك و بالتحري من الرجل ورفيقهِ تحققت انهما قبل سفرهما من الاسكندرية الى القاهرة اجتمعا يوم الثلاثاء واتفقا على ساعة السفر في الغد وكان ذلك عند المساء نحو الساعة السابعة بعد الظهر ولا يخفى انهُ في مثل هذه الساعة سوَّف على هذا الكدر كما تقدَّم . واغرب من ذلك انهُ قال في نومهِ في اليوم التالي وكنت حاضرًا انهُ سيضحك كثيرًا عند الساعة الرابعة بعد الظهر و يتكدر عند الساعة السادسة فاوصيتهم بان ينتبهوا ويبعدوا الاسباب الموجبة لكدرهِ ما امكن ثم عدتهُ في المساء نحو الساعة السابعة الاَّ خمس عشرة دقيقة فوجدت الرجل المعهود مع رفيقهِ جالسًا في بلكون البيت فلتهم على ذلك فاكدوا انهُ لم يرهُ ولم يعلم بهِ وكان البلكون بعيدًا عن غرفتهِ . فدخلت اليهِ ووجدتهُ نائمًا يتكلم باللغة الفرنسوية ويقول " اما قلت لها (يعني امرأتهُ) انهم على الطريق وقد خرجوا من مكانهم الساعة السادسة وثماني عشرة دقيقة وهم آتون الى هنا وقد اخبرتها عن سيرهم دقيقةً فدقيقةً فلم تصدّق وبقوا خمس عشرة دقيقة حتى وصلوا وهم الآن هنا من ست دقائق . فسألت فعلمت ان الرجلين وصلا قبل وصولي بقليل اي من نحو خمس او ست دقائق ثم هبَّ من نومهِ الى اختلاط ذهنهِ فسألتهُ حينئذٍ وهل في عزمهِ ان يكتب بعد فقال ان الذين حولي لا يهمهم شأني فقد اخبرتهم بمجيئهم (وهذا صحيح على قولهم) قبل وصولهم وعينت لهم الوقت الذي خرج فيهِ احدهم من اللوكندة واجتمع برفيقهِ (وهذا صحيح لان الواحد كان ينتظر الثاني في القهوة) اما كان في امكانهم ان يمنعوا الاسباب . فسألتهُ وكم هم قال اثنان فقلت وما اسماهما قال لا اقول (لانهُ كان يكره ان يلفظ اسم احدهما) ثم قال والذي يقهرني على ما بي ان الواحد يقول ان بي شيطانًا والآخر ان ذلك مني حيلة . فمن هو يا ترى الرجل الذي يستطيع ان يصوم ثمانية عشر يومًا لا يذوق فيها طعامًا ويخسر من دمهِ ٦٥ رطلاً (مصريًّا على موجب تقديرهِ لانهُ كان يقدّر الدم كلما نزل بمقدار معلوم) ويبقى حيًّا وبهذه القوة . ثم تهيج عصبهُ حتى خيّل لنا انهُ يكسر الحديد . وبالواقع كانوا قبل قولهِ ذلك بقليل يتكلمون في البلكون هذا الكلام والرجل المعلوم كان يقول ان كل ذلك حيلة منهُ

لانهُ لم يكن يصدّق بمرضهِ . ولو أتينا على ذكر جميع ماذكرهُ في سرضهِ من الامور المؤكدة صحتها والمشبوهة لملأنا بهِ صفحات كثيرة وانما قصدنا بذكر ما ذكرنا بيان المهم فقط . واما انباؤُهُ بحالتهِ فقد تحققت صحتهُ يوماً فيوماً الى هذا اليوم يوم السبت صباحاً حيث كُتبت هذه الاسطر وارسلت الى المطبعة كي تطبع وتلحق بما تقدَّمها . ونحن بانتظار ما يكون من امر شفائهِ هذا المساء على حسب وعدهِ الساعة السابعة افرنجيَّة اعني زوال النوب العصبية والنوم السمنبولسي واختلاط الذهن

وفي مساء السبت تمَّ انباؤُهُ فانهُ عند الساعة السادسة الاَّ عشرين دقيقة نام وكان قبل ذلك في اختلاط الذهن واخذ يتكلم في نومهِ مع صاحبهِ وكان يسميهِ اباهُ ويودعهُ (ويودع بهِ مرضهُ) واستمرَّ وداعهُ الى الساعة السابعة الاَّ عشرين دقيقة وكان اثنان وهما جناب العالم صاحب المقتطف فارس افندي نمر وجناب اخنوخ افندي فانوس المحامي ينتظرانهِ منذ الساعة الخامسة ويسمعانهِ يتكلم واما انا فلم اتمكن من الحضور الاَّ عند الساعة السابعة الاَّ خمس عشرة دقيقة وكان قد فرغ من وداع صاحبهِ فوجدتهُ صامتاً وبهِ كزاز وذقنهُ ترتجف وعيناهُ تدمعان ويعرق عرقاً خفيفاً وهذا الكزاز عرض لهُ مراراً متوالية في اواسط مرضهِ وكان يستيقظ بهِ من نومهِ منعقد اللسان بضع دقائق . وبقي على ذلك الى الساعة السابعة الاَّ خمس دقائق فتشنج كما يحصل دائماً في آخر النوبة الهستيرية وبقي غائباً الى الساعة السابعة تماماً ففتح عينيهِ ولكنهُ بقي مدة قليلة صامتاً منعقد اللسان واذا خاطبهُ احد اشار اليهِ بيدهِ ان ينتظر. ثم استيقظ تماماً ولكنهُ كان في غاية الضعف ومن ثم لم يعاودهُ النوم الهستيري ولا اختلاط الذهن وانما كان يعرض لهُ في يوم الاحد والاثنين احلام متكرّرة اشبه بالكابوس

[المقتطف] ثم حاول الدكتور شميل تعليل هذه الحوادث كما سيجيء في الجزء التالي

اصدرت مصر ١٨٨٥٦٣٣ كيلوجراماً من الطماطم (البندوره) الى البلدان الخارجية في سنة ١٩٠٦ بقيمة ٢٠٦٦٥ جنيهاً مصريًّا واصدرت في السنة التي قبلها ٢٢٧٦١٠٢ كيلوجرام بقيمة ٢٠٢٩٢ جنيهاً مصريًّا

واصدرت ٦٢٤٨٥٠٠٠ بيضة بقيمة ١٠٦٢٣١ جنيهاً مصريًّا سنة ١٩٠٦ واصدرت في السنة التي قبلها ٥٨٣٧١٠٠ بيضة بقيمة ٨٢٠٣٦ جنيهاً مصريًّا في السنة التي قبلها

الاغنياء والفقراء

كتب المستر اندرو كارنجي الغني الكبير والمحسن الشهير مقالة موضوعها ما يجب على الاغنياء نحو الفقراء ونحو الامة كلها نشرتها مجلة المجلات الانكليزية في جزئها الاخير فرأينا ان نترجمها عنها لانها حرية بان يقرأها كلٌّ من جمع ثروة تزيد عن حاجته وحاجة اولاده قال :—

ان الغنى متوزع على الناس الآن توزعًا ليس فيه شيءٌ من المساواة ولا من الانصاف ولا بدَّ للناس من ان يسنُّوا قانونًا لتوزيعهِ بالقسط وهم ينظرون في ذلك الآن بدليل ما سمعناهُ بالامس من كلام روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية حيث قال معربًا عن الرأي العام

" يجب على اهالي الولايات المتحدة ان يبحثوا في المسائل المتعلقة بتوزيع الاموال الوافرة التي جمعها بعض الناس واستخدامها لما فيهِ النفع العام والخاص . ويجب علينا ان نميز بين الاموال التي كسبها اصحابها بطرق الحلال والاموال التي كسبوها بطرق الحرام — وبين الاموال التي كسبها ذووها وهم يخدمون ابناء جلدتهم خدمًا كبيرة نافعة والاموال التي جمعها ذووها بطرق غير محلَّلة ولكن سلطة القانون لا تصل اليها وهذه الاموال لا تصير رزقًا حلالاً مهما أُنفق منها في سبل الخير والمبرَّات . وعندي انهُ لا بدَّ لنا يومًا ما من ان نسنَّ قانونًا يخوّل الحكومة الحقَّ بان تأخذ جانبًا كبيرًا من اموال الاغنياء حينما يهبونها او يورثونها اذا زادت عما يحتاج اليهِ مَن توهب لهُ او مَن يرثها. وهذا القانون تسنُّهُ الامة نفسها لا حكومتها ويكون خاصا بالثروة التي تزيد عن الحاجة زيادة يخشى ضررها "

وانا اوافق الرئيس على هذا القول كلهِ ولقد مرَّ الآن سبع عشرة سنة منذ كتبت في هذا الموضوع في مجلة اميركا الشمالية واشرت بان توضع ضريبة على الاموال الموروثة تزيد بزيادتها حاسبًا ان ذلك اصلح الطرق لإنالة الامة نصيبًا عادلاً من مال الاغنياء الكبار. وقد مرَّت السنون فلم تزدني الاَّ رسوخًا في هذا الرأي واعتقادًا لعدالتهِ ونفعهِ للامة كلها ولزومهِ في المستقبل القريب

ولقد كتب كثيرون في تسفيهِ هذا الرأي وقالوا انهُ من آراء الاشتراكيين فهو منافض لمصالح الافراد ومقوّض لدعائم اهل الهمم العالية واصحاب الاعمال الكبيرة. ولكنني لو حسبتهُ انهُ موافق مذاهب الاشتراكيين او مخالف لمصالح الافراد لكنت آخر من يقول كلمة في تأييدهِ

لانني لا اثق بشيء اكثر مما اثق بان النجاح والعمران متوقفان على مساعي الافراد فاذا كان الانسان يحصد غير ما يزرعهُ تقوَّضت دعائم العمران كلها ومن سعى رعى ومن جال نال ومن زرع الكسل حصد الندامة والمجتهد الحاذق يجب ان ينال مالا ينالهُ الكسلان الجاهل ومن يزرع الريح يحصد الزوبعة

ولقد كانت الاموال ملكاً مشاعاً تشترك فيهِ القبيلة كلها ثم تخصصت الاملاك بارتقاء الناس في الحضارة والعمران وانتقالهم من الحالة الاشتراكية الى الحالة الافرادية المستقلة . ولم يجمع الناس على ذلك الاّ لانهم رأوا ان الاشتراك في الاموال والمقتنيات لا يأول الى النجاح ولا ينطبق على مقتضيات العمران . والاستقلال بالاملاك بعد شيوعها لم يبنَ على امر فطري او ديني بل على ما بينهُ الاختبار واثبت انهُ لازم للنجاح ولذلك لا يخشى ان يعود الانسان القهقرى الى الحالة الهمجية التي كانوا فيها حينما كانت الاملاك كلها مشاعةً لان ناموس الارتقاء يمنع الرجوع الى الوراء واذا تطرَّف الانسان في الاستقلال بالاموال وحشدها حتى آل ذلك الى ضررهِ فلا بدَّ من استنباط طريقة تزيل الضرر وتزيد النفع وتعممهُ . وعندي ان هذه الطريقة هي وضع ضريبة متزايدة على الثروات الطائلة التي يموت عنها اصحابها تنفق في مصلحة الامة . ووضع الضريبة المتزايدة على المواريث ليس امراً جديداً بل قد عملت بهِ بريطانيا العظمى من عهدٍ طويل واشار بهِ العالم الاقتصادي ادم سمث حيث قال انهُ يفرض على رعايا كل مملكة ان يساعدوا حكومتها بالنسبة الى مقدرتهم

ولنبحث الآن عن اصل الثروة لنرى كيف تجمع وما هو سببها

افرض ان رجلاً فلاَّحاً من اهل الجد والنشاط اتسعت ثروتهُ بعض الاتساع ولهُ ولدان فاستطاع ان يعطي كلاًّ منهما ابعدية (حقلاً) من اباعدهِ واقترن كلٌّ منهما بفتاة من فضليات النساء عرفها وعرفتهُ منذ الصغر وربيا معاً في العفة والنزاهة وكانت احدى الابعديتين الى الشمال من مدينة نيويورك والاخرى الى الجنوب منها فألقى الولدان قرعة فأصابت الجنوبية الاكبر والشمالية الاصغر ولم يكن لهما يد في هذا الاختيار ولا كان على ضد ارادتهما ولم تكن الابعديتان كبيرتين ولا ثمينتين بل ثمن كلٍّ منهما بضع مئات من الريالات . فاخذ الاخوان يعملان كلٌّ في ابعديتهِ والناس ينظرون اليهما بما يستحقانهِ من الاكرام لاجتهادهما واستقامتهما وكانا كريمين يجودان على اعمال البرّ بما في طاقتهما ويساعدان المحتاجين والمعوزين بما تصل اليهِ ايديهما وكانا متساويين في الهمة والاجتهاد والمواظبة وفي طاعتهما لشرائع بلادهما . وولد لهما اولاد وشبوا فاحسنا تربيتهم وتعليمهم

ثم جعلت مدينة نيويورك تنمو وتتسع الى جهة الشمال فاغنى اولاد الاخ الاصغر وصاروا من اصحاب الملايين واما اولاد الاخ الاكبر فبقوا فلاحين متوسطي الحال يحصلون خبزهم بعرق جبينهم

فمن فرّق بين اولاد الاخ الاكبر واولاد الاخ الاصغر فأبقى الاولين من الفلاحين المتوسطي الحال ورفع الآخرين الى درجة الاغنياء الكبار . ليس الاجتهاد ولا المهارة ولا الهمة ولا الحكمة ولا الاستبسال في خدمة الوطن ولا شيء من كل ذلك بل نموّ الامة هو الذي اعظم الثروة ونمت ثروتهم وهم نيام كما نمت وهم قيام ولو وقعت ابعديتهم من نصيب عمهم واولاده لكانت هذه الثروة لهؤلاء لا لهم فليس لهم يد في تحصيلها على الاطلاق

ثم مات هؤلاء الاولاد وخلفوا ثروة تقدر بالملايين الكثيرة لان ابعديتهم صارت جزءا من المدينة وبُنيت فيها المباني الفخيمة ذات الريع الوافر فأي قانون من قوانين العدل والانصاف لا يجيز للامة التي هي سبب هذا الغنى ان تنهض وتطالب بجانب كبير منهُ . وهي لم تنهض وتطالب بجانب من هذا الغنى في حياة الاولاد الاولين بل تركتهم يتمتعون بالثروة التي نمت في ايامهم لانها حسبت انهم بذلوا بعض الجهد في انمائها وخير للامة ان تترك المجتهد يتمتع بثمرة اجتهادهِ ما دام حيًّا اذا كان هناك وجه للظن انهُ بذل بعض الجهد في انماء الثروة وليس من الحكمة التعرُّض للنحلة التي تجني العسل ما دامت تسعى في جنيهِ ولكن اذا مات هؤلاء الاولاد لم يبقَ سبيل للشك في ان ثروتهم تأتي اولادهم عفوًا من غير اقلّ تعب في تحصيلها والامة أحق بها منهم لانها اشتغلت في انمائها اكثر مما اشتغل والدوهم والبلاد التي يزيد سكانها زيادة عظيمة كالولايات المتحدة يكون اكثر الزيادة في ثروتها من زيادة ثمن العقار فقد كان ثمن العقارات في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠ نحو ٣٩٥٤٥ مليون ريال فصار سنة ١٩٠٠ نحو ٥٢٥٣٨ مليون ريال فزاد ١٢٩٩٣ مليون ريال في عشر سنوات وسبب هذه الزيادة نمو السكان المستمر ولا بد لاصحاب العقار فيهِ كما اتضح من مثال الاخوين المتقدم والجهة التي لا يزيد سكانها يبقى ثمن عقارها على حالهِ واذا قلَّ عدد سكانها هبط ثمن العقار فيها اي ان نمو الامة هو الذي يزيد ثمن الممتلكات فيزيد الثروة فاذا لم تنمُ بل قلَّ عددها هبطت الاثمان وقلَّت الثروة العقارية فهي مديونة للامة اكثر من كلّ ممتلكات الانسان

ولننظر الآن في سائر الاعمال التي يثري اصحابها لنرى ما هو نصيبهم من زيادة الثروة لنفرض ان خمسة إخوة اولاد فلاح واحد مشهور بهمتهِ واجتهادهِ تفرقوا في طول

البلاد وعرض احدهم سكن ولاية نيويورك والثاني مدينة بتسبرج والثالث شيكاغو والرابع مونتانا والخامس مدينة نيويورك

فرأى الاول ان سكك الحديد لازمة لمدينة نيويورك وستزيد بزيادة نموها فجعل يشتري من اسهم شركاتها وجعلت قيمة هذه الاسهم ترتفع بنمو البلاد وازدياد السكان ولاسيما في العاصمة وكانت تلك الشركات تمتلك ارضاً واسعة على جوانب خطوطها فزادت قيمتها زيادة فاحشة وظلّ يشتري الاسهم كلما هبط سعرها ويسعى في انشاء سكك حديدية الى ان صار من الاغنياء الكبار . ولقد كان لهُ يد في نمو ثروتهِ ولكن اليد الطولى لنمو الامة وازدياد عدد السكان اذ لولا ذلك ما زادت ثروتهُ مهما زادت همتهُ وزاد اهتمامهُ فالامة شريكة لهُ في هذه الثروة ولها الحق بأن تأخذ جانباً كبيراً منها

وسكن الولد الثاني مدينة بتسبرج حينما كشفت مناجم الفحم فيها وظهر ان فحمها جيد لسبك الحديد وكشف فيها منجم آخر يصلح فحمهُ للاحراق في الآلات البخارية فبنيت مسابك الحديد هناك ودلّت الدلائل كلها على ان تلك المدينة ستصير مركزاً لمسابك الحديد وانها سترخّص عمل الفولاذ فيصير فولاذها ارخص فولاذ في الدنيا فانتبه الى حفظ الامر واهتمّ بهِ وليس في ذلك شيءٌ خارق العادة ولا فيهِ دليل تفوّق في الهمة والذكاء وغاية ما فعلهُ انهُ وثق بنمو بلادهِ وبنجاح تجارة الفولاذ لاحتياج الاعمال اليهِ وخاطر بالقليل الذي يتملكه في هذا السبيل واقنع بعض الماليين حتى مدوهُ بالمال واشترك مع اناس من رأيهِ وبنوا المسابك والمعامل فنجحوا وكسبوا ملايين كثيرة ثم زادوا في اماكن اخرى وفتشوا عن مناجم الحديد فيها وابتاعوها وابتاعوا ايضاً اراضي كثيرة فيها مناجم الفحم والغاز الطبيعي وكل ما يلزم لاستخراج الحديد وسبكهِ وعمل الفولاذ منهُ فاحسنوا صنعاً لا لانهم كانوا من نوابغ الرجال بل لانهم احسنوا نظرهم في الامور وتقدير العواقب . فلم يكوّنوا المعادن بل رأوها في الارض فاشتروها بثمن يعدُّ الآن بخساً جداً وكانت حينئذٍ ملكاً مشاعاً ولا يخفى ان اكثر ثروتهم منها واكثر ثروتهم كان ملكاً للامة ولم تصر ثروة حقيقةً الاَّ بنمو الامة وكثرة طلبها للحديد والفولاذ ولولم تنمُ ما كانت ثروتهم ولا كان لهم شيءٌ من الغنى فبأي حق تحرم الامة من هذه الثروة حينما يقف جامعوها عن جمعها ويحين الزمن لتوزيعها اي لاعطائها للذين لم يتعبوا في جمع دينار منها

والولد الثالث ذهب الى شيكاغو فدعتهُ احوالها الى الاتجار باللحم فجعل يضعهُ في العلب ويرسلهُ الى الجهات . ابتدأ برأس مال طفيف فزادهُ رويداً رويداً حتى صار من الاغنياء

الكبار بسبب نمو السكان وكثرة طلبهم للحم · ولو بقيت شيكاغو على ما كانت عليهِ حينما دخلها وبقيت البلاد كلها على ما كانت عليهِ من حيث عدد السكان لما كسب شيئًا من الثروة التي كسبها . فنموُّ الامة واحتياجها الى اللحم الكثير هما سبب اتساع عملهِ وازدياد ثروتهِ فيجب ان تكون شريكة لاولادهِ في هذه الثروة

والولد الرابع سمع عن غنى المناجم المعدنية فذهب الى منتانا وأصاب فيها منجمًا كثير النحاس والفضة ولولا ازدياد السكان في هذه البلاد وغيرها لرخص ثمن النحاس والفضة كثيرًا لكثرتهما في تلك المناجم ولكن ازدياد السكان وازدياد الطلب على النحاس والفضة أبقيا لهُ ربحًا وافرًا فصار من اصحاب الملايين ولو لم يوجد النحاس والفضة في مناجمهما ولكنهُ وجدهما هناك فاستخرجهما واشتراهما الناس منهُ بثمن غالٍ بسبب ازدياد عددهم وشدة احتياجهم اليهما فالناس الذين زادوا قيمة هذين المعدنين او منعوهما من الهبوط يستحقون جانبًا من الكسب الذي صار بسببهم

والولد الخامس سكن مدينة نيويورك نفسها وانضمَّ الى احد سماسرة الاسهم وجعل يضارب ويكتسب وكان الزمن زمن ارتفاع الاسعار في كل شيء فجمع ثروةً طائلة من غير ان يفيد احدًا من الناس لان مال المضاربة لافائدة منهُ لاحد وماالمضاربون سوى حيوانات طفيلية تعيش من امتصاص دماء الناس ثم قادهُ حب الكسب الى احتكار صنف من الاوراق فرأى ان الذي يأخذ الناس بالحيلة والخداع يأخذهُ الناس بالحيلة والخداع فخسر كل ما كسبهُ وصرم حبل حياتهِ بيدهِ ورأى اخوتهُ ذلك فزاد اجتنابهم للمضاربة · والمضارب لا يموت عن ثروة الاَّ اذا اتفق انهُ مات قبلما يضيع ما كسبهُ بالمضاربة . وفي هذه الحالة يحق للامة ان تأخذ الجانب الاكبر من ثروتهِ لانهُ اختلسها اختلاسًا من اموال الذين خدعهم فاضرَّ نفسهُ واضرهم

ومن الاغنياء اناس جمعوا اكثر ثروتهم بجدهم وذكاء عقولهم ومن هؤُلاء المخترعون الكبار الذين شاعت مخترعاتهم فانتفعوا منها ونفعوا غيرهم مثل غراهم بل مخترع التلفون واديصن مخترع المخترعات الكهربائية الكثيرة فان هؤُلاء استنبطوا اموراً مفيدة وعرفوا انها ستشيع وتربح فابقوا لانفسهم سهمًا كبيرًا في الشركات التي تألفت لها فمصدر ثروتهم ذكاء عقولهم وهم جديرون بكل تجلة واحترام

وقد يقال ان ارباب الاعمال كلهم كاصحاب المعامل ومنشئي سكك الحديد ونحوهم استنبطوا اساليب جديدة لنجاح اعمالهم فامتازوا على غيرهم وفازوا بالنجاح . وهذا صحيح ولكن

المخترعات التي اعتمدوا عليها لم تكن لهم بل لغيرهم وغاية ما فعلوهُ هو انهم عرفوا نفعها واستخدموها في اعمالهم . وهم احق من غيرهم بجانب من الربح الذي ربحوهُ ولكن يبقى الفضل الاكبر والنصيب الاوفر لنمو الامة حتى في استعمال مخترعات المخترعين

ولذلك كلهِ لا ارى وجهاً لحرمان الامة من جانب كبير من اموال الاغنياء حينما يموتون بل من الجانب الاكبر منها ما دام نمو الامة هو السبب الحقيقي لزيادة هذه الاموال ولا ينكر ان بعض الناس فاقوا غيرهم في ادارة الاعمال الكبيرة وانجاحها ومنهم اكثر منشئي سكك الحديد وباقي السفن التجارية ومنشئي المعامل الصناعية والتجار واصحاب البنوك . ورجال مثل هؤلاء جمعوا ثروتهم بالهمة والاستقامة وحسن النظر في العواقب والتفوُّق على غيرهم من معاصريهم جديرون ان يتمتعوا بثروتهم ولا يحسن ان يضيَّق عليهم بوجه من الوجوه لانهم من بناة المعالي ومنشئي ثروة الامة . لكن هؤلاء الرجال قلَّما ينفقون شيئاً يذكر من اموالهم بل هم في الغالب من اشد الناس اقتصاداً فتترك الثروة لهم كنزاً كما لخزنة امناء يحتفظون بها اشدَّ الاحتفاظ . والذين يبذرونها ويبددونها انما هم اولادهم الذين لم يتعبوا في جمعها

ولقد اشار بعضهم بضريبة الايراد دواء لهذا الداء ولكن ضريبة الايراد تغري الناس بالكذب فتفسد آداب الامة كما قال غلادستون . وخير منها اخذ جانب من ميراث الاغنياء وهو المعروف بضريبة المواريث التي تزيد نسبتها بزيادة الثروة حتى لا يبقى لاولاد الغني الَّا ما يكفيهم ولا يضرهم . انتهى بايجاز

المفاضلة بين الشعراء

باب في اختلاف الصور على المعنى الواحد او في اظهارهِ تحت مظاهر مختلفة

ان اختلاف الصور والاساليب مع وحدة المعنى لأَشبه شيءٍ بضروب النقوش التي تنقش على قطعة من نسيج ابيض او بالالوان التي تلوَّن بها تلك النقوش فما كانت الوانها ناصعة متآخية يشبه بعضها بعضاً كانت جميلة وكلما عظم تناسب الالوان علت درجة الجمال وتزايد رونق الحسن لكن مع ذلك قد يستحسن زيد ما لا يستحسن عمرو وكلاهما يؤثر ما استحسن على ما استحسن الآخر وكذا الامر في ما يؤدى بهِ المعنى الواحد من الاساليب المختلفة وبهذا الاعتبار تقع المفاضلة بين ابيات الشاعر الواحد او ابيات الشعراء الواردة بمعنى حتى يكون بيت اشعر من بيت كما يكون شخص اشعر من شخص

هذا واعلم ان اشعر بيت هو ما هشَّ لهُ القلب ومال اليهِ الطبع كما يهشُّ الحبيب عند لقاء الحبيب . وها انذا أُورد لك عدَّة صالحة من الابيات الواردة في المعنى الواحد واما الحكم بالافضلية فأَكلهُ الى ذوق القارئ اللبيب

فصل فيما لأَبي تمام في باب المدح بالجود والشجاعة

قال في المعتصم بالله

(١) هو البحر من اي النواحي أَتيتهُ — فلجتهُ المعروف والجود ساحلهْ

تعوَّد بسط الكف حتى لو انَّهُ — ثناها لقبضٍ لم تطعهُ انامله

ولو لم يكن في كفهِ غير روحهِ — لجاد بها فليتقِ الله سائلهْ

وقال في احمد بن ابي دُوَاد

(٢) فما من ندًى الاَّ اليك محلهُ — ولا رفقةٌ الاَّ اليك تسيرُ

وقال فيهِ ايضاً

(٣) فأْذن بإذنٍ فان الجدب ارسلنا — وفداً اليك وانت الغيث ينتظرُ

ولهُ في مدح ابي سعيد

(٤) هل اجتمعت احياء عدنان كلها — بملتحمٍ (١) الاَّ وانت اميرها

بك اليمن استعلت على كل موطنٍ — وصار لعليّ تاجها وسريرُها

محرَّمة اكفال خيلك في الوغى — ومكلومةٌ لباتها (٢) ونحورها

حرامٌ على ارماحنا طعن مدبرٍ — وتندقُّ في اعلى الصدور صدورها

ولهُ في مدح جعفر الخياط

(٥) حلفت بمستنّ المنى تسترشهُ (٣) — سحابة كفٍّ بالرغائب تقطرُ

اذا درجت فيهِ الصبا كفكفت لها — وقام يباريها ابو الفضل جعفرُ (٤)

بسيبٍ كأَن السيب من ثرّ نوئهِ — واندية منها ندى النوء يعصرُ (٥)

فتى من يديهِ البأْس يضحك والندى — وفي مرجهِ بدرٌ وليث غضنفرُ

أَبا المجد اني يوم جئتك مادحاً — رأَيت وجوه الجود كيف تصوَّرُ

وايقنتُ اني والجٌ غمر زاخر — تنوب اليهِ بالسماحة البحرُ

---

(١) الملتحم : ساحة القتال (٢) اللبات : جمع لبة وهي موضع النحر من الحلق (٣) المستنّ : المنصب المنسكب وتسترشهُ : تسأَلهُ الرشّ والصبّ (٤) درجت : جرت جرياً شديداً . وكفكفت : دفعت وباريها : يجاريها (٥) السيب : العطاء . والثرّ : كثرة الماء . والنوء : نجم المطر

ولهُ في المعتصم من قصيدة

(٦) ملكٌ يضلُّ الفكرُ في ايامهِ ويقلُّ في نفحاتهِ ما يكثُرُ

فليحسرنَّ على الليالي بعدهُ أن يبتلي بصروفهنَّ المعسِرُ

وقال

(٧) لم يغلقِ اللهُ بابَ العرفِ عن احدٍ باب الامير لهُ المألوفُ مألوفُ

ولهُ من قصيدة يمدح بها عبد الله بن ابي دوّاد

(٨) تفرّج عنهم الغمراتِ بيضٌ جلادٌ تحت قسطلة الجلاد [1]

لهم جهلُ السباع اذا المنايا تمشّت في قناً وحلوم عادِ

وما سافرت في الآفاق الاَّ ومن جدواك راحلتي وزادي

مقيم الظنّ عندكَ والاماني وان قلقتْ ركابي في البلادِ

معادُ البعثِ معروفٌ ولكن ندى كفّيك في الدنيا معادي

ولهُ من قصيدة يمدح بها عبد الله المشار اليهِ

(٩) كادت المكرماتُ تنهدُّ لولا أنها أيّدت بحيّ إيادِ

عندهم فرجة اللهيف وتصديقُ ظنون الروّاد والورّادِ [2]

وكأنَّ الاعناق يوم الوغى أولى بأسيافهم من الأغمادِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها عمرو بن طوق

(١٠) وطئ الخطوبَ وكفَّ من غلوائها عمرو بن طوق نجم اهل المغربِ [3]

يعطي عطاء المحسن الخضل الندى عفواً ويعتذر اعتذار المذنبِ

ومرحّبٌ بالزائرين وبشرهُ يغنيك عن اهلٍ لديهِ ومرحبِ

بحرٌ يطمّ على العفاةِ وان تهجْ ريحُ السؤال بموجهِ يغلولبِ [4]

صلبٌ اذا اعوجَّ الزمانُ ولم يكن ليلينَ صلبَ الخطب من لم يصلبِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا دُلف القاسم بن عيسى العجليّ

(١١) اذا العيس لاقت بي ابا دلفٍ فقد تقطّع ما بيني وبين النوائبِ

(١) القسطلة : الغبار · والجلاد : المضاربة بالسيوف (٢) اللهيف : المظلوم والحزين ذهب لهُ مال او فجع بحميم والروّاد : الطلاّب · والورّاد : المقبلون على الماء ليشربوا (٣) الغلواء مثل الغلوّ والمراد بها الشدّة (٤) يطمّ اي يعلو والعفاة : طالبو الرزق · ويغلولب : يتكاثف يقال اغلولب العشب اذا تكاثف

هنالك تلقى المجد حيث تقطعت — تمائمهُ والجود مرخى الذوائبِ
تكاد عطاياهُ يجنُّ جنونها — اذا لم يعوذها بنغمة طالبِ
اذا حرَّكتهُ هزَّة المجد غيَّرت — عطاياهُ اسماء الأَماني الكواذبِ
تكاد مغانيهِ تهشُّ عراصها — فتركبُ من شوقٍ الى كل راكبِ
اذا ما غدا أغدى كريمة ماله — هديًّا ولو زُفت لألأَم خاطبِ (١)
يرى اقبح الاشياء اوبة آملٍ — كستهُ يد المأمول حلة خائبِ
واحسن من نورٍ تفتحهُ الصبا — بياض العطايا في سواد المطالبِ
أقول لاصحابي هو القاسم الذي — بهِ شرحَ الجود التباس المذاهبِ
واني لأرجو عاجلاً ان تردَّني — مواهبهُ بحرًا ترجَّى مواهبي

ومنها
فان المنايا والصوارم والقنا — اقاربهم في الروعِ دون الاقاربِ
جحافلُ لا يتركنَ ذا جبريةٍ — سليمًا ولا يحربنَ من لم يحاربِ (٢)
يمدُّون من ايدٍ عواصٍ عواصمٍ — تصول باسيافٍ قواضٍ قواضبِ (٣)
اذا الخيلُ جابت قسطل الحرب صدَّعوا — صدور العوالي في صدور الكتائبِ (٤)

ولهُ من قصيدة في مدح ابي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب

(١٢) الى ملكٍ لم يلقَ كلكلَ بأسهِ — على ملكٍ الاَّ وللذلّ جانبهْ (٥)
الى سالب الجبار بيضة ملكهِ — وآملهُ غادٍ عليهِ فسالبهْ (٦)
فنوَّل حتى لم يجد من ينيلهُ — وحارب حتى لم يجدْ من يحاربهْ
أرى الناس منهاج الندى بعد ما عفت — مهايعهُ المثلى ومحّت لواحبهْ (٧)

ومنها
فلو نطقت حرب لقالت محقةً — ألاَ هكذا فليكسب المجد كاسبهْ
ليعلم ان الغرَّ من آل مصعب — غداة الوغى آل الوغى واقاربهْ

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا الحسين محمد بن الهيثم بن شبابة

(١٣) ملك اذا نسب الندى من ملتقى — طرفيهِ فهو لهُ اخٌ وحميمُ
كالليثِ ليثِ الغاب الاَّ ان ذا — في الروح بسامٌ وذاك شتيمُ (٨)
طحطحتَ بالخيل الجبال من العدى — والكفر يقعد بالهدى ويقومُ (٩)

---

(١) الهديّ: العروس واغدى كريمة ماله: سيرها في الغداة (٢) المجبره ولا يحربن اي لا يسلبن (٣) العواصم: جمع العاصمة وهي المانعة والقواضب: القواطع (٤) صدعوا: كسروا وشققوا (٥) الكلكل: الصدر (٦) بيضة الملك: حوزته (٧) المهايع: الطرق الواسعة · ومحّت: اي محيت واللواحب: الطرق الواضحة (٨) الشتيم القبيح (٩) طحطحت: هدمت

ومنها ضربت انوف المحل حتى أقلعت والعُدم تحت غمامها معدوم[١]

ومنها الأندى كالدين حقٌّ قضاؤهُ ان الكريم لمعتفيه غريم[٢]

عرفت غدا ضرباً نحيفاً عنده شكر الرجال وانهُ لحميم[٣]

قاسي الفؤاد على كرائم ماله ولزائريه ومعتفيه رحيم

(١٤) ولهُ في مدح ابي سعيد

كرمت راحتاه في ازمات[٤] كان فيها صوب الغمام لئيما

(١٥) ولهُ فيه ايضاً

اذا سار فيه الظن كان بكلّ ما تؤمّلهُ من جدواهُ اوّل قادمِ

اساءت يداهُ عشرة المال بالندى واحسنتا فينا خلافة حاتمِ

(١٦) ولهُ فيه ايضاً

كذا أخوك الندى لو أنهُ بشرٌ لم يلفَ طرفة عينٍ غير مبتسمِ

(١٧) ولهُ من قصيدة في مدح بعض بني عبد الحميد الطائيين

يكاد نداهُ يتركهُ عديماً اذا هطلت يداهُ على عديمِ

(١٨) ولهُ من قصيدة يمدح بها الفضل بن صالح الهاشمي

اذا القصائد كانت من مدائحهم يوماً فأنت لعمري من مدائحها

وان غرائبها اجدبن في بلدٍ كانت عطاياك من اندى مسارحها

(١٩) أحلهم الندى سطةَ المعالي[٥] اذا نزل البخيل على التخومِ

قرومٌ للنجير بهم اسودٌ نكالٌ للاسود وللقرومِ[٦]

اذا نزلوا بمحلٍ روّضوهُ بآثارٍ كآثار الغيومِ

ومنها سفيهُ الرمح جاهلهُ اذا ما بدا فضلُ السفيه على الحليمِ

(٢٠) ولهُ في مدح احمد بن ابي دؤاد

الى سالم الاخلاق من كل عائبٍ وليس لهُ مال على الجود سالمُ

جدير بأن لا يصبح المال عندهُ جديراً بأن يبقى وفي الارض غارمُ

وليس ببانٍ للعلى خلقُ امرئٍ وان جلّ الّا وهو للمال هادمُ

---

(١) العدم : الفقر (٢) المعتفي : طالب المعروف (٣) الضرب : الضعيف واحلة من الرجل الضرب بمعنى الخفيف اللحم (٤) الازمات : جمع الأزمة وهي الشدة والقحط (٥) السطة : الوسط (٦) القروم : السادات والنكال : المصيبة

الى ان يقول

أُناسٌ اذا راحوا الى الروع لم تُرِحْ ... مسالمةً أسيافهم والقوائمُ (١)

ولهُ من قصيدةٍ يمدح بها ابا سعيد

(٢١) وتؤامُ الندى يرى الكرمَ الفا ... ردَ في اكثر المواطن لوما (٢)

كلما زرتهُ وجدتَ لديهِ ... نشباً ظاعناً ومجداً مقيما (٣)

ومنها واذا كان عارضٌ والموتِ منجاً ... خضلاً بالردى اجش هزيما (٤)

في ضرامٍ من الوغى واشتعالٍ ... تحسبُ الجوَّ منهما محموما

واكتست ضمرُ الجيادِ المذاكي ... من لباس الهيجا دماً وحميما (٥)

في مكرٍّ تلوكها الحربُ فيهِ ... وهي مقورّةٌ تلوكُ الشكيما (٦)

قمتَ فيها بحجة الله لما ... ان جعلت السيوف عنك خصوما

(٢٢) ولهُ من قصيدةٍ اخرى يمدح بها ابا سعيد مطلعها

قل للأمير ابي سعيدٍ ذي الندى ... والمجد زاد الله في اكرامهِ

ومنها وتقسمَ الناسُ السخاء مجزءاً ... فذهبتَ انتَ برأسهِ وسنامهِ

وتركت للناس الإهاب وما بقي ... من فرثهِ وعروقهِ وعظامهِ

(٢٣) ابا سعيدٍ تلافت عندكَ النعمُ ... فانتَ طودٌ لنا منجٍ ومعتصمُ

لازال جودك يغشى المحلَ صولتهُ ... وزال عودُك تسقي روضهُ الديمُ

أشرفتُ منك على بحر الغنى ويدي ... يجول في مستواها الفقرُ والعدمُ

(٢٤) ولهُ في مدح بني عبد الكريم من قصيدة يهجو بها عتبة بن ابي عاصم

ما أُنشئت للمكرماتِ سحابةٌ ... الاّ ومن ايديهم تتدفقُ

انظر فحيث ترى السيوفَ لوامعاً ... ابداً ففوق رؤوسهم تتألقُ

شوسٌ اذا خفقت عقابُ لوائهم ... ظلت قلوبُ الموت منهُ تخفقُ (٧)

بلهٌ اذا لبسوا الحديد حسبتهم ... لم يحسبوا أنّ المنيّة تخلقُ

(١) القوائم : مقابض السيوف (٢) الفارد : المنفرد واللوم : الشحّ واصله اللؤم بالهمز (٣) النشب : المال والظاعن : الراحل (٤) العارض : السحاب والخضل : المبتلّ · والأجشّ : الخشن الصوت · والهزيم الصوت المتبعق (٥) المذاكي الخيل المسنة والحميم : الماء الحارّ واراد بهِ عنا العرق (٦) المقورّة : الضامرة · والشكيم : حديدة اللجام المعترضة في الفم (٧) الشوس : جمع الاشوس وهو الجريء على القتال الشديد والأروع : من تعجب خصالهُ · والنكس : الضعيف

(٢٥) لقيتهم والمنايا غيرُ دافعةٍ لما امرتَ بهِ والملتقى كَبَدُ
ومنها من كلِّ اروعَ ترتاعُ المنونُ لهُ اذا تجرَّدَ لا نكسٌ ولا جحدُ(١)

(٢٦) ولهُ من قصيدة يمدح بها محمد بن الهيثم بن شبابة

أغرُّ يداهُ فرضتا كل طالب وجدواهُ وقفٌ في سبيل المحامدِ (٢)
ومنها هم شغلوا يوميك بالبأس والندى وآتوك زنداً في العلى غير خامدِ
وان كان عامٌ عادم المحل فاكفهِ وان كان يوم ذا جلاد فجالدِ (٣)
ومنها فكم ديةٍ تمَّت علت تسوقها لها أثر سيفي تالدٍ غير تائر (٤)
وليست دياتٍ من دماءٍ هرقتها حراماً ولكن من دماء القصائدِ

(٢٧) ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

لدى ملكٍ من أيكة الجود لم يزل على كبد المعروف من فعلهِ بردُ

الى ان يقول

فقد نزل المرتاد منهُ بماجدٍ مواهبهُ غورٌ وسؤددهُ نجدُ
غدا بالأماني لم يرق ماء وجههِ مطالٌ ولم يظفر بآمالهِ الردُّ
أبلهمُ ريقاً وكفّاً لسائلٍ وأنضرهم وعداً اذا صوَّح الوعدُ (٥)
فتى لا يرى بدّاً من البأس والندى ولا شيءَ الاَّ منهُ غيرهما بدُّ
بهِ أسلم المعروفُ بالشام بعدما ثوى منذ أودى خالدٌ وهو مرتدُّ (٦)

وله من قصيدة يمدح بها موسى بن ابرهيم الرافقي

(٢٨) الى مشرق الاخلاق للجود ما حوى ويحوي وما يخفي من الامر او يبدي
فتىً لم يزل تنضي بهِ طاعة الندى الى العيشة العسراء والسؤدد الرغدِ
اذا وعد انهلت يداهُ فاشهدتا لك النجح محمولاً على كاهل الوعدِ

الى ان يقول

كريم متى امدحهُ امدحهُ والورى معي واذا ما لمتهُ لمتهُ وحدي

ولهُ في مدح خالد بن يزيد الشيباني

(١) والجحد : القليل : الخير — الفرث : السرجين في الكرش (٢) الفرضة : ثلمة من النهر يستقى منها (٣) العارم : الكثير الفائض والجلاد : المضاربة بالسيوف (٤) الدية : ثمن دم القتيل واستعملت هنا بمعنى الجائزة وجعل القصيدة بمنزلة القتيل وهو معنى بديع (٥) صوَّح : يبس وجفَّ (٦) ثوى : اقام ومكث . وأودى : هلك

(٢٩) جذبت نداهُ غدوة السبت جذبةً ... فخرَّ صريعاً بين ايدي القصائدِ

نأبتْ بنعمى منهُ بيضاء لدنةٍ ... كثيرة قرحٍ في قلوب الحواسدِ [1]

ولهُ فيهِ من قصيدة أُخرى

(٣٠) رمى الله منهُ بابكاً وجيوشهُ ... بقاصمة الاصلاب في كل مشهدِ [2]

بأسمحَ من صوب الغمام سماحةً ... واشجع من صرف الزمان وانجدِ [3]

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف الطائيّ

(٣١) فتيدتَ بالاقدام مطلق بأسهم ... واطلقت فيهم كلَّ حتفٍ مقيدِ

وبالهضب من ابرشتويم ودروزٍ ... سمت بك اطراف القنا فاسم وازددِ [4]

أفادتكَ منها المرهفاتُ مكارماً ... تعمرُ عمر الدهر ان لم تخلدِ [5]

ولهُ من قصيدة في مدح الحسن بن رجاء

(٣٢) ورأيتني فسألت نفسك سيبها ... لي ثمَّ جدت وما انتظرت سؤالي

كالغيث ليس لهُ أُريد نوالهُ ... او لم يرد بدٌّ من التهطالِ

ومنها لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حربٌ للمكان العالي

ومنها لما وردنا ساحة الحسن انقضى ... عنا تعجرف دولة الإمحالِ

احيا الرجاء لنا برغم نوائبٍ ... كثرت بهنَّ مصارعُ الآمالِ

اغلى عذارى الشعر ان مهورها ... عند الكريم اذا رخصنَ غوالِ

تردُ الظنون بنا على تصديقها ... ويحكم الآمال في الاموالِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابا سعيد

(٣٣) شهدتُ لقد لبست ابا سعيدٍ ... مكارم تبهر الشرف الطوالاَ [6]

اذا ما الدهر جار جرت ايادي ... يديك فغشت الدنيا ظلالاَ [7]

ولهُ من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق

(٣٤) فما الربيع على أُنس البلاد بهِ ... اشدَّ خضرة عودٍ منهُ في القحمِ

ولا أُرى دية أُكفى لنائبةٍ ... منهُ على ان ذكراً طار للديمِ

ومنها اذا بلغنا أَبا كلثومٍ اتصلت ... تلك المنى واخذنَ الحاجَ من أُممِ

---

(١) لدنة رخصة ولينة · والقرح : الجرح (٢) وقاصمة الاصلاب : اي كاسرها (٣) انجد : اي اشجع (٤) ابرشتويم ودروز : موضعان (٥) المرهفات : السيوف الرقيقة الشفار (٦) الشرف جمع الشرفة وهي اعلى كل شيء (٧) الايادي : النعم · وغشت : اي غطت — والسيب : العطاء

رأتهُ في المهدِ عتابٌ فقال لها ذوو الفراسة هذا صفوة الكرمِ
خذوا هنيئاً مريئاً يا بني جشمٍ منهُ امانين من خوفٍ ومن عدمِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها حفص بن عمر الازدي

(٣٥) ومن شكَّ ان الجود والبأس فيهم كمن شكَّ في ان الفصاحة في نجدِ

الى ان يقول

فلم اغشَ باباً انكرتني كلابهُ ولم أتشبث بالوسيلة من بعدِ
فاصبحتُ لا ذلُّ السؤال اصابني ولا قدحت في خاطري روعة الردّ
يرى الوعدَ اخزى العار ان هو لم تكن مواهبهُ تأتي مقدمة الوعدِ
فلو كان ما يعطيهِ غيثاً لأمطرت سحائبهُ من غير برقٍ ولا رعدِ
دربة خيل لا يزال لدى الوغى لهُ مخلبٌ وردٌ من الاسد الوردِ

ولهُ من قصيدة في مدح احمد بن عبد الكريم

(٣٦) كم بيَّتَ في الهيجا بيوم ابيضٍ والحرب قد جاءَت بيومٍ اسودا
أقدمت لم ترك الحمية مصدراً عنها ولم يرَ فيك قرنك موردا
لم تغمد السيف الذي قلدتهُ حتى تمنى نصلهُ ان يغمدا

ولهُ من قصيدة يمدح بها المعتصم ويذكر اخذ بابك

(٣٧) غضب الخليفة للخلافة غضبةً رخصت لها المهجات وهي غوالِ
لما انقضى جهل السيوف لبابك أغمدنَ عنهُ جهالة الجهالِ

ومنها

أسرى بنو الاسلام فيهِ وأدلجوا بقلوب أسدٍ في صدور رجالِ
قد شمروا عن سوقهم في ساعةٍ أمرت ازار الحرب بالإسبالِ
وكذاك ما تنجرُّ اذيال الوغى الاّ غداة تشمر الأذيالِ

ومنها

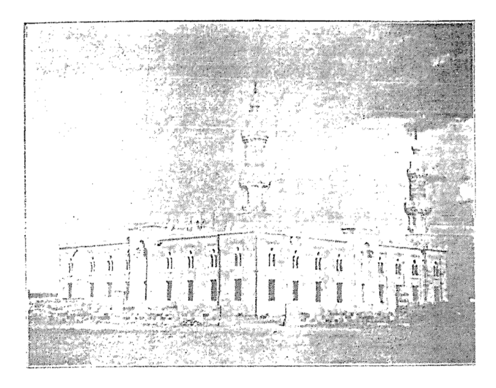
قد أترعت منهُ الجوانح رهبةً بطلت لديها سورة الابطالِ
لو لم يزاحفهم لزاحفهم لهُ ما في صدورهم من الأوجالِ

ولهُ في مدح اسحق بن ابرهيم

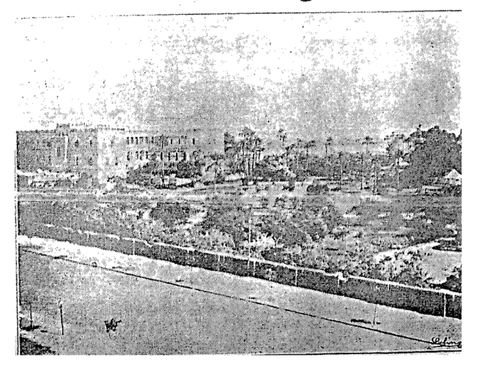
(٣٨) لقيتهمُ بجلاَّب المنايا بعيد الزرّ ناءي الحجرتين
فما أبقيتَ للسيف اليماني شجىً فيهم ولا الرمح الرديني

الى ان يقول

ألا ان الندى اضحى اميراً على مال الامير أبي الحسين



جامع الخرطوم الذي بني حديثاً



قصر الحاكم العام في الخرطوم وحديقتهُ

التي تعتري مزروعاتها ومواشيها وسائر ما يبحث اهل العلم فيهِ تقابل باحسن تقارير دواوين المعارف في ارقى البلدان عمراناً

ثم انهُ يرجح ان يهاجر كثيرون من سكان مصر الى هذه البلاد والفلاح المصري مشهور باجتهادهِ ومواظبتهِ على العمل فيتساعد بهم سكان السودان ويتعلمون منهم بالقدوة · واول ارض زراعية دخلتها في بري بجوار الخرطوم رأيت فلاحها مصري الاصل وهو شيخ طاعن وقد خدم الاطيان التي هو فيها خدمة خبير بالزراعة والعمال الذين معهُ سودانيون ولكنهم يعملون معهُ بنشاط على ما يظهر اقتداءً بهِ . سألتهُ عما لقيهُ في زمن حكم الدراويش فتنهد ثم تبسم وقال عذبونا كثيرًا ولكن الحمد لله فقد خلصنا من ذلك الظلم

ومياه النيل غزيرة جدًّا اغزر مما يحتاج اليهِ القطر المصري لو امكن التحكم فيها ولاسيما زمن الفيضان حين ينصبُّ جانب كبير منها في بحر الروم· والبناء الذي يبنى للري في هذه العاصمة هيكل يجتمع فيهِ مهندسو الري لدرس الاعمال التي يمكن عملها لري بلاد السودان من غير ان يلحق بالقطر المصري ضرر ولا يتعذر على اهل الهمة والنشاط والعلم والتدبر ان يستنبطوا طرقاً لخزن مياه الفيضان التي تزيد عما يلزم لري القطر المصري واستعمالها في بلاد السودان كما لا يتعذر عليهم ان يقللوا ما يتبخر من المياه بانتشارها في البطائح الاستوائية

ولكن نجاح الزراعة لا يكفي وحدهُ لارتقاء البلاد وان كان لهُ اليد الطولى في ارتقائها فلا بد من ادارة ماليتها واحكامها وسائر اعمالها · واهتمام رجال المالية بادارة مالية البلاد وتقديم الاموال اللازمة لما يجري فيها من الاعمال والاعتدال في ذلك حتى لا يبلغ التوفير درجة الشح ولا الكرم درجة الاسراف ولا ينفق غرش في غير موضعهِ يضمن لمالية السودان السير في سبيل التقدم المستمر واستعمال المال في اصلح ما يستعمل لهُ

وقد بلغني من الكولونل برنارد باشا ان المال الذي توفر لديهِ في آخر العام الماضي من زيادة الايرادات والتوفير في المصروفات بلغ ٢٢٥٠٠٠ جنيه وسينفق هذا المبلغ كلهُ في اصلاح البلاد واستثمار مصادر ثروتها

وبلغني من الذين حادثتهم في شؤُون السودان ان محاكمهُ تعدّ مثلاً في سهولة التقاضي وعدل الاحكام وسرعة انجاز الاعمال وودوا لو رأوا مثل هذه السهولة وهذه السرعة في القطر المصري· ورأيت في المستشفى الاميري من الاستعداد التام لمعالجة الامراض والآفات والاعتناء بالمرضى الذين يعالجون فيهِ ما يتضح منهُ ان الهمم مبذولة في ترقية البلاد واسعاد سكانها

ولا يخفى ان الاشراف على هذه الاعمال كلها مع ادارة الجيش المصري منوطة برجل

اشتهر بوداعتهِ ولين عريكتهِ كما اشتهر بهمتهِ وبسالتهِ اعني بهِ السر رجينلد ونجت باشا سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام ولقد ادهشني ما رأيتهُ في وجوه علماء البلاد واعيانها يوم خلع عليهم في عيد الاضحى فانهم كانوا يصافحونهُ مسرورين مبتهجين لا كأنهُ حاكم سامٍ وآمر مطاع بل كأنهُ صديق حميم ووالد شفيق تجب طاعتهُ كما تجب طاعة الوالد

هذا هو الاساس الواسع الجدران الذي رأيتهُ في مدينة الخرطوم قبل ان اطلعت على التفاصيل وكيفما نظرت اليهِ من وجهٍ حسي او معنوي رأيت فيهِ دليلاً كبيرًا على مستقبل بسَّام تهنأ بهِ هذه البلاد

اما الخرطوم نفسها كمدينة من المدن فاتساع شوارعها ونظافتها التامة وانارتها بالنور الكهربائي الساطع الذي انيرت بهِ بُعَيد دخولي اليها وفخامة مباني الحكومة فيها وانتظام المساكن الجديدة واتمام ذلك كلهِ في بضع سنوات تدل على انهُ لا تمر بضع سنوات أُخرى حتى ترصف الشوارع كلها وتصير ترش يوميًّا لمنع الغبار وتغرس الاشجار على جوانبها وينشأ الكبريان اللذان يصلان بينها وبين الحلفاية وام درمان فتصير هي وهما مركزًا لتجارة السودان ومصدرًا ينتشر منهُ نور العلم والعرفان في كل مجاهل افريقية

وهنا امر لا يصح الاغضاء عنهُ وهو ان كل الذين يساعدون الحكومة في بناء هذه المدينة وتوسيع تجارتها وزرع الاطيان القريبة منها ليسوا من اهالي البلاد الاصليين بل من الذين هاجروا اليها من السوريين واليونان والايطاليين وان بعض فضلاء الاوربيين انشأُوا فيها البنوك والفنادق فلهم كلهم فضل لا ينكر في مساعدة حكومة السودان وان كانت الحكومة قد سهلت لهم كل السبل وساعدتهم مساعدة كبيرة. وعسى ان يستمروا على هذا الاجتهاد وهذا الدأب وان لا يكون منهم للبلاد الاَّ كل نفع

وما تمَّ حتى الآن على كثرتهِ يعدُّ قليلاً جدًّا بالنسبة الى ما تحتاج البلاد اليهِ حتى تصير من البلدان المرتقية الناجحة في زراعتها وصناعتها وتجارتها ولا بدَّ من ان يتم اضعاف اضعافهِ وتمر سنون كثيرة قبل البلوغ الى الغاية المطلوبة

ولكن مهما بذل رجال الحكومة من العناية لانجاح هذه البلاد ومهما ساعدهم في ذلك النزلاء لا يتم نجاحها ما لم يساعدهم سكانها وفي مقدمتهم علماؤُها واعيانها فالسبيل المفتوح امامهم الآن سبيل مجد وفلاح وما عليهم الاَّ اغتنام الفرص لنيل ما تصبو اليهِ نفس كل حر كريم ·

مفاخر البطالسة

بطليموس العاشر الملقّب بسوتر الثاني

هو ابن بطليموس التاسع من زوجتهِ كليوباطرة الثالثة . فان كليوباطرة هذه اخذت على زوجها عهداً ان تملك بعدهُ ووافقها اهالي الاسكندرية على ذلك وعزمت ان تشرك ابنها الاصغر معها وهو بطليموس الحادي عشر ويسمَّى بالاسكندر الاول ولكن الشعب لم يرضَ بهِ فعدلت عن عزمها واشركت معها اخاهُ بطليموس العاشر وكان قد تزوج باختهِ كليوباطرة الرابعة لكن امهُ الزمتهُ بتركها والتزوج باختهِ الصغرى سليني وارسلت ابنها الثاني بطليموس الحادي عشر الى قبرص وجعلتهُ ملكاً عليها

ومرَّت السنون وهذه الملكة وابنها الاكبر على تمام الوفاق ثم اختلفا في مسأَلة اليهود على ما قالهُ يوسيفوس وغيرهُ من المؤرخين فان الملكة اقامت اثنين من اليهود على قيادة الجيش ولم تعد تبرم امرًا حربيًا بغير رأيهما وهما ابنا اونياس الذي بنى هيكلاً لليهود في قسم المطرية مثل هيكل اورشليم وكانا معززين من اغنياء اليهود في القطر المصري فوقع الخلاف بين الملكة وابنها لان ابنها كان يودُّ ان يساعد انطيوخس كيزسنوس على اليهود في سورية وامهُ تأبى ذلك عملاً بمشورة هذين الرجلين فاشتدَّ الخلاف بينهما واقنعت اهالي الاسكندرية ان ابنها عامل على قتلها فاضطرَّ ان يترك مصر ويلجأ الى قبرص فاستدعت ابنها الاصغر واشركتهُ معها في الملك فاستولى ابنها الاكبر على قبرص رغمًا عن امهِ وارسل اليهِ اهالي عكاء يستنجدونهُ على الاسكندر ملك اليهود فجاءهم بسفن قبرص وثلاثين الف مقاتل ولما درى ملك اليهود بذلك رفع الحصار عن عكاء وحاول الايقاع بجنود بطليموس غدرًا ثم كتب الى امهِ يحرضها عليهِ وجمع خمسين الف مقاتل وقابلهُ بها والتقى الجيشان قرب الاردن فدارت الدائرة على اليهود ويقال انهُ قتل منهم ثلاثون الفًا وخرب البلاد واستولى على عكاء ومثَّل بالنساء والاولاد . وعاد من سورية قاصدًا مصر لكنهُ رجع عنها خائبًا وارتدَّ الى قبرص

وفي نحو سنة ١٠١ قبل المسيح قتل بطليموس الحادي عشر امهُ اذ بلغهُ انها عازمة ان تغدر بهِ فسخط اهالي الاسكندرية عليهِ وثاروا فهرب بزوجتهِ وابنهِ الى قبرص وتبعتهُ الجيوش المصريَّة اليها وقتلتهُ . ولما شاع خبر قتلهِ استدعى الاسكندريون بطليموس العاشر من قبرص واعادوهُ الى كرسي الملك فملك وحدهُ من سنة ٨٩ قبل المسيح الى سنة ٨١ اي نحو ثماني سنوات وثار الصعيد في هذه المدة باغراء ملوك النوبة وعصت ثبت وقاومت جنود بطليموس سنتين

كاملتين لكنهُ فتحها اخيرًا عنوة واستباحها نهبًا وقتل اهلها ولم تقم لها قائمة من ذلك الحين

وصادق بطليموس هذا اهالي اثينا فنصبوا لهُ ولابنتهِ برنيكي تمثالين من النحاس اكرامًا لهُ ورمم الهيكل الذي بناه ترهاقا في مدينة هبو وهيكل الكاب وزاد في نقش هيكل ادفو وهيكل ايسس في انس الوجود وبنى هيكلاً صغيرًا في كلبشة ورمم هيكلها الكبير والمظنون انهُ رمم هيكل الواحة الخارجة وقد فعل ذلك وهو مشارك لامهِ من سنة ١١٧ الى سنة ١٠٦ قبل المسيح

بطليموس الحادي عشر الملقب اسكندر الاول

تقدم تاريخهُ مع تاريخ اخيهِ وانهُ غدر بامهِ خوفًا من ان تغدر بهِ وكان الجنود يحبونها فقاموا عليهِ هم واهالي الاسكندرية فهرب من وجههم ثم قُتل. ولما كان شريكًا لامهِ في الملك كانت العمارة قائمة في هيكل ادفو وفي ايامهِ بني السور الخارجي وطولهُ ٢٤٠ ذراعًا وعرضهُ ٩٠ ذراعًا وعلوهُ ٢٠ ذراعًا وسمكهُ عند اساسهِ خمس اذرع وترى صورتهُ عليهِ والاله منتو يمسُّ شفتيهِ بعلامة الحياة

وفي عهدهِ توفي بطليموس ابيون وهو ابن بطليموس التاسع من غير زوجتهِ الشرعية وكان ملكاً على كيرين فوهبها للرومان وكان ذلك سنة ٩٧ قبل المسيح

بطليموس الثاني عشر الملقب اسكندر الثاني

هو ابن بطليموس الحادي عشر. ارسلتهُ جدتهُ كليوباطرة الثالثة الى جزيرة كوس خوفًا من ابنها بطليموس العاشر وارسلت معهُ اكثر كنوزها فبقي في الجزيرة الى ان استولى عليها متروداتس سنة ٨٨ قبل المسيح فوقع في اسرهِ فاكرمهُ ولكنهُ هرب الى سلا القائد الروماني الشهير واقام عندهُ في رومية الى ان توفي عمهُ بطليموس العاشر فارسل اهالي الاسكندرية وطلبوهُ من رومية . وكانت ابنة بطليموس العاشر قد استوت على عرش الملك بعد ابيها فتزوَّج بطليموس الثاني عشر بها واشركها معهُ في الملك ثم قتلها بعد ثمانية عشر يومًا فسخط عليهِ اهالي الاسكندرية وجروهُ في الشوارع وقتلوهُ وبهِ انقرضت سلالة البطالسة الشرعية اي انقرضت سلالتهم من نسائهم اللواتي من نسل البطالسة

بطليموس الثالث عشر المعروف بالزمَّار

لُقب هذا الملك فيلوباتور فيلادلفس وسمَّى نفسهُ نيوس ديونسس وهو ابن بطليموس العاشر من زوجة من غير نسل الملك ولذلك لم يهتم احد بتوليتهِ لما كان للبطالسة اولاد شرعيون فلما قتل آخر واحد منهم كما تقدم قام فريق كبير من اهالي الاسكندرية واجلسوهُ على كرسي الملك وتزوج باختهِ كليوباطرة الخامسة وبامرأة اخرى مجهولة النسب ورزق من الاولى

ابنتين كليوباطرة السادسة وبرنيكي الرابعة ومن الثانية اربعة اولاد وهم ارسنوي الرابعة وبطليموس الرابع عشر وبطليموس الخامس عشر وكليوباطرة السابعة وهي المشهورة في التاريخ وبها انتهت دولة البطالسة وكانت ولادتها سنة ٦٩ قبل المسيح وتزوجت باخيها بطليموس الرابع عشر سنة ٥١ قبل المسيح ثم باخيها بطليموس الخامس عشر سنة ٤٧ قبل المسيح وكانت خليلة ليوليوس قيصر ومرقس انطونيوس كما سيجيء

لما استولى بطليموس الثالث عشر على تخت الملك حاول التقرب من الرومانيين لكي يعترفوا بهِ ملكاً على مصر فاعترف بهِ يوليوس قيصر سنة ٥٩ . واضطرَّ ان يرشي كثيرين من كبراء رومية وبتزَّ الاموال الطائلة من رعيتهِ فكرههُ المصريون واضطرَّ ان يهرب من وجههم الى رومية فملَّكوا ابنتهُ برنيكي بدلاً منهُ حاسبين انهُ مات ولكن لما علموا انهُ لم يزل حيًّا ارسلوا وفدًا كبيرًا الى رومية ليرفعوا شكاويهم الى مجلس الشيوخ عليهِ فاحتال بطليموس على اهلاك رجال هذا الوفد فقتل بعضهم وخاف البعض الآخر فرجعوا مخذولين . وشاع الامر في رومية وطلب البعض محاكمة الذين فعلوا ذلك فجعل بطليموس يرشي الكبراء وكان شيشرون الخطيب المشهور قد نصرهُ واقنع مجلس الشيوخ ببلاغتهِ حتى امروا بارجاعهِ الى كرسي ملكهِ فلما علموا بما فعل بالوفد المصري استشاروا كتب الجفر (سبيلا) فكان جوابها ان لا يُحرَم ملك مصر من صداقة رومية اذا طلبها ولكن لا يحسن برومية ان ترسل جنودها لنصرتهِ والاَّ فامامهم المشاق والمخاطر . فانقسم رأي الرومانيين حينئذٍ وخرج بطليموس من رومية ولجأ الى هيكل ديانا في افسس ثم تصادق مع غابنيوس حاكم سورية وكتب بمبايوس الى غابنيوس ليساعدهُ ويردهُ الى ملكهِ ففعل ودخل القطر المصري عنوة وقتل ارخلاوس زوج برنيكي ابنة بطليموس وكانت قد ملكت في مكان ابيها فاسترجع ابوها تخت مصر سنة ٥٥ قبل المسيح واول شيء فعلهُ انهُ قتلها وقتل كثيرين من اغنى اهالي الاسكندرية لكي يستصفي اموالهم ويعطيها لغابنيوس . وعاش بعد ذلك نحو ثلاث سنوات ونصف وكان خليعاً سكيرًا

وبقيت اعمال البناء والترميم جارية مجراها في هياكل مصر مدة ملكهِ ولذلك يرى اسمهُ في هيكل الكرنك وادفو وهيكل كوم امبو وهيكل ايسس في جزيرة انس الوجود وصُوِّر هناك وهو قابض على اعدائهِ وهامٌّ بذبحهم امام الالهة ايسس

ولما توفي سنة ٥١ قبل المسيح اوصى بمملكتهِ لابنتهِ كليوباطرة السابعة وابنهِ الاكبر بطليموس الرابع عشر على شرط ان يقترن باختهِ وهي المشهورة في التاريخ وسيأتي الكلام عليها في الجزء التالي

قبل الولادة وبعد الموت

اقترحنا على حضرة الاب صالحاني مكاتب مجلّة المشرق ان يرشدنا الى حل المسائل التالية وهي : —

(١) اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امهِ
(٢) في اي وقت تدخل جسم الجنين
(٣) هل تكون حينئذٍ كاملة في كل مداركها
(٤) الى اين تذهب بعد موتهِ

وطلبنا منهُ لرفع الاشكال واتمام الايضاح ان يفرض رجلاً معيناً مثل احمد باشا الجزار او الامير بشيرًا الشهابي المعروف بالمالطي او يوسف بك كرم ويوضح لنا اين كانت نفسهُ قبلما تكوّن في بطن امهِ وفي اي وقت حلَّت في جسمهِ وهل كانت حينئذٍ كاملة في كل مداركها والى اين ذهبت بعد موتهِ مثبتاً ذلك بادلَّة كتابيَّة او غير كتابيَّة

فاجابنا في مجلة المشرق بمقالة طافحة بدلائل ادبهِ وتقواهُ والشيُّ من معدنهِ لا يستغرب وقال بعد كلام طويل لا يهمنا الالتفات اليهِ ما ياتي

" اولها : « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امهِ » . فالجواب هو ان النفس قبل تكوُّن الجنين في بطن امهِ لا وجود لها البتة بل هي عدم . انما يخلقها الله رأساً حال تكوُّن الجنين . نبيّن ذلك بتشبيهٍ قريب لا يمكن للمقتطف ان ينكرهُ . هذه المادَّة التي تكوّن منها العالم الارض والقمر والشمس والنجوم نسأل المقتطف أهي مخلوقة ام غير مخلوقة . فاذا قال انها مخلوقة فنسألهُ اين كانت قبل ان يخلقها الله . وان قال انها غير مخلوقة فيكون قد سلم بقول الدهريين والطبيعيين والماديين وهو قول الكفر لانهُ يجعل المادة ازلية اي يجعلها الله وينفي الاله الحقيقي . والعجب كل العجب ان الماديين يسلّمون بمادة ازلية تكوّن منها العالم ولا يسلمون بعقل ازلي كلّي الكمال هو الله . ومن ثمَّ فلا بدَّ للمقتطف من الجواب بان الله خلق المادة من العدم اي انهُ لم يكن لها وجود قبل ان تخلق ولم تكن في محلّ بل كانت عدماً . وهكذا نقول عن النفس . فانها قبل ان يتكوّن الجنين في بطن امهِ كانت عدماً اي غير موجودة فلم تكن في محلّ وانما اوجدها الله اي خلقها لتتحد بالجنين حال ابتداء تكوُّنهِ . وعليهِ فسؤَال المقتطف « اين تكون نفس الانسان قبلما يتكوّن في بطن امهِ » هو باطل لا معنى لهُ ولا فائدة إن علم الحقيقة .

" والبرهان على ان الله يخلق رأساً النفس حال ابتداء تكوُّن الجنين بيّنٌ . لان النفس بما انها بسيطة لا اجزاء لها فلا يمكن ان توجد بان تشتقّ من نفس الامّ . وبما انها روحيَّة وعقليَّة فلا يمكن ان توجد بان تستخرج من المادة . فلم يبقَ الاَّ ان يخلقها الله رأساً كما خلق المادة

" السؤَال الثاني : " في اي وقت تدخل (النفس) جسم الجنين " . قبل ان نجيب على هذا السؤَال نقول ان الكلمة " دخل " التي استعملها المقتطف ليست مناسبة ولا صوابية لان النفس لا تدخل في الجسم كأَنها ضمنهُ ويحتوي عليها . فليست في الجسد كالماء في الاناء او كالحنطة في الكيس . بل هي متحدة بالجسم اتحاداً جوهريًّا فيتكوَّن من النفس والجسم شخص واحد هو شخص الانسان

" فبعد ان قدَّمنا هذه الملاحظة نجيب اوَّلاً : على افتراض انهُ لا يمكنا ان نعيّن ونحدّد الوقت الذي فيهِ تتحد النفس بالجسم فهذا لا ينفي وجودها واتحادها بهِ . كما انهُ لا يسوغ للعالم في العلوم الطبيعية ان ينفي وجود المادة ان لم يمكنهُ ان يعين الوقت الذي فيهِ خلقت . وكما لا يجوز لهُ ان ينفي الشمس ان لم يمكنهُ ان يعين ويحدّد الوقت الذي فيهِ كوّنت . وكما لا ينفي احد الحريق المشتعل في غابة او في بناية وان لم يتمكن من تعيين الساعة التي فيها ابتدأ

" نجيب ثانياً : ان النفس يخلقها الله رأساً حالما يصير الحبل اي حالما يتمّ تلقيح البويضة هذا هو اشهر تعليم العلماء سواء كانوا لاهوتيين او فلاسفة او اطبَّاء . ومن ثم تميز النفس جسم الجنين في كونهِ جنين انسان عاقل لا جنين حيوان غير عاقل

" السؤَال الثالث : " هل تكون (النفس) حينئذٍ كاملة في كل مداركها "

" الجواب : ان مدارك النفس تستلزم بعض النموّ في الجسم وكمال الجهاز الحسي والدماغ لان النفس في حال اتحادها بالجسم لا تدرك الاَّ بالحواس او بعد ان تكون الحواس تممت وظائفها اي شعورها . فالنفس تدرك الماديات ويشترك الحس بهذا الادراك . وتدرك غير الماديات اي تعلمها بشرط ان يوافق معرفتها شعور حسي او تخيُّل حسي فانها تجرّد من الشعور الحسي موضوع ادراكها العقلي اي المعاني . وعليهِ فطالما لم تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال لا يمكن لقوى النفس ان تخرج الى حيز العمل . فتكون كالنار الكامنة تحت الرماد التي تضطرم وتلتهب حين يكشف عنها الرماد ويُلقى عليها الوقود . ويحسن ان نوضح ذلك بتشابيه اخرى : ان شجرة النخلة مثلاً لما تكون نبتة صغيرة تكون كاملة في

جنسها . ومع ذلك طالما لم تبلغ النموّ اللازم لا تزهر ولا تثمر . وهذا النموّ اللازم يختلف في النبات والاشجار المختلفة . والولد هو كامل في جنسهِ الانساني لا يقوى على التناسل طالما لم يبلغ مع ان فيهِ مبادئ قوة التناسل . ومبادىء النطق كامنة في الرضيع ولا تظهر بالفعل الاَّ بعد مدة . فهذه التشابيه تقرّب لنا فهم ما يخص قوى النفس ومداركها . فانها موجودة فيها كامنة فتنتبه شيئًا فشيئًا مع نمو الجسم وتهيوء الحواس والدماغ لمساعدة النفس في ادراكها . وهذا لا يتمّ الاَّ بعد زمن من الولادة . فتدرك بالحواس وتدرك بالعقل بان تجرّد من الشعور الحسي موضوعها العقلي اي المعاني . ومن هنا المعرفة الحسيَّة التي نشترك فيها مع الحيوانات . والمعرفة العقليَّة المختصة بالانسان

" السؤَال الرابع : " الى اين تذهب (النفس) بعد الموت "

" الجواب : انها تمتثل حالاً امام الله الديان الموجود في كل مكان لتؤدي الحساب عما عملت في حال اتحادها مع الجسد . وتكون في سلطتهِ تعالى . لا كما يقول بعض العلماء الذين تثقون بهم واوردتم زعمهم " ان نفوس الموتى تبقى حول الاحياء تؤثر فيهم على طرق مختلفة " . فان هذا متعلق بمشيئة الله وسلطة التقدير العادل . فيضع النفس اما في السماء محل السعادة الابدية اذا كانت خالية من كل خطيئة او معصية . اما في جهنم محلّ العذاب الابدي اذا مات الانسان وهو اثيم بخطيةٍ مميتة او معصية باهظة لشريعة الله ولم ينل المغفرة عنها قبل موتهِ بالتوبة الصادقة . واما في المطهر الى زمن محدود يعرفهُ الله وحدهُ اذا مات الانسان وعليهِ بعض زلاَّت او مخالفات عرضية لوصايا الله ولم يفِ عنها قبل الموت . لانهُ لا يدخلها (السماء) شيء نجس (رؤْيا ٢١ : ٢٧) . وهذا التعليم يبرهنهُ العقل فضلاً عن الايمان . لانهُ ليس من العدل الالهي ان الرجل الملطخ باشنع الخطايا المرتكب لكثير من الآثام وقد يكون معززًا مكرّمًا متلذذًا غنيًا في دنياهُ يرحل من هذه الحياة دون ان يلقى بعد الموت جزاء ما جنت يداهُ من الشرّ كما انهُ ليس من العدل الالهي انّ البار الطاهر العادل المحب لقريبهِ الحافظ لشريعة الله ولحقوق الناس وكثيرًا ما يكون مجهولاً مظلومًا مبتلًى بمصائب متنوعة يرحل دون ان يجازى بعد الموت على ما تممهُ من الخير والبرّ في ايام حياتهِ

"ولا يتخيلنَّ المقتطف ان النفس توضع في المكان كالجسم . لان الروح البسيطة لا اجزاء لها ولا طول ولا عرض ولا يمين ولا شمال فلا تشغل المكان كما تشغلهُ المادة . فنفسك يا هذا هي كلها في جسمك وكلها في كل جزء من جسمك . فلا تقطع ولا تنقص اذا قطعت يدك او رجلك طالما جسمك هو في الاستعداد اللازم لحفظ اتحاد النفس بهِ . لكن متى فقدت

الشروط لحفظ هذا الاتحاد فتنفصل النفس . وبما ان النفس هي غير مادية فلا تتلاشى بالانحلال كالاجسام لان لا اجزاء فيها قابلة الانحلال . ولا تعود الى العدم لان الله الذي خلقها ويقدر ان يعدمها الوجود يريد حفظها ليجازيها على اعمالها ان صالحة بالخير اي بالسعادة وان طالحة بالشرّ اي بالعذاب "

انتهى كلام حضرة الكاتب وخلاصتهُ ان نفس الانسان يخلقها الله من لا شيء حالما يتم تلقيح البيضة التي يتكوَّن منها جنين الانسان وفي تلك اللحظة عينها تحلُّ هذه النفس في البيضة الملقحة فتصير انساناً ذا نفس خالدة وهذه النفس لا تخرج الى حيز العمل الاَّ بعد ان تبلغ الحواس والدماغ الدرجة اللازمة من النمو والكمال وحالما تخرج من الجسد تمثل امام الله الديان لتؤدي الحساب عما عملت في حال اتحادها بالجسد فيضعها اما في السماء او في جهنم او في المطهر

ولم يبيِّن لنا حضرتهُ ماذا يصيب نفوس البويضات التي تتلقح ثم لا يتكوَّن منها جنين كامل او يتكوَّن الجنين ويسقط من غير ان يعمل عملاً يثاب عليهِ او يعاقب . ولا بيَّن مقدار زمن الحساب لانهُ يموت في كل دقيقة من الزمان اكثر من مئة انسان وقد يموت الوف في الدقيقة الواحدة كما اذا خربت المدن بالزلازل وغرقت السفن في البحار وحصدت النفوس في الحروب . ثم هل يستطيع الكاتب ان يورد دليلاً كتابياً على ان الله يحاسب هذه النفوس كلها في الدقيقة التي تخرج فيها من اجسادها وفي الكتاب نصوص على ان الحساب يكون في انقضاء العالم . وكذلك لم يبين ما يصيب الناس الذين لا يعتقدون معتقدهُ من اهالي الصين والهند واليابان ومن المسلمين والروم والبروتستانت هل تحشر نفوس هؤلاء كلهم في جهنم النار كما يعتقد ابناء طغمتهِ او يسمح لها بدخول السماء ولا ما هي ادلتهُ على ذلك ولا ما اذا كانت النفس تشعر بعد خروجها من الجسد وقد قال ان الجسد آلتها للشعور

وليعلم حضرتهُ اننا نسألهُ هذه المسائل عساهُ يعترف معنا بانهُ يجهل اموراً كثيرة كما نجهلها نحن لا لاننا ننكر وجود النفس كما يظن فاننا لا ننكر وجود النفس مطلقاً ولكننا لا ندَّعي اننا نعرف ما نجهلهُ ويجهلهُ كل احد

قيل ان ولداً قال لامهِ ذات يوم انني استغرب ادعاء فلان الواعظ فقالت لهُ امهُ وما دليل ادعائهِ فقال " انهُ يتكلم عن الله كأنهُ ابن خالتهِ وعن السماء وجهنم كأنهُ قضى عمرهُ فيهما وقاسهما بالشبر" . ولكن اين ادعاء ذلك الواعظ من ادعاء بعض الوعاظ فاننا سمعناهم غير مرة يعظون ورأيناهم يصورون الناس في جهنم رجالاً ونساء وطرق العذاب التي يعذَّبون بها وقد بلغت الدعوى منهم انهم يتهمون بالكفر من يتكلم بالحق ويقول اننا نجهل هذه الامور وامثالها

الحالة المالية في العام الماضي

مرَّ على القطر المصري عام من اكثر الاعوام يسرًا زاد فيهِ ثمن صادراتهِ عن وارداتهِ زيادة تكفي لايفاء ربا دين الحكومة والاهالي وتزيد ولو لم يظهر ذلك في تقرير الجمارك المصرية

فقد بلغ ثمن الصادرات المصرية حسب تقدير الجمارك ٢٤٨٧٧٢٨٠ اي نحو ٢٥ مليونًا من الجنيهات فزادت عما كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ اربعة ملايين ونصف مليون ويضاف الى ثمن الصادرات العشرة في المئة التي تطرحها مصلحة الجمارك عمدًا من ثمن الصادر فيصير ٢٧ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات . ويظهر باقل نظر في ثمن القطن ان الثمن الذي وضع لهُ في تقدير الجمارك كان نحو ٣٠٠ غرش القنطار مع ان ثمنهُ كان في اكتوبر ونوفمبر ودسمبر اربع مئة غرش فاذا فرضنا ان ثمنهُ خُفض عشرين في المئة فقط وجب ان نضيف الى ثمن الصادرات عشرة اخرى في المئة من ثمن القطن اي مليونين من الجنيهات لان ثمن القطن الذي صدر في العام الماضي بلغ عشرين مليونًا و ٥٢٩ الف جنيه فتصير قيمة كل الصادرات ٢٩ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات . أضف الى ذلك مليون جنيه ينفقها السيَّاح في هذا القطر فوق ما ينفقهُ ابناؤُهُ في الخارج ومليونًا آخر ممَّا ينفقهُ فيهِ جيش الاحتلال من الاموال الانكليزيَّة وما تنفقهُ شركة كنال السويس والبواخر التي تدخل القطر المصري فجملة ما طلب للقطر المصري في العام الماضي ثمن حاصلاتهِ التي صدرت منهُ وما انفقهُ الاجانب فيهِ من الاموال التي اتوا بها من الخارج ٣١ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات وتبقى مبالغ اخرى أُنفقت فيهِ او دخلت اليهِ من ريع املاك النزلاء الخارجيَّة ومن ربح الاسهم والسندات التي في يد ابنائهِ ولكن تتعذَّر معرفة هذهِ المبالغ ولو تقديرًا وكذلك تتعذَّر معرفة ما ربحهُ سكان القطر من البورصات الخارجيَّة كما تتعذَّر معرفة ما خسروهُ فيها ولا بدَّ من الاغضاء عن ذلك كلهِ ولو كان الاغضاء عنهُ يوقع خللاً في حساب القطر

هذا من حيث الاموال التي طُلبت لهذا القطر في العام الماضي سواءٌ كانت ثمن صادراتهِ او مما انفق فيهِ من الاموال الاجنبيَّة وسواءٌ أُرسلت اليهِ نقودًا او اوفى بها ثمن البضائع التي وردت اليهِ وربا ديونهِ

ننظر الآن في الاموال التي طُلبت منهُ في العام الماضي وهي اولاً ثمن وارداتهِ كلها. وقد

بلغ ثمن الواردات في تقرير الجمارك ٢٤ مليوناً و١٠٧٩٥ جنيهاً فزادت عما كانت عليهِ في العام الذي قبلهُ نحو مليونين ونصف من الجنيهات . ولا نظن ان قيمة الواردات اكثر من ذلك لان ادارة الجمارك تدقق اشد التدقيق وتطلّع على دفاتر التجار وتأخذ رسم الجمرك على ثمن البضائع واجرة شحنها ايضاً . فهذا المبلغ وهو ٢٤ مليوناً من الجنيهات يعادل كل ما دفعهُ القطر المصري ثمن البضائع التي وردت اليه في العام الماضي من كل الاصناف . ودفع القطر المصري ايضاً في العام الماضي ربا دين الحكومة وربا دين الاهالي المستدان من اوربا ويزكو مصر ولا يقلُّ مجموع هذه المبالغ عن ستة ملايين من الجنيهات فكلُّ ما طلب من القطر المصري في العام الماضي ثمن وارداتهِ وربا ديونهِ ٣٠ مليوناً من الجنيهات فصار حسابهُ هكذا بالتقريب

الذي طُلب لهُ

ثمن صادراتهِ	٢٥ مليوناً
يُضاف اليها ١٠ في المئة تطرحها الجمارك اي	٢ ١/٢ مليون
ويضاف ايضاً على ثمن القطن	٢ "
وما انفقهُ السياح	١ "
وما انفقهُ جيش الاحتلال وشركة كنال السويس والسفن الخ	١ "
والجملة	٣١ ١/٢ مليون

الذي طُلب منهُ

ثمن الواردات	٢٤ مليوناً
ربا دين الحكومة والاهالي	٦ ملايين
والجملة	٣٠

فزاد ما طلب للقطر المصري عما طلب منهُ في العام الماضي مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

وقد يقول قائل ان الفلاح المصري مديون للتجار والمرابين بمبالغ كبيرة فوق ما هو مديون بهِ للبنوك فاضطرَّ ان يوفيهم جانباً كبيراً من دخلهِ . وهذا صحيح ولكن التاجر والمرابي من سكان القطر وبحثنا الآن ليس في ما ربحهُ زيد وخسرهُ عمر ولا في ما خرج من صندوق هذا ودخل صندوق ذاك بل في ما ربحهُ القطر المصري كلهُ او خسرهُ في معاملتهِ مع الخارج وخلاصة هذه المعاملة ان السنة الماضية ابقت ربحاً للقطر المصري نحو مليون ونصف من الجنيهات وليس هذا كل الربح الذي ربحهُ القطر المصري بل ربح ايضاً ربحاً آخر من ثلاث جهات

الواحدة ان جانباً غير قليل من ثمن الواردات هو ثمن آلات وادوات ومواد لم تُستهلك في القطر المصري بل هي باقية فيهِ كرأس مال لهُ فهي من قبيل زيادة ثروتهِ ومن هذا القبيل المواد التالية مع اثمانها

١٣١٨٥٧٠	خشب البناء
٠٤٦٤٠٨٣	الامتعة الخشبيَّة
٠٢٥٦٧٦٤	الرخام والحجارة والسمنت الخ
٣٨٦٨٧٤٧	المعادن والآلات والادوات المعدنية على انواعها
٥٩٠٨١٦٤	

اي ان القطر المصري دفع نحو ستة ملايين من الجنيهات ثمن مواد باقية فيهِ ولبعضها ربح كبير لانهُ يدخل فيها وابورات الري المختلفة وآلات الحراثة وما اشبه

هذا هو الربح الاول. والربح الثاني ان جانباً من النفقات التي انفقت في العام الماضي انفق على احياء الارض الموات فأُتي بآلات بخارية كثيرة لتقصيب الاراضي البور وجعلها ارضاً زراعية وبسفن بخارية وقاطرات بخارية وقضبان سكك الحديد وكلها مما يقلل نفقات النقل ويزيد المكاسب

والثالث ان جانباً كبيرًا من دين الاهالي هو ثمن اطيان يزيد ريعها سنة فسنة او تعمل بهِ اعمال تزيد الريع وقس على ذلك جانباً من الاموال التي تنفقها الحكومة على تحويل الاطيان في الوجه القبلي الى الري الصيفي بدلاً من ايفاء دينها بها

فيتضح مما تقدَّم ان الاموال التي طلبت من القطر المصري في العام الماضي نخرجت منهُ حقيقةً وفقدها لا تزيد على ٢٤ مليونًا من الجنيهات وان بعض هذه الاموال أُنفق في سبل منها ربح للقطر فكأنهُ من رأس المال . وقد تقدَّم ان الاموال التي طلبت للقطر المصري في العام الماضي بلغت ٣١ مليونًا من الجنيهات فكأَنهُ خرج من السنة الماضية ولهُ ربح لا يقلُّ عن سبعة ملايين من الجنيهات زادت بها ثروتهُ فوق ما زادتهُ باحياء الاراضي البور وتحويل الاطيان في الوجه القبلي الى الري الصيفي

اما الضيقة المالية الحاضرة فسببها الاكبر ان اصحاب الاطيان والاملاك اضطروا يوفوا القسط السنوي المطلوب منهم فوق ربا دينهم وهذا القسط يبلغ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فاستغرق كل النقود التي فاضت لهم وزاد عليها

المؤنثات السماعيّة

نقلاً عن مجلة المشرق

استنسخنا هذه الرسالة عن كتاب مخطوط فيهِ عدّة مقالات لغويّة اوّلها مقالة مطولة في الفروق لنور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري من كتبة القرون المتأخرة. ونظن انّ الرسالة في المؤنثات السماعيّة لهُ ايضاً وهي في المجموع عينهِ دون فاتحة ل.ش

(قال) ان معرفة المؤنث السماعيّ متعسّرة . اما طريق معرفتها فتتبّع كلام العرب . وكلامهم قد جمع على الاكثر . ونحن نذكر هنا المؤنثات السماعيّة بحيث لا يبقى منها الّا النادر ونرتّب اوائلها على ترتيب حروف المعجم :

❁ الهمزة ❁ أُذن . إصبع . أروَى (اي الوعل الجبليّ) . أرض . إنس . آل (وهي السراب) . ألُوب (وهي النشاط والريح) . أرنب . اجا (اسم جبل) . إبل . استٌ . أفعى . أضحى

❁ الباء ❁ بنصر . بئر . باع . بشَر (يجوز تأنيثهُ وتذكيرهُ)

❁ الثاء ❁ الثام (للنبت يصنع منهُ الحصر) واما ثَعلَب وثُعبان وثَدي فتؤنث وتذكر

❁ الجيم ❁ جراد . جنّ . جحيم . جِعار (حبل يشدّهُ الرجل على وسطهِ اذا نزل الى البئر) . جهنم . جَزورُ . جام . جَنوب

❁ الحاء ❁ حلاق (وهي الموت) حضا (اسم نجم) . حرب . حضاجر (وهي الضبع) حَرُور (وهي الريح الحارّة بالليل) . حدوُر (وهي الطريق من علو الى أسفل) . حانوت . واما الحال والحمّام فيذكّران ويؤنثان

❁ الخاء ❁ خيْل . خنصِر . خمر . وجميع اسماء الخمر ومعانيها . واما الخِرْنِق (ولد الارنب . بكسر الخاء) فيذكّر ويؤنث

❁ الدال ❁ دَبر . دار . دَلو . دِرْع (التي تلبس لدفع السلاح . اما الدّرع الذي هو قميص النساء فمذكّر) . دَبُور

❁ الذال ❁ ذراع . ذُكاء (وهو اسم للشمس) . ذَنُوب (الدلو الكبيرة) . اما الذّهب فيذكّر ويؤنث . الذّوْد (وهي الثلث الى العشر من النوق)

❁ الراء ❁ الرّيح وجميع اسمائها كالجنوب والشمال وغيرها . الرِّجل (التي هي العضو

المعروف من الحيوان) والرِّجل (التي هي قطعة من الجراد) . رَحِم . رَحى . رُوح (بمعنى النفس . واما الروح بمعنى المهجة فمذكّر)

❁ الزاي ❁ زَند . زَوْج

❁ السين ❁ سَه (وهي الإست) . ساق . سعير . سلطان (اي السلطة) . سماء . سِلم (وهي الصلح) . سبيل . سفط . سلّم . سلاح . سراويل . سَباط (وهي الحمى) . سقر . سوق . سرى . سَموم (وهي الريح الحارّة في النهار)

❁ الشين ❁ شمال . شَعوب (وهي الموت) . شمس

❁ الصاد ❁ صاع . صدر . صراط . صَعود (وهي مثل الحدور) . صبا . صَعوب (وهي ضد الصبر) . واما صليف (وهي صفحة العنق) فتذكّر وتؤنّث

❁ الضاد ❁ ضِلع . ضرَب (بفتح الراء . وهي العسل الابيض) . ضبُع . ضان . ضحى

❁ الطاء ❁ طاغوت . طبق طوي (وهي اسم البئر) . ظير . طست . طاووس

❁ الظاء ❁ الظهر (بضمّ الظاء)

❁ العين ❁ عين . عضُد . عُمر . عرُوض (وهي آخر المصرع الاوّل من البيت . واسم لمكة والمدينة) . عُقاب . عقرب . عاتق . عُقار . عِير . عِرس (وهي الزوجة) . عواء (بالفتح وهي منزل من منازل القمر) . عجز . عشاء . عصاً . عنكبوت . عنز . عنق . عقب

❁ الغين ❁ غول . غنم

❁ الفاء ❁ فخذ . فرَس . فرسِن (وهي تحت خفّ البعير) . فهر . (وهي الحجر الصغير واسم لقبيلة) فأس فلك

❁ القاف ❁ قتب (وهي المعى) قفا . قِدر . قلب (وهي الحفرة في الجبل) . قوس . قدوم . قدّام . قليب وهي البئر

❁ الكاف ❁ كفّ . كراع (وهي الخيل ولما دون الكعب من الدوابّ) كبد . كرش . كتف . كؤود (وهي الطريق الى موضع مرتفع صعب) . كأس . كحل

❁ اللام ❁ لظى . ليل . لبوس . لسان

❁ الميم ❁ مِعًا (وهي الكرش) . مِلح . مسك . موسى (وهو ما يحلق به الرأس) . مَنون (وهي الموت) . مَنجنيق . منجنون (وهو الشيء الذي يقال له بالفارسية كَدون)

❁ النون ❁ نار . نعل . نفس . نوى

❁ الهاء ❁ هَبوط (مثل الحدُور) . هَدَى

﴿الواو﴾ وَطيس . وَرِك . وَعل (وهي الحماءة) . وَراء

﴿الياء﴾ اليمين بجميع معانيها . يد . يسار . يَعْرُب (اسم قبيلة) . يزاد عليها اسماء البلدان . وحروف الهجاء . والحروف نحو : في وبلى . كلها مؤنثات سماعيّة . وقد نظم ابن الحاجب المؤنثات السماعيّة في قصيدة هذا لفظها :

نفسي الفداء لسائلٍ وافاني	بمسائلٍ فاحت كغصن البانِ
اسماء تأنيثٍ بغير علامةٍ	هي يا فتى في عرفهم ضربانِ
قد كان منها ما يؤنث ثم ما	هو فيهِ خيرٌ باختلاف معانِ
اما التي لا بدَّ من تأنيثها	ستون منها العين والاذنانِ
والنفس ثم الدار ثم الدلو من	اعدادها والسنّ والكتفانِ
وجهنم ثم السعير وعقرب	والارض ثم الاستُ والعضدانِ
ثم الجحيم ونارها ثم العصا	والريحُ منها واللظى ويدانِ
والغول والفردوس والفلك التي	تجري وهي في البحر في العرّانِ
وعروض شعرٍ والذراعُ وثعلبٌ	والملح ثم الفأس والوركانِ
والقوس ثم المنجنيق وارنبٌ	والخمرُ ثم التبرُ والفخذانِ
وكذاك في ذهبٍ ومهرِ حكمهم	ابداً وفي ضربٍ بكل بنانِ
والعين للينبوع والدرعُ التي	هي من حديدٍ قدكَ والقدمانِ
وكذاك في كبد وفي كرشٍ وفي	سقرٍ ومنها الحرب والنعلانِ
وكذاك في فرس فكأسٍ ثم في	افعى ومنها الشمس والعقبانِ
والعنكبوت منها والموسى معاً	ثم اليمين واصبع الانسانِ
والرجل منها والسراويلُ التي	في الرجل كانت زينة العربانِ
وكذا الشمال من الاناث ومثلها	ضبعٌ كذاك الكفّ والساقانِ
اما الذي قد كنتَ فيهِ مخيّراً	هو كان سبعة عشر للتبيانِ
السلم ثم المسك ثم الصدر في	لغة ومثل الحال كل أوانِ
والليث منها والطريق وكالسرى	ويقال في عنقٍ كذا ولسانِ
وكذاك اسماء السبيل وكالضحى	وكذا السلاح لقاتلٍ طعّانِ
والحكم هذا في القفا ابداً وفي	رحمٍ وفي السكين والسلطانِ
وقصيدتي تبقى واني اكتسي	ثوب الفناء وكل شيء فانِ

الحق والباطل

يقول زيد قولاً او يرتئي رأياً او يكتشف اكتشافاً او يصنع آلة فيذيع قولهُ ويُعمل برأيهِ وينتشر اكتشافهُ وتستعمل آلتهُ باسرع مما قدَّر كأن الناس كانوا في انتظار ما قال او ارتأى او صنع فاغتنموهُ حالما خرج من القوة الى الفعل

ويحاول غيرهُ ان يفعل فعلهُ فلا يلتفت احد اليهِ او يلتفت الناس اليهِ في اول الامر ثم يهملهُ اكثرهم ولا يبقى معهُ الاَّ نفر قليل منهم واكثرهم من سخاف العقول

مثال ذلك القول بالجاذبيَّة العامة والرأي بالانتخاب الطبيعي واكتشاف ميكروبات الامراض وعمل الآلات الكهربائية كالتلغراف والتلفون والنور الكهربائي فانها كلها صارت من ممتلكات الناس اجمع فتجد ان كتب العلم صارت تبنى على الجاذبيَّة العامة والانتخاب الطبيعي وكتب الطب وتدبير الصحة على وجود ميكروبات الامراض وقلما تجد مدينة خالية من التلغراف والتلفون والنور الكهربائي . ولكن انظر الى دعاوي المدَّعين شفاء الامراض بالمغنطيس الحيواني واكتشاف الخفايا بالسحر وشفاء المجانين بالتعزيم ومعرفة الغيب بمناجاة الارواح ونحو ذلك مما يقوم المدَّعون بهِ آونة بعد اخرى و يصدقهم بعض ضعاف العقول ولكن جمهور العقلاء لا يقبل لهم دعوى ولا يعتمد على اقوالهم في مصلحة عامة او خاصة . وما ذلك الاَّ لان الامور الاولى حق ترتاح اليهِ العقول والامور الثانية باطل ترفضهُ الافهام

جاءنا رجل لبناني قبيل كتابة هذه السطور وقصَّ علينا القصة التالية قال — : بلغني ان في القرية الفلانيَّة فتاة صغيرة السن ترى الغيب فقصدتها مع جماعة وسألها كلٌّ منا مسائل مختلفة فكانت تجيب عنها بالدقة التامة وسألتها انا ان تذهب بروحها الى غرفتي في سوق الغرب وترى ما فيها وتخبرني عنهُ . فنظرت الى ظفر ابهامها وامعنت نظرها فيهِ ثم قالت ذهبتُ فرأيتُ غرفتك وفيها كذا وكذا . وعدَّدت لي اسماء الاشياء التي فيها ووصفت ما لا تعرف اسمهُ منها وصفاً ينطبق عليهِ فقالت انها رأت ذنب فرس معلقاً في الحائط . وكان هناك منشة ذبان من شعر الخيل وهي لم ترَ غرفتي في حياتها ولا أتت سوق الغرب قط ولا يزيد عمرها على خمس سنوات ثم سألنا عن رأينا في ذلك فقلنا لهُ انهُ يصعب علينا تصديق ما رواهُ ونرجح انهُ سمع ما هو قائم في ذهنهِ لا ما تكلمت بهِ الابنة اي ان الابنة تكلمت كلاماً مبهماً لا معنى لهُ وهو فسرهُ او فهمهُ حسب ما هو قائم في ذهنهِ

وجاء آخر بعد ذلك وهو من العلماء المدققين في امور كثيرة وروى لنا حادثة لا نقلُّ في

غرابتها عن الحادثة الاولى · قال أُصيبت فتاة برمد في احدى عينيها وكان المهُ شديداً جداً حرمها النوم والراحة ودعي لها طبيب العيون فوصف لها قطرة وقال انها تزيل الألم فلم تزلهُ فاعطاها قطرة أُخرى وقال انها ان لم تزل الالم في ساعة من الزمان فلا امل بشفاء عينها · فسهرنا نراقبها دقيقة بعد دقيقة وهي تزداد الماً الى ان انقضت الساعة والالم على حالهِ فقطعنا الرجاء من شفائها · وتذكَّر ابوها حينئذٍ ان رجلاً من معارفهِ يرقي العيون برقية يكتبها في ورقة توضع على العين فتشفى · فمضى اليهِ وكان الوقت عند الفجر وايقظهُ من نومهِ وطلب منهُ ان يكتب لهُ الرقية المشار اليها فكتبها وجاء بالورقة ووضعها على العين المصابة وربطها عليها وللحال صرخت الفتاة ووقعت على الارض كأنهُ اغمي عليها فقال ابوها ان الرجل قال لي ان ذلك يحدث لها حالما توضع الورقة على عينها · ونامت الفتاة قليلاً ثم استيقظت وقد زال الالم وشفيت عينها تماماً

وتعليل هذه الحادثة صعب ولكن لو حضرها كاتب مدقق وكتب كل ما حدث بالتدقيق لما ظهرت غريبة الى هذا الحد ولأمكن تعليلها بسهولة · ويظهر لنا ان الراوي زاد اموراً واهمل اموراً على غير قصد منهُ وان القطرة التي استعملها الطبيب هي التي شفت العين وازالت الألم او ان الالم كان عصبياً محضاً والفتاة اعتقدت ان الرقية تشفيها فاثر اعتقادها في مجموعها العصبي تأثيراً ازال الالم الوهمي · ولو كان لهذه الرقية الفعل الذي ينسب اليها لانتشر استعمالها انتشار التلغراف والتلفون والكينا ولكن الناس يحفظون الحوادث القليلة التي تصيب فيها العلاجات الوهميَّة ولو اتفاقاً وينسون الحوادث الكثيرة التي لا تصيب فيها فيذكرون الاولى ويغفلون الثانية

ومن هذا القبيل كل ما يروى عن فعل بعض المياه المقدسة واستعمال الحجب والكتابات التي تشفي الامراض فهو اما مبالغ فيهِ الى حد الغرابة ولو عن غير قصد واما ان الشفاء كان قاصراً على بعض الآفات العصبيَّة التي تشفى من نفسها غالباً

لما كان الرجل المدعي القداسة في الشويفات من اعمال لبنان في اوج مجدهِ جاءنا استاذ احدى المدارس وقال لنا ان ولداً من تلامذتهِ كان افدع وعالجهُ احد الجراحين المشهورين فلم يتمكن من اصلاح قدمهِ فذهب الى الشويفات وغسل رجله بماء اغتسل بهِ ذلك القديس فشفي تماماً وانهُ رآهُ بنفسهِ يمشي سليماً بعد ان كان افدع واتخذ ذلك دليلاً لاقناعنا بقداسة الرجل وبانهُ يفعل العجائب · فطلبنا منهُ ان يحضر الولد لنراهُ فوعدنا باحضارهِ ومضت الايام ونحن نطالبهُ باحضارهِ وهو يماطلنا واخيراً اعترف لنا ان الولد لم يشفَ وانهُ نقل الخبر الذي اخبرنا اياهُ نقلاً عن اناس صدقهم فلما طالبناهُ باحضار الولد المرة بعد الاخرى ذهب

ورآهُ فاذا هو لا يزال اقدع كما كان ولا حجة لما اخبرنا بهِ قبلاً من انهُ رآهُ يمشي سليماً

والغالب ان الذين يرون الغرائب ويروونها هم من الذين تخدعهم اوهامهم وفيهم ميل الى تصديق الغرائب. وقد يقوى هذا الميل في بعض الناس حتى يصدّقوا ما لا يصدّق ولا دليل على صحتهِ

قيل ان رجلاً ضاف عالماً من علماء الحيوان وكان العالم مغرماً بجمع الافاعي وتصبيرها وحفظها. وذهب الرجل لينام في الغرفة التي اعدّها لهُ مضيفهُ فلما خلع ثيابهُ التفت واذا في الغرفة افعى كبيرة رفعت رأسها وفغرت فاها كأنها تهمُّ بالوثوب عليهِ والشرر يقدح من عينيها والظاهر انهُ كان يعتقد ان الافعى تسحر الانسان ثم تلسعهُ فوقف في مكانهِ مسحوراً ووُجد في الصباح ميتاً في مكانهِ مع ان الافعى مصبرة تصبيراً وعينيها من زجاج ولا يعقل ان مضيفهُ ينومهُ في غرفة فيها افعي سامة

وقد تنظر في دعاوي المخرفين فتراها شبيهة بالنتائج التي يصل اليها العلماء بعد البحث والتحري ولكن نتائج العلماء ثابتة يقبلها العقل لانها مبنيَّة على اصول حسابيَّة وحقائق طبيعيَّة مقرَّرة واما دعاوي المخرفين فلا تحتمل البحث ولا الامتحان. يقول لك علماء الفلك ان الكواكب تسير في افلاكها بكذا من السرعة ويستدلون من حركاتها على الاوقات التي يكسف بها بعضها بعضاً فيقع الكسوف والخسوف في الايام والدقائق التي عينوها تماماً لانهم اكتشفوا نواميس سيرها وعرفوا اشكال حركاتها ولم يبقَ عليهم الاَّ ان يستنتجوا مواقعها بالقواعد الحسابية واذا وجدوا ان الواقع لا ينطبق على النتائج الحسابية عرفوا سببهُ حتى لقد استدلوا على وجود بعض السيارات قبل ان رآها احد

ويدَّعي مناجو الارواح انهم يعرجون في غيبوبتهم الى السماء ويجولون بين الكواكب ويخبرون عمَّا رأوا فيها او يزورون منازل الاموات ويتحدثون مع ارواحها وينقلون اليك ما سمعوهُ منها. فهل تصدّق اقوالهم كما تصدّق اقوال علماء الفلك. ألا يرى كل ذي عقل سليم ان اقوال علماء الفلك نتائج من مقدمات يشهد العقل بصحتها ويؤيدها الاختبار وان اقوال الذين يدَّعون مناجاة الارواح خرافات وخزعبلات ليس لها اساس علمي يصدِّقهُ العقل ولا منها نتائج صحيحة يؤيدها الاختبار ولذلك تشيع النتائج العلمية لانها صحيحة مفيدة وتهمل خزعبلات المخرفين لانها فاسدة عقيمة

تجلس على مكتبك وتكتب بضع كلمات الى صديقك المقيم في فرنسا او انكلترا او اميركا وترسلها الى بيت التلغراف وانت واثق انهُ لا تمضي دقائق كثيرة حتى يطلع صديقك على ما

كتبتهُ في الورقة لا لانهُ يمكن ارسال الورقة اليهِ في هذه الدقائق القليلة مسافة مئات والوف من الاميال بل لان عامل التلغراف يستعمل قوَّة طبيعية خفية تحرك قلماً في فرنسا او انكلترا او اميركا فيكتب هناك اشارات تدل على الكتابة التي كتبتها في الورقة . وهذه القوة ترسل على سلك التلغراف وقد ترسل من غير سلك كما في تلغراف مركوني . والناس كلهم يصدقون ذلك الآن ويعتمدون عليهِ وقد صارت اكثر معاملاتهم بهِ حتى الفلاح الصعيدي الذي يجهل مبادئ القراءة والكتابة وكل علم ولا يعرف الا الفاس والمحراث يذهب الى بيت التلغراف ويرسل اشارة برقية الى اللورد كرومر ورئيس النظار ومستشار الداخلية والجرائد المحلية يتشكى من ظلم مأمور المركز لهُ ويدفع اجرتها وهو واثق تمام الثقة ان شكواهُ تصل حالاً الى الذين ارسلها اليهم

ويدَّعي قوم انهم يرسلون افكارهم الى اصدقائهم او معارفهم البعيدين عنهم او أن افكار اصدقائهم ومعارفهم تنقل اليهم من مسافات شاسعة كما تنقل حركات التلغراف بالكهربائية . يدَّعون هذه الدعوى ويجاهرون بها ويوردون لك شواهد كثيرة على صدقها ولكن لا يستطيع احد منهم ان يخبرك بنتيجة واحدة عمليَّة لهذا التأثير يمكن الاعتماد عليها في المعاملات. فبالتلغراف مثلاً تعلم اسعار البورصة في لندن ونيويورك واخبار الحروب الناشبة في اقصى الارض ولكن هل استطاع احد في هذه المدينة او غيرها ان يعرف افكار تاجر او قائد في مدينة اخرى بهذا الشعور الموهوم

ومثل ذلك ما يرى من نجاح صناعة الطب في شفاء الامراض واستئصال الأوبئة فان علم الطب مبنيٌّ على امور اكثرها يقيني ولذلك خضعت لهُ العقول واجمع الناس على العمل بهِ فزال الخطر من العمليات الجراحية بعد اكتشاف اسباب الفساد وطرق اتقائها وخفت وطأة الاوبئة بعد اكتشاف طرق انتشارها وعولجت الامراض المعدية بالمصل الذي يزيل تأثيرها. ومن الناس من يدَّعي انهُ يشفي الامراض بطرق روحيَّة فتروج بضاعتهُ مدة ثم تكسد لا لان الناس يكرهون الشفاء بغير مرارة الدواء وألم سكين الجراح بل لان دعاوي الذين يدَّعون شفاء الامراض بالوسائل الروحيَّة لم تثبت على الامتحان وان نجحت احياناً فنجاحها وهمي او اتفاقي

ويضيق بنا المقام لو اردنا تعداد كل اساليب الاوهام والخزعبلات التي يستعملها بعض الناس عن سخافة في عقولهم او عن خبث واحتيال ويصدقها كثيرون لضعف عقولهم او لقلة تجربتهم واختبارهم ولعلَّ دليل الشيوع والاستعمال اقرب دليل للتمييز بين الحق والباطل والصحيح والفاسد

مندليف الكيماوي

يأتي الشتاء فيكثر الموت بين الشيوخ. والغالب ان العلماء يعمّرون كثيرًا فيموت كثيرون منهم في هذا الفصل فقد مات منهم الآن ثلاثة من اشهر علماء العصر مَندليف الروسي وفوستر الانكليزي ومواسان الفرنسوي . وفقد الروس عالمين آخرين من كبار الكيماويين وهما بيلستين ومنشتكين ولكن ليس لهما الشهرة التي حازها مندليف . وقد ذكرنا طرفًا من ترجمته في المجلد الثالث عشر سنة ١٨٨٩ ولا بأس باعادتهِ ثم الحاقهِ بما وقفنا عليهِ من وصف حالهِ بعد ذلك . قلنا حينئذٍ

"ان من ينظر الى اهالي اوربا واميركا وما هم فيهِ من المحاضرة في ميدان الصناعة والتجارة والثروة والعزَّة لا يفرق بينهم وبين فرسان امتطوا صهوات الجياد واطلقوا لها الاعنة وغرضهم الكسب والفخار . والقادة لهؤلاء الفرسان افراد قلائل نرى نفرًا منهم في المانيا ونفرًا في فرنسا ونفرًا في انكلترا ونفرًا في اميركا ونفرًا في غيرها من الممالك . وهؤلاء القوَّاد العظام يختطُّون مواقع القتال ويديرون حركات الجيوش بثاقب فكرهم وصائب رأيهم وهم ارباب الحضارة ومعززو دعائمها واذا افتخر قوَّاد الجيوش ووزراء الممالك بما فتحوهُ من البلدان ومهَّدوهُ من العراقيب السياسيَّة فلقادة العقول الفخر الاوَّل بالتغلب على مصاعب الطبيعة وترقية الانسان جسدًا وعقلاً

"ومندليف المترجَم ههنا من هؤلاء القواد العظام فقد ولد بمدينة تبولسك بسيبيريا في السابع من فبراير سنة ١٨٣٤ وكان ابوهُ مديرًا لمدرسة كبيرة في المدينة فكُفَّ بصرهُ لما كان ديمتري طفلاً فاضطرَّ ان يستعفي من المدرسة وكان لهُ سبعة عشر ولدًا ديمتري اصغرهم فقامت زوجتهُ لاعالتهم وكانت تفوق الرجال همَّةً واقدامًا فانشأَت معملاً للزجاج في تلك المدينة وكانت تديرهُ بنفسها وتربح منهُ ما يكفي للقيام بعائلتها وتعليم اولادها

"فدرس ديمتري في مدرسة تبولسك واتمَّ دروسهُ فيها وهو في السادسة عشرة من عمرهِ وحينئذٍ أُرسل الى مدرسة بطرسبرج وبرع في العلوم الطبيعية والَّف وهو في المدرسة رسالة في المواد الكيماويَّة المتماثلة تركيبًا . ثم عيّن مدرسًا لمدرسة سمفربول في بلاد القرم ولما نشبت حرب القرم نقل الى مدرسة اودسا وبعد ان تقلَّب في مناصب التعليم عين استاذًا للكيمياء في مدرسة بطرسبرج الجامعة وهو الآن استاذ شرف فيها

"ومؤَلفاتهُ ومصنفاتهُ كثيرة جدًّا واكثرها في الكيمياء وفلسفتها وتطبيقها على الصناعة

واشهر كتبهِ الانسكلوبيديا الكيماويَّة واليهِ ينسب تقدُّم روسيا في الصناعة وكتاب مبادىء الكيمياء وكتاب الكيمياء الاليَّة وهما من اشهر الكتب المؤلفة في هذا الفن

" واشهر اكتشافاتهِ الكيماوية ما يسمَّى بالناموس الدوري . وبموجب هذا الناموس انبأ بوجود عناصر جديدة قبل ان كشفت واخبر عن خواصها الكيماوية وصفاتها الطبيعيَّة وهي في عالم الخفاء ثم لما كشفت وجدت كما انبأ عنها وهذا من اعظم مكتشفات العلوم الطبيعيَّة ويقال انهُ ما من رجل افاد العلوم الطبيعيَّة في سلطنة الروس اكثر من هذا الشهير "

ونزيد على ذلك ان كتابتهُ في مبادىء الكيمياء لم ينسج على منوالهِ حتى الآن لانهُ جرى فيهِ مجرًى جديدًا في تحقيق القضايا الكيماوية وايضاحها ولذلك ترجم الى كثير من اللغات الاوربية ولا يزال الكيماويون يجدون اكبر لذة في مطالعتهِ

ولم يترك فرعًا من فروع الكيمياء الاَّ طرقهُ وبحث فيهِ بحث العالِم المدقق مدة الثلاثين سنة التي قضاها في تعليم هذا العلم وهذا سبب شهرتهِ الواسعة كفيلسوف كيماوي ولكن اكثر شهرتهِ في الكيمياء الطبيعية بنوع عام وفي اكتشاف الناموس الدوري بنوع خاص فانهُ وجد ان بين العناصر الكيماوية نسبة محدودة كأنها صفوف مرتبط بعضها ببعض ارتباطًا حسابيًّا كحلقات سلسلة واحدة

قال الاستاذ ثروب الذي نقلنا عنهُ هذه السطور ان مندليف كان طويل القامة مهيب الطلعة طويل الشعر ابيضهُ تجد في كلامهِ من الدقة والظرف وفي معانيهِ من الحكمة والابتكار ما يريك انهُ رجل ممتاز بين الرجال موقَّر عزيز الجانب على ما فيهِ من الدعة الفطرية ولين العريكة . وكان من الاحرار المحبين لوطنهم المسموعين الكلمة بين تلامذتهم ولذلك لم يكن محبو الاستبداد راضين عنهُ. ولما تلا خطبة فراداي في الجمعية الكيماوية الملكية ببلاد الانكليز قُدّم اليهِ كيس من الحرير عليهِ شعار روسيا وفيهِ النقود الذهبية التي تعطى لمقدم تلك الخطبة فسرَّ بالكيس جدًّا ولاسيما لما علم انهُ من صنع احدى السيدات اللواتي كنَّ حاضرات حينئذٍ لسماع خطبتهِ ولكنهُ اخرج النقود منهُ وردَّها الى الجمعية قائلاً انهُ لا يقبل مالاً من جمعية شرَّفتهُ باختيارهِ لاكرام ذكرى فراداي في مكان قدَّستهُ اعمال فراداي

وكانت وفاتهُ في الثاني من فبراير ولهُ من العمر ٧٣ سنة ولما بلغت وفاتهُ القيصر بعث بتلغراف الى زوجتهِ يقول فيهِ " اقبلي تعزيتي القلبية عن هذه الخسارة العظيمة التي اشاركك فيها . ان روسيا فقدت رجلاً من افضل ابنائها في شخص الاستاذ مندليف الذي لا يزول اسمهُ من ذاكرتنا "

السر ميخائيل فوستر

قلما نعرض لنا مسألة فسيولوجية نريد تحقيقها في المطوَّلات الاَّ ونلتفت الى كتاب فوستر في علم الفسيولوجيا لعلمنا ان موءَلفهُ من المحققين المدققين وان لهُ اليد الطولى في ترقية هذا العلم وتوسيع نطاقهِ . ولد في الثالث من شهر مارس سنة ١٨٣٦ ودرس علم الطب في مدرسة لندن الجامعة فنال منها الدبلوما الطبيَّة سنة ١٨٥٩ ومارس صناعة الجراحة مدة ثم خلف هكسلي في تعليم الفسيولوجيا العملية سنة ١٨٦٩ ودعي في السنة التالية لتعليم الفسيولوجيا في مدرسة كمبردج الجامعة فاقام فيها يدرّس الى سنة ١٩٠٣ مدة ثلاث وثلاثين سنة ولم يكن لهذا العلم شأن فيها قبل ذلك فصار من اهم العلوم لا سيما وان طريقة فوستر في التعليم مبنيَّة على قرن العلم بالعمل وبث محبة التعليم في نفوس التلامذة فنبغ من تلامذتهِ علماء كثيرون اشتهروا بمباحثهم العلمية . وكما امتاز باسلوبهِ في التعليم امتاز باسلوبهِ في الانشاء فلا يماثلهُ في فصاحة العبارة الاَّ الاستاذ هكسلي . ولهُ كتب كثيرة اشهرها كتابهُ في الفسيولوجيا وقد طبع الطبعة الاولى سنة ١٨٧٦ والثانية سنة ١٨٧٨ واعيد طبعهُ بعد ذلك خمس مرات وكان في الطبعة الثانية مجلدًا واحدًا فيهِ ٦٤٠ صفحة فصار في الطبعة الاخيرة خمسة مجلدات كبيرة

ولهُ كتاب تاريخ الفسيولوجيا طبع سنة ١٩٠٠ ومبادئ علم الاجنة الفهُ بالاشتراك مع تلميذهِ الاستاذ بلفور . ومبادئ الفسيولوجيا الفهُ بالاشتراك مع الدكتور لنغلي وترجمة كلود برنار وترجمة هكسلي . وكان محررًا الجرنال الفسيولوجيا ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني في اجتماعهِ بمدينة دوفر سنة ١٨٩٩ وخطب فيهِ خطبة الرئاسة وموضوعها تاريخ العلم في القرن التاسع عشر وقد نشرناها في عددي اكتوبر ونوفمبر سنة ١٨٩٩ واعطي حينئذٍ لقب سر .

ولما استعفى من مدرسة كمبردج الجامعة انتخب عضوًا في البارلمنت عن مدرسة لندن الجامعة بدلاً من السرجون لبك الذي رقي الى مصاف الاشراف باسم لورد افبري وخطب في مجلس النواب في المواضيع العلمية التي هو ثقة فيها كالتعليم والصحة العمومية والتجارب العلمية وما اشبه وكان النواب من الحزبين يصغون الى اقوالهِ واثقين انهُ يتكلم عن علم واخلاص

واختير عضوًا في اللجان التي عينتها الحكومة للبحث في بعض المسائل العلمية كالتطعيم الواقي من الجدري وانتقال عدوى السل . والتقرير الاخير الذي قدمتهُ هذه اللجنة امضاهُ قبل وفاتهِ بايام قليلة

وكان بشوش الوجه انيس المحضر غاية في الظرف على علو منزلتهِ العلمية محبوبًا من جميع اصدقائهِ ومعارفهِ وكانت وفاتهُ بلندن في التاسع والعشرين من شهر يناير الماضي

جمال الطبيعة (1)

سلامٌ كرامَ الانام سلامْ يفوحُ شذاهُ كنشر الخزامْ
وبعد فانَّ جمالَ الطبيعة م خيرُ جمالٍ بهِ المرءُ هامْ
تسيلُ القرائح في وصفهِ فيحلو النثيرُ ويحلو النظامْ
واني اردتُ الكلام عليهِ بقول يناسب هذا المقامْ
فمنّوا عليَّ بسترِ خطائي ومن شاء صفَّق لي في الختامْ

لا يخفى عليكم ايها السادة الالباء ما حوتهُ الطبيعة من جميل المناظر وبديع المشاهد التي يقف المفكر لديها مأخوذًا بجمالها مسحورًا بما يرى فيها من دقيق التركيب وكمال الاتقان . وكم سحرت حسناء الطبيعة عقولاً فتقفتها واذكتها وهامت بها نفوسٌ فلطفتها ورقتها . فايُّ امرىءٍ لا ترتاح نفسهُ وينشرح صدرهُ لرؤية جمال الطبيعة في ايام الربيع بعد ان ينقضي فصل الشتاء وتبرز الارض في اثوابها القشب فيخيَّل لهُ ان يدًا غير منظورة قد مدّت عصًا سحرية فكست الطبيعة تلك الملابس البديعة او كأن ازاهر الارض ورياحينها رسائل عطرية يبعث بها الينا في هذا الفصل احباؤُنا الذين ثوَت جسومُهم في قلب الارض

انظروا اي شعور يقوم في نفس الانسان اذا صعَدَ في جبلٍ شامخ تعمّمهُ الثلوج البيضاء وتمنطقهُ الاشجار الغبياء وتزينهُ الرياض الغناء وتتفجّر في جوانبهِ عيون الماء ثم وقف يسرّح الطرف في هذه المشاهد وفي البحر المنبسط امامهُ يغسل قدمي الجبل وقد اختلطت في نظرهِ زُرقة الماء بزرقة السماء او جلس في احدى الخمائل يتأمل مداعبة النسيم للاغصان ويصغي للاطيار بعضها يخطب على منابر الاشجار وبعضها يغني على نغمات خرير المياه الجارية على الحصباء كالدر — لا شك انهُ يقرأُ عندئذٍ صفحة من ابلغ صفحات الطبيعة فتخشع نفسهُ امام سلطان هذا الجمال البديع ويزداد ولوعًا وتعلقًا بهِ . ولقد كان جان جاك روسو " اذا نظر الى الحقول والرياض وهو خارج المدينة يبكي مسرورًا بها وانقباضًا لما كانت تجدهُ نفسهُ من الضغط المُبهم عليها امام منظرٍ عظيم سرّيّ كهذا المنظر " ومثلهُ مدام دي ستايل التي اقلقت بكتاباتها البليغة نابليون مقالق الارض ومزعجها " فكم وقفت امام الحقول تنظر اليها

(1) خطبة القتها السيدة لبيبه ديمتري فاخوري في حفلة توزيع الشهادات على التلميذات المنتهيات من المدرسة الانجيلية بالازبكية في ٢٨ ديسمبر الماضي

وتبكي من غير علة ولا سبب غير اختباط سري مبهم "

ارأيتِ ايتها السيدة كم تنبسط نفسكِ لرؤية الورد الغض وهو بعد في الاكمام او بعد ان تفتحت عنهُ وتقطهُ حب الغمام وكم يسرّكِ ان تأخذي بيدك مليكة الازاهر التي اذا بلغتك رائحتها انتعشت نفسك وذهب ما عليها من صدإِ الاشجان واصابكِ من الارتياح ما يعجز عن وصفهِ ابلغ قلم وافصح لسان · والفرق عظيم بين زهرة كوّنتها يد الطبيعة واخرى اشتغلتها يد الصناعة فان هذه مهما تأنقت في عملها يد الانسان تبقى عليها مسحة التقليد واما تلك فان اليد اللطيفة الخفية اخذت بزرتها الصغيرة وكرّرتها من الشوائب وارسلت اليها الرطوبة من اعماق الارض فسرت فيها بحكمة سماوية الى ان نبتت وظهرت على وجه الارض شجيرة تستمد ما يغذوها من التراب والماء والهواء وتزينها اوراق خضراء . ثم بدت في هذه الشجيرة زهرة جميلة اعجبت بها تلك الاوراق فسوّدتها عليها ملكة بديعة الجمال واحاطت بها خاشعة تقدم لها ضروب التكريم والاجلال· اجل انهُ مهما بذل الانسان من الجهد لكي يقلّد اعمال الطبيعة يظل قاصرًا عاجزًا فشتان بين منظر البحر العجاج تتلاطم امواجهُ مزبدةً وتهدر هديرًا متواصلاً ليل نهار وبين منظر بحيرة صناعية ملأناها ماء وبثثنا فيها انواع السمك لنزيدها جمالاً — اننا اذا اهملنا مياه هذه البحيرة اسبوعًا واحدًا اسنت وتصاعدت منها الروائح الكريهة وربما دبّ الموت في اسماكها ايضًا واصبح النظر اليها من كاربات النفوس ومضيقات الصدور اما البحر ففضلاً عما خصتهُ بهِ الطبيعة من جمال المنظر والعظمة فانّ مياههُ التي فيهِ منذ الوف والوف من السنين لا تزال على نقاوتها وصفائها

اي عقل راجح يا سادتي لا يندهش من نظام الطبيعة البديع في ارسالها اشعة الشمس في ايام الحرّ على مجتمعات الماء الملح في البحار وغيرها فيتبخّر منهُ جزء كبير تخزنهُ في خزائن الجلد العظيم ثم تمطرهُ علينا ماء عذبًا نقيًا · بعضهُ يجرى على وجه الارض فتفيض الانهار وتمتلئ الغدران والسواقي وبعضهُ يغور في الارض ويجري في قلبها مخترقًا طبقاتها الى حيث ينفجر ينابيع وعيونًا او تحفر الآبار فيستقي الانسان ويشرب الحيوان ويرتوي النبات ويحوّل الصحاري الرمضاء الى رياض غناء

اما ابلغ صفحة في سفر الطبيعة العظيم فهي بلا شك صفحة السماء — ارفع بصرك اليها في ليلة صافية الاديم وقلّب الاجفان في ذلك الفضاء الفسيح المرصّع بالدراري كالماس وابهت لدى رؤية هذه المصابيح التي علقتها يد الطبيعة منائر تهدي الناس · تأمّل في تلك العوالم السابحة واعجب لسيرها على ذلك الترتيب البديع التنظيم تضبطها قواتا الجذب والدفع بحيث لا يتعدى

احداها مداهُ ولا يخرج عن الطريق التي رسمتها لهُ يد الله. سرّح نظرك في المجرّة المؤلفة من ملايين لا تحصى من الشموس والنجوم فهنالك

كوائنُ ليس يدري السرَّ منها سوى من امرهُ كافٌ ونونُ

ثم ارقبْ طلوع القمر وانظر ما يهيج او يسكن في نفسك من الشجون اذا امتلأت عينك منهُ بل ادهش لرؤيتهِ وهو يتنقل في منازلهِ يحفُّ بهِ سكون الليل

فتصفرّ النجوم اذا تبدّى كما يصفرُّ من حسدٍ جبينُ
يسير فتختفي من جانبيهِ نوافرَ وهو مجتازٌ رزينُ
كما طلعَ المليك عليهِ تاجٌ فاطرقت الوجوهُ لهُ تدينُ
كأن كواكب الافلاك درٌّ تبدّى بينها حجرٌ ثمينُ

واذهل عند ما تراهُ يرسل اشعتهُ اللجينيَّة الى كل جهة في الفضاء ويخلع على الارض رداءً فضيًّا خيوطهُ مما انبعث عنهُ من الضياء. ولكن لا تنسوا يا سادتي ان اجمل سطور هذه الصفحة انما تقرأ عند شروق الشمس فاذا بكّر محبُّ الطبيعة وقرأ تلك السطور اطربتهُ معانيها الباهرة واختلبت لبّهُ ببلاغتها الساحرة — فانهُ يرى عندما تبدو تباشير الصباح ان النجوم بدأت بالانسراب فاسرع كلٌّ الى مخبإهِ في جوانب السماء واغارت جيوش النور على فيالق الظلام فدحرتها ونهضت مليكة النهار من مرقدها تنثر تبرًا على الارض وتمد اشعتها اليها مصافحةً وتحيي الخلائق بوجهها البسام فتستقبلها الطيور باناشيدها الشجية فيطوي يديهِ على صدرهِ وهو شاخص اليها مأخوذ بجمال هذا المنظر وتنحدر من عينيهِ دمعة وربما ولّى وجههُ شطر البلاد التي يقيم فيها ذووهُ وانشد

اذا بزغتْ شمسُ الصباح فانها علامة اهدائي السلامَ فسلموا

واذا كان من المفكرين ذوي النفوس الحساسة فلا يبعد ان يخاطب مليكة النهار بما معناه: انتِ تطلعين الآن ايتها الشمس وبطلوعكِ تهبينَ الحياة لهذهِ الارض. وكل حيوان فيها ونبات يستقبلكِ بثغرٍ باسم كما يستقبل الطفل امهُ التي تحبهُ وتحن عليهِ. ولكن هل ذكرتِ أنَّ بين الذين تشرقين عليهم كثيرين من الضعفاء المظلومين والفقراء البائسين وقد ثقلت الحياة عليهم فودّوا لو انك لا تطلعين عليهم اي تمنّوا ان تغرب شمس حياتهم قبل شروقكِ. وهل دريتِ وانتِ تقبلين الناس قبلة الصباح كم واحد قد ذبل غصن حياتهِ لغياب شمس آمالهِ

لله ما اعمَّ نفعك فانك تطلعين على الصالحين والطالحين فكما تصافحين ذوي النفوس الطيبة والقلوب النقية تصافحين الذين اسودّت اكبادهم وتصلبت رقابهم وقست قلوبهم وخبثت

ضمائرهم وذوي الشراهة واهل الطمع والظالمين والمغترين الذين لا خلاقَ لهم المتطاولين على اهل الدعة والفضل الناهشين اعراضهم كما تنهش الافعى فريستها . انا اعلم ايتها الشمس انكِ غير راضية عن هؤلاءِ الذين اصبحوا شجىً في حلق الانسانية وقذىً في عينها ومنخساً في جنبها . ولكن ماذا تصنعين اتقتربين من الارض الى حدٍ يحترقون فيهِ بنارك ? وكيف ينجو من الهلاك معهم غيرهم من الابرياء ? ام تبتعدين عنها الى حدٍ يهلك فيهِ اولئك الظلمة بزمهرير البرد القارس ? وفي هذا ايضاً هلاك الفضلاء معهم . انني اتخذ هذا ايتها الشمس دليلاً ساطعاً على ان وراء هذا العالم عالماً آخر تثابُ فيهِ الفضيلة المتألمة في ارضنا التعيسة

وليس عجيباً ياسادتي صدور هذه الاقوال من صاحب العقل المفكر والنفس الرقيقة الشديدة الاحساس لانهُ من القوم الذين لاتلهيهم رؤية الجهات البراقة في هذا العالم عن النظر الى الجهات المظلمة فيهِ والتوجع للضعفاء البائسين وهو خاضع لما يحيط بهِ من المؤثرات فاذا احتاطت المبهجات ابتهج او رأى ما تنقبض لهُ النفس اكتأب . ولا غرابة في ذلك ان العالم بمثابة بيانو ضخم والذي يوقع عليهِ هو الانسان فاذا كان فرحاً جذلاً وضع اصابعهُ على مفاتيحهِ ونقر نقراً حسب ان الكون يهتز لهُ طرباً ويتمايل من نشوة الفرح اما اذا رأى ما لا يسرهُ وتولتهُ الكآبة فانهُ يعزف على ذلك البيانو عزفاً يثير الاشجان من مكامن نفسهِ ويحبب اليهِ الموت والتكفين في ظلمات رمسهِ

وما ذا عساني ان اذكر لكم ياسادتي من بدائع جمال الطبيعة وهو ظاهر في صفحة السماء وعلى وجه الغبراء والعمر كلهُ اقصر من ان يكفي للنظر في فصل واحد من فصول سفر الطبيعة الكبير والتأمل في جمالهِ او الوقوف على شيء من اسرار ما يحوي مما يقف العقل مندهشاً امام دقة تركيبهِ وكيفية تألفهِ . «وكيف لايندهش ويقرُّ بالعجز والقصور لدى رؤيتهِ» في الاجسام الحية تلك الجراثيم الصغيرة اللزجة الشفافة التي لا لون لها والتي لا تنفك متحركة تتناول ما يجاورها من المواد غير الحية فتحييها وتصنع منها خيوطاً عصبية او شريانية او عظمية او عضلية او نحو ذلك وتنسج هذه الخيوط اعصاباً وشرايين وعظاماً وعضلات فان كانت مما تكوّن عظماً لا يمكن ان تكوّن عصباً مهما استعمل لها من الوسائط . وكذا ما يكوّن منها ورقاً لا يمكن ان يكوّن ثمراً وما يكوّن زهراً لا يكوّن خشباً وقس على ذلك . هذا مع ان جراثيم الورق والزهر والثمر واللحم والعظم والشرايين والاوردة هي بحسب ما يُعلم واحدة ابداً ودائماً في كل انواع النبات والحيوان وفي كل ادوار الحياة (١) »

(١) من خطاب عنوانهُ (الله والعالم) للدكتور يعقوب صروف

هذا ومما تشوق النفس رؤيتهُ الجمال الطبيعي كما صنعهُ الخالق فالفتاة التي افرغت عليها الطبيعة حلل الجمال فوهبتها وجهاً يحاكي البدر في استدارتهِ والورد في حمرتهِ والياسمين في ناصع بياضهِ وعيناً دعجاء وقامةً هيفاء ترتاح النفس الى رؤيتها ولكنها تنفر وتنقبض اذا رأت فتاة تستعير جمالها من يد الصناعة لانها تقول

ان المليحة من كانت محاسنها من صنعة الله لا من صنعة البشرِ

والفرق واضح بين الشخص المطبوع على كرم النفس وجمال الاخلاق ومن يتكلَّف التجمل في طباعهِ تكلفاً

وقد قام في العالم فئة امتازت بالشعور اللطيف وسلامة الذوق وجعلت همها دعوة الناس وخصوصاً المتمدنين منهم الذين اكتظت بهم المدن للرجوع الى الطبيعة من حين الى آخر والتمتع بجمالها وحامل لواء هذه الفئة واكثرهم جهاداً جون رُسكين ومن مبادئهِ قولهُ " ان كل جمال مصدرهُ حب الطبيعة العذراء كما خلقها الله اي بجبالها وانهارها وبحارها ونجومها ونباتها وازهارها لا الطبيعة التي شوَّهها الانسان بصناعتهِ واختراعاتهِ". وهناك اناس اعملوا الفكرة في نظام الاجتماع فحكموا ان ما فيهِ من النقص والعيوب في الشرائع والاحكام المؤيدة للاقوياء والماحية لحقوق الضعفاء انما دخلت عليهِ لخروجهِ عن مبدإِ النظام الطبيعي وصيرورتهِ نظاماً مصطنعاً

وعلى الجملة فان جمال الطبيعة فتان واسرارها مدهشة للعقل . واذا كان كتاب الشريعة الذي يقرأهُ جزءٌ من البشر يشهد بوجود الله فسفر الطبيعة التي يقرأ صفحاتهِ كل البشر في كل يوم يبدي هذه الشهادة عينها وينطق بحكمة الخالق وعظمتهِ . قال داود الملك الشاعر العبراني العظيم " السماوات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديهِ يومٌ الى يوم يذيع كلاماً وليل الى ليل يبدي علماً " وقال ابن الفارض وهو من بدائع الاقوال

تراهُ ان غاب عني كلُّ جارحةٍ في كل معنى لطيف رائقٍ بهجِ
في نغمة العود والناي الرخيم اذا تآلفا بين الحانٍ من الهزجِ
وفي مسارح غزلان الخمائل في بردِ الاصائل والاصباح في البلجِ
وفي مساقط انداء الغمام على بساطِ نورٍ من الازهار منتسجِ
وفي مساحب اذيال النسيم اذا اهدى اليَّ سحيرًا اطيب الارجِ

وقال رسكين " الطبيعة من صنع الله فمن يحبها يحب عمل الله " وقال احد[1] علماء هذا

(١) الاستاذ ابرهيم الحوراني في بيروت

العصر ونجعل قوله مسك الختام

يا شمس كل الورى لولاك ما بزغت	شمس وما لاح في جنح الدجى قمر
قد سبحتك النجوم الزهر شاهدة	بانك الله والآصال والسحر
والجوهر الفرد والاعراض قاطبة	والعقل والنفس والاعيان والصور
فانت كونت ما الابصار تدركه	وانت ابدعت ما لا يدركه البصر

حكم العرب

من كتاب الايجاز والاعجاز للامام ابي منصور الثعالبي النيسابوري

الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون

(ابو بكر الصديق) صنائع المعروف تقي مصارع السوء · الموت اهون مما قبله واشد مما بعده

(عمر بن الخطاب) من كتم سره كان الخيار في يده . لا تؤخر عمل يومك الى غدك · اشقى الولاة من شقيت به رعيته

(عثمان بن عفان) يكفيك من الحاسد انه يغتم وقت سرورك · تاجروا الله بالصدقة تربحوا

(علي بن ابي طالب) قيمة كل امرئ ما يحسنه · الناس من خوف الذل في الذل · الناس اعداء لما جهلوا · استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واعطِ من شئت فانت اميره · خير اموالك ما كفاك وخير اخوانك من آساك

(معاوية بن ابي سفيان) اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة

(الحسن بن علي) خير المال ما وُقي به العرض . العلم اكثر من ان يحصى فخذوا من كل شيء احسنه

(محمد بن الحنفية) من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا

ملوك الاسلام وامراؤه

(عمرو بن العاص) من كثر اصدقاؤه كثر غرماؤه · الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل · عزة الغضب تؤدي الى ذلة الاعتذار

(المغيرة بن شعبة) تارك الاخوان متروك · في كل شيءٍ سرف الاَّ في المعروف
(الاحنف بن قيس) من لم يصبر على كلمة يسمع كلمات · الكامل من عدَّت هفواتهُ
(عبد الله بن الزبير) الوحدة خيرٌ من جليس السوء
(مصعب بن الزبير) اني لاعشق الشرف كما اعشق الجمال
(عبد الملك بن مروان) افضل الناس من عفا عن قدرة وتواضع عن رفعة وانصف عن قوَّة
(المهلَّب بن ابي صفرة) عجبت لمن يشتري العبد بمالهِ ولا يشتري الاحرار بفعالهِ · الإقدام على الهلكة تغرير والإحجام عن الفرصة جبن شديد
(عمر بن عبد العزيز) كتب اليهِ عامل حمص يقول انها تحتاج الى حصن فقال حصنها بالعدل والسلم
(مسلمة بن عبد الملك) ما لمت نفسي على خطإٍ افتتحتهُ بحزم ولا حمدتها على صواب افتتحتهُ بعجز
(مروان بن محمد بن مروان) كنزنا الكنوز فما وجدنا كنزًا انفع من معروف في قلب حرّ
(نصر بن سيار) كل شيءٍ يبدو صغيرًا ثم يكبر الاَّ المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر وكل شيءٍ يرخص اذا كثر خلا الادب فانهُ اذا كثر غلا
(ابو مسلم) ما تاه الاَّ وضيع ولا فاخر الاَّ لقيط ولا تعصَّب الاَّ دخيل · اشدُّ اهل القتال ممتعض من ذلة او محام عن ديانة او غيور على حرمة
(ابو العباس السفاح) ما اقبح بنا ان تكون الدنيا لنا واولياؤُنا خالون من حسن اثارنا · اذا عظمت القدرة قلَّت الشهوة
(المأمون) الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي او حسد · اقرباء المرء بمنزلة الشعر على الجسد فمنهُ ما يخفى وينفى ومنهُ ما يخدم ويكرم · ان النفس لتملُّ الراحة كما تملُّ التعب
(المعتصم) اذا نصر الهوى بطل الرأي . وذكر التيه عندهُ فقال حظ صاحبهِ من الناس المقت ومن الله اللعن
(اسحق بن ابراهيم المصعبي) كيمياء الملوك العمارة ولا تحسن بهم التجارة · لذة الدنيا في السعة والدعة

(المنتصر) ما ذلَّ ذو حق وان اطبق العالم عليهِ ولا عزَّ ذو باطل ولو طلع من جبينهِ القمر . التقدير يجري بخلاف التدبير

(المهتدي) عاون على الخير تسلم ولا تجزهُ فتندم

(المعتمد) مَن عرف بالحلم كسرت الجرأة عليهِ . لم يطع الله من عصى سلطانهُ

(عمرو بن الليث) الطير بالطير تصاد والمال بالمال يكسب والرجال بالرجال تعان

(احمد بن طولون) ان في الصلح تأخير الآجال وتثمير الاموال وتحقيق الآمال

(عبد الله بن المعتز) اهل الدنيا كصور في صحيفة اذا طوي بعضها نشر بعضها . افقرك الولد او عاداك . بشّر مال البخيل بحادث او وارث . اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام . من احبَّ البقاء فليعدَّ للنوائب قلبًا صبورًا . أغنِ من وليتهُ عن السرقة فليس يكفيك من لم تكفهِ . عقوبة الحاسد من نفسهِ

(القاهر) من صنع خيرًا او شرًا بدأ بنفسهِ

(الراضي) من طلب عزًّا بباطل اورثهُ الله ذلاًّ بحق

(الحسن بن علي الاطروش) اثقل الناس من شغل مشغولاً

(الربيع بن يونس وزير المنصور) موائد الملوك للتشرف لا للتشبُّع

(ابو عبد الله وزير المهدي) حسن البشر من اعلام النجح . عقول الرجال تحت أسنة اقلامها . خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يمل

(يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد) ما احد رأى في ولدهِ ما يحب الاَّ رأى في نفسهِ ما يكره

(جعفر بن يحيى وزيرهُ ايضًا) شر المال ما لزمك اثم مكسبهِ وحرمت الاجر من انفاقهِ . الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل وما استنزر بمثل الجور . اذ كان الايجاز كافيًا كان الاكثار عيًّا واذا كان الايجاز مقصرًا كان الاكثار ابلغ

(الفضل ابن الربيع وزير الرشيد والامين) ما اظن النعمة الاَّ مسخوطًا عليها اما تراها ابدًا عند غير اهلها

(الفضل بن سهل وزير المأمون) الامور بتمامها والمال بخواتيمها

(اخوهُ حسن بن سهل وزير المأمون ايضًا) عجبت لمن يرجو من فوقهُ كيف يحرم من دونهُ . لا يصلح للصدر الاَّ واسع الصدر

(محمد بن عبد الملك وزير مروان) الإرجاف مقدمة الفتنة

(عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل) لسان الحال انطق من لسان المقال

(سليمان بن وهب وزير المهتدي) احق الناس بالتفضل اهل الفضل

(صاعد بن مخلد وزير المعتمد) المنع الجميل احسن من المطل الطويل

(ابو جعفر وزير المستكفي) الاصاغر يهفون والاكابر يعفون . من عمل ما يجب لقي ما يكرهُ . اياك والافراط الممل والتفريط المخل

(الصاحب بن عباد وزير فخر الدولة) الضمائر الصحاح ابلغ من الالسن الفصاح . وعد الكريم الزم من دين الغريم . لكل امر أجل ولكل وقت رجل . قد يبلغ الكلام حيث تقصر السهام . كتاب المرء عنوان عقله

(ابو الحسن الاهوازي وزير صاحب الصاغانيان) من حسن حالهُ استحسن محالهُ . العدل اقوى جيش واهنأ عيش . من زرع الإحن حصد المحن

حكم الكتاب

(عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان) القلم شجرة ثمرها المعاني والفكر بحر لؤلؤهُ الحكمة . البلاغة ما رضيتهُ الخاصة وفهمتهُ العامة

(عمرو بن مسعدة كاتب المأمون) قليل دائم خير من كثير منقطع

(ابو عثمان الجاحظ) من صنف فقد استهدف فان احسن فقد استطرف وان اساء فقد استقذف

(ابو بكر الخوارزمي) الكريم من اكرم الاحرار والكبير من حقر الدينار . الاذكار حيث التناسي والتقاضي حيث التغاضي

(البديع الهمذاني) الخبر اذا تواتر بقي النقل قبلهُ العقل . من لم يجد الحميم رعى الهشيم

(ابو الفتح البستي) الرشوة رشاء الحاجة والمعاشرة ترك المياسرة . اذا بقي ما فاتك فلا تأس على ما فاتك . لا ضمان على الزمان ولا ضياع بين الصناعة والقناعة

(يحيى بن معاذ) الفقر خوف الفقر والزهد اخفاء الزهد

(ابن سمعون الواعظ) قال لهُ السلطان محمود عظني واوجز فقال افعل برعيتك كما تحب ان يفعل الله بك

(ومن حكم الثعالبي نفسهِ) استظهر على الدهر بخفة الظهر . خلف الوعد خلق الوغد . لو كانت المشاجرة شجرًا لم تثمر الاَّ حجرًا . ما الخلاص الاَّ في الاخلاص . الدواة انفع الادوات والحبر اجدى من التبر

اكلة الناس في جزائر هبريد الجديدة

جزائر هبريد الجديدة من جزائر ملقًّا في غربي الاوقيانوس الباسيفيكي صخرية بركانيَّة شديدة الخصب يكثر فيها ثمر الخبز وجوز الهند والموز والساغو وقصب السكر وجوز الطيب ونحو ذلك من اشجار المنطقة الحارة وفي بحارها السمك وصدف اللؤلوء والسلاحف. مساحتها ٥٣٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٥ الفًا اكثرهم عبدة اصنام ولا يزال اكل لحوم الناس شائعًا عندهم

زارت سيدة اوربيَّة هذه الجزائر منذ عهد قريب ووصفتها في مجلة وندزور الانكليزية فاقتطفنا منها السطور التالية قالت

ان اهالي ملكولا احدى هذه الجزائر من اكلة لحوم الناس شهروا الحرب على الانكليز قبل وصولي الى جزيرتهم باسابيع قليلة ونزلوا الى الساحل ببنادقهم وجعلوا يطلقونها حيث تمر الباخرة الآتية من سدني لكن جاءتهم سفينتان حربيتان احداها فرنسوية والاخرى انكليزية واستأصلتا الداء قبل استفحالهِ

واهالي هذه الجزيرة خونة يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم يأكلون لحوم الناس ولكنهم لا يوقعون بالبيض بغير سبب صحيحًا كان او وهمًا . وقد يضيفون زائرهم ويرحبون بهِ وهم لصوص قتلة ولا يقتلون البيض الاَّ اذا اتفق ووقعت بهم مصيبة فيوجسون منهم شرًّا ويقومون عليهم كالمجانين ويوقعون بهم واما قتل بعضهم بعضًا فشائع بينهم

ولا يزال كثير من هذه الجزائر مجاهل لم تطأْها اقدام البيض ولا سيما جزيرة ملكولا وهي ثانية هذه الجزائر اتساعًا واشدها اهوالاً ولا يعرف منها الاَّ ساحلها وجزءٌ من نصفها الجنوبي . وفي وسطها حرجة كثيفة طولها سبعون ميلاً وعرضها ثلاثون يسكنها المتوحشون واكثرهم لم يروا الساحل ولا رأوا وجه انسان ابيض ولا يمكن السير في بلادهم من غير دليل ولا بد من ان يكون مع السائر جنود مسلحون يحمونهُ لان الاهالي على جانب عظيم من الغدر. واسلحتهم البنادق والسهام المسمومة ويطرحون في الارض اسنة سهام مسمومة حتى تنشب في ارجل المارة وتسمهم وحول قراهم طرق متشعبة تضل السائر فيها ولا اسهل عليهم من رمي كل من يعتدي على حماهم بالرصاص

وجزيرة سنتو اكبر من جزيرة ملكولا وهي اول جزيرة رآها الاوربيون وكان ذلك سنة

١٦٠٥ وهي جبلية تعلو عن سطح البحر ٥٠٠٠ قدم وفيها حراج كثيفة واودية عميقة · والذي كشفها اولاً جاءها من بيرو وظنّ انها قارّة جنوبيّة فسماها استراليا دل اسبيرتو سنتو اي بلاد الروح القدس الجنوبيّة · ونزل في مرفإٍ امين سماهُ ڤرا كروز اي الصليب الحقيقي وسمّى النهر الذي يصبُّ فيهِ بالاردن وشرع في بناء مدينة على ضفتهِ سماها اورشليم الجديدة ولكن الحمّى وعدوان الاهالي طردا النزلاء قبلما اتموا بناء المدينة فعادوا الى اميركا الجنوبيّة · وزار كوك الشهير هذه الجزائر سنة ١٧٧٤ وسماها هبريد الجديدة

واسم عاصمة هذه الجزائر الآن ڤيلا وهي في جزيرة افات وعلى نحو اسبوع من مدينة سدني باستراليا بالسفن التجارية · وموقعها من اجمل المواقع ماء مرفإها فيروزي مشوب بحمرة نارية يحفُّ بها من جهات البر الثلاث آكام تغطيها الانجم والاشجار كأنها زمرد مبثوث حولها · اكثر سكانها من الفرنسويين وفيها شارع واسع هو شارع التجار ولكن بيوتها قليلة حقيرة كانها طفلة ضلّت من امها بين الحراج · وجزيرة افات نفسها اكثر جزائر الهبريد تمدُّناً لان اهاليها متنصرون اكثرهم واراضيها في ملك الاجانب من الفرنسويين والانكليز وهم يزرعون فيها الشاي والذرة وليس في الدنيا مكان يستحلُّ اهاليهِ المحرمات مثل هذه المدينة ومع ذلك يعيشون على سلام بعضهم مع بعض · وفيها مأموران احدهما انكليزي والآخر فرنسوي لكن سلطتهما محدودة او لا يستطيعان شيئًا والحرُّ هناك شديد يضعف الهمم ويزهق النفوس ويعد بالحميات ويفي بوعدهِ . ولا يستطيع احد الانتقال من مكان الى آخر الاَّ بحرًا واذا اراد السفر برًّا اضطرَّ ان يجتاز بين الادغال واذا كان من رجال الحكومة واجهد نفسهُ فجزاؤهُ اللوم والتوبيخ ولذلك يعيش المأموران بالمسالمة و يتضايفان حينما يجدان طعامًا يستحق ان تولم منهُ وليمة ويقضيان بقية الوقت في النزهة وصيد السمك وهذا كل ما تطلبهُ حكومتاهما منهما

ويراد الآن انشاء محاكم يحاكم بها البيض اذا خالفوا وصيّة من الوصايا العشر او اعتدوا على قانون من قوانين بلادهم مما يضرُّ بجيرانهم · ولما زرت تلك الجزائر لم يكن فيها شيءٌ من ذلك ولا ما توقى بهِ الاموال والاعراض بل كان الحق للقوة ومع ذلك كان الناس عائشين كما يعيش غيرهم من النزلاء في غيرها من البلدان فلا يقتل بعضهم بعضاً مع انهم يختصمون احياناً لاسباب تدعو الى الخصام في كل الدنيا و يقال انهم قد يقتلون العمّال في المزارع البعيدة في ساعة الغيظ لان الحرّ الشديد يذيب الآداب على ما يظهر

لما وقع نظري على الاهالي البرابرة لم اوجس منهم شرًّا لانني لم احسب انهم يقدمون على اكل احد في شارع المدينة او على ساحل البحر بمرأى من السفن التجاريّة ولم اخشَ اسلحتهم

لانها جزء من ثيابهم يحملونها قياماً وقعوداً وتبقى معهم وهم نيام . ولا سبيل لجعلهم يتخلون عنها ما دام التجار الانكليز والفرنسويون يأتونهم بها وبالرصاص والبارود . وحملهم لبنادقهم دائماً وهي محشوَّة لا يخلو من الخطر ولو عرضاً . ثم انهم قد اعتادوا صيد السمك بالديناميت وهذا ايضاً لا يخلو من الخطر على الارواح

واقمت برهة وجيزة في ڤيلا ولقيت فيها من حسن الضيافة ما لا انساهُ ثم انتقلت الى مزرعة من مزارع الشاي تبعد عنها ثلاثين ميلاً وشاهدت من المناظر البديعة في طريقي ما يعجز عن وصفهِ قلم الكاتب فاترك وصفهُ لقلم المصور لان تلك الجزائر اجمل جزائر البحر الجنوبي

والمعيشة في مزارع الشاي في حد الشظف فان العمال كلهم من البرابرة اكلة لحوم الناس يؤتى بهم من الجزائر الشمالية ويعطى الواحد منهم جنيهين في السنة وطعامهُ . ومدة استخدامهم ثلاث سنوات ولكنهم قلَّما يقضونها كلها بل يهربون بعد ما يرون مشقة الاستمرار على العمل والغالب انهم يأتون اولاً من تلقاء انفسهم هرباً من ثأر يطالبون بهِ

ويجد اصحاب هذه المزارع من المشقة في استخدام العمال ما يجدهُ غيرهم في سائر البلدان الحارَّة وكثيراً ما يقوم العمال عليهم ويقتلونهم ولذلك تراهم على تمام الحذر دائماً وكثيراً ما يغير الواحد مكان نومهِ كل ليلة لكي لا يهتدي اولئك البرابرة اليهِ فيغتالوهُ فيهِ ويأكلوهُ . ولا يخلو بيت من البنادق وهي محشوة دائماً احتياطاً . ولا يبرأ النزلاء من الاساءة الى الوطنيين لانهُ يصعب على المرء ان يعامل البرابرة اكلة لحوم الناس باللين والرفق

وبنُّ هذه الجزائر جيد جداً وسوقهُ رابحة في انكلترا وكذلك نارجيلها المجفف فانهُ يستعمل في طبخ الصابون . وشجر النارجيل كثير فيها وهو كثير الثمر فتغل الشجرة منهُ مضاعف ما تغلهُ في بلاد اخرى ولكن الاهالي لا يبيعون اشجارهم ولا يؤجرونها

وتاريخ هذه الجزائر غامض جداً فقد رأيت في جزيرة سوباي منها اناساً من سكانها الاصليين يشبهون اليهود في سحنتهم وغيرهم مثل زنوج غربي افريقية وغيرهم كالقرود سحنة وغيرهم لا مثيل لهم بل هم نسيج وحدهُ . وسمعتهم يتكلمون ثلاث لغات مختلفة والذين يتكلمون اللغة الواحدة لا يفهمون غيرها ويقال ان في الجزيرة سبع لغات اخرى واهل كل لغة لا يفهمون غيرها . واكواخهم في حد الحقارة لا تزيد على مظلات من القش قائمة على اعواد من القنا الهندي ولكن هياكلهم كبيرة لها كوى عالية وعندهم طقوس ورموز تشبه ما عند اليهود وهم يحنطون موتاهم مثل المصريين القدماء وكلهم من اكلة لحوم الناس ويعبدون الصقر ويكرمون الخنزير اكراماً يقرب من العبادة ويضعون اجساد امواتهم المحنطة في هياكلهم ولا يبيحون

دخولها لاحد ولا سيما للنساء ولذلك تعذَّر عليَّ دخولها في اول الامر ولكنني وجدت هيكلاً لا يحرسهُ الاَّ بعض النساء العجائز وكنَّ جالسات امامهُ غافلات فغافلتهنَّ ودخلتهُ فرأيت فيهِ كثيرًا من الاجساد المحنطة موضوعة على رفوف مدهونة بالدهان الاحمر والازرق ومن الجماجم ووجوهها مغطاة باغطية منه وجة ومدهونة بدهان احمر ومن الرماح والمطارق معلقة فوق جدرانهِ . ثم خرجت منهُ من غير ان يراني احد وسافرت من الجزيرة ذلك اليوم. ثم بلغني ان الاهالي دروا بانتهاكي حرمة هيكلهم فاغتاظوا جدًّا ...

ومما شاهدتهُ في هذه الجزائر ولم يشاهدهُ احد قبلي حصن في قلب احدى الحراج حيث يُقتَل الناس ويؤكلون فان الدليل قال لي اننا اذا قصدناهُ ولا سلاح معنا لم يهتم الاهالي بنا لانهم لا يوجسون شرًّا ممن لا سلاح معهُ ولا سيما اذا كان امرأَة فلما وصلنا اليهِ كان الاهالي قد شرعوا في الرقص وهم كالشياطين يثبون ويطفرون على اشكال مريعة وبنادقهم في ايديهم وفي وسط حلقتهم طبول في شكل الاصنام كان المغنون منهم يقرعونها فتصوت اصواتًا مزعجة تصمُّ الآذان ورئيسهم في شكل صقر يطفر وينقضُّ على فريستهِ وآخر حمل خنزيرًا حيًّا على كتفيهِ وجعل يرقص بهِ

وزرت مرةً اخرى مكانًا أُولمت فيهِ وليمة من ولائمهم البشرية وعدت منها بعظم فخذ لخفظتهُ تذكارًا. وصعدت الى قمة البركان الثائر الذي رآهُ الربان كوك حينما زار هذه الجزائر سنة ١٧٧٤ ولم يزل يقذف النيران من جوفهِ نهارًا وليلاً من ذلك العهد الى الآن . وغادرت هذه الجزائر وانا على يقين انها اغنى واثمن مما يظن وان الدولتين العظيمتين انكلترا وفرنسا تحسنان صنعًا اذا اتفقتا عليها باسرع ما يمكن . انتهى

وقد اوضحت الكاتبة مقالتها بثماني عشرة صورة فوتوغرافية الاولى صورة النزول الى البر فترى شاطئ البحر وهو مثل بستان ملتف الاشجار والسكان البرابرة واقفين عليهِ عراة والثانية صورة ابنة من بناتهم صاعدة على شجرة من شجر النارجيل كأَنها حلزونة تصعد على ساق سنبلة والثالثة صورة فتاة اخرى ومعها ثمرة من شجر الخبز والرابعة صورة اصنامهم وهي من اقبح ما صنعهُ البشر منظرًا والخامسة صورة رقصهم بالبنادق وهلمَّ جرًّا . ويظهر من صورهم انهم ممتلئو الابدان مجدولو العضل لا يلبسون الاَّ تبانًا ومنطقة الخرطوش اذا لم يكونوا في خدمة الاوربيين واما الذين في خدمة الاوربيين فيلبسون ثيابًا تكسوهم ولا ندري أَلسعدهم ام لنحسهم دخل الاوربيون بلادهم واقاموا فيها



حاجة من حاجات المدرسة الكلية السورية الانجيلية

في سنة ثلاث وسبعين كانت ابنية المدرسة الكلية ثلاثة — البناء العلمي والبناء الطبي والمرصد الفلكي — اما اليوم فيبلغ عدد الابنية ثلاثة عشر وبعض هذه الابنية المستجدة يكاد يكون اتساعهُ مضاعف اتساع البناء العلمي القديم · وفيها عدا هذه الابنية ساحات كبيرة للعب وللتمشي وساحات "للجمنازيوم" "والتنس" حتى يخيل لمن يزورها من ابنائها الذين تركوها قبل سنة تسعين انها بلغت غاية لا تحتاج الى مزيد بعدها · والحقيقة ان الحاجة تستجد مع الزمان وحاجة الكلية اليوم غير حاجتها منذ عشر سنوات كما ان حاجتها منذ عشر سنوات كانت غير حاجتها منذ عشرين سنة وهلمَّ جرًّا

ربما يقال وما هي حاجة المدرسة الكلية اليوم فنقول ان حاجتها اليوم انما هي وجود بناء خصوصي لراحة التلامذة والطلبة · يحتوي على قاعات فسيحة لكل دائرة من دوائرها وفيهِ عدا عن ذلك منتدى كبير لجمعيات المدرسة العلمية والادبية والدينية وغرف خاصة لاجتماعات لجانها المتعددة وغرف يكتب فيها التلامذة للاهل والاصدقاء وبالجملة بناء فيهِ كل ما يلزم لراحة التلامذة—الراحة التي تكسبهم النشاط العقلي والادبي وتربي فيهم روح الترتيب والاستقلال مع روح التعاون والائتلاف

فان قيل ولماذا لا تبني المدرسة مثل هذا البناء لتلامذتها قلنا ان المدرسة ترى الحاجة امس الى غير هذا البناء الآن · وهناك كثير من الحاجات التي لا يمكن لها ان تصرف نظرها عنها اذا تابعت الخطة الراقية التي هي سائرة عليها وذلك يستغرق كل ما عندها من المال الى سنين طويلة — ومن تلك الحاجات ابنية لسكن تلامذة الطب والصيدلة وابنية مستشفيات متعددة فضلاً عن زيادة دوائر غير دوائرها الحاضرة كدائرة للهندسة ودائرة للزراعة واخرى للشريعة والنظامات واخرى للآثار واللغات الشرقية القديمة وكل هذه تحتاج الى المال الكثير فان نحن صبرنا على المدرسة الى ان تفرغ عمدتها ودائرة امنائها من الاعداد لكل هذه الحاجات مرَّت بنا عشرات السنين وحاجة التلامذة التي اشرنا اليها مطروحة الى جانب

لما رأى ذلك معلمو المدرسة الذين يشاركون التلامذة في السكن والمنامة والاكل والتنزه والالعاب خطر لهم ان يسعوا بانفسهم وبواسطة رصفائهم السابقين واصحابهم ومعارفهم الى جمع مال مخصوص يكفي لاقامة البناء الذي اشرنا اليهِ . اما المعلمون من الاميركان فاصدروا الى اخوانهم ومعارفهم في الولايات المتحدة كتاباً طويلاً بسطوا لهم فيهِ حاجة المدرسة هذه بكل اسهاب وافاضوا في بيان المنافع التي تنشأ من اقامة مثل هذا البناء وذكَّروا الذين درَّسوا قبلهم من اخوانهم بحالة التلميذ في الكلية وكيفية صرف اوقات فراغهِ ولا سيما في ايام الشتاء والبرد عند ما لا يجد التلميذ الداخلي مقرًّا لهُ او ملجأً سوى قاعة النوم الكبيرة الباردة فيجلس على سريرهِ او صندوقهِ بعيداً عن الراحة التي يحصل عليها فيما لو كان في بيتهِ . فاذا شاء ان يكتب كتاباً لاهلهِ جلس على صندوقهِ يكتب وهو محدودب الظهر ودواتهُ معرَّضةٌ ان تنقلب على فراشهِ او ثيابهِ . واذا لم يكتب او يطالع قام لحركة ما محظورة عليهِ في غرف النوم فيأتيهِ الناظر باوامر السكينة والهدوّ — وهكذا صوَّروا حالة تلميذ الكلية في ايام الشتاء وفي اوقات الفراغ وبعد ظهر الاربعاء والسبت وايام الآحاد وفي العطل الصغيرة التي تعطى في مدار السنة المدرسية ثم قابلوها على حالة تلميذ كليات اميركا ومعدَّات الراحة التي يتحصل هذا عليها في الابنية المفرزة لتلك الغاية واستنهضوا هممهم للمعاضدة والسخاء لاقامة بناء في المدرسة الكلية لتلامذتها المتعدّدي المذاهب والاجناس ليجمع بينهم ويزيد في راحتهم ويشعرهم بالهدوء البيتي الذي يشتهيهِ كل تلميذ احياناً — بناء لا يكون كتلك الابنية من حيث الاتساع وجمال الهندسة فيستغرق تشييدهُ عشرات الالوف من الجنيهات بل يكفي ان يكون بين بينَ فيتألف من بناية وسطى لها جناحان الواحد لتلامذة الدائرة العلمية والدائرة التجارية والآخر للدائرة الاستعدادية (اما تلامذة الطب والصيدلة فستقام لهم قاعات كهذه في البناء الجديد الذي تقرر انشاؤهُ في السنة القادمة) وسيكون في كل جناح قاعة كبيرة معدَّة باثاث متين — بمائدة كبيرة في الوسط للجرائد والمجلاَّت وبكراسي مريحة وموقد للنار ولها غرف صغيرة على جانب معدَّة ايضاً بموائد وادوات لمن يريدون الانفراد للكتابة والمطالعة . ثم يكون في الطابق العلوي منتدى كبير للجمعيات العلمية والادبية لاجتماعاتها ولاحتفالاتها مع غرف لانعقاد جلسات اللجان في هذه الجمعيات العديدة • وقدروا نفقات هذا البناء بثلاثين الف ريال يشترك في جمعها معلمو المدرسة ومتخرجوها واصحابهم ومعارفهم وكنائسهم وجمعياتهم الخيرية وكل من يمكن ان يفتح يدهُ في تحقيق هذا المشروع النبيل . وقد جمعوا ابتداء بضعمئة من الجنيهات والهمم منصرفة لجمع الباقي من النفقات فلا تمر سنتان او ثلاث حتى تستكمل

معدات هذا البناء ويتم تشييدهُ بمساعي الذين علَّموا في المدرسة والمعلمين الحاليين واخوانهم ومعارفهم ثم يقدم للتلامذة اثرًا باقيًا يكون واسطة لزيادة راحتهم وائتلافهم ويصبح مجتمعًا للعوامل الفعالة في حياة المدرسة العلمية والادبية والاجتماعية

هذا ملخص ما نشرهُ اخواننا الاميركان اثبتناهُ ببعض التصرف واما نحن المعلمين من ابناء العربية فقد رأينا ان نصدر اولاً هذه المقالة على صفحات شيخ المجلات ونبراسها الزاهر ونوجهها الى قرائهِ اخواننا من المعلمين وتلامذة الكلية اجمعين من سنة ٦٧ الى هذا الحين ونعرض لديهم هذه الحاجة ليتبصروا فيها ويمدونا بآرائهم واياديهم ثم نشفعها بكتاب مطبوع ننفذهُ الى كلٍّ منهم ونتابعهم باخبار المشروع وارتقائهِ حتى يستكمل ويروا اياديهم في استكمالهِ

فيا ايها الاخوان الاعزاء اساتذتنا ورصفاءنا ورفاقنا ومتخرجي مدرستنا ومحبيها ابناء القطر المصري والشامي في مصر والشام والولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل واستراليا وحيثما كانوا من جهات المعمور تبصروا في الامر وتصوروا ما يصنع لراحة اكثر من سبعمئة شاب من نخبة شبان سوريا ومصر وبعضهم من اخواننا او من ابنائنا او ابناء اصحابنا واقاربنا . تفكروا وليوفقكم الله الى كل خير . واما نحن اخوتكم المعلمين الآن في المدرسة فنؤمل ان يجاب نداؤُنا كما يجاب نداء رفاقنا من المعلمين الاميركان ولا نقول اكثر في بلاد اجنبيَّة عنهم ولكنها مسقط رؤُوسنا ورؤُوسكم والسلام

[المقتطف] اتتنا هذه الرسالة من حضرة الاستاذين الفاضلين جبر ضومط وبولس خولي من الاساتذة الوطنيين في المدرسة الكلية وقد كتبا الينا يستنهضان همم قرَّاء المقتطف وابناء المدرسة الكلية اجمعين واصدقائهم في هذا القطر وسائر الاقطار . ونحن نضمُّ صوتنا الى صوتيهم واثقين مثلهم ان هذه الدار التي يراد انشاؤُها تفيد التلامذة فائدة كبيرة . ولم نكن نظن ان المباني الكثيرة التي بنيت في المدرسة الكلية خالية من غرف يستريح فيها التلامذة ويكتبون لاهاليهم بل هم يجلسون في غرف النوم ويكتبون على الفراش وهذا لم يكن في عهدنا لا وقتما كنا ندرس ولا وقتما كنا ندرّس بل كان التلامذة يكتبون مكاتيبهم في الغرف التي يطالعون فيها دروسهم وقلما كانوا يهتمون بالراحة بل كان وقتهم يقضى في الدرس والرياضة والاكل والنوم وكانت الجمعيات تلتئم في غرفة كبيرة في البناء القديم ولكن كان عدد التلامذة قليلاً فتسعهم اما الآن وقد بلغ عددهم المآت فلا بدَّ من غرف كبيرة جدًّا لكي تسعهم . وسننشر في المقطم ما يقرُّ عليهِ قرار الذين نذاكرهم في هذا الموضوع ونعود الى البحث فيهِ في الجزء التالي

قراءة الافكار

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اراكم تنفون وجود الارواح وقراءة الافكار وتحاولون تعليل ما يرى من هذا القبيل باسباب طبيعية فاليكم اموراً رأيتها بعيني في تياترو الازبكية ورآها كثيرون معي . وذلك انهُ كان في التياترو امرأة تقرأ الافكار وتكتشف الخبايا ومعها زوجها وهو يرى ما يراد قراءتهُ فتقرأهُ وهي مغمضة العينين . فتحنا كتاباً واريناهُ فقرة منهُ وكانت هي واقفة على دكة التياترو فاشار اليها بيده فنزلت وقالت افتحوا الصفحة الفلانية ففتحناها لها واخذت تقرأ الفقرة المطلوبة وهي مغمضة العينين لا ترى شيئاً

وامسك احد الحضور بطاقة الزيارة (كارت فيزيت) التي فيها اسمهُ واراها للرجل والاسم عربي غريب ولكنهُ مكتوب بحروف افرنجية فنظر الرجل اليها فتلفظت هي بهِ كأنها رأتهُ بعينيها. واخرج آخر ورقة من جيبهِ عليها ارقام هندية افرنجيَّة واراها للرجل ثم لفها ورماها في كيس كان مع احدى السيدات الحاضرات فيهِ خناجر صغيرة وادوات زينة مما يحملهُ بعض النساء . واشار الرجل الى المرأة التي تقرأ الافكار فحضرت واخذت تفتش في الكيس واستخرجت الورقة منهُ وقرأت الارقام التي فيها قبل ان تفتحها . فكيف حصل ذلك كلهُ اذا كانت هذه المرأة لا تقرأ افكار زوجها

مصر احد المشتركين

[المقتطف] لقد رأينا نحن شيئاً من ذلك وفسَّرناهُ تفسيراً معقولاً مقبولاً وهو ان الرجل بارع في التكلم من بطنهِ فان بعض الناس يتكلمون من غير ان يحركوا افواههم وشفاههم ويوهمونك ان المتكلم غيرهم ويكيفون صوتهم على اساليب مختلفة فتظن ان الصوت آتٍ من السقف او من الحائط او من شخص آخر غير الشخص المتكلم . فلما وقفت المرأة امام الكتاب وقالت افتحوا الصفحة المئتين والعشرين مثلاً كان هو المتكلم لا هي ولكن ظهر الكلام آتياً منها ولما فتح الكتاب وجعلت تنظر فيهِ وتقرأ كان القارئ هو لا هي . وكذلك هو قرأ الاسم الذي في بطاقة الزيارة وظهر كأن القارئ لها امرأتهُ . اما اهتداؤها الى الورقة في الكيس فنظن ان سببهُ تواطؤ بينها وبين المرأة صاحبة الكيس فتعلم ما في كيسها من المواد وتعلم ان الشيء الذي يطلب منها معرفتهُ سيوضع في ذلك الكيس . ثم ان زوجها قرأ ما في الورقة لا هي ولكن ظهر الصوت كأنهُ صادر منها على ما تقدَّم

ويحتمل ان لا يكون تعليلنا هو التعليل الصحيح ولكن لا يحتمل ان توجد امرأة

تستطيع قراءة افكار غيرها ومعرفة الغيب ولا تستخدم قوتها هذه في ما يكسبها اموالاً طائلة ويكفيها مؤُونة الوقوف في المشاهد العمومية والتعرض للنوم المغنطيسي الذي تدعيهِ وهو يضعف الجسم والعقل . وان وجد واحد في الدنيا يستطيع ان يقرأ افكار غيرهِ ويكشف الغيب لم يتعذر عليهِ ان يكتشف افكار الماليين والمضاربين الكبار ويكتسب منهم او بواسطتهم الوفاً من الجنيهات كل يوم او يعرف الورق الذي في يد لاعبي القمار ويكتسب كل اموالهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البارونة بُردت كوتس

هي اكبر المحسنات توفيت في الثلاثين من دسمبر الماضي عن ٩٢ سنة . وهي ابنة السر فرنسيس بردت وامها ابنة توما كوتس منشيء بنك كوتس المشهور . كان لهُ ثلاث بنات موصوفات بجمالهنَّ الكبرى واسمها سوسان اقترنت بارل غلفرد والوسطى واسمها فرنسس اقترنت بمركيز بط والصغرى واسمها صوفيا اقترنت بالسر فرنسيس بردت وهي ام البارونة بردت كوتس صاحبة الترجمة . وتوفيت زوجة توما كوتس فاقترن بزوجة أُخرى ومات عنها سنة ١٨٢١ من غير ان يرزق منها ولداً وخلَّف لها ثروتهُ الطائلة كلها وتوفيت هي سنة ١٨٣٧ وتركت هذه الثروة الى ابنة ابنتهِ صاحبة الترجمة وكان عمرها حينئذٍ ٢٣ سنة فاضافت اسم جدها ابي امها الى اسم ابيها وسميت من ذلك الحين مس بردت كوتس . وتقدَّر الثروة التي انتقلت اليها حينئذٍ بمليون جنيه . ومليون جنيه حينئذٍ بمثابة ملايين كثيرة في هذا العصر ولعلها كانت اغنى بنات عصرها ولذلك اتجهت اليها الانظار من كل صوب وجعلت مكاتيب الخطَّاب تنهال عليها بالالوف لكنها بقيت عزباء واشتغلت بتوزيع الصدقات وعمل المبرات على اسلوب يكون منهُ النفع الاعظم والضرر الاقل . فبنت ملجأً للبنات اللواتي اكرهن على البغاء فجمعتهنَّ اليهِ واصلحت شؤُونهنَّ وارسلتهنَّ الى المستعمرات حيث تزوَّجن او عملن اعمالاً محللة شريفة

عشن منها . ولما كسدت سوق عمل الحرير جمعت النساء العاملات بهِ وانشأَت لهنَّ مدارس خياطة تعلمنَ فيها وصرن قادرات على تحصيل معيشتهنَّ . وانشأَت مدارس صناعية ومكاتب عمومية وسبلاً يشرب منها المارَّة

ولما نشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية سنة ١٨٧٧ ارسلت الاموال الطائلة لتنفق على جرحى الاتراك والفقراء المهاجرين منهم فانفق ثلاثون الف جنيه في هذا السبيل وانفقت خمسين الف جنيه على انشاء اسقفية كولمبيا

قلنا انها ورثت مليون جنيه منذ اكثر من سبعين سنة والظاهر انها تركت عند وفاتها اقل من ذلك فكانت تتصدَّق بكل ما يزيد من ريع اموالها عن نفقاتها الخصوصية . ولم نطلع على تقدير الاموال التي تصدَّقت بها في حياتها ولكننا لانظن انها تقلُّ عن خمسين الف جنيه كل سنة فلو جُمعت مدة السبعين سنة من حين تُرك المال لها الى حين وفاتها واضيف اليها ربى بمعدل اربعة في المئة فقط لبلغت نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات

ومن اغرب ما جرى لهذه السيدة انها عاشت كأَن لا غرض لها من الدنيا الاَّ توزيع الاموال التي ورثتها على اسلوب يكون منهُ النفع الاعظم للمحتاجين الى المساعدة ولم تقتصر على مساعدة الناس وتخفيف متاعبهم بل ساعدت الحيوانات وكان لها اليد الطولى في انشاء الجمعيات لمنع معاملة الحيوانات بالقسوة كما انشأَت جمعية لمنع معاملة الاولاد بالقسوة وانفقت اموالاً طائلة في هذا السبيل واستمرَّت عزباء الى ان صار عمرها ٦٧ سنة وحينئذٍ اقترنت بالمستروليم اشمد بارتلت سكرتيرها الخاص وكان عمرهُ اذ ذاك ثلاثين سنة فقط فتسمَّى باسمها

وكانت من اعز صديقات الملكة فكتوريا وقد منحتها الملكة لقب بارونة سنة ١٨٧١ . ومنحتها مدينة لندن حريتها وهو امتياز لم تنلهُ سيدة قبلها كما انها السيدة الوحيدة التي نالت لقب شرف باستحقاقها الخاص . وكتَّاب سيرتها مجمعون على انها كانت مثالاً في الهمَّة وبذل الوسع في مساعدة ابناء نوعها وانها ماتت بشيبةٍ صالحة وقد شبعت اياماً وغنىً وكرامةً وخدمت جيلها بمشورة الله

دفتر الحساب

دفتر الحساب من الزم اللوازم لربة البيت وعليها ان تهتم بهِ اهتمامها بملابسها وادوات زينتها وان تشتري دفترًا جديدًا لكل سنة وتقابل الاسعار بعضها ببعض من يوم الى يوم ومن شهر الى آخر لئلا يخدعها الطباخ او الخادم الذي يشتري الاطعمة . ويجب عليها ان لا تكتفي بكتابة اثمان الاطعمة بل يجب ان تكتب ايضاً كل ما تصرفهُ يومياً وكل ما تأخذهُ من زوجها

ادارة البيت

من حين يقترن الرجل بزوجتهِ تترتب عليهما واجبات كثيرة لا بدَّ من القيام بها والاَّ ساءت حال البيت والامة لان الامة مؤلفة من بيوت فاذا عاش اهالي البيوت بالمحبة والوئام حسنت حال الامة كلها والاَّ فلا

ما دام الزوج والزوجة خطيبين فقلما يخطر ببالهما امر المعيشة من حيث المأكل والملبس والمأوى ولكن لا بدَّ من الاهتمام بذلك كلهِ بعد الزواج. والانسان نفس وجسد فلا تقتصر معيشتهُ على المأكل والمشرب والمأوى والملبس بل لابدَّ لها من امور ادبيَّة تنعش النفس والاَّ صارت الحياة بهيميَّة. فاذا ثقلت واجبات المعيشة على الزوجين خيف ان ينسيا المحبة الادبيَّة التي تنعش النفس وهما يسعيان وراء المعيشة المادية اللازمة للحياة الجسديَّة ولذلك يترتب عليهما ان يحذرا من الوقوع في هذه الورطة التي تزيل كل ما في الحياة من السعادة الادبيَّة وان يبذلا جهدهما دائمًا لانعاش قواهما النفسية . والمرأة التي لا يهتمُّ زوجها بها ولا يسعى الاَّ الى جلب الطعام والكساء لاتفرق عن المطلَّقة . والرجل الذي لا تبالي زوجتهُ الاَّ بتدبير طعامهِ وكسائهِ لا يفرق عن الرجل الذي هجرتهُ زوجتهُ او عن رجل قائم في فندق . وقد لا يكون ذلك مقصودًا لا من الزوج ولا من الزوجة بل يكون مجرَّد اهمال لغير سبب فيزول بتليل من الانتباه والاَّ فاذا تمادى الزوجان فيهِ ساءت العاقبة واظلم نهار الحياة . قالت الدكتورة فلورنس درسلر وافادت " ان شمس المحبة يجب ان تشرق في البيت دائمًا حتى تهجرهُ خفافيش الاختلاف ولا يقيم فيهِ بوم الخراب "

وادارة البيت صعبة لا يسهلها الاَّ ما تجدهُ الزوجة في نفسها من المحبة لزوجها واولادها. وتزيد صعوبتها لانها دائمة مستمرَّة تتجدَّد كل يوم مدى العمر لكن المحبة تخفف هذه الصعوبة او تزيلها . والاهتمام بتدبير النفقة اللازمة لا يقلُّ صعوبة عن ادارة البيت وهو دائم متصل ايضًا لكن المحبة تزيل مشقتهُ ولا سيما اذا شاركت الزوجة زوجها في الاهتمام بشؤُونهِ والتقتير على نفسها لكي يبقى في سعة او لكي لا يضطر ان يجهد نفسهُ فوق طاقتهِ . وكم من زوجة تبيت بلا اكلٍ لكي لا تستدين دينًا يعجز زوجها عن ايفائهِ . وعلى الزوج ان يطلع زوجتهُ على اشغالهِ كلها ويأتمنها على اموالهِ وما يوفرهُ من نفقات البيت لانها احرص منهُ . واما اذا احتقر رأيها ولم يطلعها على اشغالهِ ادَّعاءً منهُ انها لا تفهم ذلك صغرت في عيني نفسها وتألمت في باطنها وقد لا تفهم طرق اشغالهِ ولكنها تصير تفهمها بعد ان يطلعها عليها وتكون اكبر مساعد لهُ فيها . والغالب ان يكون رأيها اصح من رأيهِ لانها تدرك بفراستها ما لا يدركهُ هو

بعقلهِ · واذا اعتمد عليها زادت مهارة حتى تصير اكبر معين لهُ في تدبير اشغالهِ · وهي المعين الوحيد المخلص لهُ الذي لا يطلب منهُ اجرًا ولا شكرًا

فاذا جرى الزوجان على ما يجب في ادارة بيتهما زادت راحتهما ورفاهتهما جسدًا وعقلاً والاَّ صار بيتهما فندقًا للاكل والشرب والنوم لا غير

وادارة البيت عمل شاق كما تقدم يقتضي الماماً بكثير من العلوم والفنون ولكن لا يراد بحسن ادارة البيت ان تعمل الزوجة كل اعمالهِ بيدها الاَّ اذا كان صغيرًا جدًّا اي اذا كانت احوال زوجها المالية لا تسمح لهُ ليسكن بيتًا كبيرًا · فان الزوج والزوجة يستطيعان ان يعيشا في غرفة واحدة وحينئذٍ تكون واجبات البيت قليلة جدًّا وتستطيع الزوجة ان تقوم بها كلها وان تساعد زوجها في اعمالهِ ايضًا كما يفعل اكثر الفلاحين ولكن اذا كانت احوال الزوج المالية ومركزهُ الاجتماعي تسمح لهُ وتوجب عليهِ ان يسكن بيتًا كبيرًا ويزور ويزار صارت واجبات البيت كثيرة متنوعة فتعجز الزوجة عن القيام بها كلها وتضطر ان تستخدم خادمًا او اثنين او اكثر · واذا حتم عليها زوجها لبخلهِ او لقصر نظرهِ في العواقب ان لا تستخدم احدًا بل تقوم بكل اعمال بيتها بنفسها فتطبخ وتغسل وتكوي وتنظف البيت وهلمَّ جرًّا فالغالب انها تفعل حسب ارادتهِ ولكن تنحط قواها حالاً وتسوء صحتها ويضطر ان يعطي الطبيب اكثر مما كان يضطر ان يعطي الخادم واستحال البيت من فردوس نعيم الى هوَّة شقاء وهمٍّ مقيم · وكم من فتاة خطبها شاب وقضيا زمن الخطبة في حديقة الحب تحفُّ بهما ازهارهُ ورياحينهُ وهي تحسب ان حياتها كلها تكون بهجة وسرورًا ثم لما تزوَّجت وجدت زوجها طاغية لا يشفق ولا يرحم فانتفت البهجة من حياتها وحملت همها في قلبها فنحل جسمها واعتلَّ وبدت عليها علامات الشيخوخة قبل ان تبلغ سن الكهولة · وكم من بيت لطنهُ مرتعًا للسعادة وفردوسًا للنعيم وهو سجن مؤبد لساكنيهِ والسبب في ذلك جور الزوج واهمالهُ لما يجب عليهِ نحو زوجتهِ واولادهِ ·

والبيت للمرأة وهي التي تديرهُ ولكن ان كان زوجها لا يساعدها في ذلك بل يقوم حائلاً في وجهها ويطلب منها اكثر مما تستطيعهُ عجزت عن ادارتهِ وساءت حالهُ وحالها · ولا يكون البيت بيتًا ما لم يكن فيهِ غذاء كافٍ وشراب منعش للجسد والنفس معًا · وامرهُ موكول للمرأة وهي تدير حركتهُ بحكمتها وصبرها لانها تفعل ما يطلب منها بهمة وسرور اذا رأت زوجها يعرف قيمة تعبها ويساعدها ولو بنظرة استحسان وكلمة طيبة لان اعمالها تقتضي شجاعة ادبية شديدة والمرأة قليلة الشجاعة بالطبع ولكن نظرة تشجيع من زوجها تبث في نفسها الشجاعة المطلوبة ·

وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي

باب الزراعة

المعرض الزراعي الصناعي

لقد كان هذا المعرض في السنوات الماضية زراعيًّا محضًا يمثل زراعة القطر ولا يتعرَّض لما فيهِ من الصناعة الاَّ قليلاً في عرض مصنوعات السجون ومعمل الخزف والمصنوعات المرتبطة بالزراعة كالسكر والجبن والزبدة وما اشبه اما هذا العام فعرضت فيهِ كل صنائع القطر كما عرضت فيهِ كل حاصلاتهِ الزراعية

والقسم الزراعي منهُ تام كما كان في الاعوام السالفة او اتم فالقطن والذرة والقمح والفول والشعير والارز والبرسيم وقصب السكر والعدس والحمص والدخن والنيل والكتان والسمار والخضر على اشكالها وانواعها كل ذلك معروض من جهات مختلفة من القطر وعلى درجات مختلفة من الجودة وكذلك مواشي القطر الاهلية والمولدة فيهِ من البقر والجواميس والخيل والبغال والحمير والغنم

وعرضت البيوت التجارية التي تتاجر بالآلات الزراعية مالا يحصى من الآلات والادوات كآلات الري على انواعها وآلات النقل وآلات الحرث وآلات الحلج وآلات الدراسة وآلات التقصيب وما اشبه مما يطول شرحهُ وسيأْتي ذكرهُ

وهذه المعروضات كلها من قبيل ما كان يعرض في السنوات الماضية وان زادت عليهِ في مقاديرها وتنوعاتها وهي تشغل بناء المعرض والجانب الشمالي منهُ الذي كانت تشغلهُ في الاعوام الماضية اما الجانب الجنوبي الذي لم يكن يعرض فيهِ شيءٌ بل كانت تجرب فيهِ المحاريث البخارية فقد ملئَ هذا العام بخيم الصناع الذين يمثلون صنائع القطر المصري كلها كالنساجين والخراطين والنجارين والنحاسين والمطرزين والخياميين والمجلدين والنقاشين وعمال البسط فترى بينهم حاكة المحلة الكبرى ينسجون المنسوجات القطنيَّة والحريريَّة والممتزجة وكذلك حاكة اسيوط والبدويات اللواتي يصنعن البسط الملوَّنة والنقاشين الذين ينقشون النحاس بالدق والذين ينقشونهُ بضغط الآلات ونحو ذلك مما سيأْتي بيانهُ . وقد عرضت مدارس الصناعة مصنوعاتها ومن ذلك آلة بخاريَّة صنعت كلها في مدرسة الصنائع والفنون ببولاق

فالمعرض الزراعي والحالة هذه صار ممثلاً لزراعة القطر ولصناعته ايضاً ولو كان اكثر خيم الصناع حقيراً بالنسبة الى خيم تجار الآلات والادوات الزراعية لانهُ لا ينتظر من الحائك الفقير ان يناظر التاجر الغني ومع ذلك فبعض ارباب المعامل الصناعية نصبوا خياماً وفرشوها احسن فرش لاستقبال المشاهدين

ولما ازفت الساعة الثانية من اليوم الثامن والعشرين من شهر فبراير اقبل الجناب العالي بموكبهِ الحافل لفتح المعرض فاستقبلهُ سعادة اللواء حسين باشا محرم الياور الخديوي الاول وسعادة علي باشا شاهين التشريفاتي الخديوي الثاني وكان في انتظارهِ حضرات الامراء والنظار والمستشارين واعضاء لجنة الجمعية الزراعية وارباب الصحف لخيامٍ مصافحة وصدحت الموسيقى الانكليزية بالسلام الخديوي ثم دخل قاعة المعرض الكبرى حيث كان ينتظرهُ جناب اللورد كرومر والكونتيسه قرينتهُ فسلم عليهما ومشى وعن يمينهِ اللادي كرومر وعن يسارهِ دولة البرنس حسين باشا كامل متعهداً المعروضات فبقي اكثر من ساعة يجول في جهات المعرض ويشاهد ما فيهِ ويثني على اصحاب المعروضات التي يراها تفوق غيرها ولما اتمّ التجوال في المعرض كلهِ ورأى كل المعروضات استقلَّ مركبتهُ وعاد فودّع بمثل ما قوبل بهِ من الاجلال والاكرام وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوي ثم فتحت الابواب لاعضاء الجمعية الزراعية وغيرهم من الذين قصدوا مشاهدة المعرض رجالاً ونساءً وهم خلق كثير . وغادرنا المعرض نحو الساعة الرابعة وكانت المركبات ترد اليهِ في رتل متصل من بابهِ الى ما بعد قصر النيل وقد بلغ عدد التذاكر التي بيعت في ذلك اليوم نحو اربعة آلاف تذكرة عدا عن نحو مثلها مما وزع على اعضاء الجمعية الزراعية

ولا يستطيع زائر المعرض في هذا العام احصاء ما عرض فيهِ وايفاءهُ حقهُ من الوصف ولكن يسعهُ الحكم لاول وهلة بارتقاء الزراعة والصناعة في هذا القطر في السنوات الاربع الاخيرة ارتقاء عظيماً ولا سيما مما عرضتهُ الجمعية الزراعية الخديوية لجمهور المشاهدين من نتائج تحليلها للاسمدة ودرسها لامراض النباتات واطوار نمو الحشرات التي تتسلط على النبات فتتلفهُ وعلى الاغصان فتذويها وعلى الثمر فتأكلهُ وارت للجمهور ما اسفرت عنهُ ابحاثها لاهلاك دودة القطن . ويلي هذه المعروضات في الاهمية ما عرضهُ تلامذة مدرسة الصنائع في بولاق من الآلات الزراعية التي صنعوها وما حاكهُ المسجونون في سجون العاصمة وسوهاج وقنا واسيوط وغيرها حتى قال بعضهم ان السجادات المعروضة تحاكي السجادات العجمية بجمال الوانها ومتانتها

ويرى الزائر جمهورًا مزدحمًا في السرادق الذي نصبتهُ شركة اورنستين وكوبل حول مائدة حولها خطوط حديدية ومركبات صغيرة تمثل ما انشأَتهُ هذه الشركة من السكك الزراعية في هذا القطر . ولقد عرضت كثيرًا من الآلات الزراعية والعربات النقالة والثابتة والكهربائية والهوائية وعربات مسطحة وركوب وغير ذلك ومحاريث بخارية تختلف في كبرها باختلاف قوتها وكانت تدير محراثين قوة كل منهما ستة عشر حصانًا

ومما استوقف الانظار طنبور رافع للمياه يروي فدان قطن في ساعة وتديرهُ بهيمة واحدة وقد ابلغهُ الى هذه الدرجة من التحسين المسيو بني جيرونيمدس وعرض ايضًا آلة اخترعها لنحت الاحجار على اشكال مختلفة

وعرض محل الخواجات ستينمان وعزيز جرجس مباردي وشركائهم آلات كثيرة لدرس المحاصيل وتذرية الحبوب . وعرض محل الخواجا قلاده انطون محاريث كثيرة مختلفة الانواع وآلة لرفع الماء من اكبر الآلات التي عرضت في معرض هذا العام

ومما استوقف نظرنا بين الآلات الزراعية آلة بسيطة لحلج القطن تنزع البزر منهُ من غير ان تقطع شعر القطن او تكسر بزرهُ . وآلة للتقصيب عرضها محل مكلرن يجرها وابوران فتجرف التراب في طريقها وتلقيهِ حيثما يريد رجل راكب عليها فتمتاز عن القصابية البخارية العادية في انها لا تجرف التراب الى آخر مداها بل تجرفهُ من حيثما يريد الرجل الراكب عليها وتلقيهِ حيثما يريد ايضًا . وقد بلغنا ان الذين استعملوا هذه القصابية البخارية سروا بها لانهم وجدوها وافية بالمراد

اما المصنوعات الوطنية فمن اتقنها ما عرضهُ السيد محمد عبد السلام الحمصاني التاجر بالغورية من قماش الملابس والاثاث فقد كان الزائرون ولاسيما الاجانب منهم يمعنون النظر في الانوال المنصوبة والعمال يعملون عليها . وما عرضهُ السيد محمد الطاوي المنجد في شارع عبد العزيز من الاثاث الجميل الصنع المختلف الاشكال . وعرض محمد البرديسي شيخ حصرية منوف حصرًا تستوقف النظر برسومها البديعة ونقوشها الكثيرة . وعرض محمد افندي فهمي الحصري حصرًا غاية في الدقة والجمال لا يسع الزائر الاَّ الوقوف طويلاً للتفرس فيها

اما ملجأ العميان في الزيتون فالذي يرى اشغالهُ من كراسي قش وسلال وغيرها لا يصدق ان الذين فيهِ فاقدو البصر

وعرض محل جريس وجبران نعسان وشركائهم امتعة خشبية "موبيليات" ونحاسية حفرت عليها رسوم بديعة ورصعت بالاصداف وغيرها . وعرض السيد محمد علي الحسيني اصنافًا

عديدة من الاواني النحاسية كحلل الطبخ والطشوت والطاسات والاباريق وغيرها من حاجيات المنازل . وكثير من هذه المعروضات مصنوع في محلهِ بآلة اخترعها حديثًا ومزيتها انها تصنع الاواني نظيفة ملساء متقنة وتوفر وقتًا طويلاً فان الآلة الواحدة تعمل عمل مئة عامل او اكثر وهي تصنع في كل دقيقة ثلاث اوانٍ . وعرض ايضًا القوالب التي تصنع فيها هذه الاواني ولم يبخل على الجمهور بافهامهم كل ما يريدون الاستعلام عنهُ

وعرض بعض الوطنيين حلي نفيسة وجواهر ثمينة صاغوها على اشكال متعددة ومن ذلك ما عرضهُ طه افندي شكري السرجاني من الحلى الذهبية والفضية التي استوقفت الانظار لدقة صنعها . وعرض الخواجه يوسف معماري اواني واساور واطقمة شاي بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وكلها دقيقة الصنع حتى ان الناظر اليها يرى اشجارًا واغصانًا

وفي معروضات ورشة الصنائع مائدة مدورة صنعها تلميذ عمرهُ عشر سنوات

البلدان الزراعية

٨ بريطانيا

تبلغ مساحة انكلترا وسكتلندا وارلندا معًا وجزائرها نحو ٧٧ مليون فدان يخرج منها ١٣ مليونًا ونصف مليون فدان اراضٍ غير صالحة للزراعة وثلاثة ملايين فدان حراج وغابات و٢٣ مليون فدان ونصف مليون مراعٍ للمواشي وما بقي وهو ٣٧ مليون فدان اراضٍ تزرع حبوبًا وغيرها من المزروعات وعلفًا للمواشي . وقد كانت اراضي انكلترا وسكتلندا مقسومة في زراعتها سنة ١٩٠٥ كما في هذا الجدول

الحبوب	٧٠٥٤٢٣٢ فدانًا
الخضر	٣٠٧٧٠٤٢ "
الكتان	٠٠٠٠٤٤١ "
حشيشة الدينار	٠٠٤٨٩٦٧ "
اثمار صغيرة	٠٠٧٨٨٢٥ "
نفل واعشاب اخرى	٤٤٧٧٥١٨ "
مراعٍ دائمة	١٧٢٠٠٤٩٤ "
اراضٍ محوَّلة	٠٣٤٩٣١٣ "
والجملة	٣٢٢٨٦٨٣٢ "

وكانت مواشيهما كما في هذا الجدول

عدد الخيل	٠١٥٧٢٤٣٣
« البقر	٠٦٠٩٧٠٢٠
« الغنم	٢٥٢٥٧١٩٣
« الخنازير	٠٢٤٢٤٩١٩

اما اراضي ارلندا الزراعية فكانت مزروعة سنة ١٩٠٥ هكذا

الحبوب	١٢٧١١٥٠ فدانًا
الخضر	١٠٤٤٣٩٣ «
الكتان	٠٠٤٦١٥٣ «
النفل ونحوهُ من العشب	١٢٥٥٠٩٢ «
مراع دائمة	١١٦٣٧٣٣٠ «
ارض محوَّلة	٨٠٩٠٣ «
والجملة	١٥٢٦٣٠٢١ «

وزراعة النفل في اوربا مثل زراعة البرسيم في القطر المصري وهو من فصيلة البرسيم ويستعمل مثلهُ علفًا للمواشي

وكان في ارلندا من المواشي حينئذٍ ما تراهُ في هذا الجدول

خيل	٥٤١٨٦٨
بقر	٤٦٤٥٢٢٢
غنم	٣٧٤٩٣١٣
خنازير	١١٦٤٣٢٢

ويراد بالحبوب في ما تقدم القمح والشعير والاوت والفول واللوبياء . وبالخضر البطاطس واللفت وما اشبه . وقد كانت مساحة الارض المزروعة من كل نوع من الحبوب والخضر في انكلترا واسكتلندا هكذا

قمح	شعير	اوت	فول	لوبيا
١٧٩٦٨١٠	١٧١٣٦٦٤	٣٠٥١٣٧٦	٢٥٤٠٩٥	١٧٢٦٧٨

بطاطس	لفت
٦٠٨٤٧٣	١٥٨٩٢٨٠

وفي ارلندا

قمح	شعير	اوت	فول	لوبيا
٣٨٠٣٩	١٥٤٤٤٣	١٠٦٦٥٩٢	١٤٧٢	٢٥٣

بطاطس	لفت
٦١٦٦٢٣	٢٨٢٢١٧

وبلغت الحاصلات في انكلترا وسكتلندا وارلندا هكذا

	انكلترا وسكتلندا سنة ١٩٠٥		ارلندا سنة ١٩٠٤	
قمح	٥٨٩٠٣٠٠٠	بشل	١٠٤٠٠٠٠	بشل
شعير	٥٨١١٠٠٠٠	«	٥٢٦٠٠٠٠	«
اوت	١١٦٤٣٧٠٠٠	«	٤٩٣٤٧٠٠٠	«
فول	٠٠٨٢٠٢٠٠٠	«	٧٢٠٠٠	«
لوبياء	٤٤٣٩٠٠٠	«	٥٠٠٠	«
بطاطس	٣٧٦٣٠٠٠	طن	٢٦٤٢٠٠٠	طن
لفت الخ	٢١٨٤١٠٠٠	«	٤٩٩٧٠٠٠	«

ومتوسط محصول الفدان من كل من هذه المحصولات هكذا :—
القمح ٣٢ بشلاً و ٧٨ في المئة في انكلترا وسكتلندا و ٣٣ بشلاً و ٧٢ في المئة في ارلندا
والشعير ٢٤ بشلاً في انكلترا وسكتلندا و ٣٣ بشلاً وربع في ارلندا
والاوت ٣٨ بشلاً في انكلترا و ٤٥ بشلاً و ٧٤ في المئة في ارلندا
والفول ٣٢ بشلاً وربع في انكلترا و ٣٨ بشلاً و ٦٣ في المئة في ارلندا
واللوبياء ٢٥ بشلاً و ٧١ في المئة في انكلترا و ٢٥ بشلاً و ٣١ في المئة في ارلندا

وتستورد بريطانيا العظمى كل سنة من الحبوب والدقيق ما ثمنهُ نحو ٧٠ مليونًا من الجنيهات ومن اللحم ما ثمنهُ نحو ٥٠ مليونًا ومن سائر الاطعمة والاشربة ما ثمنهُ ١١٠ ملايين ومن التبغ ما ثمنهُ نحو اربعة ملايين . ومن القطن ما ثمنهُ نحو ٥٥ مليونًا والصوف ما ثمنهُ ٢٦ مليونًا وسائر مواد النسج ما ثمنهُ ١٤ مليونًا ومن الزيت والصمغ والدهن ما ثمنهُ ٢٤ مليونًا ومن الجلود ما ثمنهُ ٨ ملايين ومن المواد التي يصنع منها الورق ما ثمنهُ نحو اربعة ملايين

ومَن يطّلع على هذه الجداول والارقام يعرف احوال البلدان الزراعيَّة ويقابلها ببلادهِ ويعرف ايضاً ما يمكن ان يروج فيها من حاصلات بلادهِ وهذا هو غرضنا من نشرها

الصادرات الزراعية

من القطر المصري

القطن اهم الصادرات الزراعية من القطر المصري ويتلوهُ بزرة القطن وكسب بزر القطن والبصل والصمغ العربي والارز الخ وقد صدر منها في العام الماضي ما هو مذكور في الجدول التالي مع ثمنهِ

القطن	٦٦٩٦٥٦٩	قنطارًا	قدّر ثمنها		٢٠٥٢٨٠٠٤	جنيهًا
بزرة القطن	٣٦٩٣١٥٦	اردبًا	"	"	٠٢١٨٠٦٤٩	"
كسب بزر القطن	٠٠٧٤٤٥٦	طنًا	"	"	٠٠٢٣٨٣٠١	"
البصل	٠٠٨٠٥٩٨	"		"	٠٠٣١٧٠٦١	"
الجلود			"	"	٠٠١٨٠٣١٥	"
الصمغ العربي	٧٦٨٩٩٤٠	كيلو	"	"	٠٠١٥٧٣٣٠	"
الرز	١٣٨٥١٦٤٤	"	"	"	٠٠١٣١٠٤٩	"
كتان	٢١٤٤٤٨٣	"	"	"	٠٠١٢٠٣١٤	"
بيض	٦٢٤٨٥٠٠٠	مليونًا	"	"	٠٠١٠٦٢٣١	"
سكّر	١٠٥٩٧٣	قنطارًا	"	"	٠٠٠٤٣٢٠٦	"
حنّاء	١٣١٨٤٧٤	كيلو	"	"	٠٠٠٢٦٣٨١	"
قمح	٠٠٢٣٣٥٩	اردب	"	"	٠٠٠٢٣١٧٥	"
طماطم	١٨٨٥٦٣٣	كيلو	"	"	٠٠٠٢٠٦٦٥	"
تمر	٨٣٦٤٦١	"	"	"	٠٠٠١٣١٩٧	"
فول	٠١١٩٧٧	اردب	"	"	٠٠٠١١٤٧٧	"
عدس	٠٠٦٩٢٨	"	"	"	٠٠٠٠٦٧٤٨	"
فول سوداني	٥٣٥٣٦٤	كيلو	"	"	٠٠٠٠٦٠٩٥	"
ذرة	٠٠٣٨٠٦	اردب	"	"	٠٠٠٠٣٠٤٤	"

ويجب ان يضاف الى اثمان هذه الاصناف عشرة في المئة تسقطها مصلحة الجمارك عمدًا والى ثمن القطن نحو عشرة في المئة فوقها

باب التقريظ والانتقاد

منهل الورّاد
في علم الانتقاد

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الفاضل قسطاكي بك الحمصي الحلبي وجعلهُ قسمين مدار القسم الاول منهما تاريخ النقد عند العرب وغيرهم من الامم ومدار القسم الثاني قواعد الانتقاد ويتلوها رتب الشعر والموازنة بين الشعراء

والموضوع مبتكر في العربيَّة كما قال حضرة المؤلف لم نرَ لاحد كتاباً فيهِ وان كنا قد طرقناهُ غير مرة في المقتطف فنشرنا فصلاً طويلاً في الانتقاد في المجلد الثاني عشر منهُ شغل ثماني صفحات وانتقدنا كتباً كثيرة كان جزاؤنا من اصحابها اللوم والتعنيف فعدلنا عن الانتقاد الاَّ في ما ندر

ومنهل الورَّاد جامع لفوائد كثيرة في تاريخ الانتقاد واساليبهِ تشهد لحضرة مؤلفهِ بدقة البحث والاهتمام بجمع ما يفيد في هذا الباب وقد اقتطفنا منهُ بعض الفصل الذي ذكر فيهِ تاريخ الانتقاد عند العرب . قال

"لم يكن النقد من العلوم المعروفة عند العرب في عصر من العصور ومع ان الانتقاد من الغرائز التي عُرفوا بها في كل زمن فلم يحدّدوا لهُ رسماً ولا عرفوا لهُ اسماً ولا اشتقوا من اسمهِ فنَّا غير ما هو معلوم عندهم من نقد الدراهم اي تمييز جيدها من زيفها قال في لسان العرب : النقدُ والتنقاد تمييز الدراهم واخراج الزيف منها .. ونقدَ الشيء ينقدهُ نقداً اذا نقرهُ باصبعهِ كما تنقر الجوزة . . وناقدت فلاناً اذا ناقشتهُ في الامر : ومع ان المعنيين الاخيرين يفيدان جل المفهوم من كلمة الانتقاد لهذا العهد فلم يصل الينا شيءٌ يدلُّ على استعمالهم مغزى هذه اللفظة بمعناها المفهوم منا اليوم الى ما بعد الاسلام بمدة طويلة

"بيد ان ذلك لم يمنعهم من محاولة الاشتغال بهذا الفن جرياً مع ميلهم الطبيعي اليهِ فكان حالهم حال الطفل تدفعهُ الغريزة الى الوقوف اولاً ثم المشي فلا يقف حتى يقعد ولا يمشي الاَّ ليقع ثم ينهض ليعود الى عملهِ من السير على غير هدًى فيسقط في حفرة قد تكون سبب هلاكهِ

لانهُ طلب الشيء قبل اوانهِ ولا ذنب لهُ بذلك فهو كما تقدم القول مدفوع بميل طبيعي الى غايتهِ وهي المشي على قدميهِ

" فهذه معارضاتهم واستدراكاتهم وتعقيباتهم واعتراضاتهم وجدالاتهم ومشاحناتهم وغير ذلك مما فنَّدوهُ وذيَّلوهُ وعلَّقوهُ وحشَّوهُ وزيَّفوهُ وغلَّطوهُ كلها شاهدة بما طُبعوا عليهِ من الميل الى الانتقاد الَّا انهُ لما لم يكن عندهم علمًا مقيدًا بقواعد وشروط ولا فنًّا ذا أُصول وفروع قد ضلوا في سبلهِ وتاهوا في بواديهِ ومالوا مع الاهوآء فزاغوا عن سوآء القصد وابعدوا عنهُ كل البعد

" فمن هذا القبيل معارضات دعبل ومسلم بن الوليد لابي نواس ومعارضاتهُ لهما ولغيرهما . وان ارتقينا بالبحث عن طفولية هذا الفن عند العرب فابو محمد عبد الله بن قتيبة صاحب أدب الكاتب هو من اقدم النقَّاد ومقدمة كتابهِ المذكور شاهدة بعلوّ كعبهِ في قسم من هذا الفن ولا بأس من ايراد شيء من المقدمة المذكورة قال :

" ونحن نستحبُّ لمن قبلَ عنا وائتمَّ بكتبنا ان يؤدب لسانهُ ويهذب اخلاقهُ قبل ان يهذب الفاظهُ ويصون مروءتهُ عن دناءة الغيبة وصناعتهُ عن شين الكذب ويجانب الوقيعة قبل مجانبتهِ اللحن وخطل القول وشنيع الكلام ورفث المزاح (ما اشرف هذه المبادئ واسمى هذه القواعد) الى ان قال ونستحب لهُ ايضًا ان يترك (كذا) الفاظهُ في كتبهِ فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب اليهِ وان لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام فاني رأيت الكتَّاب قد تركوا تفقد هذا من انفسهم وخلطوا فيهِ فليس يفرقون بين من ~~يكتب~~ اليهِ — فرأيتُ في هكذا — وبين من يكتب اليهِ — فاني رأيتُ كذا — ورأيت انما يكتب بها الى الاكفاء والمساوين ولا يجوز ان يكتب بها الى الرؤساء والاساتذة لان فيها معنى الامر ولذلك نُصِبَتْ . ولا يفرقون بين من يكتب اليهِ — وانا فعلت ذلك — وبين من يكتب اليهِ — ونحن فعلنا ذلك — ونحن لا يكتب بها عن نفسهِ الَّا امراؤنا لانها من كلام الملوك والعظماء [1] الى ان قال وقال ابرويز لكاتبهِ في تنزيل الكلام انما الكلام اربعة سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وامرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات ان التمس لها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم فاذا طلبت فاسجح واذا سألت فأوضح واذا امرت فاحكم واذا اخبرت فحقق واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول قال

(1) مما يحسن نقلهُ هنا ان ابن قتيبة قد افتتح هذا الكلام بقولهِ ونحن نستحب الخ فكيف ذهل عن ذلك فاما ان يكون قولهُ ونحن لا يكتب بها عن نفسهِ الخ خطأ وصحتها ونحن فعلنا لا يكتب بها الخ واما انهُ اتى مثل ما نهى عنهُ وهذا من العجب بمكان

ابن قتيبة وليس هذا بمحمود في كل موضع ولا مختار في كل كتاب بل لكل مقام مقال

" وعبد الله بن المقفع صاحب الدرة اليتيمة هو من النقّاد السابقين ومن انعم النظر في كتابهِ المذكور علم منزلتهُ من النقد وحسبك جوابهُ لمن قال لهُ من أدَّبك قال نفسي اذا رأيتُ من غيري حسنًا أتيتهُ وان رأيت قبيحًا ابيتهُ

" ومعارضة ابي فراس الحمداني للمتنبي عند انشادهِ قصيدتهُ التي مطلعها واحرَّ قلباهُ ممن قلبهُ شبمُ هي من هذا القبيل ومن شاء الوقوف عليها فليراجعها في العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب

" والخوارزمي صاحب كتاب مفاتيح العلوم كتب في الباب الخامس الفصل الخامس في نقد الشعر وهو على حد ما كتب سائر علماء البديع في عيوب الشعر لم يخرج عن ذلك في شيء

" ومن اكابر العلماء الذين ألمُّوا بقسم من هذا العلم وظهر ميلهم اليهِ القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز وهو صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومهِ في الشعر وانا ذاكرٌ لهُ فصلاً من هذا الكتاب ليقف المطالع على مكانهِ من النقد . وان كان قولهُ هنا في وصف الكتابة قال :

" ومتى سمعتني اختار للمحدث هذا الاختار — اي الكلام السهل اللطيف الرشيق — وابعثهُ على التطبّع واحسّن لهُ في التسهل فلا تظنّن اني اريد بالسهل السمج الضعيف الركيك ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث بل اريد النمط الاوسط وما ارتفع عن الساقط السوقي وانحط عن البدوي الوحشي وما جاوز سفسفة نصر ونظرائهِ ولم يبلغ تعجرف هميان بن قحافة واضرابهِ نعم ولا آمرك باجراء انواع الشعر كلهِ مجرى واحدًا ولا ان تذهب بجميعهِ مذهب بعضهِ بل ارى لك ان تقسم الالفاظ على رُتب المعاني فلا يكون غزلك كافتخارك ولا مديحك كوعيدك ولا هجاؤك كاستبطائك ولاهزلك بمنزلة جدّك ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلاً مرتبتهُ وتوفيهُ حقهُ فتتلطف اذا تغزّلت وتتفخم اذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرف مواقعهِ فان المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ولكل واحد من الامرين نهجٌ هو بهِ املك وطريق لا يشاركهُ الآخر فيهِ وليس ما رسمتهُ لك في هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ولا بمختص بالنظم دون النثر بل يجب ان يكون كتابك في الشوق او التهنئة أو اقتضاء المواصلة وخطابك اذا حذّرت وزجرت افخم منهُ اذا وعدت ومنيت فاما الهجو فأبلغهُ ما جرى مجرى التهكم والتهافت وما اعترض بين التعريض والتصريح وما قربت معانيهِ وسهل حفظهُ وسرع علوقهُ بالقلب

ولصوقهُ بالنفس فاما القذف والافحاش فسبابٌ محض . انتهى كلامهُ "

والكتاب على هذا النسق وهو ثلثمئة صفحة وقد طبع طبعاً متقناً فلمؤلفهِ الفاضل جزيل الشكر على هذه التحفة النفيسة التي خدم بها اللغة العربيَّة

حديث عيسى بن هشام

لمحمد بك المويلحي القدح المعلَّى في صناعة الانشاء كما كان للمرحوم والدهِ تشهد لهُ بذلك هذه الفصول فقد تحدَّى فيها الهمذاني والحريري ونسج على منوالهما وفاقهما في إلباس الحقائق لباس المزاح ولو بالغ في ذلك احياناً . وقد رأى ملكتهُ المرحوم الاستاذ جمال الدين الافغاني منذ خمس عشرة سنة فكتب اليهِ يقول

حبيبي الفاضل

تقلُّبك في شؤُون الكمال يشرح الصدور الحرجة من حسرتها وخوضُك في فنون الآداب يريح قلوبًا علقتْ بك آمالها وليس بعد الإرهاص الاَّ الإعجاز ولك يومئذٍ التحدّي ولقد تمثَّلت اللطيفةُ الموسويَّة في مصر كرَّةً أُخرى وهذا توفيق من الله تعالى فاشدد ازرها وأَبرم بما أُوتيتَ من الكياسة والحذق أَمرها حتى تكون كلمة الحق هي العليا ولا تكن كالذين غرتهم انفسهم بباطل اهوائها وساقتهم الظنون الى مهواة شقائها وحسبوا انهم يحسنون صنعاً ويصلحون امرًا وكنْ عونًا للحق ولو على نفسك ولا تقف في سيرك الى الفضائل عند عُجبك لا نهاية للفضيلة ولا حدَّ للكمال ولا موقف للعرفان وانت بغريزتك السامية اولى بها من غيرك والسلام جمال الدين الحسيني الافغاني

والكتاب منشور في صدر هذه الفصول منقولاً بالزنكوغرافيا عن خط الاستاذ جمال الدين وهو كما ترى سحر في البيان وحكمة في البلاغة ولم يكتب اعجمي كتابة عربية ابلغ مما كتب ذلك الحكيم الافغاني

وفصول هذا الحديث نشرت اولاً متفرقة في جريدة مصباح الشرق على نسق التخيل والتصوير لكنها حقيقة متبرجة في ثوب الخيال كما قال منشئها الفاضل قصد بها ان يشرح الاخلاق والاطوار ويصف ما عليهِ الناس من النقائص التي يجب اجتنابها والفضائل التي يجب التزامها . وقد افرغها الآن في قالب كتابٍ بعد ان اجال فيها نظرة تدقيقٍ وتحقيق دعت الى التهذيب والتنقيح

ومدار الحديث على رجل اسمهُ احمد باشا المنيكلي بُعث من قبرهِ وسار مع رجل اسمهُ عيسى ابن هشام يرى احوال القطر في هذا العصر ويقابل بينها وبين ما كانت عليهِ لما كان حيًّا في زمن محمد علي وابرهيم باشا . وقد بالغ حضرة الكاتب في وصف مساوىء هذا العصر حتى يظهر الحسن والقبيح على اتم ما يكونان عليهِ . وايضاحًا لذلك نورد الفقرات التالية وهي من محاكمة الباشا لانهُ اختصم مع حمَّار ورجل من رجال البوليس فاتي بهِ الى المحكمة الابتدائية وذهب معهُ عيسى بن هشام شاهدًا وشرح لهُ كيف أُنشئت المحاكم ووضع القانون الجديد وكيف ان مفتي نظارة الحقانية اقسم الايمان المغلظة على فتواهُ التي افتاها بان هذا القانون الفرنسوي غير مخالف للشرع الاسلامي مع ان الإجماع تام عند علماء الشريعة في السر والنجوى على انهُ مخالف للشرع وان كل من يقضي بهِ داخل تحت نص الآية الشريفة "ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون"

قال عيسى بن هشام وبينا نحن في هذا الحديث إذ ارتجَّ المكان وتماوج الزحام واقبل القاضي وهو في عنفوان شبابهِ وصبا ايامهِ يتألق وجههُ حسنًا . ويشاكل في القدّ غصنًا . وكأَنهُ طائر في مشيتهِ . من نشاطهِ وخفتهِ . ولما دخل الجلسة ذهبت اسأل عن دور القضيَّة ثم عدت الى صاحبي ومكثنا في الانتظار زمنًا طويلاً الى ان جاء الدور ونودي الباشا فدخل مع المحامي في الجلسة وقام النائب فطلب الحكم على المتهم بمقتضى مادتي "١٢٤" و"١٢٦" عقوبات لتعديهِ بالضرب على احد رجال "الضبطيَّة القضائيَّة" في اثناء تأدية وظيفتهِ وبالمادة "٣٤٦" مخالفات لتعديهِ على المكاري بالإيذاء الخفيف

(القاضي للمتهم) — هل فعلت هذه التهمة

(المتهم) — لم افعل .

قال عيسى بن هشام واستحضروني شاهدًا فسألني القاضي عما اعلمهُ في هذه الواقعة فاجبتهُ : ان لهذه الحادثة قصة عجيبة وحكاية غريبة وهي انهُ .....

(القاضي مقاطعًا) — لا لزوم لتفصيل القصة والحكاية وقل لي عن معلوماتك فيها

(عيسى بن هشام) — معلوماتي هي انني كنت ازور المقابر ذات ليلة في وقت الفجر ابغي الموعظة وانشد الاعتبار ....

(القاضي) مستثقلاً — لا لزوم لكثرة الكلام واجبني على النقطة التي سألتك عنها فقط

(عيسى بن هشام) — ذلك ما افعلهُ من حكاية الواقع وهو اني رأيت رجلاً خرج من

(القاضي) متململاً — قلت لك اني لا اقبل التطويل ولا الشرح في الواقعة ولكن هل ضرب المتهمُ العسكريَّ والحمّار ام لا

(عيسى بن هشام) — ما ضرب المتهمُ الحمّار وانما دفعهُ عنهُ من شدة إلحاحهِ وما ضرب العسكريَّ وانما سقط عليهِ مما غشيهُ بغير عمد ولا قصد وهو يجهل ...

(القاضي) — يكفي . يكفي . هلمَّ " النيابة "

(النائب) — " ان هذا الباشا متهمٌ بتعديهِ بالضرب على احد رجال البوليس في اثناء تأدية وظيفتهِ بالقسم ومتهمٌ بالتعدي بالإيذاء على مرسي الحمار . والتهمة ثابتة من شهادة الشهود التي في الاوراق واطلاع المحكمة عليها كافٍ وبناءٌ عليهِ فالنيابة تطلب الحكم على المتهم بالمادة ١٢٤ و ١٢٦ عقوبات وبالفقرة الثانية من المادة ٣٤٦ مخالفات وتطلب من عدالة المحكمة التشديد في العقوبة لان حالة المتهم تستدعي ذلك فانهُ يتخيل ان رتبتهُ تجعلهُ خارجاً عن سلطة القانون وتخولهُ الحق في اعتبارهِ بقية الناس اصغر منهُ شأناً فيؤدبهم بنفسهِ مع عدم مراعاة حقوقهم وحرمة القانون ولا شك ان تشديد العقوبة عليهِ واجب لاعتبار امثالهِ بهِ وللمساواة في العدالة وافوض الامر الى المحكمة "

(القاضي للمحامي) — المحاماة . مع الاختصار

(المحامي) بعد ان يتنحنح ويقلب في اوراقهِ — " اننا نتعجب من ان النيابة العمومية استحضرتنا اليوم بصفة متهمين ونقول ان اصل وقوع الجرائم يا حضرة القاضي والاصل في وضع الشرائع والقوانين في هذا العالم منذ البداوة وعصور الهمجيَّة كان يقصد منهُ ...

(القاضي) مشمئزًا اختصرْ يا حضرة المحامي وادخلْ في الموضوع

(المحامي) — ... ومن المعلوم ان نظام الترتيب يا حضرة القاضي في طبقات الهيئة الاجتماعية يقضي ....

(القاضي) متضجرًا — اختصر يا بك

(المحامي) الموضوع يقتضي ذلك

(القاضي) متأففاً — لا لزوم لهُ

(المحامي متحيرًا — قالت النيابة العمومية (ويسرد شيئاً من اقوالها) ونحن نقول اننا لو سلمنا جدلاً ...

(القاضي مغضباً — يكفي يا بك الموضوع

(المحامي) متلعثماً مضطرباً — ان هذا المتهم ياحضرة المحكمة الواقف الآن بين يدي

القضاء هو رجل عظيم وامير خطير من اهل العصر القديم ولهُ حديث منشور في الجرائد — وهذه اعداد جريدة "مصباح الشرق" تطلعون عليها — وقد اعترضهُ في طريقهِ احد المكارين فدفعهُ عن نفسهِ والناس يعلمون إلحاح الحمارة وسوء ادبهم ومثل هذه الطبقات التي ليس فيها تربية ....

(القاضي) نافذاً صبره — قلنا اختصر يا بك

(المحامي) وهو يتصبب عرقاً — ... ولما توجه المتهم الى القسم أُغمي عليهِ فسقط بدون تعمد على عسكري كان يكنس ارض القسم بغير ملابسهِ الرسمية . وعدالة المحكمة تقضي بعدم الالتفات الى دعوى البوليس ولا عقاب على المتهم أَلبتة لانهُ كان في عصر غير عصرنا وفي نظام خلاف نظامنا ولم تبلغهُ دعوة القانون فهو يجهل احكامهُ وحضرة القاضي الفاضل ادرى بالاحوال وان .....

(القاضي) منفعلاً ضارباً بيدهِ على المكتبة — المحكمة تنورت يا بك ولا لزوم للكلام مطلقاً فهلم طلباتك

(المحامي ساخطاً في نفسهِ) - طلباتنا هي اننا نطلب من باب اصلي الحكم ببراءة المتهم وان رأت المحكمة غير ذلك فنرجو استعمال الرأفة بالمادة ٣٥٣ عقوبات

قال عيسى بن هشام وبعد ذلك نطق القاضي بالحكم فحكم على الباشا بالحبس سنة ونصفاً بمقتضى المادتين المذكورتين من قانون العقوبات وبخمسة قروش والمصاريف بالمادة المذكورة ايضاً من المخالفات فضاقت الارض بي واظلمت الدنيا في عيني وكدت اشترك مع صاحبي في الذهول والاغماء لولا ان المحامي اكد لي كل التأكيد انهُ لا بدَّ من البراءة في محكمة الاستئناف لعدالة رجالها ولكن يجب مع ذلك ان نرفع عريضة شكوى الى "لجنة المراقبة" لحسن التأثير على القضية عند نظرها في الاستئناف ثم قال لي اعلم ان السبب في كل ما صدر عن هذا القاضي من المقاطعة والمعاكسة والاستعجال هو لانهُ مدعوٌّ في وليمة بعض رفقائهِ عند الظهر تماماً وامامهُ في اول القضايا ثلاثون قضية يريد ان يأتي عليها كلها حكماً قبل حلول الميعاد

والكتاب كلهُ على هذا النسق تشرق فيهِ شمس البلاغة فيكسف نورها بدور المعلقات ويفيض معين المزاح فتحسب السروجي نشر بداعب عيسي بابدع النكات

وهو مجلد في ثلثمائة واربعين صحيفة ثمنهُ عشرون غرشاً ويباع في مكتبة المعارف باول شارع الفجالة وفي مكتبة الاصلاح باول شارع محمد علي

مجلة التنترا

International Journal Tantrik Order.

التنترا كلمة سنسكريتية معناها الايمان او الاعتقاد ويراد بها الكتب والمحاورات الدينية بين معبود الهنود سيڤا وزوجته. وعند الهنود طريقة يعتقد اصحابها ان هذه الكتابات قديمة وهي في منزلة الڤيدا . والظاهر ان طريقة التنترا شاعت في اميركا بلاد الغرائب وانشئت لها فيها مجلة كبيرة جاءنا منها الآن الجزء الاول من المجلد الخامس وهو مفتتح بابيات انكليزية يقال انها لعبد العلا معناها ان الاديان كلها على حدٍّ سوى عند من دينهُ محبة الناس وفي هذا الجزء ١٩٠ صفحة كبيرة مشحونة بالاقتباسات والحكم من اقوال كبار الكتاب والمنشئين شرقاً وغرباً ويتخلَّل ذلك شروح وصور تدلُّ على فساد في الذوق وتصديق للخرافات والخزعبلات

والذين بحثوا في فلسفة المشارقة قالوا انها لباب الفلسفة كلها قال مكس ملر ان تاريخ الفلسفة في الهند هو خلاصة تاريخ العالم الفلسفي. وقال شوبنهور لا درس يفيد الانسان ويرقيهِ مثل درس فلسفة الڤيدا فانها كانت تعزية حياتي وستكون تعزية مماتي

وقال مكس ملر اذا احتاج كلام شوبنهور الى تأييد فانا أُؤَيدهُ عن طيب نفس لان ذلك نتيجة اختباري في الزمن الطويل الذي وقفتهُ على درس فلسفات الاديان الكثيرة فاذا اريد بالفلسفة الاستعداد لموت سعيد فلا اعرف شيئاً اصلح لذلك من فلسفة الڤيدا فاننا بمقدار ما نرجع في البحث عن اصول الاديان نجد تصور الخالق اطهر . وما من احد قرأ الڤيدا وشرحهُ الاَّ وشعر بعد ذلك انهُ صار احكم مما كان

اما التنترا التي نحن في صددها فجاء عنها في السكلوبيديا الهندية انهُ لا يعلم من الَّفها ولكن يقال ان سيڤا نفسهُ مؤلفها وهي كثيرة جدًّا واتباعها يمارسون كثيراً من الاعمال السرية التي لا يطلع الجمهور عليها .... وتمتاز الديانة التي تعلم بها التنترا بعبادة السكتي وهي القوَّة الالهية المتجسدة في جسم امرأة

وجاء في المهنيفاناتنترا ان الزوج قبلة الزوجة وصدقاتها ونذورها ومشترعها ولذلك يجب عليها ان تخدم زوجها بكل طاقتها

هذا والمقياس الذي يعرف بهِ كل ناموس او دين او نظام هل هو مفيد لنوع الانسان او غير مفيد انما هو نتائج ذلك الناموس او الدين او النظام في احوال الشعب الذي يستسير بهِ ويجري بموجبهِ فانظر في احوال الهنود المتبعين تعاليم التنترا يتضح لك ان ذلك الزرع لا

يثمر الاّ ذلك الثمر من الانحطاط ولو استطاع ان يثمر غيرهُ لاثمر وقس على ذلك كل دين من الاديان وكل ناموس من النواميس

مطمح الفصحاء

كتاب نفيس وضعهُ حضرة المنشئ الاديب علي افندي فؤَاد المنوفي وجعلهُ فصولاً في قواعد الانشاء واساليبهِ والحق كل فصل منهُ بمقامة منتخبة الالفاظ مرصعة باشعار رائقة كقولهِ في وصف الازهر

لأزهر مصر تنتسب المعارف ومن ازهارهِ تجني اللطائف
ينابيع العلوم تفيض منهُ فتروي كل مغترف وراشف

وقولهِ

نزلنا بشبرا والاحبَّة في نوى وما بيننا غير النسيم سفيرُ
تعللني منهم على البعد نسمة كما فاح من اردانهنَّ عبيرُ
وتعبث في لبي احاديث ذكرهم كما عبثت بالشاربين خمورُ
فنومي وتسهيدي مقيم وراحل وقلبي ودمعي مطلقٌ واسيرُ

وفي البيت الاخير الطي والنشر

وقولهِ

نبذتم وراء الظهر عون بلادكم وخوَّلتمُ التقليد حق جهادكم
وفاتكمُ الجدوى بفضل عنادكم ويرجى صلاح لا وحق ودادكم

وفي الكتاب ٢٢٥ صفحة واكثرهُ على هذا النسق فنثني على همة مؤَلفهِ

جغرافية جديدة

A NEW GEOGRAPHY
SPECIALLY PREPARED FOR USE IN
EGYPTIAN SHOOLS.

لقد راج هذا الكتاب وطبع مرة ثالثة ورواجهُ هذا دليل على نفعهِ وحاجة المدارس اليهِ فنهنئ حضرة مؤَلفهِ احمد افندي حافظ بذلك



(١) تدبير المسلولين

مصر. محمد افندي حلمي. ارجو افادتي عن الوسائل التي يلزم ان يتخذها من يصاب بداء السل الرئوي والمأكولات التي يجب ان يأكلها وهل يدفأ المكان الذي يقيم فيهِ او تترك ابوابهُ وشبابيكه مفتوحة ليتجدَّد فيها الهواءِ

ج ان تدبير المسلول مذكور بالتفصيل في المقتطف وخلاصتهُ ان الغذاء الكثير والهواء النقي لازمان للمصاب اشد اللزوم ومن المآكل المغذية البيض واللبن والزبدة واللحوم السمينة على انواعها. والهواء النقي لازم اشدّ اللزوم فيحسن ان يقيم المصاب في الخلاء نهارًا وليلاً او في غرفة مفتوحة الكوى بشرط ان يلبس ويتدثَّر حتى يوقى من البرد او حتى لا يأْتيهُ الهواء البارد من جهة دون أُخرى فيعرّضهُ للنزلات الصدرية بسبب احتقان الدم في جهة دون أُخرى من جسمهِ ويجب ان يكون الهواء خاليًا من الغبار ومن مكروبات الامراض والغازات المضرَّة كهواء البحر وهواء اعالي الجبال وهواء الصحاري البعيدة عن مساكن الناس فاذا كان الداء في الدرجة الاولى واستعملت هذه التدابير فالغالب ان المصاب يتغلَّبُ على الداء ويشفى منهُ. والظاهر ان اكثر الناس يصابون بالسل الرئوي ويشفون منهُ وهم لا يدرون لانهُ يكون في بداءتهِ ويتغلَّب الجسم عليهِ كما ثبت من تشريح جثث الموتى اما اذا تقدَّم الداء فلا بد من التعويل في معالجتهِ على طبيب ماهر يراقب الاعراض والاختلاطات ويعالجها والغالب ان الداء لا يشفى بعد ذلك ولكن وسائل العلاج تطيل الحياة وتخفف الآلام

(٢) التعصب لليابان

سان جوان. الخواجه عازر بنضو. لما كانت الحرب قائمة بين الروس واليابان سألتُ بعض ابناء الوطن (ابن السوريين) المقيمين في هذه البلاد عن سبب ميلهم الى اليابان لاني رأيتهم متحزبين لها ومعرضين عن روسيا فكان جوابهم اننا نحن واليابانيون ابناءُ وطن واحد وهو الشرق. فهل بلاد اليابانيين اقرب الينا من بلاد الروس وما هي الجامعة بيننا وبينهم

ج ان روسيا اقرب الينا من اليابان والجنس الروسي اقرب الينا من الجنس الياباني واديان الروس اقرب الى اديانا من اديان اليابان سواءٌ كنا يهودًا او مسيحيين او

مسلمين ولا جامعة تجمعنا باليابانيين لا من حيث الوطن ولا من حيث الجنس ولا من حيث الدين ولا من حيث اللغة . ولا نرى انهُ يجمعنا باليابانيين الاَّ حسباننا اياهم متأخرين مثلنا فارتقاؤُهم السريع جعلنا نرجو ان نرتقي مثلهم . ولو عرف هؤلاء المتحزبون لليابان ان عمران اليابانيين قديم وانهم يحتقرون من سواهم من امم المشرق ويعدون انفسهم فوق كل العثمانيين من كل الطبقات والمذاهب لعدلوا عن تعصبهم لهم

(٣) تاريخ اليابان

ومنهُ . هل يوجد تاريخ عربي لبلاد اليابان واين يباع

ج لم يبلغنا انهُ يوجد تاريخ عربي لها ونظن ان ما كتبناهُ عنها في السنوات الماضية من المقتطف هو اوسع ما كتب عنها بالعربيَّة . انظروا الفصول التي عنوانها نبأ من اليابان في المجلدين السابع والعشرين والثامن والعشرين من المقتطف

(٤) قسمة المتر

ومنهُ . لماذا قسم المتر الى مئة سانتي لا اكثر ولا اقل وما الغرض من ذلك

ج قصد الفرنسويون الذين وضعوا المتر مقياساً للاطوال وقسموهُ الى اقسام ان يكون الحساب بهِ بالعشرات حتى يكون كالحساب الهندي الذي كل منزلة منهُ عشرة اضعاف المنزلة التي تحتها فالمتر يقسم الى عشرة دسيمترات والدسيمتر الى عشرة سنتيمترات والسنتيمتر الى عشرة مليمترات هذا في اجزاء المتر ثم ان الدكامتر عشرة امتار والهكتومتر مئة متر والكيلومتر الف متر والميريامتر عشرة آلاف متر. والكلمات التي تزاد في كسر المتر لاتينيَّة وفي عقود المتر يونانيَّة . وسمَّوا وزن السنتيمتر المكعب من الماء غراماً وجعلوهُ معيار الاوزان وكسورهُ الدسغرام والسنتغرام والميليغرام . وعقودهُ الدكاغرام والهكتوغرام والكيلوغرام والميرياغرام وجعلوا الدسيمتر المكعب مقياساً للمكيلات وسمَّوهُ لتراً وجعلوا كسورهُ الدسيلتر والسنتيلتر والميلتر وعقدهُ الديكالتر والهكتولتر وذلك كلهُ لتسهيل الحساب

(٥) فقد المشي والنطق

موبيل بالاباما . الخواجه كمال زهره . ولد عمرهُ اكثر من سنتين ضخم الجثة صحيح البنية الاَّ انهُ الآن لا يتكلم ولا يمشي ولا يجلس واذا اريد اجلاسهُ لوى ظهرهُ ورقبتهُ ووقع . وهو شديد اليدين حتى انهُ يصعب فتح يدهِ اذا طبقها . واذا مدَّ رجليهِ صعب طيهما واذا تسطَّح على ظهرهِ جعل يلعب برجليهِ ويضحك . ويمسك احياناً شعر رأسهِ ويشدهُ فيتألم ويبكي ولكنهُ لا يترك شعرهُ من تلقاء نفسهِ . واسنانهُ واضراسهُ كاملة تقريباً ولكنهُ لا يعرف يلوك الاكل فما سبب ذلك

ج السبب آفة في المخيخ والنخاع المستطيل

فان المخيخ اي الجزء المؤخر من الدماغ فوق النقرة وظيفتهُ حفظ موازنة الجسم فبعضهُ يحفظ الجسم من الوقوع الى الامام وبعضهُ يحفظهُ من الوقوع الى الوراء . والنخاع المستطيل تحت المخيخ يتصل بالنخاع الشوكي وهو متسلط على قوة النطق وبلع الطعام . والظاهر ان هذه الآفة خلقية فيهِ فان كان الامر كذلك فلا نظن انهُ يمكن شفاؤهُ ولكن ان كانت الآفة عارضة من وقعة او صدمة فيحتمل شفاؤها اوتلطيفها . واطباء الامراض العصبية يعلمون ذلك فاعرضوهُ عليهم

(٦) هيكل جبل الشيخ

ومنهُ . في قنة جبل الشيخ آثار بناء تدلُّ على ان ذلك المكان المرتفع كان مأهولاً وبعض العامَّة يسمونهُ قصر شبيب فهل يدل التاريخ على انهُ كان هناك سكان مع ما هو عليهِ ذلك المكان من الارتفاع

ج يظهر من شكل الانقاض الباقية هناك انها بقايا هيكل قديم من عهد الفينيقيين فانهم كانوا يبنون هياكلهم على المرتفعات . وقد ذكر القديس ايرونيموس هذا الهيكل في القرن الرابع للميلاد . والظاهر ان جبل الشيخ كلهُ كان حرماً دينياً عند قدماء الفينيقيين

(٧) اقدم لغة

ومنهُ . ما هي اقدم لغة تكلمها البشر

ج يظهر من تحقيقات علماء اللغات وتاريخ الانسان ان البشر لم يتكلموا اولاً بلغة من اللغات المعروفة الآن بل كان كلامهم الاول اصواتاً متقطعة كل صوت منها مخرج واحد ثم تألفت من ذلك كلمات ذات مخرجين او ثلاثة على تمادي الازمان . هذا هو مذهب العلماء الطبيعيين الآن واما علماء الاديان فبعضهم يقول ان اللغة الاولى هي العبرانية وبعضهم يقول انها العربية وبعضهم يقول انها الصينيَّة او السنسكريتية ودليلهم على ذلك ما جاء في كتبهم الدينية

(٨) الحكومة الفرنسوية والكنيسة

مصر . فوأد افندي عبود هل يخشى ان تزول ثقة الامة الافرنسية بحكومتها الجمهورية في هذه الاثناء على اثر عزم الوزارة ومجلس الشيوخ على فصل الكنيسة عن الحكومة

ج لا بدَّ من ان كثيرين من الفرنسويين نقموا على حكومتهم ولكن يظهر ان جمهور الامَّة الفرنسويَّة راضٍ عنها حتى الآن بدليل اتفاق اكثرية النواب لا سيما وان جمهوراً كبيراً من اشد الناس تديناً في اوربا يعتقدون ان فصل الكنيسة عن الحكومة اصلح للكنيسة وللحكومة معاً

(٩) ارجاع الملكيَّة

ومنهُ . هل من امل بارجاع البوربون او البنابرتيين الى عرش فرنسا

ج الظاهر ان الامل بارجاعهم ضعيف الآن وان كان اتباعهم لم يقطعوا الرجاء منهُ . لكن سياسات الامم مرتبطة بفواعل كثيرة بعضها مما تسهل معرفتهُ وبعضها مما لا تمكن معرفتهُ قبل حدوثهِ كموت الملوك والرؤساء وحدوث المجاعات وقيام القوَّاد او الثوار العظام . فلو توفي نبوليون شاباً ما ظهرت الامبراطورية ولو فسح في اجل بولنجه لقاد فرنسا الى الامبراطورية او الملكية كما شاء واذا مات المطالبون بالملكية انقطع امل اتباعهم وكذا اذا مات المطالبون بالامبراطورية واذا حدث قحط في فرنسا الآن بسبب انحباس المطر واستمرَّ سنتين او ثلاثاً فلا يبعد ان يثور الشعب على الجمهورية ويسقطها ولذلك يستحيل الانباء بما تأول اليهِ احوال الممالك

(١٠) تاثير ذلك في اوربا

ومنهُ ماهو تاثير هذا الحادث في الاندية السياسية في عواصم اوربا وهل يرتاح اليهِ جمهور الالمان الاشتراكي

ج يظهر ان اهل السياسة راضون عن ذلك بنوع عام وان كانوا يضمرون غير ما يظهرون فلا سبيل الى معرفتهِ

(١١) المدارس الفرنسوية في الشرق

ومنهُ كيف تصير ادارة المدارس في الشرق التي كانت الطغمات الرهبانية تديرها حينما تستلمها الحكومة الفرنسوية وتجعلها علمانية

ج ان الحكومة الفرنسوية تنازلت لايطاليا عن حماية بعض المدارس الشرقية ولم يقرَّ قرارها حتى الآن على البعض الآخر على ما يظهر . ولا ندري كيف ينتهي هذا المشكل لا سيما وان حكومة ايطاليا محرومة حرماً دينياً على ما نتذكر ولكننا نرجو ان تزول هذه المشاكل وتعود فرنسا الى عضد مدارسها كلها في الشرق مهما كان نوعها لان العلم نافع على كل حال وان كان منهُ شيءٌ غير نافع فيزول من نفسهِ جرياً على ناموس بقاء الاصلح ومصداقاً للآية القائلة " اما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض " . واذا تولت الحكومة الفرنسوية ادارة هذه المدارس يبعد ان لا يرتقي العلم فيها . وقد يقال ان العلم يرتقي والدين يَنحط وهذا صحيح في الغالب ولكن اصحاب الاديان المختلفة متفقون في امور عمومية ومختلفون في امور خصوصيَّة فالامور العمومية متعلقة بسيرة المرء حتى يكون مستقيماً نافعاً لنفسهِ ولغيرهِ وهذه يجب ادخالها الى كل المدارس وتدريب التلامذة عليها حتى تتدمث اخلاقهم وتتمكن منهم ملكات الخير والامور الخصوصيَّة لا يرضى والدوهم او اوصياؤهم ان يتعلموا منها ما لا وجود لهُ في دينهم او يناقضهُ على خط مستقيم فلا نرى كيف يمكن ادخالهُ في مدارس الحكومة التي يجب ان تكون عمومية لكل اولاد الامة . فمن الامور الاولى العمومية تحريم الكذب والسرقة والقتل

والغيبة . ومن الامور الثانية اعتقاد اليهود بان المسيح لم يأت واعتقاد النصارى ان المسيح اله واعتقاد المسلمين ان محمداً نبيٌّ مرسل واعتقاد البراهمة ببرهم والبوذيين ببوذا وهلمَّ ومن قبيل ذلك معتقدات اصحاب المذاهب المختلفة بما يميز كل مذهب منها عن غيره



الحي من غير الحي

كان القدماء يقولون بتولُّد الاحياء الواطئة كالديدان والضفادع من الطين مباشرة ولم يكن احد يقول انهم ملحدون او مخطئون . ثم وجد علماء الطبيعة منذ عهد غير بعيد ان تلك الاحياء انما تتولد من بيوض احياء مثلها فقالوا ان الحي لا يتولد الاَّ من حيٍّ مثلهِ فاتخذ علماء الاديان ذلك ذريعة الى تكفير من يقول بتولد الحي من غير الحي زاعمين ان القول بهذا التولد ينفي وجود الخالق ناسين ان اسلافهم من علماء الاديان كانوا يقولون بتولد الحي من غير الحي ولا يحسبون ذلك نافياً لوجود الخالق . ومهما يكن من ذلك فان بين علماء البيولوجيا عالماً مشهوراً اسمهُ الدكتور بستيان وهو من اكبر علماء الطب سنًّا واكثرهم بحثاً في هذا الموضوع وقد ادَّعى منذ عهد طويل ان الاحياء تولدت معهُ في سوائل لا اثر لبزور الاحياء فيها فافسد تندل و باستور وغيرهما من العلماء قولهُ بالامتحان واثبتوا ان تلك الاحياء انما تولدت من بزور دخلت الانابيب التي اجرى التجارب فيها مع الهواء . وقد اوضحنا ذلك منذ نحو ثلاثين سنة كما ترى في المجلد الثالث من المقتطف

لكن الدكتور بستيان لم ينفك عن الامتحان والتجربة حاسباً ان الحيَّ تولَّد اولاً من غير الحي وان ما امكن حدوثهُ منذ الوف من السنين يمكن ان يحدث الآن ولهُ مقالات وكتب في هذا الموضوع . وقد خطب في اواخر شهر يناير الماضي في الجمعية الطبية الملكية ببلاد الانكليز خطبة في هذا الموضوع اثبت فيها انهُ ولَّد الحيَّ من غير الحي فاستحضر سائلاً فيهِ مقادير قليلة من سلكات الصودا وفصفات الامونيا وحامض فصفوريك مخفف بالماء المقطر . وسائلاً آخر فيهِ مذوب سلكات الصودا ومذوب برنترات الحديد ووضع السائلين في انابيب نظيفة من الزجاج

وعرضها للنور المستطير حيث الحرارة ٦٠ درجة الى ٦٥ بميزان فارنهيت فتوالدت فيها جراثيم حيَّة من نفسها وكانت هذه الاحياء تتولد فيها ايضاً اذا وضعت في مستفرخ مظلم درجة حرارته ٩٥ بميزان فارنهيت

وحذرًا من دخول بزور الميكروبات الى السائل كان يضعهُ في الانابيب ويسدها سدًّا هرمسيًّا ثم يضعها في حمَّام من كلوريد الكلسيوم درجة حرارتهِ ٢٦٦ بميزان فارنهيت (١٣٠ سنتغراد) من عشر دقائق الى عشرين دقيقة فيرسب فيها راسب من السلكا وحدها او من السلكا والحديد. ثم يعرّض الانابيب للنور او يضعها في المستفرخ الذي حرارتهُ ٩٥ درجة من خمسة اسابيع الى اربعة اشهر فيتولد فيها جراثيم حيَّة توجد بين رواسب السلكا التي ترسب فيها. واذا كسر انبوب بعد احمائهِ وقبل ان يعرض للنور او يوضع في المستفرخ لم يوجد فيهِ شيءٌ من الجراثيم الحية على الاطلاق ولكن الانابيب التي تعرض للنور او لحرارة المستفرخ مدة طويلة توجد فيها الجراثيم الحيَّة بكثرة . وغنيٌّ عن البيان ان الميكروبات كلها تموت في حرارة الماء الغالي اي عند الدرجة ١٠٠ بميزان سنتغراد وبزور الميكروبات تموت عند الدرجة ١١٥ بميزان سنتغراد اذا عرضت لها دقيقة او دقيقتين فقط اما هذا السائل فعرض لحرارة ١٣٠ درجة سنتغراد من عشر دقائق الى عشرين دقيقة فلو كان فيهِ شيءٌ من الميكروبات او من بزورها لاماتتهُ الحرارة حتماً . وعند الدكتور بستيان ان هذه الاحياء تتولد في السائل كما تتولد البلورات في السوائل الملحية

اما نحن فنظن ان بزور الميكروبات التي قاعدة بنائها الكربون تموت بالحرارة اذا بلغت الدرجة ١١٥ س واما بزور الميكروبات التي قاعدتها السلكا فلا تموت بهذه الحرارة ولا بما هو فوقها ولا تتولَّد الميكروبات منها الاَّ اذا عرضت للنور او للحرارة مدة طويلة وان المواد التي استعملها الدكتور بستيان كان فيها بزور ميكروبات قاعدتها السلكا فلم تمت بالحرارة التي استعملها ثم نمت بتعريضها للنور او للحرارة مدة طويلة. فان اصاب ظننا فتكون تجارب الدكتور بستيان الحديثة مثل تجاربهِ القديمة غير مثبتة لتولد الحيّ من غير الحي ولو كان تولُّدهُ منهُ ليس مستحيلاً لذاتهِ

الاستاذ مواسان

فجع علم الكيمياء وعلماء الطبيعة عموماً بوفاة العلاَّمة الفرنسوي المشهور الاستاذ مواسان في العشرين من شهر فبراير وهو كهل في الخامسة والخمسين من عمرهِ . وُلد بباريس في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٥٢ وبرع في علم الكيمياء واشتغل مع فرمي ودفيل ودبرى وغيرهم من كبار الكيماويين فزاد تعلقاً بهذا العلم الجليل وبراعة فيهِ ونشر سنة ١٨٧٤

اول رسالة علمية لهُ وهي بحث في امتصاص النباتات للاكسجين وافرازها للحامض الكربونيك وهي في غرفة مظلمة ثم نشر مقالات عديدة سنة ١٨٧٧ في اكاسيد المعادن ونال عليها رتبة دكتور في العلوم من مدرسة باريس الجامعة وقد صارت تجاربهُ في هذا الشان معتمد العاملين في سبك الحديد والمنغنيس والنكل والكروم. واكتشف طريقة لاستحضار غاز الفلور سنة ١٨٨٦ فجعل مجرّباً في الكيمياء ومعلماً لعلم السموم ثم استاذاً للكيمياء المعدنية وذلك سنة ١٨٩٩ . وكان قد جعل مركبات الكروم درسهُ الخاص . واستحضارهُ للفلور اذاع شهرتهُ في الاقطار لان كبار الكيماويين مثل دافي وفراداي وفرمي عجزوا عن ايجاد طريقة لاستحضاره مع انهم بذلوا كل الوسائل في هذا السبيل ثم سيل غاز الفلور سنة ١٨٩٧ بالاشتراك مع السر جمس دور

واهتمَّ منذ سنة ١٨٩٢ باكتشاف طريقة لعمل الماس فكلل عملهُ بالنجاح وصنع حجارة الماس حقيقي ولكنها صغيرة جدًّا مستخدماً الاتون الكهربائي وبهِ استحضر الكروم والتنجستن والمولبدنوم والاورانيوم والتيتانيوم ومعادن اخرى على درجة متناهية في النقاوة . وانتبه الى مركبات الكربون التي تتكون في الاتون فاكتشف مركبات كثيرة مع الكربون والبور والسليكون لم تكن معروفة . وعُيّن استاذاً للكيمياء غير الالية في مدرسة سربون سنة ١٩٠٠ وهو مشهور بحسن اسلوبهِ في التعليم وبقوة عارضتهِ في القاء الخطب ومهارتهِ في اجراء التجارب العلميَّة

الجذام والسمك

نشر المستر هتشنصن كتابهُ الذي يبحث فيهِ عن علة الجذام وادَّعى انهُ وجد علتهُ في اكل السمك المنتن او الذي ابتدأ فيهِ الفساد لكن استقراءهُ ناقص من كل وجه . وان كان لاكل السمك المنتن علاقة بانتشار داء الجذام فتكون علاقتهُ من حيث انهُ يضعف الجسم عن مقاومة جراثيم هذا الداء

جزيرة جديدة

ظهرت جزيرة جديدة في خلج بنغالا ببلاد الهند طولها ٩٢١ قدماً وعرضها ٦٥١ قدماً وارتفاع اعلاها فوق سطح البحر وقت المدّ ١٩ قدماً وهي بركانية كما يظهر من ينابيع الطين التي تنبع من جوانبها ومن انهُ اذا وضع الترمومتر على قنتها وجدت حرارتها ٨١ درجة مثل حرارة الهواء واذا وضع تحت قدم من وجه الارض وجدت الحرارة ١٠٤ واذا وضع تحت قدمين وجدت الحرارة ١٠٨ واذا وضع تحت ثلاث اقدام وجدت الحرارة ١٣٨ . ولم يمضِ عليها ١٦ يوماً من حين ظهورها فوق سطح الماء حتى اخذت امواج البحر تلقي عليها قطع الخشب وبزور النبات .

مواني القطر المصري

بلغ عدد السفن التي دخلت موانيالقطر المصري في العام الماضي ٣٢٤٣ سفينة محمولها كلها ٧٨٨٧٥٥٨ طنًّا وهي لدول مختلفة كما ترى في هذا الجدول

	عدد السفن	محمولها طنًّا
انكليزية	١٦٣٣	٣٩١٧٢٦٣
فرنسوية	٠٢٥٦	٠٩٢٤٧٢٩
نمسوية	٠٢٤١	٧١٨٤٣٦
ايطالية	٠٢٢٧	٦٠٩٣٥٣
المانية	٠١١١	٠٤٣٩٧٦٠
يونانية	٠٣٢٤	٤١١٩٠٣
روسية	٠١٥٩	٠٤٠٩٩٦٤
تركية	٠١٠٩	٠١١٦٣٢٧
بقية الدول	٠١٨٦	٠٣٣٩٨٢٣
والجملة	٣٢٤٣	٧٨٨٧٥٥٨

ترعة السويس في العام الماضي

ان ترعة السويس التي كان منها اكبر خسارة على تجارة القطر المصري والقطر السوري لا تزال امورها في تحسُّن وقد مرَّ بها في العام الماضي ٣٩٧٥ سفينة محمولها ١٨٨٨٩١٣٩ طنًّا ومن ذلك ٢٢٩٤ سفينة محمولها ١١٣٣٥٣٤١ لانكلترا والباقي لبقية امم الارض . وهذا المقدار من محمول السفن يفوق كل ما تقدمهُ في السنين الماضية ففي سنة ١٨٧٠ كان محمول السفن التي مرَّت في ترعة السويس نحو ٤٣٦ الف طن فصار اربعة ملايين و٤٣٤ الف طن سنة ١٨٨٠ وتسعة ملايين و٧٤٩ الف طن سنة ١٨٩٠ وثلاثة عشر مليونًا و ٦٩٩ الف طن سنة ١٩٠٠ والآن بلغ ثمانية عشر مليونًا واكثر من ٨٠٠ الف طن

سبب الزلازل والبراكين

تكلم لورد كلفن في جمعية ادنبرج الملكية عن اصل الزلازل والبراكين فقال انهُ لما بردت قشرة الارض بالاشعاع وجمدت وبقي باطنها مصهورًا جعلت اجزاءُ قشرتها تتكسر وتقع على باطنها المصهور فامتلأ بقطع كبيرة من الصخور الجامدة الواقعة فيهِ من قشرة الارض وهي مختلفة الاشكال والاقدار وكلما وقعت قطعة كبيرة اهتزت لها الارض في ما يجاورها وهذه هي الزلازل وانضغطت المواد المصهورة التي في جوف الارض فاضطرت الى الخروج من اقرب مخرج اليها وهي البراكين. وستبقى البراكين في الارض مادام في جوفها مواد مصهورة . ومن رأيهِ ان باطن الارض الآن جامد لا سائل ولكن لا يزال فيهِ مواد مصهورة ومنها المواد التي تخرج من البراكين ومتى خرجت كل المواد المصهورة من جوف الارض وجمدت على سطحها يبقى في الارض كهوف كثيرة فارغة بسبب تقلصها فتسقط

فيها قطع كبيرة من قشرتها بسبب التقلص والضغط فتستمرُّ الزلازل بعد زوال البراكين الى ان تبرد الارض كلها

هبة فرنسوية عظيمة

ترك المسيو دانيال اوسيرس مليون جنيه لمستوصف باستور وريع هذا المال نحو بعين الف جنيه في السنة

زيت البترول

ان زيت البترول الذي استخرج من الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٥ بلغ نحو ١٣٤ مليون برميل وكان في السنة التي قبلها ١١٧ مليون برميل اي ان مقداره زاد ١٧ مليون برميل في سنة واحدة ولكن ثمن ما استخرج سنة ١٩٠٥ نقص عن ثمن ما استخرج في السنة التي قبلها ١٧ مليون ريال

رحلة سفن هدن

نشرت جريدة التيمس تلغرافًا من كلكتا في ٥ فبراير يقال فيهِ ان الدكتور سفن هدن الرحَّالة المشهور يكاد يتم رحلتهُ في تبت وانهُ قد اكتشف فيها مكتشفات جديدة اعظم من كل ما اكتشفهُ في الاثنتين والعشرين سنة الماضية وفي جملة ذلك بحيرات وانهار وجبال ومناجم ذهب لم تكن معروفة عند الاوربيين وقد رسم ذلك كلهُ في ١٨٤ خريطة

كلف الشمس

ظهرت كلف كبيرة على قرص الشمس في شهر فبراير الماضي ظهرت كلفتان منها في ٦ فبراير عند الحد الشرقي وعلى ١٥ درجة من خط الاستواء الشمسي جنوبًا وتبعتها كلفتان اخريان في ٨ فبراير وكلفة كبيرة في ٩ منهُ تسهل رؤيتها بالعين من خلال لوح مدخَّن من الزجاج وانتصف الشهر وهي ترى بالعين لكبرها

زلزلة كنجستن

كتب الاستاذ كارمودي الى جريدة التيمس يصف زلزلة كنجستن التي حدثت في ١٨ يناير الماضي وكان قد شاهد افعالها بنفسهِ فقال ان المباني الخشبية كانت اشد مقاومة من غيرها لفعل الزلزلة وتتلوها مباني السمنت وكانت مباني الطوب المشوي (القرميد) اقل مقاومة من غيرها وتتلوها مباني الحجر وان الجدران الشرقية والغربية هدمت واما الجدران الشمالية والجنوبية فلم تهدم دلالة على ان حركة الارض كانت شرقًا وغربًا. وفي الطرف الجنوبي من ساحة المدينة تمثال الملكة فكتوريا حرفتهُ الزلزلة الى الشمال قليلاً لكنهُ بقي قائمًا على قاعدتهِ وفي جنوبي الساحة تمثال آخر حرفتهُ الزلزلة الى اليمين وفي الساحة تمثال اللاب دبون وجههُ

الى الشمال الشرقي وقع عن قاعدتهِ وانكسر وتمثال آخر وجههُ الى الغرب انكسر من نصفهِ ووقع جزؤهُ الاعلى على قاعدتهِ من غير ان ينقلب. والتماثيل الاربعة لا يبعد بعضها عن بعض اكثر من مئة قدم

شجرة الصابون

في بلاد الجزائر شجرة تحمل اثمارًا صغيرة كالكرز لها بزور سوداء تصنع منها المسابح واللب الذي حول البزر كثير المادة الصابونية فيرغي في الماء كالصابون وينظف مثلهُ وهو يرسل الى المانيا ويصنع الصابون منهُ

اصل الانسان

ذكرنا غير مرة انهم وجدوا في جزيرة جاوى قليلاً من عظام حيوان متوسط بين الانسان والقرود . وقد جاء الآن ان ارملة الاستاذ سلنكا الالماني وعدت باعطاء ما يلزم من النفقات للبحث في جزيرة جاوى عن بقايا الحيوانات التي من هذا النوع فتألفت بعثة من العلماء لهذا الغرض عساها تكتشف ما يزيح الستار عن اصل الانسان وكيفية تولدهِ

هبات اميركية

وهبت مسز ساج الاميركية مئتي الف جنيه لمدرسة رنسلر الصناعية ومئتي الف جنيه اخرى لمدرسة اما ولرد والمدرستان من مدارس اميركا

ووهب المستر جون ركفلر مدرسة شيكاكو الجامعة ٥٤٠ الف جنيه فوق هباتهِ الكثيرة لها ووهبها ايضاً ٤٣٤٠٠ جنيه لنفقاتها الجارية ومن ذلك ٨٠٠٠ جنيه لتزاد بها اجور اساتذتها . وقد صارت هباتهُ لهذه المدرسة الآن اربعة ملايين من الجنيهات

هبة هندية

وهب السر كواسجي جهانجير رديمني لكين ونصفاً من الربيات (١٦٦٦٦ جنيهاً) لانشاء دار كبيرة في بمباي لامتحان تلامذة المدارس الجامعة جارياً في ذلك على خطة المرحوم والدهِ الذي انشأ مدرسة الفنستون الكلية ودار شيوخ المدرسة

الكتان البرازيلي

وجد في بلاد برازيل نبات سنوي تطول سوقهُ نحو ١٨ قدماً في السنة ولهُ الياف دقيقة كالياف الكتان يسهل نزعها وقصرها وصبغها وغزلها وقد جربت زراعتهُ واشترى اصحاب معامل الغزل والنسج كل ما نتج منهُ

زيت الزيزان

وجدوا في زيزان شرانق الحرير زيتاً كزيت السمك يمكن تنقيتهُ بالترشيح ويمكن استعمالهُ في عمل الصابون فيصنع منهُ صابون جيد

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين

فأثر كلامها هذا تأثيرًا شديدًا في مونموراسي فقبّل هدب ثوبها وانحنى امام الملكة وحيّا الامير ورئيس الاساقفة وخرج

وبعد انطلاقهِ دنا الرئيس من الملك العادل وقصّ عليهِ قصة ابنة اموري — اخبرهُ برغبة اغنس في التكفير عن جرائمها بالانقطاع الى دير تقضي فيهِ غابر حياتها والتمس منهُ ان يأذن لها في ذلك فقال لهُ : —

" انت تعلم جيدًا ايها الاب المحترم اني لم أغرِ اغنس بارتكاب ما ارتكبتهُ بل هي التي عرضت عليَّ حبًّا لم يمكني جمالها الرائع من رفضهِ لكني لم اجد من صفاتها ما بعثني على مقابلة حبها بمثلهِ . والمرأة التي لقيتها في غمرة الكفاح وساحة الطعان حيث كانت تباع الارواح بابخس الاثمان ولم يؤثر شيئًا في صلابة قلبها ما شاهدتهُ من الفتك باعزَّاء قومها والسفك من دماء شعبها . لم تقوَ قط على امتلاك ذرةٍ من حبي . ولا على الأخذ بشيءٍ من مجامع قلبي . وانما للجمال الوديع المجمَّل بالخفر والاحتشام . وللذات المزدانة بالطهر المستوجب الاحترام . يحنُّ فؤادي بزيد الهيام كما يحنُّ الى .... "

فاسرع الرئيس الى اعتراض النطق بالكلمة التي كادت تنمُّ بها شفتا الملك العادل وقال لهُ : —

" مولاي على مَ عزمتَ من جهة ابنة اموري ؟ "

" جعلت امرها في يدي الملكة فلتعنَ بها وتحنَ عليها لانهُ لم يبقَ لها غيرها من واقٍ بعدما فقدت شقيقتها من عهدٍ قريبٍ — سيبل ماتت ... " فصاح رئيس الاساقفة : —

"ماتت سيبل ؟ فماذا يصيب لوسيان ؟ وبمَ يتعلّل بعد الآن وقد ماتت من كان يتذرَّع بها الى طلب تاج بيت المقدس ؟ "

ثم افاض الملك العادل في شرح حالة الافرنج الراهنة واخبرهم بانَّ موت سيبل لم يغيّر شيئًا من طيش لوسيان ورعونتهِ فلا يزال مصرًّا على الادعاء بحقهِ في الملك وقصَّ عليهم ما بين الملك رتشرد وفيليب اغسطس من الشقاق الذي آل الى انقسام الافرنج بعضهم على بعض

فزفر رئيس الاساقفة زفرة الحزن والاسف على سوء مصير شعبهِ وكانت الملكة متعطشة الى ابلاغ زوجها لواعج شوقها اليهِ فاستأذنت الامير في الانفراد وهو على الفور حيّاها مودّعًا وشيّع متيلدة بنظر الوجد والحنين وذهب لشأنهِ

تخففت برنغاريا الى مخدعها واغلقت على نفسها واكبّت على الكتابة وسارت متيلدة تصحب رئيس الاساقفة الى المصلَّى قاصدة ان تعترف لهُ بذنوبها التي وبخت نفسها عليها فلما بلغا المكان المقصود جثت على ركبتيها امامهُ صارخة : —

" ما اشدّ حماقتي التي حملتني على هجر معتزلي الامين والمجيء الى هنا للوقوف على امور عبثت بسلامي السابق وذهبت براحتي الغابرة

" ماذا عسى ان يكون قد اعتراكِ وكدّر صفاء طهارتك ؟ "

" ان الامير فاجأني في البستان واخبرني بانهُ يحبني "

فأخذ يحدثها في ما من شأنهِ ان ينشطها ويزيل تأثير هذه الحادثة من افكارها . ولما رجعت الى مخدعها لم تجد اغنس هناك لأنَّ الملك العادل كان قد امرها بالانتقال الى مخدع آخر قريب من برنغاريا وشدّد عليها التنبيه بأن لا تبرح مخدعها هذا الآن حين تكون مع الملكة

الفصل الثامن

ابعاد رئيس الاساقفة عن دمياط

شغل حبُّ اميرة انكلترة قلبَ الملك العادل فلم يعد يكترث لشيءٍ آخر سواهُ . وكرّت عليهِ الايام فلم يزدهُ كرورها الاَّ قلقاً واضطراباً وبات من جراء هذا الحبّ الجديد عرضة للآمال والمخاوف فكان اذا نام يحوم الحبُّ على وسادتهِ ويبغتهُ بالهواجس والاحلام . واذا جلس للاستشارة او خرج لاستعراض الجيوش انساهُ موضوع حبهِ كلَّ شيءٍ آخر وغادرهُ مبصراً لا يبصر وسامعاً لا يسمع . وكان كلما زاد حبهُ يقلُّ صبرهُ وتضعف ارادتهُ . ولم يخفَ عليهِ ان ما تعاملهُ بهِ الاميرة من الصدود والاعراض كان يزيدهُ بها هياماً ويزيدها في عينيهِ جمالاً

وعبثاً كان يذهب كل يوم الى قصر الملكة معللاً نفسهُ بان يرى الاميرة هناك وكثيراً ما كان يسأل عن سبب غيابها فيسمع جواباً واحداً وهو : — انها بمقتضى مطاليب نذورها لا تستطيع الحضور امام الرجال

ولما لم يعد في إمكانهِ الصبر على هذه الحال جاء ذات يوم الى الملكة واطلعها طلع امرهِ وانذرها بانهُ لم يعد يستطيع احتمال هذه المعاملة وانهُ اذا دامت متيلدة محجوبة عنهُ لم يكن مسؤُولاً عما يأتيهِ من الاعمال التي يتحوّل فيها عن الرفق واللطف الى القسوة والعنف . الى ان قال : —

" تعلمين ما في اطلاقكم جميعاً بلا اذن صلاح الدين من الخطر . ومع ذلك فلو طلبت مني متيلدة الإقدام عليهِ لما تأخرت عنهُ "

فتأثرت برنغاريا من كلامهِ وسرّها الافتكار بامكان رجوعها الى زوجها لكنها لم تجسر ان تعلّل الملك الكامل بمثل هذا الامل واقتصرت على مقاسمتهِ الاسف على خيبة أملهِ وصرّحت لهُ بانها لا تستطيع اكراه متيلدة على هذا الطلب مع انها تتوقعهُ بفروغ صبرٍ . فاكتفى بهذا التصريح ولم يستزدها شيئاً

ثم ذهبت الملكة الى متيلدة فوجدت رئيس الاساقفة عندها وقصّت عليهما كل ما سمعتهُ من الملك وانهُ مستعدٌّ ان يطلقهم جميعاً بكلمة يسمعها من متيلدة لانهُ يحبها محبة تفوق الوصف

فاضطربت الفتاة من سماع هذا الكلام وتوردت وجنتها البيضاء بحمرة فاقعة واطرقت اطراق الاتضاع واسرفت في لوم نفسها على إضرامها نار الحبّ في فؤاد هذا الامير

فقالت لها الملكة : —

" ماذا عليكِ لو نزعتِ عن الغلظ والعنف وسالت الامير ان يُطلق سراحنا . اسمحي لهُ ان يراكِ مرة واحدة فقط . فقد اقسم انهُ ليعطينّكِ مهما طلبتِ ! "

فاعترضها رئيس الاساقفة بقولهِ : —

" لا اكتم عن جلالتكِ ان الاميرة بعدما اذعنت الى نصحي وارشادي لا تبقى دقيقة واحدة في حضرة رجلٍ اقدم على رفع نظرهِ الى محياها الطاهر

وفي الصباح التالي زار الملك العادل الملكة فبلّغتهُ خلاصة ما كان من اجتماعها برئيس الاساقفة ومتيلدة فقال لها : —

" بما انهما رفضا مقابلتي والاصغاء الى ما عندي من الاقتراحات فلسوف الزم الصمت المطلق وادع غيري يحصد نتيجة هذا السعي الذميم "

فاجابتهُ برنغاريا باكيةً : —

" أوّاهُ ! إذاً اين عدلك الذي هو موضوع افتخارك ؟ أتؤاخذني بذنب غيري ؟ ألا تعلم انهُ لا يمكن تحقيق شيءٍ مما ترجوهُ ما دام رئيس الاساقفة بجانب الاميرة "

" إذاً رئيس الاساقفة حائلٌ دون ادراك مرامي ؟ "

" انهُ كما لا ازيدك علماً رجلٌ ذو حكمةٍ واختبار وتقوى . وهو عالم ان متيلدة زهدت في العالم ونذرت ان تقضي حياتها في التبتّل لله منقطعة عن كل ما يعبث بطهارة نفسها "

فلما سمع الملك العادل هذا الكلام عزم في الحال على اخراج رئيس الاساقفة من دمياط . ولكن الى اين ؟ الى احدى المدائن منفياً مأسوراً ام الى معسكر الافرنج ؟ . وهنا تنازعتهُ الفطنة وكرامة الاخلاق . ولكن في مثل فؤاد الملك العادل تكون الغلبة على الدوام للعاطفة .

الثانية وعليهِ لم يلبث ان سدَّ أُذنيهِ دون استماع صوت الفطنة وعلى الفور استدعى اليهِ رئيس الاساقفة ولما حضر قال لهُ : —

" ارسل اليَّ صلاح الدين يقول انهُ لا يسمح باطلاق ملكة انكلترة حتى يرفع الافرنج الحصار عن عكاء . ولا اعلم هل يتغلَّب ميل رتشرد الى انقاذ زوجتهِ من الاسر على مطامع نفسهِ الحربيَّة ويفيدهُ جدًّا في مثل هذا الوقت ان يكون معضودًا باصالة رأيك ونصائح حكمتك وبناءً عليهِ اطلق لك حريتك لتذهب اليهِ مع مونمورانسي وتطلعهُ على ما يعرضهُ صلاح الدين فاذا قبلهُ واقنع باقي الملوك الذين معهُ — وذلك في استطاعتهِ — كفينا البلاد والعباد غوائل الحرب وعشنا في صلحٍ وسلام . ولكن ان اصرَّ على عزمهِ وآثر عكاء على زوجتهِ فقل لهُ اني متأهب للاقائهِ "

فلم يصعب على رئيس الاساقفة معرفة السبب الحقيقي لرغبة الملك العادل في ابعادهِ عن دمياط . لكنهُ قال في نفسهِ : — " لماذا يطلق لي حريتي ؟ لماذا يأذن لي في الرجوع الى شعبي ؟ الم يكن في استطاعتهِ ان يرسلني سجينًا الى مكان آخر ؟ او من الضروري ان تكون الشهامة الممتاز بها الملك العادل ظاهرة حتى في مساوئهِ ؟ "

ومجمل القول ان الحبَّ الذي اطاش الملك العادل راع رئيس الاساقفة وزادهُ تمسكاً بوجوب البقاء مع متيلدة ليقيها شرَّ المخاطر المعرَّضة لها . فقال للامير : —

" لا يظنَّ سيدي الامير ان حبَّ رتشرد لمليكتهِ يغريهِ بقبول هذا الاقتراح المهين فمع انهُ لا يبخل حتى بسفك دمهِ في سبيل انقاذ الملكة من يدك ما كان قط ليحجم عن تضحية برنغاريا حبًّا بمصلحة بلادهِ وقومهِ . وقس عليهِ باقي ملوكنا وامرائنا . ولا اكتمك اني لو آنست فيهم اقلَّ هشاشة الى قبول هذا الاقتراح لبذلت جهدي في صرفهم عنهُ بكلامٍ يصبغ وجوههم بحمرة الخجل والاستحياء من ركوب مثل هذه الدناءة . وحاشا لكاهن مثلي ان يقبل وهو رسول السلام سفارة كهذه ليس فيها سوى استثارة العداء وحب الانتقام "

" ومع ذلك فاياك انتدبتُ الى ابلاغها . وفي مساء هذا اليوم تنطلق مع القافلة التي تصحب مونمورانسي الى معسكر الافرنج محفوفًا بما كان لك عندي هنا من الرعاية والاكرام . لكنني لا اسمح لك بالبقاء يومًا واحدًا في دمياط . وما اظنك تقدم على مخالفتي في هذا الامر "

وعلى الفور بادر رئيس الاساقفة الى الاجتماع باميرة انكلترة وقال لها : —

" لا ابقى عندك سوى دقائق معدودة . فالاله الصالح يحرسك ويحفظك . اتكلي عليهِ وحدهُ . ان الملك العادل صمم على ابعادي عنك لكي يأمن مراقبتي ورعايتي ويضمن لنفسهِ

الاقتراب منك " فصاحت متيلدة مرتعدة :

" ماذا . أتتركني يا ابي ! "

" ان يوم الضيق قد جاء يا ابنتي فعلينا ان نستقبلهُ بعزم وثباتٍ وليست هذه الامتحانات التي تتعرضين لها سوى عنوان محبتهِ تعالى . واذا مسَّت الحاجة فايَّاكِ ان تتأخري عن تضحية حياتكِ في سبيل ما هو اثمن منها وهو شرفكِ "

فسألتهُ باكيةً :—

" أوَّاهُ يا ابي اني لم ادرك مرادك بهذا الانذار فأتوسل اليك ان تزيدني ايضاحاً "

" ان الامير يتمخض بميلٍ عاليٍّ اليكِ ويروم ان يجعلكِ في عداد زوجاتهِ — انتِ ابنة الملوك وعذراء الطهارة والقداسة ! انكِ ترتعدين من سماع هذا الكلام وتشعرين بان مجرَّد الافتكار بهِ يشين قداستكِ ! فتشجعي ووطني نفسك على الموت ان مسَّت الحاجة لان الله يكون قريباً منكِ والسماء تنفتح لقبول نفسكِ المفدية "

" رحماك يا ابي لا تتركني ! "

" اني مكرهٌ على ذلك كما اخبرتكِ . وفي مصارعتكِ التجارب وحدكِ زيادة مجدٍ لك واذا شعرتِ من نفسكِ بالضعف وعدم استطاعة الثبات فالتمسي من الامير ان يأذن لكِ في الذهاب الى البادية حيث تجدين اطلال دير للقديس يوحنا يقيم فيها ناسكٌ تقيٌّ عرف قبلاً بالحكمة والاقتدار على حلّ المعضلات وكشف اسرار الارض والسماوات . ثم زهد في الدنيا واقام في اطلال هذا الدير منقطعاً للصوم والصلاة واضافة الغرباء فاياهُ اعتمدي في المساعدة والتمسي صلواتهِ فانها تعرف اقرب طريق الى السماء "

وبلغ برنغاريا خبر انطلاق رئيس الاساقفة فجاءت تروم الوقوف على السبب فلما اطلعها على مقترح الامير لاجل ابعادهِ عن دمياط صاحت :—

" ويلاهُ ! ايطلب صلاح الدين لاجل فديتي ما يكون فيهِ العار والخجل لزوجي ؟ فان صحّ ان هذا مرادهُ فاني موتاً اموت ولن ارى رتشرد المحبوب ! ولكن ليعلم رتشرد اني لاأموت وحدي بل يموت معي في احشائي وارث اسمهِ وعرشهِ ! "

" خلي عنك الجزع فالعناية الالهية حافظة لك وسوف تعودين الى انكلترة ومعك سليل هنري الثامن العظيم . والآن استودعك متيلدة فاشمليها بعنايتك وقبل انطلاقي ساجتهد في اقناع اغنس بالذهاب معي إذ لا سبيل الى خلاصها الاَّ بابعادها عن دمياط . الوداع ايتها الاميرتان المنكودتا الحظ "

وبعد ما رفع يديهِ فوق رأسيهما وباركهما انطلق وعيناهُ غارقتان في الدموع وفؤادهُ مملوءٌ حزنًا واكتئابًا

الفصل التاسع

الوصول الى عكاء

وذهب رئيس الاساقفة الى اغنس وعرض عليها الذهاب معهُ قائلاً لها : — "إذا لم يسهل عليك الذهاب الى المعسكر ففي دير القديسة هيلانة على جبل الكرمل تلقين قبولاً وترحيبًا من قديساتٍ عائشات عيشة التقوى والطهارة والاتضاع وقمع النفس والجسد فلا يحسبن انفسهنَّ افضل منكِ ولا يذكرنَ آثامك الاَّ حينما يلتمسن لك الصفح والغفران . وفي هذا المنقطع تستطيعين يا ابنة اموري ان تكفّري في المسوح والرماد وتترضّين اباك السماوي . واحذري من ان تقسّي قلبك لانَّ اثم التمرُّد والعصيان شرٌّ من اثم الخطيئة"

فصاحت اغنس مضطربةً : —

"اتركني يا ابي . اتوسّل اليك ان تتركني . فما انا بقادرةٍ — كلا لست بقادرةٍ ان اتوب . ليس في فؤادي مكان الاَّ لشيءٍ واحدٍ وهو حبُّ الانتقام !"

"اذا كان الامر كذلك فاصحبيني الى المعسكر وهناك اقرني ضراوتك بغيرة جيشنا وحمية عساكرنا".

"ليس الآن . ساتوقع ذلك هنا . ولا اذهب معك"

"خلي عنكِ العناد ولا تضيعي هذه الفرصة"

"قلت لك لا اذهب فلا تتعبِ ولا تعتب"

وحينئذٍ تركها وخرج ولما بلغ الباب التفت اليها لعلهُ يرى في وجهها علامة — كلمة او دمعة او زفرة تشير الى ندامتها فرآها لا تزال مصرّةً على عزمها ولم تبدِ اقلَّ علامةٍ تدلُّ على تحوُّلها عنهُ . فذهب خائب الامل يطلب القافلة خارج بوابة دمياط الشرقية وهناك رأى مع مونمورانسي عددًا من الاسرى الذين دفعوا فدية نفوسهم وأُذن لهم ان يصحبوا هذا البارون ويتطوعوا لخدمتهِ . وانضمَّ اليهم فريقٌ من الرهبان الزوّار الذين ارادوا الشخوص الى اوربا عن طريق صور . وارسل معهم الملك العادل فصيلة من الجنود لحمايتهم على الطريق

وسار الرَّكبُ على شاطئ البحر المتوسط ليتقّوا بنسمات البحر لذع الحرارة المنبعثة من رمال الشاطئ المحرقة . وكانت جميع المدن التي اجتازوها قد اصبحت في حوزة صلاح الدين

ولم يكن منها واحدة خالية من رسوم عظمة الافرنج القديمة وآثار صولتهم الغابرة

وبعد ما اجتازوا غزة ويافا وقيصرية وعسقلان وجبل الكرمل اقبلوا على عكاء وأبصروا من بعيد اعلام الافرنج خافقة فوق معسكرهم فأُفعم فؤاد رئيس الاساقفة فرحاً ومروراً وجد المسير اليهم يتبعهُ مونمورانسي وظلَّ الباقون سائرين على مهل

ولما رأى حرّاس معسكر الافرنج فصيلة من جند العرب قادمة اليهم من بعيدٍ ومعها كاهن يتفحصان المعسكر عن قربٍ ظنوها خديعة حربيةٍ واوجسوا خوف المباغتةِ فاعلنوا الحذر بابواقهم فنهض الافرنج على الفور الى اسلحتهم واندفعوا الى المقدَّم حتى اذا بلغوا الحصون رأوا رئيس اساقفة صور وقد اخذ منهُ التعب كل مأخذٍ وكان لوسيان اوَّل من عرفهُ فاسرع الى استقبالهِ ولا حاجة الى وصف الترحيب والسرور اللذين لقيهما وليم ومونمورانسي من ملوك الافرنج وامرائهم فانهما كانا عاملين شاملين يعجز القلم عن وصفهما ·

ولما سألهما رتشرد عن زوجتهِ وشقيقتهِ قال لهُ الرئيس :—

" لا يمكن ان تنالا حتى في قصرها ما تنالانهِ عند الملك العادل من الاكرام والاحترام وسأرجئ تفصيل ما يتعلق بهما وبمجيئي الى هنا . اما الآن فارجو قبل كل شيء ان تحسنوا ما استطعتم معاملة الجنود الذين رافقوني · واسمحوا لهم بالذهاب الى عكاء لاني وعدتهم بذلك جزاء حسن معاملتهم لنا في الطريق "

فأُجيب ملتمسهُ باستحسانٍ عام ورغب كثيرون من عساكر الافرنج في مرافقتهم الى بوابة عكاء وقد بالغوا في هذه المسافة القصيرة في معاملتهم لهم كاخوةٍ لا كاعداء ·

وطلب رئيس الاساقفة الى رتشرد ان يأمر في الغد بانعقاد مجلس شوري عام واخذ يستعد له بايقاظ افكار الجموع وإعدادهم لاستماع ما كان مزمعاً ان يخاطبهم بهِ واطلع على اسباب الشقاق الطارئ وخاطب رتشرد في شأنهِ ووبخ لوسيان على تصلبهِ المنذر بشرّ العواقب وعنف فيليب اغسطس قائلاً لهُ انهُ لم يأت الى الشرق لاجل تتويج ملك القدس بل لاسترجاع بيت المقدس . وخلا بدوق بافاريا الذي تولى قيادة الالمان بعد وفاة الامبراطور فردريك واستمال اليهِ الهوسبيتاليين وامراء جنوى والهيكليين وفرسان مار يوحنا

الفصل العاشر

فتح عكاء

وما تورَّدت وجنة الشرق بضياء الفجر حتى نهض رئيس الاساقفة من مضجعهِ وسار الى مجلس الشورى حيث نصبت ثلثة عروش احدها لرتشرد والثاني لفيليب اغسطس والثالث بقي فارغاً لانهُ نصب لامبراطور المانيا المتوفى فاستوى نائبهُ دوق بافاريا على كرسيٍّ تحتهُ · وجلس بعدهُ منتخبو المملكة وامراء فرنسا وبارونات انكلترة واشراف الكنيسة كلٌّ في رتبتهِ وقام في الجهة الرابعة اشراف المشرق وامراء انطاكية والجليل ويافا وطرابلس والقبر المقدس يتقدمهم كلهم لوسيان وكونراد المتناظران والمتنازعان لعرش جلس عليهِ رجل آخر غيرهما

ولما انتظم عقد الجلوس وحفَّ المجلس باولئك العظماء والكبراء نهض رئيس اساقفة صور مكشوف الرأس متوقد العينين وطفق يتدفق كالسيل بفصاحة سالبة وبلاغة خالبة وحجج دامغة وبراهين بالغة منذرًا بسوء المغبة ووخامة المنقلب متوعدًا اولئك الجانحين الى زرع الإحن والفتن بحصاد شر البلايا والمحن · جارحاً كبرياءهم باسنة الملام ناصحاً لهم بالعدول عن النزاع والخصام · ومما قالهُ لهم :—

"طالما سمعت رجال صلاح الدين يقولون بعضهم لبعض : لماذا زحف اولئك الملوك العظماء الينا ؟ أليخيموا في ارضنا ويتمنعوا في حصونهم وراء متاريسهم وهم لا يجسرون ان ينازلونا في ساحة الوغى ؟ ·" وليس هذا منتهى العجب وغاية المصاب الاكبر أن صلاح الدين غير واقف امامكم موقف المشاهد اللاهي بمنازعاتكم بل ترونهُ منصرف العناية الى تجنيش الجيوش وحشد الكتائب وتعبئة الفرض البحرية بالسفن الحربية حتى اذا تمَّ لهُ المراد من كمال التأهب والاستعداد صلاكم نارًا لا تستطيعون عليها صبرًا وكسركم كسرة لا ترون لها جبرًا

"وهو فوق ذلك كلهِ متوقع مضافرة حليف لهُ اشد من جيوشهِ بطشاً وفتكاً فكلُّ يومٍ يمرُّ بكم في هذه الانحاء يحمل بين يديهِ عطشاً وجوعاً ووباءً حتى اذا بلغت الشمس السرطان واخذت ايام الدبّ تمطركم بصيِّب النيران ونضبت العيون والحياض ويبست الحقول والرياض وتفشى بينكم الوباء قائماً على قدم الاجتياح والاكتساح ومغادرًا الذين نجوا منكم من فتكاتهِ اسرى الضنى لا قبل لهم على حمل السلاح حينئذٍ ينقضُّ عليكم صلاح الدين انقضاض النيازك ويوردكم موارد البوائق والمهالك · حينئذٍ يباغتكم ضرغام المعامع والمعارك الملك العادل الباطش الفاتك فيمكّن سنانهُ في الصدور وحسامهُ في الرقاب ويجرفكم جرف السيول للتراب

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ صفر سنة ١٣٢٥

الجمعية العمومية والتعليم

التعليم باللغة العربية

عقدت الجمعية العمومية المصرية في اوائل شهر مارس واقترحت على الحكومة اقتراحات كثيرة يهمُّ المجلات العلمية البحث فيهما ومنها تعليم العلوم باللغة العربية وهذا نص الاقتراح على ما اوردهُ سعادة محمود سليمان باشا

تقترح على الجمعية العمومية ان تلتمس من حكومة الجناب العالي ان توجه نظرها الى تعليم العلوم باللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية لأن هذه اللغة بصفتها لغة البلاد يجب ان يعلمها الطلبة حق العلم واكمل ما يكون ذلك اذا درسوا بها العلوم ولأن التلامذة في هاتين الدرجتين من درجات التعليم هم احدث سنًّا من ان يتقنوا فهم العلوم بلغة غير لغتهم . وبالجملة نقول ان تدريس العلوم باللغة الاجنبيَّة يضيع على التلامذة كثيرًا من العلم

اما اللغات الاجنبيَّة فيصير تعليمها قائمة بذاتها لتلامذة المدارس المذكورة

وتلاهُ حضرة الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد فقال : — من القواعد التي لا خلاف فيها ان تعليم العلوم بلغة الامة اكثر نفعًا واعظم فائدة بما لا يقدر من تعليمها بلغة اجنبية عنها . ذلك لان التعليم بلغة الامة ينقل العلوم بكليتها اليها بخلاف التعليم باللغة الاجنبيَّة فانهُ ينقل افراد المتعلمين فقط من الامة لهذه العلوم

التعليم بلغة الامة يوجد الاساتذة الاكفاء منها ويوجد الكتب فيها بلغتها فينشر العلم في المنازل وفي المنتديات الى حدٍّ ان يأخذ كلٌّ من يحسن القراءة منها نصيبًا . وان العلم طوَّاف في العالم ينزل ضيفًا على الامم ولا يستوطن الاَّ اللغات فان وجد لهُ متسعًا منها ولا يكون ذلك الاَّ بالاستعمال اتخذها وطنهُ وكانت بهِ حياتها الى ان تحدث الحوادث التي تحل بالامم

فتوقف حركة النموّ فيها او تقلبها رأساً على عقب فاول مقاتل العلم اللغة وآخرها اللغة

واذا كان بالعلم حياة الامم فهو لا يحييها الاَّ اذا دبَّ في جسمها كالدم في الشرايين ولا طريق لهُ في حلولهِ سوى اللغة التي هي آلة التفاهم . لذلك كانت الحكومة الخديويَّة اول ما فكرت في انشاء المدارس المنظمة على سنن الحكومات المرتقية قد جعلت اللغة العربية اساساً للتعليم حتى كان الاستاذ الاوربي يعلّم والمترجم المصري بجانبهِ يترجم اقوالهُ للطلبة الى ان وجد من المصريين الاساتذة الاكفاء في جميع العلوم العصرية وهؤلاء كانوا يترجمون الكتب ويؤلفونها بالعربية في جميع العلوم . وفي الكتبخانة الخديويَّة مئات من المؤلفات المدرسية التي كانت تدرَّس في المدارس الاميريَّة ولو استمرَّ الحال على هذا المنوال الى الآن لوجدت الالوف من هذه الكتب ترقى وتتهذب في نوعها سنة فسنة على مثال ما يرقى ويتهذب مثلها في البلاد الاوربية

ولكن حصل خطأ في طريقة التعليم في المدارس الاميرية من بعض الذين كانوا قابضين على ازمتها منذ بضع عشرة سنة اذ قال باستعمال اللغات الاجنبيَّة آلة للتعليم في المدارس العالية ثم حصل التوسع في هذا الخطإ بمعاذير تزيد كلما طال الزمن لانها منحصرة في ثلاث علل كما يقولون . الاولى قلة الاساتذة الوطنيين الاكفاء . الثانية قلة الكتب العربية المؤلفة في العلوم المدرسية او عدم صلاحية ما يوجد منها . الثالثة فقر اللغة في الاصطلاحات الفنية التي تزيد كل يوم في العلوم باللغات الاجنبيَّة

والحقيقة ان ما يسمونهُ عللاً هو في الواقع نتائج معلولة لعلة واحدة هي هجر اللغة العربيَّة من تعليم العلوم لان هذا الهجر استدعى جلب الاساتذة من غير المصريين وفي كل عام منذ تقرر التعليم باللغات الاجنبيَّة يزيد عددهم في مدارس الحكومة وهذا الجلب افضى الى قلة الاساتذة المصريين الاكفاء بالضرورة كما افضى الى قلة الكتب المدرسيَّة بل الى فقدانها بالمرة

وان اللغة كالبناء الذي يشاد وتحفظ معالمهُ بالتعهد والعناية — تحيا باستعمالها في العلوم وتموت بعدم الاستعمال فالذي يهجر بيتهُ ويهملهُ زمناً طويلاً انما يهدمهُ بيدهِ فان كانت اللغة العربيَّة خالية من الاصطلاحات الفنيَّة الآن كما يقولون فليس هذا مع تسليمهِ ذنب اللغة ولكنهُ ذنب مهمليها من ادخال الاصطلاحات المتجددة فيها . واللغة العربيَّة لا تأبى الدخيل فيها من اللغات الاجنبيَّة متى كانت الحاجة ماسة اليهِ وقد ترجمت اليها العلوم اليونانيَّة باصطلاحاتها قبل الف سنة فلم تضق ذرعاً عن كل دخيل اقتضاهُ التوسع في العلوم . فشأن اللغة العربيَّة اليوم شأن اللغات التركيَّة والبلغاريَّة والمجريَّة والروسيَّة والصربيَّة واليابانيَّة وما

شا كلها فان العلوم العصريَّة الاوربيَّة تعلم في تلك الممالك بلغاتها الوطنيَّة ولم تقف الاصطلاحات الفنية عقبة دون استعمالها

فتعليم العلوم كلها في المداس الاميريَّة باللغة العربيَّة موقوف على ارادة نظارة المعارف العموميَّة التي لو ارادت اوجدت مدرسة معلمين كبرى تكفي لتخريج خمسين او ستين استاذًا كل سنة بدلاً من مدرسة المعلمين الموجودة الآن تفتح سنة وتقفل اخرى حيث لا يقصدها الاَّ مرتاب في مستقبله عالم ان منتهى امرهِ ان يكون معلمًا صغيرًا في مدرسة ابتدائيَّة بمرتب يتناول مثلهُ كاتب بسيط في احد الدواوين

ولو ارادت ايضًا لتابعت الارساليات الى كليات اوروبا العالية للنبوغ في اصول التربية والتعليم كما كانت تفعل والتعليم يجرى باللغة العربيَّة وهي مهتمة بترقيتهِ ولو فعلت ذلك لكان عندها كل ما تريد من صفات الاساتذة الاكفاء بين الوطنيين

ولما كان استمرار طريقة التعليم باللغات الاجنبيَّة مؤديًا ولا ريب الى حصر العلم في دائرة ضيقة جدًّا من الامة ومقللاً بالضرورة للاساتذة الاكفاء من الوطنيين وملاشيًا للكتب العلميَّة والفنية التي بلغة البلاد ومميتًا لهذه اللغة شيئًا فشيئًا. وكل هذه النتائج مضار كبرى تلحق بالامة المصريَّة ولا علاج لها الاَّ تعديل طريقة التعليم الجارية الآن باللغة الاجنبيَّة . فانا التمس من هيئة الجمعية العمومية الموافقة على طلب تعليم العلوم في مدارس الحكومة وامتحان طلبتها باللغة العربيَّة وان يكون الشروع في ذلك من السنة المقبلة باستعمال هذه الطريقة في المدارس الابتدائيَّة حيث الاساتذة الذين يعلمون علومها وطنيون يعرفون اللغة العربيَّة اكثر من معرفتهم اللغات الاجنبيَّة وفي قدرتهم ان يترجموا الدروس التي يلقونها على الطلبة من الكتب الافرنجية . وان تتخذ الحكومة الوسائل الفعالة لايجاد الكتب العربيَّة الصالحة في كل علم وفن . وان تتدرج من ذلك الى استعمال هذه الطريقة نفسها في المدارس الثانويَّة فالعالية . انتهى

وكان سعادة ناظر المعارف حاضرًا فاجابهُ قائلاً : — اني اتمنى بصفة كوني مصريًّا ان يكون التعليم في المدارس جميعها بلغة بلادنا ولكن ما كل ما يتمني المرء يدركهُ لان هناك صعوبات كثيرة تحول بيننا وبين بلوغ هذه الامنية الآن . وهذه الصعوبات وان كان يجب السعي لتذليلها وصرف العناية لتسهيلها الاَّ انهُ يلزم ان نحسب الآن حسابها

ان الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الاجنبية لمحض رغبتها او اتباعها لشهوتها ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الامة واقتداء بالامة نفسها

ان مركز الامة من الامم الاخرى واختلاطها بالاجانب واشتباك المصالح الاجنبية بالمصالح

الوطنية كل ذلك يوجب ان يكون تعليم العلوم باللغة الاجنبية لكي يتقوى التلاميذ فيها كما ينبغي ويمكنهم بها ان يستفيدوا من المدنية الاوروبية ويفيدوا بلادهم بها ويقووا على الدخول مع الاجانب في معترك هذه الحياة حياة العلم والعمل. شعرت الامة بهذه الضرورة قبل شعور الحكومة بها فارسلت كثيرًا من ابنائها الى المدارس الاجنبية كمدارس الفرير والجيزويت والامريكان التي تعلم العلوم فيها بلغات اجنبيَّة لكي يجيدوا تعلمها وتركوا مدارس الحكومة التي كان التعليم فيها باللغة العربيَّة لشعورهم بانها لم تكن كافية لسد حاجاتهم ولذلك امتلأت تلك المدارس الاجنبية بالطلاَّب قبل ان تقرر الحكومة التعليم باللغة الاجنبيَّة

لما رأَت الحكومة ذلك وتحققت ان في بقاء التعليم في مدارسها باللغة العربيَّة ضررًا بتلاميذ هذه المدارس لضعفهم عن مجاراة اخوانهم بالمدارس الاجنبية في معترك هذه الحياة ومسابقة غيرهم من الاجانب الذين كانوا ينسلون الينا من كل حدب ويتسابقون الى مزاحمتنا على منافع بلادنا اضطرت ان توجب التعليم باللغة الاجنبيَّة (الفرنسيَّة او الانكليزيَّة) وكان اول من سعى في ذلك ونفذهُ سنة ١٨٨٩ هو المرحوم علي مبارك باشا الذي يعرف كلنا منزلتهُ من العلم وفن التربية وحرصهُ على منفعة البلاد

ومع كون التعليم حاصلاً من ذلك العهد بلغة اجنبيَّة فلا تزال الشكوى تتقدم بعد الشكوى لذوي الحل والعقد من ضعف التلاميذ في اللغة الاجنبيَّة وقد تقدم اليَّ كثير منها مع قرب عهدي بوظيفتي حتى ان احد رؤَساء المصالح حضر عندي واخبرني بان لديهِ ٢٤ وظيفة خالية ولم يجد من بين حاملي الشهادة الابتدائيَّة من يمكنهُ القيام بواحدة منها وانهُ مضطر لذلك ان يعين فيها من الاجانب وطلب مني النظر في طريقة تقوي تلامذتنا في اللغات الاجنبيَّة. وكثيرًا ما تكلمت الجرائد عن هذا الضعف واقرب كلامها ما نشر في بعض الجرائد بامضاء مصطفى صبري يشكو فيهِ مر الشكوى من ذلك

زرت مدرسة للبنات في مدينة الفيوم ووجدت تلميذاتها قليلات ولما سأَلت عن ذلك قيل ان السبب فيهِ هو عدم تعليم لغة اجنبية فيها

عندما انشئت مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي انا احد مؤَسسيها رأينا ان لا ندخل اللغات الاجنبية فيها ولكننا لم نلبث ان شعرنا بهذا الخطإِ فعدلنا عنهُ واضطررنا لادخالها وان جميع المدارس الحرة اي التي ليست تابعة للحكومة حتى التي يديرها اشد الناس تعصبًا للغة العربية يعلم فيها باللغة الاجنبية

وما ذلك الاَّ لشعور الامة بشدة احتياجها الى تقوية ابنائها في اللغات الاجنبية وفي

الحقيقة اذا فرضنا انهُ يمكننا ان نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيهِ فعلاً فاننا نكون اسأنا الى بلادنا والى انفسنا اساءة كبرى لانهُ لايمكن للذين يتعلمون على هذا النحو ان يتوظفوا في الجمارك والبوستة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة التي يقتضي نظامها وجود كثيرٍ من الموظفين العارفين باحدى اللغات الاجنبية حق المعرفة ولا ان يستخدموا في بنك او مصرف ولا ان يشتركوا في شركة من الشركات التي كثر تأسيسها الآن في بلادنا ولا ان يكونوا محامين امام المحاكم المختلطة ولا مترجمين ولا غير ذلك من كل ما يحتاج فيهِ الى البراعة في لغة اجنبية وهو كثير جدًّا في بلادنا

اذا قطعنا النظر عن ذلك كلهِ واردنا ان نشرع من فورنا في التعليم باللغة العربية صادفتنا صعوبة مادية وهي قلة المعلمين الاكفاء الذين يمكنهم تعليم الفنون المختلفة باللغة العربية وسواء كانت هذه الصعوبة ناشئة من فعل نظارة المعارف كما يقول سعادة الشيخ علي يوسف في اقتراحهِ او ناشئة كما هو الواقع عن امور اخرى لا محل الآن لتفصيلها فالحقيقة انها موجودة ويستحيل مع وجودها الشروع الآن في التعليم باللغة العربية فاذا كنتم مع ذلك توافقون على الاقتراح المقدم لكم كنتم كمن يحاول الصعود الى السماء بلا سلم

لذلك كلهِ ارجو ان لا تندفعوا في هذه المسألة وراء احساسكم وان تستشيروا قبل البت فيها العقل والحكمة اذ لا فائدة لكم من ان تطلبوا طلبًا تعلمون من الآن انهُ لا يقابل بغير الرفض لاستحالة تنفيذهِ . وكل ما يمكنكم ان ترغبوهُ مني وما يمكنني ان اشتغل بهِ واقدمهُ خدمة لوطني هو السعي في تذليل تلك الصعوبة المادية وهو ما عقدت النية عليهِ وتشتغل بهِ نظارة المعارف الآن من توسيع نطاق مدارس المعلمين والارساليات الى اوربا وتحسين حالة موظفي المدارس حتى يمكن وجود عدد كافٍ يتولى التعليم باللغة العربية كما ارغب وترغبون واني اذا وفقت لتحقيق هذه الامور الثلاثة خدمت بلادي خدمة جليلة فارجوكم ان تساعدوني عليها وان لا تضعوا في طريقي عقبات تحول بيني وبين تحقيق امانيكم

يقول سعادة الشيخ علي يوسف انهُ يمكن مع الاساتذة الموجودين الآن في المدارس الابتدائية ان تعلم فيها كل العلوم باللغة العربية ولكن اذا شرعنا في ذلك من السنة المقبلة كما يقول سعادة المقترح فلا يمكن للتلاميذ الذين يتخرجون منها على هذا النحو ان يسيروا مع اخوانهم في المدارس الثانوية لوجود التعليم فيها باللغة الاجنبية ولا يمكن التعليم في هذه الاخيرة باللغة العربية لعدم وجود الاكفاء من المعلمين الآن وهذا يوضح لكم ان نظام المدارس كبناء يجب ان لا ينقض حجر منهُ قبل النظر الى جملتهِ خشية ان يتداعى البناء كله الى السقوط

اني اردت ان ادخل معكم في هذا البيان خلافاً لما تعودتموهُ لانقل اليكم احساسي وما في نفسي ولأبين لكم الاسباب التي تحملكم على التأمل والتفكر في هذا الموضوع الخطير واني واثق من انكم اذا تأملتم تأملي ودققتم النظر فيهِ كما ينبغي وافقتموني على رفض ذلك الاقتراح الآن . انتهى

واقرَّت الجمعية العمومية اخيرًا على قبول الاقتراح بعد تعديلهِ اي ان يجعل التعليم باللغة العربية شيئاً فشيئاً

ولقد كان غرض الحكومة من جعل التعليم بالفرنسويَّة او الانكليزيَّة تمكين المتعلمين من هاتين اللغتين كما تقدم لان الغرض الاكبر من مدارس الحكومة تخريج العدد الكافي من الشبان لاجل الخدم الاميريَّة واللغة الانكليزيَّة او الفرنسويَّة لازمة لهم والَّا اضطرَّت الحكومة ان تستخدم سواهم في مصالحها . وسواءٌ اصاب الذين نقلوا التعليم من اللغة العربيَّة الى غيرها او لم يصيبوا فتلقّي العلوم باللغة العربية او بغيرها امرٌ هامٌّ جدًّا لذاتهِ من حيث مصلحة التلامذة بنوع خاص ومن حيث مصلحة البلاد بنوع عام . ولكلٍّ منهما مزايا

فاولاً — اذا عرف التلميذ اللغة الاجنبية معرفةً كافية لفهم كتبها البسيطة لم يعسر عليهِ فهم كتبها العلمية اكثر ممَّا يعسر عليهِ فهمها اذا كانت تلك الكتب بالعربية ويؤيد ذلك ان الذين تلقوا العلوم في فرنسا او انكلترا من المصريين والسوريين نبغوا فيها كما نبغ رفاقهم من الفرنسويين والانكليز وكما نبغ اخوانهم الذين تلقوا العلوم بالعربية في مصر وسوريَّة

وثانياً — ان الذين يتلقون العلوم بلغة اجنبية يسهل عليهم استعمال تلك اللغة كتابةً وتكلماً اكثر ممَّا يسهل على الذين لم يتعلموا العلوم بها

وثالثاً — ان وسائل الدرس والمراجعة باللغات الاجنبية اكثر واقرب من وسائل الدرس والمراجعة بالعربية وكتب التعليم اكثر واحدث مما يمكن ان يوجد بالعربية

ورابعاً — يسهل وجود الاساتذة المختصين بالعلوم من الاوربيين اكثر ممَّا يسهل وجود اساتذة مثلهم من الوطنيين لان الاستاذ الوطني الذي يبرع في الطب او الحقوق او الكيمياء يجد الباب مفتوحاً امامهُ لوظائف عالية كثيرة الريع او للكسب الوافر من معاطاة الاعمال — لقلة المتعلمين عندنا حتى الآن واما البارعون في هذه العلوم في المانيا وفرنسا وانكلترا فكثار جدًّا ولا يصعب استخدامهم في التعليم كما يستخدمهم غيرنا من امم المشرق ولا يسهل عليهم التعليم الَّا بلغتهم . هذه اهم المزايا التي يميز بها التعليم بلغة اجنبية على التعليم بالعربية

وللتعليم بالعربية مزايا لا تنكر اولها انهُ يدفع الحكومة الى الانفاق على ترجمة الكتب

العلمية ونشرها وتجديد تنقيحها ونشرها كلما جدَّ في العلم شيء يستحق اعادة طبعها. ونشر الكتب العلمية باللغة العربية يفيد كثيرين من الذين يحبون المطالعة ويستفيدون منها ولو لم يكونوا من تلامذة المدارس . وثانيها ان اللغة تستفيد من نقل المصطلحات العلمية الجديدة اليها ومن التفتيش عن المصطلحات العلمية القديمة واستعمالها ولا عبرة بما يقال عن صعوبة وجود المصطلحات العلمية بالعربية فاننا لا نجد في ذلك صعوبة كبيرة واسهل على المترجم ان يترجم كتاباً كبيراً في التشريح او الفيسولوجيا او الحساب او الجبر او الهندسة من ان يترجم رواية فيها احاديث بيتية مما يتكلم بهِ الانكليز او الفرنسويون في بيوتهم او افكار اجتماعية جديدة . فان الصعوبة قائمة بنقل الافكار الجديدة التي يعسر تحديد المراد منها لا في نقل القواعد والمصطلحات العلمية المحدودة المعنى . وكثيراً ما سألنا علماء الاوربيين قائلين كيف تنقلون المصطلحات العلمية الى العربية فكنا نجيبهم انكم انتم تعتمدون على اليونانية واللاتينية في وضع الكلمات للمعاني العلمية الجديدة ونحن في [illegible] طريقين فاما ان نشتق للمعنى الجديد اسماً عربياً يؤديهِ او نكتفي بنقل الاسم اللاتيني او اليوناني على حالهِ كما فعل اسلافنا الذين ترجموا كتب اليونان

فاذا وازنَّا بين هذه المزايا وجدنا ان مزايا التعليم بلغة اجنبية تفوق مزايا التعليم بالعربية لطلاب التوظف في الحكومة ولطلاَّب الاشغال التجارية دون سواهم . ويمكن نقل التعليم الى العربية تدريجاً ولا يحرم طلاب الوظائف الاميرية من سبيل لاتقان اللغة الاجنبية وذلك بقسمة الدرس في المدارس الثانوية الى قسمين قسم يراد بهِ تعليم العلوم بنوع عام وهذا يكون التدريس فيهِ باللغة العربية وقسم يراد بهِ إتقان اللغة الانكليزية او الفرنسوية لاجل الدخول في وظائف الحكومة والاشتغال بالاشغال التجارية وهذا يقتصر فيهِ على تعليم هذه اللغة والتمرن فيها وبذلك تحصل الفائدة المطلوبة سواء اراد الطالب الاستعداد لخدمة الحكومة او للاشغال التجارية

اما العلوم العالية فيفضل ان يكون تعليمها باللغة العربيَّة ولكن يجب ان يكون طلاَّبها قد تعلموا ما يكفي من لغة اجنبيَّة حتى يستطيعوا مراجعة المطوَّلات فيها وحتى يسهل عليهم ان يتوسعوا في بعض المدارس الاوربيَّة اذا ارادوا التفوُّق على غيرهم كما يفعلون الآن . فان طلاَّب العلوم العالية من الانكليز يتعلمون الفرنسويَّة او الالمانيَّة او كليتهما لكي يقصدوا مدارس فرنسا والمانيا ويزيدوا توسعاً فيهما وكذا يفعل الفرنسويون والاميركيون والروسيون واليابانيون وكل الامم التي تطلب الارتقاء

المستر مون صاحب السينتفك اميركان

من حين انشأنا المقتطف منذ نحو اثنتين وثلاثين سنة الى الآن وجريدة السينتفك اميركان من الجرائد العلمية التي نعتمد عليها لصدق اخبارها ودقة مباحثها فلا يكاد جزء من اجزاء المقتطف يخلو من ذكرها. وقد نعت السينتفك اميركان الينا الآن مديرها الاول المستر مون توفي مساء الثامن والعشرين من شهر فبراير الماضي وهو في الثالثة والثمانين من عمره وبقي بين المحابر والدفاتر الى الخامس عشر من شهر فبراير واصيب حينئذٍ بفالج طفيف قضى عليهِ وهو من بيت انكليزي قدم هاجر الى اميركا سنة ١٦٣٧

درس في مدرسة منصون ورغَّبهُ احد رفاقهِ واسمهُ بيتش بابتياع السينتفك اميركان فابتاعاها سنة ١٨٤٦ وعكفا على ادارتها وكانت الجريدة العلمية الوحيدة في اميركا فكان لصاحبيها اختلاط كبيرة بالمكتشفين والمخترعين فانشأا ادارة لتسجيل المخترعات والمكتشفات الجديدة وصارت ادارة الجريدة نادياً يجتمع فيهِ كبار العلماء والمخترعين

وسنة ١٨٧٦ انشأا ملحقاً بالسينتفك اميركان ليصفا فيهِ ما يعرض في معرض اميركا الذي انشئ حينئذٍ ورأيا بعد حين ان يبقيا ذلك الملحق كجريدة اسبوعيَّة مستقلة تنشر فيها المقالات العلمية الطويلة والمباحث الصناعية المسهبة . ثم انشأا سنة ١٨٨٥ مجلة شهرية للمباني وما يتعلق بها ووسعاها سنة ١٩٠٥ وسمياها بما معناهُ البيت والبستان . وتوفي المستر بيتش منذ اكثر من احدى عشرة سنة وبقي المستر مون يدير هذا العمل الواسع بمهارتهِ ويبذل جهدهُ في اذاعة الفوائد ومحاربة الاباطيل وارشاد الحكومة الاميركية الى ما منهُ النفع العام. وكان موصوفاً بالدعة وكرم الاخلاق ولكنهُ اذا رأى واجب الحق والعدل يقضي عليهِ بان يلوم ويعنف لم يتأخر عن ذلك ولا سيما اذا قام الدجالون وادعوا اختراع آلة يستجيل اختراعها لكي يبتزوا اموال الناس بها او اذا رأى رجال الحكومة قد اغضوا عما يطلب منهم او اضاعوا اموال الامة في اعمال لا نفع منها فانهُ كان يندد ويهدد ويقرّع وكثيرًا ما كان ينفق النفقات الطائلة لاظهار خداع الخادعين كما فعل في اكتشاف خداع كيلي الذي ادعى انهُ اكتشف قوة غير معروفة لادارة الآلات وكما شدد النكير على صانعي الجسر بين نيويورك وبروكلين لانهم قدروا النفقات باقل مما بلغت ثم لم يتقنوا العمل كما يجب فخدم العلم والصناعة وخدم بلادهُ اجل خدمة

مدارس المانيا الجامعة

بلغ عدد التلامذة في مدارس المانيا الجامعة هذا العام ٤٥١٣٦ وكان في العام الماضي ٤٤٩٤٢ ومنذ خمس سنوات ٣٥٥١٨ ومنذ عشر سنوات ٣٠٠٤٣ ومنذ عشرين سنة ٢٧٠٨٠ ومنذ ثلاثين سنة ١٧٤٥٧ فزاد في ثلاثين سنة ٢٧٦٧٩ كما يظهر من الجدول التالي

المدرسة	سنة ١٩٠٧	سنة ١٨٧٧
مدرسة برلين	٨١٨٨	٢٤٩٠
« مونخ	٥٥٦٧	١٢٨٠
« ليبسك	٤٤٦٦	٣٠٣٦
« بون	٢٩٩٢	٧٩٣
« هال	٢٢٥٠	٨٥٤
« برسلو	١٩٦١	١٢١٩
« غوتنجن	١٨٣١	٩٩١
« فريبرج	١٧٤٤	٢٩٣
« ستراسبرج	١٦٥٢	٧٠٧
« هيدلبرج	١٦٠٣	٤٧٣
« مونستر	١٥٣٣	٣١٣
« توبنجن	١٥٢٢	٩٠٣
« ماربرج	١٥٠٣	٣٨٢
« ورزبرج	١٤٠٧	١٠٢٨
« ينا	١٢٧٥	٤٣٩
« كونجسبرج	١١٤٠	٦٢١
« جيسن	١٠٩٧	٣١٨
« ارلنجن	١٠٥٦	٤٧٤
« كيل	٠٨٧٧	٢١٩
« غرنسفلد	٠٨٢٧	٤٦٨
« روستك	٠٦٤٥	١٥٦

وطلبة الحقوق أكثر من غيرهم ويتلوهم طلبة الفنون فطلبة الطب والعلوم الرياضية الخ على ما ترى في الجدول التالي

	سنة ١٩٠٧	سنة ١٨٧٧
طلبة الحقوق	١٢٢١٥	٤٨٣٥
" الفنون	١٠٨٧٣	٣٨٧٤
" الطب	٠٧٠٣٥	٣٣٧٤
" الرياضيات والعلوم الطبيعيّة	٠٦١١٦	٢٠٠٩
" اللاهوت الانجيلي	٠٢٢٠٨	١٥١٨
" علم الصيدلة	٠١٨٦٥	٠٦٨٥
" اللاهوت الكاثوليكي	٠١٧٠٨	١١٦٤
" العلوم الاقتصادية	٠١٢٣٥	٠١٥٥
" " الزراعية	٠٠٩٨٥	٠٣٦٩
" طب الاسنان	٠٠٨٧٠	٠٠٠٨
" الطب البيطري	٠٠١١٠	٠٠٠٠

ولا يدخل في ذلك طلبة المدارس الصناعيَّة من المشتغلين بالعلوم المحضة والممتزجة

ثم ان في هذه المدارس ٤١٥١ طالباً من الاجانب وكان عدد التلامذة الاجانب في العام الماضي ٣٥٥٥ فقط . وهم من بلدان مختلفة فمن النمسا ٦٨١ ومن سويسرا ٣٤١ ومن انكلترا ١٤٤ ومن البلغار ١٣٩ ومن رومانيا ٨٣ ومن السرب ٦١ ومن فرنسا ٥٨ ومن هولندا ٥٧ ومن لكسمبرج ٥٣ ومن اليونان ٤٧ ومن تركيا ٤٠ ومن ايطاليا ٣٣ ومن سكندينافيا ٣٢ ومن اسبانيا ٢٣ ومن بلجكا ١٩ ومن البرتغال ٩ ومن الدنمارك ٥ ومن اميركا ٣٠٢ ومن اسيا واكثرهم من اليابان ١١٣ ومن افريقية ١٣ ومن استراليا ٦

واهم ما في ذلك اهتمام اهالي اليابان بتلقي العلوم العالية في مدارس المانيا الجامعة وانهُ ليس في تلك المدارس من كل قارة افريقية ومصر في جملتها سوى ثلاثة عشر تلميذاً ولكن فيها من تركيا اربعون تلميذاً ولعلَّ اكثرهم من الارمن

واكثر التلامذة الاجانب في مدرسة برلين وليبسك وهيدلبرج ويانا فهم في مدرسة برلين اكثر من ١٤ في المئة من عدد التلامذة وفي ليبسك نحو ١٥ في المئة وفي هيدلبرج ١٦ في المئة وفي يانا ١٤ ونصف في المئة ولا تخلو مدرسة منهم كما ترى في هذا الجدول

في	مدرسة برلين	١١٨٩	اي ١٤،٥	في المئة
«	« ليبسك	٠٦٦٢	« ١٤،٨	«
«	« مونخ	٠٤٩٦	« ٨،٨	«
«	« هيدلبرج	٠٢٥٩	« ١٦،١	«
«	« هال	٠٢٥٤	« ١١،٣	«
«	« يانا	٠١٨٦	« ١٤،٦	«
«	« كوتنجن	٠١٦٩	« ٩،٢	«
«	« فريبرج	٠١٦٤	« ٩،٤	«
«	« كونجسبرج	٠١٣٤	« ١١،٧	«
«	« ستراسبرج	٠٠٩٦	« ٥،٨	«
«	« بون	٠٠٨٨	« ٢،٩	«
«	« جيسن	٠٠٨٤	« ٧،٦	«
«	« برسلو	٠٠٧٧	« ٣،٩	«
«	« ورزبرج	٠٠٦٧	« ٤،٧	«
«	« ماربرج	٠٠٦٠	« ٤،٩	«
«	« توبنجن	٠٠٥٩	« ٣،٩	«
«	« غرنسفلد	٠٠٤٣	« ٥،٢	«
«	« ارلنجن	٠٠٢٨	« ٢،٦	«
«	« روستوك	٠٠١٣	« ٢،٠	«
«	« كيل	٠٠١٢	« ١،٤	«
«	« مونستر	٠٠١١	« ٠،٧	«

واكثر هؤلاء التلامذة يدرس الطب واللغات والطبيعيات والحقوق كما ترى في هذا الجدول

طلبة الطب	١٠٨٠	الزراعة	٠٥٧٣
اللغات والتاريخ	٠٩٥١	اللاهوت الانجيلي	٠١٨٥
الرياضيات والطبيعيات	٠٧١٤	« الكاثوليكي	٠٠٣٤
القانون	٠٥٨٠	طب الاسنان	٠٠٢٤

وغنيٌّ عن البيان ان هؤلاء التلامذة يتلقون العلوم في المدارس الالمانية باللغة الالمانية معها

كانت لغتهم الاصلية ولا غرض لهم ولذويهم الاَّ اكتساب المعارف للانتفاع بها ونفع ابناء اوطانهم . فلالمانيا فضل لا ينكر على العالم كلهِ في فتحها مدارسها لتعليم الناس

المفاضلة بين الشعراء

قد ادخلتك منذ شهر الى غرفة من معرض ابي تمام وأريتك فيها ما أريتك من روائع المدح بالجود والشجاعة فلا بدَّ ان تكون قد تمثَّلت بها قريحة تلبس المعنى الواحد من حلل الفصاحة اشكالاً والواناً يقبح بازائها الديباج الخسرواني قريحةً تخلق للمعنى الواحد من الوجوه الجميلة ما يمثّل لك وجه الازهر[1] ليلة البدر

وهنذا ألجُ بك الى غرفة مثلها من معرض البحتري بل الى روضةٍ من رياض شعرهِ تشتمل على ما شاء التفنن من الوجوه الزاهية والاشكال الزاهرة

قال من دالية يمدح بها المتوكل على الله

(١) حتى وردنا نحوهُ فتقطّعت غلل الظما عن بحرهِ المورودِ
في حيث يعتصر الندى من عودهِ ويرى مكان السؤدد المنشودِ

ومنها: واذا السلاحُ اضاء فيهِ رأى العدى برًّا تألّق فيهِ بحر حديدِ
ومدرَّبين على اللقاء يشفُّهم شوقٌ الى يوم الوغى المشهودِ

ومنها: نعتدُّ عزَّك عزَّ دين محمدٍ ونرى بقاءك من بقاء الجودِ

ولهُ من قصيدة اخرى في مدحهِ

(٢) لقد لجأ الاسلامُ من سيف جعفرٍ الى صارمٍ في النائباتِ حسامِ
يسدُّ بهِ الثغر المخوف انثلامهُ وان رامهُ الاعداء كلَّ مرامِ

ولهُ فيهِ ايضًا من قصيدةٍ

(٣) غشيَ الربيعُ ديارهم وغشيتها وكلاكما ذو عارضٍ متهلّلِ[2]
فاضاء منها كل فجٍ مظلمٍ بكما واخصب كل وادٍ ممحلِ[3]
فمتى تخيم بالشآم فيكتسي بلدي نباتًا من نداك المسبلِ[4]

(١) الازهر : القمر (٢) العارض : السحاب المعترض في الافق . والمتهلل : المتلألأ او الصابّ المطر
(٣) الفج : الطريق الواسع بين جبلين (٤) المسبل : الماطل

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

(٤) قل للامام الذي عمت فواضلهُ   شرقاً وغرباً فما نحصي لها عددا

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

(٥) يا اكثر الناس احساناً واعرضهم   سيباً واطولهم في المكرمات يدا[١]

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدة

(٦) وحكى القطر بل أبرّ على القطـ   ـرِ بكفٍّ على البريَّة تندى[٢]

هو بحر السماح والجود فازدد   منهُ قرباً تزدد من الفقر بُعدا

يا ثمال الدنيا عطاءً وبذلاً   وجمال الدنيا ثناءً ومجدا[٣]

ولهُ فيهِ   مكارمُ قد وزنتَ بها ثبيرًا   فلم يرجح وطلتَ بها شماما[٤]

ومنها :   شهرتم في جوانب كل ثغرٍ   ظبات البيض والاسل المقاما[٥]

واقدمتم وفي الاقدام كرهٌ   على الغمرات تقتحمُ اقتحاما[٦]

الى ان يقول   ولو لم يستهلَّ لها غمامٌ   بريقهِ لكنتَ لها غماما[٧]

ولهُ فيهِ ايضاً من عينيَّةٍ

(٧) يا ايها الملك الذي سقتر الورى   من راحتيهِ غمامةٌ ما تقلعُ

ولهُ فيهِ ايضاً من نونيَّةٍ

(٨) ملأَتْ يداهُ يدي وشرَّد جودُهُ   بخلي فافقرني كما اغناني

ووثقتُ بالخلف الجميل معجلاً   منهُ فاعطيتُ الذي اعطاني

وقال يمدحهُ ايضاً من قصيدة لاميَّةٍ

(٩) ترى الارض تسقى غيثها بروره   عليها وتكسى نبتها بنزوله

وقال ايضاً من قصيدة اخرى دالية

(١٠) قد قلتُ للغيم الرُّكام ولجَّ في   إبراقهِ وألحَّ في إرعادهِ[٨]

لا تعرضنَّ لجعفرٍ متشبهاً   بندى يديهِ فلستَ من أندادهِ

ولهُ من داليَّة يمدح بها الفتح بن خاقان

(١١) جادت يدُ الفتح والانواء باخلةٌ   وذاب نائلهُ والغيث قد جمدا

---

(١) السيب : العطاء   (٢) أبرّ : زاد .   (٣) الثمال : الغياث ويقال هو ثمال قومهِ اي غياثهم القائم بامرهم   (٤) ثبير وشمام : جبلان   (٥) الظبات : حدود السيوف والاسل الرماح   (٦) الغمرات : الشدائد والمكاره   (٧) يستهلّ : ينصبّ   (٨) الغيم الركام : المتراكم بعضهُ فوق بعضٍ

ومنها : سللت دون بني العباس سيف وغيً يدمي وعزماً اذا ضرَّمتهُ وقدا
آثارُ بأسك في اعداء دولتهم أضحت طرائق شتَّى بينهم قددا (١)
إما قتيلاً يخوض السيف مهجتهُ او نازعاً ليس ينوي عودةً أبدا
الى ان يقول اما اياديك عندي فهي واضحةٌ ما ان تزال يدٌ منها تسوق يدا
أصبحت أُجدي على العافين مبتدئاً منها وما كنتُ الاَّ مستبيحَ جدا

ولهُ فيهِ من لاميَّةٍ

(١٢) ويحكمُ في ذخائرهِ نداهُ كما حكم العزيزُ على الذليلِ
اخٌ في المكرمات يعدُّ فيها لهُ فضل الشقيق على الحميلِ (٢)
خلائق كالغيوث تفيض عنها مواهب مثل جمات السيولِ
ووجهٌ رقَّ ماءُ الجود منهُ على العرنين والخدِّ الاسيلِ (٣)
يريك تألقُ المعروف فيهِ شعاع الشمس في السيف الصقيلِ

ولهُ فيهِ ايضاً من لاميَّةٍ

(١٣) وقد قلتُ للعلي الى المجد طرفهُ دع المجدَ فالفتح بنُ خاقان شاغلهْ
سنانُ امير المؤمنين وسيفهُ وسيبُ امير المؤمنين ونائلهْ
يشبُّ بهِ للناكثين حروبهُ ويدنو بهِ للخابطين نوافلهْ
ايبلغهُ بالبذل قوم وقد سعوا فما بلغوا بعضَ الذي هو باذلهْ
ومنها : يداني بمعروف هو الغيث في الثرى توالى نداهُ واستنارت خمائلهْ

ولهُ من داليَّة في مدح الفتح ابن خاقان المشار اليهِ

(١٤) كفى رأيهُ الجُلَّى وأُلقي سماحهُ نفاقاً على علقٍ من الشعر كاسدِ (٤)
وكاينْ لهُ في ساحتي من صنيعةٍ قطعتُ لها عقل القوافي الشواردِ (٥)
واني لمحقوقٌ بان لا يطولني نداهُ اذا طاولتهُ بالقصائدِ
يُحَكِّنَ لهُ حوكَ البرود لزينةٍ ويَنظمنَ عن جدواهُ نظم القلائدِ
وحسبُ اخي النعمى جزاءً اذا امتطي سوائرُ من شعرٍ على الدهر خالدِ
ولهُ منها اذا راوحتها مزنة بكرت لها شآبيب مجتازٍ عليها وقاصدِ

---

(١) القدد : الفرق من الناس هوى كل واحدة على حدتهِ (٢) الحميل : الغريب (٣) العرنين : الانف والاسيل اللين (٤) الجلي : الامر الشديد . والعلق : النفيس من كل شيء (٥) الصنيعة : الاحسان . والعقل جمع عقال وهو حبل يعقل بهِ البعير في وسط ذراعهِ

كأنّ يد الفتح بن خاقان اقبلت ... تليها بتلك البارقات الرواعدِ

رأيتُ الندى امسى حميماً مناسباً ... لأخلاقهِ دون الحليف المعاقدِ

ولهُ ايضاً من حائيةٍ

(١٥) ردَّ المكارم فينا بعد ما فُقدت ... وقرّب الجود منّا بعد ما نزحا

ولهُ فيهِ ايضاً من حائيّة أُخرى

(١٦) غمرُ النوال اذا الآمال اكذبها ... ثماد نيلٍ من الاقوام ضحضاحِ [١]

مواهبٌ ضربت في كل ذي عدمٍ ... بثروة وأماحت كل ممتاحِ [٢]

كأنما بات يهمي في جوانبها ... ركام منتثر الحضنين دلّاحِ [٣]

ولهُ فيهِ ايضاً من لاميّةٍ

(١٧) وما عمّهم عمرو بن غنمٍ بنسبةٍ ... كما عمّهم بالامس نائلك الجزلُ [٤]

ولهُ فيهِ ايضاً من حائيةٍ

(١٨) هل الفتح الّا البدر في الأفق المضحي ... تجلّى فأجلى الليل جنحًا على جنحِ

او الضيغم الضرغام يحمي عرينهُ ... او الوابل الداني من الديمة السحِّ

ولهُ فيهِ ايضاً من داليّةٍ

(١٩) أخذتْ أمنها من البؤس ارضٌ ... فوقها ظلٌّ سيبك الممدودُ

ذهبت جدّة الشتاء ووافا ... نا شبيهاً بك الربيع الجديد

ولهُ فيهِ ايضاً من فائيّةٍ

(٢٠) او نائل الفتح بن خاقان الذي ... للمكرمات تليدهُ وطريفهُ

لم أَلقهُ حتى لقيت عطاءهُ ... جزلاً وعرّفني الغنى معروفهُ

عالي المحل انالني بنوالهِ ... شرفاً اطلّ على النجوم منيفهُ

ايُّ اليدين اجلُّ عندي نعمةً ... إغناؤهُ اياي ام تشريفهُ

غيثٌ تدفق واللجين رهامهُ ... فينا وليثٌ والرماح غريفهُ [٥]

اما السماح فانّ افضل خلقٍ ... نالتهُ انك صنوهُ وحليفهُ [٦]

---

(١) الثماد جمع الثمد وهو الماء القليل لا مادة لهُ . والضحضاح : الماء القريب القعر (٢) ذو العدم : الفقير والممتاح الذي يغرف الماء واماحتهُ : جعلتهُ يمتاح (٣) الدلّاح مبالغة الدالح وهو السحاب الكثير الماء (٤) النائل العطاء والجزل : الكثير (٥) اللجين : الفضة والرهام الامطار الضعيفة الدائمة والغريف بالغين الغيضة وفي الديوان بالعين المهملة وهو خطأ (٦) الصنو : الاخ الشقيق .

لما لقيت بك الزمان تصدَّعت عن ساحتي احداثهُ وصروفهُ

ولهُ فيهِ ايضاً من داليَّةٍ

(٢١) وأكبرُ أن اشبهَ جودَ فتحٍ بصوب غمامةٍ او سيلِ وادِ
كريمٌ لا يزالُ لهُ عطاءٌ يغير سنَّة السنة الجمادِ
تعدُّ بهِ بنو العباس ذخراً ليوم الرأي او يوم الجلادِ

ولهُ فيهِ ايضاً من رائيَّةٍ

(٢٢) وكيف شكريك عن سواءٍ وما يداني نداك شكرُ

ولهُ فيهِ ايضاً من عينيَّةٍ

(٢٣) ثنى أملي فاحتازهُ عن معاشرٍ يبيتون والآمال فيهم مطامعُ
جنابٌ من الفتح بن خاقان ممرع وفضل من الفتح بن خاقان شائعُ
اغرُّ لنا من جودهِ وسماحهِ ظهيرٌ عليهِ ما يخيبُ وشافعُ
منيفٌ على هام الرجال اذا مشى اطال الخطى بادي البسالة رائعُ
واغلب ما تنفك من يقظاتهِ ربايا على اعدائهِ وطلائعُ(١)
جنانٌ على ما جرَّت الحرب جامعٌ وصدرٌ لما يأتي بهِ الدهر واسعُ
يدٌ لامير المؤمنين وعدَّةٌ اذا التاث خطبٌ او تغلب خالعُ(٢)
مغامس حربٍ ما تزال جيادهُ مطلحةً منها حسيرٌ وظالعُ(٣)

ولهُ فيهِ ايضاً من بائيةٍ

(٢٤) تلافاكم الفتح بن خاقان بعد ما تدهدهتم من حالقٍ متصوبِ(٤)
بعارفةٍ اهدت اماناً لخائفٍ وغوثاً لملهوفٍ وعفواً لمذنبِ
رددت الردى عن اهل حرصٍ وقد بدا لهم جانب اليوم العبوس العصبصبِ(٥)

ولهُ فيهِ ايضاً من قافيَّةٍ

(٢٥) رباع من الفتح بن خاقان لم تزل غنىً لعديمٍ او فكاكاً لمرهقِ(٦)
فلا العائذ اللاجي اليها بمسلمٍ ولا الطالب الممتاح منها بمخفقِ

---

(١) الربايا : الرقبا (٢) الناث : التبس (٣) المغامس من يرمي نفسهُ وسط الحرب والمطلحة : المعيبة والحسير الضعيف والظالع : الذي يغمز في مشيهِ (٤) تدهدهتم : تدحرجتم والحالق الجبل المنيف (٥) العصبصب : الشديد (٦) الرباع : المواضع يرتبع فيها الواحد ربع والعديم : الفقير والمرهق : المضيق عليهِ

توالت اياديهِ على الناس فاكتفى — بها كل حيٍّ من شآمٍ ومعرقِ
وكم نفَّست في حمص من متأسفٍ — غدا الموت منهُ آخذًا بالمخنقِ (١)
لهُ خلقٌ في الجود لا يستطيعهُ — رجالٌ يرومون العلى بالتخلقِ
اطلَّ على الاعداء من كل وجهةٍ — وشارفهم من كل غربٍ ومشرقِ
ببيضٍ متى تشهر على القوم يغلبوا — وخيل متى تركض الى النصر تسبقِ
أُعين بنو العباس منهُ بصارمٍ — جرازٍ وعزم كالشهاب المحرقِ (٢)

بيروت — سعيد الخوري الشرتوني

الهبة العلمية الكبرى

لما ظهر مشروع الجامعة المصرية استحسناهُ كما استحسنهُ كل احد وشكرنا القائمين بهِ لكننا خفنا من ان الهبات الصغيرة لا يبلغ مجموعها ما يكفي لهذا المشروع الجليل ورجونا ان يقوم احد الاغنياء الكبار الذين يقولون كما قال حاتم الطائي " ان المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الاحاديث والذكر " فيجود بجانب كبير من امواله فيخفف ثقلها عن عاتقهِ ولا يتركها لاولادهِ مفسدة لهم وينفع بها ابناء وطنهِ ويكتسب الذكر الحسن . لكن ان كان انصار العلم في العالم القديم قاعدين عن نصرتهِ فانصارهُ في العالم الحديث يبذلون كل مرتخص وغالٍ في خدمتهِ . وقد نقلت الينا المجلات الاميركية خبراً اكبر هبة علمية وهبها انسان في هذا العصر او في غيرهِ من العصور فقد جاء فيها ان المستر جون ركفلر المثري الاميركي الشهير وهب مجلس التعليم العمومي في الولايات المتحدة الاميركية اثنين وثلاثين مليون ريال اميركي وكان قد وهبهُ منذ عهد قريب احد عشر مليون ريال فمجموع الهبتين ٤٣ مليون ريال اي ثمانية ملايين وستمئة الف جنيه مصري . وكتب ابنهُ في ٦ فبراير الماضي الى اعضاء ذلك المجلس يقول ايها السادة

خوَّلني ابي ان ابلغكم انهُ في غرة ابريل سنة ١٩٠٧ او قبل ذلك يهب مجلس التعليم العام اوراقًا مالية تساوي الآن اثنين وثلاثين مليون ريال يضاف ثلثها الى اموال المجلس ويبقى الثلثان الاخيران تحت تصرُّفهِ او تصرُّفي لكي ينفقا في الوجوه التي انشئ لها هذا المجلس واذا

(١) المخنق : الحلق ونفست المتأسف : فرَّجت كربتهُ (٢) جراز قاطع وفي الاصل جران بالنون وهو من خطاء الطبع

بقي منهما شيءٌ بعد موتنا اضيف الى مال المجلس العمومي

فكتب اعضاءُ المجلس الى ابيهِ يقولون

" وصل الى مجلس التعليم العام كتاب من ولدكم يعلن فيهِ عزمكم على اعطاء هذا المجلس اثنين وثلاثين مليونًا من الجنيهات . فمجلس التعليم العام يقبل هذه الهبة السنيَّة بالشكر الجزيل ويتعهَّد ان يكون امينًا عليها وعلى الاحد عشر مليون ريال التي وهبتموهُ اياها قبلاً

" وهذه الهبة هي اكبر هبة ذُكرت في تاريخ الانسان لعمل نافع . والمجلس يهنئكم على الشعور الحكيم النبيل الذي دفعكم الى هذا العمل الشريف ويشكركم بالنيابة عن كل المعاهد العلمية التي ستستفيد من هبتكم وعن هذه البلاد التي ستقوّي هبتكم عمرانها وترقيهِ وعن كل بني البشر الذين سينتفعون منها

" وادارة هذه الاموال الطائلة تلقي على عاتق مجلس التعليم العام واجبات واسعة النطاق جدًّا اوسع من كل واجبات يطالَب بها مجلس من مجالس التعليم في المسكونة كلها . ونحن اعضاء هذا المجلس نقبل هذه الواجبات عارفين ما فيها من المصاعب وما لها من المنافع وسنبذل جهدنا في تحويل هذه الهبة الى قوة عقليَّة وادبيَّة مفتخرين ببذل كل ما فينا من القوة لاستخدامها في نفع الناس "

ومجلس التعليم العام هذا انشيءَ حديثًا وغرضهُ الاهم اعطاء الاموال للمدارس العالية مشترطًا عليها ان تجمع هي ثلاثة اضعاف ما يعطيها اياهُ . اما هذه الهبة فلا يراد حصرها في المدارس العالية بل يراد بها مساعدة المدارس عمومًا ولاسيما مدارس الزراعة في جنوبي الولايات المتحدة وقد ابقى المستر ركفلر الحق لهُ ولابنهِ في توزيع ثلثي هذه الهبة على المدارس من غير شرط

ولا يخفى ان هذا الرجل من اغنى اغنياء الارض الآن وتقدَّر ثروتهُ بمئتي مليون من الجنيهات فالثانية ملايين من الجنيهات التي وهبها لمجلس التعليم العام لا تزيد على دخلهِ في سنة واحدة . وهو مقتصد جدًّا في نفقاتهِ الخصوصية فهذه الهبة انما اخَّرت ازدياد ثروتهِ سنة واحدة لا غير ومع ذلك فقد كان في طاقتهِ ان ينفق هذه الاموال على ملذاتهِ الخصوصية او على ما لا فائدة منهُ لاحد او يتركها لابنهِ حتى يزيد حقد الناس عليهِ لكنهُ لم يفعل شيئًا من ذلك بل فعل ما هو افضل منهُ وابقى . وهبها لانفع الاعمال التي ترقي الامم وتزيد قوتها ورفاهتها — للتعليم والتهذيب حتى تزيد قوة البلاد العقليَّة والادبيَّة فلم ينقص راحتهُ ورفاهتهُ مثقال ذرة وكسب الشكر والذكر الحسن وشعر في ضميرهِ بالسرور الذي يشعر بهِ كل احد حينما يعمل

عملاً صالحاً مفيداً يشكر عليهِ. وانَّ تنافس اغنياء اميركا في اعطاء الاموال الطائلة للاعمال النافعة يرفع عنهم عار التفاني في طلب المال ويحلُّهم اعلى محل بين موطدي دعائم العمران . ولو اقتدى بهم اغنياء هذا القطر لرأيت الاكتتاب بالمال الكافي للمدرسة الجامعة تمَّ في اليوم الاول ولرأيت مدارس كثيرة مثلها منتشرة في القطر لان فيهِ كثيرين يزيد دخل الواحد منهم على عشرة آلاف جنيه في السنة فما ضرَّهم لو جادوا بدخل سنة واحدة او نصف سنة على اعمال يناولون منها الفخر وحسن الذكر

فائدة علم الفلك

علم الفلك او علم الهيئة اسمى العلوم كلها بحثاً وموضوعاً وهو عويص المسائل صعب الادراك على مَن يقصد التعمق فيهِ لا يتقنهُ الاَّ كبار العلماء المدققين ولكن اذا أُريد الاطّلاع على حقائقهِ العامَّة وجد القارئ فيها لذة وفكاهة كأَنهُ يقرأُ رواية غريبة النوادر . ولاخلاف في سمو موضوعهِ ولذة البحث فيهِ ولكن هل منهُ فائدة توازي ما ينفق عليهِ من المال وقوى العقل . قال الاستاذ بوانكره رئيس اكادمية العلوم بباريس ما مؤَداهُ ان حكومات الامم ومجالس نوابها لا بدَّ ان تجد نفقات هذا العلم كثيرة جدًّا فان الآلة من آلاتهِ تساوي الالوف والمرصد من مراصدهِ يساوي الملايين ورصد الكسوف الواحد يقتضي انفاق المبالغ الطائلة وذلك كلهُ متعلق بنجوم بعيدة عنا ولا يهمها شيءٌ من امورنا السياسية . فلا يرتضي رجال السياسة بالانفاق عليهِ الاَّ لانهُ لا يزال فيهم شيءٌ من محبة الامور النظرية والاهتمام بما هو عظيم لذاتهِ . والذين يتهمونهم بالاقتصار على طلب الماديات يظلمونهم ويجب ان يشجعوهم على الاستمرار في تعضيد الامور النظرية التي يميل اليها ذوقهم السليم

ويمكننا ان نبين لهم فائدة علم الفلك للملاحة (سلك الابحر) ولكن اذا لم يكن لهُ الاَّ هذه الفائدة فهي لا تستحق كل ما ينفق عليهِ من النفقات . وعندي ان علم الفلك نافع لانهُ يرفعنا فوق نفوسنا — وهو عظيم سامٍ في ذاتهِ لانهُ يرينا صغر جسم الانسان وكبر عقلهِ الذي يصل بهِ الى ابعد ابعاد هذا الكون وجسمهُ فيهِ ذرة صغيرة لا تذكر فنشعر حينئذٍ بما فينا من القوة وهذا الشعور يستحق كل ما ينفق على هذا العلم من الاموال

لكن علم الفلك لا يقتصر على ذلك بل قد جعل الناس يدركون بهِ الطبيعة ويعرفون سننها فلو كان جوُّنا محجوباً بالغيوم دائماً كجو المشتري حتى لا نرى السماء ونجومها لبقي نوع

الانسان غائصاً في بحار الجهالة · ولو كان هذا الحجاب كثيفاً لا يخرقهُ نور الشمس لما وجد على الارض حي ولكن لو فرضنا — والفرض لا يكلفنا شيئًا — ان الغيوم كانت فصفورية يأتينا منها نور يكفينا لنحيا ونرى طريقنا فهل كان ذلك كافياً لبلوغ نوع الانسان ما بلغهُ الآن

ان النور الذي يأتينا من كواكب السماء لا يقتصر على النور المادي الذي يؤثر في عيوننا بل يشمل نوراً آخر ينير عقولنا فان الانسان وُجد على هذه البسيطة منذ الوف من السنين وغرائب الطبيعة تحيط بهِ من كل ناحية وهو لا يدرك شيئًا منها ولا يعرف شيئًا من نواميسها بل يحسب انها جارية حسب الاهواء متقلبة كالرياح فنسب كل فعل منها الى روح من الارواح وحسب ان هذه الارواح تجري في اعمالها على حسب اهوائها فجعل يترضَّاها بالوسائل التي يترضَّى بها رؤَساءهُ بالطلبات والصلوات والهدايا والقرابين · واذا لم يجد منها عطفاً عليهِ لم يحسب انها عاجزة عن اجابة طلبهِ بل القى اللوم على نفسهِ لا عليها

اما الآن فلم نعد ننظر الى الطبيعة هذا النظر نظر العبد الذليل الى السيد الجليل بل صرنا ننظر اليها نظر الآمر الى المأمور لاننا اكتشفنا بعض اسرارها وسنكتشف البعض الآخر ونأمرها باسم السنن التي لا يمكنها مخالفتها لانها سننها ولم نعد نطلب منها تغيير هذه السنن لاننا نعلم انها ثابتة لا تتغير

ما اعظم التغيُّر الذي تغيرتهُ نفوسنا في انتقالها من الحالة الواحدة الى الاخرى · هل كان يمكن ان تتغير هذا التغير السريع لو كانت كواكب السماء محجوبة عن الابصار

ان علم الفلك هو الذي علَّم الناس ان للكون سنناً ثابتة فان الكلدانيين الذين كانوا اول من راقب حركات النجوم رأوا انها تجري على سنن واحد · ورأوا ان سيرها منتظم حتى استطاعوا ان ينبئوا بالكسوفات والخسوفات قبل اوقاتها · ثم كُشفت تلك السنن لعلماء الفلك هبرخس وبطليموس وكوبرنيكس وكبلر الواحد بعد الآخر واخيراً كُشف ناموسها الاعظم والاعم لاسحق نوتن

من ثمَّ صرنا ندرك شيئًا من امر ارضنا ونرى بين الافعال الطبيعية الكثيرة شيئًا من الانتظام ولولا نجاح علماء الفلك في اكتشاف نواميس الاجرام السموية لما اشتدَّت عزائم علماء الطبيعة على اكتشاف النواميس الطبيعية لان نجاح اولئك اقنع هؤلاء ان للكون سنناً لا تتغير تجري اعمالهُ بموجبها

فاول فائدة استفدناها من علم الفلك ان للكون سنناً لا تتغير

والفائدة الثانية ان هذه السنن لا مناص منها · ولولا علم الفلك لمرَّت قرون كثيرة قبل ان

بتحقق ثبوت ذلك بالاستقراء التام مع ما نراهُ من التشويش وعدم الانتظام في الافعال الطبيعية التي يعارض بعضها بعضاً حسب الظاهر. فقد اثبت لنا علم الفلك ان سنن الكون على غاية الدقة تستدلُّ منها اليوم على كسوف يحدث بعد عشرين سنة فيحدث في اليوم والساعة والدقيقة التي دلَّك الحساب عليها وان ما نراهُ منها تقريبيًّا انما نراهُ كذلك لاننا لا نعلم كل الفواعل التي تفعل معًا

ولقد ظن ارسطوطاليس وهو اعلم علماء الاولين ان للصدفة يدًا في كثير من الحوادث التي تحدث في الكون وظن ان النواميس الطبيعية لا تتسلط الاَّ على الامور العظيمة واما الامور الطفيفة فتحدث عرضًا. غير ان ما ابانهُ علم الفلك من الدقة التامَّة في سير نواميس الكون اصلح هذا الخطأ ولولا ذلك لبقينا نخبط على غير هدًى في امور كثيرة

ولكن ما ادرانا ان هذه النواميس ليست خصوصية محلية مثل القوانين التي يسنها الناس فما يصدق منها في هذه الناحية لا يصدق في اخرى وما ينطبق على ارضنا لا ينطبق على غيرها من اجرام السماء فتختلف باختلاف الامكنة. ثم ما ادرانا انها لا تختلف ايضًا باختلاف الازمنة فتكون في زمان غير ما تكون عليهِ في زمان آخر. ان علم الفلك ينفي هذه الظنون ويثبت لنا ان سنن الكون ثابتة لا تتغير في كل مكان يصل اليهِ حد النظر باكبر النظارات المعروفة ولم تتغير في زمن من الازمنة المعروفة فهو الذي اوضح لنا مزايا سنن الكون

وقد علَّمنا ايضًا ان لا نعتدَّ بالظواهر فانهُ لما بيَّن كوبرنيكس ان الارض دائرة والشمس ثابتة مخالفًا شعور الناس كلهم اثبت لنا ان الاعتماد على شهادة الحواس الظاهرة قد يكون خداعًا في خداع. نعم ان الناس لم يأخذوا بقولهِ حالاً ولكنهم اخذوا بهِ رويدًا رويدًا وتعلَّموا منهُ انْ لا يعتمدوا على الظواهر اذا خالفت الحقائق

ولقد اعتقد القدماء ان كل شيء صُنع لاجل الانسان. وهذا الاعتقاد راسخ في النفوس على ما يظهر لانهُ لا يزال عامًّا مع كل ما قيل في نقضهِ ولا بدَّ من تجريد النفس منهُ والاَّ بقي الانسان قصير النظر عاجزًا عن رؤْية الحقائق . ولا يدرك احد الطبيعة الاَّ اذا تجرَّد عن نفسهِ ونظر في الطبيعة من وجوه مختلفة . ولا يتجرد عن نفسهِ اذا بقي معتقدًا ان كل شيء خُلق لاجلهِ. ومن ساعدنا على نفي هذا الوهم. علم الفلك الذي ارانا ان الكرة الارضية انما هي سيَّار من اصغر السيارات التي تدور حول الشمس وان الشمس وسياراتها كلها نقطة صغيرة في هذا الكون العظيم

وقد علَّمنا علم الفلك ان لا نخاف كبر الاعداد وذلك لازم لمعرفة ما في السماء وما في

الارض ايضاً ولم يستسهلهُ اسلافنا كما نستسهلهُ نحن . لو قيل لرجل من اليونان الاقدمين ان النور الاحمر يتموَّج اربع مئة مليون مليون موجة في الثانية من الزمان لحسب انك مجنون تهذي ولم يهتم بالنظر في قولك اما الآن فلم نعد نستبعد قولاً او فعلاً اذا وجدنا فيهِ اموراً اكبر او اصغر مما يقع تحت حواسنا . ولا نقف عند الحد الذي كان اسلافنا يقفون عندهُ ويخافون ان يتجاوزوهُ وما ذلك الاَّ لاننا رأَينا وجه السماء ينبسط امامنا على الدوام وتعلمنا ان الشمس تبعد عنا ١٥٠ مليوناً من الكيلومترات وان اقرب النجوم الينا هو ابعد عنا من الشمس مئات الوف من المرات . واعتيادنا تصور الامور العظيمة الى ما لا نهاية لهُ سهَّل علينا تصور الامور الصغيرة الى ما لا نهاية لهُ فصارت عقولنا تنظر الى الحق ولا تنبهر منهُ والفضل في ذلك لعلم الفلك

فهل اخطأْتُ حينما قلتُ ان علم الفلك هو الذي قوَّانا على ادراك الطبيعة وانهُ لو كانت السماء محجوبة عن عيون الناس لبقينا في الجهل المطبق لا ندرك شيئاً من احوال ارضنا ولا نرى فيها الاَّ حوادث تجري جزافاً على غير انتظام ومن غير قانون ولا نستطيع ان نتسلط على شيء من افعال الطبيعة . فاي علم انفع من هذا العلم ولو من حيث النفع المادي الذي لا انظر اليهِ انا . فاني ان كنت أُعجب بالفوائد الماديَّة التي بلغتها أَعمال الناس فانما ذلك لانها تسهّل علينا امور المعاش وتمكننا من التفرُّغ للبحث في الطبيعة . ولا أَقول ان العلم نافع لانهُ يعلمنا كيف نصنع الآلات بل اقول ان الآلات نافعة لانها تمكننا من التفرُّغ للعلم . وليس بين هذين القولين تناقض لأَن الانسان الذي يسعى سعياً حميداً يزاد لهُ كل نفع

وقد يقال ان علم الفلك افاد العلوم الطبيعيَّة كل ما يمكنهُ ان يفيدها بهِ وانالنا الوسائل التي يمكننا ان نستخدمها لدرس ارضنا فلا ضرر من احتجاب السماء عنا بعد الآن . وغنيٌّ عن البيان ان هذا القول كان يمكن ان يقال في عصر بطليموس لان الناس كانوا يظنون انهم علموا كل شيء مع انهم لم يعلموا شيئاً بالنسبة الى ما علموهُ بعدئذٍ

فان النجوم معامل كيماوية وبوادق عظيمة لم يحلم الكيماويون بمثلها ويستحيل علينا ان ندرك درجة حرارتها . وما عيبها الاَّ انها بعيدة عنا ولكن لا بدَّ من ان يقربها التلسكوب الينا فنرى كيف تتصرف المواد فيها ويتعلم الكيماوي والطبيعي منها ما لا يعلمانهِ الآن فان احوال المادة هناك من السديم المنير الى النجوم المشعَّة الى السيارات القريبة منا تختلف عن احوالها عندنا

وقد يحتمل ان تنبئنا النجوم يوماً ما بسر الحياة . وهذا الامل بعيد التصوُّر الآن ولكن مَن كان يظن منذ مئة سنة اننا نتمكن من معرفة عناصر النجوم . وان كان الماضي قد كشف

لنا غوامض كثيرة فالمستقبل يكشف لنا غوامض اكثر منها

واقول في الختام ان علم التنجيم نفسهُ لم يخلُ من فائدة فان كبلر وتيخوبراهي كانا يعيشان من حساب الاقترانات وإخبار الملوك بها ولولا مخافة عقول اولئك الملوك وتصديقهم تلك الخرافات لكنا الآن نجهل كثيرًا مما صرنا نعرفهُ من سنن الكون · انتهى ملخصًا

اسباب الزلازل

ذكرنا في الجزء الماضي رأي لورد كلفن في سبب الزلازل ثم وقفنا على حديث في هذا الموضوع جرى مع الاستاذ ملن وهو اكبر ثقة في علم رصد الزلازل فانهُ اقام عشرين سنة في بلاد اليابان يدرس زلازلها وهي اكثر البلدان زلازل واستنبط لها آلات لرصدها· وهو يرصد الزلازل الآن في بيتهِ بجزيرة وبط ببلاد الانكليز بالآلة التي استنبطها لذلك وآلتهُ تشعر بحدوث الزلازل في كل المسكونة وتدلُّ عليها دلالة واضحة

قال محدثهُ سألتهُ هل الزلازل آخذة في الازدياد

فقال كلاَّ فقد حدثت زلازل في الاشهر القليلة الماضية انتبه لها الناس بنوع خاص لانها خرَّبت مدنًا كبيرة ولكن ما حدث منها ليس اكثر مما يحدث عادةً واذا حدثت الزلازل الشديدة في القفار او في البلدان القليلة السكان لم يُنتبه لها كما لو حدثت في المدن الكبيرة · والتغير مستمر في الكرة الارضية ولا دليل على ان هذا التغير يزيد في المستقبل عما هو في الحاضر او عما كان عليهِ في الماضي

(المحدث) — كم زلزلة يحدث كل سنة على ما تقدّر

(الاستاذ) — ان التقدير صعب لان اماكن كثيرة لم ترصد فيها الزلازل حتى الآن ولكنني ارجح ان عدد الزلازل التي تحدث كل سنة يبلغ ثلاثين الفًا

(المحدث) — اتعني انهُ يحدث نحو مئة زلزلة كل يوم من ايام السنة

(الاستاذ) — نعم واكثرها هزات طفيفة لا يشعر بها الناس او لا يلتفتون اليها ولكن آلات رصد الزلازل القائمة على مقربة منها تشعر بها وتدلُّ عليها ويحدث كل سنة نحو ستين زلزلة شديدة تشعر بها كل الآلات في مراصد رصد الزلازل .وقد حسبوا ان الزلزلة الشديدة تؤثر في صخور الارض على عمق ثلاثين ميلاً من وجهها

(المحدث) — ما هي اسباب الزلازل

(الاستاذ) — اسبابها التغيرات المستمرة التي تحدث في الارض فان قشرة الارض كبيرة ثقيلة وهي مرتكزة على باطن الارض وهذا الباطن آخذ في التقلص المستمر بسبب خروج الحرارة منهُ فينتج من ذلك تشقق الصخور وتصدُّعها واتساع الشقوق القديمة فيها اي ان طبقات الصخور التي زحلت عن مكانها في الزمن الماضي وهزت الارض بزحلتها تزحل ثانية وتسبب هزة اخرى · ثم ان للثقل يدًا في إحداث الزلازل فاذا رسبت رواسب كثيرة في قاع البحر في البلدان المعرَّضة للزلازل ثقلت عليهِ فينصدع ويهزّ الارض ويحدث عكس ذلك في الجبال والنجود التي تجرف الامطار جانبًا كبيرًا منها فانها تخفُّ عما كانت عليهِ وترتفع وقد يكون ارتفاعها هذا متدرجًا وقد يكون دفعةً واحدة فيزلزل الارض

(المحدث) — ولكن الا تحدث الزلازل من ثوران البراكين

(الاستاذ) — لقد كان هذا هو الراي الشائع ولكن ظهر الآن ان تأْثير البراكين في الزلازل قليل جدًّا والغالب ان الزلزلة تسبق ثوران البركان فتكون سببًا لهُ لا نتيجة عنهُ اي ان اسباب الثوران تكون مهيأَة ويعوزها حركة شديدة لازالة ما يعوقها عن العمل فتأْتي الزلزلة وتزيل العائق من طريقها · مثال ذلك ان الزلزلة التي حدثت في غواتمالا قبل ثوران بركان بالي الذي خرب سان بيير ايقظت ذلك البركان او ازالت العائق الذي كان يعوقهُ عن الثوران فثار وخرب المدينة

(المحدث) — لماذا تتلو الهزة الشديدة هزات خفيفة في اكثر الزلازل

(الاستاذ) — ان الهزة الشديدة تحدث غالبًا من شق كبير يقع في جانب واسع من الارض والهزات الخفيفة التي تتلوها تحدث من ان الصخور التي انقدَّت بالشق الاول تأْخذ تستقرُّ في اماكنها التي انتقلت اليها · ولذلك ينتظر ان تحدث هزات خفيفة في جاميكا في الشهرين التاليين

(المحدث) — هل دلَّت آلتك التي ترصد بها الزلازل (سسموغراف) على زلزلة كنجستون التي حدثت منذ عهد قريب

(الاستاذ) نعم وعرفتُ انهُ حدثت زلزلة قبلما وصلني خبرها بالتلغراف

ثم التفت الى الآلة واوضح لمحدثهِ كيف تدلُّ على اهتزاز الارض وشدَّة تأْثرها من ذلك فانهُ اذا وضع يدهُ على الحائط المتصلة بهِ تحرَّك عقربها حالاً ودلَّ على الاهتزاز الطفيف الذي اهتزَّهُ الحائط من وضع اليد عليهِ . ثم قال لهُ المحدّث

حينما تدلُّ هذه الآلة على حدوث الزلزلة فهل تعلم اين حدثت

(الاستاذ) — نعم اني استطيع ذلك غالبًا فان الزلزلة تسبب حركتين الواحدة تنتقل بسطح الارض والثانية بجسمها وهاتان الحركتان لا تصلان في وقت واحد بل في وقتين مختلفين والفرق بينهما يدلُّ على بعد الزلزلة . انظر الى هذه الورقة فانك ترى فيها خطوطًا متوازية وقد كانت ملفوفة على اسطوانة تدور بسرعة معلومة وعقرب الآلة يرسم هذه الخطوط المتوازية عليها و ينقطع الخط عند آخر كل ساعة فالنقط التي ينقطع فيها تدلُّ على الساعات . وترى فيها ارتجافًا في مكانين. الاول حدث الساعة ٨ والدقيقة ٤٧ والثانية ٤١ وهو مسبب عن الحركة التي وصلت الى هنا بجسم الارض والثاني حدث بعدهُ بثمانٍ وعشرين دقيقة . وقد ظهر لي بالاستقراء انهُ اذا كان الفرق بين الحركتين ٢٨ دقيقة فالبعد ٦٠ درجة فليس عليَّ الاَّ ان اجعل هذا المكان مركزًا وارسم دائرة حولهُ قطرها ٦٠ درجة فتمرَّ بكندا واواسط الولايات المتحدة وجزائر الهند الغربية والقسم الجنوبي من الاوقيانوس الاتلنتيكي وجنوبي افريقية والاوقيانوس الهندي وبلاد تبت وبلاد سيبيريا . والبلدان التي تتابها الزلازل من هذه الاماكن هي جزائر الهند الغربية وبلاد تبت فاذا حدثت الزلزلة في تبت لاتبلغنا اخبارها ولكنها اذا حدثت في جزائر الهند الغربية نسمع اخبارها حالاً في اليوم التالي وهذا هو الذي حدث

(المحدث) — اذًا انت تعتمد على كروية الارض في تعيينك المكان التي تحدث فيهِ الزلزلة

(الاستاذ) — نعم

(المحدث) — قلتَ لي في اول الامر ان الزلازل الكبيرة التي تحدث في السنة الواحدة لا تقلُّ عن ستين عدًّا ولكننا لا نسمع بحدوث ستين زلزلة في السنة فما سبب ذلك

(الاستاذ) — سببهُ أن جانبًا كبيرًا من الزلازل يحدث في البحار فلا يدري بهِ احد وجانبًا آخر يحدث في القفار والاماكن القاصية التي لا تصلنا اخبارها

(المحدث) — انظن انهُ يخشى من انتشار الزلازل وكثرة حدوثها حيث لا تحدث الآن

(الاستاذ) — كلاَّ ولكن يجدر بالناس الذين يسكنون في الاماكن المعرضة لحدوث الزلازل ان يستفيدوا مما عرفناهُ بالاختبار ويبنوا مبانيهم على الاسلوب الذي عرف الآن انهُ اقوى من غيرهِ على احتمال فعل الزلازل

ثم بيَّن لهُ فوائد هذا العلم ولا سيما في مد اسلاك التلغراف البحري حيث لا تكثر الزلازل لانها تقطعها وعدد المراصد التي انشئت لرصد الزلازل في الدنيا واهتمام العلماء بها

اسهم التأسيس في الشركات

اعلن البنك الزراعي المصري منذ عهد قريب انهُ سيدفع ربحاً لحاملي اسهمهِ العادية بمعدل ٩ في المئة بالنسبة الى ثمن السهم الاصلي . وهو ربح كبير لا ينتظر ارباب الاموال ان يربحوا اكثر منهُ والغالب انهُ مضاعف ما يربحونهُ عادة ولذلك يكاد ثمن السهم العادي يتضاعف فان ثمنهُ الاصلي خمسة جنيهات ولكنهُ يساوي الآن اكثر من تسعة جنيهات . ولولا الخوف من هبوط الربح قليلاً في السنوات التالية بتخفيض معدَّل الفائدة من تسعة الى ثمانية لبلغ سعرهُ الآن اكثر من عشرة جنيهات

واسهم البنك الزراعي العادية التي نالت هذا الربح وهو تسعة في المئة تبلغ ٤٩٦٠٠٠ سهم قيمة السهم منها خمسة جنيهات . وللبنك سندات فائدتها محدودة واسهم ممتازة فائدتها محدودة ايضاً فهي كالسندات . واسهم تأسيس وهي الفا سهم فقط قيمة السهم الاصلية منها خمسة جنيهات لا غير وقد نالت في توزيع الارباح الاخير ٩٩٥٠٠ جنيه نخص السهم منها ٤٩ جنيهاً و١٥ شلناً اي ان سهم التأسيس الذي ثمنهُ الاصلي خمسة جنيهات ربح في سنة واحدة نحو خمسين جنيهاً فكأنهُ صار يساوي الف جنيه

ولا بد من ان يتساءل الناس قائلين من اخذ هذه الاسهم الاخيرة حينما انشئ البنك الزراعي وباي حق اخذها وكيف اجازت الحكومة ان تخص هذه الاسهم القليلة بهذا الربح الطائل وهل يبقى ربح هذه الاسهم على حالهِ او يزيد او ينقص

ولا تتعذر الاجابة على هذه المسائل كلها والذي يهمُّ الجمهور من ذلك ان الذين انشأوا هذا البنك وضمنوا جلب المال اللازم لهُ سواءٌ كان من الاسهم العادية او من السندات هم الذين اخذوا اسهم التأسيس لانهم عملوا عملاً كبيراً مفيداً فاستحقوا جانباً كبيراً من ربحهِ ولو لم تبح لهم الحكومة ذلك لما اقدموا على انشاء هذا البنك وضمانة المال اللازم لهُ . واذا نقص معدَّل الفائدة عن ٩ في المئة قلَّ ربح اسهم التاسيس نوعاً . وقد اعلن البنك الآن انهُ جعل معدل الفائدة ثمانية في المئة ولا بدَّ من ان ينقصها ايضاً مع الزمن فاذا بلغت ٧ في المئة نقص نصيب اسهم التاسيس كثيراً لان ربح البنك تدفع منهُ اولاً فوائد السندات والاسهم الممتازة ومعدلها نحو ٤ في المئة ومقدار هذه الاسهم والسندات نحو ثلاثة ارباع رأس المال فاذا دين البنك اربعة جنيهات بثمانية وعشرين غرشاً فمنها جنيه واحد من

الاسهم العادية وثلاثة من السندات والاسهم الممتازة وهو ينفق اربعة غروش على ادارته اي واحداً في المئة فيبقى ٢٤ غرشاً يدفع منها نحو ١٢ غرشاً للسندات والاسهم الممتازة والبنك الاهلي فيبقى ١٢ غرشاً يعطي منها خمسة غروش للمئة التي تقابل الاسهم العادية والباقي وهو ٧ غروش يقسم مناصفة بين الاسهم العادية واسهم التاسيس فيصيب السهم من الاسهم العادية ٣/١ ٣ قرش الخمسة ويصيب اسهم التاسيس مثلها وهذا اقل مما اصابها هذه السنة لان المبلغ الذي يمكن ان يوزع حينئذٍ على اسهم التأسيس لا يزيد على ٨٦٩٧٥ جنيهاً فيصيب السهم منها ٤٣ جنيهاً ونحو ٩ شلنات ولكن الزمن الذي تنحط فيهِ الفائدة الى ٧ في المئة بعيد على ما يظهر فسيبقى ربح اسهم التاسيس وافراً كما هو الآن بضع سنوات اخرى

وقد انتبهت الحكومة المصرية الى الغبن الذي يلحق اصحاب الاسهم الاعتيادية احياناً من اعطاء جانب كبير من الربح لاسهم التاسيس فابطلتها في الشركات المصرية حاسبة ان ابطالها يمنع هذه الشركات عن اصدارها فجعل اصحاب الشركات ينشئون شركاتهم على حسب القوانين الانكليزية او البلجيكية التي تبيح اصدار اسهم التأسيس فلم تستفد البلاد شيئاً من امتناع الحكومة المصرية عن الترخيص باصدار اسهم التاسيس ان كانت قد قصدت فائدة الناس بذلك

ويظهر لدى امعان النظر ان الحكومة المصرية قد اخطأت في امتناعها عن الترخيص باصدار اسهم التأسيس لان منشئي الشركات لا بد من ان يخصُّوا انفسهم بشيءٍ من الربح لقاء انشائها والاَّ امتنعوا عن ذلك و بطلت الفائدة من انشاء الشركات ان كان من انشائها فائدة. وهذا الربح الذي يختص بهِ منشئو الشركات إما ان يأخذوهُ معجَّلاً بتأليف نقابة تبيع المشروع للشركة بثمن تتقاضاهُ نقداً او يأخذوهُ مؤجلاً باسهم التأسيس ففي الحالة الاولى يؤخذ الثمن من المساهمين سواءٌ نجحت الشركة اولم تنجح كما فعل منشئو شركة الغزل والنسج المصرية وفي الحالة الثانية يؤخذ ربح اسهم التاسيس من المساهمين الاَّ اذا ربحت الشركة وزاد ربحها عن ريع الاموال التي يدفعها المساهمون فهي اقرب الى العدل وابعد عن الغبن من الحالة الاولى

نعم ان ربح اسهم التاسيس يظهر كبيراً جدًّا اكبر من ربح الاسهم العادية سهماً اسهم ولكن سبب ذلك قلة اسهم التاسيس ففي المثل المتقدم عن البنك الزراعي لو جعل عدد اسهم التاسيس ٢٠٠٠٠٠ بدل ٢٠٠٠ لخص السهم منها اقل من نصف جنيه بدل خمسين جنيهاً ولم يظهر الربح كبيراً كما ظهر الآن

وقد نشرت مجلة الاكونومست الانكليزية فصلاً اعترضت فيهِ على اسهم التأسيس مدعية ان الشركات تجدها عبئًا ثقيلاً عليها لكثرة ما تنالهُ من الربح فابدلت شركات كثيرة اسهم التاسيس باسهم عادية وكانت تبدل السهم الواحد من اسهم التاسيس باسهم كثيرة من اسهمها العادية فان شركة برمبتون وكنجستون الكهربائية ابدلت ما قيمتهُ الاصلية ٥٠٠ جنيه من اسهم التاسيس بما قيمتهُ اربعون الف جنيه من الاسهم العادية وعشرة آلاف جنيه من الاسهم الممتازة . وشركة ثانية ابدلت ما قيمتهُ الاصلية خمس مئة جنيه من اسهم التاسيس بما قيمتهُ ٢٥ الف جنيه من اسهمها العادية وشركة ثالثة ابدلت ما قيمتهُ الاصلية الف جنيه من اسهم التاسيس بما قيمتهُ مئة وعشرة آلاف جنيه من الاسهم العادية وشركة رابعة ابدلت ما قيمتهُ الاصلية مئة جنيه من اسهم التاسيس بما يساوي ستين الف جنيه من الاسهم العادية . وتحسب مجلة الاكونومست ان الشركات فعلت ذلك لفائدة اصحاب الاسهم العادية ولكننا نرجح ان اصحاب اسهم التاسيس اغتنموا فرصة السنين التي زاد فيها ربحهم واقنعوا مديري الشركات (ان لم يكونوا هم مديريها) حتى ابدلوا لهم اسهمهم باسهم عادية لان السهم العادي ربحهُ مضمون دائمًا ويزيد وينقص ضمن حدود ضيقة واما سهم التأسيس فقد لا يربح شيئًا كما اذا لم يزد الربح عن خمسة او ستة في المئة فانهُ يعطى حينئذٍ كلهُ للاسهم العادية. فالسهم من اسهم التأسيس في البنك الزراعي المصري ربح في التوزيع الاخير قدر ما وزع على ١١٠ اسهم من الاسهم العادية فلو ابدل بمئة وعشرة اسهم عادية لبلغ ثمنهُ اكثر من الف جنيه فاذا ابدل البنك الزراعي كل سهم من اسهم التأسيس بمئة وعشرة اسهم من الاسهم العادية يكون قد اعطى اصحاب اسهم التأسيس ربحًا مستمرًا يعادل ربح هذه السنة تقريبًا وهم لا يطمعون باكثر من ذلك ولا بمثلهِ ولهذا لا يؤْخذ ابدال الشركات اسهم التاسيس بالاسهم العادية دليلاً على استثقال الاسهم العادية وحب التخلص منها

هذا وعسى ان تعيد الحكومة نظرها في منع اسهم التاسيس لكي لا تضطر سكان القطر الى تأليف الشركات حسب القوانين الانكليزية والبلجيكية وعندها سبيل آخر تمنع بهِ الغبن عن اصحاب الاسهم العادية وهو ان تخصها بربح لا ينقص عن ٦ في المئة وما زاد على ذلك تعطى منهُ الجانب الاكبر حتى يبلغ ربحها ٨ او ٩ في المئة ثم تبدل الحال فيصير اكثر الربح الباقي لاسهم التاسيس فلا ينتفع اصحابها كثيرًا الَّا اذا كان مشروعهم الذي اسسوهُ رابحًا جدًّا. لنفرض ان اسهم التاسيس تعطي الربح كلهُ حتى يبلغ ربحها ٦ في المئة وما زاد على ذلك

من الربح تعطى منهُ ثمانين في المئة والعشرون الباقية تعطى لاسهم التأسيس حتى يبلغ ربح الاسهم العادية ٩ في المئة وبعد ذلك تقلب النسبة فتصير زيادة الربح يعطى منها ٢٠ في المئة للاسهم العادية و ٨٠ لاسهم التاسيس فتكون الاسهم العادية قد اخذت ٩ في المئة وما زاد فاكثرهُ لاسهم التاسيس . ولا يحق لمن يشتري سهماً من السوق لم يتعب في وضع مشروعهِ ولا في ادارتهِ ان ينتظر ربحاً اكثر من ذلك اما الذي وضع المشروع وتعب في ادارتهِ فيحق لهُ ان يتمتع بما يزيد من الربح جزاء لهُ وتنشيطاً لغيرهِ والاَّ بطلت المشروعات النافعة وبطل اهتمام الناس بها

اغنى اغنياء اميركا

المستر ويرهوسر

لقد كان المظنون ان جون ركفلر اغنى اغنياء اميركا ولكن ظهر الآن ان في اميركا رجلاً اغنى منهُ اسمهُ ويرهوسر واغرب من غنى هذا الرجل جهل الناس لهُ وما ذلك الاَّ لانهُ يكره الظهور ويتجنَّب المجتمعات العمومية وليس في احوالهِ المعاشية لا في بيتهِ ولا في لبسهِ ولا في نفقاتهِ ما يميزهُ عن عامَّة الناس . وتقوم ثروتهُ بثلاثين مليون فدان من الحراج (الغابات) التي امتلكها في مدة خمسين سنة . ولكن معرفة ما تقوم بهِ ثروتهُ لا يزيل الغرابة لانهُ كيف يمتلك انسان واحد ثلاثين مليون فدان اي ما تعادل مساحتهُ خمسة اضعاف اطيان القطر المصري ويبقى امرهُ مجهولاً ولا تذيعهُ جرائد اميركا التي تذيع كل كبيرة وصغيرة . لكن الجرائد بل المجلات الاميركية عرفت امرهُ اخيرًا وصوَّرتهُ جريدة الكوسموبوليتان ووصفتهُ وصفاً مسهباً وقالت انهُ يكره المتباهين باموالهم ولا يحلو لهُ عيش الاَّ بالعمل فتصل يدهُ الى اقاصي البلاد المنتشرة فيها املاكهُ الواسعة وكأَنهُ تعلَّم من الغابات الغبياء ان يبقي الناس غافلين عن امرهِ وهو يشارك كثيرين في ما يقتنونهُ ولكن لا يعلم احد من شركائهِ ما لهُ من الاشتراك مع غيرهِ فهو ملك اصحاب الغابات كلهم واذا وقعوا في مشكل او اعتاصت عليهم المسالك التفتوا اليهِ فيقول كلمتهُ وفيها فصل الخطاب لانهُ الحاكم الآمر في تلك البلاد

قالت المجلَّة المشار اليها ان ثروة هذا الرجل نتجت عن اسراف اهالي اميركا في قطع غاباتهم فانهُ رأى ذلك منذ خمسين سنة وعلم انهُ اذا بقيت البلاد جارية هذا المجرى عزَّ وجود الغابات وغلا الخشب كثيرًا فجعل يشتري كل ما يستطيع مشتراهُ من الغابات وقد تحقق

تقديره فغلا ثمن الخشب في السنوات العشر الاخيرة وسيزيد غلاؤُهُ جدًّا في العشرين سنة التالية . واذا بقي هذا الرجل حيًّا الى آخرها وبقيت غاباتهُ لهُ فاقت ثروتهُ كل احصاء وكل تقدير فان غابة الشجر التي كانت تساوي ٧٥ الف ريال منذ عشر سنوات لا تباع الآن بسبع مئة وخمسين الف ريال وقد بيعت غابة شجر منذ خمس سنوات باثني عشر الف ريال ثم بيعت الآن بخمس مئه الف ريال ويمكن ذكر امثلة كثيرة من هذا القبيل

ولا نعلم بالتحقيق مساحة الغابات التي يمتلكها ويرهوسر ولكن يرجح الخبيرون انها لا تقل عن ثلاثين مليون فدان اي خمسين الفًا من الاميال المربعة . وكذلك لا يمكن تعيين الثمن الذي تساويهِ هذه الغابات بالتدقيق ولكن ويرهوسر باع منذ عهد قريب ميلاً مربعًا من غاباتهِ بستة وسبعين الف ريال فاذا بيعت غاباتهُ كلها بهذا السعر بلغ ثمنها ٣٨٠٠ مليون ريال اي ٧٦٠ مليون جنيه وهذا يجعل ثمن الفدان ١٣٠ ريالاً او نحو ٢٦ جنيهًا وهو ليس ثمنًا غاليًا للغابات المملوءة بالاشجار واذا فُرض ان ثمن الفدان عشرة جنيهات فقط فثروة هذا الرجل تساوي ثلثمئة مليون جنيه وثروة جون ركفلر لا تقدَّر باكثر من مئتي مليون جنيه

وويرهوسر الماني مولدًا واميركي منشئًا ومقامًا. ولد في جنوبي المانيا سنة ١٨٣٤ وكان فلاحًا يحرث الارض فاقام فيها الى ان صار عمرهُ ١٨ سنة ثم هاجر الى اميركا واتى ولاية بنسلفانيا وانتقل منها الى الينويز ودخل معملاً لنشر الخشب فخدم فيهِ وكان دئبًا على عملهِ دقيق النظر فيهِ فلم تمضِ عليهِ ستة اشهر حتى صار مديرًا لذلك المعمل وتعرَّف بشاب آخر الماني الاصل اسمهُ دنكمن وتصادقا وكانا كلاهما مقتصدين مجتهدين واراد اصحاب المعمل ان يبيعوهُ فاشترياهُ منهم. وطاف ويرهوسر في ولاية وسكونسن ليرى ما فيها من الغابات فاستغرب اسراف الناس في قطع شجرها وزاد هو وشريكهُ اقتصادًا واجتهادًا حتى جمعا من المال ما يكفي لمشترى بعض تلك الغابات فاشتريا كثيرًا منها بثمن بخس جدًّا وانشأا معامل لنشر الخشب فزادت ثروتهما وزاد عملهما . وجعل ويرهوسر يمدّ عروقهُ في البلاد وانشأ الشركة العظيمة المعروفة بسنديكات ويرهوسر وانتخب رئيسًا لشركات اخرى واشترى شركات غيرها فاشترى شركة نلسن بمليوني ريال وعندها من الغابات ما يقدَّر خشبهُ بست مئة مليون قدم

وظلَّ يبتاع الغابات وينشئ الشركات حتى صارت شركاتهُ تقطع كل سنة من الخشب ما يساوي الف مليون قدم وامتلك كل الغابات في وادي المسسبي . وقد ذكرت مجلة الكسموبولتن ثلاث عشرة شركة قالت انها لهُ فعلاً لان شركاءهُ فيها لا يمتلكون الاَّ قليلاً منها وهو يدير الاعمال ويقطع الاسعار كما يشاء

وقد يقال ان كبار الاغنياء حصَّلوا ثروتهم بطرق غير محللة كما اتضح اخيرًا فهل جرى ويرهوسر مجراهم . والجواب انهُ جرى هذا المجرى على نوع ما لان غيره اختلس وهو اخذ الغنيمة وتفصيل ذلك ان الحكومة الاميركية كانت تهب كل احد مئة وستين فدانًا من اراضيها الزراعية اذا تعهد باحيائها وزرعها . وعندها غابات واسعة جدًّا من الاشجار حكمت ان لا تباع ولا تؤَجر واجتمع مجلسها النيابي سنة ١٨٩٧ واقرَّ في الجلسة الاخيرة من جلساتهِ انهُ اذا أُعطي احد ارضًا وجدها غير صالحة للزراعة حق لهُ ان يبدلها بغيرها من اراضي الحكومة فدانًا بفدان من غير قيد . والذين سنُّوا هذا القانون ارادوا الاحسان الى الذين اخذ الواحد منهم مئة وستين فدانًا ووجدها غير صالحة للزراعة ولكن كان في البلاد كثير من شركات سكك الحديد ولكل شركة منها اراضٍ واسعة جدًّا على جانبي خطها منحتها اياها الحكومة مع الامتياز فباعت الجيد منها وبقي لها القفار القاحلة فلم يكد ذلك القانون يسن حتى جعلت هذه الشركات تترك اراضيها القاحلة وتبدلها بالغابات المملوءَة بالاشجار الكبيرة فابدلت ما مساحتهُ اربعة ملايين فدان من القفار بما لا يثمن من الغابات وكأَنها كانت متواطئة مع اعوان ويرهوسر فاشتروها منها حالاً بثمن بخس ستة ريالات الفدان الذي يساوي مئة ريال على الاقل ومنها الغابات التي بيع مئة وستون فدانًا منها بستة وسبعين الف ريال كما تقدم

ومن هذا القبيل ان ولاية اوريغون وهبت احدى الشركات ارضًا واسعة منذ نحو خمسين سنة لكي تنشئَ سكة مركبات فيها ثم خربت السكة وكان في ارضها غابات فسيحة كبيرة الشجر فاستردت الحكومة ثمانمئة الف فدان منها واضافتها الى غاباتها العمومية ثم انتقلت هذه الارض الى يد رجل واحد بطرق خفية واشتراها ويرهوسر منهُ بمليون ريال اي انهُ اشترى الفدان منها بريال وربع لا غير ولم يكد يتم ذلك حتى خولت شركتهُ ان تبدل مئة واحد عشر الف فدان من اراضٍ قاحلة تملكها بسبعة وثمانين الف فدان من الغابات التي يقدَّر ثمنها باكثر من ثلاثة ملايين ومئتي الف ريال

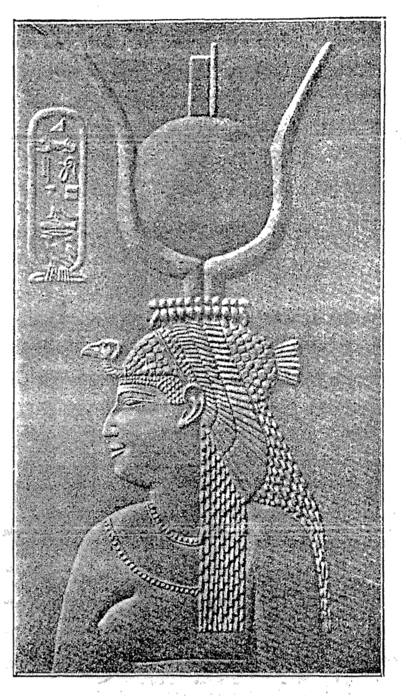
هذه الاعمال يعملها اعوان ويرهوسر وهو مقيم في بيتهِ شيخًا سادجًا في معاملاتهِ كريمًا في اخلاقهِ . وعلى هذا النمط اغتنى كثيرون او جمعت لهم الاموال ووكلوا بها كانهم خزنتها الى ان يموتوا فتنتقل الى ورثتهم فيبددوها وتعود الى الامة التي جمعت منها

مفاخر البطالسة

كليوباطرة السابعة

هي اشهر ملكات مصر ان لم تكن اشهر ملكات الارض . وُلدت في شتاء سنة ٦٩ قبل المسيح . واوصى ابوها بالملك لها ولاخيها الاكبر وحلَّف الرومانيين بكل آلهتهم ان ينفذوا وصيتهُ وارسل نسخةً منها الى رومية لكي توضع في خزانة المملكة لكن الاضطراب كان سائدًا حينئذٍ فمنع من وضعها حيث اراد فابقاها بمبايوس عندهُ وترك النسخة الثانية في الاسكندرية . وانتقل الملك الى كليوباطرة وعمرها سبع عشرة سنة واقترنت باخيها بطليموس الرابع عشر واشركتهُ معها في الملك حسب وصية ابيها لكنهُ كان ولدًا في التاسعة من عمرهِ فكان الملك كلهُ في يدها وبعد سنتين او ثلاث اختصمت مع مشيرهِ بوثينوس الخصي وكان هذا الرجل مسموع الكلمة وتحزَّب بطليموس لهُ فاضطرت كليوباطرة ان تغادر القطر المصري وتلجأ الى بلاد الشام وكان لها اصدقاء فيها فتمكَّنت بواسطتهم من جمع الجنود وعادت بهم الى مصر وبلغ اخاها خبرها فجيش الجيوش وقام للقائها عند حدود الديار المصرية وكان معهُ كثيرون من جنود بمبايوس الذين جاء بهم غابنيوس من بلاد الشام وتركهم في الاسكندرية لحراسة ابيهِ بطليموس الثالث عشر . واتفق انهُ بينما كان بطليموس الرابع عشر مخيماً عند جبل قاسيوس متربصاً للقاء اختهِ وفد عليهِ بمبايوس لاجئاً الى مصر مع زوجتهِ كورناليا منتظرًا ان يجد عونًا من ملكها على اعدائهِ وفاء بما لهُ من الفضل على ابيهِ فوصل الى بلوزيوم (الفرما) بالفي مقاتل وارسل امامهُ رسلاً يخبر بطليموس بقدومهِ فقابل وزراء بطليموس الرسل وارسلوا يستدعون بمبايوس الى مصر وقد كادوا لهُ ليقتلوهُ وارسلوا اليهِ اخلاَّس معلم الملك ولوسيوس سبتيموس الذي كان ضابطاً من ضباط بمبيوس وارسلوا معهما زورقاً صغيرًا ليأتي بهِ من سفينتهِ الى البر فاستغرب بمبايوس هذا الاستقبال المهين لكنهُ نزل في القارب وسار فيهِ وهو لا يوجس شرًّا والتفت الى لوسيوس سبتيموس فعرفهُ وكلمهُ في ذلك ولكنهُ لم يشعر الاَّ وسبتيموس طعنهُ بخنجر في صدرهِ وقام اعوانهُ واجهزوا عليهِ وكان رجال بوثينوس الخصي هناك فقطعوا رأسهُ ليحضروهُ الى قيصر لكن قيصر اغتاظ من هذه الفعلة الشنعاء وامر بقتل بوثينوس واخلاَّس

والظاهر انهُ لم تقع حينئذٍ معركة فاصلة بين كليوباطرة واخيها. وفي السنة التالية جاءها



صورة الملكة كليوباطرة كما هي منقوشة على المباني المصرية
وهي صورة تقليدية لا حقيقية

المدد من يوليوس قيصر فانهُ دخل الاسكندريةَّ بثلاثة آلاف ومئتي مقاتل وسار والصولجان امامهُ فظن الاسكندريون انهُ جاءهم ليمتلك بلادهم باسم رومية فثاروا عليهِ وقتلوا كثيرين من رجالهِ حتى اضطر ان يستدعي الجنود من سورية ولما وصلوا اخذ يسكّن هياج الشعب مدعياً ان ما وقع من الخلاف بين كليوباطرة واخيها اضطرهُ الى الحضور اليهم لان ملكهم السابق عقد محالفة مع رومية وهو قنصل رومية . وكان لهُ دافع آخر يدفعهُ الى هذا العمل وهو ان بطليموس استدان منهُ ١٧ مليونًا ونصف مليون من الغروش فقصد ان يستوفيها .

فلما علم بوثنيوس مرادهُ بعث الى الفرما واستدعى الجنود وعقد لواءهم لاخلاّس واوقد نار الفتنة في البلاد كلها فوصلت الجنود واستولى اخلاّس على الاسكندرية كلها الاَّ حيث كان يوليوس قيصر مقيماً وللحال نشبت الحرب بينهُ وبين قيصر فكان الفوز لقيصر وحرق السفن المصرية التي كانت تحمي المرفأ واستولى على جزيرة المنارة ويقال ان النار وصلت الى اهراء الحبوب فحرقتها وانها احرقت ايضاً كتباً ثمينة

وعزمت كليوباطرة على ان تجتمع بقيصر ويقال انهُ هو استدعاها اليهِ فاخذت ابلودورس الصقلي ونزلت في زورق صغير وسارت بهِ الى القصر وكان الوقت ليلاً والتفّت بفراش وحملها ابلودورس ودخل بها من باب القصر لانهُ لم يكن في الامكان ان تدخلهُ بطريقة اخرى من غير ان يُعلَم امرها . ويقال ان هذه الحيلة سرّت قيصر لانها ابانت لهُ اقدام هذه المرأة وجسارتها فسمع لها معجباً بفصاحتها وجمالها ولم تخرج من حضرتهِ الاَّ وقد صار عبداً لها . جاء ليفصل بينها وبين اخيها باسم رومية وعلى حسب العدل الروماني فاصبح ولا غرض لهُ الاَّ نصرتها

ولما بلغ بطليموس ان قيصر صار من عشّاق اختهِ احتدم غيظاً ونزع تاجهُ عن رأسهِ ونادى برجالهِ قائلاً هل تصبرون على هذه الخيانة فنهضوا كلهم كرجل واحد وهجموا على قيصر وتغلَّبوا على رجالهِ وكادوا يصلون اليهِ ويفتكون بهِ فخاف منهم ووعدهم ان يعطيهم كل ما يطلبون ثم امر فاجتمع مجلس عام وقرأ عليهم وصيَّة ملكهم المتوفى واعطى قبرص لارسنوي واخيها بطليموس الخامس عشر لكن الشعب لم يخمد لان غانيميدس الخصي اخذ ارسنوي ونادى بها ملكة فزادت الفتنة استحكاماً . واشار غانيميدس على الشعب فقتلوا اخلاّس وجعلوهُ هو قائداً لهم وقامت الحرب على قدم وساق في المدينة كلها وقتل كثيرون من رجال قيصر وكاد هو يغرق في البحر لو لم يكن ماهراً في السباحة فانهُ وقع في الماء ورداء الارجوان على كتفيهِ واوراق في يدهِ فطرح الرداء عنهُ ورفع الاوراق بيسارهِ وسبح بيمينهِ فنجا واخذ الاسكندريون الرداء ورفعوهُ على بيرق غنيمة

ومضت شهور وقيصر يحاول الاصلاح بين كليوباطرة واخيها فلا يستطيع واخيرًا نشبت الحرب بينهُ وبين المصريين على ضفَّة النيل ففاز عليهم وكاد يفنيهم وغرق ملكهم وهو يحاول عبور النيل فتم الفوز لقيصر بعد جهاد تسعة اشهر . وركب النيل هو وكليوباطرة وسارا باربع مئة مركب يتفقدان احوال البلاد وزوَّجها باخيها بطليموس الخامس عشر فشاركها في الملك حسب الظاهر وحقيقة الحال انها استقلَّت بالملك وصارت خليلة لقيصر ورزقت منهُ ولدًا . ولما عاد قيصر الى رومية دعاها اليهِ فتبعتهُ واخذت معها ابنها منهُ وزوجها، وسمي ابنها قيصريون اي قيصر الصغير ويقال انهُ كان شديد الشبه بابيهِ. وبقيت كليوباطرة في رومية الى ان قتل قيصر غيلةً فعادت الى مصر

وسنة ٤١ قبل المسيح امرها مرقص انطونيوس ان تأتي اليهِ الى ظرسوس وتبين لهُ الاسباب التي حملتها على مساعدة خصومهِ فتلكأت عن اجابة طلبهِ ولما ألحَّ عليها بالحضور وتهدَّدها سارت اليهِ وصعدت في نهر قدنس راكبة سفينة مذهبةً شراعها من الارجوان ومجاذيفها من اللجين والمجذفون يجذفون على نغم العود والقيثار وكانت لابسة لبس الزهرة متكئة تحت خيمة مزركشة بالذهب والغلمان حولها في صور آلهة الحب يروّحون لها بالمراوح والجواري الحسان يدرنَ دفة السفينة ويشددنَ حبالها وهنَّ لابسات لباس عرائس البحر والاهات اليونان ورائحة العود والصندل والطيوب الكثيرة تملأ ضفتي النهر . فارسل انطونيوس ودعاها اليهِ لتتعشى معهُ فاجابتهُ بدعوتهِ اليها ليتعشى معها . فرأى ان من الشهامة اجابتها الى طلبها واندهش مما رآهُ عندها من دلائل المجد والابهة وزارتهُ في اليوم التالي لتتغدى عندهُ فرأَت انهُ لا يستطيع ان يكرمها كما اكرمتهُ لان ما عندهُ من ادوات الطعام والشراب ووسائل الراحة والرفاهة لا يعدُّ شيئًا في جنب ما عندها . ولما رأَت انهُ رجل حروب وجلادٍ لا رجل ملك وابهة جعلت حديثها من نوع حديثهِ فاستهوتهُ وفتنتهُ . وكانت زوجتهُ فلفيا تحارب اكتافيانوس قيصر رومية لاجلهِ والفرس يتحفزون للهجوم على سورية ومع ذلك انقاد الى كليوباطرة ورافقها الى الاسكندرية وعاش معها عيشة التنعُّم والبذخ والبطر كأَنهُ استعبد لها ولم يعد شيءٌ يشغلهُ عنها حتى قال اكتافيانوس "لقد رسخ في ذهني الآن ان تلك الملعونة سحرتهُ"

واقامت كلوباطرة مع انطونيوس نهارًا وليلاً ولم تعد تفارقهُ ساعة وكانت تلعب معهُ بالنرد وتخرج معهُ للصيد وتسري معهُ ليلاً في شوارع المدينة لابسة لبس غلام وهو يضحك ويمزح مع الغوغاء وكان الاسكندريون يسرون بمزحهِ معهم ومداعبتهِ لهم ويكيلون لهُ الصاع

صاغين ويقولون انهُ يلبس عدة الحرب للرومانيين وثياب المجون للمصريين واباح لكليوباطرة ان تفعل ما تريد وتعتدي على كل الشرائع الدينية والدنيوية فقتلت اختها ارسنوي في هيكل ارطاميس بمغنيسيا وسرابيون حاكم قبرص واخاها بطليموس الخامس عشر الذي زوّجها بهِ يوليوس قيصر

وجملة القول ان انطونيوس تعبَّد لها ولم يعد يهمهُ شيء سواها واباح لها ان تفعل كل ما تشاء · واخيرًا بلغهُ ان زوجتهُ فلفيا اضطرت ان تهرب من رومية وان الفرس اجتاحوا سورية فاستيقظ من سباتهِ وصحا من سكرهِ وقام لمناوأَة اعدائهِ وكتبت اليهِ زوجتهُ تستدعيهِ اليها فاقلع الى ايطاليا بمئتي سفينة لكن زوجتهُ ماتت قبل وصولهِ · واصطلح اكتاڤيانوس معهُ على ان يقتسما المملكة الرومانية مناصفةً · ثم تزوَّج باكتاڤيا اخت اكتاڤيانوس لانهُ كان يحسب كليوباطرة خليلةً لا حليلةً · واقام مع اكتاڤيا مدة وهو على تمام الوئام والصفاء ثم سلم اولادهُ من فلفيا زوجتهِ الاولى ومن اكتاڤيا زوجتهِ الثانية لاكتافيانوس واقلع قاصدًا اسيا ولم يكد يبلغ سواحل الشام حتى خطرت كليوباطرة على بالهِ واتقدت نار حبها في فؤَادهِ فارسل استدعاها اليهِ ولما وصلت منحها فينيقية ولبنان وقبرص وقسمًا من كليكية ومن اليهودية حيث ينبت البلسم وقسمًا من بلاد الانباط · قال يوسيفوس وبلاد البلسم قرب اريحا فاستأجرها منها هيردوس ملك اليهود وزعم يوسيفوس ان كليوباطرة احبت هيردوس ونصبت لهُ شراك حبها فعزم على قتلها لكن مشيريهِ نهوهُ عن ذلك وحذَّروهُ العاقبة فاحسن وفادتها واهدى اليها هدايا كثيرة وشيعها الى مصر · ورواية يوسيفوس لا تعقل لان هيردوس كان يعلم بطش انطونيوس فلا يجسر ان يمدّ الى كليوباطرة يدًا

وحارب انطونيوس الفرس وقهرهم وعاد الى سورية واقام بين بيروت وصيداء في قرية تسمى القرية البيضاء منتظرًا كليوباطرة وكان عازمًا على الذهاب الى ارمينية لكن بلغهُ ان اكتافيانوس بعث اليهِ زوجتهُ اكتافيا · والظاهر ان اكتافيانوس علم بافتتان انطونيوس بكليوباطرة فارسل اليهِ زوجتهُ حتى اذا اغضبها بشيء من الاشياء وجد لهُ سبيلاً عليهِ · فلما وصلت الى اثينا رأَت مكاتيب انطونيوس تنتظرها هناك لكي لا تأْتي اليهِ وكانت كليوباطرة قد سمعت بعزم اكتافيا على المجيء فأَسقط في يدها وجعلت تبدي الحب والدلال لانطونيوس حتى اقنعتهُ انها لا يهنأُ لها عيش في الابتعاد عنهُ وانهُ اذا تركها ماتت وجدًا وجعلت اخصاءها يكررون ذلك على مسمعهِ فابطل ما كان عازمًا عليهِ من الحملة على بلاد

الارمن وخطب ابنة ملك الفرس لاحد ولديهِ من كليوباطرة وعاد مع كليوباطرة الى مصر واقام في الاسكندرية كأنهُ من عامة الناس ولبس لباس اليونان بدلاً من لباس الرومان وجعل يجالس اليونانيين دون سواهم اكراماً لكليوباطرة ولم يعد يذهب الاَّ الى الهيا كل والمدارس للمذاكرة مع العلماء واولم وليمة فاخرة عند اول مجيئهِ الى الاسكندرية نصب فيها عرشين مذهبين عرشاً لهُ وعرشاً لكليوباطرة ونصب عروشاً اصغر منهما لاولادهِ ونادى بكليوباطرة ملكة مصر وقبرص وليبية ولبنان واقام قيصريون ابنها من يوليوس قيصر شريكاً لها في الملك ولقبها ملكة الملوك ولقب كل ولد من ولديها منهُ ملك الملوك واعطى الاول منهما ارمينية وبلاد مادي وفارس والثاني فينيقية وسورية وكليكية . وجعلت كليوباطرة تلبس لبس ايسس الهة مصر وسمت نفسها ايسس الجديدة والبست انطونيوس لبس اوسيرس وديونيسوس وفتنت الجميع بجمالها وفصاحتها

وعادت اكتافيا الى رومية فاغتاظ اكتافيانوس من اهانة انطونيوس لاختهِ وحرَّك مجلس الشيوخ واوغر صدورهم وصدور الجنود فاعلنوا الحرب على كليوباطرة فتحفز انطونيوس للقائهم ومضى الى افسس وجمع منها ثمانمئة سفينة وذهبت كليوباطرة معهُ فاولما الولائم في صاموس ومضت ايام ولا يسمع في تلك الجزيرة سوى اصوات المغنين . ووصل انطونيوس الى اثينا وواصل الملذات وارسل اناساً من هناك الى رومية ليطردوا اكتافيا من بيتهِ . فدهش الناس من ذلك لان اكتافيا كانت اجمل من كليوباطرة واصغر سناً ومن ثم جعل انطونيوس واكتافيانوس يستعدان للحرب والتقيا عند اكتيوم وبينما رحى الحرب دائرة والفوز فيها غير محقق لفريق على فريق رفعت سفن كليوباطرة شراعها وخرجت من حومة الوغى عائدة الى مصر ورآها انطونيوس فنسي ما هو فيهِ وترك جنودهُ وركب سفينة صغيرة واسرع وراءها حتى اذا دنا منها اوقفت سفينتها واصعدتهُ اليها ولما وصل الى ساحل ليبية نزل الى البر وترك كليوباطرة تعود الى مصر وحدها وحاول الانتحار فمنعهُ اعوانهُ من ذلك واتوا بهِ الى الاسكندرية

وحاولت كليوباطرة ان تهرب من مصر بطريق البحر الاحمر وجرَّت بعض السفن براً الى برزخ السويس فحرقها العرب فعادت تحصن مصر لكي تمنع اكتافيانوس من دخولها وقطعت رأس ملك ارمينية (وكان انطونيوس قد احضرهُ معهُ الى مصر) وارسلتهُ الى ملك الفرس لكي تستنجد بهِ لان ملك الفرس كان معادياً لملك ارمينية . ووصل انطونيوس اليها وعادا الى ايلام الولائم واقامة مجالس الانس والطرب وجعلت كليوباطرة تجرّب السموم المختلفة في

المحكوم عليهم بالقتل لتعلم ايها اقتل حتى تلجأ اليهِ اذا غلبها اكتافيانوس فوجدت ان سم الصل اقتل من سائر السموم واقلها المًا · وارسلت وفدًا الى اكتافيانوس تسترضيهِ وتطلب منهُ ان يسمح لاولادها بملك مصر ولانطونيوس ان يذهب الى اثينا ويعيش فيها معتزلاً فاجابها انهُ يعطيها كل ما تريد اذا قتلت انطونيوس · وارسل اليها ثرسوس الخطيب ليقنعها بذلك فاغتاظ انطونيوس منهُ وجلدهُ وردهُ الى اكتافيانوس

واخيرًا وصل اكتافيانوس الى مصر بطريق سورية فامرت كلوباطرة سلوقس والي بلوز يوم (الفرما) ان يسلمهُ تلك المدينة ثم جمعت كل ما عندها من الذهب والفضة والزمرد واللؤلؤ والعاج والابنوس والقرفة وما اشبه ووضعتها في قبر فخيم كانت قد بنتهُ لنفسها قرب هيكل ايسس · وخاف اكتافيانوس ان تقتل نفسها وتحرق كل كنوزها فجاء بجنودهِ الى الهيبودروم (ميدان السباق) وخرج انطونيوس اليهِ محاربًا فهرب فرسان اكتافيانوس من وجههِ · ودعا انطونيوس اكتافيانوس الى المبارزة فلم يلبِّ طلبهُ كبرًا فعزم انطونيوس ان يحاربهُ برًا وبحرًا لكن الجنود والبحارة تركوهُ بخيانة كليوباطرة وانضموا الى اكتافيانوس على ما قالهُ المؤرخ ديون كاسيوس فصرخ انطونيوس قائلاً خيانة خيانة · وخافت كليوباطرة منهُ فهربت الى قبرها من وجههِ واقفلت الباب وارسلت رجالاً يخبرونهُ انها ماتت فدخل مخدعهُ وامر عبدهُ اروس ان يقتلهُ اما العبد فاستلَّ سيفهُ واغمدهُ في صدرهِ بدلاً من ان يغمدهُ في صدر سيدهِ ورأى انطونيوس ذلك منهُ فاستلَّ سيفهُ واغمدهُ في صدرهِ اقتداء بعبدهِ فجرح جرحًا بالغًا ولكنهُ لم يمت ونادى الذين حولهُ وطلب منهم ان يجهزوا عليهِ فلم يجسروا واتى حينئذٍ ديوميدس كاتب كليوباطرة ليأخذهُ اليها فلما سمع انها لم تزل حية امر الذين حولهُ ان يحملوهُ اليها لكنها لم تستطع ان تفتح لهُ الباب فدلت حبالاً من كوة وربطهُ الخدام بها وكان معها جاريتان فرفعتاهُ معها بالحبال ووضعتهُ على سرير وجعلت تبكي وتنوح وتمزق ثيابها وتلطم صدرها وتمرغ وجهها بدمهِ · وطلب هو قليلاً من الخمر واوصاها ببعض الوصايا واسلم الروح

ولما بلغ اكتافيانوس خبر موتهِ دخل خيمتهُ وبكاهُ ثم ارسل بركليوس ليأتيهُ بكلوباطرة حيَّة حتى يعود بها الى رومية مقيدة في موكبهِ ودخل بركليوس القبر بحيلة وكانت عازمة على الانتحار فانتزع الخنجر من يدها

وسمح اكتافيانوس لكليوباطرة ان تدفن انطونيوس بما يليق من الاكرام كملك عظيم الشأن · ثم مرضت بالحمى فنحل جسمها وامتنعت عن الاكل لعلها تموت جوعًا وزارها

اكتافيانوس حينئذٍ ورآها لابسة لبسة المتفضل ومتكئة في سريرها وحولها صوَر يوليوس قيصر ومكاتيبهُ فجعلت تقبّل تلك المكاتيب وتبكي وتتأسف لانها لم تمت قبلهُ فوقف امامها مطرقًا ولم يرفع نظرهُ اليها بل قال لها تشجعي واطمأني فانهُ لا ينالك مني اذًى . ولما رأت انهُ لم ينظر اليها انطرحت على قدمهِ وجعلت تتوسل اليهِ ليسمح لها ان تموت وتلحق بانطونيوس فعاد الى كلام التعزية والتشجيع ثم خرج من غرفتها وامر عتيقهُ ابا فروديتوس ان يراقب حركاتها وسكناتها لئلا تقتل نفسها

ولما رأت ذلك غيّرت اطوارها واوهمت الناس انها عدلت عن عزمها الاول وصارت تحب الحياة حتى انخدع اكتافيانوس وسمح لها ان تذهب الى قبر انطونيوس لتسكب السكائب عليهِ فلما وصلت اليهِ اغتسلت واكلت وجاءها رجل بسلّة تين فيها صلٌّ صغير فاخرجت كل احد من القبر غير جاريتيها ايراس وشارميون واتكأت على سرير ذهبي وجعلت الصل يلسعها في ذراعها او صدرها واقتدت جاريتاها بها . وكانت قد كتبت الى اكتافيانوس تطلب منهُ ان يسمح بدفنها الى جانب انطونيوس فاوجس شرًّا وارسل رجالاً ليأتوهُ بجلية خبرها فوجدوها ميتة على سرير ذهبي بحلتها الملكية وشارميون تصلح التاج على رأسها وهي تتسكع في حالة النزع وايراس مطروحة عند قدميها في النزع ايضًا وهي تقول احسنتِ ياشارميون وشارميون تقول نعم ومَن احرى بالتاج من سليلة البطالسة . وامر انطونيوس بدفن كليوباطرة الى جانب انطونيوس بما يليق من الاكرام والاجلال وبدفن جاريتيها ايضًا

وكان عمر كليوباطرة تسعًا وثلاثين سنة لا غير فملكت اثنتين وعشرين سنة . وقد رآها انطونيوس اول مرة وهي فتاة صغيرة وكان وقتئذٍ في حاشية غابنيوس لما كان في الاسكندرية والظاهر انهُ احبها من ذلك الحين ثم رآها في طرسوس وكان كهلاً في الاربعين من عمرهِ ففتن بها حالاً ولما مات كان عمرهُ نحو ست وخمسين سنة . وقتل اكتافيانوس قيصرون ابنها من يوليوس قيصر وانتلوس ابن انطونيوس من فُلْفِيا لكنهُ ابقى على اولادها من انطونيوس وامر ان يربوا ويعلَّموا كما يليق باولاد الملوك كأنهم من انسبائهِ

وقد اختلف المؤرخون الاقدمون في وصف كليوباطرة وتقدير مزاياها العقلية وجمالها الفتان لكنهم متفقون على انها كانت من اجمل نساء عصرها واعذبهم منطقًا يعشقها كل من يراها ويسمعها ولو كان طاعنًا في السن الاَّ ان فلوطرخس المؤرخ انكر نسبة الجمال المفرط اليها ولو لم ينكر انها كانت فتّانة ونسب مهارتها في اجتذاب القلوب الى عذوبة منطقها وذلاقة لسانها وحسن بيانها وقال انها قلما كانت تحتاج الى مترجم حينما تكلم البرابرة لانها كانت

تتكلم بلسان الاحباش والعبرانيين والعرب والسوريين والماديين والفرس وتعرف لغات اخرى مع ان اسلافها البطالسة لم يكونوا يتعلمون لغة ولا اللغة المصرية وبعضهم كان يجهل اللسان المكدوني

واناخ يوسيفوس عليها فوصفها بكل وصف قبيح وقال انها كانت فاسدة السيرة والسريرة طمّاعة الى الدرجة القصوى تستبيح المحرمات وتستحلّ نهب الهياكل والقبور وكانت عبدةً لشهواتها سخّرت انطونيوس وجعلتهُ يعمل كل ما تريد وتشتهي

ووصفها ديون كاسيوس بمثل ذلك وقال انها كانت غيورة طمّاعة تحب الابّهة والمباهاة

والظاهر من كلام فلوطرخس ان اكتافيا زوجة انطونيوس كانت اجمل منها . ولا شبهة في ان كليوباطرة كانت جميلة وانها استخدمت جمالها لنيل مآربها ولكن ذلك لا يفسّر تغلبها على اثنين من اعظم قوّاد الرومانيين واشدهم بأساً وهما يوليوس قيصر ومرقص انطونيوس فلا بدَّ من انها كانت ممتازة بذكاء عقلها وعذوبة منطقها . والظاهر انها كانت تحب العلوم والفنون كما يستدل من استيهابها انطونيوس مكتبة برغاموس وفيها مئتا الف كتاب ونقلها الى الاسكندريَّة بدل الكتب التي حرقت في عهد يوليوس قيصر

وقد اكتفى المؤرخون الاولون بقولهم انها كانت جميلة ولم يصفوا شكلها فلا يعلم مما كتبوهُ ولا مما وجد من رسومها انها كانت بيضاء او سمراء شقراء الشعر او سوداءهُ . اما الصور التي على المباني المصرية فلا فائدة منها لانها ترسمها رسماً دينيًّا مثل كل الملكات . واما النقود فادلُّ منها على شكل وجهها في زمن من حياتها ولا يظهر من نقودها التي رأيناها انها كانت على شيءٍ من الجمال . وقد رجح الدكتور بدج ان في عروقها شيئًا من الدم السامي وانها كانت بيضاء الوجه شقراء الشعر مثل نسل الاوربيين والساميين المقيمين في سورية ومصر . ومهما كانت عيوبها فلا شبهة في انها انتحرت لتنجو من الذل والعار وفي ذلك من الشجاعة ما فيهِ

وبنيت في ايامها بعض المباني الدينيَّة في دندرا وارمنت وبها انقرضت دولة البطالسة العظيمة وزال استقلال مصر من ذلك الحين

ومن شاء زيادة التفصيل فليقرأ رواية كليوباطرة التي نشرناها في المقتطف منذ اربع سنوات

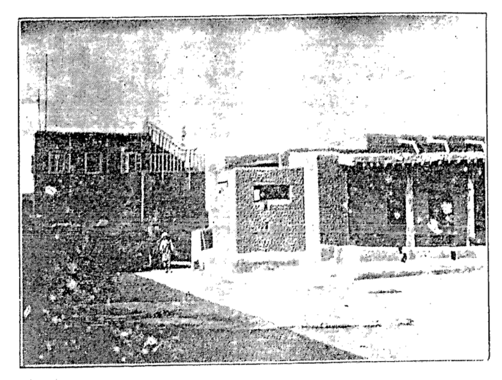
مصر والسودان

الرسالة الثالثة في ام درمان

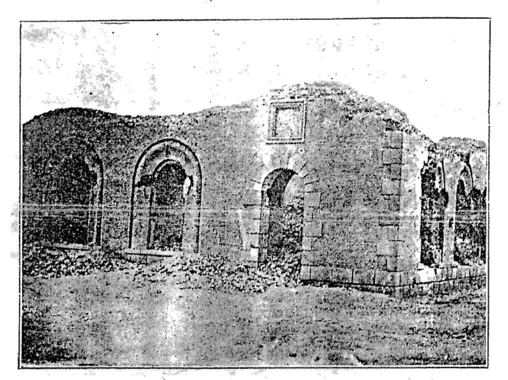
من يقرأ كتاب سلاتين باشا لا يسعهُ ان يزور السودان من غير ان يدخل ام درمان ويرى ما فيها من الاماكن المذكورة فيهِ ولو كانت ذكراها ترتعش منها المفاصل وتقشعر لها الابدان. ولم اكد ادخل باب هذه المدينة حتى تذكرت كل ما قرأتهُ عنها فتخيلت الجموع في ساحة الجامع تنصبُّ عليهم اشعة الشمس المحرقة وهم الوف شملهم الظلم واشتركوا في الضراء وسلاتين باشا نفسهُ راكع تحت الكوة التي يطل منها الخليفة يفكر في وسيلة ينجو بها من الاسر والعذاب وكأن بلاد السودان تركت للسيف والجوع والاوبئة حتى يفنى سكانها وتخرب ديارها ولا يبقى فيها للحضارة اثر. ثم خطرت ببالي الساحة التي كان الاسرى والمتهمون يلقون فيها او تضرب اعناقهم او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف لا لذنب جنوهُ بل ارضاء لاهواء الخليفة وتلتها صورة السجن الذي كره ذلك الطاغية ان يسميهُ سجناً فسماهُ "سائراً" وكان الاولى بهِ ان يسميهُ سعيراً وكأني كنت ارى فيهِ المئات من الرجال بعضهم فوق بعض والقيود والاغلال في اياديهم وارجلهم واعناقهم وهم عجاف الابدان يتبلغون بحفنة من الذرة او يئنون من الحميات والسنتهم تكاد تتشقق من حرارتها ولا احد يبرد لظاهم بقطرة ماء

هذه الصور ترددت على مخيلتي قبلما دخلنا بيت الامانة الذي كان بمثابة دار التحف والاسلحة ثم دخلناهُ ورأينا ما فيهِ من المدافع القديمة المحفوظة من ايام محمد علي وسعيد باشا والمدافع الكثيرة الطلقات المأخوذة من حملة هكس باشا ومطبعة الحجر التي كانت في الخرطوم يوم خربها الدراويش والبنادق والحراب والفرود وآلات صك النقود وعمل الخرطوش التي صنعوها فوقفت مدهوشاً من رجل تسلط على بلاد فيها عمران يفوق في كثير من وسائلهِ العمران الذي كان في عهد الفراعنة والبطالسة والقياصرة ورأى فيها اناساً يعرفون الطباعة وعمل البارود واستعمال الآلات الميكانيكية الحديثة الاختراع ويصنعون آلات عمل الخرطوش ويصكون النقود ومع ذلك لم يستطع ان ينمي ذلك العمران ولا ان يحتفظ بهِ وغاية ما استفادهُ منهُ انهُ استخدمهُ لقتل الناس وتعذيبهم

ولقد سألت كثيرين من الشيوخ الذين لقيتهم في ام درمان عما اذا كان قد انشأ مدرسة في تلك المدينة او غيرها من المدن او عمل عملاً نافعاً يشكر عليهِ فاجابوني بالنفي المطلق



صورة بيت الخليفة في ام درمان



صورة قبر المهدي في ام درمان في حالته الحاضرة

وانتقلنا من بيت الامانة الى بيت الخليفة وجلنا في غرفهِ المختلفة وصعدنا الى العلية التي كان الخليفة يقيم فيها فيشرف على المصلين (لان الجامع ساحة كبيرة مكشوفة يحيط بها سور غير مرتفع) ويصعد على سطحها فيرى كل ام درمان وما حولها وشاهدنا ما في بيتهِ من السراديب الكثيرة التي تمكنهُ من الهرب والاختفاء اذا فاجاءهُ عدوٌّ مفاجيءٌ وتدل على انهُ كان يعلم مقدار ما ابقاهُ في النفوس من الحقد والعداء

وبناء هذا البيت وبيت الامانة وبيت اخيهِ يعقوب وغيرها من البيوت المشهورة حقير زريٌّ بعضها بالطوب الاحمر المأخوذ من بناء القصر والجامع والكنيسة في الخرطوم وبعضها بالطوب الاخضر المجفف في الشمس ولا شيءَ فيها من حسن الهندسة والرونق . ولم اصدق وانا في بيت الخليفة انني في بيت رجل كانت بلاد السودان كلها ترتجف من مهابتهِ والحكومة المصرية تخشى سطوتهُ وتحسب لهُ الف حساب . ولا يُفسَّر انصياع اهالي السودان لاوامرهِ وبينهم الامراء والعلماء والجنود والضباط والتجار الاَّ بان الدعوة الدينيَّة تستهوي النفوس وتتغلب على العقول ولا سيما اذا اقترنت بالتخويف والارهاب

ثم وصلنا الى قبر المهدي وهنا وقفت مفكرًا في امر ذلك الرجل وكيف خدعهُ الخليفة حتى ادعى دعوة دينيَّة وفي سهولة انقياد الناس للذين يأتونهم من طريق الدين . وانتقلتُ من التفكير في ذلك الى شكل البناء ومتانتهِ وحسن هندستهِ وكنت قد قرأت وسمعت ان بانيهُ ايطالي ولم يزل حيًّا يرزق فكان في طاقة الخليفة ان يستعين بهِ وبامثالهِ على بناء المباني المتقنة ولكنهُ لم يفعل ذلك حتى يبقى مدفن المهدي ممتازًا على كل المباني في السودان فيكون كعبة يحج الناس اليها ويمتنع الحج الى البيت الحرام

ثم جلنا في اسواق المدينة فدهشت من كثرتها وحقارتها ولكنني لم البث ان رأيت آثار الحكم الجديد فيها فان الدكاكين التي بنيت حديثًا كبيرة واسعة الابواب كأنها في مدينة من مدن القطر المصري وعلى وجوه الناس سمات الرضى والسرور فقابلت بين ذلك وبين ما ذكرهُ السر رجينلد ونجت باشا في كتابهِ " المهدوية " وما كتبهُ سلاتين باشا والاب اهرولدر ونعوم بك شقير عن احوال الناس في ايام المهدوية فقلت انهُ جدير بهؤلاء ان يشكروا الله ومنقذيهم صباح مساء والاَّ فالانسان ناكر للجميل وكافر بالنعم . ولا شبهة في انهُ كان لاختبار سلاتين باشا وما تحمَّلهُ مدة اسرهِ شأن كبير في استرجاع السودان فلهُ في ذلك فضل كبير لا ينكر

وشوارع ام درمان نظيفة كلها لحسن اعتناء الحكومة . وسكانها نحو خمسين الفًا وارضها

صخرية عالية وهواؤُها طيب وبيوتها متفرقة وحول كل بيت منها حوش كبير . وفيها تجارة واسعة فان اهالي جنوب السودان وغربهِ يتبضعون منها ولاهلها مهارة في صياغة الفضة وخرط العاج والقرن والابنوس وحياكة القطن البلدي وفيها مئات من التجار السوريين واكثرهم من اهالي حلب وتشم رائحة العود والصندل والافاويه في اسواقها كما تشم في اسواق دمشق . وبلغني ان الحكومة عينت مبلغاً طائلاً من المال لتنظيم شوارعها واصلاحها

وقد لقيت في ام درمان ضابطاً مصرياً عربي الاصل (حمدي افندي سيف النصر) لا يزال كثيرون من اقاربهِ يلبسون ملابس البدو في هذا القطر الى الآن . دعانا الى بيتهِ لتناول الشاي فيهِ فجلسنا حول مائدة كأننا في بيت رجل اوربي من السراة وهو يحسن الانكليزية ويجاري ضباط الانكليز في اشهر لعبة من العابهم الرياضية التي نقلوها عن امراء الهند والفرس وهي لعبة البولو او الكرة والصولجان وعندهُ اثمن الجياد واسرعها لهذه الغاية والغالب انهُ يجاري ملاعبيهِ او يفوز عليهم فيحسبونهُ واحداً منهم وهم قلما يعترفون بذلك لضابط اوربي من غير جنسهم

ودعينا في المساء لمشاهدة الرقص السوداني المعروف بالدلوكة ولا يرقصهُ الحرائر بل الجواري اللواتي اصلهنَّ من الرقيق وهو قبيح لذاتهِ لكنهُ يري تأثير الاصوات الموقعة في الاعصاب فان اولئك الجواري كنَّ يتحركن ويتمايلن كانهنَّ مرتبطات بايدي الضاربات على الدربكَّه . والناس مهما انحطَّ شأنهم واخنت عليهم السنون لا ينفكون عن محبة الطرب . ولا غرابة في ذلك فان العجماوات نفسها تطرب على نغم الموسيقى وفي اصواتها وحركاتها شيءٌ من التوقيع

وشاهدت الترمواي البخاري في ام درمان والسودانيون يصعدون اليهِ وينزلون منهُ كانهُ من مراكبهم التي الفوها هم واسلافهم من قبلهم فقلت في نفسي ما اسرع انتشار اسباب الحضارة وما اسهل اعتياد الانسان عليها ولكن هل تتأصل هذه الاسباب في البلاد وتنمو فيها كما ينمو الغرس في التربة الصالحة لهُ او تبقى عارية كالازهار الصناعية على شجرة عيد الميلاد . هل يقوم من السودانيين انفسهم اناس يناظرون الاوربيين في عمل المركبات البخارية والآلات الكهربائية ويخترعون ويستنبطون كما يقوم من سكان سويسرا اناس يناظرون الانكليز ومن سكان المانيا اناس يناظرون الفرنسويين ومن سكان اميركا اناس يناظرون الاوربيين فلا يكتشف انسان اكتشافاً ولا يخترع اختراعاً حتى ترى كثيرين استعملوا اكتشافهُ او اختراعهُ او اكتشفوا واخترعوا ما يماثلهُ او يفوقهُ احكاماً فلم يكد هرتز الالماني يكتشف الامواج الكهربائية المنسوبة اليهِ حتى استخدمها مركوني في تلغرافهِ ولم يكد مركوني يشهر

تلغرافنا حتى ناظره سلابي الالماني ودفرست الاميركاني وغيرهما من الانكليز والفرنسويين. فهل يتأصل العمران الحديث في مصر والسودان وينمو فيهما او يبقى عمراننا عارية وتقليداً. هذه مسالة يطرق لديها الكرى خنوعاً ولم انظر فيها مرةً الاّ اعترتني دهشة وخفت ان يصدق علينا ما قيل من اننا شعوب قديمة شاخت وانحطت ولا يرجى ان يتجدد شبابها ولولا ما بدا من اهل يابان حديثاً لما بقي في قوس الرجاء منزع

واتفق دخولي ام درمان في يوم حرّهُ قليل بالنسبة الى حر السودان ولكنهُ ليس قليلاً بالنسبة الى حر هذا القطر بلغت درجتهُ في النهار السادسة والثلاثين ثم انحطت في المساء جدًّا حتى اضطررنا ان نلبس اردينتا فوق ثيابنا. ولقيت بعد ذلك اثنين من شبان الانكليز ابن وزير ماليتهم الحالي وابن السركولن سكوت منكريف وكنت اظنهما مقيمين في الخرطوم فقالا كلاَّ بل اقامتنا في ام درمان نفسها ونحن نفضلها عن الخرطوم حتى في شهور الحر لاننا نكون فيها مع الوطنيين ولاجلهم اتينا هذه البلاد . فادهشني ذلك منهما وقلت كم شاب من اولاد وزراء مصر يرضى ان يقيم في مدن السودان في شهور الحر لكي يخدم اهاليها. لا شبهة ان الشعب السكسوني عالي الهمة شديد العزيمة والاّ ما دان لهُ ربع المعمور

الرسالة الرابعة في معاهد التعليم في السودان

ليس من غرضي وصف مدارس السودان وذكر عدد تلامذتها ومقدار نفقاتها وانواع العلوم التي تدرَّس فيها فاني لا اعلم من ذلك غير ما يمكن الاطلاع عليهِ في تقارير حكومة السودان السنوية ولاسيما تقرير مدير المعارف بل غرضي وصف مارأيتهُ حيث يتعلم الانسان بعينيهِ وبديهِ اي حيث ينتج العلم من العمل لا حيث يراد ان ينتج العمل من العلم فيبقى العلم عقيماً والعمل سقيماً

لما دخلت مدرسة غوردون وجلت في غرفها المختلفة ورأيت تلامذتها يعملون الاعمال الحسابية او يتمرنون في الكتابة والترجمة لم ادقق نظري في ذلك لعلمي انها مثل غيرها من نوعها وان اكثر هذا التعليم النظري يذهب ضياعاً فان من مئة تلميذ يتمون دروسهم في مدرسة ابتدائية لا يشتغل اكثر من خمسة منهم بالعلم والباقون يبلغون سن الشباب والكهولة وهم لا يتذكرون من قواعد الحساب غير الجمع والطرح والضرب والقسمة ومن علم الجغرافية غير اسماء عواصم بعض الممالك وينسون كل قواعد النحو والبيان ولا يفرقون عن الذين لم يتعلموا مثلهم لا في اعمالهم ولا في معاملاتهم

اتاني رجل منذ اربع سنوات واستشارني في امر ولدهِ وهو فتى في الرابعة عشرة من عمرهِ وسألني هل يبعث بهِ الى مدرسة يتعلم فيها قواعد العربية والانكليزية او يخدمهُ في مكان حيث يتمرَّن على هاتين اللغتين كتابةً وانشاء فاشرت عليهِ بالثاني . وولدهُ الآن اقدر على الكتابة بالعربية والانكليزية من الذين درسوا سنين كثيرة في المدارس الكلية . وهذا الامر مضطرد في سائر الاعمال فان العمل والمزاولة اقدر من المدارس على تعليمها

قلت اني لم ادقق النظر في غرف التدريس في مدرسة غوردون العلمي انها مثل غيرها من نوعها ولكنني كنت التفت لارى نسبة السودانيين الى غيرهم كما يعلم من هيآتهم والوانهم فوجدت ان التلامذة الذين من اصل غير سوداني اكثر من الذين من اصل سوداني ولكن لا يظهر ان بين الفريقين بونًا في الذكاء والاجتهاد . وكنت قد سمعت ان في المدرسة امكنة للعمل (ورشًا) فبادرت اليها ورأيت فيها العلم الحقيقي الذي يربي فريقًا كبيرًا من رجال السودان ولا اريد بذلك انهُ يربي القضاة والمفتين والكتَّاب والمعلمين بل اريد انهُ يربي رجال الاعمال — يربي الصناع والتجار والملاَّك — يربي رجالاً مثل ستفنصن واديصن وركفلر وويرهومر كما يربي الحدادين والنجارين والفلاحين وكل الذين يستثمرون خيرات الارض ويوجدون ثروتها ومن تعب ايديهم يعيش القاضي والمفتي والكاتب والمعلم . الى هؤُلاء الصناع والعمال تحتاج البلاد وعليهم يتوقف عمرانها

وفي المدرسة فرع لتعليم المعلمين وفرع آخر لتعليم القضاة ولكن البلد الذي يكفيهِ معلم واحد وقاضٍ واحد لا يكفيهِ الف صانع وعامل فالبلاد احوج الى الصناع والعمال منها الى كل احد سواهم هؤُلاء يستخرجون الخيرات من الارض ويوجدون النفع بعملهم في ما لا نفع منهُ من الخشب والمعدن ولو كانت البلاد لا تستغني عن القضاة والمعلمين

وقد رأيت في هذه الاماكن اعمال الحدادة على انواعها كسبك الحديد وتطريقهِ وخرطهِ وتسهيلهِ وصقلهِ ودهنهِ وعمل الآلات والادوات منهُ . واعمال النجارة على انواعها كنشر الخشب وجليهِ وصقلهِ وعمل الخزاين والموائد والصناديق ودهنها بالادهان المختلفة . والآلات التي تعرف بها متانة مواد البناء على انواعها واشكالها . والعمال من تلامذة المدرسة ومعلوهم من الاوربيين والمصريين وهم دئبون على عملهم كما هم دئبون على دروسهم ولقد احسن السر وليم ماذر الذي منح المدرسة هذه المعامل فانهُ انفق ما انفقهُ من المال على انفع الامور لبلاد السودان

وقبل عودتي من الخرطوم زرت دار الصنعة حيث تبنى السفن الصغيرة والكبيرة وهناك معمل كبير جدًّا يديرهُ بوند بك بمهارة فائقة فرأيت فيهِ سفينة تبنى على الشاطىء واكثر

خشبها من بلاد السودان وهو صلب جداً اصلب من خشب السنديان واحشك منهُ دقائق حتى يجد العمال اكبر مشقة في نشرهِ . وسفينة بخارية تم تجديدها او بناؤها لان اكثر اجزائها صنع جديداً وفيها من اتقان الصنعة ووسائل الراحة والرفاهة ما لا يرى اوفى منهُ في السفن البخارية النيلية التي يؤتى بها من اوربا وكان الدهانون لا يزالون يمدون الورنيش على دهانها

ودخلت اماكن النجارين فرأيتهم يصنعون ادوات مختلفة ويستخدمون احدث الآلات لنشر الخشب وخرطهِ وجليهِ وصقلهِ وعمل الادوات المختلفة منهُ والمناشير القائمة والمستديرة تدور بالبخار وكذا آلات الجلي ليست من نوع الفارة التي يعتمد فيها على مهارة اليد بل من النوع الذي يدور دوراناً سريعاً فيجلو سطح الخشب على تمام الدقة والانتظام . ورايت هناك نوعاً من الخشب يشبه خشب الجوز تماماً في لونهِ وتموجه وانحشاك دقائقهِ واحتمالهِ للصقل قال لي بوند بك انهُ من اعالي السودان . وهناك نجار شيخ من عهد غوردون باشا مشهور بعمل القوالب واتقان صناعة النجارة فصنع لي منهُ محفظة لعيدان الكبريت يفضل خشبها على خشب الجوز . والظاهر ان البلاد غنيَّة بالخشب الجيد الذي يسهل نقلهُ بالنيل ولا يبعد ان تستغني بهِ عن اكثر ما يرد اليها من البلدان الاخرى

ثم دخلت اماكن الحدادين والبرادين فرايتهم يصنعون كل ما يحتاج اليهِ اصلاح سكك الحديد وسفن النيل وما تدعو الحال الى عملهِ جديداً في بلاد السودان والآلات كلها تدار بالكهربائية وتنار بالكهربائية واكثر العمال من السودانيين والمصريين وبعضهم كانوا في عهد غوردون باشا وباكر باشا ومرَّ عليهم حكم الدراويش بفظائعهِ ولم يفقدهم مهارتهم

ورؤساء العمل في هذه المعامل كلها يعترفون للعمال الوطنيين مصريين كانوا او سودانيين بالمهارة ولكنهم يشكون مرَّ الشكوى من قلة العمال السودانيين ومن انهم اذا شبعوا وكان عندهم قوت يومين ابطلوا العمل . وقد عنيت الحكومة ببناء البيوت لهم ليسكنوا فيها هم ونساؤهم واولادهم لكي لا ينقطعوا عن العمل ومع ذلك لا تستطيع ان تعتمد عليهم دائماً كأن طبع الكسل او القناعة متمكن منهم يصعب عليهم نزعهُ وكثيرون منهم يدمنون المسكرات اذا وجدوا في يدهم نقوداً يبتاعونها بها وعندهم نوع من المسكر يصنعونهُ ويسكرون بهِ ويشربون ايضاً المسكرات الاوربية اذا امكنهم الوصول اليها حتى لقد يشربون الالكحول. وهذه آفة اخرى فوق الكسل وضغث على ابالة . فاذا لم تنشأ فيهم اخلاق جديدة تقوي ملكة الاجتهاد وتمنعهم من ادمان المسكرات فمستقبلهم غير مأمون . وهنا اوسع مجال للعلمين والمرشدين الذين يتمنون خير تلك البلاد وفلاح سكانها

ديون الرهنيات العقارية

اطلعنا على نسخة عربية من التقرير الذي رفعهُ حضرة الدكتور الفريد عيد بالفرنسوية الى نظارة الخارجية البلجيكية في سنة ١٩٠٦ عن ديون الرهنيات العقارية في القطر المصري

ولا يخفى ان مسالة الديون المعقودة على رهن في هذا القطر هي من اعظم المسائل المصرية شأناً ومن اهمها اعتباراً عند الذين يبحثون عن حاضر القطر ومستقبلهِ وقد قسم حضرة الدكتور عيد بحثهُ في هذه المسألة الى اربعة اقسام

الاول تقدير الديون المعقودة على رهن

والثاني تاريخ هذه الديون في الماضي والحال

والثالث تأثيرها في حالة القطر الاقتصادية وفي مستقبلهِ

والرابع النتيجة ومقابلة ديون القطر المعقودة على رهن بديون البلاد الأُخرى

اما الاول اي تقدير الديون المعقودة على رهن فقد اسهب فيهِ وفصَّل ثم استنتج ان الديون المعقودة على رهن حقيقي في البنوك وخارجها الى سنة ١٩٠٥ هي نحو ٢٨ مليون جنيه . والديون المطلوبة على اطيان مبيعة بالتقسيط ومضمونة بامتياز البائع في الرهن هي نحو ١٠ ٣/٤ مليون جنيه فتكون قيمة كل الديون المعقودة على رهن نحو ٣٩ مليون جنيه الى سنة ١٩٠٦

واما الثاني اي تاريخ هذه الديون فقد وجد حضرتهُ انها زادت ٢٥٥ في المئة من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٠٦ ولكن سكان القطر ايضاً زادوا في تلك المدة من ٨ ملايين نفس الى ١١ مليوناً ومساحة الاراضي الزراعية زادت من ٤٧٣٩٣٠٠ فدان في سنة ١٨٩٤ الى ٥٦٠٠٠٠٠ فدان سنة ١٩٠٥ وقيمة الاطيان زادت من ١٢٠ مليون جنيه سنة ١٨٩٥ الى ٣٥٠ مليوناً . وعليهِ كانت قيمة الديون المعقودة على رهن حقيقي ٩ في المئة من قيمة اطيان القطر سنة ١٨٩٥ كما قدرها المرحوم السر الون بالمر ولا تزال كذلك (٨،٩ في المئة) سنة ١٩٠٦ في تقدير الدكتور عيد

واما الثالث وهو تأثير هذه الرهنيات في تقدم القطر حالاً واستقبالاً فرأي الدكتور عيد ان تأثيرها بالتقسيط حسن . ومن ادلتهِ على ذلك ازدياد قيمة اراضي القطر . وان الذين اشتروا اراضي بالتقسيط وخصوصاً من الاراضي الاميرية كسبوا بتقسيمها وبيعها بربح وتركوا للذين اشتروها منهم مجالاً واسعاً للكسب ايضاً باصلاحها وزيادة استثمارها . وان البيع

بالتقسيط لم يثقل كاهل الاهالي بالديون اذ فائدتهُ خفيفة من جهة وقد نفع المشترين بازدياد قيمة الاراضي من جهة أُخرى . ولان البراهين كثيرة على ان ديون الرهنيات العقارية المصرية صرفت في وجوه نافعة الاّ في ما ندر كديون المسرفين من اولاد بعض العائلات ومن هذه البراهين عدم وجود حراج واراض خاصة بالصيد في القطر المصري . والبساتين الواسعة التي تقتضي نفقات عظيمة قليلة فيهِ ولا يزال الفلاح بعيداً عن الترف في مسكنهِ وملبسهِ . والمزارعون اشتروا اطياناً كثيرة نقداً بالمال الذي استلفوهُ من البنوك على اطيان اخرى علاوة على ما اشتروهُ بالتقسيط وصرفوا اموالاً طائلة على اصلاح اطيانهم وترقية زراعتهم كما يستدلُّ عليهِ من احصاء الجمارك لقيمة ما ورد على القطر من الادوات والآلات الزراعية على اختلاف انواعها فقد كانت قيمة الوارد منها نحو مليون جنيه فقط من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٨٩٠ فصارت نحو ثلثة ملايين من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٥ وقد زاد محصول القطن من ٣ ملايين قنطار في المدة الاولى الى ٦ ملايين في المدة الثانية . وبقية المحصولات ازداد الصادر منها او لم ينقص ما عدا الغلال وبزرة القطن لا لان محصولها قلّ بل لان طلب القطر لها ازداد عما كان عليهِ

وقد استنتج الدكتور عيد بعد بحث مطول ان فائدة الديون المعقودة على رهن تبلغ ٢٤٣٠٦٦٠ جنيهاً مصرياً في السنة الآن وانها كانت ٨٨٠٠٠٠ جنيه مصري سنة ١٨٩٥ وقد تقدم ان هذه الديون زادت ٢٥٥ في المئة من سنة ١٨٩٥ الى ١٩٠٦ واما الفائدة المطلوبة من الاهالي عليها فلم تزد الاّ ١٩٤ في المئة فقط

ثم اذا نظرنا الى قيمة الصادر من حاصلات القطر الزراعية وجدنا ان متوسطها كان ٠٦٣٠٠٠٠٠ اجنيه مصري سنوياً من سنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ وانهُ اصبح ١٨٠٧٤٠٠٠ سنوياً من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٥ فيكون قد زاد ٧٠ في المئة في تلك المدة وعليهِ تكون الفوائد التي يدفعها الاهالي على ديونهم العقارية قد زادت ١٥٥٠٠٠٠ جنيه في السنة واما قيمة المحصولات الزراعية فزادت ٧٤٤٤٠٠٠ جنيه في السنة . وزد على ذلك ان رأس المال الموظف في القطر لم يأتِ كلهُ من الخارج بل بعضهُ مأخوذ من سكان القطر نفسهِ وفائدتهُ عائدة على القطر ايضاً

والرابع وهو نتيجة التقرير ان هذا الدين وان كان قد ازداد سريعاً لكنهُ لا يعد جسيماً اذا قارناهُ بالدين المعقود على رهن في البلاد الاخرى لانهُ في فرنسا ١٠ في المئة من الثروة العقارية وفي النمسا ٣٧ في المئة وفي المانيا ٣٠ في المئة وفي روسيا ٤٠ في المئة وفي انكلترا

٥٠ في المئة وفي رومانيا ٢٢ في المئة وفي نروج ٣٧ في المئة وفي الدنمرك ٥٠ في المئة وفي الولايات المتحدة الاميركية ١٧ في المئة

وان ورود الاموال الاجنبية على هذا القطر افاده كثيرًا واذا أُريد استمرار هذه الفائدة وجب استمرار ذلك الورود قال "وهذا هو رأْينا الصريح ولكن مع ذلك نحتاط له ببعض الملحوظات وهي ان نمو البلاد يشبه نمو كل جسم حي بمعنى ان هذا النمو يتم باطوار يتخللها سكون وراحة حتى يمكن تمثيل النتائج التي صار الحصول عليها وتوزيعها توزيعًا مناسبًا"

هذه خلاصة التقرير المفيد الذي وضعهُ الدكتور عيد وعسى ان يستعملهُ واسطة لتخفيض معدل الفائدة التي يأْخذها اصحاب الاموال الاوربيَّة من القطر المصري . فانهُ ان كانت ديون الرهينات العقارية مضمونة الى هذا الحد فلا داعي لجعل فائدتها ٦ او سبعة في المئة لان زيادة الفائدة تكون بمثابة تأْمين على احتمال العجز عن الايفاء اما اذا كان ايفاء الدين وفائدتهِ مضمونًا فلا داعي لهذا التأْمين ويصير دين الفلاَّح المصري الذي رهن لهُ عقارهُ بمثابة دين الحكومة المصرية او دين الحكومة الانكليزيَّة يكفي ان تكون فائدتهُ ثلاثة في المئة . وكان الواجب على الحكومة المصرية ان تهتم بجعل الفائدة التي تعطى للبنك الزراعي اربعة او خمسة في المئة لانها ضمنت سنداتهِ كلها . وان يكتفي بالسندات ولا يصدر اسهمًا يعطي السهم العادي منها تسعة في المئة وسهم التأْسيس الفًا في المئة كما فعل هذه السنة . وان كان دين الفلاَّح غير مضمون ضمانًا كافيًا بريع اطيانهِ فمن تدينهِ خطر كبير عليهِ لانهُ ان عجز عن ايفاء فائدة الدين واقساطهِ سنة او سنتين تراكمت الديون عليهِ فيضطر ان يبيع بعض اطيانهِ لايفائها

ثم ان طبع الناس الاسراف في الاموال المستدانة لانهم لا يتعبون في كسبها وطباع اهالي القطر المصري لا تخالف طباع سائر الناس في كل البلدان ولذلك يقول لك الذين خبروا حال الفلاَّحين المالكين انهم كثيرو الاسراف على افراحهم وولائمهم يستدين الواحد منهم الف جنيه فينفق نصفها على تزويج ابنهِ او ابنتهِ او على الاقتران بزوجة اخرى ويعطي من يتوسَّط لهُ بعقد الدين اثنين في المئة الى خمسة في المئة . ومعلوم ان ثمن ما يزيد عن الحاجة من الطعام والشراب والاثاث مال تالف تخسرهُ البلاد ولا ينتفع بهِ احد

وقد ذكر الدكتور عيد مثلين استدلَّ بهما على ان المال المستدان على الاطيان يمكن ايفاؤُهُ مع فائدتهِ من ريعها بسهولة كأَنهُ ايجار يدفعهُ المستأْجر ويفضَّل المستدين على المستأْجر لان المستدين يمتلك الطين بعد ايفاء الدين وفائدتهِ

قال ولنفرض فلاحاً لا يملك الاَّ خمسة افدنة من نوع الاطيان الجيدة التي يساوي الفدان منها ١٠٠ جنيه فتكون قيمة الخمسة افدنة ٥٠٠ جنيه . ولنفرض هذه الاطيان كلها مرهونة فبما ان البنوك لا تسلف اكثر من ٦٠ في المائة من قيمة الطين كان ما يمكن ان يستلفهُ هذا الفلاَّح ٢٥٠ الى ٣٠٠ جنيه بفائدة ٧ في المائة يضاف اليها ١/٢ في المائة قيمة المصاريف فيكون مضطرًّا الى سداد سلفة قدرها ٢٥٠ الى ٣٠٠ جنيه بفائدة ٧ ونصف في المائة على مدة ١٥ سنة اي الدفعة السنويَّة التي تستحق عليهِ هي من ٢٨ الى ٣٤ جنيهاً

فايراد الاطيان التي من هذا النوع هو بمعدل ٧ و ٧ ونصف في المائة من قيمتها وعليهِ يكون ايراد فلاحنا هذا من ٣٥ الى ٣٧ جنيهاً ونصف على الاقل في السنة فيتضح من ذلك ان الفلاَّح الذي رهن جميع اطيانهِ يوجد في حالة اقتصاديَّة تشابه تماماً حالة فلاَّح آخر استأجر نفس هذه الاطيان . وكلٌّ يعرف في القطر المصري ان مستأجر الطين يتمكن من دفع الايجار والانفاق على نفسهِ واقتصاد شيء ايضاً من ايراد الاطيان في بعض الاحيان . فالفلاَّح الذي اتخذناهُ مثلاً لا يختلف بمعيشتهِ وحالتهِ في الهيئة الاجتماعية عن المستأجر المذكور ويتمكن هو ايضاً من سداد المطلوب منهُ سنويًّا للدين مع الانفاق على نفسهِ غير انهُ يختلف عن المستأجر ويمتاز عليهِ بأمر عظيم وهو انهُ بعد ان يكون اوفى المطلوب منهُ سنويًّا على مدة ١٥ سنة ينتفع بزيادة قيمة الطين الناشئة عما يكون انفقهُ من مال السلفة على الارض لزيادة قيمتها . اما المستأجر فيبقى غير مالك بعد نفس هذه المدة انتهى

ويعترض على ذلك ان صافي ايراد الاطيان الآن لا يبلغ ١/٢ ٧ ولا ٧ في المئة بالنسبة الى ثمنها الحالي فالفدان الذي ثمنهُ مئة جنيه لا يؤَجر باكثر من سبعة جنيهات في السنة يطرح منها مال الحكومة ومصاريف من يهتم بتحصيل الايجار وتدبير ما يلزم للاطيان فلا يكون الربح الصافي اكثر من خمسة جنيهات اي خمسة في المئة فاذا كانت هذه الاطيان كلها مرهونة على ما يساوي ٦٠ في المئة من ثمنها فلا امل بتخليصها من الرهن مطلقاً

وفرض الدكتور عيد حالة ثانية وهي ان يمتلك انسان اطياناً كثيرة فيرهنها كلها على ما يساوي ٦٠ في المئة من ثمنها اي يستدين ستين جنيهاً على الفدان الذي يساوي مئة جنيه وقال ان الخمسين فداناً التي ترهن كذلك يبلغ ايجارها في السنة ٣٥٠ جنيهاً وتبلغ فائدة الدين وقسطهُ في السنة من ٢٣٥ جنيهاً الى ٢٨٠ جنيهاً فقط فيبقى للمالك ٧٠ جنيهاً الى ١١٥ . ولكن اذا فرضنا انهُ لا يبقى لهُ من ايجار الفدان سوى خمسة جنيهات بعد طرح مال الحكومة ومصاريف الادارة كما هو الواقع وجدنا ان الربح الباقي من الزراعة يساوي القسط المطلوب او يقل عنهُ

لكن هاتين الحالتين نادرتان جدًّا بدليل ان الاموال المستدانة تبلغ عشر ثمن الاطيان وبدليل ان الاطيان المرهونة عند البنك العقاري تبلغ نحو مليون فدان والمبالغ المرهونة عليها تبلغ نحو ١٨ مليون جنيه فكأن الفدان منها مرهون على ١٨ جنيهاً فقط وذلك يسهل ايفاء الدين وفائدته والغالب ان المالك يرهن جانباً من اطيانه ويترك جانباً بلا رهن فيوفي عجز المرهون من ايراد غير المرهون اما الذي يرهن اطيانهُ كلها على ما يساوي ستين في المئة من ثمنها في الوقت الحاضر فلا نرى كيف يستطيع ان يوفي الدين ويتخلص من الرهن

ثم ان الرخاء الحاضر ناتج عن غلاء سعر الحاصلات نعم ان كمية الحاصلات زادت ايضاً كما قال الدكتور عيد ولكن زيادتها ليست ناتجة من زيادة محصول الفدان الواحد بل من زيادة الافدنة التي صارت تزرع قطناً هذا هو الغالب · ولارتفاع السعر اهمية كبيرة لان نفقات زرع فدان القطن تبلغ الآن اربعة جنيهات اذا كان يروى بالراحة فاذا فرضنا ان متوسط محصوله اربعة قناطير وبيع القنطار منها بجنيهين لم يبقَ من محصول الفدان سوى اربعة جنيهات واذا بيع القنطار باربعة جنيهات بقي من ثمن المحصول ١٢ جنيهاً اي اذا تضاعف الثمن لا يتضاعف الربح فقط بل يصير ثلاثة اضعاف واذا بيع القنطار بخمسة جنيهات صار صافي الربح ١٦ جنيهاً اي اربعة اضعاف ما كان اولاً

فاسعار الحاصلات ولاسيما القطن اهم شيء يجب النظر اليهِ في تقدير ما يستطيع الفلاح استدانته من الاموال · ولا يخفى ان سعر القطن المصري متوقف على موسم اميركا وكما يحتمل ان يكون موسم اميركا عشرة ملايين بالة يحتمل ان يكون ١٤ مليون بالة والاحتمال الثاني اقوى من الاحتمال الاول لان الاحتمالين متساويان من حيث الحوادث الجوية الاَّ ان الاحتمال الثاني يضاف اليهِ اعتناء ارباب الزراعة فان هذا الاعتناء يؤول الى جودة المحصول وهو مستمر ويؤيد ذلك مواسم السنين الماضية فان عدد المواسم الكبيرة اكثر من عدد المواسم الصغيرة بالنسبة الى مساحة الاطيان المزروعة · فكما يحتمل ان يبقى ثمن قنطار القطن خمسة جنيهات او اربعة يحتمل ايضاً ان يعود الى ثلاثة جنيهات بزيادة موسم اميركا واذا حدث ذلك في سنتين متواليتين عجز المستدينون عن ايفاء الاقساط المطلوبة منهم اذا كانت اطيانهم كلها مرهونة فلا يليق باحد ان يرهن اطيانهُ كلها ولا ضمانة لهُ اذا رهن اكثر من نصفها . والبنك الذي يسلّف على اكثر من نصف اطيان مالك او على اكثر من نصف ثمنها لا يكون دينهُ مضموناً الضمان الكافي الاَّ اذا قصد امتلاك الاطيان

وخلاصة رأينا في هذ الموضوع انهُ ليس من الحكمة ان يرهن احد اكثر من نصف اطيانهِ

او ان يسلف بنك على اكثر من نصف الاطيان او نصف ثمنها اذا لم يكن لمالكها مورد ريع آخر يستطيع الايفاء منهُ عند الحاجة وحينئذٍ يصير دين الفلاح المصري في غاية الامن

هذا ويظهر من تقرير البنك العقاري المصري والبنك الزراعي المصري لسنة ١٩٠٦ ان قيمة ديون البنك الاول بلغت الى اخر سنة ١٩٠٦ خمسة وثلاثين مليونًا و٨٥١ الفًا و٢٤٩ جنيهًا (٣٥٨٥١٢٤٩) وهي معقودة على اطيان مساحتها ٩٨٦٢١٥ فدانًا اي نحو مليون فدان او نحو خمس اطيان القطر المصري وعلى عقارات لم تبين انواعها في التقرير. والديون المعقودة على عقارات تبلغ نحو ستة ملايين من الجنيهات فكأن خمس اطيان القطر المصري كان رهونًا عند البنك العقاري على ثلاثين مليون جنيه الاَّ ان المستدينين اوفوا من هذه الديون واقساطها الى آخر العام الماضي نحو ١٥ مليون جنيه فلم يبق منها الاَّ نحو ٢١ مليون جنيه

وقد بلغت قيمة الفوائد التي اخذها البنك العقاري في خلال السنة الماضية ١٩٨ ١١٧٦ جنيهًا ارسل اكثرها الى اوربا فوائد السندات والاسهم التي فيها. اما البنك الزراعي فبلغت السلفيات التي سلفها في العام الماضي ٢٢٨٠٦٠ وقيمتها اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات وبلغ صافي ارباحهِ منها بعد طرح مصاريفهِ العمومية ٥٥٨٢٧٥ جنيهًا

فالقطر المصري يدفع الآن للبنك العقاري والبنك الزراعي فوائد ٢٩ مليونًا من الجنيهات عدا ما يدفعهُ للبنوك والشركات الاخرى ولا نظن انهُ يخرج منهُ فوائد في السنة اكثر من مليونين ونصف من الجنيهات ولو بلغت الديون اكثر من اربعين مليونًا من الجنيهات

علاج السرطان بالحشائش

لا يخفى ان الثآليل تقع احيانًا من نفسها او بمجرد الوهم او بعلاجات بسيطة غير مذكورة في كتب الطب. وهي اجسام لحمية نامية كالسرطان وقد تكون مؤلمة مثلهُ . كثرت الثآليل مرة في اصابع فتاة فاضفنا نقطتين من عصير الليمون ونقطتين من ماء كولونيا الى حنجر من الماء وقلنا لها ان تدهن الثآليل بهِ كل يوم ففعلت وشفيت الثآليل . وكان في يد كاتب هذه السطور ثؤلول كبير في ذراعهِ وكان مولمًا جدًّا فوضع عليهِ حليب التين فزاد المهُ وبعد ايام قليلة كان يحكهُ فسقط من ساعدهِ وذلك منذ اكثر من اربعين سنة ولم يزل مكانهُ ندبة الى الآن ورأى ثآليل اخرى ظهرت في اصابعهِ وهو فتى ثم زالت من نفسها بغير علاج. وقد شاع في بلاد الانكليز الآن ان اثنين من اهالي ويلس يداويان السرطان الخارجي بمواد

نباتية على هذا الاسلوب فيقع من نفسهِ ويشفى المصاب منهُ . فانتدب المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية رجلاً ليذهب الى ويلس ويرى كيفية هذه المعالجة وفعلها في شفاء السرطان فعاد المندوب وهو يقول ان الشفاء حقيقي وان الامر يستحق الامتحان المدقق

قال ان الرجلين اخوان متقدمان في السن لهما مشاركة في فن الموسيقى ونظم الشعر بلغة اهالي ويلس فسأَلتهما كيف خطر لكما ان تعالجا السرطان

فقالا اننا ورثنا الميل الى المعالجة وراثةً فان ابانا كان يعالج الناس بالحشائش وكان المرضى يأتونهُ من كل الجهات لهذه الغاية وقد تعلمنا منهُ فوائدها

فقلت لهما وكيف شرعتما في معالجة المرضى

فقالا كنا نجول في البلاد نعلّم فيها فن الموسيقى واذا رأَينا مريضاً او مصاباً بآفةٍ ما نعالجهُ شفقةً عليهِ

فقلت هل كنتما تعالجان السرطان

فقالا لم نكن نعالج السرطان في اول الامر بل نعالج امراض العيون ورأَينا مرةً فتاة ذهبت الى المستشفى وهي تكاد تعمى وعادت منهُ واليأْس ملء فؤَادها لان الاطباء قطعوا رجاءها من عينيها وكانت تعول امها وهي ارملة مقطوعة ليس لها احد يعولها غير ابنتها فاخذتنا الشفقة عليها وجعلنا نجرب بعض الحشائش في معالجتها الى ان تمكنا من شفائها تماماً وهذا الامر شدد عزائمنا وشجعنا على معالجة السرطان. وقد جربنا حشائش كثيرة في معالجتهِ قبلما اكتشفنا النبات الذي تشفي اوراقهُ السرطان اكتشفناهُ منذ عشرين سنة ولكننا لم نتحقق فعلهُ تماماً الاَّ منذ عهد قريب

فقلت انكما لم تتعلما الطب فكيف تميزان السرطان عن غيرهِ من الاورام

فقالا اننا نميزهُ برائحة خصوصية نشمها منهُ . واذا التبس علينا وخفنا ان يكون ورماً عادياً لا سرطاناً آسيناهُ باللزق فاذا كان ورماً ارتخى واذا كان سرطاناً زاد صلابةً فنعالجهُ حينئذٍ علاج السرطان

فقلت وكيف تعالجانهِ

فقالا ندهنهُ بدهان مخصوص ونضع عليهِ اوراق النبات الذي يشفي من السرطان ونغطيها بورقة من ورق الكرنب (الملفوف) ونربطها جيداً فيجتمع جذور السرطان تحتهُ ويقع من نفسهِ ويشفى المصاب فقلت هل العلاج مؤْلم

فقالا اذا استعجلنا فيهِ فهو مؤْلم والاَّ فلا ونحن الآن نعالج مصاباً على مهل فهو لا يشكو الماً

فقلت ما هو اعتقادكما في السرطان

فقالا نعتقد انهُ جسم ينمو كما تنمو الشجرة فاذا قطع زاد نموًّا وتمكّنًا ولذلك نفضل معالجة السراطين التي لم تقطع بعملية جراحية لانها تكون اكثر اذعانًا للعلاج اذ تكون جذور السرطان قريبة من اصلهِ والدهان الذي ندهن بهِ السرطان اولاً يرينا امتداد جذورهِ احيانًا ونرى تألم الجلد حيث تُسحب الجذور منهُ

واخبرني ابن رجل من الذين شفوا من السرطان انهُ سهل عليهِ في اليوم الثاني من استعمال العلاج ان يرى جذور السرطان تنتزع من حول انف ابيهِ ثم من تحت حاجبيهِ وصدغهِ الى ان وقع السرطان كلهُ كما تقع التفاحة من الشجرة

فقلت لهما هل تعالجان السرطان الباطن

فقالا كلاَّ لا نعالجهُ حتى الآن ولكننا نرجو ان نتوصل الى طريقة لمعالجتهِ

فقلت في كم يوم يتم الشفاء

فقالا ان ذلك يتوقف على الزمن الذي مضى على السرطان من حين ظهورهِ

فقلت كم يشفى من الذين تعالجونهم

فقالا يشفون كلهم وقد عالجنا كل الذين وجدنا سرطانهم خارجيًّا ولم تعمل بهِ عملية جراحيَّة فشفوا كلهم ونحن لا نطلب اجرةً بل نكتفي بما يعطينا اياهُ الذين نعالجهم بعد ما يشفون

وعقَّب المستر ستد على ذلك بقولهِ ان طريقة العلاج التي يستعملها هذان الاخوان مؤلمة وتدوم بضعة اسابيع والمكان الذي هما فيهِ واسمهُ كارديغان (Cardigan) غير خالٍ من وسائل الراحة واذا وجد ثلاثة او اربعة من الذين بهم سرطان حقيقي ظاهر يريدون ان يجربوا هذا العلاج فهو مستعد ان يكاتب الاخوين ويدبر الوسائط اللازمة لمعالجتهم في كارديغان على شرط ان يسمحوا لهُ بنشر نتيجة معالجتهم افادةً للجمهور

فاذا اراد احد من قارئي المقتطف او اصدقائهم ان يكاتب المستر ستد في هذا الموضوع فعنوانهُ هكذا

W. T. Stead Esq.
14, Norfolk st., Strand, London.

ونحن نرجح ان الامر يستحق الامتحان اذا لم يكن في ذهاب المصاب الى بلاد وايلس ببلاد الانكليز مشقة كبيرة ونفقة كثيرة عليهِ وترجيحنا هذا مبنيٌّ على ما تقدم من وجود الشبه بين السراطين والثآليل وشفاء الثآليل بالوهم وببعض المواد النباتية



زراعة التبغ في القطر المصري

اقترحت الجمعية العمومية على الحكومة المصرية ان تجيز زرع التبغ في هذا القطر . ولا بدَّ من ان يتعجب كثيرون من ان الحكومة المصرية منعت زرع التبغ في بلادها والبلاد زراعية ولا ربح لها الاَّ من الزراعة وكان يجب على الحكومة ان تنشط زراعة التبغ بكل واسطة كما تنشط زراعة القطن

هذا هو ظن الاكثرين ولم نسمع احدًا تكلم في هذا الموضوع الاَّ رأيناه ساخطاً على الحكومة لمنعها زرع التبغ في البلاد مع انها لا تمنع دخول التبغ الوارد اليها من الخارج وهم يحسبون ان الحكومة فعلت ذلك اما جهلاً منها بمصلحة البلاد او طمعاً بمليون الجنيه التي تأخذها من الجمرك لانهم لا يدركون الاسباب الحقيقية التي حملت الحكومة على منع زراعة التبغ في القطر المصري وايضاحاً لذلك نقول

اولاً ان الحكومة تربح الآن من ورود التبغ من الخارج اكثر من مليون جنيه تنفقها في مصالح القطر المختلفة كما تنفق سائر ايراداتها او توفرها لتنفقها في مصالح القطر . ولا ينكر ان هذا الربح غير واردٍ من الخارج بل هو من اهالي القطر انفسهم فهو بمثابة ضريبة على القطر ولكنها ضريبة خفيفة يدفعها الذين يحبون لذة التدخين فهي ضريبة عليهم وحدهم مقابل طلبهم هذه اللذة الوقتية التي لا فائدة منها لهم ولا للقطر ويا حبذا لو كانت كل اموال الحكومة من هذا القبيل

ثانياً انهُ اذا اباحت الحكومة للناس زرع التبغ بدون قيد اقبل كل احد على زرعهِ فيزيد حاصلهُ على مقطوعية البلاد زيادة كبيرة جدًّا وهو لا يؤكل ولا تأكلهُ المواشي فيرخص ثمنهُ كثيرًا حتى لا يعود من زراعتهِ اقل ربح بل يصير زرع البرسيم اربح منهُ وحينئذٍ فاما ان يكتفي كل فلاح بزرع ما يكفيهِ منهُ كما يزرع الآن التيل الذي يصنع منهُ حبالهُ او ينفرد بزرعهِ بعض المجيدين اتقان زراعتهِ ويستغل الواحد منهم الفي اقَّة او اكثر من الفدان الواحد فتنحصر زراعتهُ في ثلاثة آلاف فدان والغالب انها تكون لاناس من

اليونان لانهم امهر من غيرهم في زراعة التبغ فلا يستفيد من زراعتهِ احد سواهم من كل المصريين. فالحكومة تخسر اكثر من مليون جنيه من ايرادها وارباب الزراعة لا يربحون شيئاً وانما يتوفر على شاربي التبغ شيء من ثمنهِ اذا احبوا التبغ البلدي وفضلوهُ على التبغ التركي او الرومي

ولا بدَّ من ان يقول قائل كما قال احد اعضاء الجمعية العمومية فيها اننا نكثر من زرع التبغ ونصدره الى الخارج فيصير منهُ ربح وافر لهذا القطر مثل ربحهِ من القطن . ويصدق هذا القول لو كان التبغ المصري مطلوباً في البلدان الاخرى . ولو كان مطلوباً كالتبغ التركي وتبغ كوبا لزاد ربحهُ على ربح القطن اضعافاً ولوفى القطر المصري وحده بمقطوعية الدنيا كلها وزاد عليها ولكن التبغ المصري وتبغ كل البلدان الحارة الخالية من الظل غير مطلوب ولا مرغوب فيهِ ويقول الخبيرون انهُ لا يمكن تصديرهُ الى الخارج وكثيرون من اهالي القطر المصري نفسهِ لا يستطيبونهُ بل يفضلون عليهِ التبغ التركي والسوري والرومي وهذا كان شأنهم من قديم الزمان قبل ان منعت الحكومة زراعة التبغ في القطر المصري

فاذا اباحت الحكومة المصرية زراعة التبغ غداً تكون النتيجة انها تضطر ان تبطل الرسم الذي تتقاضاهُ الآن على التبغ التركي والرومي وتجعل رسمها مثل رسم سائر الواردات فينقص ايرادها السنوي اكثر من مليون جنيه ولا يستفيد من زرع التبغ المصري الاَّ مالكو ثلاثة آلاف فدان من كل سكان القطر

ولكن اذا استطاع احد ان يثبت بدليل قاطع ان التبغ المصري يروج في البلدان الاخرى حتى يمكن ان يصدر منهُ في السنة ما يساوي مليون جنيه او اكثر وجب حينئذٍ على الحكومة ان تبيح زراعتهُ حتماً

ولا يستغربنَّ احد قولنا ان التبغ المصري غير مطلوب لان الذين يزرعون التبغ يعلمون ان تبغ بعض الاراضي يستحب وتباع الاقة منهُ بمئة غرش او اكثر وتبغ غيرها لا يستحب ولا تباع الاقة منهُ بغرش . وهذا يصدق على اشياء كثيرة من الحاصلات الزراعية فالقطن المصري جيد ويباع قنطارهُ الآن باربعة جنيهات او خمسة والقطن الهندي غير جيد ولا يباع قنطارهُ بجنيهين فلو اتفق ان كانت اراضي القطر المصري مثل اراضي الهند ولم يبع قنطار القطن المصري الآن الاَّ بجنيهين مع غلاء اجرة الانفار عندنا لاضطر اهالي هذا القطر ان يبطلوا زرع القطن من تلقاء انفسهم

هذا وقد ذكرنا في المقتطف غير مرة انهم وجدوا بالامتحان ان تبغ البلدان الحارة يجود اذا نصبت فوقهُ خيام تظللهُ من حر الشمس . فيليق بالجمعية الزراعيَّة ان تجرب ذلك حتى اذا

وجدتهُ صحيحاً ووجدت ان التبغ المصري يجود و يصير مثل التبغ التركي او الرومي وان شار بي التبغ في هذا القطر وفي البلدان الاخرى يبتاعونهُ كما يبتاعون التبغ التركي لم يبقَ عذر للحكومة في منع زراعتهِ بل صار يجب عليها ان تبيح زراعتهُ وتنشطها بكل واسطة ممكنة

اصلاح القمح

بحث احد علماء الانكليز في مقدار ما في القمح من الغذاء وعما اذا كان في الامكان زيادة المادة المغذية فيهِ بنوع خاص اي الغلوتن الذي يشبه اللحم في تغذيتهِ للجسم . وفي بعض انواع القمح عيب كبير وهو ان كثيرًا من حبوبهِ يتساقط من السنبل اذا ترك السنبل قائمًا حتى يجف جيدًا فوجدت بعد التجارب الكثيرة مدة اربعين سنة انهُ اذا لقح القمح الانكليزي بلقاح قمح من جنوبي اسيا صار يبلغ باكرًا ويبقى حبهُ في سنبلتهِ لا يسقط منها وكثرت المادة المغذية فيهِ . واستخرج تقاوي (بذارًا) من ذلك يقال انهُ يجود في البلدان الحارة مثل مصر والهند واستراليا

نظارة الزراعة

اقترح حضرة محمد بك السباعي المصري في الجمعية العمومية ان تنشئ الحكومة المصرية نظارة خاصة بالامور الزراعية ومهَّد لاقتراحهِ تمهيدًا مفيدًا قال فيهِ

من المعلوم ان كل بلاد ميزها الله تعالى بمورد من موارد الرزق تحول حكومتها اجتهادها الى انماء هذا المورد بكل ما يمكنها من الوسائل والقطر المصري لم يميزهُ الله باكثر من الزراعة حتى في الزمن الغابر كذلك اصبح من المستحيل على المصري ان يجد في ارض بلادهِ موردًا للرزق يعادل الزراعة فاذا كانت حياة الامة المصرية موقوفة على الزراعة فمن الواجب على الحكومة ان يكون اكبر همها منصرفًا الى ترقيتها بكل الوسائل لانهُ من المعلوم ان اقبال سنة واحدة تعود بالخير الكثير على البلاد وامحال سنة واحدة لا سمح الله تعالى يؤخر البلاد سنوات . رأت البلاد المصرية ذلك مرارًا وهذه السنة اكبر شاهد فان زيادة محصول القطن عادت على البلاد بفوائد جمة وقد ادرك ذلك كل من حكم هذه البلاد من المتقدمين وهذا ساكن الجنان محمد علي باشا اهتم بالزراعة ورقى شؤونها كثيرًا نعم قد تمت في الزمن الاخير اصلاحات عظيمة حتى اغنت الزراعة خزينة الحكومة ولكن ذلك لا يقضي علينا بالوقوف عند الحد الذي وصلنا اليهِ ونحن نعترف ان الحكومة تبذل كل جهد تحمد عليهِ ولكن البلاد

تشعر باحتياج شديد الى نظارة زراعة فلهذا اقترح على الحكومة انشاء هذه النظارة او بعبارة اوضح تحويل الجمعية الزراعية الى نظارة وضم مدرسة الزراعة وكل فرع يليق بها ويتبع الى مصلحة اخرى اليها مع انشاء قلم احصاء زراعة يكون من اختصاصهِ احصاء زراعة البلاد ومحصولها وارشاد الاهالي الى الطرق النافعة واخبارهم عن الطرق والمخترعات الحديثة فالجمعية الزراعية على صغرها وقلة اموالها قد افادت البلاد ولكن فائدتها لا تكاد تذكر بالنسبة لما ينتظر من نظارة زراعة . فالمسألة الصغيرة من المسائل الزراعية الآن لا تستطيع هذه الجمعية حلها الا بعد البحث الطويل والمخابرة الطويلة لانهُ لا سلطة لها في العمل من تلقاء نفسها فاذا وجدت امرًا نافعًا لا تستطيع تنفيذهُ لعدم سلطتها وقلة ماليتها ففي مشروع تنقية الدودة مضت مدة قبل ان ينفذ فلو كانت الجمعيَّة الزراعيَّة نظارة لوضعت المشروع حالاً ونفذتهُ وهذه مسألة التقاوي وتنقيتها ومسألة المعارض والتردد فيها بل هذه جمعية تحسين نسل الخيل كادت تنسى وتضمحل ومسألة توزيع السباخ كادت تحول الى تجارة ويقاس على ذلك مسألة الوزن والقبانة للمحاصيل ومسألة الالبان وغشها وتربية الابقار وتشجيع الفلاحين على اتباع الطرق الحديثة في الزراعة ومكافأة المجتهدين منهم حتى يدركوا ان حرفة الزراعة هي اشرف الحرف واسماها واكثرها فخرًا ومجدًا في بلاد كهذه كل ما فيها قائم على الزراعة فاذا قسنا حاجة الزراعة في البلاد الى ما تفعلهُ الجمعيَّة الزراعية وجدنا انهُ قليل بالرغم عن اجتهادها في ان تفعل واذا كان للبلاد الصناعيَّة التي لا تعيش من الزراعة وحدها كالقطر المصري نظارات زراعيَّة مثل بلجيكا وبلغاريا ورومانيا فضلاً عن الدول الكبرى فكم تكون مصر جديرة بهذه النظارة حتى تتوحد في ديوان واحد كل المصالح والاقلام المتفرقة التي تشتغل بالزراعة لتسهل المعاملة وتنال البلاد امنيتها فالحكومة التي دلت على حسن قصدها وعلى اهتمامها بكل ما يعود بالخير على البلاد يؤمل منها قبول اقتراحنا هذا والله وليّ التوفيق

النمل ودود القطن الاميركي

يسطو على لوز القطن الاميركي حشرة تتلفهُ وهي نوع من السوس لا من الفراش وقد بان لهذه الآفة آفة تهلكها وهي نوع من النمل يسمَّى نمل تكساس فان النملة تقبض على السوسة وتميتها حالاً وهذا النمل منتشر الآن في ولاية تكساس وغربي لويزيانا ويراد نشرهُ في كل الاماكن التي يزرع القطن فيها رجاء ان ينقذ قطنها من دود اللوز وهو افتك ما يكون بالقطن

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نصيب المرأة

المرأة اما ان تكون زوجة لاحد الاغنياء فتعيش بالراحة والرفاهة وتستطيع ان لا تعمل عملاً ولا تُسأَل عن شيءٍ . تراها في هذه العاصمة وغيرها من العواصم تنام الى الظهر وتسهر الى نصف الليل وتركب افخر المركبات وزوجها يدير اطيانهُ واعمالهُ ويجادل ويناضل ويسعى ويكدح حتى يكسب ما يكفي لنفقاتها وتنعمها

واما ان تكون زوجة لاحد الاواسط او الفقراء وهو الاكثر فيكون نصيبها التعب والنصب نهاراً وليلاً غير مأجورة ولا مشكورة

كتبت الكاتبة الانكليزية اليصابات غلمر فصلاً وصفتها فيهِ ابلغ وصف قالت ما تعريبهُ

حبذا لو خولتُ توزيع النياشين التي وهبها كارنجي لتوزع على الابطال فكنت اوزعها على هؤلاء النساء نعم انهنَّ لم يركبن القوارب التي تنجي الغرقى ولا خضن الانهار لتخليصهم ولا اوقفن فرساً جامحاً ولا اقتحمن بيتاً مشتعلاً ولكنهنَّ فعلنَ ما هو اعظم من ذلك فان المرأة منهنَّ تقيم ثلاثين سنة او اربعين او خمسين تجارب الفقر والوحدة والمرض من غير ان تسمع لها صوتاً او تسمع منها شكوى حتى لا يكاد الناس يشعرون بوجودها ولكن اذا التقى بها اشجع بطل شهد المعارك الكبار وامتلأ صدرهُ بنياشين الشرف والفخار وجب عليهِ ان يقف امامها مطرقاً حاسر الراس لانهُ يرى امامهُ شخصاً اشجع منهُ

لاشيء في منظر هذه المرأة يدل على شجاعتها وبسالتها فهي مثل غيرها من اخواتها في هيئتها ولبسها تراها كل يوم فلا تلتفت اليها وهي مع ذلك تستحق الالتفات والاكرام مثل ابسل بطل خاض معامع القتال

لقد كانت منذ سنوات كثيرة فتاة غضة الشباب وكانت كثيرة الاماني والآمال مثل

غيرها من الفتيات فتزوجت وهي تحسب ان زوجها ممتاز بين الرجال وانهُ يحبها حبًّا مفرطًا فيراها جنتهُ وملاكهُ كما كان يقول لها . ثم تزول هذه الاحلام رويدًا رويدًا وترى فتورًا في محبتهِ لانهماكهِ باعمالهِ ولا يعود يعجب بجمالها كما كان يفعل من قبل فتعكف على اعمال بيتها تخيط وتطبخ وتغسل وتنطف لكي يكون زوجها مستريحًا في معيشتهِ وهي لا تسمع منهُ الأ كلام اللوم والتعنيف واذا لم يوفَّق في اعمالهِ ويكتسب منها ما يكفي لنفقات بيتهِ او يزيد عليها اضطرَّت ان تحارب الفقر بكل جهدها فتراها توفر من هنا ومن هناك لكي يظهر زوجها بثياب لائقة بين الناس ولا يكون اولادها دون اولاد جيرانها في ملابسهم وتحرم نفسها كل الملذات والمسرات لاجل زوجها واولادها فتكتفي بفضلات الطعام لا لانها تفضلها على غيرها بل لانها تحرم نفسها لكي تطعم زوجها واولادها

اما تعبها الاشد وشجاعتها العظمى فليس هنا بل في ولادة الاولاد وتربيتهم والسهر عليهم . تمضي الايام والسنون وهي لا تنام ليلة واحدة من غير ان تقوم لاولادها ترضع هذا وتغطي ذاك . واذا مرضوا — وايُّ ولد لا يمرض مرارًا في صغرهِ — فهي الممرضة والمعتنية فوق واجباتها البيتية الكثيرة فتمر بها الايام وهي لا تجد راحة لا نهارًا ولا ليلاً وكثيرًا ما تمرض وتخور قواها ولكنها لا تغفل الاهتمام باولادها اذا نادوها

لا احد يصفها بالشجاعة ولكن يأتي ابنها والدفثيريا في حلقهِ فلا تتركهُ لحظة بل تخاطر بحياتها الف مرة كل يوم لاجلهِ وهي تضع فمها فوق فمهِ وتقبل شفتيهِ واذا قضى نحبهُ ودفن في رمسهِ فهي اول من يظهر الجلد وتعود للاهتمام ببقية اولادها مع فرط حبها لهُ وحزنها عليهِ

تحرم نفسها كل راحة لكي تعلّم اولادها وهي تعلم انهم يرتقون بذلك ويعلون عليها ولا يعود يرضيهم طعامها ولا لباسها ولا حديثها لكنها تفعل ذلك برضاها وتزيد في حرمان نفسها حتى يرتقي اولادها ويفوقوا عليها . تخيط وتطبخ وتغسل وتكوي وتحفر بيديها الهوَّة التي تفصل بينها وبين اولادها ولكنها تفعل ذلك مسرورة ولو كان فيهِ موتها

هذه هي المرأة الباسلة التي تستحق نياشين الافتخار ولو اغضى الناس عنها ولم يخصوها بكلمة واحدة من الاكرام.

الامراض المعدية

الامراض المعدية كثيرة ولكل مرض منها مدة بين دخول العدوى في الجسم وظهور المرض فيهِ تسمَّى مدة الحضانة كأَن بزور المرض تقيم في الجسم مدة معلومة قبلما تفرخ كما تقيم

البيضة تحت الدجاجة اياماً معلومة قبلما تفرخ · ثمَّ ان لكل مرض من الامراض المعديَة زماناً معلوماً تبقى العدوى فيهِ من المصاب ولو شفي وتزول بعد ذلك · وترى في الجدول التالي اسماء الامراض المعدية ومدة الحضانة في كلٍّ منها ومدة العدوى

اسم المرض	مدة الحضانة	مدة العدوى
الاسهال (الديريا)	يوم الى ٤ ايام	اسبوعان
التهاب اللوزتين	١٤ يوماً الى ٢٢	٣ اسابيع
الانفلونزا	١ " " ٢١	٣ "
التيفوس	٦ " " ١٤	٤ "
التيفويد	٨ " " ١٤	٦ "
الجدري	— " " ١٢	٦ "
الحصبة	٨ " " ٢٠	٤ "
الحماق	١٠ " " ١٤	٣ "
الحمرة	١ " " ٥	١ "
الدفثيريا	١ " " ٨	٣ "
السل	مجهول	مجهول
الشهقة	٤ " " ١٤	٨ "
القرمزية	١ " " ٦	٦ الى ٨
الكوليرا	١ " " ٥	٣

قواعد لمنع انتشار الامراض المعدية

(١) التطعيم يفيد في كثير من الامراض المعدية لانهُ يقي الجسم منها و يجعلهُ قليل التأثر بها

(٢) الاعتناء بالصحة بنوع عام يقوي الجسم على مقاومة الامراض المعدية

(٣) لا بدَّ من عزل كل من يصاب بمرض معدٍ عن غيرهِ

(٤) لا بدَّ من اتلاف كل الثياب الملوَّثة ببرزاتهِ او نفثهِ

(٥) لا بدَّ من تطهير ثيابهِ وفراشهِ وملابسهِ بالبخار . والبخار افضل من الهواء السخن لهذه الغاية لانهُ يحتمل حراة كثيرة

(٦) ان المحلول الذي فيهِ جزءٌ من خمسة آلاف جزء من السليماني يقتل كل الميكروبات والمحلول الذي فيهِ جزءٌ من الف من السليماني يقتل كل بزور الميكروبات

(٧) مفرزات المصابين بالتيفويد لا يطهرها الحامض الكربوليك لانهُ لا يقتل جراثيم التيفويد مع انهُ يقتل جراثيم كل الامراض المعدية وانما يقتلها الحامض الكبريتيك وبرمنغنات البوتاسيوم ثم يضاف اليها ما يكفي من الجير (الكلس) قبل صبها في المرتفق لكي لا يتلف الحامض الكبريتيك انابيب المرتفق

المنزل الصحي

اذا اريد ان يكون المنزل مستوفياً شروط الصحة وجب ان يبنى في ارض جافة غير رطبة . واذا كانت الارض رطبة من طبيعتها ولا بدَّ من بنائهِ فيها وجب ان يركَّب تحتهُ طبقة من الخرسانة تمنع نفوذ الرطوبة اليهِ . ويفضل ان لا يوجه الى الجهات الاربع بل ان تكون زواياه في الجهات الاربع اي تكون جهة منهُ شمالية شرقية وجهة شمالية غربية وجهة جنوبية شرقية وجهة جنوبية غربية فالغرف التي يقيم فيها اهل البيت يجب ان تكون متجهة الى الجنوب والغرب والغرف التي يأكلون فيها ويصعدون منها الى الطبقة العليا ويضعون فيها المؤونة يجب ان تكون متجهة الى الشمال والشرق وغرف النوم تكون الى الشمال الشرقي فتدخلها شمس الصباح ولا تدخلها شمس المساء فتخف حرارتها ليلاً وبعد الظهر . والغرفة التي يقيم فيها المرضى والغرفة التي يلعب فيها الاولاد يجب ان تكونا متجهتين الى الجنوب الشرقي . ولا بدَّ ان تكون حيطان البيت الخارجية سميكة حتى تمنع دخول الرطوبة اليهِ وان يكون سقفهُ مانعاً لنزول ماء المطر منهُ وان يدخل نور الشمس كل غرفهِ ويتجدد الهواء فيها وفي كل دورهِ ومماشيهِ

الطوب الاخضر والاحمر يحتويان مقداراً كبيراً من الماء وهذا الماء يتبخر مع الزمن ويقوم الهواء مكانهُ فالبيوت المبنية بالطوب الاخضر او الاحمر لا تكون صالحة للسكن الّا بعد ان يمضي عليها مدة طويلة حتى تجف جيداً ويتبخر الماء منها

الورق الملون الذي تبطَّن بهِ جدران البيوت من الداخل قلما يخلو من الزرنيخ والزرنيخ يتحات من الورق ويطير مع الغبار فيسم السكان ويكون فعلهُ طفيفاً لا يشعر بهِ وقد يكون شديداً فيظهر السم فيهم باعراضهِ المختلفة فلا يجوز استعمال الورق لتبطين غرف البيوت الّا بعد ما يثبت انهُ خالٍ من الزرنيخ



قراءة الافكار والنوم المغنطيسي

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سألكم احد المشتركين في الجزء الثالث من المقتطف الصادر في الشهر الماضي تفسير ما يشاهد في تياترو الازبكية من اعمال المرأة المدهشة في قراءة الافكار فعللتم ذلك تعليلاً لا يكشف سر المسئلة وكان الاولى ان ترجعوا بالجواب الى مقالاتكم الرنانة في النوم المغنطيسي في سني المقتطف السابقة حيث يجد السائل الجواب الشافي والتعليل الكافي . وقد شاهدت هذه الاعمال في سورية وتحققت بنفسي اموراً جديرة بالذكر لا تخلو من فكاهةٍ للقارىء وفيها تعليل علمي يقنع السائل فتكرموا بادراجها اذا رأيتم منها فائدة

ان ما ورد في سؤال السائل صحيح فالمرأة تقرأ الكتابة وهي مغمضة العينين وتقرأ افكار كل طالب يطلب منها ذلك وتفعل افعالاً عجيبة غريبة تدهش الحاضرين على ان ليس في كل ما تفعلهُ شيء يستحيل تعليلهُ لانها ليست سوى آلة عمياء في يد قائدها اي المنوّم المتسلط على ارادتها فما تكشفهُ من الضمائر ليس من باب قراءة الافكار ولا دخل فيهِ ايضاً لمناجاة الارواح وليس هو من الشعوذة في شيء بل هو حقيقة علميَّة كما يتضح مما يأتي

اضمر ما شئت واطلب منها معرفة ما اضمرت فتجيبك جواباً صحيحاً مدهشاً واذا غالطتها بان كنت عازباً واضمرت انك متزوج ولك ابنة مريضة بحالة الخطر وتودُّ ان تعرف هل تشفى او لا فتجيبك عن ذلك اي انها لا تكشف المغالطة بل تكشف لك فكرك فقط . ويشترط في معرفتها ذلك انك تسرّ بما اضمرت الى المنوّم والاَّ ما استطاعت الى الكشف سبيلاً واما نفي الظن بالتكلم البطني فلانها تعمل اعمالاً تنفي الشبهة بهِ منها ان المنوّم يرسم بالطباشير خطاً متعرجاً على طول ارض المرسح ويأمرها ان تمشي عليهِ متتبعة التعاريج فتفعل . ويرسم لها رسماً على قطعة قماش فتأخذ ابرة وخيطاً وتشل خطوط الرسم بالخيط بدون خلل . ويخبي مادةً ما كساعة او خاتم او خلافهما فتكتشفها حيثما كانت ويؤلف الحضور رواية فاجعة ويتفقون على ان زيداً القاتل وعمراً المقتول وحنا السارق فتعرف كلاًّ منهم وتعمل عملهُ المفروض لهُ

كل ذلك وهي معصوبة العينين بطبقة من القطن وعصابة سوداء سميكة وكله بدون تكلم وبدون تداخل المنوّم بحسب الظاهر فالتعليل عن ذلك اذاً بالتكلم البطني يزيد المسئلة اشكالاً وتعقيداً

واغرب ما شاهدتهُ منها اننا كتبنا لها نحو ثلاثين ورقة كلٌّ منا كتب ما عنَّ لهُ من ادب او هزل ووضعناها في كيس بدون ترتيب فطفقت تأخذ الورقة بعد الورقة وتضعها على صدغها مما يلي الحاجب وتقرأ ما فيها وميزت من بينها ورقة مكتوبة بقلم رصاص كوبيا ازرق وسيأتي التعليل عن ذلك فيما يلي

قلت آنفاً ان لا بدَّ للمنوّم من الوقوف على فكر السائل لتستطيع المرأة قراءتهُ فيبقى هنا محل للظن بالمواطأة مع المرأة على كيفية تخفى على الحاضرين واليكم ما ينفي ذلك ايضاً . لما حضرت هذه الرواية في سورية طلبت من الرجل ان يجعل المرأة تحت سلطة ارادتي فنوّمها وامرها ان تطيع اوامري فعصبت عينيها عصابة لا تبقي محلاً للشبهه وافتكرت بانهُ يجب ان تذهب الى رجل من الحضور وتنزع خاتماً من اصبعهِ وتضعهُ في اصبع رجل آخر فلم تهتدِ الى ذلك واخذت تتأفف وتتململ وانزعجت انزعاجاً شديداً والحت عليَّ ان اجمع فكري لتستطيع كشفهُ فعرف زوجها موقع الخلل وأسرَّ اليَّ ان مجرَّد الفكر وحدهُ لا يكفي بل يجب ان آمرها ففعلتُ واخذت اصدر لها اوامري الفكرية اي بدون ان اتلفظ بكلمة بل بدون ان احرك شفتيَّ فسارت امامي سير العارف المهتدي حتى اذا وصلت الى الصف الذي فيهِ الرجل الاول امرتها ان تعرج عليهِ ولما وصلت اليهِ قلت هذا هو فبدأت بالتفتيش من رأسهِ فما دون فقلت لها في نفسي لا لزوم لذلك كلهِ امسكي البنصر وانزعي الخاتم وارجعي على عقبيكِ وسيري الى الصف الامامي ولما وصلت الى الرجل الثاني قلت هذا هو البسيهِ الخاتم ففعلت . ولزيادة التحقيق اتفقت مع بعض الحاضرين على تلفيق رواية فاجعة فتتبعت حوادثها واكتشفت اسرارها طبقاً للاوامر التي كنت اصدرها من مخيلتي وكنت في هذه الحادثة اخالف ما اتفقنا عليهِ من وقائع الفاجعة لا تحقق تاثير اوامري فيها فكانت تطيعني في كل الاحوال . مثال ذلك اتفقنا ان يكون احد الحضور الضارب وآخر المضروب واتفقنا ان الاول يطعن الثاني بخنجر في صدرهِ فلما امسكت الثاني امرتها ان تطعنهُ في بطنهِ فهمّت فقلت لا لا بل في صدرهِ ففعلت

فهذه الافعال اذهلت كل من شاهدها وكان يتوارد اليَّ الاصحاب مستفسرين فعقدت النيَّة على امتحان هذه الامور بنفسي ففعلت ونجحت بعض النجاح . فنومت البعض وفرضت

عليهم بعد ان عصبت اعينهم ان يعملوا اعمالاً خصوصية فعملوها واذكر من هذا القبيل ان شابًا هيستيريًا سألني عن كيفيَّة حصول التنويم فنام من مجرد تحديق نظري بهِ ووضع يدي على جبهتهِ ولما امررت يديَّ على جسمهِ حصلت لهُ الكاتالبسيا وآخر لم استطع تنويمهُ جيدًا وكنت وضعت يدي فوق رأسهِ على بعد بضع عقد اخبرني انهُ لم ينم ولكنهُ كان يشعر ان يدي كانت تنسل شعر رأسهِ واحدةً فواحدة · وكان من جملة حضور هذه الجلسات البيتيَّة احد معلمي المدرسة الشرقية فشغف بهذا الفن واخذ يمتحنهُ ويزاولهُ وكانت اكثر امتحاناتهِ على تلميذ هيستيري حصل لهُ من تكرار التنويم وعدم خبرة المنوّم اختلاط ذهني هيستيري ونسي اللغة الافرنسية مدةً وعاد فتذكرها بعد ان شفي

فالتنويم المغنطيسي فن يستعملهُ المشعوذون مشوبًا ببعض الشعوذات للارتزاق ويستعملهُ الاطباءُ علاجًا شافيًا لبعض الامراض وحكومات اوربا منعت غير الاطباء من تعاطيهِ لما فيهِ من المحذورات والمخاوف كما حدث للتلميذ المذكور آنفًا ولغيرهِ مما لا محل لذكرهِ هنا

ويقول الاطباءُ الذين يزاولون هذا الفن انهم يشفون بهِ كل احوال الهيستيريا وينزعون بواسطتهِ ميل السكيرين الى المشروبات الروحية ويقتلعون بعض العوائد السيئة من اصحابها ويقولون ايضًا بان بعض المجرمين قد يكونون محمولين على ارتكاب الجريمة بفعل التنويم المغنطيسي وهم وان ارتكبوها عن رويَّةٍ وتدبُّر فانهم مع ذلك مساقون بارادة المنوم اليها وهم لا يعلمون واذا افاقوا لا يذكرون ما فعلوا كأن لهم وجدانًا ثانيًا غير وجدانهم الاول

واما سر هذا التنويم فلا يزال غامضًا والمعروف من امرهِ هو ان كل ذي ارادة قويَّة يؤثر على ذي الارادة الضعيفة فالمنوم لا يستطيع تنويم كل من يطلب تنويمهُ بل ينجح في تنويم الضعيفي الارادة وذوي الامزجة العصبيَّة ولاسيما المزاج الهيستيري ومتى نوَّم شخصًا مرةً استطاع تنويمهُ ثانيةً بسهولةٍ وبالتكرار يصير آلة بين يديهِ وينام من مجرَّد النظر اليهِ فمثل هذا يكون مثالاً للتنويم المغنطيسي ويتجرد من ارادتهِ ويصبح آلة عمياء في يد المنوم وهذه هي حالة الامرأة في تياترو الازبكية

اما كيفية وصول اوامر ارادة المنوم الى دماغ النائم فتتم كما يأتي وهو اذا كان المنوم طبيبًا والنائم مريضًا ولنفرضهُ امرأة هيستيرية مشلولة اليد او الرجل فبعد تنويمها يأخذ الطبيب باقناعها بصوت جهوري دالّ على الثقة والسلطة بانها ليست مريضة او بانها شفيت من مرضها فتفيق وقد شفيت . وهذا النوع من تبليغ الاوامر ظاهر لا يحتاج الى ايضاح وبيان واما الاوامر التي تصدر من المخيلة على النحو المذكور آنفًا فالنائم لا يسمعها كما هو ظاهر لنا لان

المنوم لا يتلفظ بها فهذه تحتاج الى كشف الغامض منها والعلم يتكفل بكشفهِ ولعل ما اوردهُ من هذا القبيل حقيقة او قريب من الحقيقة

اطلعت في احدى المجلات الطبية على اكتشاف حديث غاية في الاهمية وكنت اود ان انقلهُ بالحرف الى المقتطف الاغر تفكهة للقراء ولكن الاسفار والعارية اضاعت بعض الاعداد فاقتصرت على ايراد ما علق بالذاكرة مما يقتضيهِ المقام الآن واعد القراء بالعودة الى هذا الموضوع في فرصة اخرى ان شاء الله

قد اكتشفوا اشعة طبيعية سموها اشعة N واطلقوا عليها اسم الاشعة الحيوية وهي تظهر عند قضاء وظيفة العضو الطبيعية وتنبعث عن سطحهِ . مثال ذلك ان الدجتال عقار يفعل بالقلب فعلاً خصوصياً معروفاً عند الاطباء فاذا غمسنا الورق الحساس في محلول الدجتالين اي المبدإ الفعال في الدجتال ووضعناهُ على الصدر فوق القلب فيأخذ الورق بالضياء والاشعاع واما اذا وضعناهُ على اي محل آخر كالزند او الفخذ مثلاً فلا يتأثر . ومثل ذلك اذا وضعنا ورقاً حساساً على صدغ خطيب مفوه فيضيءُ ويشع ويزيد الضياء والاشعاع بزيادة قوة عارضة الخطيب وزيادة تأثرهِ بموضوع خطابهِ . وقد اطلعت ايضاً في احدى المجلات العلمية على صورة فوتوغرافية يزعم مصورها انهُ ارتسم فيها اشعة الغضب ويزعم ايضاً ان لكل من الملامح والعواطف اشعة خاصة . فاذا صدق الزعم كان ذلك من ظواهر اشعة ن . فهذه الاشعة تتكفل بتفسير اعمال امرأة مرسح الازبكية وامثالها ومما يزيدني اقتناعاً بذلك ان الامرأة التي ذكرتها ووضعها المنوم تحت سلطة ارادتي كان يختلف تأثرها باختلاف اوامري ويظهر عليها من الانفعال ما يظهر على الولد بعد زجر او تهديد او ملاطفة فاذا صممت بفكري ان تعمل عملاً فاخطأتهُ زجرتها ووبختها وربما شتمتها وكل ذلك بالافتكار نقط فترتعش وتضطرب ثم تهتدي الى ما اريد فاستعيض اذ ذاك عن الخشونة باللطف فاقول لها تفكري احسنتِ الآن عافاكِ . سيري . فيظهر عليها وفي مشيتها نوع من الرضى وتسير بدون خوف ولا اضطراب . وبعد ان تتم العمل المفروض عليها وتوقظ من نومها تنظر الى الجمهور نظر المفتخر بعملهِ ولسان حالها يقول ان فيَّ سرًّا ومقدرة ليسا في سواي وهي ليست سوى حيوان ضعيف الارادة ومختل الشعور تنقاد بدون تعقل الى تنفيذ اوامر ترد الى مخيلتها وهي لا تعرف مصدرها . فيتضح من ذلك ان اشعة ن تنتقل من دماغ المنوّم الى دماغ النائم حاملة اليهِ الاوامر كما يحمل تلغراف مركوني الرسائل البرقية من محل الى آخر

وقد اتضح مما سبق ان المسئلة ليست في شيء من مناجاة الارواح ولا من قراءة الافكار

ولا من التكلم البطني ولا من المواطئة ولعلَّ المستقبل يكشف لنا من الغوامض والاسرار ولم يكن في الحسبان الدكتور امين ابو خاطر

[المقتطف] ان الاعمال التي عللناها بالتكلم من البطن تعلل كلها بهِ بسهولة فلا داعي لفرض تعليل آخر ولكن اذا وجدت افعال اخرى لا تعلَّل بهِ فحينئذٍ تدعو الحال الى اكتشاف تعليل اوفى منهُ ولقد استدركنا على ذلك وقلنا ما نصهُ "ويحتمل ان لا يكون تعليلنا هو التعليل الصحيح ولكن لا يحتمل ان توجد امرأة تستطيع قراءة افكار غيرها ومعرفة الغيب ولا تستخدم قوتها هذه في ما يكسبها اموالاً طائلة ويكفيها مؤُونة الوقوف في المشاهد العمومية والتعرُّض للنوم المغنطيسي الذي تدَّعيهِ وهو يضعف الجسم والعقل". ولقد شاهدنا المرأة التي شاهدتموها ونساء غيرها في هذه العاصمة وفي باريس ورأينا اعمالهنَّ ولم نرَ فيها شيئًا لا يمكن تفسيرهُ بالتكلم البطني او بالتواطؤ بينها وبين بعض الحضور او بالاتفاق مع زوجها على الفاظ مخصوصة تستدلُّ منها على امور كثيرة او بارشاد الحضور لها على غير قصد منهم الى ما يضمرونهُ . وهي في كل حال لم تكن نائمة النوم المغنطيسي ولو تظاهرت انها نائمة . ولقد اعترفت لنا واحدة في باريس انها لم تكن نائمة ولا فعلت شيئًا بقوة خفيَّة

اما الامر الذي ذكرتموهُ وهو ان زوج المرأة امرها ان تكون تحت امركم ثم جعلتم تأمرونها بفكركم فتفعل ما تأمرونها بهِ فهو شيءٌ جديد لم نُسأَل عنهُ قبلاً ولا سمعنا بهِ ويمكن تعليلهُ على وجهين الوجه الاول ان المرأة غير نائمة كما تدعي وهي شديدة الشعور جدًّا فتشعر بكل حركة تبدو منكم ولو كانت مغمضة العينين . وانتم كنتم ترشدونها بحركاتكم وتنفسكم الى ما تريدون كأنكم ترشدونها بالكلام المسموع . وهذا التعليل معقول ومقبول وقد قال كمبرلاند اشهر قارئي الافكار انهُ يشعر بحركات الناس كذلك ويهتدي بها الى معرفة مرادهم . هذا هو الوجه الاول والوجه الثاني هو التعليل الذي عللتموهُ انتم وهو انهُ كان يخرج من ذهنكم قوة مثل امواج النور او الامواج الكهربائية وهي التي سميتموها باشعة ن فتؤَثر في ذهن المرأة . ويعترض على ذلك اولاً ان اشعة ن لم يثبت وجودها حتى الآن ثبوتًا ينفي الريب وثانيًا ان ما ذكر من حوادث التلبثي هذه (اي تأثير الذهن بالذهن عن بعد) كثير جدًّا ولكن لم تثبت حادثة منها حتى الآن ثبوتًا علميًّا نافيًا للريب

الاَّ ان عدم ثبوت هذه الحوادث حتى الآن لا يثبت انها كلها باطلة لان النفي ليس دليلاً كالايجاب فيحتمل انهُ يصدر من دماغ اشعة تؤثر في غيرهِ من الادمغة ولكننا لا نضطر

لهذا الفرض الاّ اذا وجدنا اموراً لا تعلّل الاّ بهِ او اذا قامت على صحتهِ ادلّة قاطعة غير انكم قلتم ان الناس الذين نوَّمتموهم النوم المغنطيسي كانوا يفعلون كما تفعل المرأة فان كان المراد انكم تأمرونهم امراً فكريًّا فيفعلون حسب ما تامرونهم بهِ من غير ان تتلفظوا بشيء فهذا امر يصعب تعليلهُ بغير هذا الفرض . وعلى كلٍّ نشكر لحضرتكم ما ابديتموهُ من الاهتمام بهذا الموضوع ونرجو ان تزيدوا فيهِ بحثاً اثباتاً للحقائق

تأبين اليازجي (١)

لما دعوتموني ايها السادة الى رئاسة هذا المحفل كان ذلك اكراماً عظيماً لي . ولما اعتذرت عن قبولها لسبب حالة صحتي زدتموني تكريماً بانتخابي لرئاسة الشرف . واني انسب كل ذلك الى معروف منكم لا الى شيء فيَّ من الفضل او الاهليَّة فاقبلوا جزيل شكري . ولكنني اذ كنت مشاركاً لكم في الحزن على فقد استاذٍ كبير وعالمٍ شهير رأيت من الواجب ان اقول كلمة يتلوها عني واحد من كرامكم

لم يكن لي معرفة كبيرة او علاقة شديدة بالمرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي الذي اقتم لذكرهِ هذا المأتم غير ان كل ما رأيتهُ فيهِ وسمعتهُ عنهُ وقرأت مما كتبهُ يؤدي الى اليقين انهُ كان من كبار العلماء باللغة العربيَّة وآدابها شاعراً مجيداً وكاتباً بليغاً وانهُ كان من اهل الفضل العظيم في رفعة النفس وسلامة النيَّة وطهارة الحياة . وكان على ما بلغني مستغنياً عن الناس يختار عيشة البساطة والقناعة والفقر لا يطلب ولا يرضى مساعدة احد وان مسرات حياتهِ لم تكن في ما تطلبهُ العامة بل في ما يجدهُ العالِم في عالَم العقل اي في الدرس والتفكُّر والكتابة فهو جديرٌ حقاً بهذه الذكرى التي الاكرام فيها لهُ ولكم ايضاً

قيل انهُ مات ودُفن علمهُ معهُ وليس الامر كذلك لان في ما ذاع مما كتبهُ في حياتهِ وفي ما سيطبع بعد موتهِ اثاراً تُذكر وتبقى . وانني ارى في هذا المجتمع مثالاً حسناً يقتفى واسمع صوتاً مما وراء صموت القبر يحثكم ايها الجماعة ولا سيما الشبان منكم على طلب العلم وطهارة الفكر والحياة . وودت لو كان لي ان اضع اكليلاً من الزهور على ضريحٍ كريم واذ لم يكن ذلك ممكناً فالقي عليهِ عن بُعد كلمة خطيرة تلقَّيتها من شيوخ الزمن القديم وهي "موت الفاضل خسارة للدنيا"

(١) تلي في افتتاح حفلة التأبين التي أُقيمت في بيروت في ١٢ مارس ١٩٠٧ تذكاراً للمرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي

ومن هذا الوداع وداع الاسف والحسرة يحملني الفكر الى ما قبل ولادتهِ لما كنت شاباً اطلب العلم على والدهِ المرحوم الشيخ ناصيف ثم الى بعد ما انقضت مدة التلمذة لما اكرمني بصداقة خالصة ومودة ثابتة دامت اكثر من اربعين سنة . وكنت اتردد اليهِ واعجب من قوة ذاكرتهِ التي حفظت كل ما تعلَّمهُ او قرأهُ في زمانهِ ووعت اكثر العلوم العربيَّة وحكايات الاقدمين وقصصهم التاريخة واشعارهم وحكمهم . وصنَّف كتباً كثيرة في تلك العلوم فكان لارجوزتهِ المعروفة بجوف الفرا وشرحها مقام كريم بجانب ارجوزة ابن مالك وشرحها لابن عقيل وكذلك لمقاماتهِ بجانب مقامات الحريري وربما دامت بعض كتبهِ في آداب اللغة العربيَّة يتعهدها العلماءِ زمناً طويلاً بعد ان يكون قد امحى ذكر اهل هذا الزمان

وقال لي اكثر من مرّة انهُ يكره التكلف والتصنع في الانشاء وكل من قرأ مصنَّفاتهِ رأَى فيها غاية البساطة المقرونة بغاية الفخة والبلاغة وهو شأن اصحاب الذوق السليم خلافاً لبعض كتَّاب هذا العصر الذين لا ينكر عليهم العلم الواسع باللغة وانما ينكر عليهم التفنن في الانشاء والتعقيد في المعاني والغريب من الكلام الذي معناهُ غير ظاهر واستعمالهُ غير مأنوس . وربما بلغ امرهم ان لا يفهم ما يكتبونهُ الاَّ من عمد مثلهم الى ما قد هُجر من اللغة او ندر فيها لا يُعثر عليهِ الاَّ في كتبٍ وضُعت للمعجمات . وقد قال كبار العلماء من العرب لا يدخل الإِغراب في الكلام الاَّ افسدهُ . وقال كتَّاب الانكليز جمال الانشاء في بساطتهِ

وكل هذا غير ما كان عليهِ ذلك الشيخ الجليل من العفاف والمروءة والشهامة والرصانة والوقار والتواضع والصدق بحيث لم ارَ منهُ مرة واحدة شيئًا يخفض رفعة نفسهِ او يعيب كرامة منزلتهِ . ولم اسمعهُ مرة واحدة يهجو احدًا او يهزأُ باحد او يحتقر احدًا او يفوه بكلمة لا تليق بهِ . وكان اذا عرف خيرًا في انسان قالهُ او شرًّا صمت عنهُ فلم يكن من الذين شدَّد عليهم الذمّ ابو العلاء في قولهِ

اعوذُ بالله من قوم اذا سمعوا خيرًا اسرُّوهُ او شرًّا اذاعوهُ

وكما كان الاب هكذا كان الابن — الاثنان على غاية من علوّ الشأن في العلم والعمل والفضل والصلاح . وكنت اقول رحمهما الله لولا يقيني الثابت انهُ تعالى قد تغمَّدها بالرحمة الواسعة التي افضل البشر يحتاج اليها وادخلهما جنَّة الصالحين وكأَني ارى خيالها معكم الآن منعطفًا اليكم سامعاً كل ما يقال ناظرًا الى كل ما يتحرك فيكم من الشوق الى معالي النفس ونقاوة القلب ونظافة الافكار والسيرة مما يتلى عليكم في هذه الساعة فاذكروا ان ما تتوقون اليهِ

تبلغون شيئاً منهُ كثر او قلّ · ولقد اجاد الاستاذ العالم الفاضل ابرهيم الحوراني في رثائهِ صديقهُ حيث قال

دفنوا حجابَ النفس في جوف الثرى والنفسُ حلَّتْ بالمحلِ الأرفعِ
قالوا المماتَ منَ الحياةِ وما دروا أنَّ الحياةَ من المماتِ المفجعِ
فالحبُّ ينبتُ بعد ما يبلى أما للحيّ بعد ذهابهِ من مرجعِ
إنَّ الخلودَ حقيقةٌ ازليةٌ نفيُ النفاةِ لها هباءةُ زعزعِ
لم ينفها العلم الحديثُ وأُثبتتْ في مجمعِ العلمِ القديمِ المجمعِ

بيروت يوحنا ورتبات



فتح الرحمن لطالب آيات القرآن

اقترح حضرة الاديب محمد افندي عمر على العلماء وضع كتاب تسهل بهِ مراجعة الآيات القرآنية في اماكنها ونشرنا اقتراحهُ في الجزء السابع من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف فاطلع عليهِ حضرة السيد علي زاده فيض الله الحسني القدسي مدير بيت لحم واجاب في الجزء الثامن من المجلد الحادي والعشرين انهُ يوجد مفتاح للآيات الشريفة اسمهُ ترتيب زيبا مطبوع في الاستانة ومفتاح آخر لكلمات القرآن العظيم اسمهُ نجوم الفرقان في اطراف القرآن مطبوع في المانيا وانهُ لا مانع شريعي من وضع مثل هذه الكتب · واجاب احد علماء دمشق ذاكراً ترتيب زيبا واثنى على حسن ترتيبهِ وسهولة استعمالهِ · وقفّينا على ذلك بما معناهُ انهُ اذا كان عدد السور والآيات في المصاحف المنتشرة في بلاد الشرق مثل عدد السور والآيات في المصاحف المطبوعة في اوربا فنجوم الفرقان وافٍ بالغرض

وأطلع حضرة علي زاده على ما قالهُ العالم الدمشقي وما قلناهُ نحن فدعاهُ ذلك الى ترتيب هذا المفتاح الذي سماهُ فتح الرحمن وبسط في مقدمتهِ الخبر المتقدم ثم قال انهُ وقف على ما مرَّ من جوابنا وجواب الدمشقي فنبههُ ما تضمن كلٌّ منهما من استحسان احد الكتابين المذكورين فاقبل عليهما لينظر فيهما بعين التأمل والانتقاد فرأى انهما غير وافيين بالمراد · وحملهُ ذلك

على ترتيب هذا المفتاح وقد دلَّ فيهِ على السور بحروف مقطوعة منها مثل فا للفاتحة وبق للبقرة وذكر اعداد الآيات بحسب التقسيم المعول عليهِ عند جمهور العلماء . ويمتاز هذا المفتاح على ترتيب زيبا في انهُ ذكر كل كلمة رئيسة في الآية اي الافعال المشتقة والاسماء المتمكنة ولم يكتف بذكر اول الآية . ويمتاز على نجوم الفرقان في انهُ يذكر كلمات من كل آية عند ذكر كلمة منها حتى يستدل الباحث على الآية المطلوبة حالاً . ولا شبهة في ان هذا المفتاح اوفى من كل مفتاح رأيناهُ قبلهُ.

فنهنئ حضرتهُ بهذا الاثر النفيس ونؤكد لهُ ان خدمتهُ الجليلة يقدرها قدرها كل ابناء العربية وكل المطلعين على آدابها من علماء اوربا واميركا . والمفتاح مطبوع طبعاً حسناً جداً في المطبعة الاهلية ببيروت

محاورات المصلح والمقلد

يظهر لنا مما نطالعهُ في مجلة المنار ان منشئها السيد محمد رشيد رضا وقف علمهُ وقلمهُ لمحاربة البدع والاوهام التي تسلطت على عقول المشارقة من قديم الزمان . وقد وضع في المنار محاورة بين مقلد ومصلح اظهاراً لضرر التقليد وفائدة الاجتهاد ثم جمع ما نشر منها في المجلد الثالث والرابع واضاف اليهِ اجوبة نشرها في المجلد السادس عن اسئلة سئلها موضوعها الاجتهاد والتقليد وكليّات الدين الاسلامي وطبعها في مجلد على حدة وهاك فقرات من هذه المحاورات للدلالة على اسلوبها قال

اجتمع احد الشيوخ المتفقهين . واكابر الوعاظ المدرسين . بشاب من النابتة الجديدة الذين جمعوا بين العلوم العصرية والدينيّة كما جمعوا بين المال والجاه بجدهم وكدهم ولولا ذلك لم يتنازل الشيخ لمحاورتهِ

نظر الشيخ الى الشاب فألفاهُ ضجراً متبرماً تلوح عليهِ مخايل الحزن كأنما اصابتهُ مصيبة في نفسهِ او اهلهِ ومالهِ فقال لهُ ما بالك فاني اراك على غير ما اعهد واني اعجب ان ارى مثلك يهتم لشيء من الاشياء فالحمد لله خير كثير وصحة جيدة والله قد وفقك للبر والتقوى والصدقات والمبرات والكريم لا يضام

(المصلح) : مهلاً ايها الاستاذ فانني انسان ومعنى "انسان" خلق اجتماعي يشعر بانهُ عضو من امة يسعد بسعادتها ويشقى بشقائها وانني ارى امتي اشقى الامم واتعسها فكيف اكون انا سعيداً ناعم البال . في امة هذا شأنها من الخذلان والنكال

(المقلد) : ما هذا الذي اسمع منك فانك قد اخطأت خطأً منطقياً وخطأً دينياً اما الخطأ المنطقي فانك قد عرّفت الانسان بغير تعريفهِ الذي اجمع عليهِ علماء المنطق وهو " حيوان ناطق " واما الخطأ الديني فهو انك اغتبت المسلمين جميعاً وجعلت امة النبي صلى الله عليهِ وسلم شقية بل جعلتها اشقى الامم وخالفت الكلمة المجمع عليها بين المسلمين وهي " امة محمد على خير "

(المصلح) : اننا لسنا بصدد تحديد ماهيات الانواع والاجناس فنذكر تعريف المنطقي للانسان وانما نريد الكلام في موضوع اجتماعي فاذا لم يصح ما قلتهُ في الانسان عند المنطقي فهو صحيح عند اهل علم الاجتماع واما الغيبة فلا تظهر هنا لانني لم احتقر انساناً بخصوصهِ . واما كون الامة الاسلامية اشقى الامم في هذا العصر فلا يشك فيهِ الاّ من لا يعرف من احوال العالم شيئاً ولا يعرف بلاد المسلمين ومن يحكمهم وما هم عليهِ من الجهل والفقر والذل وكيف يسامون سوء العذاب في جميع الاقطار وهم وادعون ساكنون . غارّون آمنون . كأنهم عجماوات لا يعقلون . او جمادات لا يحسون ولا يشعرون . فهل من العقل وصحة الفكر التي استفدناها من المنطق ان نكذب المحسوسات اليقينيَّة . لكلمات كاذبة سميناها اجماعية ؟

(المقلد) : انت لم تشاهد احوال جميع المسلمين فيصح حكمك عليهم ولمَ لا يجوز ان يكون في البلاد البعيدة عنا من لهُ منهم دولة قوية وعز وسؤدد . هذا اذا سلمنا لك جدلاً ان المسلمين في هذه البلاد اقل من غيرهم من اهل الملل الاخرى علماً ومالاً . وكيف نسلم بهذا واننا نرى المسلمين اغنى من القبط واما العلم فليس عند غير المسلمين علم مطلقاً

(المصلح) : ان علم تقويم البلدان والجرائد السيارة قد مثلت لنا ما لم نشاهدهُ من بلاد المسلمين وغيرها حتى كأننا نشاهدهُ دائماً لا يغيب عنا منهُ شيء ولكنني اراك غير محيط بعلم ما بين يديك من حال ثروة المسلمين هنا وعلمهم ولا اناقشك فيهِ الآن فان غرضي ان تقتنع بان المسلمين في شقاء ليكون هذا اساساً وقاعدة للكلام بيني وبينك

(المقلد) : كيف اقتنع بكلام لا حجة لك عليهِ الاّ كتب تقويم البلدان وكلام الجرائد وكلاها كذب لا يوثق بهِ فان مصادرهُ كلها كفرية والكافر لا تقبل روايتهُ ؟

(المصلح) : ان الكافر لا تقبل روايتهُ في موضوع كفرهِ وما يتعلق باثباتهِ وابطال ما يخالفهُ . واما ما ليس لهُ غرض في الكذب فيهِ وانما غرضهُ ومنفعتهُ في الصدق بهِ لأن فيهِ فائدتهُ وفائدة قومهِ فان العقل يقضي بانهُ يتحرى الصدق فيهِ لئلاّ يغش نفسهُ وأمتهُ ومن هذا النحو علم تقويم البلدان . وثمَّ وجه آخر يجلي لنا تحريهم الصدق في مثل هذا الموضوع وهو

ان كل كاتب يعلم ان كتابتهُ تنتشر بالطبع ويطلع عليها اهل العلم بموضوعها فيسلقونهُ بألسنة الانتقاد الحداد . واقوى من هذين الوجهين ان معظم المسائل التي استند عليها في حكمي على المسلمين من المتواتر الذي يفيد اليقين فان معظم مسائل علم تقويم البلدان واخبار الجرائد الشهيرة متفق عليهِ بين الشركات البرقية والمراسلات البريدية في جميع بلاد المدنية . ولا يخفاكم ان التواتر لا يشترط في رواتهِ الدين وانما آيتهُ حصول العلم اليقيني بهِ لمن بلغهُ كما في كتب الأصول

(المقلد) : يشترط في التواتر ان يؤْمن تواطؤْ الرواة على الكذب ولا يتحقق هذا الشرط الاَّ اذا لم يكن لاولئك الرواة غرض وهوى فيما يروونهُ فاذا تحقق هذا الشرط بالنسبة لمسائل علم تقويم البلدان على ما قلت فلا يتحقق في اخبار الجرائد البرقية ولا البريدية لان لرواتها ومذيعيها اهواء واغراضاً سياسية

(المصلح) : انا لا اقول ان كل ما يروونهُ حق وصدق ولا أُبرئهم من الهوى والغرض مطلقاً ولكن لا نتوهم ان اهواءهم تخفي الحقيقة وانما قصاراها ان تتصرف فيها بعض التصرف كالاعتذار والتلطف . كما نرى في برقيات شركة روتر الانكليزيَّة في هذه الحرب الترانسفالية . فقد كانت تخبرنا بجميع انكسارات قومها الانكليز. وهذا هو الشأن في الاعتماد على رواة شركة واحدة فيما نتهم فيهِ فما بالك بما ترويهِ رواة شركات مختلفة الاهواء والاغراض وتتفق فيهِ مع رواة البرد الذين يراسلون الجرائد المختلفة المشارب والمذاهب؟

(المقلد) : انني بصرف النظر عن صدق الجرائد وغيرها اسلم لك بان المسلمين في حال سيئة على الجملة فان هذا آخر الزمان وكل هذه الاحوال من علامات قيام الساعة وهي كائنة لا بد منها وستزداد يوماً بعد يوم حتى لا يبقى الا لكع بن لكع وعليهم تقوم الساعة فلا ينبغي ان نهتم بهذا الامر ولا ان نحزن لهُ لانهُ مصداق اخبار النبي صلى الله عليهِ وسلم ويستحيل زوالهُ

(المصلح) : هذا بعض ما ازيد مذاكرتك بهِ فان عندي ريباً في كثير مما يروونهُ في الكتب من علامات الساعة وما سيكون قبلها اقوى من ريبك في اخبار الجرائد وعلم تقويم البلدان ولا يسعنا في هذا المجلس ان نبحث في متونها واسانيدها ونبين ما يقبل منها وما لا يقبل ولكننا لا ننكر على اي حال ان لكل شيء وقعنا فيهِ سبباً وان لكل مرض علاجاً فان الهيئة الاجتماعية كالهيئة الشخصية تمرض بسبب وما دام فيها زمق من الحياة فلا يأْس من شفائها فما رأيك ايها الاستاذ في أسباب مرض الامة الاسلاميَّة العام وما رأيك في علاجهِ ؟

(المقلد) : اما سببهُ فهو ترك الشريعة عملاً وحكماً وليس لهُ علاج لان قيام الساعة



مظفر الدين شاه سلطان ايران
ولد في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٦٩ وتوفي في ٢٤ القعدة سنة ١٣٢٤

توضع هذه الصورة بدل الصورة المقابلة لصفحة ٩١ من هذا المجلد
اما تلك فصورة والده ناصر الدين شاه



مظفر الدين شاه ايران وُلد سنة ١٨٥٣ وتوفي سنة ١٩٠٧

قريب وهي لا تقوم الاّ على شرار الخلق كما قلت لك الآن ان الملوك والحكام الذين افسدوا الدين والدنيا اذا حكموا بالشريعة والزموا الناس بالعمل بها يندمل جرحهم و ينشعب صدعهم و يصلح شأنهم وما هم بفاعلين حتى يظهر المهدي وقد بشرني بعض الصالحين بانهُ يظهر في هذا القرن والساعة تقوم في اول القرن الخامس عشر واستدل على هذا بقوله تعالى " لاتأتيكم الا بغتة " فان حروف " بغتة " تبلغ بحساب الجمل ١٤٠٧ وبحديث " ان اساءت امتي فلها يوم وان احسنت فلها يوم ونصف " واليوم عند الله الف سنة وقد احسنت ولله الحمد ولذلك جاوزت الالف وفي اواخر النصف تقوم الساعة

(المصلح) : اما قولك ان ترك العمل بالدين والحكم بالشريعة هو سبب ضعف المسلمين فهو مسلَّم عندي ولكن لي فيهِ فهماً ربما كان غير ما تريد . واما قولك ان رجوعهم الى الشريعة لا يكون الاّ بقوة المهدي المنتظر فانا لا اعتقد بصحة هذا بل اقول ان هذا الاعتقاد من ادواء ادواء المسلمين واقتل امراضهم وان كان فيما قالوهُ عنهُ كلمة اصلاح وهي ابطال المذاهب وجعل المسلمين على طريقة واحدة كما هو اصل الاسلام . واغرب من هذا استدلالك على قيام الساعة بالآية فان هذه الطريقة من الاستدلال ليست معروفة في الاصول وكذلك الحديث لا اراهُ يصح . ثم انصرفا على ان يعودا للكلام بعد ايام . انتهى

والمحاورات كلها على هذا النسق وهي تكشف القناع عن كثير من الاوهام والخرافات وترشد الى صحيح القول وصواب العمل . وقد يشكر المسلمون صاحب المنار كما نشكر اكبر المصلحين وقد يقوم علماؤهم عليهِ ويكفّرونهُ ويتهمونهُ بالالحاد فلا يصل الى الغرض المطلوب . وفي الكتاب ١٥٠ صفحة وثمن النسخة منهُ ٥ غروش وهو يباع في مكتبة المنار

سلافة العصر

ان من يطالع تاريخ القطر المصري والقطر الشامي وبلاد العرب والهند وتونس والمغرب الاقصى في القرن الحادي عشر الهجري اي منذ ثلثمئة سنة يحسب ان العلم هجرها والجور اناخ عليها ولكن من يمعن نظرهُ في هذا الكتاب " سلافة العصر " يجد ان ديوان الادب كان حافلاً بار بابهِ وانهُ لم يكن يتعذَّر على واحد منهم ان يجمع منظومات اولئك الادباء ويقف على ترجماتهم وهو امر لو توخاهُ احد ابناء هذا العصر لوجد دون البلوغ اليهِ خرط القتاد . ومدير السلافة وناظم عقدها صدر الدين المدني احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر وسنبحث فيها بشيء من الاسهاب في جزء تالٍ . وهي كتاب كبير فيهِ اكثر من ٦٠٠ صفحة بقطع المقتطف



(١) البلبل

مصر · مصطفى افندي سعيد · اهدى اليَّ احد المحبين من الشام طائرًا صغيرًا يسمَّى بلبلاً فرأيت من احوالهِ ما ادهشني من الفتهِ الغريبة وصوتهِ الرخيم وقد سمعت انهُ اذا أُخرج من قفصهِ لا يتجاوز في طيرانهِ المنزل الذي هو فيهِ مع انهُ سريع الطيران ويأْتي الى من يشير اليهِ ويقف على يدهِ كأَنهُ الفهُ منذ عهد طويل ويخرج من قفصهِ ويقف علي المائدة ويلتقط حبوب الارز عنها كأَنهُ يأْكل مع الآكلين ويغتسل مرارًا · وقيل لي انهُ لا يعيش مع آخر من جنسهِ بل كلٌّ منهما يقتل نفسهُ فهل ذلك صحيح كلهُ وما سببهُ

ج ان ما قيل لكم عن الفة البلبل صحيح اذا ربي صغيرًا · وقد يمسك كبيرًا فيظهر اليفًا كأَنهُ ربي صغيرًا ولكن يُرجح حينئذٍ انهُ يكون قد طار من بيت ربي فيهِ فالف الناس · واكثر الطيور تأْلف من يربيها ويطعمها وقد تكون اليفة قليلة النفور بالطبع وقد تألف بالتطبع وقد لا تالف ابدًا · اهدي الينا مرة ببغاءان سودانيان نادران احدهما اخضر الريش طويل الذنب شديد النفور لم يأْلف احدًا تعلَّم النطق حالاً واتقن بعض الكلمات والجمل والانغام فكان يتلفظ بها كأَنهُ آدمي وكثيرًا ما سمع البواب صوتهُ فظن ان احد اصحاب البيت يناديهِ . والآخر رمادي واخضر قصير الذنب الف الذين كانوا يطعمونهُ فصار لا يهنأُ لهُ عيش الاَّ اذا جثم على يد الفتاة التي كانت تطعمهُ وتغسلهُ ولكنهُ لم يتعلم النطق قط · والبلبل شديد الالفة كما تقدم ويقف علي المائدة ويلتقط حبوب الارز ويغتسل بالماء كما يغتسل الكنار ولكننا لم نسمع انهُ يقتل نفسهُ او انهُ لا يعيش مع آخر

(٢) جنود اليونان

مصر · امين افندي نجيب · كم عدد جنود مملكة اليونان البريَّة والبحريَّة

ج عدد جنودها البريَّة من الانفار والضباط نحو ثلاثين الفًا وعدد بحّارتها في سفنها الحربيَّة نحو اربعة آلاف ومئتين

(٣) الخزان وانس الوجود

ومنهُ . هل اذا عُلّي خزان اصوان ستة امتار كما يراد تعليتهُ الآن تغمر مياههُ هيكل انس الوجود تمامًا وهل يتلف ذلك الاثر من غمر المياه لهُ.

ج تغمر اكثر الهيكل والمرجح انهُ يتلف بغمر المياه لهُ وانحسارها عنهُ سنة بعد سنة ولو نقلتهُ الحكومة الى مكان آخر كما قصدت اولاً لاحسنت صنعاً بدل ما انفقتهُ على ترميمهِ وتقويتهِ

(٤) تولد الخفاش

ومنهُ . هل الخفاش من الطيور وكيف يتولَّد

ج الخفاش يطير كالطيور ولكنهُ ليس من الطيور في شيء بل هو كالفار والجرذ يلد صغارهُ ولادةً وقد بحث بعضهم في طباع الخفافيش الانكليزيَّة فوجد انها تلد في شهر يوليو ومدة حملها ٤١ يوماً الى ٤٢ يوماً ويكون لون اجرائها حينما تولد احمر لحمياً وجلدها املط لا صوف فيهِ غير شعرات قليلات على فمها ويأخذ صوفها يظهر في اواخر الاسبوع الاول بعد ولادتها ويكون اصفر عند ظهرها وابيض عند بطنها ولا تحاول الطيران ولو صار عمرها ثلاثين يوماً

(٥) طيران الانسان

ومنهُ . هل انحلت مسألة طيران الانسان اي اخترع احد آلة يسهل الانتقال بها في الهواء من مكان الى آخر كما يسهل الانتقال بالمراكب على سطح الماء

ج كلاَّ ولكن يظن كثيرون من العلماء ان ذلك صار في حيز الامكان ومن المحتمل ان تصنع آلة يركبها الانسان ويطير بها من مكان الى آخر وتكون اسهل قياداً من البالون واسرع منهُ سيراً ولكن ليس من المحتمل ان تكون نفقاتها قليلة مثل نفقات سكة الحديد او يكون ركوبها مأموناً كركوب سكة الحديد . ولولا توقُّع الفائدة منها في الحرب ما رأينا هذا الاهتمام الكثير بها

(٦) ارتعاش العين

الاسكندريَّة . محمد افندي كامل النويعم ما هو سبب ارتعاش العين

ج هو فعل عصبي منعكس يحدث الآن لضعف في الاعصاب وهو من الحركات الموروثة من قديم الزمان على ما يظن فالحيوان الاعجم الذي لا يستطيع تحريك يديهِ لجزر الذباب عنهُ تحرك عضلات بدنهِ السطحيَّة لكي تزجر الذباب اما الانسان فيجزرها بيديهِ لذلك ضعف فعل العضلات الجلدية ولم تعد اعصابهُ تهتم بتحريكها ولكن اذا ضعفت اعصابهُ او ضعفت قوة تحكيبها فعلت بعض الافعال القديمة الموروثة التي لا داعي لها الآن

(٧) رعوية المهاجرين السوريين

مونتريول بكندا ١٠١٠م. هل تعترف الدولة العلية برعويَّة السوريين الذين يهاجرون الى اميركا ويقيمون فيها مدة كافية لاكتساب الرعويَّة الاميركيَّة ثم يعودون الى بلادهم وهل تحميهم دولة اميركا وهم في سوريَّة كما لو كانوا من اهاليها الاميركيين

ج ان مسألة الاعتراف بالرعوية

الاميركية لم تحلّ حتى الآن فان الدولة العلية متفقة مع دول اوربا على ان مَن يقيم في اوربا من رعاياها ثم يعود الى بلادهِ يخسر الرعويَّة الاوربية التي اكتسبها وهي تريد ان تعامل الذين يكتسبون الرعوية الاميركية كذلك وحكومة اميركا لم توافقها عليهِ حتى الآن ولا تزال تحمي السوريين الذين اكتسبوا الرعوية الاميركية ولو لم تعترف الدولة العلية برعويتهم الاميركية

(٨) رعوية المهاجرين الاوربيين

ومنهُ . ما شأن الاوربيين الذين يقيمون في اميركا ويكتسبون الرعوية الاميركية اذا عادوا الى بلادهم بعد ذلك فهل تعدهُم بلادهم من الرعايا الاميركيين

ج نعم تعدهم من الرعايا الاميركيين اي تحسب انهم خسروا رعويتها ولكن الدول الاوربيَّة تعامل كل من يكون في بلادها من غير رعاياها معاملة رعاياها تمامًا فليس للاميركي امتياز على اهالي بلادها الاَّ من حيث الخدمة العسكرية وليس الامر كذلك في تركيا لان للاجانب امتيازات فيها فهي لا تريد ان تشرك بهذه الامتيازات رعاياها الذين تجنَّسوا بجنسيَّة اجنبيَّة

(٩) مرفأ لبنان

ومنهُ . بلغنا ان اهالي لبنان اهتموا بتوسيع مرفإ جونية وجعلهِ مرفأً لجبلهم بدل بيروت فهل تمَّ لهم ذلك

ج كلاَّ والظاهر ان الحكومة العثمانيَّة تعارض في ذلك ليبقى دخل الجمرك في بيروت على حالهِ وحكومة فرنسا تعارض ايضًا لكي لا يقل دخل مرفإ بيروت وهو لشركة فرنسوية مع انهُ لا يتعذَّر التوفيق بين مصالح الجميع اذا كانت المسأَلة ماليَّة فقط



باب الاخبار العلمية

الاستاذ برتلو

خسرت فرنسا وخسر علم الكيمياء خسارةً لا تقدَّر بوفاة الاستاذ الاكبر المسيو برتلو اكبر كيماويي فرنسا ان لم يكن اكبر كيماويي العصر . نعاهُ البرق في الثامن عشر من شهر مارس الماضي وقال انهُ توفي على اسلوب مفجع توفيت زوجتهُ فلحق بها حالاً . وقد اعترفت فرنسا بفضلهِ حيًّا فاحتفلت منذ خمس سنوات بمرور خمسين سنة على اول تأليف نشرهُ من تآليفهِ وكان الاحتفال عظيمًا جدًّا برئاسة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية

حينئذٍ وقد نشرنا تفصيلهُ في حينهِ واحتفلت بوفاتهِ الآن ميتاً على نفقة الحكومة ودفنتهُ هو وزوجتهُ في البنتيون مدفن اعاظم رجالها وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

الدكتور الان مكفدن

خسر علم البكتيريا خسارة كبيرة بموت الدكتور مكفدن الانكليزي ذهب ضحيَّة علمهِ فقد عدي بمادة مرضية وهو يمتحن فعلها وتوفي بها في غرة مارس . وهو مكتشف طريقة الاندوتكسين اي سحق الميكروبات المرضية في الهواء السائل واستعمالها لقاحاً واقياً من الامراض التي تحدثها فان الحيوان الذي يلقح بها يصير مصل دمهِ دواءً واقياً من تلك الامراض وشافياً منها . وقبل ان يتم بحثهُ في هذا الموضوع و يثبت نتائجهُ بالامتحان وافاهُ القدر المحتوم فخسر علم الطب بموتهِ خسارة عظيمة وقد كان رئيساً لقسم البكتيريولوجيا في دار لستر التي يبحث فيها عن وسائل الوقاية الطبيَّة

كهربائية الشمس

اثبت الدكتور نودون على ما في الرقي سينتفيك ان الشمس تؤثر في الارض تأثيراً كهربائياً عدا ما في نورها وحرارتها من الفعل الكهربائي وقال .ان كثيراً من الاحداث الجوية يمكن تعليلهُ بكهربائية الشمس

نفقات التعليم في بلاد الانكليز

قدرت نفقات المعارف في بلاد الانكليز في السنة المقبلة ١٧ مليوناً و ٤٩٥ الفاً و٢٣٧ جنيهاً وهي مقسومة هكذا

لمجلس التعليم العمومي	١٣٥٩٣٦٤٦ جنيهاً
لدار التحف البريطانية	٠٠١٧١٠٤١ «
للبحث العلمي	٠٠٠٠٥٤٤٧٩ «
لمساعدة المدارس الجامعة والكلية	٠٠٢٠١٤٠٠ «
للتعليم العمومي في اسكتلندا	٠٢٠٢٢٥٥٤ «
للتعليم العمومي في ارلندا	٠١٤٠٨٣٦٠ «
لمدرسة الملكة	٠٠٠٠٤٧٠٠ «

فلو انفق القطر المصري على التعليم العمومي على نسبة ما تنفقهُ البلاد الانكليزيَّة لكانت ميزانية التعليم فيهِ اربعة ملايين من الجنيهات اما الآن فاذا جمعنا كل ما تنفقهُ الحكومة على التعليم وما ينفقهُ الاهالي على مدارسهم وعلى تعليم اولادهم وما تنفقهُ الرسالات الاوربية والاميركية في هذا القطر فلا نظن ان مجموع ذلك يزيد على مليون جنيه في السنة

نجيمات جديدة

بلغ عدد النجيمات التي كشفت من اغسطس سنة ١٩٠٥ الى ابريل سنة ١٩٠٦ تسعاً وعشرين نجيمة تعدُّ من ٥٧٠ الى ٥٩٨

اكبر المقاصير

في جامع لكنو ببلاد الهند مقصورة كبيرة طولها ١٦٢ قدماً وعرضها ٦٤ قدماً وارتفاعها ٥٣ قدماً ولا عمود فيها فهي اكبر مقصورة من غير عمد وقد بنيت سنة ١٧٨٤ حين حدوث المجاعة الشديدة في بلاد الهند لتشغيل الفقراء وقد مضى عليها الآن ١٢٣ سنة ولا تزال سليمة مع انها مبنية من الكنكريت او الخرسانة فقد صنعت توابيت من الخشب وجبل الطين والحصى وافرغت فيها وتركت سنة حتى جفت تماماً فصارت حجارة متينة

اعلى جبال القمر

قاس دوق ابروزي ارتفاع اعالي جبال القمر المعروفة بجبال رونزوري فوجد ارتفاع اعلى قننها ١٦٨١٦ قدماً والقنن العالية ست ولا ينقص ارتفاع واحدة منها عن ١٥٠٠٠ قدم وكلها لا يتعذر الصعود اليها وقد سمي واحدة منها باسم الملكة الكسندرا ملكة الانكليز وواحدة باسم الملكة مرغريتا ملكة ايطاليا وواحدة باسم الملك ادوارد ملك الانكليز . والقنن التي يبقى فيها الثلج على مدار السنة واقعة في دائرة قطرها عشرة اميال فقط والجليد يزحف من الجبل في شكل نهر فيصل الى ما ارتفاعه ١٣٦٨٢ قدماً فوق سطح البحر . ولا يخفى ان جبال القمر او جبال رونزوري في قلب افريقية الشرقية عند منابع النيل وان العرب وصلوا اليها وذكروها في كتبهم من قديم الزمان وقد تعمر تلك البلاد وتمدُّ سكك الحديد الى تلك الجبال فتصير مصيفاً لاهالي السودان ولكن لا يكون ذلك على يد سكانها الاصليين

قراءة الافكار

اشرنا في السطور التي كتبناها في هذا الموضوع في باب المراسلة الى ما يحدث احياناً من الاتفاق بين المشعوذ وزوجتهِ على كلمات يتلفظ بها فتستدل منها على امور اخرى ويظهر كأنها قرأَت افكارهُ . ثم وقفنا على مقالة في هذا الموضوع للمستر مسكلين وهو اشهر مشعوذي الانكليز الذين اتقنوا الشعوذة وبرعوا فيها براعة فائقة ثم تركوها وقد شرح في هذه المقالة كيفية الاتفاق بين المشعوذ وزوجتهِ على الفاظ معلومة فقال ما مؤداهُ :—

ان هذه الحيلة قديمة جداً اقدم من استعملها بينتي الايطالي الذي لعب في هايماركت ببلاد الانكليز سنة ١٧٨٤ اي منذ مئة و١٢٣ سنة فانهُ كان يضع امرأتهُ في غرفة في المشهد ويدور بين الحضور يرى ما يريدون سؤالها عنهُ ثم يسألها فتصفهُ وصفاً صحيحاً كأنها تقرأُ افكار زوجها والسر في ذلك انها كانت متفقة معهُ على كلمات يدخلها

في السؤال فتعلم منها الشيء المسؤول عنهُ فانهما جعلا لكل شيء من الاشياء التي يظن انها تُسأل عنها عدداً من الاعداد . مثلاً جعلا لساعة الذهب العدد ١ ولساعة الفضة العدد اثنين ولقلم الرصاص العدد ٣ وهلمَّ جرًّا الى مئة شيء او اكثر واصطلحا على عشر كلمات واحدة منها للصفر واحدة للرقم اثنين وواحدة للرقم ثلاثة وهلمَّ جرًّا الى التسعة فاذا اراد ان يقول لها ان في يدهِ ساعة ذهب ذكر الكلمة التي تدل على الواحد واذا اراد ان يقول لها ان في يدهِ قلم رصاص ذكر الكلمة التي تدل على الثلاثة واذا اراد ان يقول لها ان في يدهِ شيئاً عددهُ ٧٤ ذكر كلمتين الكلمة التي تدل على الاربعة والكلمة التي تدلُّ على السبعة وهلمَّ جرًّا ولا يخفى انهُ يستطيع ان يدلَّ بهذه الكلمات العشر على مئات والوف من الاشياء بشرط ان يحفظا الاعداد التي تدل عليها حسب اتفاقهما والكلمات العشر القائمة مقام الارقام هي مثل ماذا . قولي . اخبريني . هذا . بيدي . احزري الخ واذا ذكر جملة فيها هذه الكلمات وكلمات اخرى غيرها اهملت الكلمات الاخرى التي في الجملة ولم تلتفت الاَّ الى الكلمات العشر المتفق عليها فاذا كانت الكلمة "ماذا" تدل على الواحد وقال لها ماذا انا ماسك فهمت من كلمة ماذا ان في يدهِ ساعة ذهب واذا كانت الكلمة احزري تدل على العدد ثلاثة وقال لها احزري اي شيء انا مخبيء بين يدي قالت لهُ قلم رصاص لان كلمة احزري تدلُّ على الرقم ثلاثة والرقم ثلاثة يدل على قلم الرصاص حسب اتفاقهما

ثم اتقن المشعوذون هذه الطريقة وصاروا يقسمون الاشياء الى انواع ويدلون على كل نوع منها بكلمة او رقم وكلُّ فرد من افراد ذلك النوع بكلمة او رقم فجعلوا الالوان نوعاً ودلوا على الابيض منها بكلمة او رقم وعلى الاحمر بكلمة او رقم وهلمَّ جرًّا . وجعلوا المعادن نوعاً ودلوا على كل معدن منها بكلمة او رقم . وجعلوا اللغات نوعاً ودلوا على كل لغة منها بكلمة او رقم وهلمَّ جرًّا فيستطيع السائل ان يسأل سؤالاً واحداً فيهِ بضع كلمات فيعلم المسؤول منها ماهيَّة الشيء المسؤول عنهُ فيقول لهُ مثلاً هات اخبرني عما في يدي فيقول لهُ خاتم ذهب موصع بالماس والزمرُّد اذا كانت كلمة هات تدلُّ على المصاغ وكلمة اخبرني تدل على الخاتم وكلمة عما تدلُّ على الذهب وكلمة في تدل على الماس وكلمة يد تدلُّ على الزمرُّد . واذا اتفق ان عرض احد الحضور شيئاً لا يخطر على البال ان يسأل عنهُ لم يصعب على المشعوذ ان يتخلص منهُ بحيلة ما

واشهر هؤلاء المشعوذين روبرت هلر فانهُ رتب مئتي كلمة في عشرين صفاً وجعلها تدلُّ على الارقام والمعادن والالوان والاشكال حتى كان يستطيع ان يصف بها كل شيء يمكن ان يسأل عنهُ

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثاني والثلاثين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٧ — الموافق ١٨ ربيع اول سنة ١٣٢٥

الفلسفة العملية

الاستاذ وليم جمس الاميركي من اكبر فلاسفة العصر وقد قام الآن يخطب في موضوع سماه البرغمتزم Pragmatism اي الفلسفة العملية كأنه يقول ان ما كان من الفلسفة عملياً فهو الفلسفة الحقيقية وما سواه اوهام وسنلخص خطبة مقتطفين منها ما يسهل تناوله على جمهور القراء

ابتدأ الخطبة الاولى بفقرة لمستر تشسترتن قال فيها " انا نحسب ان اهم شيء لقائد الجيش اذا وقف امام عدوهِ ان يعرف عدد جيش العدو ولكن هناك ما هو اهم من ذلك وهو ان يعرف ما هي فلسفة العدو " اي ان يعرف كيف ينظر عدوهُ الى الحياة والمعاد

ثم قال الخطيب ان المواضيع الفلسفية غامضة عويصة ولكن الناس يميلون الى الخوض فيها. وتاريخ الفلسفة مؤلف اكثرهُ من مناقضات الفلاسفة المبنيَّة على اختلاف امزجتهم . وكثيرا ما يحاول الفيلسوف او المشتغل بالفلسفة ان يخفي تأثير مزاجهِ في اقوالهِ وآرائهِ ولكن المزاج لا يُغلَب بل يحرف الادلة على مقتضاهُ وهذا هو هوى النفس الذي يستسلم لهُ المرء رغماً عنهُ فيعتقد ان الكون جارٍ حسب هواهُ وهو على هدًى وكل الذين يخالفونهُ على ضلال

وهذا الحكم خاص بكبار الفلاسفة الذين لهم في الفلسفة مذاهب معلومة مثل افلاطون ولوك وهيجل وسبنسر اما جمهور الباحثين في الفلسفة فليس لهم مزاج فلسفي معلوم بل آراؤهم ومعتقداتهم الفلسفية خليط من آراء غيرهم ومعتقدات غيرهم وقلما يعرفون ما يفضلونهُ على غيره من هذه الآراء والمعتقدات وكثيرًا ما ينزعون عن رأْي الى ضدهِ على اسهل سبيل كأَن الآراء من الازياء التي تتغير بتغير الزمان والمكان

والناس على هذا النمط من اختلاف الامزجة في كل المطالب ففي السياسة ترى المستبد الذي لا يحتمل تغيير السلطة والفوضوي الذي خلع كل سلطة . وفي الانشاء ترى المقلد الذي لا يحيد عما كان عليهِ السلف والمجتهد الذي يسير على خطة يختطها لنفسهِ . وفي الاخلاق

ترى من يتتبع القواعد الموضوعة لذلك ومن يجاري الزمان ولا يتبع الاَّ ما يرشده اليهِ عقلهُ

والفلاسفة مقسومون الى فريقين كبيرين اهل النظر واهل العمل فاهل النظر هم الذين يبنون احكامهم على المبادىء النظرية المجرَّدة واهل العمل هم الذين يبنون احكامهم على الحوادث الفعلية . وما من أحدٍ يستطيع ان يعيش ساعة من غير الاعتماد على المبادىء النظرية والحوادث الفعلية ومع ذلك ترى الناس ينقسمون هذا الانقسام في الاعتماد عليها ويختلفون ويتشاحنون بسبب ما في امزجتهم من الميل الى تفضيل هذه الجهة او تلك . وقد انقسموا الى فريقين كبيرين كالفلاسفة ولقَّبوا انفسهم القاباً مختلفة بحسبها فمن الفريق الاول او اهل النظر الفعلية والصورية والفألية والدينية والقدَرية . ومن الفريق الثاني او اهل العمل الحسيَّة والمادية والشؤمية والرافضة والجبرية . وعندي ان الفريق الاول اي اهل النظر عقولهم او امزجتهم سهلة المراس والفريق الثاني اي اهل العمل عقولهم او امزجتهم صعبة المراس وكل فريق من هذين الفريقين يحسب انهُ على هدًى وغيرهُ على ضلال . والجمهور بين بين يميلون تارة الى هؤلاء وتارة الى هؤلاء بحسب ما يستحسنونهُ او يستهجنونهُ من اعمالهم وتعاليمهم فتراهم قدرية او جبرية حسب ميلهم الى الاعتقاد بانهم احرار الارادة يفعلون ما يشاؤون او مقيدون بارادة الخالق لا يفعلون الاَّ ما قدِّر لهم فعلهُ

والظاهر ان اهل العمل من الفلاسفة ومريديهم صاروا الآن اكثر مما كانوا في العصور السالفة لكنهم اميل الى التدين مما ينتظر من الفلاسفة الماديين

وقد مضى الآن مئة وخمسون سنة والعلوم تؤول الى تكبير العالم المادي وتصغير الانسان بالنسبة اليهِ وتثبت ان الطبيعة لا تتغير مرضاة للانسان بل هي ثابتة وعلى الانسان ان يجري حسب مرضاتها وزال ما كنا نتوهمهُ من اننا احرار مطلقون في هذا الكون نفعل بهِ ما نشاء فيجري طوع ارادتنا . ولا نريد ان نكون ماديين ولكننا لا نتخلص من هذه الوصمة الاَّ اذا اغضينا الطرف عن كثير مما نعدُّهُ حقيقيًّا في الحياة لاننا لا نستطيع ان نتصوَّر ما هو غير مادي الاَّ بواسطة المادي حتى الخالق سبحانهُ لا يمكننا ان نتصوَّر وجودهُ الاَّ من شعورنا بمخلوقاتهِ كأن شعورنا بوجود المخلوقات المادية شرط لازم لاعتقادنا وجود الخالق غير المادي

والفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين مبادىء الفلسفة النظرية ومقتضيات العمل والاختبار جروا غالبًا على خطة غريبة مستهجنة مثال ذلك ان ليبنتس كان من زعماء الفلسفة النظرية ولكنهُ كان ايضاً يقف عند الحقائق الفعلية ويحاول التوفيق بين الطرفين كما استدل على رحمة الخالق من قلة عدد الهالكين حيث قال

"ان الشر يظهر كلا شيء بالنسبة الى الخير اذا اعتبرنا سعة مدينة الله . فان القدماء لم يكونوا يعرفون عظم اعمال الله فكانوا يظنون الارض وحدها مسكونة وقد ارتابوا في وجود الناس على الجهة المقابلة منها وكانوا يحسبون بقية العوالم كرات مشرقة وكواكب درية اما الآن فمهما كان حد الكون الذي نسلّم بهِ فلا شبهة ان فيهِ كرات لا تحصى وكلٌ منها مثل كرتنا الارضية او اكبر منها ولها حق ان تكون مسكونة بمخلوقات عاقلة مثل ارضنا ولو لم يكونوا كلهم بشرًا مثلنا . وارضنا سيّار من السيارات الستة التابعة للشمس . والنجوم الثوابت شموس كلها فما اصغر ارضنا في جنب العالم المنظور لانها لا تخرج عن كونها تابعة من توابع شمس من هذه الشموس . وقد تكون هذه الشموس كلها مسكونة وسكانها من اهل السعادة . فلا شيء يوجب علينا اذًا ان نعتقد كثرة عدد الهالكين لان عددًا قليلاً منهم يكفي لاظهار الخير الذي ينتج من الشر . ثم انهُ ليس من الضروري ان تكون النجوم موجودة في كل مكان افلا يمكن ان يكون وراءها فضاء خالٍ منها وان يكون ذلك الفضاء الواسع مملوءا بالسعادة والمجد . فما هو شأن ارضنا وسكانها ألا تصير هي وهم اصغر من نقطة واحدة في هذا الكون الواسع وهي في الحقيقة ليست سوى نقطة بالنسبة الى بعد النجوم الثوابت . ولذلك فالجزء الذي نعرفهُ من العالم لا يحسب شيئًا مذكورًا بالنسبة الى العالم الذي لا نعرفهُ ولكننا مضطرون الى التسليم بوجودهِ وكل الشرور التي نعرفها محصورة في ارضنا هذه التي هي كلا شيء بالنسبة الى غيرها من العوالم فينتج عن ذلك ان الشر قد لا يكون شيئًا مذكورًا في جانب الخير الموجود في العالم"

وقال في مكان آخر " من العدل ما لا يقصد بهِ اصلاح المجرم ولا جعلهُ عبرةً لغيرهِ ولا التعويض على المجرَم اليهِ بل يقصد بهِ مجرد ارضاء العدل بقصاص المجرم . ومن هذا القبيل العدل او الانتقام الذي حفظهُ الله لنفسهِ وهو يرضي المجرم ويسر كل حكيم ينظر اليهِ كما يُسَر العقل المستنير بالغناء الحسن الايقاع والبناء الحسن الهندام وعلى هذا الاساس يدوم عذاب الخطاة ولو لم يكن منهُ فائدة في ارجاع احد منهم عن خطاياهُ ويدوم ثواب الصالحين ولو لم يثبّت احدًا منهم في طريق الصلاح والامران صالحان على حدّ سوى لان الله صنع كل شيء كاملاً وعلى تمام الانتظام"

ولا يخفى ما في هذا الاحتجاج من الضعف والظاهر ان ليبنتس لم يتصور قط الحالة التي يكون فيها من يُحكَم عليهِ بالعقاب الابدي ولا خطر له انهُ كلما قلّ عدد الهالكين الذين يطرحون في جهنم ليكونوا عبرة لغيرهم تزيد سعادة الخالصين وما احتجاجهُ سوى سفسطة باردة لا تدفئها نار جهنم

ولا داعي للرجوع الى العصور الغابرة حتى نبين ضعف الفلسفة النظرية فان ادلة النظريين في عصرنا هذا ليست اقوى من ادلة اسلافهم لدى العقول التي تقف عند حد المعقول ولقد رأيت مثالاً لثورة العقول على الفلسفة النظرية في رسالة لموريصن سوفت . ابتدأها باخبار وردت في الصحف السيارة من ذلك الخبر التالي

جون كوركودان كاتب في محل تجاري طاف في المدينة من طرف الى طرف ماشياً على الثلج يفتش عن عمل يعمل بهِ وزوجتهُ واولادهُ الستة بلا طعام وقد أُمروا بالخروج من البيت الذي هم فيهِ لانهم لم يدفعوا اجرتهُ فانتحر اليوم بجرعة من الحامض الكربوليك . أُخرج منذ ثلاثة اسابيع من المحل الذي كان يعمل فيهِ لانهُ مرض فانفق في مرضهِ كل الدريهمات التي كان قد وفَّرها واستُخدم امس في جرف الثلج من الشوارع ولكنهُ كان لا يزال ضعيفاً خائر القوى فطردهُ الوكيل بعد ما اشتغل ساعة فعاد يفتش عن عمل يعمل فيهِ ولم يجد ورجع الى بيتهِ في المساء مصدوع القلب فوجد زوجتهُ واولادهُ بلا طعام والاعلان بالخروج من البيت ملصق على بابهِ فتجرع السم في الصباح

قال المستر سوفت ان امامي الآن حوادث كثيرة مثل هذه تملأُ مجلداً كبيراً وقد اقتبست منها ما تفسَّر بهِ احوال هذا الكون . فقد قال احد الفلاسفة حديثاً ان وجود الشر في العالم شرط لازم لكمالهِ وقال آخر ان هؤلاء الملكى يزيدون كمال العالم . هذا ما يقولهُ الفلاسفة الطاعمون الكاسون الجالسون على بساط الراحة ويتخذونهُ دليلاً على القدرة والرحمة ونحن لا نعلم من امر هذا الكون غير ما نراهُ في ارضنا وقياس التمثيل يقتضي ان يكون الكون كلهُ مثل هذه الارض ولكن الظاهر ان الفلاسفة يتركون الحقائق المحسوسة التي يرونها بعيونهم ويلمسونها بايديهم ويتشبثون بفروض يفرضونها واوهام يختلقونها

وتطرَّف المستر سوفت الى اكثر من ذلك وحسب الاديان كلها من قبيل العبث . وقال الاستاذ جمس ان هذا هو معتقد كثيرين من الباحثين في الفلسفة الآن ولو لم يبلغوا في تطرفهم مبلغ المستر سوفت وكل باحث منهم يلتفت الى اساتذة الفلسفة ويطلب منهم ما يقنع نفسهُ المتشوقة الى الحقائق فيأتيهِ الفلاسفة النظريون بالفلسفة الدينية والفلاسفة العمليون بالفلسفة المادية فيزن الفريقين ويجدهم ناقصين . ولا يليق بنا نحن الفلاسفة ان نستخف بحكمهِ لانهُ مثل حكم غيرهِ من ذوي العقول الثاقبة الذين سيكون لهم القول الفصل على مرّ الزمان

وهنا شرع الاستاذ جمس في شرح فلسفتهِ الجديدة التي توفّق بين الفلسفة الدينية والفلسفة المادية كما سترى في الجزء التالي

تاريخ المكروب

وثورة العلم والطب

من يطّلع على هذه المقالة لا يجد فيها حقائق جديدة ولا اكتشافات كانت مجهولة لان كل ما فيها معروف عند الاطباء والعلماء واكثر الخاصة وانما اوردت فيها حوادث تاريخيَّة تخلد اسم المجتهدين الذين خدموا العلم والانسانية فيجد فيها القارئ لذة وفكاهة ويقف منها على كيفيَّة ارتباط حلقات الاكتشافات بعضها ببعض حتى تكوَّنت منها سلسلة علميَّة محكمة

وقد حدا بي الى هذا الموضوع ما ارى من البعد الشاسع بين المعارف في هذه الايام وما كانت عليهِ في النصف الثاني من القرن الماضي لاني اذا قابلت بين المؤلفات التي اطالعها اليوم والتي تخرَّجت عليها منذ ثلاثين سنة رأيت من الفرق ما يجيز بهِ الحكم بان الطب قد انقلب في هذه المدة بطناً لظهر ويقضي على الطبيب الذي يرغب في حفظ مكانتهِ من العلم ان يصل ليلهُ بنهارهِ بالدرس والمطالعة ليمكنهُ السير مع تيار العلم والا فاتهُ شوطاً بعيداً وعسر عليهِ بعدئذٍ اللحاق بهِ فقد يطالع الطبيب مؤلفاً حديثاً ويرى نفسهُ كانهُ يلج علماً جديداً قد تنغلق عليهِ بعض ابوابهِ ويعجز عن استيعاب كل حقائقهِ ولا سيما اذا لم يكن ضليعاً باللغة الاجنبيَّة التي يأخذ عنها ويستفيد بمعارف علمائها

فالكيمياء قد تحولت في ابحاثها واكتشافاتها الى ما يختلف كثيرًا عما كانت عليهِ في السابق فتغيرت اسماؤها ومسمياتها الكيماوية وتنوعت عباراتها واسرعت خطاها في المواد الآلية وسارت سيرًا حثيثاً في المواد المعدنية كأن علماءها استوفوا فيها البحث والنظر. وقد تبعتها المادة الطبية لان بين العلمين من الرابطة مالا يقبل انفكاك احدهما عن الآخر فاتسع نطاق هذه ايضاً وكثرت موادها الى حدٍ يعجز المستفيد والدارس عن استيفائهِ واستيعابهِ . الا ان الجانب الاكبر من هذه المواد لا يكاد يظهر الى الوجود ويطرح على مائدة البحث والتجربة حتى يسقط ويلقى في زوايا النسيان فتزيد الثقة بالعقاقير القديمة التي تزيد ثبوتاً ورسوخاً في بيت العلم ودار الطب . واذا راجعنا تاريخ المادة الطبيَّة من ربع قرن الى الآن رأينا ان مئاتٍ بل الوفاً من العقاقير الطبية لم تكد تظهر الى حيز الوجود حتى سقطت لسقوط الثقة بها ولم يثبت منها سوى النزر القليل كالانتيبيرين واخواتهِ ومع ذلك هي اليوم اقل منها اعتبارًا من ذي قبل . ثم ظهرت العقاقير المستخرجة من الانسجة العضوية وقد وجه الافكار اليها العلامة برونسكار بعد ما وقف على طريقة الطب الاهلي القديم المستعملة الى الآن في الشرق الاقصى

وهي معالجة الاعضاء المريضة باعضاء مثلها سليمة فاثارت امتحاناتهُ خواطر العلماء واندفعوا الى تكرار التجارب وتوسعوا في الابحاث وامتدوا في الاكتشافات وغالوا بالفوائد الناجمة عن هذه الطريقة حتى لم يبقَ عضو الاَّ جعلوا لهُ علاجاً من عضو مثلهِ ولكن لم يثبت لسوء الحظ من كل ذلك الى الآن سوى الفائدة من استعمال التيرويدين اي خلاصة الغدة الدرقية وتحقق اخيراً فعل الادرنالاين (وهو خلاصة المحفظة فوق الكلية) بتوقيف نزف الدم و بقيت البواقي تحت البحث والتحقيق. ولهذا اقف عند هذا الحد من البحث في المادة الطبية لوقوفها هي عند هذا الحد من القصور في شفاء الامراض واستطرد الى فرع آخر من الطب كان من وفرة الجول فيهِ والتعمق في البحث عنهُ جليل فائدة للعلم وكبير خدمة للانسانية اعني بهِ الباثولوجي لانهُ من الاهمية بمكان وهو المعوَّل عليهِ في الباثولوجيا والجراحة بل هو اساس الطب ودعامتهُ الوطيدة. واري انهُ الفرع الوحيد من الطب الذي تقدَّم تقدُّماً مبيناً وخطا خطوة كبرى وتأسس البحث فيهِ على اسس متينة وحقائق راهنة واذا قام الجدال في مسئلة من مسائلهِ كان سلاحهُ الامتحان و برهانهُ التجربة ونتيجتهُ الحقيقة وبهِ وبانوارهِ سارت بقية الفروع ولا سيما الجراحة وتقدمت التقدم الباهر ولهذا خصصت لهُ في هذه المقالة نصيباً وافراً من الكلام لاني لو تتبعت تاريخ الطب من نصف قرن الى الآن واتيت على شرح تقلباتهِ وبيان تقدمهِ من باب وتأخرهِ من آخر ونجاحهِ من وجهٍ وفشلهِ من آخر لاتسع المجال كثيراً وقضي عليَّ ان اكتب مئات من الصفحات وانا مع ذلك لا اوفي الموضوع حقهُ ولا ازيد المطالع توسعاً في العلم فحصر البحث على ما تقدم فيهِ من العذر ما يشفع بالقصور

كان الطب في بداءة القرن التاسع عشر لا يزال في المهد وكان التقليد فيهِ غالباً على التنقيب والتنقير . واما في النصف الثاني منهُ فدرج من المهد وخطا خطوة كبرى الى الامام ولاسيما في الكيمياء كما تقدم وبدأ الطبيب يحسن المراقبة ويمعن الروية ويدقق البحث حتى اوصل علمهُ الى مجدهِ واصبح في الثلث الاخير منهُ على ما هو عليهِ الآن من اتساع المعرفة بهِ وانحلت المشاكل التي استحال على المتقدمين حلها بجلاء الغامض منها وبكشف الاسرار الكامنة في الطبيعة

لما كنت اتلقى العلم في المدرسة كان اول العهد باكتشاف البكتيريا وبدحض مزاعم القائلين بالتولد الذاتي وكنا تلامذة واساتذة تائهين في فضاء لاقرار لهُ من شك ويقين وكنا نتتبع البحث في هذه المسائل بشوق ولذة وننتظر نتيجة الجدال بفارغ الصبر. ففي هذا العهد توصل باستور الى معرفة سبب الاختمار وتحقق انهُ يحدث من تولد احياء متناهية في الصغر في

احوال وشروط معلومة وكان الجدال حينئذٍ على التولد الذاتي قائماً على قدم وساق ولم ينكشف سره الاَّ لباستور نابغة عصرهِ فكان لمباحثهِ وامتحاناتهِ واكتشافاتهِ تأثير في العلم وفضل على الانسانية . على اني رأيت قبل الخوض في تاريخ هذه الاكتشافات ان ابين فضل المتقدمين واشرح كيفيَّة معرفتهم بالمكروب لنرى كيف تدرَّج البحث فيهِ وافضى الى الحصول على اكتشافهِ

كان الاطباء في ذاك العهد غاية في حسن الروية وبعد المرمى وكانوا يقولون بالمكروب وهم لا يعرفونهُ ويدرسون فعلهُ وهم لا يرونهُ ويتقون عواقبهُ وهم يجهلون مصادرهُ فالامراض التي يسميها اطباء هذه الايام امراضاً مكروبية كانوا يسمونها هم امراضاً خميريَّة ويعترفون مع ذلك بان هذه التسمية ليست صحيحة ولكنهم اصطلحوا عليها من قبيل التمثيل لانهُ لا بد من اسمٍ عمومي يطلق على جنس من الامراض تشترك افرادهُ في صفات شتَّى فاطلقوا هذه التسمية على الامراض الوبائية الوافدة والمستوطنة وعلى الامراض الحادثة عن فسادٍ حيواني او نباتي او الناتجة عن مادةٍ خصوصية تنتقل اما باللمس او بواسطة اخرى كالماء والهواء او الحيوانات المريضة وعلى الامراض الناتجة من سوء التغذية او فسادها والامراض التي تتولَّد من حويوينات حلمية تعيش في اقسام مختلفة من الجسم وعليهِ قسموا الامراض الخميرية الى اربعة اقسام الاول الحميات والامراض المعدية كالتيفويد والتيفوس والجدري والطاعون والهواء الاصفر والنزلة الوبائية وغيرها من الامراض التي من طبيعتها ان تعتري كثيرين في وقت واحد والثاني داء الزهري والثالث الاسكربوط وتيفوس الثكنات والرابع الجرب وديدان القناة الهضمية . وبنوا معرفتهم هذه على المراقبة والروِّية اذ وجدوا انها تنتشر في محال هواؤُها فاسد او فيها اسباب أُخرى غير موافقة للصحة كالمستنقعات المائية او مواد الكنف ومجاريها او الاوساخ والاقذار الحيوانية والنباتية . وقد عرفوا ايضاً ان في قسم كبير من هذه الامراض يتغير الدم عن حالتهِ الطبيعية وزعم البعض ان الدم هو مجلس الامراض الحادثة عن مواد معدية آلية الاصل سواء تولدت داخل الجسم او خارجهُ لان هذه المواد من شانها ان تزيد في الدم كمية تلك المواد الآلية

فاتضح لهم مما تقدم ان اسباب الامراض سموم خصوصية اذا دخلت الجسم استطرقت الى الدم وفعلت فعل الخميرة في العجين اي تكاثرت بالتوالد والتبزير وظهرت افعالها باعراض خاصة ولكل مرض اعراضهُ الخصوصيَّة فاعراض الحمى ارتفاع الحرارة وسرعة النبض والم الراس ووسخ اللسان وضعف القابلية وهبوط القوى وغيرها من الاعراض المعروفة . واعراض الهواء الاصفر القيء والاسهال وغور العينين والتهور وهلمَّ جرًّا . وقد تحققوا ان لكل علةٍ من علل الامراض الخميريَّة مادة او سماً خصوصياً يحدث اعراض علتهِ ولا يحدث اعراض علة

اخرى فكما انهُ لا اشتباه بين اعراض الجدري والزهري والبرداء والهواء الاصفر فلا سبيل للريب ان لكلٍ من هذه العلل مادة خصوصية في اصلها وتولدها وسيرها وكونها واعراضها. ولم يخفَ عنهم ايضاً ان قليلاً من السم المرضي يساوي ذرَّةً يحدث مرضاً من نوعهِ ومتى ظهر كان فيهِ من السم ما يكفي لاصابة مئات بل الوف آخرين كالجدري مثلاً فان ما دون حبة الرمل يولدها فتظهر مئات من البثور وفي كل واحدة منها صديد يكفي لتلقيح كثيرين والمادة المرضية في طفل مصاب بالشهقة تكفي لان تعدي مدينة بكاملها. وعرفوا ايضاً إعداد الجسم لقبول هذه السموم بواسطة امراض اخرى من سم آخر فالنفساء مثلاً تصاب بحمى النفاس من مجرد دخول طبيب الى غرفتها كان يعالج مريضاً بالحمراء او بمرض آخر معدٍ او من دخول تلميذ كان في دار التشريح

وقد عرفوا مصدر الامراض المياسمية وقالوا انها تتولَّد من النبات الابخرة الفاسدة من عن سطوح مستنقعات فيها مواد حيوانية ونباتية في حالة الانحلال والفساد تصعد في الهواء وتحمل بزوراً تدخل الرئة بالاستنشاق وتسير في الدم حيث تلقي بيوضها وتُتوالد وتتكاثر فتحدث فيهِ تغييراً يحرفهُ عن حالتهِ الصحية فيظهر اذ ذاك فعل السم المرضي الذي كمن الى ذاك الحين وهذا كما لا يخفى هو نفس الكلام بالمكروب. وكان استاذنا الدكتور فانديك يقول ان للبرغوث برغوثاً يلسعهُ ولبرغوث البرغوث برغوثاً يلسعهُ

وفي هذا القدر كفاية لبيان فضل اولئك الافاضل الذين وفوا البحث حقهُ وعرفوا الحقائق بالاستنتاج من المقدمات المنطقية التي اثبتوها ومهدوا السبيل الى اكتشاف المكروبات وحل كثير من الرموز الغامضة الى ذلك العهد لانهم عرفوا كثيراً من طبائعها بدون ان يكتشفوها كما يظهر مما سبق بيانهُ وبقي على من درس على هؤلاء الجهابذة وتحدى عملهم واخذ مأخذهم ان يحذو حذوهم وان يحصر بحثهُ في معرفة ماهية هذه المادة السمية ويدرى طبيعتها ويعيّن صنفها. وهذا ما جرى عليهِ علماؤنا المتأخرون فعرفوا المكروبات ولا تزال تزداد معرفتهم بها وسوف يُعرف لكل مرضٍ مكروبهُ الخاص ويتسع المجال لاكتشاف الدواء الشافي لهُ لانهُ كما تيسر للعلم كشف مطعوم الكلب ومصل الدفتيريا ومن ثم شفاء هذين المرضين الذريعين فلا يستحيل ان يشمل ذلك بقية الامراض المكروبية كالسل وغيرهِ

اما اكتشاف المكروب فمهَّد السبيل اليهِ بنوع خصوصي مسألة التولد الذاتي التي كان الجدال فيها قائماً على قدم وساق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما سبقت الاشارة اليهِ وسأبين ذلك بقدر ما يسمح المقام

الدكتور امين ابو خاطر

الماس الطبيعي والصناعي

تمهيد

لما ذهب اعضاء مجمع تقدُّم العلوم البريطاني الى جنوبي افريقية في صيف سنة ١٩٠٥ واجتمعوا فيهِ اجتماعهم السنوي خطب فيهم العالم الكبير والكيماوي الشهير السر وليم كروكس خطبة نفيسة في الماس حاسبًا ان مشاهدتهم مناجمهُ في جنوبي افريقية مهَّدت لهُ السبيل لاتخاذ ذلك الحجر الثمين موضوعًا لخطبتهِ . وقد سرَّ العلماء اعضاء ذلك المجمع بتلك الخطبة وطلبوا من الخطيب ان يعيدها لهم في اليوم التالي ففعل وهذا امر لم يعهد لهُ مثيل على ما نعلم . وكنا عازمين على ترجمة الخطبة حينئذٍ فحالت المشاغل دون ذلك واكتفينا بالاشارة اليها ولا سيما الى الاسلوب البديع الذي اكتشفهُ الخطيب لعمل الماس الصناعي وهو غير الاسلوب الذي جرى عليهِ الاستاذ مواسان الفرنسوي

وتوفي الاستاذ مواسان منذ شهرين واشرنا اليهِ والى مكتشفاتهِ العلمية في المقتطف على جاري عادتنا واطَّلعت مجلة المشرق على ما كتبناهُ في هذا الصدد فقالت في غرة ابريل ما نصهُ :—

" توفي آخرًا الاستاذ الكيماوي الشهير مواسان الفرنسوي فبادرت الجرائد والمجلات الى ذكر مآثرهِ وممن اطراهُ صاحب مجلة المقتطف في عددهِ الاخير على انهُ روى في جملة مكتشفاتهِ اصطناعهُ للماس قال " واهتم (اي مواسان) سنة ١٨٩٢ باكتشاف طريقة لعمل الماس فكلل عملهُ بالنجاح وصنع حجارة الماس حقيقي ولكنها صغيرة جدًّا مستخدمًا الاتون الكهربائي " . قلنا هذا وهو خبر عارٍ من الصحة سبق لنا كلام فيهِ في المشرق (٦—٣٧٠١ و٧—١٠٤٧) حيث بيَّن حضرة الاب ده فراجيل ان مدعى المرحوم مواسان لا اساس لهُ وان ما استحضرهُ ليس هو ماسًا صناعيًّا بل عنصرًا اخر ليس فيهِ شيء من خواص الماس فتأمل " . انتهى كلام المشرق

ونحن لا نلوم محرّر المشرق اذا فاتهُ الاطلاع على ما اثبتهُ مواسان وغيرهُ بعد مناقضة المناقضين لهُ . لانهُ يتعذَّر على المرء في هذا العصران يطَّلع على كل ما يجدُّ في ابواب العلوم . والذي قلناهُ عن عمل مواسان للماس الصناعي قالهُ كل العلماء الذين ذكروهُ حديثًا واطَّلعنا على اقوالهم وهم من اكبر الثقات في هذا الموضوع . ولا ينكر ان بعض العلماء قاموا على

مواسان وحاولوا ان يثبتوا ان ما صنعهُ ليس ماساً حقيقيًّا إما لانهم كانوا معتقدين صحة قولهم او لان اصحاب مناجم الماس هالهم اكتشاف طريقة لعملهِ فخافوا ان تكسد سوقهُ بسبب ذلك فرشوا بعض العلماء الذين يفضّلون المال على العلم فقاموا يخطّئون مواسان ويدَّعون ان ما صنعهُ ليس ماساً . وقد اشارت جريدة نانشر الى ذلك وهي ادق الجرائد العلمية واحرصهنَّ على تحري الحقائق فجاء فيها في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٠٧ ما ترجمتهُ " ان امتحان قطع من نيزك كنون ديابلو اثبت ان فيها حجارة صغيرة من الماس يحيط بها خطوط رقيقة من الكربون المنضغط وهي في قلب الحديد فارشدهُ ذلك (اي ارشد مواسان) الى كيفية حل هذه المسأَلة (اي مسأَلة عمل الماس) . ويعلم الجميع انهُ اثبت ذلك بالامتحان وصنع حجارة صغيرة لا يشك في انها حجارة ماس (Minute but unmistakable diamonds) وقد اعترض البعض مراراً كثيرة على صحة عملهِ ولكنهُ اثبت صحة نتائجهِ حديثاً سنة ١٩٠٥ وذلك باعادتهِ التجارب السابقة مع زيادة الاحتراس وباستعمال ما عُرف بعد تجاربهِ الاولى من امر المركبات التي تتكوَّن في مثل تلك الاحوال "

وهذا الكلام للدكتور هتون .Dr. R.S. Hutton وقد اوردهُ في ٢٨ فبراير الماضي وهو صريح في ان مواسان افسد اعتراضات المعترضين واثبت ان الحجارة التي صنعها هي حجارة الماس حقيقي في كل خواصهِ الطبيعيَّة والكيماويَّة وفي ان الدكتور هتون مؤيد لذلك ولا يرى ما ينقضهُ

وقالت مجلة السينتفك اميركان في كلامها على وفاة مواسان في عددها الصادر في ٩ مارس سنة ١٩٠٧ " انهُ صنع الماس بالاتون الكهربائي وان ذلك كان من ادعى الامور لشهرتهِ في كل العالم المتمدن "

وقالت جريدة التيمس في قسمها العلمي الادبي الصادر في ٢٩ مارس (اي بعد صدور المقتطف بشهر من الزمان) في ترجمة الاستاذ برتلوما تعريبهُ " ان الاثني عشر شهرًا الماضية اخنت على علم الكيمياء في فرنسا ولم ترحم فاغتالت كوري ومواسان وبرتلو فان مكتشف الراديوم وصانع الماس لا يقلاَّن عن برتلو عظمة ولا هما اقل منهُ جرأَة على اقناع الغير ولا اقل منهُ صبرًا على البحث والتنقيب "

فهذه شهادات صريحة حديثة تمتد الى اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٠٧ . وقد نكون اطلنا على غير طائل في اثبات امرٍ ليس في اثباتهِ فائدة غير ذكر حقيقة صارت تاريخيَّة فنكتفي بما تقدَّم عنها شاكرين المشرق لانهُ نبهنا الى هذا الموضوع فاعدنا قراءة الخطبة

النفيسة التي تلاها السروليم كروكس وها نحن متحفون القراء بخلاصتها لما فيها من الفكاهة والفائدة قال الخطيب

لقد فُتِن الناس بالماس من قديم الزمان ولم يعرفوا كيفيَّة تولُّدهِ . جاء في تاريخ الجمعيَّة الملكيَّة عن سنة ١٦٦٧ انها سألت السرفيليبرتو ڤرناتي نائب الحكومة في بتاڤيا عما اذا كان الماس قد نما ثانية في الثلاث السنوات او الاربع الاخيرة حيث استخرج اولا فاجابها قائلاً "كلاً ولا يتذكر احد انهُ رآهُ نما"

ثم ان رجال العلم اهتموا حديثاً بهذا الموضوع لان ما حدث من التوسع في علم الكهربائية ومن استعمال الاتون الكهربائي سهَّلا البحث كثيرًا . ويحق لي ان اقول الآن ان مسألة اصل الماس (اي كيف تكوَّن في الطبيعة) كادت تحلُّ ان لم تكن قد حلَّت تمامًا . وسأُبين لكم ان جنوبي افريقية من اصلح الاماكن لتكونهِ فيها وهذه البلاد مثل استراليا وكاليفورنيا من هذا القبيل كما انها مثلهما في كثرة مناجم الذهب . ولا يقتصر غنى جنوبي افريقية على الذهب والماس بل هو غنيٌّ ايضًا بالفحم الحجري واغنى مكان على وجه البسيطة من هذا القبيل ففي ناتال وحدها من الفحم الحجري ا كثر مما كان ومما لا يزال موجودًا في بريطانيا العظمى وتمتد طبقاتهُ الى مستعمرة نهر اورنج وفي هذه البلاد ايضًا مناجم حديد ثمينة

انابيب كمبرلي

ان مناجم الماس هينا خمسة تجمعها بقعة ضيقة قطرها ثلاثة اميال ونصف ميل وهي انابيب او آبار عميقة بعضها مستدير وبعضها بيضي الشكل والغالب ان يبقى قطرها على حالهِ مهما غارت في الارض والمظنون انها مما يسمَّى باعناق البراكين وقد ملئت بخليط من المواد المندفعة اليها من الاسفل والمنقدَّة من الصخور المحيطة بها ومزجت بطين لازب ضارب الى الزرقة وفي هذا الطين توجد حجارة الماس

وقد اشكل على العلماء كيف تكوَّنت هذه الانابيب فانها ليست ناتجة عن خروج المواد البركانية من جوف الارض لانهُ ليس في جدرانها ولا في ما يحيط بها ما يدل على فعل النار او على شيءٍ من الانفجار الذي يمزق الصخور تمزيقًا . ويكاد يثبت انها ملئت من الاسفل بعد ما ثقبت وان الماس تكوَّن في زمن سابق وامتزج بطين بركاني وبانواع مختلفة من الشقف المتحاتة من الصخور وصار معها خليطًا واندفع معها الى الاعلى . وهذا الخليط المسمَّى بالغضار او الارض الزرقاء مزيج من الطفال والحجارة البركانية والحجارة التي جرفتها المياه

وبلورات معدنية مختلفة الانواع · والقسم الاعلى من مناجم كمبرلي الى عمق ٧٠ او ٨٠ قدماً مملوءٌ بما يسمَّى بالارض الصفراء وتحتهُ الارض الزرقاء

وهذا الامر اي وجود الارض الصفراء فوق الارض الزرقاء مطَّرد في كل المناجم · والارض الزرقاء هي الاصلية وسبب زرقتها وجود اكاسيد الحديد الدنيا فيها فاذا وصل اليها اكسجين الهواء صيَّرها اكاسيد عالية صفراء اللون ولذلك فغور الارض الصفراء يدل على مقدار نفوذ الهواء والرطوبة فيها · والماس يوجد في الارضين على حدٍّ سوى

وملمس هذه الارض صابوني ويسهل تفتتها بعد تعرُّضها للهواء وقد وجد فيها نحو ثمانين نوعاً من الحجارة المعدنيَّة غير الماس

وفي جوار كمبرلي كثير من انابيب الماس وكل انبوب منها متصل بمعمل كيماوي في جوف الارض لم يُسبَر غورهُ حتى الآن لعمقهِ والحرارة فيهِ اشد من حرارة الاتون الكهربائي والضغط اشد من اشد ضغط يمكن إحداثهُ في معاملنا ولا اكسجين هناك فيذوب الكربون[1] لشدَّة الحرارة والضغط وتمرُّ عليهِ القرون والدهور قبلما يبرد ويجمد ويتبلور · الكيماوي يصنع حجارة صغيرة جدًّا من الماس لا تصلح لان تصاغ الحلى منها لصغرها ولكن الطبيعة وفي يدها حرارة لا حدَّ لها وضغط لا مثيل لهُ ودهور طوال تفوق الحد تمكنت من صنع هذه الجواهر البديعة المتألقة الخالية من كل شائبة كما ترون في يدي الآن

وهذا الرأي في تولد الماس تؤيدهُ امور كثيرة فاذا حُرِق الماس وجد في رمادهِ قليل من الحديد واذا لم يكن الماس ابيض فالغالب ان يكون ضارباً الى الصفرة وقد تزيد صفرتهُ وتشتدّ حتى يصير اسمر اللون · وقد يضرب لونهُ الى الخضرة او الزرقة او الحمرة او يكون برتقاليًّا وهذا يؤيد ما ذهب اليهِ مواسان وهو ان الماس تكوَّن في الحديد المصهور (وساعود الى الكلام على مذهبهِ هذا) ويفسر كيف ان حجارة الماس التي من مناجم مختلفة او من جهات مختلفة في المنجم الواحد يختلف بعضها عن بعض · والارض حول كمبرلي كثيرة الحديد واذا كثر الحديد في مكان هنا استدلوا من كثرتهِ على وجود الماس فيهِ · وقد يكون مع الحديد مواد اخرى تصهر معهُ فتلوّن الماس الواناً مختلفة

قلت ان الخليط الذي يوجد في هذه الانابيب لا دليل فيهِ على انهُ وجد هناك بفعل بركاني عنيف واقول الآن انهُ اذا قطعت من هذا الخليط قطع رقيقة جدًّا ونظر اليها

---

(١) الكربون هو اسم النوع واشكالهُ اربعة وهي الفحم الاعتيادي وفحم الحجر والماس والغرافيت او البلمباجين

بالميكرسكوب ظهر انها لم تتكون بفعل ناري بل بفعل مائي اي ان المياه المنفجرة من باطن الارض رفعتها معها وملأت انابيب البراكين بها · والظاهر ان ذلك حدث على الصورة التالية : —

ذاب الكربون مع الحديد من فعل الحرارة في باطن الارض وتشققت قشرة الارض فوقهُ لما جمدت وتقلصت واتفق ان كان عليها ماء فغار الماء في الشقوق ووصل الى الحديد الذائب فانحل واستحال الى غاز واندفع الى الاعلى فوسَّع الشقوق وصيَّرها انابيب وتبعتهُ غازات اخرى من اتحادهِ بالكربون فزادت تلك الانابيب اتساعاً · ولا غرابة في ذلك فقد ابان السر اندرو نوبل انهُ اذا وضع البارود في اسطوانة من الصلب (الفولاذ) وسدَّها بلولب واشعل البارود فيها وكان في اللولب ثقب دقيق جدًّا خرجت غازات البارود منهُ ووسعتهُ من نفسها فجعلتهُ ثقباً واسعاً مستديرًا · اي ان غاز البارود يذيب الفولاذ في خروجهِ منهُ لشدَّة انضغاطهِ كما ترون في هذه اللوالب التي تكرَّم بها السر اندرو نوبل لاعرضها عليكم وقد [illegible] الرأي الذي ارتأيتهُ وذلك انهُ ثقب ثقباً قطرهُ خمس المليمتر في سدادة من الغرانيت وسدَّ بهذه السدادة وعاء فيهِ كرديت (نوع من البارود الشديد الفعل) واشعل الكرديت فخرج غازهُ من هذا الثقب الدقيق وكانت قوة ضغط الغاز ١٥٠٠ جلد ومدة خروجهِ نصف ثانية فقط لكنهُ وسَّع الثقب في نصف الثانية هذه وجعل قطرهُ نصف عقدة اي ١٢ مليمترًا وصهر الغرانيت صهرًا في كل مجراهُ · فاذا كان غاز البارود الذي ضغطهُ عادي يصهر الفولاذ والغرانيت في خروجهِ منهما فلا غرابة في ان غاز الهيدروجين يثقب الارض في خروجهِ منها ويمزق صخورها تمزيقاً ويحفر فيها حفرًا عميقة كالآبار ويملأ ما حولها بالمواد المقذوفة معهُ ثم اذا سكن ثائرهُ وخمد جائشهُ ملأ الآبار التي حفرها بالمواد التي حملتها المياه الى جوف الارض وبينها ما وجدتهُ في ذلك المرجل المتقد من الحديد والماس والطفال واكاسيد الحديد ومتى انقطع خروج الغاز خرجت بعدهُ المياه ومزجت المواد التي اخرجها مزجاً فصيرتها في حالتها الحاضرة

وكل انفجار يجمع فوق البئر كثيراً من المواد المقذوفة من باطن الارض لكن الامطار والثلوج تفتتها وتجرفها فتمهّد الارض ولا يبقى فيها اثر ظاهر لتلك الآبار او الانابيب - وليس هناك ما يوجب ان تكون الآبار كلها قد حدثت في زمن واحد ولذلك ترى ماسها مختلفاً لوناً وصفاءً وصلابةً باختلاف الاماكن والازمنة التي تولّد فيها

كيفية تكوُّن الماس

ان مباحث الاستاذ مواسان واتقانهُ للوسائل التي يمكن الوصول بها الى درجة عالية جدًّا من الحرارة قد رجحت صحة الرأي المتقدم لتولد الماس في الطبيعة

ولقد كان المظنون ان الكربون لا يتبخر ولا يُصهر ولكن الحرارة الشديدة التي يمكن الحصول عليها بواسطة الكهربائيَّة اثبتت انهُ لا يشذُّ عن غيرهِ من العناصر بل يجري مجراها فقد ثبت انهُ يتبخر عند الدرجة ٣٦٠٠ بميزان سنتغراد اذا كان الضغط عاديًّا ويتحول من الجمود الى الغازية دفعة واحدة من غير ان يسيل. وهذا شأن اجسام اخرى تتحوَّل من الجمود الى الغازيَّة على الضغط العادي من غير ان تسيل ولكن اذا اشتدَّ الضغط عليها سالت قبلما تصير غازًّا. وقياسًا على ذلك يجب ان يسيل الكربون قبلما يصير غازًّا اذا اشتد الضغط عليهِ مع اشتداد الحرارة واذا برد بعد ذلك تبلور كما تتبلور المواد التي تصهر اذا بردت. ولكن اذا اشتدت حرارة الكربون اشتدت الفتهُ الكيماوية فيأخذ الاكسجين من الهواء ومن اي مادة تحتوي اكسجينًا ويتحد بهِ حالاً فلا فائدة من صهرهِ ما لم يُصهر محجوبًا عن كل ما يتحد بهِ

وقد عُلِم من زمن طويل ان الحديد المصهور يذيب الكربون وحينما يبرد ينفصل الكربون عنهُ في شكل الغرافيت (البلباجين) وقد اكتشف مواسان ان معادن اخرى تفعل فعل الحديد ولا سيما الفضة ولكن الحديد اقوى منها على اذابة الكربون وتزيد قوتهُ على التذويب بارتفاع حرارتهِ

ويلزم لعمل الماس حديد نقيٌّ خالٍ من الكبريت والسليكون والفصفور الخ وان يوضع في بوتقة من الكربون مع فحم نقي من فحم السكَّر ثم توضع البوتقة في قلب الاتون الكهربائي وتكون قوة الكهربائيَّة ٧٠٠ امبر وضغطها ٥٤٠ فولطًا فيصهر الحديد حالاً ويمتص الكربون وبعد بضع دقائق ترتفع الحرارة فيها الى الدرجة ٤٠٠٠ (وهذه الحرارة تصهر الحديد وتصيرهُ بخارًا) ويوقف المجرى الكهربائي حينئذٍ وتوضع البوتقة في ماءٍ بارد الى ان تصير حرارتها تحت درجة الحمرة. ومعلوم ان جرم الحديد يتسع حين الانتقال من السيولة الى الجمود وتبريدهُ السريع يجمّد ظاهرهُ فيضغط على باطنهِ ثم حينما يجمد الباطن ويطلب الاتساع ينضغط ضغطًا شديدًا جدًّا وينفصل عنهُ الكربون الذي كان ذائبًا فيهِ باشكال بلورات شفافة وهي الماس حقيقي (veritable diamonds) ولو كانت في غاية الصغر لا تفرق عن الماس

الطبيعي في شكل تبلورها ولا في لونها وصلابتها وفعلها بالنور

والآن يبتدئ العمل الشاق جدًّا وهو فصل هذه البلورات عن غيرها . فيذاب الحديد التي هي فيهِ بالحامض النيتروهيدروكلوريك (ماء الذهب) والقسم الذي لا يذوب يكون مؤلفًا من الغرافيت ومن قشور كربون بنيّة اللون ومن كربون ثقيل ثقلهُ النوعي ٣ الى ٣ ½ وهو صلب كالماس ومن ماس اسود ومن حجارة ماس متبلورة شفافة خالية من اللون . وقد يكون معها كربيد السليكون وسنباذج وهي من الشوائب التي كانت في المواد المستعملة فيحمى هذا المجموع اولاً بضع ساعات في الحامض الكبريتيك القوي الى درجة الغليان ويضاف اليهِ حامض نيتريك بالاحتراس التام ثم يغسل مدة يومين ويوضع في الحامض الهيدروفلوريك القوي باردًا ثم غاليًا فيزول منهُ اكثر الغرافيت وتنحل مركبات السليكون . ثم يستعمل الحامض الكبريتيك السخن لازالة الفلوريدات ويغسل الباقي جيدًا ويعالج بمزيج من اقوى انواع الحامض النيتريك ومسحوق كلورات البوتاسيوم وتكون حرارتهُ ٦٠ درجة بميزان سنتفراد لا اكثر من ذلك خوفًا من التفرقع . ويكرّر ذلك ست مرات الى ثماني مرات فيذوب كل الغرافيت ولا يبقى الا اكسيد الغرافيت والماس الحقيقي الشفاف والماس الاسود والماس المدخن (boart) . ثم يصهر هذا المزيج مدة ساعة في فلوروهيدرات فلوريد البوتاسيوم ويغلى في الماء ثم في الحامض الكبريتيك ويغسل فما بقي منهُ غير ذائب يجفف ويوضع على زجاجات الفحص الميكرسكوبي ويفحص فتوجد فيهِ قطع صغيرة من الماس الاسود وقطع اخرى شفافة لا لون لها بعضها متبلور وبعضها غير متبلور ولم اشاهد فيها حتى الآن بلورة كاملة تمامًا لان البلورات الكاملة تتكسر من نفسها حين تخلصها بغتةً من الضغط الشديد الذي كان عليها . وكان عندي قطعة جميلة من الماس الصناعي وضعتها على زجاجة الميكروسكوب وقمت في الصباح فوجدت انها تكسرت مدة الليل وانتشرت كسرها على زجاجة الميكرسكوب . وقد صنع مواسان حجارة ماس بقيت عندهُ بضع اسابيع قبل ان تكسرت وبعضها بقي عدة اشهر قبلما تكسّر وهذا الامر يقع ايضًا في الماس الطبيعي المستخرج من مناجم كمبرلي . وترون على الستار صور الماس الصناعي وكل حجارتهِ صغيرة قطر اكبرها اقل من مليمتر وهي في لمعانها وشكل تبلورها وفعلها بالنور وثقلها النوعي وصلابتها مثل حجارة الماس الطبيعي تمامًا (identical with the natural stone) وكثيرًا ما كان مواسان يصنع في العملية الواحدة عشرة حجارة الى خمسة عشر حجرًا ولكنها صغيرة طول اكبرها ٧٥ في المئة من المليمتر والمثمن السطوح منها قطرهُ عشرا المليمتر

طريقة جديدة لعمل الماس

كثيرًا ما خطر لي انهُ يمكن الحصول على حرارة شديدة وضغط شديد لعمل الماس على غير الطريقة التي جرى مواسان عليها فان السر فردرك ابل والسر اندرو نوبل وصلا الى جعل الضغط ٩٥ طنًّا على العقدة المربعة والحرارة ٤٠٠٠ درجة اذا أُشعل بارود الكرديت في اسطوانة مسدودة . وقد قال السر اندرو نوبل في مقالة تليت في الجمعيَّة الملكية حديثًا انهُ اشعل الكرديت في اسطوانة مسدودة فبلغ الضغط فيها ٥٠ طنًّا للعقدة المربعة والحرارة ٥٤٠٠ درجة فهنا طريقة مناسبة جدًّا لصهر الكربون واذا كان الوقت الذي تمَّ فيهِ اشتعال هذا البارود كافيًا ذاب الكربون ثم جمد وتبلوَر

وقد تكرَّم السر اندرو نوبل فاعطاني المواد الباقية بعد اشعال المتفرقعات في آنية مسدودة فعالجتها كما يعالج الحديد في عملية مواسان وبعد اسابيع من التعب والعناء ازلتُ منها الغرافيت والسلكا والكربون غير المتبلور ورماد الكرديت وبقي لديَّ بقية نظرت اليها بالميكرسكوب فوجدت فيها حجارة متبلورة اتضح لي ان بعضها كربيد السليكون وترجح ان البعض الآخر ماس فجففت البقية كلها وصهرتها مع بيفلوريد البوتاسيوم وملح البارود لان التجارب ارتني ان هذا المزيج يحل كربيد السليكون ولو كان يفعل بالماس ايضًا بعض الفعل . ثم غسلت الباقي وسخنتهُ في الحامض الكبريتيك المدخن وغسلتهُ ثانية وجففتهُ وانتقيت الحجارة الكبيرة ووضعتها على زجاجة الميكرسكوب وها انا اريكم الآن على استار صور بعضها . ويوافقني الكيماويون ان المعالجة التي عالجت هذه المادة بها لا يحتملها الاَّ الماس وقد فحص هذه الحجارة ثقات العلماء بعلم البلورات فحققوا انها حجارة ماس والحجر الذي ترون صورتهُ هونا (مكبرة بالفانوس السحري) قال الاستاذ بوني عنهُ انهُ "ماس سطوحهُ ثمانيَّة الاضلاع حدودها مظلمة من ارتفاع دليل الانكسار" واظن انهُ لم تبقَ شبهة في ان اشعال بارود الكرديت في الآنية المسدودة يكوّن فيها حجارة ماس صغيرة وهي طريقة ثانية لعمل الماس another method of producing the diamond artificially.

نقف الآن عند هذا الحد من خطبة السر وليم كروكس واثقين اننا اوضحنا مراد الخطيب تمامًا وان حجتهُ قاطعة تؤيد ما قالهُ غيرهُ من العلماء وهو ان الحجارة التي صنعها مواسان ماس حقيقي . وسنتم خطبة السر وليم كروكس في الجزء التالي لان فيها بحثًا شهيًّا مفيدًا عن وجود الماس في النيازك وعن اكتشاف طريقة لجعل الماس الاصفر ابيض ضاربًا الى الزرقة

المتوسط العادل

للعالم فرنسيس غلتون مباحث مبتكرة تبتدئ بشيء طفيف ثم تتسع وتعمّ فائدتها . فهو مستنبط طريقة الاستدلال على الناس بآثار اناملهم. ولما كتب عن هذه الطريقة لم يخطر على بال احد انها تكون من ادل الدلائل على الناس او انها تستعمل في القضاء والسجون لتحقيق الشخصيَّة اما الآن فقد ثبت انها من ادل الدلائل ودلالتها ثابتة لا تتغير ابداً

وهو ايضاً مستنبط قانون الوراثة الذي بموجبهِ يرث الولد نصف صفاتهِ واخلاقهِ من والديهِ والنصف الآخر من اسلافهما واذا تحقق هذا القانون وجرى الناس عليهِ أُصلح النسل وزالت منهُ عيوب كثيرة . وقد استنبط الآن قاعدة لمعرفة المتوسط الحقيقي بين الآراء والتقديرات المختلفة . فاذا اوقع زيدٌ ضرراً بعمرو واراد القضاة ان يقدروا قيمة الضرر وما يستحقهُ عمرو تعويضاً من زيد فالغالب ان الذي يشط منهم في تقدير الضرر والتعويض اما في تكثيرهِ او في تقليلهِ يقنع الباقين بصحة رأيهِ لانهُ يكون اشد منهم تحمساً مع ان رأيهُ ابعد عن الصواب من آراء الباقين لانهُ هو متحمس واما هم فغير متحمسين ولذلك لا ينتظر ان يغالوا كما يغالي هو لا في الكثرة ولا في القلة . ولا يحسن اخذ المعدل لانهُ يدخل فيهِ تقدير المفرط او المفرّط اي المغالي في الكثرة او المغالي في القلة بل الاقرب الى العدل اخذ التقدير الاوسط فاذا كان عدد المقدرين سواء كانوا قضاة او غيرهم وتراً او مفرداً أُخذ تقدير الشخص الاوسط منهم واذا كان عددهم شفعاً اي مزدوجاً أُخذ متوسط الاوسطين فيكون التقدير الاوسط . فان كان عددهم ١١ ورتبت تقديراتهم من الادنى الى الاعلى فتقدير الشخص السادس منهم في هذا الترتيب هو المتوسط العادل واذا كان عددهم ١٢ ورتبت تقديراتهم من الادنى الى الاعلى فمتوسط تقديري الشخصين السادس والسابع هو المتوسط العادل

واتفق للمستر غلتون ان امتحن ذلك على اسلوب بديع قال انهُ لما اقيم معرض المواشي في غربي انكلترا منذ عهد قريب اختار بعضهم ثوراً كبيراً سميناً وطلب من الناس ان يقدّروا وزنهُ بعد ذبحهِ وسلخهِ ونزع امعائهِ . ووزع عليهم ثمانمئة ورقة ليكتب فيها كلٌّ منهم اسمهُ وتقدير الوزن الذي يقدرهُ وجعل ثمن الورقة نصف شلن ووعد باعطاء المال المجموع جوائز للذين يصيبون الحقيقة في تقديرهم او يكونون اقرب اليها من غيرهم . وتمّ التقدير وذبح الثور وسلخ ونظف ووزن فوجد وزنهُ ١١٩٨ ليبرة وأُعطيت الاوراق كلها الى المستر غلتون فوجد

فيها ١٣ ورقة تعذَّر عليهِ قراءة المكتوب فيها بالتدقيق فاهملها ورتب الاوراق الباقية حسب مافيها من التقدير وهي ٧٨٧ ورقة فوجد التقدير الاوسط منها يجعل وزن الثور ١٢٠٧ ليبرات اي انهُ يزيد تسع ليبرات فقط على الوزن الحقيقي او اقل من واحد في المئة ووجد ان التقديرات التي اقل من ذلك تتناقص رويدًا رويدًا حتى يبلغ اوطاها ١٠٧٤ ليبرة . والتي اكثر منهُ تتزايد رويدًا رويدًا حتى تبلغ اعلاها ١٢٩٣ ليبرة فالتقدير الذي في آخر التقادير القليلة يحط عن التقدير الاوسط ١٣٣ ليبرة والذي في اعلى التقادير الكبيرة يزيد على التقدير الاوسط ٨٦ ليبرة اي ان المقدرين فرَّطوا في تقدير وزن الثور اكثر مما افرطوا

والناس يتوصلون الى تقدير ثقل المواشي وثقل الاشياء عمومًا بالقياس على اختبارهم السابق وعلى صور في اذهانهم عرفوها بالاختبار او بالسمع تقوم لديهم مقام عيار يزنون بهِ ما يقدرون ثقلهُ ولكنهم يختلفون في ذلك حسب اختبارهم وصحة احكامهم . ولا يبعد انهُ اذا امتحنت طريقة المستر غلتون هذه في اشياء كثيرة من هذا القبيل وجدت اصح الطرق كلها لمعرفة المتوسط العادل في كل الاحكام التي يتعذَّر فيها استعمال القياس والحساب المدقق . افلا يحتمل ان يتخذها القضاة قانونًا في المحاكم يجرون عليهِ في تقدير العقاب فاذا كانوا خمسة وكتب كلٌّ منهم ورقة بمقدار ما يستحقهُ المجرم من السجن حسب رأيهِ ثم ترتبت الاوراق حسب مقدار العقاب من الادنى الى الاعلى فالعقاب المقدَّر في الورقة الثالثة اي الوسطى اقرب الى العدل حسبما هو راسخ في اذهان اولئك القضاة

ومما يحسن سوقهُ هنا ان تقدير العقاب في احكام المحاكم اقرب الى المجازفة منهُ الى العدل فان جرائم المجرمين تتفاوت كثيرًا في احوالها ودرجاتها حتى اذا كان عقاب اصغرها حبس شهر وعقاب اكبرها سجن ١٥ سنة وجب ان يتنوع عقاب الف من المجرمين بين هذين الطرفين فيعاقب بعضهم بحبس شهر وبعضهم بحبس شهر وايام وبعضهم بحبس شهرين وبعضهم بحبس شهرين وايام وبعضهم بحبس ثلاثة اشهر وهلمَّ جرًّا الى سنة وسنة وشهور وسنتين وسنتين وشهور الخ ولكنك اذا راجعت جدول الاحكام رأيت فيهِ كثيرين يعاقبون بحبس ثلاثة اشهر او نصف سنة او سنة اوسنتين او ثلاث سنوات او ست سنوات . ولكن قلما نرى احدًا يعاقب بحبس شهرين وعشرين يومًا او خمسة اشهر او سبعة اشهر اوعشرة اشهر اواحد عشر شهرًا او سنتين وشهرا او سنتين وشهرين او ثلاث سنوات وسبعة اشهر او ثلاث سنوات واحد عشر شهرًا او اربع سنوات او ثماني سنوات وهلمَّ جرًّا . وما ذلك الَّا لان عدد الاشهر او عدد السنين الذي يخطر على بال القضاة قبل غيره يدفعهم الى تحديد مدة العقاب بهِ وهذا هو

الجزاف بعينهِ وهم لا يستحلون ان يفعلوا ذلك في تقدير ثمن رطل طماطم يشترونهُ . فاذا اعتمدوا على قاعدة غلتون كان حكمهم اقرب الى العدل

ولا يبعد ان تستعمل هذه القاعدة في امور كثيرة مما يعمل فيهِ برأي الجماعة ولا سيما اذا عبَّر كلٌّ منهم عن رأيهِ برقم حسابي ولكن لا يعمل بها الّا حيث يراد تقدير القيمة او تقدير زمن العقاب او نحو ذلك من المقادير العددية ولكن اذا اريد الحكم على القبول او الرفض او اختيار هذا الشخص او ذاك فلا بدَّ من الاعتماد على اكثرية الاصوات

مصر والسودان

الرسالة الخامسة . بلاد النوبة

رجعت من السودان آسفًا لانني لم اتمكن من الصعود الى اعالي النيل ومشاهدة بلاد الجزيرة وسكانها والوصول الى البحيرات الاستوائيَّة التي تغذّي نهر مصر وتجعلهُ اعجوبة الدهر في انتظام فيضانهِ وعذوبة مائهِ . فودَّعت اخوانًا اصفياء غمروني بفضلهم مدة اقامتي بينهم وعاصمة اغتسلت من الهمجيَّة بدماء الالوف لتكون منارة في قلب افريقية ودخلنا محطة الحلفاية الساعة العاشرة ليلاً فزدت بها اعجابًا ووددت لو ان مهندسها زاد في ارتفاعها لتزيد رونقًا. ثم سرى بنا القطار على جنح الدجى يخترق البلدان التي مررنا بها نهارًا حتى اذا تبلج وجه الصباح سرنا في الاماكن التي مررنا بها ليلاً في صعودنا فلم يفتنا شيءٌ من كل بلاد النوبة من الخرطوم الى اسوان مما تخترقهُ سكة الحديد ولكن البلاد التي كانت عامرة مجاورة للنيل فلا يراها عابر السبيل كلها الّا اذا جعل النيل طريقهُ . وحبذا الزمان الذي تقام فيهِ الاهوسة[1] على كل الشلالات كما اقيمت في اسوان فيتيسر السفر في السفن على مدار السنة وحينئذٍ يصير الصعود الى اعالي السودان من افكه الاسفار ونقل البضائع بهِ من ارخص اساليب التجارة

قلت في رسالتي الاولى ان ملوك النوبة كانوا يغزون القطر المصري المرَّة بعد الاخرى وقد تسلطوا عليهِ غير مرة . وفي القرن العاشر قبل المسيح اقتبسوا العمران المصري وتديَّنوا بالديانة المصرية وعبدوا معبودات مصر وامتدوا في فتوحهم الى القطر المصري حتى اذا كان

---

(١) الاهوسة جمع هويس وهو تحريف حوض العربية ويراد بهِ باب كبير تسدُّ بهِ الترعة ليرتفع الماء فوقها

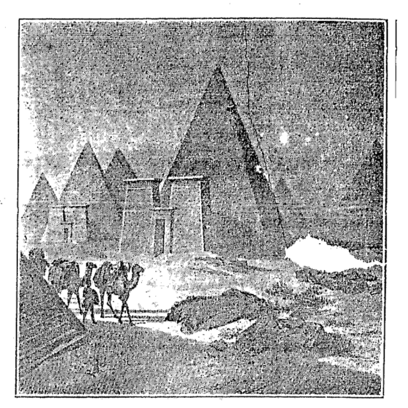
القرن الثامن قبل الميلاد استولوا عليهِ كلهِ وكانت منهم الدولة الخامسة والعشرون من الدول المصريَّة · وكانت بلادهم كثيرة السكان وافرة الخيرات ولاسيا مملكة مروي التي لا تزال اهرامها قائمة تناطح السحاب وآثار ملوكها منقوشة في الصخور تقاوي انياب الدهر · وقد حاربوا البطالسة وكانت الحروب سجالاً ثم تنصروا في القرن الخامس والسادس وغزاهم العرب لما فتحوا مصر وظلوا يدافعون العرب تارة ويهاجمونهم اخرى الى اواخر القرن الثالث عشر للميلاد فانحطَّ شأنهم بعد ذلك وراجت النخاسة في بلادهم وتدرَّجوا في الانحطاط حتى امسوا ولا ملك ولا رئيس ولا شأن يذكر · ووعدت ان اعقد لهم فصلاً طويلاً بعد الانتهاء من مفاخر البطالسة فرأيت الآن ان افي بذلك في هذه الرسالة

يطلق اسم النوبة على كل البلاد بين اسوان والخرطوم وكان المصريون الاقدمون يعدونها من القطر المصري ويسمونها بلاد السود ويقسمونها الى ثلاثة عشر قسماً لكنها كانت في الغالب مستقلة عن مصر ولو حاول المصريون الاستيلاء عليها مرةً بعد اخرى طمعاً بما فيها من مناجم الذهب

واكثر البلاد صحاري وقفار لكنها كثيرة المعادن وما قارب النيل منها كثير الخصب وكذلك البلاد التي تروى من نهر الاتبرة وغيرهِ من الغدران المجاورة لهُ

وطول البلاد من الشمال الى الجنوب نحو الف ميل وعرضها من الشرق الى الغرب نحو ثمانمئة ميل وكان المصريون الاقدمون يطلقون على اهلها اسم كش او كوش وهم اقرب الى الزنوج في شكلهم ولونهم منهم الى المصريين · والمظنون ان سكان مصر الاقدمين كانوا منهم ثم جاءها اقوام من الساميين إما من الشمال الشرقي بطريق السويس واما من الجنوب الشرقي من بلاد العرب فدخلوا قارَّة افريقية من عند بوغاز باب المندب وساروا على شاطيء البحر الاحمر الى وادي الحمامات عند القصير ثم ضربوا في البلاد غرباً الى ان دخلوا القطر المصري وتغلبوا على سكانهِ وامتزجوا بهم فتنوَّع شكل سكان مصر بما دخلهم من الدم الاسيوي من بلاد العرب او من بين النهرين اذ المظنون ان اصل اولئك الغزاة من جهات بابل فاختلف سكان القطر المصري عن سكان بلاد النوبة

ولم ينقطع الاتصال بين سكان مصر وسكان بلاد النوبة فقد قيل في كتابة وجدت في قبر قديم باسيوط من عهد الدولة السادسة ان الملك اسا وهو السابع من ملوك الدولة الخامسة ارسل رجلاً من قوَّادهِ الى بلاد الاقزام ليأتيهُ بقزم منها لتسليتهِ فذهب وقطع بلاد النوبة ووصل الى بلاد قفط وعاد منها بالقزم المطلوب. بل يظهر من العظام التي وجدت في مدافن



صورة اهرام مروي المعروفة الآن باسم البقراوية



صورة ملك من ملوك النوبة جالس على عرشه والملكة زوجته واقفة وراءه وكذلك الالهة ايسس • وهذه الصورة منقوشة على الهرم التاسع من اهرام مروي

الدولة الاولى ان ملوكها كانوا يأتون بالاقزام من بلاد السودان . وجاء في سيرة اونا وزير الملك بي من ملوك الدولة السادسة ان سيده ارسلهُ الى بلاد النوبة ليجمع الجنود من اهاليها ومن الزنوج ويحارب بهم سكان جزيرة سيناء · وجاء في تاريخ الملك منتوحتب الثالث من ملوك الدولة الحادية عشرة انهُ حارب بعض القبائل القاطنة في بلاد النوبة وذلك نحو سنة ٢٥٣٠ قبل المسيح. وجرى الملك اوسرتسن الاول مجراهُ في محاربة قبائل النوبة والتنكيل بهم وهو الثاني من ملوك الدولة الثانية عشرة

وبلغ من اهتمام ملوك مصر الاقدمين ببلاد النوبة ان الملك اوسرتسن الثالث حفر في شلال اسوان ترعة طولها ٢٥٠ قدماً وعرضها ٣٤ قدماً وعمقها ٢٦ قدماً وسار فيها الى بلاد النوبة لكي يحارب اهاليها ويخضعهم لسلطتهِ . وجاء في كتابة اخرى ان الملك تحتمس الاول سار في هذه الترعة وهو صاعد لعقاب النوبة · وان الملك تحتمس الثالث طهّرها بعد ان رُدمت وامر ان يطهرها اصحاب المراكب كل سنة . وعند الشلال الثاني فوق وادي حلفا كتابات من عهد الملك سبك هتب الاول من الدولة الثالثة عشرة تدل على الحد الذي ارتفع اليهِ ماء النيل في السنوات الاربع الاولى من ملكهِ

والظاهر ان اهتمام ملوك مصر بجنوبيها وببلاد السودان صرفهم عن حفظ ثغورهم الشرقية الشمالية من جهة اسيا فنقلوا عاصمتهم الى طيبة (حيث خرائب لقصر وكرنك) وتوالى قدوم الغزاة الى مصر واخيرًا دخلها الرعاة (الهكسوس) وامتلكوها · ولا ذكر لبلاد النوبة مدة ملكهم فبقي امرها مغفلاً الى زمن اماسس من الدولة الثامنة عشرة فانهُ لما فرغ من طرد الهكسوس واخضاع القبائل النازلة في الشمال الشرقي من مصر صعد في النيل حتى بلغ البلاد التي بين وادي حلفا وشلال سمنة واوقع بالنوب وذبح منهم مذبحة كبيرة ثم عاد وقد دانت لهُ البلاد شمالاً وجنوباً وردَّ ملك الفراعنة الى ما كان عليهِ ولكنهُ لم يكد يغادر بلاد النوبة حتى قام رجل من اهلها يلقب في الكتابات المصريَّة بالنجس فشق عصا الطاعة وخرب الهياكل فعاد الملك اماسس الى بلاد النوبة وتغلب عليهِ واسرهُ . واقتفى ابنهُ امنهتب خطواتهِ فغزا بلاد النوبة وضمها الى املاكهِ واقام عليها والياً لقب امير كوش كانت اقامتهُ في مصر غالباً وجرى تحتمس الاول مجراهُ فغزاها ايضاً وقتل ملكها واتى بجثتهِ الى طيبة · ولما توفي عصى النوب ونهبوا امتعة حكامهم المصريين وحاولوا النزول الى مصر فجهز عليهم تحتمس الثاني واثخن فيهم واسر ابن ملكهم

وتوالت الغزوات في عهد تحتمس الثالث وابنهِ امنهتب الثاني وخلفهِ امنهتب الثالث

فأوصل حدود مصر الى الشلال الرابع فان بلاد النوبة عصت في السنة الرابعة من ملكهِ وكان مركز العصيان في مكان يبعد ثلاثين ميلاً عن وادي حلفا جنوباً فذهب اليهِ وادَّب العصاة واسر منهم ٧٥٠ اسيرًا ونقش اخبار حروبهِ على حجر عند شلال سمنة وبنى هناك هيكلاً عظيماً باربعة ابراج وهو اكبر هيكل مصري بني في بلاد النوبة فان طولهُ كان اكثر من ٣٠٠ قدم وصُوّر على ابراجهِ وهو يقطع رؤُوس خصومهِ · ولا تزال خرائب هذا الهيكل الى الآن محفوظة اكثر من غيرها من خرائب المباني المصرية في بلاد النوبة لبعدها عن قرى الاهالي ولو كانت قريبة منها لنقضوها واخذوا حجارتها · وفي الهيكل اعمدة كبيرة مما قطرهُ سبع اقدام ولا بدَّ من ان امنهتب اراد ارهاب اهالي النوبة ببناء هذا الهيكل الفخيم في بلادهم

وابتدأت الدولة التاسعة عشرة قبل المسيح بنحو ١٤٠٠ سنة ومنها الملك ستي الاول والملك رعمسيس الثاني وهما من اعظم ملوك مصر فبنيا الهياكل في بلاد النوبة كما بنياها في غيرها اي ان الكهنة كانوا يبنون الهياكل باسمهما · وقوي شأن هؤُلاء الكهنة في مروي واينع العمران فيها لخصبها وبعدها عن الحدود التي تكثر فيها الحروب والقلاقل وشاعت فيها الديانة المصرية بكل رسومها وجعل الكهنة ينقشون الكتابات بالقلم المصري سواء كانت بلغة مصر او بلغة النوبة فعلا شأن تلك البلاد رويدًا رويدًا وصار ملوكها او ولاتها يظاهرون ملوك مصر او الخارجين عليهم من رعاياهم ويتحزبون لفريق على فريق من مدعي سرير الملك الى ان كانت الدولة الثانية والعشرون وملوكها من ليبية او من العراق فجاروا على بيت هرهور الذين كان منهم رؤَساء الكهنة وعمَّال الفراعنة في النوبة فهاجروا الى مدينة نبتة او نباتا في اعالي بلاد النوبة وصاهروا ملوكها وصار منهم رؤَساء كهنتها وارتقت البلاد في عهدهم وبنيت فيها المباني الفخيمة والهياكل الكبيرة وجعلوا يقيمون الاهرام لدفن موتاهم اقتداء بملوك مصر وكان مقرُّ ملكهم بين الاتبرة شمالاً والخرطوم جنوباً والنيل غرباً وجبال الحبشة شرقاً وتلك البلاد وافرة الخيرات كثيرة المعادن من الذهب والنحاس والحديد وفيها حراج واسعة ومراعٍ نضرة ومروج خصيبة ونهر الاتبرة كثير السمك وموقعها الجغرافي من احسن المواقع للتجارة مع البلدان الكثيرة العاج والجلود وريش النعام فلم تكد تقوى وتستعز حتى امتدت سلطتها جنوباً الى اسوان بل الى طيبة حتى اذا قام منها ملك اسمهُ يانخي غزا مصر سنة ٧٥٠ قبل المسيح ثم عاد الى عاصمتهِ في جبل برقل او الجبل المقدس ونقش اخبار حروبهِ على صفيحة كبيرة من الحجر في هيكل بناهُ في ذلك الجبل · ويظهر منها انهُ دوَّخ بلاد مصر كلها فاستولى على طيبة والبهنسى وغيرها من مدن الصعيد الكبيرة ووصل الى منف فاقفلت ابوابها في وجههِ فخاطب

اهلها وقال لهم انهُ آتٍ ليعبد معبودهم فتاح وانهُ لا يقصد لهم شرًّا فلم يفتحوا ابواب مدينتهم لهُ ثم جاء امير صاالحجر وحرَّضهم على المقاومة وذهب يستنجد بامراء البلاد المجاورة فلما رأى الملك بيانخي ذلك هجم على المدينة من جهة النيل ودخلها عنوة وقتل واسر كثيرين من اهلها وقدَّم القرابين للاله فتاح وطهَّر المدينة بالنطرون والبخور وسلمت لهُ المدن المجاورة وجاءهُ ولاتها خاضعين وانتقل في اليوم الثاني الى مدينة هليو بولس (المطريَّة) وجاءهُ الملك اوسركون الثالث وهو هناك وقدَّم لهُ الطاعة واقتدى بهِ غيرهُ من امراء البلاد ورؤساها وحلفوا لهُ يمين الطاعة وقدموا لهُ الهدايا الثمينة · ويقال في ختام الكتابة ان الملك بيانخي جمع ملكي الوجه البحري وملكي الوجه القبلي وكل امراء الوجه البحري قبل رجوعهِ الى بلادهِ · ولا يذكر ماذا جرى في هذا الاجتماع .ثم عاد الى بلادهِ ومراكبهُ مشحونة من خيرات بلاد الشام وبلاد قفط ومن الذهب والفضة والنحاس والثياب

والظاهر من هذه الكتابة ان الوجه القبلي كان قد صار من اعمال مملكة النوبة قبل غزوة بيانخي هذه وان مملكة النوبة لم تكن اقل من مملكة مصر عظمة وارتقاء في الفنون الحربيَّة وان الملك بيانخي كان من القواد العظام الذين لا يغزون البلدان قصد النهب والسلب بل قصد تعزيز سلطتهم فيها فانهُ عفا عن كل الذين سلموا لهُ واكتفى من الملوك والامراء بان اقسموا يمين الطاعة فأقرَّهم في مناصبهم واكتفى من مسايس ملك منف بالتسليم ولم يصرَّ على حضورهِ اليهِ لكي لا يحقرهُ في عيون شعبهِ

ولم يعد الملك بيانخي الى مصر فقامت فيها الدولة الرابعة والعشرون ولا يذكر منها الاَّ ملك واحد ثم الدولة الخامسة والعشرون ابتدأت بشبا كا النوبي ابن كشتا ملك طيبة وهي دولة نوبيَّة محضة وكان الملك شبا كا معاصرًا لسرجون وسنحاريب ملكي اشور وقد وجد في المكتبة الملكية بنينوى صفيحتان مختومتان بخاتمهِ وفيهما اسمهُ والقابهُ · والظاهر انهما كانتا متصلتين بهدايا اهداها الى سرجون ملك نينوي

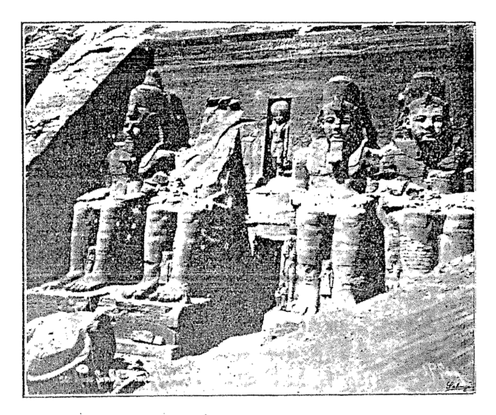
وذكر هيرودوتس الملك شباكا وسماهُ سبا كوس وقال انهُ ملك مصر خمسين سنة ولم يعاقب احدًا بالقتل بل برفع التراب في جوار المدن حتى علت عن الارض المجاورة لها وفي جملة ذلك مدينة بوبستس (تل بسطة) · ثم وصف هيكلها وقال ان الملك شبا كا حلم حلمًا أُمر فيهِ بقتل الكهنة فخاف وهرب من القطر المصري لكي لا يفعل فعلاً يلام عليهِ · وذكرهُ المؤرخ ديودورس ايضًا وقال انهُ كان مغاليًا في عبادة الالهة والحنان على الرعية وكان يبدل عقاب القتل بجعل المحكوم عليهم يرفعون الجسور ويحفرون الترع فينفع البلاد · ثم ذكر مسألة

الحلم الذي أُمر فيهِ بقتل الكهنة وقال انهُ استدعاهم اليهِ وقال لهم انهُ أُمر بما يغيظ الله وخير لهُ ان يموت او يهجر البلاد من ان يفعل فعلاً يغيظ الههُ . ثم ترك مملكتهُ وعاد الى بلاد النوبة وخلفهُ ابنهُ شبتاكا وهو الذي انجد حزقيا ملك يهوذا على سنحاريب ملك اشور فكان الفوز لسنحاريب . واستنجد ملك مصر بترهاقا ملك بلاد النوبة فجاءهُ وخلعهُ وخلفهُ على سرير الملك سنة ٦٩٢ قبل المسيح وهو الاخير من الدولة الخامسة والعشرين وانشأ هيكلاً في جبل برقل حفرهُ في الصخر وجعل طولهُ ١٢٠ قدماً واقام امامهُ برجين عرضهما ٦٣ قدماً واقام في صحنهِ ١٦ عموداً ارتفاع كلٍّ منها ١٨ قدماً ووضع في محرابهِ مذبحاً من حجر الغرانيت . ولهُ منشآت كثيرة في طيبة في كرنك ومدينة هبو وفي مدينة صان واستراحت البلاد في ايامهِ لان سنحاريب ملك اشور كان مشغولاً عنها بمحاربة مملكتي عيلام وبابل فلما تغلب عليهما انقلب راجعاً الى سورية وارسل احد قوادهِ لمحاصرة اورشليم وسار هو قاصداً مصر لكنهُ اضطرَّ ان يعود عنها لاسباب ذُكرت في التوراة وفي تاريخ يوسيفوس وتاريخ هيرودوتس على روايات مختلفة . ثم اتى في المرة الثالثة وتغلب على اورشليم واخذ الجزية من حزقيا وعاد الى بلادهِ فقام عليهِ ابناهُ وقتلاهُ وكان ذلك سنة ٦٨١ قبل المسيح وخلفهُ اسرحدُّون فقصد مصر وفتحها عنوة ودخل منف ونهبها وولى فيها الولاة وهرب ترهاقا من وجههِ

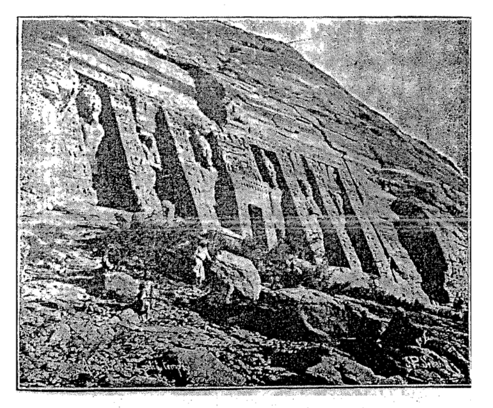
ثم قصد اسرحدُّون مصر سنة ٦٦٨ لكنهُ مات في الطريق فعاد ترهاقا الى منف . وبلغ اشور بني بال خلف اسرحدون ان ترهاقا عاد الى منف وازدرى سطوة اشور وطرد الولاة الذين اقامهم اسرحدون فيها فاخذ منهُ الغيظ كل مأخذ وقام قاصداً مصر فهرب ترهاقا من وجههِ ورد اشور بني بال الولاة الى مناصبهم وعاد الى بلادهِ بالغنائم ولم يكد يبعد عن مصر حتى تآمر بعض هؤلاء الولاة وتواطأوا مع ترهاقا لكن أُولي الامر من الاشوريين دروا بهم وبعثوا فاخبروا اشور بني بال فبعث بجنود اخمدوا الثورة وعاقبوا الثائرين

ومن الغريب انهُ وجدت كتابات مصرية يقال فيها ان ترهاقا كان يمتلك بلاد الحثيين والاشوريين والليبيين وذلك دليل قاطع على انهُ لا يمكن الاعتداد دائماً بالكتابات المصرية ما لم تؤيدها ادلة اخرى إما لان الكهنة والنقاشين كانوا ينقشون على التماثيل والحجارة نقوشاً لا يفهمون معناها او لأنهم كانوا يتملَّقون الملوك بالاكاذيب

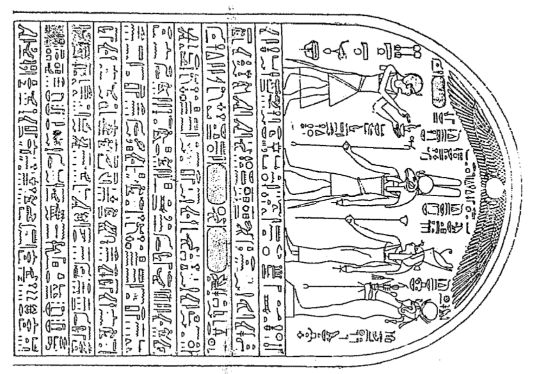
وخلف ترهاقا ملكٌ نوبي اسمهُ تنوت آمن ويسمَّى في الكتابات الاشورية تندماني وقد وجد في جبل برقل صفيحة مكتوبة من عهدهِ يقال فيها انهُ سافر الى بحز الروم (الاخضر الكبير) وملك مصر ومضى الى هيكل آمن في نبتة وقرَّب فيهِ ٣٦ ثوراً واربعين كيلةً من



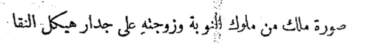
واجهة هيكل ابي سمبل الكبير



واجهة هيكل ابي سمبل الصغير



صفيحة الحرمان



صورة ملك من ملوك النوبة وزوجته على جدار هيكل النقا

البيرة ومئة ريشة من ريش النعام ثم عاد الى الفنتين (جزيرة اسوان) وطيبة ومنها الى منف وتغلّب على مقاوميهِ

ويقال في الاخبار الاشورية انهُ بينما كان تنوت آمن يحاصر منف بلغ خبرهُ اشور بني بال فاسرع الى مصر وللحال هرب تنوت آمن من وجههِ الى طيبة وتبعتهُ جنود اشور اليها فتركها وذهب الى كبكبة فنهب الاشوريون طيبة وغنموا منها غنائم وافرة واسروا كثيرين من الرجال والنساء والاولاد وعادوا الى نينوى وكان ذلك نحو سنة ٦٦١ قبل المسيح فخربت طيبة من ذلك الحين وكان سبب خرابها اعتداء هذا الملك النوبي على رجال ملك اشور

ثم قامت الدولة السادسة والعشرون واول ملك منها بسمتك وهو اول من جنّد الجنود من اليونان وحمى بهم ثغور مصر وقد ظن البعض انهُ نوبي الاصل وظنَّ غيرهم انهُ لبيي. ومن اعظم آثارهِ المسلّة الكبيرة التي نقلها الامبراطور اغسطس الى رومية. وساد السلام والامن في ايامهِ وكانت مدة ملكهِ ٥٤ سنة . وخلفهُ ابنهُ نخو الثاني وحاول فتح ترعة السويس التي كانت مفتوحة في عهد رعمسيس الثاني فلم يفلح مع انهُ استعمل ١٢٠ الف عامل وهو الذي ارسل بحّارة من الفينيقيين ليدوروا حول افريقية لانهُ كان يعتقد ان البحر يحيط بها من كل ناحية فنزلوا في البحر الاحمر وداروا حتى وصلوا الى بحر الروم. ثم غزا سورية وامتلكها لكن حاربهُ نبوخذنصَّر في كركميش وقهرهُ فاضطر ان يعود الى مصر مخذولاً ومات فيها بعد سنتين وخلفهُ ابنهُ بسمتك الثاني فملك ست سنوات فقط وخلفهُ ابريس او خفرع وفي عهدهِ هرب ارميا النبي الى مصر. وخلفهُ اماسس الثاني وارسل كمبيسس ملك فارس سفارةً الى مصر وخطب الى اماسس الثاني ابنتهُ فارسل اليهِ ابنة ابريس مدعيًا انها ابنتهُ على ما قالهُ هيرودوتس فاغتاظ كمبيسس من ذلك وغزا مصر وفتح منف عنوة ويقال انهُ وصل الى عاصمة بلاد النوبة وبنى فيها مدينة مروي وسماها كذلك باسم اختهِ او زوجتهِ وقوي شأن الفرس في مصر فلم يعد ملوك النوبة يجسرون على اجتياحها

واعظم مدن النوبة التي بنى فيها ملوكها المباني العظيمة دنقلا ونبتة ومروي (البقراوية) ونقا وبان النقا والمصورات والصفراء. وقد وجد فيها علماء الآثار كتابات كثيرة استدلوا منها على اسماء ملوكها ومنهم ملك اسمهُ اسبلتا نشأ في النصف الثاني من القرن السابع قبل المسيح فكان معاصرًا للدولة السادسة والعشرين من الدول المصرية وقد وجد خبر تتويجهِ على بلاطة في جبل برقل ويقال فيهِ ان ستة من اشراف المملكة انتخبوهُ واتي بهِ الى هيكل الجبل المقدَّس واوقف امام تمثال آمن حتى اذا وافق على انتخابهِ صار ملكًا على البلاد

ووجد في ذلك الجبل صفيحة تسمَّى صفيحة الحرم وقد محي منها اسم هذا الملك وصورة رأسهِ كما ترى في الشكل المقابل . ومما كتب فيها ان الملك ذهب الى هيكل آمن في نبتة في الجبل المقدَّس وطرد منهُ الرجال الذين يكرههم الاله رع لانهم لا يطبخون اللحم بل يأكلونهُ نيئًا وكان الملك قد طلب منهم ان يقلعوا عن هذه العادة فتآمروا عليهِ وحاولوا الايقاع بهِ فاكتشف مؤامرتهم ومضى الى الهيكل وقتلهم وامر ان لا يدخل احد من نسلهم ذلك الهيكل . والظاهر ان نسلهم ارادوا الانتقام منهُ فمحوا اسمهُ ورسمهُ من هذه الصفيحة

ومن ملوك النوبة الذين وجدت آثارهم الملك هروسانف الذي رقي الى عرش الملك سنة ٥٦٠ قبل المسيح والملك نستسنن ويقال في آثارهِ ان في ايامهِ دخل كمبستن بلاد النوبة فحاربهُ نستسنن وتغلب عليهِ واخذ سفنهُ وقتل رجالهُ وغنم امواله . والمظنون ان كمبستن هذا هو كمبيسس ملك الفرس

وقد بقي من اخبار ملوك النوبة في عهد اليونان والرومان والعرب شيء كثير تلذ مطالعتهُ ارجأْت تلخيصهُ الى فرصة اخرى . ولا يكاد المرء يصدق ان تلك الجبال القاحلة والسهول التي لا ينبت فيها الآن الأَّ شجر السنط وقليل من النخل الشائك كانت كثيرة السكان عامرة المدن تحارب القطر المصري وقد استولت عليهِ سنين كثيرة . والبلاد حيث كانت والنيل والانهر يجريان الآن كما كانا يجريان في العصور الغابرة ولا ينقصها الاَّ العقول والهمم لتستعيد سالف مجدها ولقد كانت تشقى وتسعد في تلك الازمان ولكنها لم تصل في شقائها الى ما وصلت اليهِ الآن ولا سيما في زمن المهدوية . وقد حلَّ بها قبلاً ما حلَّ بمصر واشور وبابل وفينيقية ثم زيدت ضغثًا على ابالة في عهد التعايشي فهل يقوى العهد الجديد والحكومة الجديدة على اسعادها ثانية وهل تسعد باهلها او بغيرهم مسأَلتان تصعب الاجابة عنهما الآن

الرسالة السادسة . آثار مصر في بلاد النوبة

اعني بذلك الآثار القديمة الباقية من عهد الفراعنة . ولم ارَ منها الاَّ هيكل ابي سنبل وهيكل وادي السبوع . اما هيكل ابي سمبل فاعظم الهياكل التي انشأَها رعمسيس الثاني وهو محفور في الصخر على الضفة الغربيَّة من النيل وعلى ١٧٠ ميلاً من اسوان وقد بناهُ تذكارًا لحروبهِ مع الحثيين وجعلهُ لعبادة آمن اله طيبة ورع حروخوتي اله المطرية وفتاح اله منف ثم عبد هو فيهِ . وظن البعض ان هذا الهيكل صنع قبل زمانهِ وهو انما اتمهُ ونقشهُ وسواء

صحّ ذلك او لم يصح فلا شبهة في انهُ من اعظم مباني المصريين بعد الهرم الاكبر

طول واجهتهِ نحو مئة قدم وعلوها اكثر من تسعين قدماً وقد نحت الصخر من اعلاهُ الى اسفلهِ حتى صارت منهُ هذه الواجهة . وفي اعلاها افريز فيهِ تماثيل ٢١ فرداً من القرود التي رؤُوسها تشبهُ رؤُوس الكلاب وتحتها نقوش وكتابات هيروغليفية يقال فيها " اني اعطيك الحياة والقوة " وفوق الباب تمثال الاله هرماخس وعلى يمينهِ ويسارهِ تمثال رعمسيس الثاني يقدم لهُ التقادم وعلى جانبي الباب اربعة تماثيل كبيرة تمثل رعمسيس الثاني جالساً على عرشهِ ارتفاع كل تمثال منها ٦٥ قدماً واسم رعمسيس على اكتافها وصدورها . وعلى ساق واحد منها كتابة يونانية يقال انها من عهد بسمتك الاول كتبها جنودهُ المسترزقة من اليونان وهم صاعدون الى بلاد النوبة . وداخل الهيكل دار كبيرة فيها ثمانية اعمدة ارتفاع كلٍّ منها ١٧ قدماً ويوصل منها الى دار ثانية اصغر منها فيها اربعة اعمدة ومنها الى دار مستطيلة لا اعمدة فيها ويتفرع من الدار الاولى ثماني غرف عن جانبيها ومن الثالثة ثلاث غرف كما ترى في الرسم وفي الغرفة الوسطى من هذه الغرف الثلاث مذبح واربع تماثيل جالسة لهرماخس ورعمسيس الثاني وامن رع وفتاح . وجدران الهيكل مغطاة بالنقوش من اخبار الملك رعمسيس وهناك صفيحة فيها وصف مسهب للواقعة الشهيرة التي تغلب فيها على ملك الحثيين وهاك ترجمتهُ

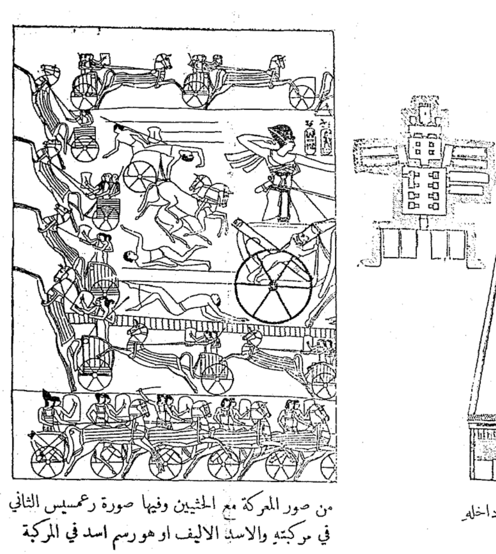
" في التاسع من الشهر الثالث من فصل شمت (شهر ابيب) في مدة ملك جلالة الثور الجبّار محبوب ماآت ملك الجنوب والشمال شمس الشمس رعمسو محبوب آمن معطي الحياة الى الابد . لقد كان في بلاد طخاه في غزوتهِ الثانية واقام الحرّاس في معسكرهِ الى الجنوب من مدينة قادش[1] . نهض مثل الاله رع وارتدى بحلتهِ المجيدة مثل ابيهِ منثو وظلّ السيد يسير امامهُ حتى وصل الى مدينة شبطون وحينئذٍ جاء اثنان من الشاسو وقالا لهُ " ان اخوتنا الذين هم رؤَساء القبائل المحالفة للحثيين الملاعين ارسلونا الى جلالتك لنخبرك اننا نريد ان نكون من خدّامك واننا نحالفين للحثيين الملاعين . وقد نزل الحثيون في بلاد خربو (حلب) شمالي طونب لانهم خافوا منك " . هذ ما قالا لهُ هذان الرجلان لكنهما كانا كاذبين لان الحثيين الملاعيين بعثوا بهما ليتجسسا المكان الذي نزل فيهِ جلالتهُ قبلما يوقف جنودهُ في مواقف القتال . واجتمع الحثيون الملاعين هم ورؤَساء الامم المجاورة وجنودهم وفرسانهم الذين جموهم وعددهم كبير جداً وكنوا بهم وراء مدينة قادش الحقيرة ولم يكن جلالتهُ يعلم ذلك

(١) قادش عاصمة الحثيين في سورية كانت مبنية على بحيرة حمص حيث يخرج منها نهر العاصي (انظر وصفها في المقتطف مجلد ١٣ صفحة ٣٦٦)

فسار جلالتهُ الى الشمال الغربي من مدينة قادش حيث نصب جنودهُ خيامهم وجلس على عرشهِ الذهبي واذا بكشَّافة من كشافتهِ جاءوهُ بجاسوسين من جواسيس الحثيين الملاعين فلما اوقفوهما في حضرتهِ سألهما قائلاً من انتما فاجابا نحن من اتباع رئيس الحثيين الملاعين الذي بعث باعوانهِ ليأتوا و يعرفوا اين انت نازل . فقال لهما جلالتهُ اين رئيس الحثيين الملاعين فقد سمعت انهُ في بلاد حلب فقالا ان رئيس الحثيين الملاعين ومعهُ جيش لا يحصى من بلاد الحثيين و بلاد النهرين وفينيقية (قطي) جنود وفرسان عددهم كالرمل على شاطئ البحر وقوف الآن وراء مدينة قادش اللعينة على اهبة الهجوم . حينئذٍ استدعى جلالتهُ قوَّاد جيشهِ لكي يطلعهم على ما اخبرهُ بهِ الجاسوسان وقال لهم ليخبروهُ كيف قال رؤساء الجند والرقباء والكشافة ان رئيس الحثيين الملاعين هرب الى بلاد حلب حالما سمع بقدومهِ لانهُ يجب عليهم ان يتحققوا الاخبار قبلما يخبرونهُ بها . ثم قال انظروا فاني قد علمت من هذين الجاسوسين ان رئيس الحثيين وصل بخيلهِ ورجلهِ وعددُ جنودهِ كالرمل الذي على شاطئ البحر وهو الآن وراء مدينة قادش اللعينة ومع ذلك لم يعلم بهذا رؤساء الجند ولا رؤساء الكشافة

ولما قال ذلك اعترف القوَّاد الذين كانوا في حضرتهِ ان الموكلين بذلك اخطأُوا خطأ قطيعاً لانهم لم يخبروا جلالتهُ عن مكان رئيس الحثيين اللعين ولما قالوا ذلك امرهم جلالتهُ ان يستدعوا الجنود الذين كانوا الى جنوبي مدينة شبتون ويأتوا بهم الى حيث كان هو باسرع ما يمكن . و بينما كان جلالتهُ في مجلس شوراهُ هذا هجم رئيس الحثيين اللعين بمشاتهِ وفرسانهِ وحلفائهِ الذين تألبوا حولهُ من كل الامم وعبروا الترعة التي الى جنوبي قادش وسدَّدوا خطواتهم الى وسط جنود جلالتهِ وهم لا يدرون فخاف جنودهُ وركضوا الى حيث كان هو واقفاً وزحم جنود الحثيين الملاعين الحرس الخاص بجلالتهِ فلما رآهم سخط عليهم كابيهِ منثو رب طيبة وتمنطق فوق عدة حربهِ واختطف رمحهُ ووقف كالاله بار وصعد الى مركبتهِ واقتحم الاعداء وهجم على قلبهم مثل الاله سوتخ الجبار وحصدهم حصداً واثخن فيهم وطرح اشلاءهم في نهر عرنوث (العاصي) وقال " انا لرجالي ولكن فرساني تركوني ولم يجسر احد منهم ان يتقدم لمعونتي فاخص الاله رع بمحبتي وابي تمو بشكر قلبي . هذا الذي فعلتهُ على مشهد من جنودي وفرساني وصفتهُ بالحق ولم ابالغ "

ويؤخذ من القصيدة البليغة التي نظمها شاعر اسمهُ بنتاورت ونقشت في كثير من الهيا كل المصريَّة ان جنود الحثيين غطوا الجبال والاودية كالجراد واضطروا كل سكان



واجهة هيكل ابي سمبل الكبير والافريز الذي فوقها ورسم الهيكل من داخله

من صور المعركة مع الحثيين وفيها صورة رعمسيس الثاني
في مركبته والاسد الاليف او هو رسم اسد في المركبة

البلاد ان يحاربوا معهم وكان الجيش المصري مقسوماً الى اربعة فيالق فيلق آمن وكان سائراً مع الملك وفيلق رع وكان في المنخفض غربي مدينة شبتون وفيلق فتاح وكان في الوسط وفيلق سوتخ وكان ماسكاً الطرق فهجم الحثيون اولاً على فيلق رع وكانوا نخبة الجند ومعهم مركبات كثيرة في كل مركبة منها ثلاثة جنود فهجم الملك عليهم واوغل بين مركباتهم ثم التفت فاذا هو وحده وحوله الفان وخمس مئة مركبة من مركبات الاعداء وقد سدّوا عليهِ طريق الرجوع فنادى الاله آمن قائلاً " لماذا لا تأتي لمعونتي الم اقم لك هياكل ملأتها بالاسرى واعطيتك من كل ما املك وجعلت البلاد كلها تاتي بالجزية الى عشرة آلاف ثور عدا الخشب الطيب من كل نوع . ولم امنع يدي عن عمل كل ما تريده بنيت لك ابراجاً ومباني أخرى واقمت لك اعمدة تثبت الى الابد ونصب لك المسلاّت من ابو (جزيرة اسوان) وارسلت السفن لتأتي بخيرات البلدان القاصية . هانذا في وسط الجموع الذين تألبوا عليَّ وانا وحيد وليس معي احد وقد تركني جنودي كلهم ورجال مركباتي ناديتهم فلم يصغوا اليَّ ولكن انت خير لي من ملايين من الجنود ومئات الوف من الخيل وعشرات الوف من الاخوة والابناء . جيوش البشر كلا شيء وآمن خيرٌ منهم كلهم "

فمدَّ الاله آمن يدهُ الى الملك وقال انا معك انا ابوك رع قوتي معك وانا افضل من مئات الالوف . ثم هجم الملك على اعدائهِ فهربت الخمسة الآلاف من خيول الاعداء امام جواديهِ ولم يستطع احد ان يقف امامهُ بل سقطوا كلهم ولم يعودوا يستطيعون القيام

ولما رأى ملك الحثيين والملوك الذين معهُ ما حلَّ بهم اركنوا الى الفرار ولكن سائق مركبة الملك رعمسيس خاف من ابتعاد مولاهُ عن جيشهِ لاسيما وان العدو احدق بهِ من كل ناحية فتوسَّل اليهِ ان يقف فضحك الملك وقال ان لا بدَّ من قتل كل اعدائهِ وامرهُ ان يتشجع ويهجم على الاعداء هجمة سادسة ثم وبخ رجالهُ ركّاب المركبات على جبنهم وقال لهم ان صداقتهم لا تغني وقت الشدَّة وعدَّد لهم النعم التي منحها لمصر ثم شدَّد عليهم النكير لجبانتهم . ولم يصبهُ مكروه في هذه المعركة ولما انقضت التفت الى فرسيهِ اللذين كانا يجران مركبتهُ وقد انقذاهُ لما احاط بهِ الاعداء وامر انهُ بعد عودتهِ الى قصرهِ يقدَّم لهما العلف امامهُ دائماً ولم ينسَ سائق مركبتهِ لانهُ هو الرجل الوحيد الذي بقي معهُ من كل رجالهِ فجعلهُ رئيس الفرسان . وكان في مركبتهِ اسد اليف كان يهجم على الاعداء كلما لاحت لهُ فرصة

ولما رأى ملك الحثيين ما حلَّ بهِ ارسل الى رعمسيس يطلب منهُ الصلح لئلاَّ تقفر البلاد فاجاب طلبهُ وعزم على الرجوع الى مصر . ولا يذكر ان رعمسيس غنم غنيمة او اخذ

جزية لكنهُ امر ان يكتب خبر ظفرهِ على جدران الهياكل في ابيدوس وطيبة وان يشفع الخبر بالصور الممثلة لتلك الواقعة فترى فيها رعمسيس في مركبتهِ والمركبات امامهُ ووراءهُ والارض جبليَّة والمركبات تصعد عليها والجنود مجندلة على الصعيد او غائصة في الماء والخيل شاردة تدوس الجرحى بحوافرها وفي بعضها الجنود المشاة سائرون بتروسهم ومزاريقهم او واقفون في اعالي الابراج وقد انعقدت سحابة العجاج فوق الرؤُوس وفي بعضها الاسرى موثقين بايادبهم وراء ظهورهم او فوق رؤُوسهم والجلادون يقطعون ايادي القتلى والكتَّاب يعدُّونها ويحصونها في سجلاتهم الى غير ذلك مما يطول شرحهُ ولا يغني وصفهُ عن مشاهدتهِ

لكن المحققين في هذه الايام يرجحون ان الحرب كانت سجالاً بين المصريين والحثيين سكان شمالي افريقية فرضي رعمسيس من الغنيمة بالاياب وعاد ولم يمتلك بلاداً ولا اخذ اسيرًا وعُقدت شروط الصلح بينهُ وبين ملك الحثيين وفيها الحقوق متبادلة متساوية بين الطرفين ولم تزل المعاهدة التي كتباها محفوظة الى الآن وهي تدلُّ دلالة واضحة على ان الحثيين كسبوا بهذه الحروب اكثر مما خسروا وانهُ كان للمصالح التجارية المقام الاول حتى في ذلك العهد . لكن الكهنة يتجرون بالتملُّق والعامَّة انعام مسوقة والخاصة تقطع المناصب السنتهم ولولا اكتشاف الحقائق بالبحث والتحري لكانت تواريخ الملوك والعظماء اشد ما كتبهُ البشر تضليلاً

والى الشمال من هذا الهيكل هيكل الالهة هثور الهة ابو شك (ابو سمبل) وهو محفور في الصخر ايضاً وارتفاع واجهتهِ ٩٢ قدماً وعرضها ٤٠ وفيها ستة تماثيل كبيرة ارتفاع كلٍ منها ثلاث وثلاثون قدماً اربعة منها لرعمسيس الثاني واثنان لزوجتهِ نفرتاري وطول الهيكل من بابهِ الى محرابهِ ٩٠ قدماً وطول الهيكل الاول ١٨٥ قدماً

وهيكل وادي السبوع على الضفة الغربية ايضاً بناهُ رعمسيس الثاني بعضهُ مبني بالحجر الرملي وبعضهُ منقور في الصخر وقد بناهُ للمعبود رع ملك الالهة وفيهِ صورتهُ واقفاً يعبد رع ورع يقول لهُ اعطيك كل قوة واعطيك العالم بسلام . والظاهر ان النوبيين جعلوا هذا الهيكل كنيسة لما تنصروا ولا شأن لهُ بالنسبة الى غيرهِ من الهياكل المصرية . ولم تقف السفينة بنا لارى غير ذلك من الآثار لكن ما رأيتهُ يكفي للدلالة على قوة السلف وضعف الخلف فانهم يعجزون عن ان يأتوا باقل شيء مما اتى بهِ اسلافهم كأن سمًّا دخل البلاد فسمها وسمَّ سكانها منذ مئات من السنين . وقد نقلت خبر حرب الحثيين عن تاريخ مصر للدكتور بدج عن النسخة المطبوعة سنة ١٩٠٢

اللغة السامرية

يدّعي السامريون كما يدّعي غيرهم من اهل اللغات الساميَّة ان لغتهم هي اللغة التي فتق الله بها لسان آدم وانها بقيت متسلسلة من آدم الى نوح ومن نوح الى ابرهيم الى موسى وعنهُ تلقاها بنو اسرائيل وهكذا ظلت متناقلة من الآباء الى الابناء الى يومنا هذا لم يطرأ عليها خلل ولا اعتراها زيادة ولا نقصان وانها خارجة عن لغات الذين بنوا برج بابل فلم يعرض لها ما عرض لسائر الالسنة من البلبلة . على ان هذا الاعتقاد لا يُعتدّ بهِ لدى علماء اللغات وعندهم ان هذه اللغة كاخواتها من اللغات الساميَّة التي لا يزال اصلها مجهولاً وهي كسائر اللغات الساميَّة من حيث الكتابة من اليمين الى الشمال وتراكيب الافعال ومن الغريب انها اقرب الى العربية منها الى غيرها من سائر اللغات عدا اليهوديَّة كما ترى في الكلمات التالية

العربي	السامري	اليهودي	العربي	السامري	اليهودي
اب	اب	اب	ملاك	مالاك	مالاك
ام	إم	ام	ملك	مَلك	ملخ
اخ	اح	اخ	صديق	صديق	صديق
بنات	بَنوت	بِنوت	يمين	يمين	يَمين
نفس	نَفش	نِفش	شمال	شمال	شمال
يتيم	يتوم	يتوم	موروثه	موراشه	مورْشه
جار	جر (جيم مصريَّة)	جر	سبْط	شبط	شبط
اسم	شِم	شِم	متن	مَتن	متن
قريب	قروب	قاروب	مجن (ترس)	مجن(جيم مصريَّة)	مجن
تلميذ	تلميد	تلميد	جدى	جدى(جيم مصريَّة)	جدى
حج	حج (جيم مصريَّة)	حج	حلم	حِلوم	حلوم
مقام	مَقوم	مقوم	رمح	رَمح	رَمح
كلب	كلب	كلب	دم	دم	دم
حي	حي	حي	نذر	نزر	نزر
بركه	برَكه	برَخه	نحاس	نحشت	نِحشت

العربي	السامري	اليهودي	العربي	السامري	اليهودي
قِدَم	قِدِم	قدِم	بتول	بتول	بتول
طل	طل	طل	عبد	عبد	عبد
نهر	نهر	نهر	أمه	أمه	امه
سن	شِن	شن	عظم	عصم	عصم
عين	عين	عين	سلام	شلوم	شلوم
يد	يد	يد	روح	روح	روح
قبر	قِبَر	قِبَر	ذهب	زهب	زهب
عاقر	عاقر	عاقر	يم (بحر)	يم	يم
سماوات	شميم	شمايم	مطر	مِطر	مطر
ارض	أرص	ارت	رجل	رجل (جيم مصرية)	رجل
أذن	إذن	إذن	عجل	عجل	عجل
شمس	شمش	شمش	ملحمه	ملحمه	ملحمه
يوم	يوم	يوم	قش	قش	قش
ليل	ليل	ليل	ميت	ميت	ميت
راس	راش	راش	نور	نور	نور
اله	اله	إله	كبش	كبش	كبش
ريح	ريح	ريح	كوكب	كوكب	كوكب
بقر	بقر	بقر	سمن	شمن	شمن

وغير ذلك من الاسماء التي تتجاوز الميئات وقد تناهز الالف مما يدل على وحدة الاصل معنًى وتركيباً وما نراهُ من الاختلافات البسيطة الطارئة على اللفظ انما هو من قبيل التغيرات التي تحدث بتوالي الايام عملاً بناموس الارتقاء

وهاك امثلة من الافعال

كتب	كتبْ	كتبْ	أحب	أئب	اهاب
فعل	فعلْ	فعل	قم	قم	قوم
رجم	رجمْ	رجم	سأل	شأل	شأل

العربي	السامري	اليهودي
اكل	آكل	آخل
	الحروف	
لا	لا	لا
ام	ام	ام
الى	أل	إل
على	عل	عل
من	من	من

العربي	السامري	اليهودي
	الضمائر	
انا	آني	آني
انت	اتّا	اتا
هو	هوا	هوا
انتم	إتم	إتم
نحن	انحنوا	انحنوا
هم	هم	هم

بما تقدم من ذكر مثله يرى بداهة ان اللغتين السامرية واليهودية متفقتان لفظاً ومعنى وهما توافقان اللغة العربية في بعض تراكيبها ومصطلحاتها وافعالها الّا ان اللغة السامرية تختلف عن كليهما بالكتابة اختلافاً ظاهراً ويتعذَّر التوفيق بينهما وذلك فيما نظن دليل على انها اللغة العبرانية التي كانت مستعملة في ايام موسى وظلت متداولة بين السامريين على حين ان اليهود اضطروا الى ابدال لغتهم باللغة الاشورية واليهود انفسهم يعترفون ان اللغة السامرية هي اللغة العبرانية القديمة ويؤيد ذلك ما نراهُ في متاحف اوربا من النقود القديمة التي كانت مستعملة في ايام سليمان وعليها كتابة سامرية هذا نصها (مثقال اسرائيل) والعهد بين موسى وسليمان قريب جدًّا لا يتجاوز بضع مئاتٍ من السنين . اما القائلون ان لغة السامريين مزيج من لغاتٍ مختلفة فلا يحتفل بقولهم لان من تصفح توراة الطائفتين وقابل بين النسختين آية آية وكلمة كلمة وجدهما على اسلوب واحد واللفظ يكاد يكون واحداً لا تغيير في اصليهما كما ترى في هذه الآية

سامرية   براشيت برا الويم إت اشاميم وإتِ هارص

يهودية   براشيت برا الوهيم إت هشاميم وإتِ هارث

عربية   في البدء خلق الله السموات والارض

وبرأ في السامرية واليهودية مثل برأ العربية بمعنى خلق ومنهُ الباري

ولو تتبعتَ اللفظ وتركيب حروف الآيات الى آخر الاسفار الخمسة لرأيتهما على هذا المنهاج ولا تجد في اللفظ الّا فروقاً طفيفة . وتختلف الحروف الابجدية السامرية عن سائر اللغات السامية لكنها تشبه الخط الفينيقي كل الشبه . وهذا ما حمل البعض على القول ان

الفينيقيين هم اول من اخترع حروف الكتابة · والحروف السامرية الصحيحة ٢٢ حرفاً تكتب من اليمين الى الشمال

وفي لغة السامريين كما في اكثر اللغات السامية تشتق كلمات كثيرة من مصادر بسيطة بزيادة حرف او تضعيف حرف اوحرفين او اكثر او تغيير حركة وعندهم المذكر والمؤنث واما الكلمات المؤنثة فتنتهي غالباً بتاء كالعربية ولا مثنى عندهم وعلامة الجمع (يم) وتحذف الميم عند الاضافة كما تحذف النون في العربية والحروف عندهم كحروف الجر تلحق غالباً الزيادات الضميرية والاسم الموصول (اشر) وحرف الشرط (الك) واذا ارادوا المبالغة يستغنون عن صيغتها بكلمة تدل على ذلك كالاكثر محبة والاشد بغضاً وعندهم صيغة للمجهول لفظاً لا وضعاً بكسر اول الفعل واما الازمنة المركبة فيستغنون عن تركيبها باستخدام افعال المساعدة ككان وما اشبه ويستعملون الهاء للاستفهام والتعجب والتعريف ويجرون على قاعدة اكلوني البراغيث · وصيغ الضمائر في اللغة السامرية للفرد المنفصل (آني) بالياء بعد النون ونحنو بالواو والمتصل (درشتي) طلبت و (درشنو) طلبنا · وتختلف ضمائر الجمعين المذكر والمؤنث عن العربية وصورها في السامرية اتم واتن للخطاب وهم وهن في الغيبة فيقولون في المتصل منها (درشتم) و (درشتن) و (يدرشو) الى غير ذلك · اما علوم السامريين فمنحصرة في خدمة الكنيسة وعندهم ترجمات كثيرة وكتب لاهوتية من تأليفهم مطابقة في عباراتها لعبارات التوراة أُلفت في القرن العاشر للميلاد فما بعده ويتخلل تأليفهم عبارات ارامية كثيرة · والشعر السامري القديم يشبه المزامير اليهودية والشعر الموزون قليل عندهم وليس فيهم من يفهم اصول التقفية وقد اصبحت معارف السامريين منحطة فلا يكادون يميزون بين الافعال والاسماء الاَّ ما تلقوهُ عن الحفظة · وكثير منهم يحفظ جملة الاسفار الموسوية عن ظهر قلبهِ ويشق على المتنور منهم التعبير عن ضميره باللغة السامرية · وقد عني كثيرون من العلماء الاوربيين بضبط بعض قواعدها مما تلقوهُ عن كتب خطية سامرية وهي لا تزال تشهد بانها كانت في الازمنة الغابرة من اللغات الحيَّة · ومن الغريب انني مع كل اجتهادي في التنقيب عن الكتب السامرية في متاحف اوربا بين الآثار الشرقية لم اعثر على كتاب مطبوع فيها الاَّ نسخة من التوراة مطبوعة بلغات مختلفة في مدينة ليبسك وهي التوراة المعروفة باسم انجيلوبيت

چلبي سامري

برتلو الكيماوي

هو مرسلين بير ايجن برتلو . ولد بباريس في ٢٥ اكتوبر سنة ١٨٢٧ وابوهُ طبيب اسمهُ جاك مرتين برتلو فنشأ في بيت علم وفضل ونبغ من حداثتهِ فنال جائزة الشرف في الفلسفة وامتاز على مناظريهِ وهم نخبة الطلاَّب من الفرق العليا في مدارس باريس وجُعل مساعدًا للمسيو بالار مكتشف عنصر البروم واستاذ الكيمياء في مدرسة فرنسا (كولاج ده فرنس) ثم استاذًا للكيمياء الآلية في مدرسة الصيدلة ثم استاذًا للكيمياء الآلية في مدرسة فرنسا واوجدت هذه الاستاذية لكي تعطى لهُ وكان ذلك سنة ١٨٦٥. ولما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ جُعل رئيسًا للجنة العلميَّة التي أُنيط بها استنباط الوسائل للدفاع عن الوطن مدة حصار باريس . وسنة ١٨٧٣ انتخب عضوًا في اكادمية العلوم ثم جعل سكرتيرًا دائمًا لها. وسنة ١٨٧٦ عين مفتشًا عامًّا للتعليم العالي في فرنسا ثم عضوًا دائمًا في مجلس الشيوخ ثم وزيرًا للمعارف ثم وزيرًا للخارجيَّة ثم عضوًا في الاكادمية الفرنسويَّة

ونشر اول مقالة علميَّة سنة ١٨٥٠ في تسييل الغازات ومن ذلك الحين الى سنة ١٨٨٣ نشر نحو الف مقالة وعشرين كتابًا . وظهرت تباشير مقدرتهِ العلمية في رسالة نشرها سنة ١٨٥٤ موضوعها غليسرين الادهان وبيَّن فيها ان نسبة الغليسرين الى الالكحول كنسبة الحامض الفصفوريك الى الحامض النيتريك . ثم اثبت هذه المقدرة بنقضهِ معتقدًا كان راسخًا في اذهان الكيماويين وهو ان المركبات الآلية لا تتركب الاَّ بواسطة القوة الحيويَّة فاثبت انهُ يمكن تركيبها كيماويًّا كما تركَّب المركبات الجمادية ولم يكن الكيماويون قد ركَّبوا قبل عهدهِ الاَّ اليوريا والحامض الخليك اما هو فركَّب الحامض الخليك والالكحول والاسيتيلين والبنزين ونقض المذهب الحيوي في تركيب المركبات الآلية

ثم اهتمَّ بحل مسألة اخرى لا تقلُّ عن المسألة الاولى شأنًا وهي اكتشاف السبب الميكانيكي للافعال الكيماوية وقد طرق هذا الموضوع من حيث تغيرات الحرارة التي تسببها الافعال الكيماوية ومات ولم يصل الى النتيجة المطلوبة مع انهُ اشتغل في هذا الموضوع سنين كثيرة اكتشف في خلالها مكتشفات جمَّة ووضع اساسًا متينًا لكل المباحث المتعلقة بهِ .

واهتمَّ بالكيمياء النباتية منذ سنة ١٨٧٦ واكتشف فعل الميكروبات في تغذية النبات بنيتروجين الهواء وجمع مكتشفاتهِ ومباحثهُ في الكيمياء النباتية في اربعة مجلدات كبيرة طبعت سنة ١٨٩٩ (La Chimie végétale et agricole.) ومن اشهر مؤلفاتهِ كتبهُ في

تاريخ الكيمياء فانهُ استقصى اصل الكيمياء القديمة الى المصريين الذين كانوا يسبكون المعادن ويمزجونها بعضها ببعض والى اليونانيين الذين كانوا يعتقدون باستحالة العناصر في مدرسة الاسكندرية · ومن اشهر هذه الكتب تاريخ الكيمياء في العصور الوسطى حين كانت في يد السريان والعرب . وقد اثبت ان الكتاب اللاتيني المزعوم انهُ ترجمة كتاب عربي لجابر بن حيان الطوسي انما هو من الكتب الموضوعة ونشر فصولاً حقيقيَّة لجابر وكتاباً لاتينيًّا مترجماً من كتب جابر وقد فقد اصلهُ العربي· وكان فيلسوفاً ومعلماً مرشداً فكتب في كثير من المواضيع الفلسفية "كالعلم والفلسفة" "والعلم والآداب" "والعلم والتعليم" "والعلم والضمير الحر"

والفرنسويون من اعرف الناس باقدار الرجال وقد عرفوا قدر برتلو حيًّا وميتاً فلما مضت خمسون سنة منذ نشر اول تأليف علمي من تآليفهِ احتفلوا بهِ احتفالاً عظيماً في مدرسة السوربون بباريس في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٠١ برئاسة المسيو لوبه الذي كان رئيساً للجمهورية حينئذٍ وكان معهُ وزراؤهُ وسفراء الدول ونوَّاب الجمعيات العلميَّة الفرنسوية والاجنبيَّة

ونادي السوربون يسع ثلاثة آلاف نفس فغصَّ بجلَّة القوم الذين حضروا اكراماً لشيخ الكيماويين الفرنسويين في هذا العصر وكان فيهِ تماثيل اشهر رجال فرنسا الذين اعلوا مقامها العلمي بين ممالك الارض مثل روبرت ده سوربون منشيء مدرسة السوربون ورشليه وباسكال وده كارت ولافوازيه ورولين · وكأنَّ تماثيل اولئك العظام حضرت بدلاً منهم لتحييَّ من استحق بعلمهِ وعملهِ ان يُقرن اسمهُ باسمائهم

وفتح الاحتفال بخطبة تلاها وزير المعارف عدَّد فيها مآثر برتلو العلميَّة في ترقية شأن التعليم في فرنسا لانهُ لم يقتصر على المباحث العلميَّة بل التفت الى حال التعليم في المدارس الابتدائيَّة والعالية · وتلاهُ المسيو دربو سكرتير اكادمية العلوم وعدَّد الفوائد التي استفادها العلم بنوع عام من الاستاذ برتلو · ثم قام المسيو فوكه رئيس اكادميَّة الطب وكرَّر ما قالهُ المسيو دربو واعرب عن سرور الاكادمية ببلوغ واحد من اعضائها هذا المقام السامي في نظر العالم المتمدن وقال ان رجلاً مثلهُ شرفٌ لكل جماعة ينضمُّ اليها · وتلاهُ المسيو مواسان استاذ الكيمياء في السوربون وعدد مكتشفات برتلو في علم الكيمياء وقال انهُ بحث منذ سنة ١٨٥٥ في السكَّر بحثاً ادَّى الى تركيب الحامض الفورميك والالكحول وفتح باباً جديداً للكيماويين الذين كانوا يحسبون التحليل الكيماوي غاية ما يتوخونهُ فصاروا يرون التركيب الكيماوي من مطالب الكيمياء كالتحليل · وكان وهلر وليبغ قد نفيا وجود القوة الحيوية فخالفهما وفنَّد كثيراً من مزاعمهما

وساعدهُ في ذلك صديقاهُ باستور وكلود برنار وكلٌّ منهم خلّد اسمهُ في سجل العلم

وقام بعدهُ المسيو غاستون باري وتكلم عن علاقة الاستاذ برتلو بمدرسة فرنسا وقال انهُ دُعي سنة ١٨٥١ ليكون مساعدًا فيها وذهب بعد ذلك الى مدرسة الصيدلة ثم اعيد الى مدرسة فرنسا وبقي فيها الى الآن رافضًا مناصب كثيرة اكثر ريعًا لهُ منها

وكان في المحفل نوَّاب من المانيا وانكلترا والنمسا وايطاليا واسبانيا فقام الاستاذ فشر الالماني استاذ الكيمياء في مدرسة برلين الجامعة وتكلم بالنيابة عن اكادمية بروسيا العلميَّة والجمعيَّة الكيماوية الالمانية وتلاهُ الاستاذ غلادستون الانكليزي وقدم الاستاذ رمسي الاميركي فتلا خطبة مرسلة من الجمعية الملكية وتبعهُ الاستاذ رينلدز الانكليزي فتلا خطبة من الجمعية الكيماوية وبعد خطب أُخرى من هذا القبيل قام المسيو برتلو وفاه بالخطبة التالية قال

ان ما اراهُ من اكرامكم لي قد حرَّك عواطفي واوقعني في حيرة شديدة وانا عالم انكم لم تبدوا هذا الاكرام لمجرَّد حبكم لي بل قد راعيتم فيهِ سني واشتغالي الطويل بالعلم وبعض الخدم التي اتيح لي ان اخدم بها بلادي وابناء نوعي . وهذا الحب الذي اظهرتموهُ لي قد زاد النور والبهاء في سراج حياتي الذي يكاد ينطفئ في ظلمة الابدية . وما اكرام الناس للشيوخ سوى دليل على ارتباط ابناء الزمان الحاضر بالذين سبقوهم وبالذين يأتون بعدهم وما نحن سوى نتيجة لازمة عمَّا كانهُ اسلافنا فلهم نحن مديونون بكل ما لنا وان استطاع احد منا ان يزيد شيئًا في ابواب العلم او الصناعة او الآداب فما ذلك الَّا لان كثيرين قد اشتغلوا قبلهُ وكدُّوا وجدُّوا . فاشتغال اسلافنا بالعلم هو الذي تكرمونهُ الآن . وعلى كلٍّ منا ان ينسب جانبًا كبيرًا من نجاحهِ الى العلماء المعاصرين لهُ المشتغلين مثلهُ . وما من احد يستطيع ان يدَّعي انهُ اكتشف وحدهُ شيئًا من المكتشفات الكبيرة التي تمت في القرن الماضي وما علمنا سوى مجموع ما وضعهُ كثيرون من المشتغلين بهِ مدة العصور الحاضرة والغابرة وقد خلفت الامم بعضها بعضًا وهي ساعية سعيًا واحدًا في كشف الحقائق واستخدامها في ما ينفع نوع الانسان ويرقيهِ من درجة الى اعلى منها

كان الناس قبلاً يحسبون العلماء رجالاً عائشين على نفقة غيرهم يبحثون في العلم ليسلُّوا بهِ العظماء واهل السيادة . لكن هذا الحكم الجائر الذي يبخس رجال العلم حقهم ويحط من قدر اهتمامهم بالبحث عن الحقائق العلمية قد زال الآن لمَّا ثبت ان حقائق العلم يمكن استخدامها في ترقية الصنائع والاعمال وان العلم يبدل القواعد القديمة المبنية على الحدس والتخمين بقواعد جديدة نافعة مبنية على الملاحظة والامتحان . ومن يجسر الآن ان يصف العلم بانهُ بحث عقيم لا فائدة منهُ وهو يرى فوائدهُ الجمة في زيادة ثروة الامة . واذا قصرنا النظر على ما يمكن ان

يعد في المنزلة العليا من فوائد العلم كفانا ان نقابل الحالة السيئة التي كان فيها عامة الناس على ما يعلم من التاريخ بحالتهم في العصر الحاضر وما يرجى من زيادة الاصلاح في المستقبل مما لا يرتاب فيهِ احد . العلم يصلح العالم . ولقد رأى رجال السياسة فوائدهُ المحسوسة فجعلوا ينشئون المعامل العلميَّة وينفقون عليها لانهم وجدوا منها ربحًا للبلاد يفوق نفقاتها اضعافًا كثيرة . وللعلم حقوق اعظم من هذه فانهُ يدَّعي ودعواهُ حق انهُ هدًى للناس في الامور المادية والعقلية والادبية . وتحت رايتهِ يسير العمران سيرًا ذميلاً

ولقد غيَّر العلم وجه المسكونة منذ نصف قرن الى الآن فان الناس الذين من عمري رأوا شيئًا مخالفًا للطبيعة ان لم يكن مضادًّا لها وهو اسمى منها بما لا يقدَّر رأوهُ يتكامل امامهم ورأوا قوَّة الفرد تتضاعف بهِ مئة ضعف بتحويل النور والكهربائيَّة والمغنطيسيَّة . ولم يقف الارتقاء عند هذا الحد بل ان زيادة التعمُّق في معرفة الكون وبناء الانسان جسدًا وعقلاً دعت الى اعتبار نوع الانسان بصورة جديدة مبنيَّة على الالتحام التام بين كل طوائفهِ . وكما تكثر روابط الناس ويزيد التحامها بتقدُّم العلم وبتوحيد القوانين التي يستخرجها العلم مما يجري في الكون ويفرضها على الناس كلهم فرضًا واجبًا من غير عنف كذلك تكثر هذه الفوائد وتزيد اهميتها حتى لا يبقى مناص منها وستكون اساس الآداب والسياسات ولذلك صار للعلماء شأن كبير بين رجال السياسة ايضًا

لكن واجباتنا لغيرنا تزيد بزيادة اهميتنا وهذا يجب ان نتذكرهُ دائمًا ولا ننساهُ . واحترام الناس للعلماء لا يقصد بهِ تبجيلهم وارضاؤُهم كلاَّ بل يقصد بهِ الاعتراف بانهم خدموا ابناء نوعهم غير منتظرين اجرًا ولا شكورًا — خدموا ابناء نوعهم باصلاح احوالهم وتقليل متاعبهم فاستفاد منهم الجميع الاغنياء والفقراء . ولهذا السبب اتفقت الحكومة والامة منذ تسع سنوات على اكرام باستور في هذا النادي . وهذا عين ما كتب على الوسام الذي يريد رئيس الجمهورية ان يقدمهُ لي . ولا اعلم هل قمتُ بما كتبهُ النقَّاش عليهِ ولكنني اعلم انني بذلت جهدي دائمًا لاقوم بهِ . انتهى

قال مكاتب التيمس وكان لهذه الخطبة وقع عظيم في نفوس السامعين ولا سيما القسم الاخير منها فصفقوا للخطيب طويلاً ودنا رئيس الجمهورية منهُ وعانقهُ ثم قلدهُ الوسام المشار اليهِ آنفًا

وكان برتلو قصير القامة نحيف الجسم فيهِ احديداب طلبة العلم ضعيف الصوت في الخطابة بهِ انفة وشمم لا يهتم الاَّ بعملهِ واهل بيتهِ . ابلغ ما قرأناهُ في تأبينهِ ما كتبتهُ عنهُ جريدة التيمس في نشرتها الادبية في التاسع والعشرين من شهر مارس الماضي حيث قالت ان الاثني عشر شهرًا الماضية اخنت على علم الكيمياء في فرنسا ولم ترحم فاغتالت كوري ومواسان وبرتلو

فان مكتشف الراديوم وصانع الماس لا يقلاَّن عن برتلو عظمة ولا هما اقل منهُ جرأةً على اقناع الغير ولا اقل منهُ صبرًا على البحث والتنقيب ولكنهما كانا دونهُ في امر آخر فان برتلو كان عالمًا وكان اديبًا فهو من رجال العهد القديم المتضلعين من فنون الادب

ولعلهُ كان اعظم كيماوبي عصرهِ وكان ايضًا فيلسوفًا و وَرِخًا ووزيرًا ومنشئًا . كان الانشاء فطرة فيهِ فقد ولد منشئًا مثل باستور وديكلو وكثيرًا ما كانت فصولهُ الانشائية تتشرَّب من معارفهِ العلمية فتزيد رونقًا وتدقيقًا . ولم تضعف مقالاتهُ العلمية من بلاغتهِ الانشائية . وكان ايضًا كيماويًّا بالطبع وبالتطبُّع واشتغل بالكيمياء الى آخر يوم من حياتهِ مع انهُ كان يستطيع عند الحاجة ان يشكل وزارة او يؤلف كتابًا في تاريخ الكيمياء لا يستطيع تأليفهُ الاَّ خبير بالمؤلفات اليونانية والعربية وهو بذلك مثال لنا نحن الذين نكتفي بفرع واحد ولا نتقنهُ فانهُ عرف علومًا كثيرة وعرفها كلها جيدًا كأنهُ كان يذكر قول احد علماء اليهود ان الاناء المملوء من الجوز يسع ايضًا مقدارًا كبيرًا من الزيت

وقد احتفلت فرنسا بوفاتهِ كما احتفلت بوفاة اعظم ابنائها فكتور هيغو ورنان وباستور فاكرمت بهم كل متفضل على امتهِ . وذلك خليق بالشعب الروماني فان الرومانيين كانوا يقولون ان الجدير باكرام امتهِ هو الذي يوسع نطاق وطنهِ ولقد اشار رنان الى ذلك في وليمة أُولمت لبرتلو سنة ١٨٨٥ فقال انهُ وسع نطاق العقل . ومَن اجدر بهذا الوصف من الرجل الذي اكتشف سر تركيب المواد الآلية واختار بعض العناصر وركب منها ما كان يظن ان تركيبهُ خاص بالحياة فنقض الحاجز الذي ظُن انهُ حصين بين المواد الآلية وغير الآلية وان المواد الآلية لا تتركب الاَّ بواسطة ما سموهُ بالقوة الحيوية فلما صنع الاسيتلين والبنزين والالكحول نقض هذا الحاجز ولو لم يزلهُ تمامًا كما قال المسيو بوانكاره الذي هو اعظم علماء فرنسا الآن بعد موت برتلو . نعم ان الكيماويين لا يوجدون الحياة الآن ولكنهم صاروا يركبون المواد التي قيل اولاً انها لا تتركب الاَّ بواسطة الحياة

وكان برتلو فيلسوفًا يعتقد وحدة الكون ويسترشد بهذا الاعتقاد في تيه المعارف . ولا يفلح في مطالب كثيرة الاَّ من كان عقلهُ حازمًا رزينًا ينتبه لكل شيء ويستفيد من كل شيء يكب على موضوعهِ ولا ينصرف عنهُ . وهذا الحزم والاصرار من صفات كل النوابغ فانهم يكبون على مطالبهم وينصرفون بكليتهم اليها ولا يكلون ولقد كان باستور كذلك وهكذا كان ندهُ برتلو طالت حياتهُ فافعم بحر المعارف بعلمهِ وعُرف فضلهُ في المانيا اكثر مما عرف في فرنسا واشتركت الامم كلها بفوائد مكتشفاتهِ العلمية . ولقد كان مدار اشغالهِ على امرين الاول وحدة

الطبيعة اي ان حوادث الكون كلها خاضعة لنواميس واحدة فالمركبات الكيماويَّة التي تتولد في اتربة الارض وجذور النباتات وامعاء الحيوانات متماثلة ولا بدَّ للانسان من ان يصنعها يوماً ما . هذا هو المبدأ الذي بنى برتلو ابحاثهُ عليهِ . والمبدأ الثاني تعاون البشر وتكافلهم

ولقد قال غير مرة ان كل اكتشاف علمي انما هو نتيجة اعمال لا تحصى تعاون الناس عليها وهم لا يدرون . والمخترع او المكتشف لا يقف وحدهُ بل يعاونهُ كثيرون من اسلافهِ ومعاصريهِ وهو يستمد من روحهم ومن انفاسهم وما الحضارة الاَّ نتيجة هذا التعاون وهو كالزمان قدماً وكالبسيطة اتساعاً

لما كان وزيراً للمعارف جعل همهُ الاكبر تعليم جمهور الامة لكن بقيت مسرَّتهُ الكبرى في معملهِ الكيماوي فكان يسرُّ في المدرسة ويزيد سرورهُ وهو في بلفي حيث بني لهُ معمل كيماوي وغرس لهُ بستان نباتي وكان يقيم هناك كل سنة من ابريل الى نوفمبر يبحث في الكيمياء النباتية بين الانجم والاشجار

كان من عادة رنان ان يقول اذا اختار الانسان دقيقة من حياتهِ ليحلم بها وهو في قبرهِ فالمرجح عندي ان برتلو يختار عصر يوم من ايام الصيف وهو في اعالي مدون (حيث بيتهُ ومعملهُ) فانهُ كان هناك سعيداً بعملهِ سعيداً بحبهِ للطبيعة سعيداً بعشرة زوجتهِ الجميلة واولادهِ الاذكياء . وقال بعض واصفيهِ يصف بيتهُ هذا وما فيهِ . " بيت صغير في الحراج وحديقة مملوءة بالاولاد ومقصورة حافلة بالسيدات ومدام برتلو بجمالها الرائع لا ينساها كل من رآها . حسن فتان وعقل رزين . جمال في العقل والنفس كأنها من عالم سموي العالم الذي وصفهُ الشاعر بوي . كأنها من عرائس الشعراء بعينين نجلاوين وقدّ اهيف وصوت رخيم . رقة بأنفة واحتشام ولطف تمتاز بهِ العقائل وابنها البكر الى جانبها كأنهُ من غلمان الجنة "

ولقد كانت هذه المرأة الفاضلة ملاك زوجها وكان رجال العلم يكرمونها كما يكرمونهُ ويعجبون بها كما يعجبون بهِ . وهو على انفتهِ وما يظهر فيهِ من الجفاء كان من ارق الناس قلباً كما اثبتت وفاتهُ . ففي يوم الاحد في السابع عشر من شهر مارس الماضي قال لابنهِ ان امك لا ترجي وان ماتت لم اعش بعدها . وذهب عصر ذلك اليوم الى بلفي ورتب امور بيتهِ فيها وحضر اجتماع اكادمية العلوم يوم الاثنين حسب العادة لانهُ سكرتيرها الدائم واعتذر عن البقاء فيها بمرض زوجتهِ ولما وصل الى البيت وجدها في حالة النزع حتى اذا لفظت النفس الاخير قال " انقطع نفسي " ودخل غرفة مجاورة لغرفتها وانطرح على مقعد واسلم الروح فدفن الاثنان تحت قبة البنثيون مدفن عظماء فرنسا واحتفل بجنازتهما احتفالاً عظيماً على نفقة الحكومة

آلة الطيران وحروب المستقبل

تنوَّعت آلات الطيران حتى لم تعد كلمة بلون كافية للتعبير عنها وتناول الاتقان شكلها ومادتها والقوة المحركة لها . فاختيرت لها الاشكال التي تسهل معها الحركة وتقلُّ فيها مقاومة الرياح . والمادة التي هي اخف من غيرها وامتن . والقوة التي لا تفوقها قوة بالنسبة الى خفة آلتها ووقودها . فصار ركوب الهواء اقرب منالاً مما كان في السنين الماضية واذا استمرَّ الاتقان على هذا المنوال فلا يبعد ان يصير ركوب الهواء ميسورًا لعامة الناس بعد عشر سنوات او حواليها لاسيما وان المنشطين للاعمال اغروا المخترعين بالجوائز الطائلة ان هم بلغوا الغاية المطلوبة فان جريدة الدايلي ميل الانكليزية وعدت ان تعطي عشرة آلاف جنيه لمن يستنبط آلة يطير بها من مدينة لندن الى مدينة منشستر مسافة ١٦١ ميلاً ونصف ميل . ووعد سنتوس ديمون ان يعطي من ينال جائزة الدايلي ميل نشانًا من ذهب ووعدتهُ شركة ادمس بالفي جنيه اذا كانت آلتهُ مصنوعة في البلاد الانكليزية وشركة الاوتوكار بخمس مئة جنيه

وجرت جريدة الماتن الفرنسوية هذا المجرى فاتفقت هي واثنان من فضلاء الفرنسويين ووعدوا انهم يعطون عشرة آلاف جنيه لمن يطير من باريس الى لندن في اربع وعشرين ساعة او اقل بشرط ان تكون آلتهُ مصنوعة في فرنسا ويجري هذا السباق في ١٤ يوليو سنة ١٩٠٨ وان لم يفز فيهِ احد حينئذٍ يكرَّر في الاحد الثاني من اغسطس وسبتمبر واكتوبر

ووعدت شركة حمَّامات البحر في اوستند بثمانية آلاف جنيه لمن يطير من باريس الى اوستند في اربع وعشرين ساعة في الحادي عشر من اغسطس او الثامن عشر منهُ .

ووعد نادي اميركا الهوائي بعشرين الف جنيه جائزة لآلة الطيران التي تفوق غيرها . وتبلغ قيمة الجوائز التي يراد اعطاؤُها الآن للذين يفوقون غيرهم في اتقان آلات الطيران ثلاثة وستين الفًا من الجنيهات عدا الجوائز غير المالية . وهذا كلهُ مما يغري المكتشفين ويشدّد عزائمهم . أضف الى ذلك اهتمام الحكومات المختلفة باتقان آلات الطيران لاستعمالها في الحرب والظاهر انها تكتم ما يصل اليهِ رجالها من هذا القبيل حتى تستأثر بفائدتهِ

ويظهر مما يرد الآن في المجلات العلمية والادبية ان دول اوربا مهتمة بامر الآلات الطيارة اهتمامًا عظيمًا فقد قال المستر ستيد في مجلة المجلات الانكليزية ان وزير الخارجية في المانيا قال لهُ بالامس ان آلة الطيران اهم ما ينتظر في المستقبل وان حكومتهُ لا تغفل عنها

طرفة عين . وقال لهُ رئيس وزراء النمسا والمجر ان آلة الطيران قد تغير كل شيء البوارج والقلاع والتخوم وقد تقضي على كل انواع الاسلحة فاذا شئتَ ان يعم السلام فاقنع مجالس النواب في كل الممالك لتتفق على اتقانها . وقال لهُ وزير التجارة في بلاد المجر ان مسألة الطيران قد حلَّت حالما اكتشفت طريقة لتوليد قوة عظيمة من آلة خفيفة وقد بقيت امور طفيفة لا بدَّ من اتقانها ولكن مستقبل آلة الطيران مكفول . وقال لهُ ملك ايطاليا على م أُنفق مليوني جنيه على بناء بارجة كبيرة وآلة من آلات الطيران تتلفها قبلما تغادر مرفأها

قال ويقول المهندسون الآن انهُ لا تمضي خمس سنوات حتى يمتلئ الهواء بالطيارات كما امتلأَت الشوارع بالموطرات[1] ويهتم بعض الدول الآن بسن قانون من مقتضاهُ منع آلات الطيران من ان تطير فوق بلادها

ثم اورد المستر ستيد خلاصة رواية تخيلية وضعها رجل الماني اسمهُ رودلف مارتن وسماها "من برلين الى بغداد" تخيَّل فيها ان آلات الطيران أُتقنت تمام الاتقان ففاقت بساط سليمان وصارت السفن الحربيَّة تصنع منها فيركبها الجنود ويطيرون بها في الهواء ويخربون المدن والقلاع بما يرمونهُ عليها من الديناميت . والرواية موضوعة كما تقدَّم وحوادثها ليست مما يسهل وقوعهُ والمرجح انها ليست مما يمكن ادراكهُ ولو بعد الاعوام الطوال لمخالفتها قواعد العلم ونواميس المادة ومع ذلك لا تخلو من الفكاهة فآثرنا تلخيصها عن الجزء الاخير من مجلة المجلات الانكليزية بما يأتي

مستقبل المانيا في الهواء

في غرة يناير من سنة ١٩١٠ اجتمع قواد الجيش الالماني وامراء البحر في برلين ليهنئوا الامبراطور برأس السنة فخاطبهم ذاكرًا اهميَّة آلات الطيران للعالم بنوع عام ولالمانيا بنوع خاص وقال ان اكتشاف هذه الآلات التي تسهل ادارتها في الهواء لا يقلُّ شأنًا عن اكتشاف البارود ومن الآن فصاعدًا يضاف الى كل فيلق من الجيش الالماني فرقة من ركاب آلات الطيران . وطلب المستشار الامبراطوري خمس مئة الف جنيه للاسراع في عمل الآلات اللازمة لانهُ لابدَّ من ثلاثين الف طيارة سريعة الطيران يركبها ثلاثون الفًا من الجنود . وقد أُمر معمل كروب بعمل الف طيارة حالاً بما يلزم لها من المدافع وهي والاربع مئة من السفن الهوائية المصنوعة على اسلوب زبلن تستطيع ان تنقل اربع مئة الف جندي من

(١) الموطرات جمع موطر المحرّك او المحرَّك وقد اطلقهُ الافرنج على الاوتوموبيل وبنوا منهُ فعلاً معناهُ ركب الاوتوموبيل او سار في الاوتوموبيل فما احرانا باستعمال كلمة موطر اسماً وموطر فعلاً

المانيا الى انكلترا في ثلاث ساعات ولذلك فمستقبل المانيا في الهواء . ثم مضت عشرون سنة وكلها مؤيدة لما قاله الامبراطور

اول حرب هوائية

بقيت الثورة ضاربة اطنابها في بلاد الروس حتى سنة ١٩١٣ . واتخذت اليابان ذلك ذريعة لاعادة الحرب فدارت الدائرة على روسيا واستأمن جيشها كله في صحراء غوبي في شهر مارس سنة ١٩١٣ . وكان اعتماد اليابان على آلات الطيران من مدرعات ونقالات فقام الروس على العائلة القيصرية وخلعوها ونادوا بالجمهورية . وهرب القيصر واقرباؤه الى المانيا بسفينتين هوائيتين المانيتين

وانقسمت الجمهورية الروسية الى جمهوريات صغيرة تحارب بعضها بعضاً حتى كادت تفنى لو لم يقم فيها رجل مثل نبوليون اسمهُ ميخائيل سوفاروف فان هذا الرجل اقنع اكبر رئيس من رؤساء الجمهوريات الروسية بعمل سفن هوائية ثم ركبها وطار بها الى بخارى وتغلب عليها وغنم اموال اميرها وصنع بها كثيراً من السفن الحربية الهوائية واسترد بها بلاد القوقاس وكان يقيم في سفينة لم يكن اسرع منها بين كل السفن الهوائية التي صنعها الناس الى ذلك الحين وانشأ نادياً للسفن الهوائية في باكو وجُعل رئيساً له . وبلغت سرعة السفن الهوائية سنة ١٩١٥ نحو ٢٥٠ ميلاً في الساعة فصار الانسان يستطيع ان يطير بها من خوقند الى بكين في عشر ساعات . وعزم سوفاروف على غزوة الصين واجتياحها لكنهُ اخر ذلك بسبب نشوب الحرب بين روسيا والمانيا سنة ١٩١٦ لان المانيا كانت قد اكثرت من بناء السفن الهوائية واتقانها حتى صارت الاولى في الدنيا من هذا القبيل وتلتها فرنسا واوجست روسيا منها شرًّا فاكثرت هي ايضاً من بناء السفن الهوائية وساعدها على ذلك رخصها لان السفينة التي تحمل ستمئة رجل لا تزيد نفقات انشائها على ١٥ الف جنيه . وقُطعت العلاقات السياسية بين روسيا والمانيا في ١٩ ابريل سنة ١٩١٦ وكان سوفاروف في ورسو فأمر في الحال خمسة من البوارج الهوائية ان تصعد الى اعالي الجو وتستطلع اخبار العدو فرأت بوارج الالمان الهوائية قد انتشرت فوق بلاد الروس وجعلت تمطر الجنود الروسية بالقنابل والطربيد ورصاص الروس لا يصل اليها لانها كانت تطير على ستة آلاف الى سبعة آلاف قدم فوق سطح الارض وكان فيها سفن نقل كبيرة في كل سفينة منها ١٥٠ بلوناً صغيراً فاذا اصابت رصاصة واحداً منها نخرقتهُ لم يؤثر ذلك في طيران السفينة

فرأى سوفاروف ان لا قبل لهُ بمقاومة الالمان الا اذا خرَّب عاصمتهم حاسباً ان الدفاع

في الحرب الهوائية ضرب من الحماقة ولا بدَّ فيها من الهجوم لمن اراد الظفر فأمر باطفاء كل المصابيح من مدينة ورسو وانتظر حتى خيم الظلام وقام ببوارجهِ الهوائية وسار اولاً بطريق بطرس برج تضليلاً للالمان ثم عطف على برلين ودرت بهِ السفن الالمانية فاسرعت وراءهُ ودارت رحى الحرب في الهواء فاصيب خمس من بوارج الالمان فانفجرت وسقطت بمن فيها ثم اصيب مئة وخمس وعشرون من السفن الهوائية فسقط بعضها وهرب البعض الآخر واجتمع خمسون سفينة من سفن الروس فوق برلين وجعلت تمطرها بالقنابل والطرابيد فخربت الثكنات العسكرية وقتلت من فيها وتركت محطات سكة الحديد انقاضاً وكادت المدينة تمحى من صفحة الوجود لو لم تأتِ بوارج المانية كثيرة لانقاذها وحاولت سفن الروس ان تهرب منها بالارتفاع في طبقات الجو فاصابت قنبلة سفينة سوفاروف فشقتها وكان لا بسَّا ما يقيهِ السقوط السريع ورمت اليهِ سفينة اخرى من سفنهِ حبلاً فتمسك بهِ وحاول الصعود فاصيبت هذه السفينة بقنبلة فاتت سفينة ثالثة وانقذتهُ وارتفعت بهِ في اعالي الجو الى ستة عشر الف قدم فوق سطح الارض ولا تصل سفن الالمان الهوائية الى ذلك الارتفاع ثم طارت بهِ تلك السفينة الى جبال بامير في قلب اسيا ولم يتبلج وجه الصباح حتى كانت بوارج الروس كلها في جبال بامير آمنة طوارق الحدثان

ومرَّت السنون وسوفاروف يدبر التدابير لغزوة المانيا وهو مقيم برجالهِ فوق جبال حملايا وتزوَّج بابنة امير بخارى وكانت تركب الهواء معهُ ولم ينقطع الاتصال مع روسيا بالتلغراف الاثيري

وعقد الالمان شروط الصلح في ورسو وضموا اليهم بلاد النمسا فاتسعت سلطنتهم ودخلت بطرس برج وورسو وكيف في حمايتها وانضمت اليها تركيا وبلاد اليونان والبلقان وانشئ لهذه السلطنة الواسعة مجلس نواب عام تمتد سلطتهُ من همبرج الى البصرة على خليج فارس ولم تمر ١٤ سنة حتى ارتقت المانيا اكثر مما ارتقت في ١٤٠٠ سنة قبلها وتدفقت الخيرات من العراق وبلغ سكانهُ اثني عشر مليونًا وبلغ سكان السلطنة الالمانية كلها سنة ١٩٣٠ نحو ٢١٥ مليونًا وعدد جيشها العامل ١٣ مليونًا من الجيوش البرية والبحرية و٤ ملايين من الجيوش الهوائية

وبقيت روسيا على استقلالها وعظمتها مع ما خسرتهُ من البلاد وتوّج سوفاروف قيصرًا عليها سنة ١٩١٧ واستولت اليابان على سيبيريا كلها شرقي نهر جنسي

سفن السفاز وشفاء السل

صارت السفن الهوائية تنقل الناس بدل السفن البحرية. والسفينة التي تحمل الف راكب

لا تزيد نفقات بنائها على ٢٥٠ الف جنيه اي ربع ما يلزم لبناء السفينة البحرية الكبيرة وصارت نفقة السفر من اوربا الى اميركا او من اميركا الى اوربا عشرة جنيهات لا غير في الدرجة الاولى

وكانت السفن تسير احيانًا في اعالي الجو فيشفى الركاب المصابون بداء السل اذ ثبت ان الاقامة ١٢ ساعة الى عشرين ساعة حيث الارتفاع ١٩٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ قدم تشفي من هذا الداء الوبيل . وجعلت السفن الهوائية تسير من برلين الى البصرة في احدى عشرة ساعة والمسافة بينهما اكثر من الفي ميل واجرة السفر خمسة جنيهات في الدرجة الاولى واما سكك الحديد فلا تقطع هذه المسافة الاَّ في احدى وعشرين ساعة واجرة السفر فيها عشرون جنيهًا في الدرجة الاولى

بل صار الناس يذهبون الى القطب الشمالي لاجل النزهة ويولمون الولائم فيهِ وعزموا على انشاء فندق هناك يأكلون فيهِ ويشربون وذهب بعضهم الى القطب الجنوبي لاجل النزهة . وكانت اخبار الدنيا تصل الى ركاب السفن الهوائية بالتلغراف الاثيري وصار اكثر ركابها من الاميركيين ولم يندر ان ترى سفينة في الهواء ذاهبة من مصر الى بلاد القرم او من نيويورك الى سان فرنسسكو وليس فيها الاَّ فتاة اميركية

احوال مختلفة

وسنة ١٩٣٠ بلغ سكان برلين ستة ملايين من النفوس وكثرت سفن الهواء في جوها واناطت الحكومة حفظ النظام فيهِ بفرقة من البوليس الهوائي وصار كثيرون من السكان يبيتون في جبال سويسرا ويعودون في النهار الى برلين لقضاء اشغالهم فيها وانشأوا جنائن في الهواء غرسوها في سفن كبيرة طيَّارة . وجعلت بيوت السفن الطيارة على سطوح المساكن فصار المرء يصعد الى سطح بيتهِ ويركب سفينتهُ ويطير بها الى حيث يشاء

ورأت هولندا وانفرس انهُ لا يحسن بهما البقاء منفصلتين عن الاتحاد الالماني ورأت المانيا ان لا بدَّ لها من سويسرا لانها تطيّر سفنها من جبالها الى المغرب الاقصى فنظر رجالها مليًّا في الامر واجمعوا على ان يعرضوا بقية بلجكا على فرنسا ويعطوا الكنجو لانكلترا ويأخذوا بدل ذلك هولندا ومستعمراتها والقسم الفلمنكي من بلجكا ويضموا اليهم سويسرا وتكون ادارة المغرب الاقصى وبلاد ايران في يدهم . وقابل وزير المانيا السفير الانكليزي وعرض عليهِ ذلك فرأى السفير غبنًا كبيرًا على دولتهِ ولاسيما باعطاء سويسرا وايران لالمانيا فقال الوزير ان كانت المانيا لا تستطيع ان تفعل ما تريد برضى الانكليز فهي تفعلهُ بغير رضاهم وكانت

بوارج الالمان الهوائيَّة قد صارت اكثر واقوى من بوارج الانكليز والفرنسويين معاً وسفنهم الهوائيَّة تستطيع ان تشحن مليوني جندي الى انكلترا في ثلاث ساعات وكان عندهم اربعة ملايين آلة حربيَّة طيارة تستطيع ان تطير فوق البوارج الانكليزيَّة وتمطرها بالقنابل والطرابيد وقنبلة واحدة من قنابلها تغرق بارجة برنس اوف ويلس وهي اعظم البوارج الانكليزيَّة واذا نشبت الحرب بين المانيا وانكلترا فسوفاروف قيصر روسيا يرسل على الهند مليونين من جنود الروس من جبال بامير بالسفن الطيارة فيصلونها في ثمان وعشرين ساعة ويمتلكونها وتضطر المانيا ان تترك الهند لروسيا وتكتفي بمصر وجنوبي افريقية وشرقيها . وتأخذ اليابان كل ما تستطيع اخذهُ من بلاد الصين . وطلب الوزير جواباً من السفير في الساعة الاولى بعد الظهر

فطار السفير من برلين الساعة العاشرة صباحاً وقبل الساعة الثانية عشرة ورد جواب انكلترا بالقبول لكن سوفاروف لم يقنعهُ ذلك فقام من جبال بامير بثمانمئة الف من الآلات الطيارة واربع مئة الف من السفن الهوائيَّة وحلَّ في بلاد الهند وامتلكها ونودي بهِ امبراطوراً في كلكتا ولجأَت انكلترا الى المانيا واليابان فاعتذرت اليابان بانشغالها بالصين وطلبت المانيا ان تعطى ما تمتلكهُ انكلترا من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة فتساعدها على استرداد الهند

والرواية تخيليَّة كما تقدَّم ولا يحتمل ان يتم شيءٌ منها الاَّ استعمال الآلات الطيارة لركوب الهواء والقاء المواد المتفرقعة منها على الجنود والسفن ولعلها تكون من اقوى الاسباب على ابطال الحرب

المفاضلة بين الشعراء

تابع ما قبلهُ

وللبحتري في المستعين بالله من لاميَّة

(٢٦) ما الغيثُ يهمي صوبُ اسبالهِ والليث يحمي خيس أَشبالهِ[١]
كالمستعين المستعان الذي تمَّت لنا النعمى بافضالهِ

ولهُ من قصيدة يمدح بها أَبا صالح

(٢٧) هو الغيثُ ينهلُّ في صوبهِ دراكاً ويعذب في وِرْدهِ

ولهُ فيهِ ايضاً من قصيدةٍ داليَّة

(٢٨) فالله يكلأُ عبدَالله انَّ لهُ مكارماً منْ يحوِّلْ بعضها يَسُدِ
بحرٌ متى نستمح امواج جمتهِ يفض وغيثٌ متى ما نستجد يجُدِ[٢]

(١) غاية الاسد . والاسبال : الهطل (٢) الجمة : معظم الماء

ومنها إسلمْ ابا صالح للمكرمات فقد أحييتها وهي من موت على حدرِ
عمّت صنائعك الراجين وابتعثت آمالُ ما لم يرُم سعياً ولم يرِدِ

ولهُ فيهِ من قصيدةٍ أُخرى بائية

(٢٩) إن استرفدتهُ فخليجُ بحرٍ او استنهضتهُ فسليلُ غابِ

ولهُ فيهِ ايضاً من بائيةٍ

(٣٠) ولدى بني يزدان حيث لقيتهم كرمٌ كغادية السحاب الصيّبِ(١)
ومنها وتبسماتك للعطاء كأنها زهرُ الربيع خلالَ روضٍ معشبِ

ولهُ من ميميةٍ يمدح بها الهيثم الغنويّ

(٣١) وازارَ ارضَ الروم اطرافَ الظبي حتى اقام ملوكهم في المقسمِ
وثنى الى علو الجزيرة خيلهُ متمطرات في العجاج الأقتمِ(٢)

الى ان يقول

ونفى الأراقم أُفعوانُ مضلةٍ يفري بنابيهِ قميصَ الأرقمِ(٣)
قاري سباعٍ قد لغبنَ حوائمٍ في نقعهِ ومضيفُ طيرٍ حوّمِ(٤)
يدلي يداً بيضاء يختلط الندى فيها اذا لقي الفوارسَ بالدمِ

ولهُ فيهِ ايضاً

(٣٢) اقول لثجّاج الغمام وقد سرى بمحتفل الشؤبوب صابَ فعمّما(٥)
أقلّ واكثر لست تدرك غايةً تبين بها حتى تضارع هيثما
وللموت ويلٌ منهُ لا تلقَ حدّهُ فموتك ان تلقاهُ في النقع معْلما(٦)
ومنها لكل قبيلٍ شعبةٌ من نوالهِ ويختصهُ منهم قبيلٌ اذا انتمى
تقصّاهمُ بالجود حتى لأقسموا بانّ نداهُ كان والبحر توأما(٧)

ولهُ من قصيدة لاميّة يمدح بها المعتز بالله

(٣٣) ما زال يكلأُ ديننا ويحوطهُ بالمشرفيّة والوشيج الذابلِ(٨)

---

(١) الصيب : المنصبّ (٢) متمطرات : متسابقات (٣) الأراقم : احياء من بني تغلب · وجمع الأرقم لاخبث الحيات · ويفري : يقطع ويشق (٤) اي مضيف · ولغبن : تعبنَ
(٥) الثجاج : السيال الشديد الانصباب · والشؤبوب : الدفعة من المطر · وصاب : انصبّ (٦) معلما اي موسوماً بسياء الحرب (٧) تقصاهم : اي عمهم (٨) المشرفية السيوف والوشيج الرماح

يتخرّق المعروف يوم عطائهِ عن جود منخرق اليدين حلاحلِ (١)
متهللٌ طلقٌ اذا وعد الغني بالبشر اتبع بشرهُ بالنائلِ
كالمزن ان سطعت لوامع برقهِ اجلت لنا عن ديمةٍ او وابلِ

ولهُ فيهِ ايضاً من عينيَّةٍ

(٣٤) كيف اخشى فوت الغنى وولي الله م من هاشمٍ وليُّ اصطناعي
مستهلُّ اليدين كالغيث ذي الشؤ بوب يهمي والسيل ذي الدُفّاع (٢)

ولهُ فيهِ ايضاً يمدحهُ ويستشفعهُ الى ابنهِ عبدالله من قصيدة داليَّةٍ

(٣٥) نضا السيف حتى انقاد من كان آبيا فلما استقرَّ الحقُّ شيمت مضاربه
وما زال مصبوباً على من يطيعهُ بفضلٍ ومنصوراً على من يحاربه

ولهُ فيهِ ايضاً من نونيَّةٍ

(٣٦) تناول جودهُ أقصى الاماني وصدَّق فعلهُ حسنَ الظنونِ
ولم تخلق يدُ المعتز الاَّ لحوزِ الحمد بالخطر الثمينِ
تروعُ المال ضحكتهُ اذا ما غدا متهلّلاً طلقَ الجبينِ
ومنها وقد صدمت عظيمَ الروم عظمى من الاحداث قاطعةُ الوتينِ (٣)

ولهُ من ميميَّةٍ يمدح بها أبا مسلم بن حميد

(٣٧) اسودٌ يفرُّ الموتُ منهم مهابةً اذا فرَّ منهُ كلُّ أروعَ صارمِ
مصارعهم حول العلى وقبورهم مجامعُ اوصال النسور الحوائمِ
أبا مسلم ان كان عِرضك سالماً فما لك من عافيك ليس بسالمِ
اذا ارتدَّ يوم الحرب ليلاً رددتهُ نهاراً بلألاء السيوف الصوارمِ
وان غلت الارواحُ ارخصت سومها هنالك في سوق من الموتِ قائمِ
بضربٍ يشيد المجد في كل موقفٍ ويسرع في هدم الطلى والجماجمِ (٤)
فتصرف وجه المجد ابيض مشرقاً بوجهٍ من الهيجاء اسودَ قاتمِ

ولهُ ايضاً من دالية يمدح بها ابا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي

(٣٨) بنو حميدٍ اناسٌ في سيوفهمِ عزُّ الذليل وحتفُ الفارس النجدِ (٥)
لهم عزائمُ رأيٍ لو رميتُ بها عند الهياج نجوم الليل لم تقدِ

(١) يتخرَّق: يتوسع والمخرق اليدين: كناية عن الكريم. والحلاحلُ: السيد في عشيرتهِ (٢) الدُفاع: طحمة الموج والسيل (٣) عرق لاصق بالقلب (٤) الطلى الأعناق (٥) الشجاع

تحيّر الجودُ والاحسانُ بينهمُ فما يجوزهمُ جودٌ الى احدِ
ومنها تبسمٌ وقطوبٌ في ندًى ووغًى كالبرق والرعد وسط العارض البردِ
اعطيتَ حتى تركتَ الريح حاسرةً وجُدْتَ حتى كأنَّ الغيث لم يجُدِ

ولهُ فيهِ ايضاً من داليَّةٍ اخرى

(٣٩) تظلُّ العطايا والمنايا قرائناً لعافٍ يرجّيهِ وغاوٍ يعانُدهُ
اذا اقترفت اسيافهُ وسط جحفلٍ تفرّق عنهُ هامهُ وسواعده
ومنها لهُ بدعٌ في الجود تدعو عذولهُ عليهِ الى استحسانها فيساعده
اذا ذهبت اموالهُ نحو اوجهٍ من البذل جاءت من وجوهٍ محامده

ولهُ في مدح عبدالله بن دينار بن عبدالله من قصيدة

(٤٠) فلم املَ الّا من مودتهِ يدي ولا قلتُ الّا من مواهبهِ حسبي
لقيتُ بهِ حدَّ الزمان ففلَّهُ وقد يثلم العضب المهنَّد في العضب (١)
ومنها مدبّرُ حربٍ لم يبت عند غرّةٍ ولم يسرِ في احشائهِ وهلُ الرعبِ (٢)
ويقلقهُ شوقٌ الى القرن معجلٌ لدى الطعن حتى يستريح الى الضربِ

ولهُ في المعتزّ بالله من ميميَّةٍ

(٤١) ابوهُ البحرُ ساح لنا نداهُ ففاض وامهُ ماء الغمامِ
سقتْ هلكى الحجيج واطعمتهم واحيتْ ساكني البلدِ الحرامِ

ولهُ فيهِ ايضاً من رائيَّةٍ

(٤٢) لقد زلزلَ الشامَ العريضةَ ذكرُهُ واقلق سكان الجزيرةِ بالذُعرِ

الى ان يقول

ومُليتَ عبدَالله ابن سماحهُ هو القطرُ في إسبالهِ واخو القطرِ (٣)
ثم قال وجاور ربعي بالشآم رباعهُ وليس الغنى الّا مجاورة البحرِ

ولهُ في محمد بن يحيى الواثقي

(٤٣) تأبى يدُ الغيثِ ان تساجلها ويقصر الدهرُ ان يطاولها

ولهُ من داليَّة يمدح بها ابن الفيَّاض

(٤٤) بنو الحسين كنوزُ الدهر من كرمٍ لا يورث الدهرُ اقصاهنَّ إنفادا

---

(١) فلّهُ : كسر حدّهُ (٢) الغرة : الغفلة والوهل : الضعف . والقرن . الكفوء والمقاوم
(٣) مليتهُ اي عشت معهُ وتمتعت بهِ طويلاً . والاسبال . هطل المطر

مكرَّرون على الايام في شيمٍ لقيِّلوها ابواتٍ واجدادا (١)
إن ساوق المحل اقوامٌ لبخلهم جاؤوا مع المطر الربعيّ اجوادا (٢)

ولهُ من قصيدة يمدح بها ابن الفرات

(٤٥) يعجزُ الشعرُ عن مكافاة خرقٍ أريحيّ اذا اجتديناهُ أجدى
كلما قلت اعتق المدح رقّي رجعتني لهُ اياديهِ عبدا
ان لقينا بهِ الخطوب مشيحًا كان خصمًا على الخطوب الدا (٣)
لو تعاطى السحابُ ادراك ما تبـ لغُ آلاؤهُ لقلنا تعدّى

ولهُ من قصيدة يستسقي بها نبيذًا من ابي نوح

(٤٦) بكرت لهم سقيا الربيع وقصّرت عنهم اوانَ تعلَّةٍ سقياكا (٤)
ما كان صوبُ المزنِ يطمعُ قبلها في ان يجيءَ نداهُ قبل نداكا
ولديك صهباء كأن نسيمها من طيب عرفك او جميل ثناكا

ولهُ من نونيَّةٍ في عليّ بن يحيى

(٤٧) بقومي جميعًا لا احاشي ولا اكني ابو جعفرٍ نجمُ العلى وحيا المزنِ
فتى العرب المدعوّ في السلم للندى وفارسها المدعوُّ في الحرب للطعنِ
سحابٌ اذا أعطى حريق اذا سطا لهُ عزّة الهنديّ في هزّة الغصنِ (٥)
لجأنا الى معروفهِ فكأننا لمنعتنا فيهِ لجأنا الى حصنِ (٦)

ولهُ من بائيَّةٍ في مدح عبدالله بن تهيك

(٤٨) انَّ أبا جعفرٍ اطال يدي بنائلٍ من يداهُ موهوبِ
سرت يداهُ بكل ساريةٍ من الندى ثرَّة الشآبيبِ (٧)

ولهُ من بائية يمدح بها ابا سعيد

(٤٩) ولو داسكم بالخيل دوسة مغضبٍ لطرتم غبارًا فوق خرس الكتائبِ (٨)
ومنها ومن نائلٍ ما تدعي مثل صوبهِ اذا جاد اكباد الغمام الصوائبِ

(١) تقيل اباهُ : اشبههُ والاشبه انها مصحفة عن تقيلوها بالباء الموحدة بمعنى انهم تلقوها واخذوها عن اسلافهم (٢) ساوقهُ وساواهُ (٣) مشيحًا : اي معرضًا متكرهًا :
(٤) الربيع : المطر في الربيع . والتعلة : ما يتشغل بهِ من طعام وغيره (٥) الهنديُّ السيف المطبوع من حديد الهند كالهندواني والمهند (٦) المنعة محركةً وسكن النون للضرورة : العزة التي تمنع عنهُ العدوّ
(٧) السارية : السحابة الآتية ليلاً والثرة : الغزيرة يقال عينٌ ثرة وسحابة ثرَّة والشآبيب جمع الشؤبوب وهو بمعنى الدفعة من المطر (٨) الكتائب الخرس : التي لا يسمع فيها صوت ولا جلبة

ولهُ من قافية في مدحهِ

(٥٠) رفع الامير ابو سعيدٍ ذكرها واقام فيها للمكارم سوقا
يستمطرون يدًا يفيض نوالها فيفرّق المحروم والمرزوقا

ومنها فدعا فريقًا من سيوفك حتفهم وشددتَ في عُقَد الحديد فريقا

ولهُ من لامية يمدح بها محمد بن يوسف

(٥١) رمى الروم بالغزو التي ما تتابعت نوافذهُ حتى اصبنَ المقاتلا
غزاهم فافناهم ولم يقتصر لهم على العام حتى جدّد الغزو قابلا
وقد غرت بالغارات في وهداتهم وليًا ووسميًا رذاذًا ووابلا (١)
وسقت الذي فوق المعاقل منهمُ فلم يبقَ الاّ ان تسوق المعاقلا (٢)

هذا ولنقف عند هذا المقدار مما لابي عبادة البحتري في هذا الباب فهو كاف لان يبيّن طول باعهِ وبسطة اقتدارهِ على اظهار المعنى الواحد تحت صور تتلاحظ (٣) في الجمال والابداع

سعيد الخوري الشرتوني

هيكل منتوهتب

كتب المسيو ادوار نافيل الى جريدة التيمس ما تعريبهُ

اوشكت جمعية النقب المصريَّة تتم اعمالها في الدير البحري وقد سعيت بمعاونة المستر كوررلي والمستر دنيس والمستر دليون في استكشاف ما خفي في بطن الارض من اقدم هيكل في طيبة وهو هيكل منتوهتب الملك الثالث من ملوك الدولة الحادية عشرة . فقد خلد هذا الملك اسماً كبيرًا في وادي النيل ولبث خلفاؤهُ يجلونهُ ويحترمون اسمهُ حتى زمن رعمسيس الثاني من ملوك الدولة التاسعة عشرة

ولم نتمكن في هذا الشتاء من اكتشاف ما ينبه الخواطر ويجتذب النواظر كما فعلنا في السنة الماضية فلم يتيسر لنا اظهار ما يدل على دقة في الصناعة كتمثال الالهة هتور الذي نقل مع مزارهِ الى دار التحف المصريَّة

على ان ما اكتشفناهُ يرشدنا الى عبادة الملك منتو هتب ولذلك فهو لا يخلو من الفائدة

---

(١) الوسمي : اول مطر يقع على الارض والوليّ : المطر الذي يسقط بعدهُ والرذاذ : المطر الضعيف والوابل : المطر الشديد الضخم القطر (٢) المعاقل : الحصون (٣) تتشابه

وان لم يكن لهُ حظ من الوضع في المتاحف . فان هيكل الدولة الحادية عشرة الذي اكتشف منذ ثلاث سنوات لهُ شكل خاص ينفرد بهِ عن غيرهِ في هذه الايام لانهُ عبارة عن مصطبة يدخل اليها بمنعطف وفي وسطهِ بناء مربع كان في الاصل مكسوًّا بحجارة بيضاء ويحتمل انهُ بني ليكون اساساً لهرم يعلو فوق الرواق لان الاعمدة تحيط بهِ ويمتد الهيكل الى ناحية الصخور الشاهقة بحيث يتكوَّن منهُ دائرة نخيمة في طرف وادي الدير البحري . ولقد كان شغل البعثة في الاسابيع الاخيرة منهُ سنة ١٩٠٦ تطهير هذه الدائرة مما فيها من الانقاض . وبعد ما بدأنا بالحفر انتهينا اولاً الى صحن على جانبيهِ صفان من الاعمدة ثم تقدمنا فوجدنا بقايا رواق معمَّد ووجدنا ٧٢ عموداً من اعمدتهِ نقش عليها اسم منتوهتب . وكنا في السنة الماضية قد وصلنا في هذا الصحن الى مدخل ممر منحدر يمتد الى اسفل الرواق وعلى بابهِ سد من الحجارة الضخمة وركام الردم فتركناهُ في ذلك الحين وارجأنا انجاز العمل فيهِ الى الآن فدخلناهُ منذ اسبوعين فوجدناهُ نفقاً منقوراً في الصخر يمتد على خط مستقيم الى مسافة ١٥٠ متراً قبب اكثر من نصفهِ . ووجدنا السعة التي بين جدرانهِ كافية لمرور رجل ونزولهِ الى الاسفل . وفي طرفهِ غرفة من الغرانيت مصنوعة من حجارة كبيرة محكمة الالتحام على نحو ما يشاهد في غرف الاهرام . وكان باب هذه الغرفة مسدوداً بحجر بحيث لا يخطر بالبال الاَّ انها كانت قبراً ولكن يظهر انها ليست كذلك فان فيها مقاماً من الابستر (المرمر الشفاف) وهو ساذج لا نقش فيهِ ولا زخرف الاَّ على افريزهِ . وقد بني بحجارة كبيرة وسقفهُ حجر واحد من الغرانيت الاحمر وفوقهُ طبقة من المرمر . وليس في هذا المقام الاَّ بعض حجارة من الغرانيت الاسود حسنة الهندام والقطع مما كانت جدران الغرفة مبطنة بهِ وفي رأيي انهُ كان مقاماً لنفس الملك وكانت ممثلة فيهِ بتمثال ازيل منهُ والدليل على ذلك ما وجدناهُ من ركام الاخشاب المحطمة وحتات الاثاث وبعض المنسوجات التي كانت تلف بها القرابين او الحيوانات المحنطة (الموميا) ووجدنا ايضاً قطعاً صغيرة من عظام يقال انها بشرية ولكننا لم نجد اثراً لتابوت حجري او خشبي ولا دليلاً يشير الى ان هذا المحل كان مدفناً وهذا ما جعلني ارجح انهُ كان مقاماً لنفس الملك او شبههِ وزاد اعتقادي بالكتابة التي رأيتها على صفيحة في المدخل وترجمتها ان احد خلفاء منتوهتب امر بوضع الطعام والشراب كل يوم في هذا الموضع الذي يسميهِ "كهف منتوهتب" وقال انهُ كلما ذبح ثور في هيكل امون العظيم فيجب ان يقطع شيء من لحمهِ ويشوى ويوضع في هذا الكهف . ولا يخفى ان مثل هذه التقادم والقرابين لا تكون الاَّ لالهٍ او ملك وعليهِ فالغرفة ليست مدفناً بل موضع كان الكهنة ينزلون اليهِ . ثم انها

لو كانت مدفناً لما احتيج الى جعل سقف ممرها مقوساً . اما مساحة هذا المقام فثلاثة امتار ونصف طولاً ومتران وربع عرضاً ومتران ونصف علوّاً وهو يدلُّ على دقة الهندسة واتقان الصناعة ولكن يصعب جدًّا نقلهُ الى احد المتاحف لما يقتضيهِ من النفقات الباهظة فضلاً عن التعرض للخطر وعليهِ فسيبقى الآن في مكانهِ في باطن الارض ويجعل للممر باب يقفل عند اللزوم ولا يستحسن ان يدخل اليهِ الاَّ علماء الآثار المصرية . ومهما يكن من امر هذا المزار فقد زاد ذلك الهيكل باكتشافهِ رونقاً فوق ما فيهِ من بدائع الصناعة

والمأمول اننا ننتهي من النقب في الدير البحري قريباً وحينئذٍ نفرغ من كشف الهيكلين اللذين تم بناؤُهما في ما يزيد على الف سنة

عملاء مصر

نريد بعملاء مصر الممالك التي تتَّجر مع القطر المصري تبتاع حاصلاتهِ وتبيعهُ مصنوعاتها كانكلترا وفرنسا والنمسا والمانيا . وهذه الممالك كانت تعاملهُ قبل الاحتلال البريطاني ولا تزال تعاملهُ . وقد يخطر على البال بادئ بدء ان انكلترا ربحت باحتلالها هذا القطر ربحاً كبيرًا فزادت تجارتها فيهِ اضعاف ما زادت تجارات الممالك الاخرى ولكن ليس الامر كذلك فان تجارتها لم تزد بل نقصت عما كانت عليهِ بالنسبة الى سائر الممالك الاوربيَّة لان الانكليز لم يميزوا تجارتهم بحق من الحقوق بل تركوا امر التجارة حرًّا حتى في ما تستوردهُ الحكومة كقاطرات سكة الحديد ومركباتها فان معامل اوربا واميركا تناظر معامل انكلترا والحكومة المصريَّة تختار الرخيص الذي يأْتيها في الميعاد قبل غيرهِ . وقد شكا تجَّار الانكليز واصحاب معاملهم من ذلك ولكن لا تسمع شكواهم ما دام باب التجارة مفتوحاً للجميع على حدٍّ سوى

واغرب من ذلك ان قسم التجارة الذي يعد ربحاً للانكليز وهو الوارد من بلادهم الى القطر المصري لم يستفيدوا منهُ كما استفاد غيرهم واما قسمها الذي يستفيد منهُ القطر المصري وهو الصادر فلم يقصِّر فيهِ الانكليز عن غيرهم الاَّ قليلاً اي ان القطر المصري لا يزال يستفيد من معاملتهم كما كان يستفيد قبل الاحتلال تقريباً ولكنهم هم لا يستفيدون الآن من معاملتهِ كما كانوا يستفيدون قبل الاحتلال واثباتاً لذلك ننقل نسبة التجارة الانكليزيَّة الى غيرها من تجارات الممالك الاوربية الكبرى في كل سنة من السنوات الثلاث والعشرين الماضية . والاعداد المذكورة في الجدول هي اجزاء في الالف من قيمة التجارة الواردة الى القطر المصري

جدول نسبة الوارد

سنة	انكلترا وتوابعها	فرنسا	النمسا	المانيا	ايطاليا	بلجكا	روسيا	اميركا
١٩٠٦	٣٧٦	١١٤	٧٢	٥٥	٥١	٥١	٢٢	٢٥
١٩٠٥	٣٧٢	١٠٦	٦٩	٤٤	٥٣	٣٨	٣٤	٢٣
١٩٠٤	٣٩٩	٠٩٣	٧٠	٥٠	٥٧	٣٦	٣٦	١٤
١٩٠٣	٤١٠	٠٩١	٧٣	٤٤	٥٣	٣١	٣٦	١٤
١٩٠٢	٤٢٩	٠٨٦	٧٩	٣٩	٥٤	٣٢	٣٧	١٣
١٩٠١	٤٣٢	٠٩٠	٦٩	٣٥	٥٣	٣٣	٤٠	٢١
١٩٠٠	٤٣٥	٠٩١	٦٤	٣٤	٤٧	٣٥	٤٣	٣١
١٨٩٩	٤٣٩	٠٩١	٦٤	٣١	٤٩	٥٥	٣٨	٢٠
١٨٩٨	٤١٣	٠٩٥	٦٨	٢٩	٤٥	٤٩	٤٣	٣٠
١٨٩٧	٣٩٢	١١٤	٧١	٢٨	٤٠	٤٧	٣٦	١١
١٨٩٦	٣٧٥	١٣١	٧١	٢٩	٣٤	٤٧	٣٨	٠٨
١٨٩٥	٣٨٩	١١١	٧٩	٢٦	٣٦	٤٠	٤٣	٠٦
١٨٩٤	٤٠٩	٠٩٦	٨١	٢٥	٣٦	٤٠	٤٠	٠٥
١٨٩٣	٣٩٠	١٠٣	٨٣	٢٢	٣٨	٢٦	٤٤	٠٤
١٨٩٢	٤١٩	٠٩٤	٨٦	٢٠	٣١	٤٠	٣٨	٠٤
١٨٩١	٤٤٨	٠٩٦	٩٣	١٦	٣١	٢٨	٣٨	٠٢
١٨٩٠	٤٥٤	٠٩٦	٩٦	٠٨	٢٩	١٤	٤٠	٠٥
١٨٨٩	٤١٦	٠٩٧	٩٤	٠٧	٣١	١١	٥٠	٠٨
١٨٨٨	٤٤٩	١٠٣	٩٧	٠٦	٣٢	١٦	٥١	٠٤
١٨٨٧	٤٦٩	١٠٩	٩٤	٠٣	٣٠	١٥	٤٨	١١
١٨٨٦	٤٥١	١٠٩	١١٦	٠٣	٣٤	١١	٥٧	٠٨
١٨٨٥	٤٤٣	١١١	١٢٢	٠٥	٣٧	٠٨	٤٤	١٣
١٨٨٤	٤٤٩	١١٢	١٢٢	٠٥	٣٨	٠٨	٢٨	١٧

وظاهر من هذا الجدول ان الواردات من البلاد الانكليزية كانت منذ ٢٣ سنة ٤٤٩ في الالف اي نحو ٤٥ في المئة من واردات القطر المصري كلها وهي في السنين الاخيرة اقل

من اربعين في المئة مع ان تجارة فرنسا كانت ١١ في المئة ولا تزال ١١ في المئة وتجارة المانيا كانت نصفًا في المئة وهي الآن اكثر من خمسة في المئة اي انها زادت اكثر من عشرة اضعاف وتجارة ايطاليا كانت اقل من اربعة في المئة وهي الآن اكثر من خمسة في المئة وتجارة بلجيكا كانت ثمانية في الالف اي اقل من واحد في المئة وهي الآن اكثر من خمسة في المئة فزادت اكثر من ستة اضعاف وتجارة روسيا قلت في العام الماضي لاسباب معلومة ولكنها كانت باقية على نسبة واحدة تقريبًا. وتجارة اميركا انحطت الى اثنين في الالف ثم زادت حتى بلغت ٢٥ في الالف. وقبل الاحتلال كانت قيمة الواردات الانكليزية نصف قيمة الواردات كلها ومن سنة ١٨٧٤ الى ١٨٧٨ كانت قيمة الواردات الانكليزية نحو ٥٥ في المئة من قيمة الواردات كلها

ولا مشاحة ان الانكليز انتفعوا كثيرًا من احتلال هذا القطر ولكن الشيء الذي انتفعوا بهِ لم يخسرهُ القطر المصري اي انهم انتفعوا بواسطتهِ لا منهُ وذلك انهم اطمأنوا على طريق الهند اكثر مما كانوا مطمئنين قبلاً وقد استفادوا ايضًا بعض الفائدة المالية من توظيف رجالهم في القطر المصري ولكنهم خسروا ماليًّا اكثر مما استفادوا كثيرًا فلو بقيت نسبة تجارتهم مع القطر على ما كانت عليهِ لوجب ان تكون قيمة وارداتهم في العام الماضي مثلاً ١٠ ملايين و٨٠٠ الف جنيه ولكنها لم تبلغ سوى تسعة ملايين جنيه فكأنها نقصت مليونًا وثمانمئة الف جنيه واذا قدرنا ربحها من هذا المبلغ واجرة نقل بضاعتهِ عشرين في المئة فقد نقص ربحهم بسبب الاحتلال نحو ٣٦٠ الف جنيه وزد على ذلك ان الاموال التي انفقوها في حروب السودان الاولى لا يقلُّ رباها السنوي عن اربع مئة الف جنيه فكأنهم خسروا باحتلال القطر المصري ما يساوي ٧٦٠ الف جنيه كل سنة

هذا واذا نظرنا نظر التاجر الى الذين يعاملوننا وحسبنا ان ربحنا الاكبر هو من الذين يشترون بضائعنا لا من الذين يبيعوننا بضائعهم وجدنا ان انكلترا اربح لمصر من كل عملائها فان الانكليز اشتروا منا في السنة الماضية ما ثمنهُ اكثر من ثلاثة عشر مليونًا من الجنيهات واشترينا نحن منهم ما ثمنهُ اقل من ثمانية ملايين من الجنيهات ففاض لنا عندهم اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات واذا حسبنا ان ثمن الصادر من موافي القطر المصري يقدر دون ما هو عليهِ حقيقة بنحو ١٥ في المئة بلغ ثمن ما اشتروهُ منا خمسة عشر مليونًا فقد فاض لنا عندهم نحو سبعة ملايين من الجنيهات اخذناها منهم ذهبًا عينًا اما سائر عملائنا فليس منهم سوى الخسارة علينا لانهم يشترون منا ما ثمنهُ ١١ مليونًا من الجنيهات ويبيعوننا ما ثمنهُ اكثر من خمسة عشر

مليونًا من الجنيهات فنضطر ان نوفيهم بجانب من الاموال التي نربحها من الانكليز . وهذه الحقيقة الباهرة قلما يلتفت اليها احد

وقد يقول قائل ان الانكليز لا يشترون حاصلاتنا اكرامًا لسواد عيوننا بل لانهم محتاجون اليها . ولكن هذا شأن كل من يشتري من تاجر فانهُ لا يشتري البضاعة منهُ اكرامًا لهُ بل لانهُ يحتاج اليها ومع ذلك ترى التاجر يكرم زبائنهُ الذين يشترون منهُ ويتودَّد اليهم جهدهُ وترى المهتمين بمصالح بلادهم من ساسة اوربا واميركا يبذلون كل مرتخص وغالٍ لاصطناع الامم التي تشتري بضائعهم . وعندهم ان النجاح في سياستهم يقوم بتوسيع الاسواق التي تروج بضائعهم فيها واذا ذهب تاجر من هذا القطر الى مدينة من مدن اوربا ولقيهُ صاحب المعمل او المحل التجاري الذي يستورد منهُ بضائعهُ اكرم صاحب المعمل او المحل التجاري وفادتهُ كأَنهُ من اعز اصدقائهِ لانهُ يشتري بضاعتهُ منهُ

الطوب الاخضر والطوب الاحمر

الطوب على اطلاقهِ او الطوب الاخضر كلمة مصريَّة للّبن . والطوب الاحمر للبن المشوي او الآجرّ وكل ذلك معروف لا يحتاج الى تعريف

وقفنا بالامس في خرائب طيبة امام لقصر وجعل الدليل ينزع امامنا الطوب الاخضر من مباني رعمسيس الثاني فلا يستطيع نزع الطوبة منهُ الاَّ بعد العناء الشديد واسم ذلك الملك العظيم على كل طوبة منهُ والطوب لا يزال سليماً مع انهُ قد مرَّ عليهِ الآن اكثر من ثلاثة الآف ومئتي سنة وسيبقى سليماً ابد الدهر ان لم تنازعهُ يد الانسان وتتلفهُ. وهو اصلب من كل طوب رأَيناهُ حتى الآن ما عدا الطوب الذي بني بهِ هرما دهشور فانهُ ليس دون طوب رعمسيس متانة وان كان قد صنع قبلهُ باكثر من الف سنة

ثم وقفنا قُبَيْل كتابة هذه السطور امام بيت كبير بني منذ نحو عشر سنوات جُعل اسفلهُ من الطوب الاحمر وفوقهُ طوب اخضر وقد بلي طوبهُ الاخضر مما يلي الطوب الاحمر وعاد ترابًا وبلي منهُ بعض الطوب الاحمر ايضًا . فما صنعهُ الاقدمون منذ اكثر من اربعة آلاف سنة بقي سليمًا الى الآن وسيبقى سليمًا قرونًا كثيرة وما صنعهُ المحدثون لم يسلم عشر سنوات

والظاهر ان الناس صنعوا الطوب اولاً في بابل منذ اكثر من عشرة آلاف سنة فان البلاد بين النهرين خالية من الحجارة وكان سكانها يبنون بيوتهم من القصب ثم بنوها من

الطين وتعلموا بالاختبار انهم اذا مزجوا الطين بالتبن وجبلوهُ جيداً وافرغوهُ في القوالب وجففوهُ في الشمس زاد جسمهُ متانةً وشكلهُ رونقاً

وقد وجد الطوب في اسفل خرائب بسميا من مدن البابليين القديمة وهو قطع غير منتظمة الشكل وفوق ذلك قطع منتظمة الشكل قائمة الزوايا كالطوب الذي يصنع الآن وطوب المصريين القدماء

ولا يعلم من اكتشف حرق الطوب اولاً ولكن لا يبعد ان يكون الناس انتبهوا الى صلابة الطوب الذي يكون في البيوت المحروقة او يكون اثافي للقدور فاستدلوا من ذلك على ان الحرق او الشيء يصلّب الطوب جدًّا فصاروا يشوونهُ واتصلوا من ذلك الى عمل الخزف

قال الاستاذ ادجر بنكس مدير لجنة النقب في آثار بابل من قبل مدرسة شيكاغو الجامعة ان اول من اكتشف حرق الطوب سكان بابل منذ اكثر من ستة آلاف واربع مئة سنة وكان طوبهم غير منتظم الشكل كأنهُ قطعة من الطين تُركت على الارض حتى انبسط اسفلها واستدار اعلاها. وكان الطوب القديم صغير الحجم طول الطوبة منهُ نحو ٢٠ سنتيمترًا. وسمكها نحو ٥ سنتيمترات ثم أُتقن رويدًا رويدًا وكُبِّر حجمهُ حتى صار طول الطوبة منهُ نحو اربعين سنتيمترًا

وكان البابليون يطبعون الطوب بطابع فيهِ اسم صانعهِ او اسم الملك الذي صنع لاجلهِ ابتدأوا بطبع ابهام الصانع وتدرجوا الى رسم خط مستقيم على طول الطوبة ثم الى خط مائل من زاوية الى زاوية ثم الى خطين متقاطعين وهلمَّ جرًّا

وسنة ٣٨٠٠ قبل المسيح غزا الساميون بابل وجعل الملك سرجون شكل الطوب مربعًا وجعل صانعيهِ يطبعون اسمهُ عليهِ وكان طوبهُ كبيرًا طول الطوبة منهُ ٤٢ سنتيمترًا وعلوها ٩ سنتيمترات فصغَّرها ابنهُ نرام سن وجعل طولها ٣٢ سنتيمترًا وبعد الف سنة جُعل طولها ٣٠ سنتيمترًا فقط وبقيت كذلك الى آخر مملكة بابل

وكانت الكتابة على الطوب اولاً مختصرة ثم زيدت اسهابًا فطوب الملك نرام سن كان يكتب عليهِ "نرام سن باني هيكل عشتار". ثم جعل الملوك يزيدون الكتابة وقد وجد الاستاذ بنكس طوبًا على الطوبة منهُ تسعة اسطر من الكتابة. واكتفى نبوخذنصر بان طبع على طوبهِ "نبوخذنصر ملك بابل مجدّد هياكل ساجيل وازيدا بكر نبوبولاسّر ملك بابل"

ثم وجد البناؤون ان الطوب المربَّع لا يفي بغايتهم عند الزاوية أي عند نهاية الساف وانهم يضطرون حينئذٍ ان يكسروا الطوبة الى نصفين فصاروا يصنعون طوبًا الطوبة منهُ مثل نصف

الطوبة المربعة اي طولها مضاعف عرضها . ومن ثم شاع هذا الشكل في عمل الطوب ولم يزل شائعاً الى عصرنا هذا · وتفنن البابليون ايضاً في زخرفة الزوايا والشرفات والاطناف في مبانيهم فصنعوا لها الطوب المستدير والمحدَّد والمنقوش وكانوا يلصقونها بعضها ببعض بالحمر او بالطين او بالكلس وشاع استعمال الكلس عندهم قبل ايام نبوخذنصَّر وكانوا يأتون بهِ من حدود بلاد العرب .وطوبهم اي المشوي منهُ امتن من الطوب المشوي الذي يصنع الآن في اوربا واميركا . قال الاستاذ بتكس انهُ وجد في بسميا طوباً صُنع قبل المسيح باربعة آلاف وخمس مئة سنة وهو لا يزال سليماً كأنهُ صنع امس فبني منهُ البيت الذي اقام فيهِ هناك وسيبقى سليماً بعد ان يتلف الطوب المشوي الذي يصنع في اميركا الآن

ثم اكتشف البابليون كيفية دهن الطوب بدهان زجاجي مختلف الالوان وصاروا يرسمون فيهِ صور الحيوانات وقد تكون صورة الحيوان مؤلفة من طوبات كثيرة في كل منها جزء صغير منهُ ومع ذلك تأتي صورتهُ من مجموعها محكمة طبق المرام

ولم يقتصر البابليون على عمل الطوب وشيهِ لكي يبنوا بهِ بيوتهم وهياكلهم بل استخدموهُ بدل القرطاس لكتابة كتبهم ورسائلهم فقد كانوا ينقشون كتاباتهم على صفائح الحجارة فلما صنعوا الطوب وشووهُ ووجدوا انهُ يبقى ازماناً طويلة من غير ان يبلى او يتلف ورأوا ان نقش الكتابة فيهِ اسهل من نقشها في الحجر استخدموهُ للكتابة بدل الحجر · وكأنهم كانوا القائلين كل علم ليس في القرطاس ضاع فكانوا يكتبون بهِ كل شيء العقود والصكوك والسفاتج ورسائل التجار ودفاتر الجباة والعلوم والفنون والتواريخ · وقد وجدت مكاتب كبيرة من الطوب المكتوب · ومن اغرب ما فيها دفاتر جباة الاموال فانهم كانوا يكتبون فيها الاموال التي جبوها والجهات التي انفقوها فيها ودفاتر التجار وطرق المعاملات · من ذلك طوبة يقال فيها ان رجلاً استعار ثوراً من جارهِ واشترط صاحبهُ على مستعيرهِ ان يردهُ اليهِ في وقت معين لكي يحرث ارضهُ بهِ لكن اتفق ان وقع الثور وكسر رجلهُ فاضطرَّ المستعير ان ان يعطي صاحب الثور قيمة غلَّة الارض التي خسرها بسبب كسر رجل الثور

وبعض الطوب صكوك وللصك منها غلاف من الطوب يغلَّف بهِ ويختم بخاتم مَن كتب الصك عليهِ فلا يستطيع صاحبهُ ان يزورهُ وفي الاجل المعين يفض الختم ويفتح الغلاف ويقرأُ الصك

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فوائد طبية

بزر القطن وادرار اللبن

نشرت احدى المجلات الطبية الفرنساوية تقريرًا لبعض الاطباء يؤْخذ منهُ ان خلاصة بزر القطن المعروفة باسم اللكتاغول تزيد ادرار اللبن زيادة كبيرة وتزيد ايضًا خواصهُ الغذائيَّة وبالنتيجة تزيد قوة الرضيع ووزنهُ

وشهد الاطباء الذين وصفوها والمراضع اللواتي استعملنها انها افضل كل عقاقير هذا الصنف المعروفة الى الآن . ويظهر فعلها بعد استعمالها بثمانٍ واربعين ساعة لحد ثلاثة ايام او اربعة ولكنهُ ينقطع بالانقطاع عنها اي ان الفائدة لا تدوم طويلاً بل تكون مدة الاستعمال

الانسون وادرار اللبن

من عادة النفاس في سورية ان يستعملن مغلي الانسون لغايتين الاولى زيادة النزف الرحمي مدة النفاس لاعتقادهن بفائدتهِ والثانية تخفيف المغص المعروف بالخوالف . وكنت اجتهد في منع هذه العادة لمعرفتي ان خسارة الدم تقلل اللبن ولكن وجدت بعد طول المراقبة انهُ رغمًا عن خسارة الدم الكبيرة التي تستحسنها النفساء وترغب فيها القوابل الجاهلات يكون الافراز اللبني غزيرًا حتى تضطر احيانًا الى تخفيفهِ اما بحلب الثدي او بارضاع طفل آخر غير رضيعها فنسبت ذلك للانسون وتحققت لهُ هذه الخاصة بالتجارب الكثيرة مدة سنوات عديدة ومثل الانسون الشمر والكراويا والكزبرة وما هو من صنفها

الشاي وحمى التيفويد

نشرت احدى المجلاَّت الطبية الفرنساوية نقلاً عن مجلة انكليزيَّة رسالة بهذا العنوان لطبيب برتبة ماجور في الجيش الانكليزي ابان فيها فعل نقيع الشاي بميكروب التيفويد فقال ان الجراثيم التي تتكون في مستنبت صرف يقل عددها بعد اربع ساعات من عرضها على نقيع

الشاي وبعد ٢٤ ساعة لا يبقى لها اثر واستنتج انهُ يجدر بالعسكري العامل ان يستعمل نقيع الشاي عوضاً عن الماء لان الماء ولو عقِّم قد يفسد بسهولةٍ واذا وضع في زجاجةٍ كان فيها ماءٌ ملوث بميكروب التيفويد فقد تنتقل العدوى ولو بعد مدة طويلة

فاذا صحَّ ذلك كان الشاي واقياً من عدوى التيفويد وهو بكل حال لا ضرر من استعمالهِ لانهُ اذا حُضّر على طريقة حسنة كان منهُ مشروب مبرّد ومنعش معاً واما المواد المضرَّة فيهِ كالتنين وغيرهِ فلا تظهر الاّ بالغلي او بعد النقع مدة طويلة ولهذا يجدر استعمالهُ دائماً حيثما ظهرت وافدة تيفويد الدكتور امين ابو خاطر

الطعام في الاشغال العقلية

قال القدماء ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب وقالوا ان المعدة بيت الداء وهذا القول يكررهُ كل من ينتبه الى فعل الطعام بهِ ولكنهُ لا يلبث ان ينساهُ حالما يزول المهُ او تعبهُ . والذين لا ينسونهُ بل يتذكرونهُ دواماً ليسوا اصلح حالاً من غيرهم بل هم في الغالب كثيرو الوساوس يخافون من كل طعام لئلا يكون مجلبة للسقام وبين هذين الحدين — بين من يضرُّهُ الطعام وينسى ضررهُ حالما يزول ويرتكب اليوم الخطأ الذي ارتكبهُ امس وبين من يوجس شرًّا من كل طعام يتناولهُ حدٌّ اوسط وهو معرفة النافع والضار من الطعام في النوع والمقدار والوقوف عند النفع وعدم تجاوزهِ الى الضرر

ويختلف فعل الطعام ايضاً من حيث نفعهُ وضررهُ باختلاف الناس وعاداتهم واعمالهم واعمارهم مما يكاد يتجاوز الحصر ويهمنا من ذلك الآن البحث عن طعام الذين اشغالهم عقلية فان هؤُلاء يحسبون انهُ ينحل من ادمغتهم مقدار كبير كل يوم وانهُ لا بدَّ لهم من الطعام الكثير المواد النيتروجينية والفصفورية ليغذي ادمغتهم ويقوم مقام ما انحل منها . ولكن الذين يشتغلون اشغالاً عقلية قلما يعملون اعمالاً بدنية شاقة بل هم في الغالب من قليلي الحركة . وقد ظهر بالاختبار انهم ان اكثروا من الاطعمة الوافرة الغذاء اصابهم ما يصيب من يكثر المسكرات فتكثر الفضول النيتروجينية والفصفورية في ابدانهم وتبليهم بسوءِ الهضم والنقرس وما اشبه وعلاجهم حينئذٍ الاقلال من هذه الاطعمة او الاكتفاء بالمآكل النباتية واللبن

وقد اشار الدكتور ده فلري على المشتغلين بالاشغال العقلية ان يجعلوا طعام الصباح كاساً من اللبن مع قليل من القهوة وكسرة من الخبز والزبدة . وطعام الظهر قليلاً من الخبز والبيض

المسلوق ونحو اربعين درهماً من لحم الضان او لحم الطير او لحم السمك وقليلاً من الطعام المطبوخ باللبن . وطعام المساء الشوربا والمكروني والخضر او الاثمار المطبوخة

والخمر غير لازمة لهم ولا هي نافعة وكذلك كل الاشربة الروحية وهو لا يشير بشرب الشاي الَّا بين الغداء والعشاء بشرط ان يكون خفيفاً جدًّا

وقد قال المثل " قليل مما يضر ولا كثير مما ينفع " فان المعدة التي لا تقوى على هضم الطعام الكثير وتمثيلهِ ولو كان نافعاً تقوى على هضم الطعام القليل وتمثيلهِ فلا يبقى منهُ ما يفسد فيها ويتعبها ولو لم يكن نافعاً

وسخ الاظافر

استُخرج الوسخ من تحت ٦٨ ظفرًا وبحث فيهِ بحثًا بكتيريولوجيًّا فوجد فيهِ ٥٧ نوعًا من الميكروبات وبزورها فلا يليق بمن يمرّض مريضًا او يوآسي جرحًا ان يفعل ذلك ما لم ينظف اظافرهُ تنظيفًا تامًّا

زيت الزيتون

قيل في خرافات اليونان ان اهل اثينا كانوا يفتشون عن اسم يسمون بهِ مدينتهم فوقع النزاع بين اثينا الهة الحكمة وبوسيدون اله البحر وكلٌّ منهما يريد ان تسمى المدينة باسمهِ وجعل كل منهما يهب الهبات لاهل المدينة اغراء لهم فغرست لهم الالهة اثينا شجرة زيتون ووعدهم بوسيدون بالسلطة على البحر ففضلوا هبة اثينا وسموا المدينة باسمها وقدسوا شجر الزيتون لها من ذلك الحين

وكان القدماء يكرمون هذه الشجرة المباركة ويطبخون طعامهم بزيتها ويستصبحون بهِ ولا يزال كثيرون من اهالي البلاد الذين يزرع الزيتون في بلادهم يعتمدون على زيتهِ في طبخ طعامهم حتى الطباخون الماهرون من الفرنسويين يكثرون من استعمال زيت الزيتون الخالص في الطعام . وقد ثبت الآن ان الزيت في الطعام اسهل هضماً من الدهن والسمن والشحم واطول اقامةً . والحلويات التي تقلى بالزيت اسهل هضماً من التي تقلى بالسمن واذا استعمل الزيت مرةً لقلي السمك امكن استعمالهُ ثانيةً وثالثةً ولو لقلي الفراخ لانهُ اذا وضعت فيهِ ورقة من ورق الغار زال ما بقي فيهِ من طعم السمك . ويقال ان طباخ نبوليون الاول هو اول من قلا الفراخ بزيت الزيتون في واقعة مارنجو لانهُ لم يجد زبدة يقلوها بها فسميت الفراخ المقلوة بالزيت فراخ مارنجو الى الآن

فعسى ان تبقى هذه الحقيقة العلمية راسخة في الاذهان وهي ان زيت الزيتون امهل هضماً من كل الادهان الحيوانية الاصل كالشحم والدهن والزبدة . ولا يحتاج الاّ ان يعتادهُ الذوق حتى يعود الناس الى الاكثار من استعمالهِ في الطعام

السبيرتو للوقود

لقد ثبت ان السبيرتو ارخص مواد الوقود كلها بالنسبة الى الحرارة التي تتولد منهُ وامهلها استعمالاً كما انهُ انظفها كلها لانهُ يحترق كلهُ وليس لهُ دخان ولا يبقى منهُ سناج وليس على الناس الاّ ان يشتروا الكوانين الصالحة لايقادهِ

مخلل الكرنب (الملفوف)

خذ اربع كرنبات صغيرة وما يساويها وزناً من الطماطم الاخضر والخيار وقرناً من الفلفل الاخضر وافرم كل ذلك وصب عليهِ خلاً غالياً حتى ينسلق بهِ ثم صفِّ الخل عنهُ واضف اليهِ قليلاً من الخردل والملح والفلفل الاسود والسكر وصب فوق الجميع خلاً بارداً حتى يغمر فيصلح في اسبوع

مخلل الخيار

اضف الى اقتين من الخل فنجاناً من الملح وملعقتين من بزر الكرفس وملعقة من الخردل الابيض وقبضة من كبش القرنفل وسخن الجميع على النار ثم صب الخل فوق الخيار بعد ان تغسلهُ وتنشفهُ جيداً

تنظيف البيت

النظافة من الزم اللوازم ولا سيما في البيت . والمرأة التي اعتادت ان ترى بيتها نظيفاً لا تحتمل رؤيتهُ والوسخ والغبار متراكان فيهِ . ولكنها تجهد نفسها وخدمها اكثر مما يلزم اذا طلبت منهم ان ينظفوا غرف البيت كلها مرةً كل يوم او كل اسبوع . وخير من ذلك ان تنظف غرفةً واحدة كل يوم فلا يمضي اسبوع او اسبوعان حتى تتنظف غرف البيت كلها ونعني بالتنظيف هنا رفع الاثاث والحصر والبسط وتنظيفها كلها وتنظيف ارض الغرفة ايضاً . واما التنظيف الخارجي كالكنس ومسح الغبار عن الآثاث فلا بد منهُ كل يوم ولا سيما في هذا القطر حيث يكثر الغبار جداً . وكلما اتسع البيت وزادت غرفهُ زاد تعب ربة البيت وخدمها . والانسان يطلب الرفاهة ليستريح فتجلب عليهِ الرفاهة تعباً فوق تعبهِ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك · (٣) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٢) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

استفتاءٌ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

جرى عندنا احتفال بامتحان تلميذات مدرستنا وقدَّمنا للمدعوين لائحة بالعربيَّة والانكليزيَّة ذكرنا فيها ترتيب الامتحان وكتبنا في صدرها هكذا " لائحة الاحتفال السنوي لمدرسة البنات الاميركية " . وتحتهُ " ترتيب الوقائع " . وقد انتقد البعض استعمالنا كلمة لائحة وقالوا كان الواجب ان تستعمل كلمة بروجرام وانتقدوا ايضاً كلمة ترتيب الوقائع ولكنهم لم يذكروا كلمة تقوم مقامها

ولا يخفى ان كلمة بروجرام قد شاعت الآن كثيراً حتى لا نرى غيرها في لوائح نظارة المعارف ولكن أليس كلمة لائحة افضل منها فانها عربيَّة خفيفة اللفظ مفرداً وجمعاً وكلمة بروجرام اعجميَّة ثقيلة اللفظ مفرداً وجمعاً . اما ترتيب الوقائع فلعلَّ الاعتراض كان على كلمة وقائع لا على كلمة ترتيب فبأي لفظ عربي نعبر عن المراد بها ساره حداد

بمدرسة الاميركان بالاقصر

[المقتطف] ان كلمة بروجرام الافرنجية مركبة من كلمتين يونانيتين وهما برو ومعناها امام او ظاهرًا وجراما ومعناها الكتابة كأن المراد بها الكتابة التي تكتب امام غيرها كالعنوان او الاعلان او البيان . ولا نرى غبارًا على كلمة لائحة ولوائح لان لوائح الشيء ظواهرهُ او ما يبدو منهُ . قال في الاساس نظرت الى لوائحهِ اي الى ظواهرهِ وقد استعملها المولدون او المحدثون للاوراق التي يدرج فيها التجار اعمالهم الحسابيَّة . وكلمة بيان تقوم مقامها او تفضل عليها . اما الوقائع فهي ترجمة Proceedigs الانكليزية اي الاعمال التي يتبع بعضها بعضاً من كلمتين

معناها يمضي امام او يتقدَّم· والوقائع جمع وقعةٍ او وقيعة وهي الصدمة بعد الصدمة في الحرب ومن ذلك وقائع العرب اي ايام حروبها· ولو خُيّرنا لاخترنا كلمة الاعمال او المواضيع او اكتفينا بلائحة الامتحان او لائحة الاحتفال

ولا يخفى ان ما يجري عليهِ الاستعمال يألفهُ الذوق ويفضل على غيرهِ ولوكان اعجميًّا فكلمة "صرف" وكلمة "نحو" ليس فيهما شيءٌ من الدلالة على العلمين اللذين وضعتا لهما ومع ذلك صارت كل كلمة منهما علمًا للعلم الذي وضعت لهُ. وكلمة موسيقى اعجمية ومع ذلك الفتها الاذن واقتصر كتَّاب العربية عليها . وتنازع البقاء وبقاء الاصلح يقضيان ان تتنازع هذه الكلمات وان يبقى منها ما هو اصلح من غيرهِ للبقاء اما لانهُ صالح لذاتهِ او لان مستعمليهِ اقدر من غيرهم على اشاعتهِ وحفظهِ

والخلاصة ان كلمة لائحة لاغبار عليها وهي افصح واسهل من كلمة بروجرام ولكن قد لا نقوى على القيام مقامها لان مدارس الحكومة كلها جرت على كلمة بروجرام وكل دارسي اللغات الاجنبية يفهمون المراد بها· وكلمة وقائع حسنة وكأَن الذي استعملها اولاً ونظنهُ الدكتور فان ديك التفت فيها الى كلمة وقائع العرب اي حروبهم المتوالية او التي توالى وقوعها· ولا داعي لاستعمال المفرد في ما كان كذلك· وكلمة اعمال او مواضيع تقوم مقامها ويحسن الاكتفاء بلائحة الامتحان او لائحة الاحتفال

بقاء الاصلح

الى حضرة العالمين الدكتورين منشئي المقتطف الاغر

قرأنا الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين من مقتطفكم البديع فرأيناكم ذكرتم في الجواب عن السؤَال الحادي عشر المتعلق بالمدارس الفرنساويَّة في الشرق قاعدة الانتخاب الطبيعي او الطبيعة تنتخب الانفضل واستشهدتم على ثبوتها بقول القرآن الكريم "فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض"· ولا يخفى ان هذه القاعدة العمرانية هي ركن عظيم من اركان المدنية الاورباوية وعليها وعلى قواعد اخرى علمية شادت صروح مجدها ونشرت الوية علمها في العالم الانساني . وقد جاء القرآن بهذه القاعدة قبل ان يتبلج صبح المدنية الاورباوية بقرون متطاولة على ان الرجل الذي جاء بها نشأ اميًّا لا يكتب ولا يحسب كما هي اخص صفاتهِ وربي يتيماً في وسط جاهلين بين امة ليس لها مقام معلوم في علم من العلوم كما يشهد بذلك التاريخ

على انهُ لم يجئْ بهذهِ القاعدة فقط بل بقواعد اخرى اساسية للمدنية الاوربياوية تقرأها كل يوم في القرآن ولم يكتشف عليها علماء اوربا الا بعد القرون الطويلة وجهد وعناء شديد

ولقد اشكل علينا وجه استشهادكم بالآية الشريفة فاحببنا ان نسترشدكم لتكشفوا لنا القناع عن مقصودكم الفلسفي العلمي في هذه المسألة الخطيرة والله يحرسكم

تونس في ابريل ١٩٠٧ وكتبهُ محبكم محمد بن الخوجه

[المقتطف] استشهدنا بها لاننا نراها كما ترونها تعبّر احسن تعبير عن القاعدة العلميَّة الطبيعيَّة وهي بقاء الاصلح . وسواء اعتقدنا مع المعتقدين ان اقوال الكتب الدينية وحي الهي او جارينا الحلوليين وقلنا ان كل اقوال الحكماء وحي من الروح الحال فيهم او اكتفينا بما يقولهُ العلماء المحدثون وهو ان هذه الاقوال مبنيَّة على نتائج الاختبار فلا شبهة انها من جوامع الكلم المؤيدة بالاستقراء ولقد كان للعرب فطرة سليمة يستقرون بها ما يجري حولهم و يستنتجون الكليات من الجزئيات ولهم في ذلك اقوال مأثورة كقول المنذر بن ماء السماء العز تحت ظلال السيوف . وقول النعمان ابنهِ الملك حلو الطعم مرُّ التكاليف . وقول عمرو بن هند المحاجزة قبل المناجزة . وقول الحارث بن ابي شمّر الغساني اذا التقى السيفان بطل الخيار . وقول امرء القيس البرُّ خير حقيبة الرحلِ . واقوال زهير في معلقتهِ المشهورة . وقول طرفة اذا ذلَّ مولى المرء فهو ذليل . وقول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ . وقول ابي ذئب الهذلي والنفس راغبة اذا رغبتها . وقول المرار بن سعيد

اذا شئت يومًا ان تسود قبيلةً فبالحلم سدْ لا بالتسرُّع والشتمِ

وقول معن بن اوس

اذا انت لم تنصف اخاك وجدتهُ على طرف الهجران ان كان يعقلُ

وقول سالم بن وامضة الاسدي

وحبُّ الفتى ينفي الفواحش سمعهُ كأنَّ بهِ عن كلّ فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطًا أذى ولا مانعًا خيرًا ولا قائلاً هجرا

وهو مثل قول صاحب الزبور حد عن الشر واصنع الخير . وقول سليمان الحكيم لا تمنع الخير من اهلهِ وفي طاقة يدك عملهُ . ويزيد عليهما في طلبهِ من الانسان ان يكون مخلصًا بقلبهِ ولسانهِ

وقول يزيد بن الحكم الثقفي

والبغيُ يصرع اهلهُ والظلمُ مرتعهُ وخيمُ

والقصيدة كلها حكم . وقول ابي محجن الثقفي

لا تسألي الناس عن مالي وكثرتهِ وسائلي القوم عن ديني وعن خُلُقي

وهو مثل قول احد الفلاسفة المحدثين " انهُ اذا نزل امرؤ في فندق فيهمُّ صاحب الفندق ان يعرف هل هو ذو مال فيستطيع ان يقوم باجرة الفندق ولكن اهم من ذلك ان يعرف ما هي فلسفتهُ اي دينهُ وخلقهُ " . وهذه خلاصة الفلسفة العملية كما ترون في المقالة التي صدَّرنا بها هذا الجزء وفي ما سيتبعها من المقالات . والظاهر ان العرب لم يتفرَّدوا بذلك بل جاراهم فيهِ كل فلاسفة الامم من هنود وفرس ويونان وكفى بحكم افلاطون وارسطو طاليس وبيدبا الهندي امثلةً لذلك

مسائل من تبريز

الى حضرة الفاضلين :

قد سألنا من جنابكم سابقًا عن كتاب كشف الظنون فاجبتم عن بعض ما سئلنا في الجزء الثالث من سنة احدى وثلثين ووعدتم بزيادة البيان في فرصة اخرى ولكنكم ما تعرضتم لذلك فلهذا اعدنا تتمة السؤَال

ذكر مؤَلف سلك الدرر في ترجمة كمال الدين محمد بن مصطفى بن كمال الدين البكري . " وجمع كتابًا في اسماء الكتب على طريقة غريبة سماهُ كشف الظنون في اسماء الشروح والمتون " وكانت ولادتهُ كما ذكرها في ترجمة والدهِ سنة ١١٤٠ ووفاتهُ كما ذكرها في ترجمتهِ نفسهِ سنة ١١٩٦ . فهل لكم علم بهذا الكتاب وانهُ كتاب آخر غير كتاب كشف الظنون المعروف او انهُ انتحالٌ منهُ

ولنا سؤَال آخر وهو البحث عن مؤَلف كتاب الانوار ومفتاح السرور والافكار في مولد النبي المختار . فقد نسبهُ في كشف الظنون الى ابي الحسن احمد بن عبدالله البكري المتوفَّى سنة . قال وهو كتاب جامع مفيد في مجلد اولهُ الحمد لله الذي خلق روح حبيبهِ الخ جمعها لتقرأ في شهر ربيع الاول وجعلها سبعة اجزاء . انتهى ولم يذكر سنة وفاتهِ

ونسب العلاَّمة المولى محمد باقر المجلسي المتوفَّى سنة ١١١٠ من علماء الامامية كتاب

الانوار في مولد النبيّ المختار الى الشيخ الجليل ابي الحسن البكري استاذ الشهيد الثاني وكذا غيره . والمراد من الشهيد الثاني هو الشيخ زين الدين بن علي بن احمد الشامي من علماء الإمامية المتوفَّى قتيلاً في سنة خمس او ست وستين وتسعمائة . وهو قد دخل مصر في سنة ٩٤٢ وعاشر علماءها ومنهم الشيخ ابو الحسن البكري المتوفَّى كما في بغية الطالب لتلميذ الشهيد الثاني سنة ٩٥٣ . او في سنة ٩٥٢ كما في الخطط الجديدة لعلي باشا مبارك نقلاً عن خط ولده محمد زين العابدين ابيض الوجه . ذكر ذلك في الجزء الثالث وان كان ارَّخ وفاتهُ لسنة نيف وعشرين وتسعمائة في الجزء الخامس عند ذكرهِ المدفونين في مقبرة الشافعي فانهُ سهو قطعاً

فقد ذكر في الخطط الجديدة بعض تأليفات هذا الشيخ الجليل وذكر اختصاص اقامة مراسم المولد الشريف بهذا البيت النبيل ولكنهُ لم ينسب اليهِ كتاب الانوار ولا كتاباً آخر في المولد الشريف النبوي صلعم

فهل عند اهل بيتهِ الشريف علم بهذا الكتاب وانهُ من مؤلفات جدهم ابي الحسن المفسر السابق ذكرهُ او غيرهِ من اجدادهم ؟ ثم انهُ مما يزيد الرَّيب هو وقوع الاختلاف في اسم المؤلف فانهُ كما ذكرهُ في كشف الظنون احمد بن عبدالله ولكن المصرح في الخطط ان اسمهُ محمد ابو الحسن بن السيد محمد ابي البقاء جلال الدين . ويظهر من خلاصة الاثر في ترجمة ابي السرور حفيد هذا الشيخ انهُ علي بن عبد الرحمن بن احمد الخ

ونسب في الكشف كتاب ترتيب السور وتركيب الصور الى الشيخ شمس الدين ابي الحسن محمد البكري المصري وكتاب تحفة واهب المواهب الى الشيخ ابي الحسن محمد بن عبد الرحمن البكري . قال : فرغ منها في ذي الحجة سنة ٩٢٢ . ونسب النبذة الى شمس الدين ابي الحسن محمد بن عبد الرحمن البكري المتوفَّى سنة ٩٥٤ والكتب الثلثة لابي الحسن المفسر السابق ذكرهُ . نسب الاولين اليهِ صاحب الخطط الجديدة والثالث مؤلف خلاصة الاثر في ترجمة حفيدهِ ابي السرور

ومع ذلك كلهِ فقد نقل بعض الامامية عن بعض المؤرخين انهُ رأى نسخةً قديمةً من هذا الكتاب تاريخ كتابتها سنة ٦٩٦ والذي يظهر لي ان هذا الكتاب ليس للشيخ ابي الحسن المفسر البكري المصري ولكن لما كان اهل البيت أدرى بما فيهِ راجعت جنابكم في كشف هذه المعضلة ولكم الفضل

اقا ميرزا علي ثقة الاسلام

[المقتطف] عرضنا مسائلكم على عماد البيت البكري الكريم في هذا العصر سماحة السيد محمد توفيق البكري فاجاب عنها بما يأتي

(١) عن كتاب كشف الظنون فالظاهر انهُ غير كشف الظنون لمصطفى جلبي المعروف بحاج خليفة ولكننا لم نقف عليهِ

(٢) وكذلك كتاب الانوار ومفتاح السرور والافكار لم نقف عليهِ . ولعلهُ من مؤلفات الامام المذكور فقد رأينا لهُ مؤلفات كثيرة لم تذكر في تراجمهِ العديدة التي وقفنا عليها في كتب التاريخ

(٣) واما عن اسمهِ فقد اخطأ فيهِ بعض المؤلفين والحقيقة ان اسمهُ محمد ابو الحسن بن محمد ابي البقاء جلال الدين بن عبد الرحمن جلال الدين دفين الجامع الابيض ببركة الرطلي بالقاهرة . والذي يؤيدهُ قول حفيدهِ محمد بن ابي السرور (انا محمد بن محمد يعني اباالسرور ابن محمد يعني زين العابدين ابيض الوجه بن محمد يعني ابا الحسن المذكور ابن محمد يعني ابا البقاء جلال الدين)

(٤) واما عن كتاب ترتيب السور فهو للشيخ ابي الحسن البكري وموجود في الكتبخانة البكرية

(٥) واما تحفة واهب المواهب والنبذة فلم نقف عليهما ولعلهما من مؤلفاتهِ . انتهى



باب الزراعة

تقسيم الزراعة

يجب ان ينظر في الزراعة الى ثلاثة امور مهمة الاول زرع ما تباع غلتهُ باغلى ثمن والثاني زرع ما تكفي غلتهُ طعاماً للاهالي في اقل ما يمكن من الاطيان والثالث زرع ما يكفي علفاً للمواشي التي تقوم بخدمة الزراعة

وقد ثبت الآن ان القطن والكتان من اصلح المزروعات لان محصول الفدان منهما يباع بعشرة جنيهات الى عشرين او ثلاثين جنيهاً ومهما كثر عدد الفدن المزروعة منهما لا يخشى ان يزيد المحصول على المقطوعية لان مقطوعية الدنيا من القطن والكتان تفوق ما يمكن ان يستغل من القطر المصري كلهِ ومن اضعافهِ ومحصولها يباع حالاً بالثمن النقد ولا يضطر الفلاَّح ان يحمل محصولهُ ويعرضهُ على التجار ويعرضهُ للكساد والتلف بل يأتي التجار او

عملاؤُهم الى غيطهِ ويبتاعونهُ منهُ وقد يسلّفونهُ عليهِ كما هو واقع · ولا خوف عليهِ ان يخدع في الثمن لان الاثمان تُشهر كل يوم وتنشر في الجرائد اليومية

ويظهر من باب زراعي انهُ يمكن زرع الارض قطناً مرةً كل سنتين واحسن منهُ مرةً كل ثلاث سنوات ولذلك تهتمُّ الحكومة المصريَّة واهالي القطر بتكثير الماء الصيفي لزرع القطن في القطر كلهِ

ويظهر ان الاراضي الشديدة الخصب التي يزرع فيها القطن فتنمو اشجارهُ كثيراً ويكثر ورقها ويقلُّ طرحها تصلح لزرع الكتان فيجود فيها ويباع محصول فدانهِ بخمسة عشر جنيهاً الى عشرين جنيهاً ونفقة زرعهِ وريهِ قليلة جدًّا ولا بدَّ ان تتسع زراعتهُ اذا عرفت الاسواق الاوربيَّة كتان القطر المصري واعتمدت عليهِ وبذلت الهمة في انتقاء اصلح التقاوي التي يكون كتانها اجود من غيرهِ

اما سائر الحاصلات التي يمكن تصديرها فالاعتماد عليها ضعيف جدًّا فقد صدر من القطن مثلاً في العام الماضي ما ثمنهُ نحو ٢٥ مليونًا من الجنيهات ولكن صدر من القمح ما ثمنهُ ٢٣ الف جنيه لا غير ومن الذرة ما ثمنهُ ثلاثة آلاف جنيه ومن الشعير ما ثمنهُ ٩١ جنيهاً لا غير ومن الرز ما ثمنهُ ١٣١ الف جنيه ومن العدس ما ثمنهُ اقل من سبعة آلاف جنيه ومن الفول ما ثمنهُ نحو ١١ الف جنيه ومن البصل ما ثمنهُ ٢١٧ الف جنيه · وكل ما صدر من هذه الحاصلات الزراعية لا يزيد ثمنهُ على سبع مئة الف جنيه · ولم يصدر من الكتَّان شيءٌ يستحق الذكر وكل ما صدر منهُ لا يزيد ثمنهُ على ١٢٠ الف جنيه ولكن لو كان اكثر من ذلك عشرة اضعاف لما وُجدت صعوبة في تصديرهِ · والبصل الذي صدر في العام الماضي ثمنهُ ٢١٧ الف جنيه وفي العام الذي قبلهُ ثمنهُ ٣٩٣ الف جنيه ولكن لا يعتمد عليهِ لانهُ اذا لم يصل قبل غيرهِ من بصل جنوبي اوربا لم ترُج سوقهُ ولانهُ يتلف اذا طالت اقامتهُ وخير منهُ الرز والفول وكل الحبوب اذا امكن ان يزرع منها ما يفيض عن حاجة القطر ولكن تبقى الافضلية للقطن والكتان وعليهما يجب ان يكون الاعتماد في الصادر

هذا من حيث الامر الاول اي زرع ما تباع غلتهُ باغلى ثمن · والامر الثاني زرع ما تكفي غلتهُ طعامًا للاهالي في اقل ما يمكن من الاطيان وهذا يتناول الذرة على انواعها والقمح والرز والفول والعدس والحمص والسمسم . ويجب ان يضاف الى ذلك البطاطس فان غلتها كثيرة جدًّا وهي طعام لكثيرين من الناس في بلدان اخرى والغذاء في غلة الفدان منها اكثر من الغذاء في غلة الفدان من الحنطة ولو اضفنا الى ذلك ما يلزم لها للعزق والتقليع

فزراعتها رابحة في الاطيان التي تجود فيها ولكن جمهور الفلاحين لم يألف اكلها حتى الآن واذا زاد محصولها على المقطوعية امكن عمل النشا والالكحول منها . ولا امل ان تزرع للتصدير لانها تتلف سريعاً ولان حجمها كبير وثمنها رخيص بالنسبة الى ثقلها فتزيد اجرة نقلها

ومثلها او احسن منها البطاطا الحلوة فان زراعتها سهلة وهي تجود جدًّا في اراضي الجزائر ويباع محصول الفدان منها بعشرين جنيهاً او اكثر ولا سيما اذا كانت قرب المدن حتى يسهل نقلها اليها وبيعها فيها

وحبذا لو اعتني بزراعة الجذور الاخرى التي تجود في البلاد الحارَّة كالكسافا التي يستخرج منها نشا التبيوكا واليام الذي يستعمل طعاماً في جزائر الهند الغربيَّة

والامر الثالث وهو زرع ما يكفي علفاً للمواشي التي تقوم بخدمة الزراعة الاعتماد فيهِ على البرسيم والفول ومن حسن الحظ انهما من المزروعات التي لا تتعب الارض بل تريحها ويضاف اليهما الذنيبة وهي من المزروعات التي تصلح الارض الجديدة

واردات القطن الى انكلترا

تستورد انكلترا الآن اكثر من نصف القطن المصري وكل بزرتهِ تقريباً . وكل ما تستوردهُ من القطن المصري لا يزيد عن سدس ما تستوردهُ من سائر الجهات . وقد كانت تجلب ٧٥ في المئة من قطنها من بلاد الهند منذ مئة وعشرين سنة وهي الآن تجلب اكثر قطنها من اميركا ويبلغ الوارد اليها سنويًّا كما ترى في هذا الجدول

من اميركا	١٤٢٤٠٠٠٠	قنطاراً
من مصر	٠٣١٤٤٠٠٠	"
من الهند	٠٠٦١٩٠٠٠	"
من برازيل	٠٠٣١٥٠٠٠	"
من بيرو	٠٠٠٨٦٠٠٠	"
من شلي	٠٠٠٢٢٠٠٠	"
من تركيا	٠٠٠١١٠٠٠	"
من سائر البلدان	٠٠٠٥٠٠٠٠	"
والجملة	١٨٤٨٧٠٠٠	

فلا يزال مجال زراعة القطن في القطر المصري واسعاً جدًّا ولو بلغ محصولهُ ضعفي ما هو الآن

الكهربائية في الزراعة

من الاقوال الشائعة في بلاد الشام ان الكمأة تنمو سريعاً حينما يكثر البرق والرعد اي حينما تكثر كهربائية الجو . وقد وجد الاستاذ لمستورم بالامتحان ان الكهربائية تزيد نمو النبات كثيرًا فيزيد بها نمو الشليخ (كبوش القش) خمسين في المئة الى ١٢٨ في المئة والذرة ٣٥ في المئة الى ٤٠ في المئة والبطاطس ٢٠ في المئة الى ٢٦ في المئة . ومتوسط ما تزيدهُ المزروعات بواسطة الكهربائية ٤٥ في المئة هذا في الارض الجيدة . قال وقد انتبه لذلك من مشاهدتهِ زيادة خصب المزروعات في البلدان القطبيَّة في السنين التي يكثر فيها ظهور الشفق القطبي المسبب عن كثرة الكهربائية وقد نصب بعضهم قضيباً من قضبان الصاعقة في حقل بطاطس بفرنسا ومدَّ منهُ اسلاكاً في الحقل كلهِ فزادت غلة البطاطس خمسين في المئة من كهربائية الجو الواصلة اليها بهذه الاسلاك

وكما تفعل الكهربائية بنمو النبات يفعل نورها بنموهِ كما يفعل نور الشمس فاذا انيرت الحقول بالكهربائية ليلاً زاد خصب المزروعات بها

وقد جرَّب المسيو فلامريون فعل النور بالنبات الحساس فزرع بعضهُ في مكان مسقوف بالزجاج العادي وبعضهُ في مكان زجاجه ازرق وبعضهُ في مكان زجاجه اخضر وبعضهُ في مكان زجاجهُ احمر فوجد بعد اشهر ان النبات الموضوع في البيت الازرق الزجاج كما كان لما زرعهُ كأنهُ نام هذه المدة كلها والنبات في البيت الاخضر نما اكثر من النبات في البيت الذي زجاجه عادي ولكنهُ كان عشبيًّا . والنبات في البيت الاحمر نما جدًّا فصار اكبر من النبات المزروع في البيت الازرق خمسة عشر ضعفاً واكبر من النبات المزروع في البيت الذي زجاجه عادي اربعة اضعاف

والظاهر ان فعل الكهربائية بالمزروعات كبير جدًّا ومنهُ ربح يقوم بنفقاتهِ

فعل المخدرات بالنبات

اكتشف الدكتور جونسن الدنماركي ان المخدرات كالايثير تفعل بالنباتات فاذا وضع النبات في صندوق واطلق عليهِ بخار الايثير اربعاً وعشرين ساعة ثم أُخرج من الصندوق ووضع في مكان بارد جعلت ازهاره وازراره تنمو بسرعة كأنهُ نام فاستراح ثم قام للعمل بنشاط والكلوروفورم يفعل فعل الايثير

القراد والامراض

لقد ثبت الآن ان القراد الذي يلصق بالحيوانات الاهلية ويمتص دمها لا يكتفي بذلك بل ينقل الامراض الوبيلة من حيوان الى حيوان وقد ينقلها الى الانسان ايضاً ولذلك فمعالجة الحيوانات الاهلية بما يميت القراد منها من الزم اللوازم لمنع انتقال الامراض الوبائية من المريض الى السليم والى الانسان ايضاً

تقليم الاشجار

نشرت دار الامتحان الزراعي الخاصة بدوق بوفورد ببلاد الانكليز تقريراً مسهباً عن فوائد التقليم ومضاره يظهر منهُ ان التقليم يضرُّ الاشجار المثمرة غالباً ولا يفيدها الاَّ في بعض الاحوال . وهاك خلاصة التقرير لما فيهِ من الفائدة اللازمة لكل الذين يغرسون الجنائن والبساتين

جرت التجارب في اشجار التفاح مدة اثنتي عشرة سنة متوالية مع التدقيق التام فنتج منها النتائج التالية

(١) انهُ كلما زاد تقليم الاشجار الجديدة النامية قلَّ نموها وكلما نقص تقليمها زاد نموها فبعد مضي اثنتي عشرة سنة وجدت الاشجار التي لم تقلم قط (وكان قد صار عمرها حينئذٍ ١٥ سنة) اثقل بعشرين في المئة من الاشجار التي قلمت تقليماً معتدلاً وبستة وثلاثين في المئة من الاشجار التي قلمت تقليماً بالغاً فتقليم الاشجار الجديدة النامية يقلل نموها

(٢) ان تقليم الاشجار الجديدة النامية يقلل اثمارها ايضاً فقد ظهر ان اثمار الاشجار التي لم تقلم بلغت مضاعف اثمار الاشجار التي قلمت تقليماً معتدلاً وثلاثة اضعاف اثمار الاشجار التي قلمت تقليماً بالغاً وذلك في الخمس السنوات الاولى ثم زاد الفرق في الخمس السنوات التالية وبلغ اشدهُ في السنة الثانية عشرة وحينئذٍ صارت اثمار الاشجار التي لم تقلم قط مثل ثلاثة اضعاف اثمار الاشجار التي قلمت تقليماً معتدلاً اما الاشجار التي قلمت تقليماً بالغاً فلم تعد تحمل ثمراً ولم يتغير جرم الثمر بل بقي على حالهِ فلا فائدة من التقليم بوجه من الوجوه لا من حيث جرم الاشجار ولا من حيث كثرة اثمارها ولا من حيث كبر اثمارها بل منهُ ضرر في تقليل نموها وتقليل ثمرها

هذا من حيث الاشجار التي لا تزال في درجة النمو اما الاشجار التي بلغت حدها من النمو وابتدأت تشيخ ففعل التقليم بها مخالف لذلك من حيث النمو لا من حيث الاثمار فان الاشجار

التي بلغت مبلغها من النمو لا تعود تنمو فيها اغصان جديدة . فاذا قلمت اخرجت اغصاناً جديدة كأنها تعيد شبابها ولكن هذه الاغصان الجديدة تنمو فيها على نفقة الثمر لان ثمرها لا يزيد بهذا التقليم بل ينقص عما كان

وما يطلق على الاشجار التي شاخت يطلق على الاشجار الكبيرة التي توقف نموها بنقلها من مكان الى آخر او بقطع جذورها

اما الاشجار الصغيرة التي تغرس جديداً و يقطع كثير من جذورها فيقل نمو اغصانها وورقها و يزيد ثمرها وهذا يضعفها وقد يميتها ودواؤهُ ان تقلّم حال زرعها تقليماً بالغاً جداً اي يقطع كل اغصانها وجانب من ساقها لكي لا تثمر قبلما تقوى وتكبر . وتأخير هذا التقليم الى الصيف ضارٌ جداً فيجب ان تقلم قبلما يبتدئ ظهور الورق فيها والاَّ ضاع عليها سنة كاملة من سني النمو. وقد قوبل بين الاشجار التي غرست ولم تقلم والاشجار التي قلمت قبلما ظهر الورق فيها فاذا اثمار التي قلمت حين زرعها ثلاثة اضعاف اثمار التي لم تقلم حين زرعها وذلك مدة السنوات العشر الاولى

وجربت هذه التجارب في غير التفاح من الاشجار المثمرة فكانت النتيجة كما في التفاح

وخلاصة ما تقدم ان الاغراس يجب تقليمها حينما تغرس بل قطعها حتى لا يبقى منها الاَّ جانب من ساقها وبعد ذلك يصير التقليم مضرًّا بها فيقلل نموها و يقلل ثمرها وهذا لا يمنع قطع بعض الاغصان التي تدنو من الارض فتمنع سير البقر وقت الحرث والاغصان التي يتشوه بها منظر الشجرة والتي يعارض بعضها بعضاً وفي ما سوى ذلك لا فائدة من تقليم الاشجار بل تترك للطبيعة ما دامت آخذة في النمو ومتى شاخت فالتقليم قلما ينفعها ايضاً فيجب قلعها وابدالها بغيرها

وظاهر ما تقدم انهُ مخالف للمشاهد في هذا القطر والقطر الشامي ولكننا لا نظن ان الذين ينفون صحتهُ يبنون حكمهم على التجارب فعسى ان يجربوا ذلك و يروا الفرق بين الشجر الذي يقلّم والشجر الذي لا يقلّم . ولا يخفى ان ما ذكرهنا لا يطلق على الكرم ونحوهِ مما لا بدَّ من قطع عيدانهِ كل سنة وهو غير داخل في صف الاشجار . والفائدة الاخيرة اي تقليم الاغراس حالما تغرس حرية بالنظر وهي مما يعلم البستانيون صحتهُ

باب التقريظ والانتقاد

رسائل في الوقف

للمحامي الشرعي المشهور عزيز بك خانكي رسائل مستفيضة في الوقف نشر اكثرها في المقطم وقد جمعها الآن وطبعها على حدة وقدَّم لها حضرة العالم القانوني عمر بك لطفي مقدمة وجيزة وصفها فيها احسن وصف قال : —لعلَّ هذا اول كتاب يبحث في الوقف من وجوهِ الاربعة التاريخي والشرعي والقضائي والعمراني

" فالرسالة الاولى والثانية والثالثة منهُ بحثت في تنازع السلطة بين القضاء الاهلي والقضاء الشرعي في المنازعات المتعلقة بالنظر والتحدث على الاوقاف وفي امكان حسم النزاع بينهما بتحويل المحاكم الاهلية حق الفصل فيها ما دامت ولاية الواقف باقية لم تنفد وحصر اختصاص المحاكم الشرعية في المنازعات التي تكون فيها ولاية القاضي العامة قد حلت محل ولاية الواقف الخاصة . وقد شغلت هذه المسألة نظارة الحقانية زمناً طويلاً واشار جناب المستشار القضائي الى رأي النظارة فيها ورأيهُ في هذه الرسائل فعسى الله ان يوفقهُ الى حل يرضى عنهُ الفريقان

"والرسالة الرابعة والخامسة فيهما اجلّ واحسن ابحاث الكتاب لانهما تضمنتا تاريخ الوقف في عهد النبي عليهِ الصلاة والسلام وفي عهد الخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله وشيئاً من اقوال وآراء بعض ائمة الدين في صدر الاسلام وقد تناول الكلام بحثاً في علاقة الوقف بالتجارة والعمران

"وعندي انهُ اذا اثبت الاستقراء حقيقةً ان الوقف آخذ في النمو والانتشار وان نموهُ يضرُّ بحركة البلاد المالية والعمرانية كان من المفروض على علمائنا وولاة امورنا التدبر في الامر بوضع قواعد جديدة توفق بين احكام الشرع ونواميس العمران والاَّ حاق بالبلاد مصاب في ماليتها وعمرانها دونهُ كل مصاب

"وما احرى الرسالتين السادسة والسابعة بنظر وتأمل الواقفين عموماً والمسلمين منهم خصوصاً فان الواقفين في هذا العصر اعتادوا ان ينسجوا على منوال كتب الوقف القديمة فيشرطون صرف غلات اوقافهم على مصارف ليست من وجوه البر في شيءٍ مع ان وجوه البر الحقيقية

كثيرة في مصر وكلها في امس الحاجات الى احسان المحسنين مثل المدارس والكتاتيب ودور العجزة واللقطاء وذوي العاهات وملاجئ الايتام والمستشفيات وغيرها

"وقد ختم الكاتب رسائله ببحث شرعي جليل خلاصتهُ أن نظّار الاوقاف يملكون شرعاً بغير اذن من الحاكم الشرعي تحويل صرف غلات اوقافهم من جهة الى جهة وتقديم الاجزل ثواباً والاعمّ نفعاً اذا اتحدت جهات البر جنساً وباذن اذا اختلفت وبناء على هذه القاعدة الشرعية التي استنبطها من كتب الوقف دعا نظار الاوقاف عموماً وديوان الاوقاف خصوصاً الى مساعدة جميع القائمين بالمشروعات الخيرية والعلمية العائدة منفعتها على الامة باسرها مثل مشروع انشاء الجامعة وغيره

"وما اجمل دعوتهُ اوقاف المسيحيين الى التضامن مع اوقاف المسلمين في تعضيد هذه المشروعات باموالها ما دامت الغاية فيها كلها عمل البر

"وكفى كاتب هذه الرسائل مدحاً وهذه الرسائل تقريظاً ما قاله لهُ احد علمائنا يوم نشر رسالتيهِ الاخيرتين: 'ان تسعة اعشار المسلمين يوافقونك ويشكرونك ويطلبون منك المزيد' "

تربية النفس بالنفس

لصالح بك حمدي حماد اهتمام شديد بنشر المقالات والكتب المفيدة وقد اطّلع على كتاب للاستاذ بلاكي من اساتذة مدرسة ايدنبرج الجامعة موضوعهُ كيف يتعلم الانسان ويتهذب من غير معلم ومهذّب وهو ما عبَّر عنهُ بتربية النفس بالنفس فترجمهُ الى العربية عن الترجمة الفرنسوية وطبعهُ على نفقتهِ واهداهُ الى المدرسة الجامعة المصرية لكي تعطى ثمنهُ

والكتاب من انفع ما كتب في بابهِ وفصولهُ صغيرة ولكنها مفعمة بالفوائد الاختبارية والفلسفة العملية فننقل منها الفصل الثاني من المقالة الاولى والفصل العاشر من المقالة الثالثة للدلالة على اسلوب الكتاب

الفصل ٢ . واني لأكلف كل الشبان تكليفاً قوياً ان يبدأوا دراستهم بالنظر مباشرة الى الاشياء بدل الاقتصار على درس مواضيعها فقط في الكتب . ولقد ألّف بعضهم كتاباً سماهُ "فن النظر والتأمل" فهاتهِ الكلمات يمكن ان تكون ضالة حكمتنا المنشودة وقاعدة سيرنا في هذا النوع الأولي للتربية الذي مع عظيم اهميتهِ فانهُ بالاسف مهمل جداً عندنا اذ ها هي كل

مواضيع العلوم الطبيعية على الخصوص ذات فائدة جليلة ليس فقط لكي نحشو عقولنا بمواضيعها المختلفة الجميلة ولكن لتعلمنا ايضاً احسن الفنون ألا وهو استعمال اعيننا لانهُ لا اغرب ولا اعجب مما تعوَّدناهُ من السير مفتحي الاعين ولكن بلا تأمل ولا تدقيق نظر في عجائب وبدائع ما نراهُ والسبب في ذلك ان العين ككل اعضاء جسمنا محتاجة الى التمرين فقصرها على الكتب قد يعطل من نشاطها وحدتها وينتهي اخيراً بابطال وظيفتها بالمعنى المقصود بها هنا (قال الله تعالى إنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فلنعر التفاتنا اذن الى تلك الدروس الاولية العملية التي تعلم الناشئة كيف تعرف ما تراهُ وكيف تعمل جهدها لكشف خفاء ما خفي عليها وميادين ذلك الواسعة هي اشياء وحقائق كل من علوم النبات والحيوان والمعدن وطبقات الارض والكيمياء وفن العمارة والرسم والفنون الجميلة اذ كم من مرة صعد ويصعد شباننا المتعلمون والمتثقفون بواسطة الكتب في الجبال وتوغلوا بالسياحة والتجوال في البراري ومع ذلك لم يستفيدوا أية فائدة ولم يجنوا كبير نفع علمي وما ذلك الاَّ بسبب ما تعوَّدت الناشئة عندنا عليهِ من فقدان مبادىء "علم النظر والتأمل" وجهلها لفوائدهِ الجلى واكتفائها بدرس الاشياء بالانكباب على الكتب دون درس حقائقها بالذات وبئست الخصلة

الفصل ١٠ ان بريطانيا العظمى هي بلا نزاع من اغنى بلدان كرتنا الارضية فهي لهذا السبب يمكن اعتبار قول الحكيم الفاضل سيدني سمث (Sydney Smith) فيها انها "البلد الوحيد الذي يعتبر فيها الفقر جناية" حقيقة حرية بالعناية ثم انهُ لمن اول ما يجب ان يهتم بهِ هو ان يسطر الشاب الانكليزي الداخل في غمار الحياة لاول مرة على صفحات قلبهِ هذا المبدأ الجوهري لكل فلسفة اخلاقية وهو ان الكفاءة الصحيحة للمرء هي فيما يكون عليهِ لا فيما تحرز يداهُ فاحذر من ان تصاب بالعدوى الادبية مما يفسد الآن قليلاً او كثيراً جو البيئات التجارية والاوساط الصناعية واحرص ان تقدر رأي امرىء بظاهر امرهِ بدون احاطة بشرف باطنهِ فان الرجل القصير القامة الذي يصعد فوق بعض المرتفعات يشرف منها ويطل على الجمهور لا يستفيد من تلك الميزة الاَّ ما دام حافظاً لمركزهِ هذا كذلك الرجل الغني الذي لا ميزة لهُ ولا فضل غير كونهِ موسراً وغنياً غنى قد يستفيد بهِ في العالم بعض الفائدة وشيئاً من الحيثية الوجودية حتى ولقد يتوصل بذلك الى ان يضيف الى جانب اسمهِ في بطاقاتهِ ومكاتباتهِ حرفي (ع ٠ ب) (اى عضو في البرلمان) ولكن جردهُ من حالتهِ الطارئة هذه ثم انظر اليهِ بعد ذلك نظر خبير تجدهُ احياناً انساناً خالياً مما لا يمكن ان نقيس نفوسنا بهِ ٠ فاجعل نصب عينيك اذن انهُ ليس في الاحوال الاجتماعية احقر من حال امرىء يعكف على التكالب على

الغنى فقط لانهُ باعتبارهِ واعتدادهِ بذلك الذي لا قيمة لهُ الاَّ في الخارج قد يفقد الصفة الحقيقية لكمال الجنس البشري وعكس اي عكس قيمة الانسان الصحيحة . نعم كسب الدرهم انا من اول من يقول بهِ وينصح لكن بالقدر اللازم للعيش والنفقة في الشؤون الحيوية وتوفير بعض الشيء للمستقبل ولكن أحذرك من ان تجعل كل همك منصرفاً الى الجشع والتكالب على "جمع المال" او الثروة كما يقولون فلقد تضافرت الآراء ووقع الاجماع بين عظماء الحكماء وكبار الفلاسفة كسقراط وافلاطن وارسطاطاليس والقديس بولس على ان من الانهماك الشائن الاشتغال بجمع المال وانهُ كلما كان احلالهُ بالمنزلة السامية من النفوس كلما سقطت همم تلك النفوس وسفلت حتى في اعين ذاتها

فينبغي عليك اذن ان لا تعتد ولا تحفل الاَّ بالكفاءة العقلية والادبية من ذاتك — وقيمة المرء ما يحسن — وانت على طول المدى تظهر لك حقائق الاشياء على حقيقتها فلا ترى من ثم "عظيماً" ولا صاحب "قناطير من الذهب والفضة" قد يرى نفسهُ انهُ اسمى منك منزلة واجل قدراً ولا ترى انت نفسك احط منهُ مقاماً . انتهى

ويظهر ان ترجمة الكتاب مرتين اضاعت بعض رونقهِ او ان لغتهُ كانت كثيرة التعقيد فلم يسهل على المترجم افراغهُ في قالب عربي بعبارة سلسلة ويا حبذا لو زاد عناية بتنقيحه وتصحيحهِ لا سيما وان كتَّاب العرب طرقوا اكثر مواضيعهِ فيسهل على المترجم ان يأخذ إخذهم فيأتي الكتاب كأَنهُ من اوضاعهم

الريحانة

مجلة تاريخية ادبية قصصية لصاحبتها ومحررتها السيدة جميلة حافظ

ان كان ما في هذه المجلة من انشاء السيدات اللواتي نُسب اليهنَّ فقد فقنَ الرجال في بلاغة الانشاء وحسن البيان كما يرى من الرسالة التالية وقد قالت حضرة المحررة انها جاءتها من صديقة عزيزة جمعتها بها الايام حيناً من الدهر مرَّ كاحلام النائم وما اسفت على شيء اسفها على فراقها قالت

صديقتي جميله

وصلني العدد الاول من ريحانتك الزاهرة فانتعشت بانتشاق عبيرها الطيب ووددت لو انني كنت معك في بلد واحد كما كنا من قبلُ حتى اتمتع بسماع كلماتك العذبة وحديثك الرقيق فانعم بسماع تلك العبارات العالية خارجة من مصدرها الكريم فيغنيني ذلك عن تتبعها

بنظري على صفحات القرطاس بعد ان ادمجتها يد الطابع في اسطر من الحديد ومرت عليها آلة الطباعة بعنف وقساوة فجوفت على الطرس كلمات لونها اسود وقلبها ابيض ينبعث النور من بين احرفها انبعاث شعاع الروح من الجسد

كلمات ملؤها الحياة ان سمعتها من فمك فانني اراها كأنها مصورة امام عيني باحرف من نور وان قرأتها على القرطاس فانني اسمعها كأنها تملى عليَّ من فمكِ بعذوبة تأخذ بمجامع قلبي فاطير شوقاً اليك

أتعلمين في ماذا افكر عند قراءة كلماتك ؟

انني افكر في سر الحياة البعيد الغور ذلك السر الذي اشرتِ اليهِ في فاتحة مجلتك الرائقة افكر في ذلك السر لانهُ يعنيني ولهُ علاقة كبيرة بحياتي كما ستعلمين من رسالاتي المقبلة اقرأ كلماتك فاتصور الحياة . كيف ذلك ؟

ذلك انني ارى معانيك روحاً لطيفة والكلمات التي تحويها اجساماً رقيقة تعرض على الاعين فتصل الى القلوب فتنشرح لها وتمتزج بها امتزاجاً روحانياً

وان من المعاني لما هو لطيف رقيق يأسر النفوس ويخلب الالباب فتخضع لهُ العقول وهذا مثال ما قرأتهُ في ريحانتك

وان منها لما هو ثقيل تنفر منهُ الاذواق ويغشى العقول بسحابة قاتمة كما يغشى الغمام ضوءَ القمر

وهذا مثال اقوال كثيرة شوشت على عقول القارئين

كذلك الارواح يا عزيزتي منها ما يألف الخير فيرفع على العالم سماء السعادة والهناء . ومنها ما جُبِل على الشر فيعكر صفاء تلك السعادة ويجلب الهم والاسى

فلا تسلي عما لقيتهُ من التسلية عند وصول ريحانتك اليَّ فقد انتشقت منها عبيراً زكياً وصل الى قلبي فانعش روحي وذكرني بايام لنا سلفت

لعلكِ ايتها الصديقة العزيزة تحسبينني لا ازال بعد الزواج كما كنت من قبل .. فتاة منبسطة النفس منشرحة الصدر طروبة سعيدة لا افكر في غير الهناء ولا احلم بسوى السعادة . لعلك تحسبينني لا ازال كما كنت ايام اجتماعنا في مجالس الكمال لا نشعر الا بمودة صادقة ومحبة متناهية يؤنسنا حديث الادب ونتسلى بمطالعة الكتب ؟

آه ايتها العزيزة لقد مر ذلك الزمان وانقضي واعقبتهُ ايام ما كنت لاحلم بها في افظع الاوقات ومن ذا الذي يفكر في الشقاء في ايام سعادته ؟

صديقتي ان هذا الانقلاب الغريب هو الذي جعلني افكّر في سر هذه الحياة المدهشة ولكنني ما حاولت مرة التفكير حتى غلب عليّ اليأس واستحكم من نفسي الشقاء فانصرف مرة الي البكاء كالاطفال وطوراً يستولي علي جمود غريب فيلهيني عن كل شيء حتى عن التفكير ولعل هذا ما يسميهِ الناس ذهولاً

ولقد كان لي من ريحانتك اكبر مسلٍ علي ما انا فيهِ تخففت عني بعض الهموذ كرتني بايامنا الماضية حتى تصورتها مجسمة امام عيني في اجمل الحال وابهاها فهممت بلمسها ..

صديقتي . من رسالتي هذه اتضح لك ان حالي قبل الزواج انقلبت الى ضدها بعده واظنك اصبحت مشوقة لمعرفة ما تمّ لي بالتفصيل واني مطلعتك على ما تريدين فانتظري رسالتي الآتية . انتهى م . ح .

وسواء كانت الرسالة حقيقيةً او تخيليّة فانشاؤها في الطبقة الاولى وهو ادلّ دليل على نجاح المدارس المصريّة واساتذتها في تعليم اللغة العربيّة وعلى نفي ما قيل من ان درس العلوم باللغات الاجنبيّة اضعف العربية فاننا لا نرى ابهج من هذا الانشاء في الازهر مع انقطاع طلبتهِ للعربية وعلومها . وهو والمجلة كلها من ادلّ الادلّة على الفائدة من تعلّم اللغات الاجنبيّة لان انشاءها حافل بالمعاني العصريّة الجديدة التي قلما تخطر على بال من لا يعرف لغة اجنبيّة او مَن لم يطالع كثيراً مما ترجم منها

فنثني على حضرة السيدة الفاضلة محررة هذه المجلّة ثناء جميلاً ونتمنى لمجلتها النجاح التام

السجل المصري

من الغريب ان عصراً مثل عصر المماليك قام فيهِ رجل مثل الجبرتي كتب حوادث كل يوم من ايامهِ وعصرنا هذا يكتفي ابناؤهُ بما ينشر في الصحف السيارة ولا يقوم منهم من يكتب حوادث الايام يوماً يوماً حتى لو اراد احد أن يجمع حوادث الثورة العرابية واكثر الذين شاهدوها لم يزالوا في قيد الحياة لتعذر عليهِ ذلك . ولهذا احسن حضرة الكاتب الاديب علي افندي يوسف الكريدلي بنشرهِ كتاباً دوريًا يصدر في منتصف كل شهر مشتملاً على كل ما جرى في الشهر السابق من الحوادث والوقائع واعمال الحكومة من اوامر عالية ومنشورات ولوائح وتنقلات ورتب ونياشين ووفيات ومواليد وافراح الخ . فعسي ان يوفق الى الجري في هذا السجل دواماً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الشيخ ابرهيم اليازجي

الاسكندرية . محمد افندي صادق . اشرتم في جريدتكم المقطم الى بعض صفات فقيد اللغة العربيَّة الشيخ ابرهيم اليازجي وقلتم انكم ستكتبون عنهُ بالاسهاب في المقتطف وحتى الآن لم تنجزوا الوعد فما سبب ذلك

ج ان من كان لهُ مقام علمي لا يليق ان يترجم في المقتطف من غير ان يذكر ما امتاز بهِ وما افاد بهِ العلم ولا بدَّ من الوقوف في ذلك عند الحقائق المقرَّرة والاَّ كان الكلام مثل نظم الشعراء يصفون كل احد بانهُ بحر كرم واسد حرب وقس فصاحة ولو لم يكن شيئاً من ذلك . ونحن نعلم ان للفقيد آثاراً يذكر بها ولكننا لم نطَّلع الاَّ على الملحق الذى الحق بهِ شرح ديوان المتنبي ولما رأينا اننا عاجزون عن الوقوف على آثارهِ العلميَّة والبحث فيها بحثاً يجيز لنا ان نصفهُ بما هو اهلهُ اقترحنا على رجل من اعز اصدقائهِ واكثرهم ان يكتب لنا ترجمة مسهبة لهُ وكان ذلك بعد وفاتهِ بيوم او يومين فوعدنا انهُ يفعل حالاً ومضى ذلك الشهر فذكَّرناهُ بوعدهِ فاعاد الوعد ثم كررنا فكرَّر والظاهر ان انحراف صحتهِ وكثرة اشغالهِ اخَّراهُ عن الوفاء بوعدهِ حتى الآن

وقد جرى لنا في ذلك مثل ما جرى في ترجمة السيد جمال الدين الافغاني فاننا اقترحنا كتابة ترجمتهِ على اعز اصدقائهِ ومريديهِ الشيخ محمد عبده فوعدنا انهُ يفعل ذلك ثم لم يتمكن من انجاز الوعد

هذا من جهة الترجمة اما الرثاء والتأبين فلم يقصر المقتطف فيهما لاننا نشرنا مرثية فيهِ لاعز اصدقائهِ واوسعهم علماً وابلغهم انشاء وتأبيناً لاكبر علماء المشرق

(٢) اول ناطق بالعربية

ومنهُ . من اول ناطق باللغة العربية ومن اول راسم لحروفها الابجديَّة

ج ان البحث العلمي في اصل اللغات اسفر عن ان الناس ابتدأوا ينطقون منذ عصور قديمة جدًّا إما في مكان واحد او في اماكن مختلفة وكانت لغاتهم الاولى اصواتاً

قليلة ثم زادت عددًا وتركبًا على توالي الازمان وكل شعب انفصل عن غيره تنوَّعت لغتهُ على مرور الزمن حتى اختلفت عن لغات سائر الشعوب . فالشعب الذي سكن بلاد العرب ومرَّت عليهِ سنون كافية لفصل لغتهِ عن سائر اللغات الساميَّة هو اول من نطق بالعربيَّة . وقد كان العرب يكتبون قبل الاسلام بقرون كما يظهر من آثارهم الباقية الى الآن ولا يُعقل انهم كانوا يجرون في مصر والشام والعراق وهم يجهلون الكتابة لا سيما وان اخوانهم اهالي بابل واشور وسورية ومصر كانوا يكتبون ويتراسلون كتابة منذ اكثر من اربعة آلاف سنة وكان الخط في القرن الاول للهجرة شبيهًا بالخط الذي يكتب بهِ الآن ولذلك فالخط العربي سابق لزمن التاريخ عند العرب فلا يعلم كيف ابتدأ ولا عبرة بما ذكرهُ مؤرخو العرب من هذا القبيل لانهُ ليس اسقم مما كتبوهُ عما حدث قبل زمانهم

(٣) شجر البان

مصر . ابرهيم بك زكي . كثيرًا ما نسمع في كلام الشعراء عن شجر اسمهُ البان يصفونهُ في شعرهم وقد اطلعنا في كتب الطب القديمة على انهُ يوجد كثيرًا بارض مصر . وقد سألنا كثيرًا من الزراع عنهُ فلم نجد من يرشدنا اليهِ فنرجو منكم ان تصفوا لنا هذا النبات وتخبرونا هل يوجد في مصر وما هو اسمهُ فيها

ج قيل في كتاب نبات سورية وفلسطين والقطر المصري ان البان موجود "في الغور وبادية سينا ومصر". وقد رأيناهُ في سورية ولكننا لا نتذكر اننا رأيناهُ في مصر ولا نعلم ماذا يسميهِ اهل مصر واسمهُ العلمي مورنجا Moringa وهو شجيرات اوراقها ثنائية التفصيل الريشي بلا ذنيبات والموجود منهُ في سورية اوراقهُ مستطيلة كالَّة والسفلى منها مترادفة غالبًا يحمل قرونًا ذات ستة ميازيب فيها بزور بلبليَّة بلا اجنحة . ومنهُ صنف مجنَّح البزور ينبت في جزيرة ملبار وجزيرة جاوى وطعم بزرهِ حرّيف وجذورهُ حريفة جدًّا كجذر الفجل وهي منفطة كاوراقهِ

وغير المجنَّح البزور ينبت في بلاد العرب وفلسطين ومصر قال ابن البيطار هو شجر يسمو ويطول في استواء مثل نبات الاثل وورقهُ هدب كهدب الاثل وخشبهُ خوَّار رخو ضعيف وقضبانهُ سمجة خضر وهدبهُ ينبت في القضب وهو طويل اخضر شديد الخضرة وثمرتهُ تشبه قرون اللوبياء الا ان خضرتها شديدة وفيها حبهُ واذا انتهى انفتق وانتثر حبهُ وهو ابيض اغبر مثل الفستق ومنهُ يستخرج دهن البان وتنبت هذه الشجرة ببلاد الحبش ومصر وبلاد المغرب وبالموضع من فلسطين المسمَّى بطبرا ونقل عن جالينوس انهُ ينفع من الكلف والنمش والجرب والحكة والعلَّة التي يتقشَّر منها الجلد

(٤) ناظم بيت

مصر . محمد افندي امين . هل تعلمون من هو ناظم هذا البيت

لم اكن من جناتها علم الله
واني بحرها اليوم صالي

ج قال الثعالبي في رسالة الايجاز والاعجاز انهُ للمهلهل وقيل انهُ للحارث بن عباد من قصيدتهِ التي مطلعها قرّبا مربط النعامة مني . ويظهر لنا ان القصيدتين موضوعتان وقصة الحرب كلها موضوعة مثل قصة عنتر وضعها الاصمعي او غيرهُ من كتاب العرب ونظم اشعارها

ومنهُ . ما هو البيت الذي قبل هذا البيت

لو بغير الماء حلقي شرقٌ
كنت كالغصان بالماء إعتصاري

ج قائلهُ عدي بن زيد وقبلهُ

ابلغ النعمان عني مالكاً
انهُ قد طال حبسي وانتظاري

(٥) نسيج وحدهُ

ومنهُ . رأيت كلمة نسيج وحده فلم افهم المراد بها ولا كيفية استعمالها فهل لكم ان تبينوا لنا ذلك

ج قال المفضل في غاية الارب يقال فلان نسيجُ وحدهُ اي ليس لهُ ثانٍ كانهُ ثوب نسج على حدتهِ ليس معهُ غيرهُ قال الراجز

جاءت بهِ معتجرًا ببرده
سفواء تردي بنسيج وحده

ووحدهُ منصوبة ابدًا الاَّ في ثلاثة مواضع وهنَّ نسيج وحدهُ وعيين وحدهُ وجحيش وحدهُ

(٦) عيد الفصح الشرقي

الزقازيق . السيدة ماري مقلع . من المعلوم من مطالعة تاريخ الكنيسة العام ان قانون عيد الفصح عند الغربيين هو متى وقع الاعتدال الربيعي في ٢١ مارس فبدر القمر الذي يقع بعدهُ والاحد الاول يكون عيد الفصح . اما عند الشرقيين فالاحد الاول الذي يقع بعد عيد اليهود يكون عيد الفصح ولكن هذه السنة يقع عيد الشرقيين بعد عيد اليهود باربعة اسابيع او خمسة فما سبب ذلك

ج كان الشرقيون يفعلون ذلك ثم جروا على القاعدة التي وضعها المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وهي ان عيد الفصح يكون في الاحد التابع للبدر الواقع بعد ٢١ مارس . وهذه السنة وقع ٢١ مارس الغربي في ٧ من الشهر القمري ووقع بدرهُ يوم الخميس في ٢٨ مارس الغربي فالاحد الواقع بعدهُ وقع في ٣١ مارس وهو عيد الفصح الغربي

ووقع ٢١ مارس الشرقي في ٣٠ من الشهر القمري فتقدم العيد الى الشهر القمري التالي وبدرهُ واقع في ١٥ ابريل (نيسان) الشرقي اي يوم الاحد فتقضي القاعدة المتقدمة ان يتأخر العيد الى الاحد التالي الواقع في ٢٢ ابريل الشرقي او ٥ مايو الغربي



استعفاء اللورد كرومر

لقد كان للورد كرومر الشأن الاكبر في ارتقاء القطر المصري وبلوغهِ الدرجة التي بلغها من حيث السعة المالية وحريَّة اللسان والقلم والامن على الارواح والاعراض. وكل ذلك مما لا بدَّ منهُ لترقية العلوم والفنون فقد ابنَّا غير مرة ان تاريخ العمران يدلُّ على ان السعة تمهد السبيل للعلم وان الامم التي اينع العلم فيها هي الامم التي توفَّرت ارزاقها اولاً وسهل على النابغين من ابنائها ان ينقطعوا للاشغال العلميَّة. وحتى الآن لم نرَ احدًا من ابناء هذا القطر انقطع للبحث في موضوع علمي كبير الشأن ولكن كثر اقبالهم على طلب العلم في المدارس العالية وعلى المطالعة والترجمة والتأليف والفضل في ذلك للذين رقَّوهم ماديًّا فسهلوا عليهم الارتقاء الادبي واللورد كرومر احرى من غيره بالجانب الاكبر من هذا الفضل ولذلك وقع استعفاؤُهُ اشد وقع على النفوس في هذا القطر وفي كل البلدان التي لها علاقة بهِ. وجاء خبر استعفائهِ فجأَةً نقلهُ البرق عن لسان السر ادوارد جراي وزير الخارجيَّة الانكليزيَّة فقد قال في مجلس النواب في الحادي عشر من ابريل ما تعريبهُ

قرَّ رأْي اللورد كرومر بمشورة اطبائهِ على وجوب استعفائهِ من وظيفتهِ لاسباب صحية. وأرى الاحسن ان اقرأ للمجلس التلغراف الذي جاء منهُ منذ ايام قليلة وهو

"اعتمدت ان اطلب منكم قبول استعفائي وانما اعتمدت على ذلك بعد تامل طويل واستشارة طبيبي والسر ستيفن مكنزي الذي هو هنا الآن. واود كثيرًا ان يعلم الناس ان اسباب استعفائي كلها هي حالة صحتي ولا دخل في ذلك للاعتبارات السياسة على الاطلاق. واود بالاخص ان اقول ان الوزارة الحالية ايدتني تأْييدًا لا يفوقهُ تأْييد فانا متأسف اشدَّ الاسف لاضطراري الى قطع الصلات الرسمية معكم ولكن ليس في اليد حيلة بعد ما قضيت تسعًا واربعين سنة في خدمة الحكومة فقد ضني جسمي ولم اعد استطيع ان احتمل اثقال الاشغال الزائدة التي تقتضي وظيفتي هنا احتمالها. واشعر ايضًا انهُ لم يبقَ لي صحة ولا قوَّة على القيام بحق المهام ومصالح العباد المتعلقة بتلك الاشغال. فالطبيبان كلاهما متفقان رأيًا على وجوب تركي للشغل".

فهذا الخبر اوجب اسفنا العظيم وسيوجب اسف هذا المجلس كذلك · اما انا شخصياً فلساني قاصر عن وصف اسفي . فاننا كنا نلقي اتكالنا على اللورد كرومر ونضع ثقتنا بهِ كما فعلت الوزارات الانكليزية المتتابعة منذ سنين كثيرة · وقد دارت المراسلات بيننا وبينهُ بعد ذلك على امل ان لا يكون استعفاؤُهُ نهائيًّا . ولكننا لما ثبت لنا ان رجوع عافيتهِ (المأمول رجوعها في المستقبل ان شاء الله) متوقف لا محالة على اعتزالهِ للاشغال التزمنا أن نقبل استعفاءهُ

وليس هذا محل الكلام عن العمل الذي عملهُ اللورد كرومر في مصر فستسنح فرص أُخرى ابسط الكلام عنهُ ولكني اروم ان اقول في الحال ان حكومة جلالة الملك تقصد ان تحافظ على عملهِ وان تستمرَّ على اتباع السياسة التي استنبطها وشرحها ابدع شرح في تقريرهِ الاخير الذي عرضناهُ على البرلمان الآن

على اني لا استخف المشقة التي سنلاقيها لندبير من دونهِ ذلك العمل الذي كان متوقفاً كل هذا التوقف عليهِ . فمفارقتهُ لمصر اعظم خسارة شخصيَّة يمكن ان تقع على خدمة الحكومة في هذه البلاد . فانهُ في اوائل سني الاحتلال لم يكن احد يصدق ان انساناً ينجح نجاح اللورد كرومر لو لم يكن قد نجحهُ فعلاً لكثرة ما كان في مصر من الصعوبات والمشكلات حينئذٍ . وان كانت سبل التقدم والنجاح قد سهلت بعد ذلك بسبب الثقة بالاحتلال وما حاز من السطوة والنفوذ فان اللورد كرومر نفسهُ هو الذي اوجد تلك الثقة والسطوة

وقد صادق الملك على تعيين السر الدن غورست للوظيفة التي خلت باستعفائهِ في القاهرة وكان تعيينهُ لها بعد مشاورة اللورد كرومر في ذلك . فان السر الدن غورست يعرف مصر معرفة خصوصيَّة ولم يكتسب احد ثقة اللورد كرومر كما اكتسبها ولا شاركهُ احدٌ في اشغالهِ قدر مشاركتهِ لهُ وانا واثق ان اختيارهُ لتولي عمل اللورد كرومر احسن واسطة لحفظ ذلك العمل والاستمرار عليهِ · انتهى

ولم يكد هذا الخبر يشيع في القطر حتى جعل وجهاؤُهُ وعظماؤُهُ واصحاب الكلمة فيهِ يفدون الى الوكالة البريطانية لاظهار اسفهم على استعفائهِ او يرسلون اليها بالتلغرافات معربة عن اسفهم واسف مَن ينوبون عنهم وعن اعترافهم بفضلهِ العميم وربما عدنا الى تفصيل ذلك في فرصة أُخرى

اعلاء خزان اصوان

ارسل جناب اللورد كرومر رسالة الى نظارة الخارجية الانكليزية في ١٥ مارس الماضي عن اعلاء خزان اصوان لزيادة مياه

الري الصيفي وارسل معها مذكرات بقلم السر وليم جارستن والسر بنيامين بيكر والمستر وب والكبتن ليونس مدير مصلحة المساحة فعرضتها النظارة على مجلس النواب مساء الاربعاء الماضي ونشرتها من جملة اوراق ذلك المجلس

ومن اهم ما تضمنته رسالة جناب اللورد ان بناء خزان اصوان عاد على اهل القطر المصري بخير عظيم ولكنهُ لم يعد على الخزينة المصرية بمال كثير لان الحكومة ضربت ضريبة خفيفة على الاطيان التي تروى صيفاً بماء الخزان وتركت معظم الربح لاصحاب تلك الاطيان فقد قدر السر وليم جارستن ان ثمن تلك الاطيان زاد ٢٤٥١٠٠٠٠ جنيه مصري وانهُ سيزيد بعد اتمام الترع والمصارف المراد حفرها حتى تبلغ زيادتهُ ٢٨٨١٢٩٠٠ ج م وان قيمة الايجار زادت ١٤٦٥٠٠٠ ج م وانها ستزيد ايضاً حتى تبلغ زيادتها ٢٠٢٢٣٥٠ ج.م وقد استفادت مصر ايضاً من الخزان وقاية محصول القطن من شر الظمإِ فقدرت قيمة المحصول الماضي بمبلغ ٢٨٠٠٠٠٠ ج.م

ويقدر ان الخزان يعطي القطر المصري نحو ربع ما يحتاج اليهِ من الماء في المستقبل فاذا أُعلي كما يطلب السر وليم جارستن الآن تضاعف مقدار الماء الذي يجري منهُ الى القطر المصري بعد تبخر ما يتبخر منهُ فيمكن حينئذٍ ارواء ٩٥٠٠٠٠ فدان من الارض البائرة التي لا تزرع الآن وتكون قيمة محصولها من ٣٥٠٠٠٠٠٠ ج م الى ٤٠٠٠٠٠٠٠ ج م في السنة

ويرى السر وليم جارستن ان لزيادة المياه طريقتين احداهما خزنها في خزانات تقام في وادي النيل والاخرى حفظ المياه التي تضيع الآن في مستنقعات بحر الجبل وتوجيهها في النيل صيفاً الى الخرطوم حتى تأتي الى هذا القطر وقد تبين بعد استيفاء البحث انهُ لا بد من هاتين الطريقتين معاً لاعطاء القطر المصري ما يحتاج اليهِ من الماء الصيفي لارواء اطيانهِ كلها . وقد نظر المهندسون كل موقع يمكن انشاء الخزانات فيهِ فاجمعت آراؤُهم على انهُ لا يفي شيء بالغرض المطلوب غير اعلاء خزان اصوان وهذا يقتضي غمر جزيرة انس الوجود بالماء وهو مما يقضي بالاسف ولكن لا غنى عنهُ اذ لا يجوز ان نضحي مصالح المصريين في الحال والاستقبال لحفظ هياكل تلك الجزيرة من ضرر الماء . انتهى

وصف الفلسفة

قال الاستاذ جمس الاميركي يجتمع جماعة في غرفة التدخين ويذكر احدهم موضوعاً من المواضيع الفلسفية كحرية الارادة او علم الله بكل شيء او الخير والشر فترى كلاً منهم قد اعتنى الى البحث او اشترك فيهِ . والفلسفة تتناول كل ما يشتغل بهِ عقل

الانسان سامياً كان او تافهاً نعم انها لا تخبز خبزاً كما قيل ولكنها تبث الشجاعة في النفس ولا احد يستطيع ان يعيش من غير ان يستنير باشعة من نورها مهما كانت مباحثها عويصة ومناقشات رجالها عقيمة . وهذه الاشعة مع ما يصاحبها من الظلمة الدامسة ظلمة الغموض والابهام تزيد الرغبة فيها وتحببها الى النفوس

وقد يظنُّ كثيرون كما ظن احد الطلبة في مقالة كتبها واطلعني عليها ان من يدخل مدرسة الفلسفة يحسب انهُ دخل عالماً روحياً سامياً يختلف عن العالم المادي كل الاختلاف حتى يتعذر عليهِ ان يشغل عقلهُ بهما في وقت واحد . والعالم المادي الذي تركهُ في السوق مختبط مرتبك كثير التشويش واما العالم الروحي الذي تقود الفلسفة اليهِ فجميل منتظم كأنهُ هيكل من المرمر الناصع البياض على قمة جبل فهو ليس مما تتضح بهِ حقيقة عالمنا المادي بل هو ملجأ تلجأ اليهِ النفوس من الاختباط والارتباك اللذين في هذا العالم المادي

والجمال والانتظام حسنان لذاتهما ولكن الفلسفة التي ليس فيها غيرهما لا تشبع نفس طالب الحقيقة المفتش عن علاقتهِ بالعالم المادي ولذلك تجد علماء الطبيعة يديرون ظهورهم الى الفلسفة كأنها شيء لا يحق لهُ ان يخرج من ديارات الرهبان . ورجال الاعمال ينفضون غبارها عن ارجلهم ويجرون في ميدان الحياة

دار كارنجي

ان كارنجي المثري الاميركي المشهور جمع اكثر ثروتهِ في مدينة بتسبرج باميركا فانشأ فيها داراً علمية كبيرة اعترافاً بذلك انفق عليها ثلاثة ملايين واربع مئة الف جنيه . وهي مؤلفة من مدارس علمية وصناعية ومكاتب ومتاحف من اعظم ما انشئ في المسكونة حتى الآن . وقد فتح جانب من هذه الدار بصورة رسمية في الحادي عشر من شهر ابريل باحتفال عظيم

وبلغ ما وهبهُ كارنجي لبتسبرج واليغني حتى الآن ستة ملايين واربع مئة الف جنيه وجملة ما وهبهُ للنافع العمومية ثلاثة وثلاثون مليوناً وثلثمئة الف جنيه . وهب منها في الاربع السنوات الاخيرة عشرة ملايين وثمانمئة الف جنيه . فرجل مثلهُ يستحق ما نالهُ من الغني لانهُ ينفقهُ في انفع الاعمال

هبة عظيمة

تبرعت مسز رسل ساج الاميركية بمليوني جنيه ينفق ربعها في ما يصلح حال الناس في الولايات المتحدة الاميركية بالتعليم والتهذيب والبحث العلمي ونشر الكتب العلمية وما اشبه

النفقات الحربية

كانت دول اوربا تنفق على حربيتها سنة ١٨٩٩ نحو ١٤٦ مليون جنيه وعلى بحريتها نحو ٦٠ مليون جنيه والجملة ٢٠٦ ملايين جنيه وستنفق هذا العام على حربيتها ٢٠٠ مليون جنيه وعلى بحريتها اكثر من ٨٠ مليوناً والجملة ٢٨٠ مليون جنيه فتكون نفقاتها السنوية على الحربية والبحرية قد زادت ٧٤ مليون جنيه وهذا المبلغ يعادل فائدة ١٨٥٠ مليون جنيه فلو عملت دول اوربا سنة ١٨٩٩ حسب مشورة القيصر وابطلت زيادة نفقاتها الحربية والبحرية واقتصرت على ما كانت تنفقهُ حينئذٍ لانقذت شعبها من انفاق هذا المبلغ الطائل من المال على غير جدوى لانها ليست الآن اقوى مما كانت قبلاً على مقاومة بعضها بعضاً . والدول التي زادت نفقاتها الحربية والبحرية اكثر من غيرها هي المانيا وانكلترا وروسيا والنمسا كما ترى في الجدول التالي وهو بملايين الجنيهات

	١٨٩٩	١٩٠٧	الزيادة
المانيا	٣٤	٥٤	٢٠
انكلترا	٤٢	٦٢	٢٠
النمسا	١٦	٣٦	٢٠
روسيا	٣٤	٥١	١٧

فعسى ان تتفق هذه الدول في مؤتمر السلم التالي على تقليل النفقات الحربية او ربطها عند الحد الذي وصلت اليهِ والاَّ فلا يبعد ان تقوم شعوبها عليها وتطلب النجاة من هذا الاسراف الذي تكاد ترزح تحت اعبائهِ

اعتناءُ السمك بصغارهِ

قال ارسطوطاليس ان سمك القط المكدوني يحمي المكان الذي تولد فيهِ صغارهُ وقد انكر علماءُ الطبيعة بعد ذلك على السمك كل اهتمام بامر صغارهِ وقالوا ان السمكة تبيض بيضها وتتركهُ لكن اثبت الآن احد العلماء ان سمك اناء العذب يهتم باعداد المكان الذي تولد فيهِ صغارهُ وبعضهُ يصنع شيئاً شبه عش تولد الصغار فيهِ

النيل الصناعي والطبيعي

ان الذين يصنعون النيل ويتجرون بهِ يدَّعون انهُ مثل النيل الطبيعي تماماً في صبغهِ ولكن الصباغين يقولون ان للنيل الطبيعي رونقاً لا يوجد في النيل الصناعي . وقد وضعت هذه المسألة الآن موضع البحث المدقق فقوبل بين النيل الطبيعي والصناعي مقابلة دقيقة بعد صبغ مقدار كبير من المنسوجات بكل منهما فثبت ان لما يصبغ بالنيل الطبيعي رونقاً لا يوجد في ما يصبغ بالنيل الصناعي وان لون الصبغ بالنيل الطبيعي اشد من لونهِ بالنيل الصناعي فثبتت افضلية الطبيعي على الصناعي من هذا القبيل

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثاني والثلاثين

الفصل الخامس عشر

اطلاع اغنس على سرّ بقاء متيلدة

خرج الملك العادل من عند متيلدة يفكّر في الاسباب التي حملتها على البقاء في دمياط وارسال الملكة عوضاً عنها . فلم يمكنهُ ان يصدق ان بقاءها نشأ عن مجرّد محبتها للملكة ورغبتها في اجتماعها بزوجها . بل حكم بان ميل متيلدة اليهِ سهّل عليها انكار نفسها وايثار الملكة عليها . وبناءً على اعتقادهِ هذا عزم ان يسعى جهدهُ في تقوية هذا الميل حتى ينمو ويستحيل الى محبة شديدة تشغل قلب متيلدة وتستأثر بعواطفها واميالها وتتغلب على ارادتها وتزيل ما بينها وبينهُ من الحواجز والموانع

هذه الاعتبارات كلها عرضت لهُ في اثناء تأملاتهِ فهشّ لها وبشّ وعلل نفسهُ بادراك ما تصبو اليهِ وتتمنى الحصول عليهِ . ولم يبطئ ان ملّك المحبة قيادهُ وجعلها الآمرة الناهية في جميع شؤونهِ واحوالهِ

ولكنهُ مع خضوعهِ المطلق لسلطة المحبة لم ينسَ العلاقة الاخوية التي تربطهُ بصلاح الدين . ولم يفتهُ ان اخاهُ هذا يتوقع قدومهُ بذاهب الصبر وان مصير سلطنتهِ متوقف على وصولهِ اليهِ في الوقت المعين . فعليهِ اذًا ان يبذل جهدهُ في الاسراع اليهِ . ولكن ماذا يفعل باميرة انكلترة ؟ ايأخذها معهُ ويعرّضها لخطر قربها من معسكر شعبها ام يبقيها في مصر ويكابد لوعة فراقها ؟

وبعد تأمل طويل في هذا الامر عزم ان ينطلق في الغد بمتيلدة الى القاهرة فيبقيها هناك في قصر الخلفاء محفوفة بما تستحقهُ من الاعزاز والاكرام ويذهب الى ملاقاة اخيهِ في المكان المعين . وعلى الفور اصدر امرهُ الى احد قادتهِ بالمسير بالجيش الى حيث يوافيهِ بعد بضعة ايام . وكانت اغنس في هذه الاثناء قد بثت الرقباء والجواسيس للوقوف على حركات الملك العادل وسكناتهِ . فعلمت انهُ بعد رجوعهِ الى دمياط دخل قصر الملكة عابساً مقطباً وخرج من عندها طلق المحيا باسم الثغر وانهُ عزم على المسير في الغد الى القاهرة وان برنغاريا ذاهبة معهُ . وان عندهُ اموراً مهمة يجب ابلاغها لاخيهِ قبل ذهابهِ اليهِ ولذلك سيرسلها اليهِ الليلة مع رسول مخصوص

فرابها هذا الامر واخطرت الغيرة على بالها ما اخطرت المروءة على بال متيلدة وعزمت ان تحقق الامر بنفسها بما يمكنها من السرعة . ولم تلبث ان اسرعت الى حيث تقيم الملكة

وطلبت ان تراها، فلم تجبها هرميون كونتة لستر الى ذلك بحجة ان الملكة مريضة جداً لا تستطيع مقابلة احدٍ ايًّا كان . فاعترضت اغنس على هذه الحجة بان الملكة قد قابلت الملك العادل وانها عازمة على الانطلاق غداً الى القاهرة فهي اذاً ليست مريضةً وتستطيع ان تقابلها اذا شاءت . لكنَّ هرميون ظلت على عزمها ولم يثنها عنهُ اعتراض اغنس والحاحها . فعادت من حيث اتت وقد زادت اقتناعاً بصحة ما رابها من امر الملكة . وعمدت الى السعي في الوقوف على جلية الامر من وجهٍ آخر . وذلك بان اجتمعت بالرسول الذاهب برسالة الملك العادل الى اخيهِ ورشتهُ بجميع الحلى والجواهر التي كان الملك العادل قد اعطاها اياها فدفع اليها الرسالة وفيها ما خلاصتهُ : —

" وددت ان اطيع اوامرك يا أخي ولكنَّ القدر حال دون ذلك . وكأن الله ابى ان أخلف وعدي لملكة انكلترة . ففي غيابي خُدع المشطوب الذي فوضتُ اليهِ تنفيذ امرك من جهة سفر الملكة على انهُ براءٌ مما حصل وكذلك انا . وسأبرهن لك ذلك عمَّا قليل باسترجاع عكاء ووضع مفاتيح جوهرة الشرق عند قدميك "

فلما اطلعت اغنس على مضمون الرسالة صاحت بصوت الغيظ والغضب : —

" اذاً صدقت هواجسي وظنوني ولم اكن مخدوعة باوهامي ! "

ثم التمس منها العبد ان تعيد الرسالة اليهِ فصاحت بهِ : —

" لن تراها في يدك ابد الدهر . اذهب الى شمال سورية والتمس لنفسك ملجأً حيث تقصر يد الملك العادل عن الوصول اليك "

فما ابطأ العبد ان عمل باشارتها وفرَّ آبقاً حين كان الملك العادل يظنهُ ذاهباً في طريقهِ الى اخيهِ صلاح الدين .

اما اغنس فسعت بعد هذا الى الحصول من بعض حرَّاس القصر على خوذة وترس ورمحٍ وعزمت على إنفاذ ما سوَّلتهُ لها نفسها الاثيمة من اغتيال من عدَّتها مناظرة لها في حب الملك العادل

الفصل السادس عشر

محاولة اغتيال متيلدة

وكانت متيلدة الى الآن تجهل ما عزم عليهِ الملك العادل . فلم تعلم أيبقى معها في القاهرة ام يضطرها الى تصحبهُ الى سوريَّة . وكان كلا الامرين مكروهاً عندها فلا يرضيها غير الانفصال عن الملك العادل ولو بالزجّ في غيابات السجن

وفي صباح اليوم التالي زارها الملك العادل واطلعها على ما عزم عليهِ من جهتها وقال لها : —
" سامضي بكِ الى قصر الخلفاء في القاهرة حيث تقيمين على ما تشائين من السعة والرحب والاعزاز والاكرام واذهب على الفور الى ساحة القتال حيث اقوم بما يفرضهُ عليَّ وطني وصلاح الدين " فصاحت متيلدة : —
" يا لشقاء الافرنج ! اواه يا اخي رتشرد . اسفي عليك يا شقيقي . انك واردٌ حتفك لا محالة بيد خصمٍ لا تستطيع مقاومتهُ ! "
فاجابها الملك العادل : —
" ثقي يا متيلدة اني اضحي نفسي في سبيل دفع كل مكروهٍ يقضي بذرف دمعةٍ واحدة من عينيكِ . ولن يصاب اخوك باذى استطيع دفعهُ عنهُ بنفسي . ولكن اذا بذلت حياتي في سبيلهِ فهل لكِ حينئذٍ ان تذرفي على دمي الزكي دمع رأفةٍ قصرت محبتي عن اكتسابها منكِ ؟ "
وفيما هو يتوقع منها جوابًا على سؤالهِ هذا وهي تحاول إخفاء دموعها التي تبوح لحبها بسرّ ضعفها وتطلعهُ على شيء مما في قلبها ارتفع صراخ مخيفٌ في الغرفة المجاورة ودخل على الفور رجلٌ مدجج بالاسلحة وبيدهِ سيف مسلولٌ وهجم على متيلدة — واذ لم يكن مع الملك العادل سلاح يحميها بهِ عزم ان يقيها بنفسهِ فحال بينها وبين الذي هجم عليها ولكنَّ اليد التي اعدَّت السيف لاختراق قلب متيلدة قصَّرت عن ان تبلغ بهِ فؤاد الملك العادل فلم تصبهُ بسوى جرح خفيف اسال دمهُ غزيرًا . فلما رأت متيلدة الدم صابغًا حلتها البيضاء توهمت ان الضربة قاضية فاضاعت رشدها وخانها عزمها وهمت بالسقوط على وجهها لو لم تسندها يد هرميون التي اسرعت بالمجيء اليها على اثر دخول اغنس.
اما الملك العادل فترك متيلدة مغشيًّا عليها بين يدي كونتة لستر وخرج يتأثر الجاني . فادرك اغنس خارج المصلَّى واذا بها قد تنحَّت الى جانبٍ وقالت لهُ والسيف مسلول في يدها: —
" احذر فلن تؤانس من يدي ضعفًا ولا رحمةً "
" تبًّا لكِ ! "
" نعم تبًّا لي لاني لم اتمكَّن من الانتقام كما اردت ولكن اذا اخفق مسعاي الآن فلن يخفق فيما بعد. "
قالت هذا واسرعت في الخروج . فاوصى الملك العادل هرميون بحراسة سيدتها وخرج يتأثر اغنس ليحول دون إنفاذ مسعاها

ولما افاقت متيلدة من اغمائها سألت هرميون بلهفةٍ شديدة

" اباقٍ الملك العادل حيًّا ؟ "

" لم يُصَبْ بسوى جرح خفيف وقد خرج لاطفاء الفتنة التي شبّت اغنس نارها فانها وشت بالملك العادل الى الجيش والشعب وقالت لهم انهُ استهان باوامر صلاح الدين فأطلق الملكة وابقاكِ انتِ وانهُ مفتون بحبكِ . فهاجوا كلهم وماجوا وتبعوها الى ابواب القصر طالبين حياتكِ . ولو اصابتكِ الطعنة التي وجّهتها تلك الاثيمة اليكِ لقضت عليك حالاً ولكن محبتها للامير حالت دون اصابتها مقتلاً منهُ ومن هذا يتّضح لكِ انهُ عرّض نفسهُ للقتل حبًّا بوقايتكِ منهُ "

وفي المساء جاء دوق نورفولك واخبر متيلدة بان الملك العادل تمكن من اخماد الفتنة وان اغنس لاذت بالفرار وقد فتشوا عنها في المدينة كلها فلم يقفوا لها على اثر

وكانت هذه الحادثة قد حملت الملك العادل على تغيير ما رتبهُ من جهة متيلدة فعدل عن ابقائها في القاهرة وعزم ان يأخذها معهُ . وكتب الى صلاح الدين رسالة أُخرى اخبرهُ فيها بما كان من امر الفتنة التي اثارتها اغنس في دمياط وارسلها اليهِ مع احد رجالهِ الامناء

اما اغنس فلما رأت خيبة مساعيها الشريرة تدججت بالسلاح الكامل وامتطت جواداً يسابق الرياح فسار بها ينهب الارض على طريق سورية . وفيما هي سائرة في طريقها ابصرت رجلاً يجري وراءها على ظهر ناقةٍ فعلمت على الفور انهُ رسول من قبل الملك العادل فاستوقفتهُ فلم يحفل بها فحملت عليهِ وقومت سنان رمحها نحوهُ ففعل مثلها ولكنها عاجلتهُ بضربةٍ القتهُ على الارض وغادرتهُ ضحية امانتهِ لسيدهِ . وما ابطأت ان عمدت اليهِ وانتزعت الرسالة من صدرهِ واستأنفت مسيرها

ولما اطلع الملك العادل متيلدة على عزمهِ ان يأخذها معهُ الى حيث ينتظرهُ اخوهُ توسلت اليهِ ان يسمح لها بالذهاب الى اطلال دير على شاطئ البحر . فدهش اشدّ الدهش من طلبٍ كهذا واخبرها بما في طريقها الى الدير المذكور من المخاطر والصعوبات التي يتعذر على من كان مثلها ان يتغلب عليها . فلم تنثنِ عن عزمها بل الحت عليهِ واكثرت من التوسل والالتماس قائلةً ان اتكالها على معونة من انقطعت لعبادتهِ يسهل عليها كل صعب ويقيها كل خطرٍ

ولما رأى انها مصرةٌ على عزمها هذا اصراراً يصعب عليهِ ان يحوّلها عنهُ وعدها انهُ ينظر في الامر بعد وصولهِ الى القاهرة

وخرج من عندها متعجباً جدًّا من ثبات جاشها وشدة عزيمتها وغير مصدق ان فتاةً مثلها تقدم على تعريض نفسها لتحمل اخطار واتعاب مثل هذه

الفصل السابع عشر

السفر الى القاهرة

وفي صباح اليوم التالي خرجت اميرة انكلترة يصحبها دوق غلوسستر وهرميون كونتة لستر وبعض الضباط الانكليز الى شاطئ النيل حيث كانت سفينة معدّة لاخذهم الى القاهرة . فتقدمهم الملك العادل وصعد بمتيلدة الى سرادق من نسيج الذهب مفروش باثمن البسط الفارسيّة وعليهِ انفس النمارق فاجلس الاميرة وجلس بجانبها

ونشر البحارة الشُرُع واعانوا الريح بمجاذيفهم فدفعت السفينة من موقفها فسارت تشق بهم لجج النيل الى القاهرة . وكانت مظاهر الطبيعة على جانبي النهر مما يسرُّ النواظر ويبهج الخواطر ولكن متيلدة حرمت نفسها لذة التمتع بهذه المشاهد الجميلة وارخت برقعها الطويل واحتجبت في مطاويهِ واخفت يديها في ثنايا كميها . واخذت افكارها تجول حول موضوع ذهابها الى الدير على شاطئ البحر الاحمر وانفصالها الابدي عمن احبها محبة لا توصف وخاطر بنفسهِ في سبيل نجاتها من يد اغنس . فتمثلت لها مرارة اليأس التي يتجرعها بفراقها وشق عليها ان تقابل معروفهُ العظيم بمثل هذا الصدّ والاعراض . فرثى لهُ قلبها وحدَّثها بوجوب العدول عن عزمها وكادت تصغي الى هذا الصوت الجديد لولا ان ضميرها وبخها على ما بدا من ضعفها وذكّرها نذورها وما عليها من الواجبات لله

وكان الملك العادل في هذه الاثناء يتفرّس في جمالها المنقطع النظير ويزداد بها شغفاً وهياماً . واذ لم يعد يسعهُ الصبر على الانقطاع عن محادثتها مدَّ يدهُ ليمسك بيدها فانتزعتها منهُ وقالت وهي في ذهول عميق اشبه بسباتٍ :—

"اللهمَّ عفوك وغفرانك ! انك شاهدٌ يا الهي على جهادي العنيف في مقاومة هذا الحب اصفح عن ضعفي وعجزي وهب لي قوّة تمكنني من التغلُّب على اميال قلبي"

ثم التفتت الى الملك العادل وقالت لهُ وقد افاقت من ذهولها :—

"رحماك ايها الامير حوّل عينيك عن شقائي ودعني اذرف دموع الندامة بعيدة عمَّن كان سبب انسكابها . واجعل من هذه الدقيقة فاصلاً ابديًّا بيني وبينك"

فحرك كلامها عاطفة الاحترام في قلب الملك العادل ولم يعد يجسر ان يرفع نظرهُ الى

وجهها . وبعد ما لاذ هنيهة باطراف الصمت قال لها : —

"عيشي بسلام ايتها الفتاة الشريفة . فلن اكلمك بعد الآن عن المحبة التي يغيظكِ سماعها"

ولما وصلوا الى القاهرة لزمت متيلدة عزلة انقطعت فيها عن مقابلة الزائرين ما عدا بعض الجالية الذين لما سمعوا بقدومها اسرعوا اليها للسلام عليها فسألتهم عن المخاطر التي يلقاها المسافر الى ساحل البحر الاحمر ثم اطلعتهم على قصدها بقولها : —

" نذرتُ نذرًا لا تستطيع قوّة على الارض ان تثني عزمي عن اتمامهِ وهو ان اجتاز المفاوز المحرقة لالتمس مشورة الناسك المتعبد المقيم على ساحل البحر الاحمر . فمن منكم يا اصدقائي يروم ان يصحبني في هذا السفر ؟ "

فاجابوا بصوتٍ واحد : —

" كلنا "

" اذًا اكتموا هذا الامر ولا تبوحوا بهِ لاحدٍ . واعدّوا كل ما نحتاج اليهِ سرًّا . وعما قليل أُخبركم بزمان اجتماعنا ومكانهِ "

وبعد خروجهم دخل دوق غلوسستر وقال لها : —

" هو ذا الملك العادل يستعرض الجيوش التي جمعها استعدادًا للزحف بها الى اخيهِ وسيقضي اليوم وغدًا في حشد الجيوش واستعراض الكتائب وبعد غدٍ يذهب بها وبسموّكِ . وقد ارسل هذا الكتاب الى سموكِ واظنهُ يذكر فيهِ تفصيل ما عزم عليهِ "

فتناولت الكتاب من الدوق وتلت فيهِ ما خلاصتهُ : —

" بعد يومين انطلق بكِ الى بلاط صلاح الدين وأعدكِ اني أُطيعكِ في كل ما تطلبين ما عدا إرجاعكِ الى معسكر الافرنج ولا اعارضكِ في شيءٍ ما خلا ذهابكِ الى ساحل البحر الاحمر "

ولكنّ معارضة الملك العادل لم تكن لتثنيها عن عزمها . ولما كانت واثقةً باخلاص دوق غلوسستر وامانتهِ أَطلعتهُ على قصدها فأُعجب بشدة عزمها وثباتها والتمس منها ان تأذن لهُ في ان يصحبها في زيارتها . فاجابتهُ الى ذلك واخبرتهُ بالمكان الذي عيَّنتهُ للتأهب والاستعداد وقالت لهُ : —

" اذهب الى حيث قلت لك وقل للذين وعدوا انْ يصحبوني ان يبذلوا جهدهم في اعداد كل ما يلزم باسرع ما يمكن . وعند ما يرخي الليل سدولهُ ويبرح الملك العادل القاهرة الى منف اذهب اليكم ونخرج معًا لطيتنا "

الفصل الثامن عشر

زيارة الناسك

برح الملك العادل القاهرة الى منف لتعبئة ما بقي من الجيش من غير أن يداخلهُ اقل ريب في ما عزمت متيلدة عليهِ . والاَّ لم يفارقها ساعة واحدة ولكنهُ كان يعلل نفسهُ بأنها مثَّلت لعينيها اهوال المخاطر التي تتهددها في هذا السفر فعدلت عنهُ

ولما اقبل الليل جاء دوق غلوستر الى متيلدة وخرج بها بحجة الذهاب لزيارة عين في المطرية يقال ان العذراء استراحت عليها عند مجيئها الى مصر وغسلت المسيح بمائها . فلما بلغتها وجدت الذين وعدوا ان يصحبوها في انتظارها ومعهم ثلثة ادلاَّء وقد اعدُّوا جملين وبعض الثمار اليابسة ومقداراً من الماء

وكان سيرهم في اليوم الاول سهلاً لم يعانوا فيهِ شيئاً من الصعوبة ولكنهم في اليوم الثاني اقبلوا على اطراف البادية واخذوا يسيرون في رمضاء محرقة لا ماء فيها يروي الظماء ولا اشجار يلطف ظلها حرارة الشمس . ولكنَّ متيلدة ظلَّت على رغم هذه المشاقّ والمصاعب متجلدة متحملةً فلم يبدُ عليها اقلُّ علامةٍ لخوار العزم ولا بدرت منها كلمة بالتذمُّر والشكوى. على انها رثت من صميم فؤادها لما عاناهُ رفقاؤُها من ألم الجوع والعطش والحرّ والتعب وبذلت في مؤاساتهم جهدها وكثيراً ما آثرتهم على نفسها واروت عطشهم بجرعات من قطرات الماء المعينة لها

ولا نشغل القارئ بتفصيل ما عانوهُ من المشاق والمتاعب التي يعجز القلم عن وصفها بل نكتفي بالقول انها كانت اعظم ما يستطيع الانسان تحمُّلهُ . وبعد ما كابدوا في اجتياز البادية جهد البلاء اقبلوا على عين ماء على شاطئ البحر فوردوها بلهفةٍ وشوقٍ لا مزيد عليهما

وبعد ما ارووا غليلهم واستوفت اجسادهم قسطها من الراحة استأنفوا المسير على شاطئ البحر وقضوا يوماً في التفتيش عن اطلال الدير فلم يقفوا لها على اثر - اخيراً ابصرت متيلدة من بعيدٍ صخرة كبيرة يتكسر موج البحر على قاعدتها وفي قمتها شيء مستدق اشبه بالحربة او السهم فحدثتها نفسها بان هذا هو المكان المقصود واهابت برفقائها فخفوا اليهِ مسرعين . ولما دنت منهُ اتَّضح لها ان تلك العلامة في قمتهِ انما هي صليب مرفوع فوق صومعة الناسك . ولما بلغت اطلال الدير جاست خلالها حتى انتهت الى باب مصلًّى او كنيسةٍ صغيرةٍ فدخلتها غير هيَّابةٍ ولا وجلةٍ وقد اعانها ضياء القمر على رؤية الناسك جاثياً في صدرها يقيم صلاتهُ المسائيَّة . فاقتربت اليهِ وقالت لهُ : — " السلام عليك ايها القديس المحترم من الناس والمبارك من الله ! "

فاجفل الناسك من سماع صوتٍ بشريٍّ لم يسمعهُ منذ ثلثين سنة سوى مرة واحدة وزاد عجباً واستغراباً لما رأى صاحب الصوت فتاةً بارعة الجمال وقد اقدمت على ما تخور دونهُ عزائم الرجال . فاستأنفت الاميرة كلامها وقالت لهُ : —

" جئتك ملتمسة منك عوناً ومساعدةً وقد عانيت ما عانيتهُ من المخاطر والاتعاب حبًّا بالحصول على نصائح وارشادات من حكمتك وتقواك وصلاحك فهب لي ما املت ولا تخيب رجائي "

فعطف الناسك عليها وانهضها من مجثاها وقال لها : —

" طيبي ايها الفتاة نفساً فسيكون لكِ ما تطلبين . ولكن من المحقق عندي انكِ لم تجيئي وحدكِ فاين هم رفقاؤُكِ ؟ "

" لقد سبقتهم اليك وها هم قادمون ورائي . واني اسمع الآن وقع اقدامهم خارجاً "

فخرج الناسك لملاقاتهم مرحباً بهم وقد سرَّ جدًّا بمشاهدة بني جنسهِ بعد انقطاعهِ عنهم سنين هذا عددها . وبعد ما حياهم التحية المعتادة واكرم مثواهم ودعا لهم وباركهم سألهم عن بلادهم وشعبهم فقال لهُ دوق غلوسستر : —

" نحن الضباط من اوربا وهولاء الملكيون من مصر وسورية وهذه الفتاة هي الاميرة مثيلدة اخت الملك رتشرد الملقَّب بقلب الاسد "

وبعد ما استراحوا قليلاً دعاهم الى الجلوس حول حجرٍ كبيرٍ منبسط امام مخدعهِ ودخل فاخرج اليهم كل ما عندهُ من الطعام غير مهتم للغد وكان مقصوراً على كمك وتمر وشهد العسل فوضعهُ امامهم على الحجر وطلب اليهم ان يتناولوهُ و يعذروا قصورهُ عن تقديم شيء اخر منهُ قائلاً لهم : — " هذه اول مرة شعرت فيها بفقري مدة الثلاثين سنة التي قضيتها في هذا المكان "

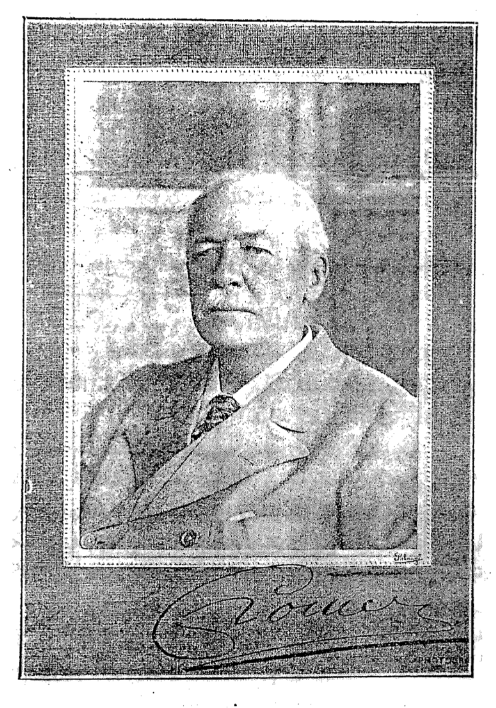
فاجابهُ احد الضباط : — " ان كرم الضيافة في كوخك الحقير اعظم جدًّا مما يراهُ الانسان في بلاط الملوك وقصور العظماء "

فقال الناسك : —

" كان بلاط فرنسا مشهوراً بكرم الضيافة فهل خالف ملكها الحالي ما كان عليهِ سلفاؤُهُ "

فقال لهُ احد السوريين : — " ان ملكها فيليب اوغسطس في سورية مع ملك انكلترة يحاولان استرجاع بيت المقدس من السلطان صلاح الدين "

ثم قصُّوا على الناسك ما لصلاح الدين واخيهِ الملك العادل من الهيبة والسطوة في مصر وسوريةَ وسائر المشرق . وما يلقاهُ ملوك الافرنج من المصاعب في سبيل التغلب عليهما واسترجاع بيت المقدس منهما



لورد كرومر (صورته الاخيرة)

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٧ — الموافق ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٥

لورد كرومر

ليس غرضنا من هذه السطور ترجمة لورد كرومر وذكر اخلاقهِ ومزاياهُ التي امتاز بها وارائهِ السياسية واشغالهِ الادبية التي حاز بها قصب السبق على رجال السياسة في هذا العصر لان هذا الموضوع يقتضي كتاباً كبيراً . ولا غرضنا ان نستقصي ما عمل من الاعمال التي رقت مصر واوصلتها الى ما وصلت اليهِ الآن لان هذا الموضوع اوسع من الاول وتقارير لورد كرومر السنوية تتكفل ببيانهِ والذين يبصرون ويسمعون ويقابلون بين الماضي والحاضر يعرفون اكثر هذه الاعمال ونتائجها سواءٌ اعترفوا بها او لم يعترفوا . وانما غرضنا ان ننظر نظرة عامة الى حال القطر المصري قبل الاحتلال وحالهِ الان ونقابل بين الحالين من بعض الوجوه الجوهرية التي لاشبهة في انهُ كان للورد كرومر اليد الطولى في تغييرها ثم نستطرد الى وداعهِ القطر المصري

زرنا هذا القطر قبيل الثورة العرابية ولقينا كثيرين من نوابغ رجالهِ حينئذٍ وتكرم الجناب الخديوي المغفور لهُ توفيق باشا بمقابلتنا كما قابلنا نظار حكومتهِ رياض باشا ومصطفى باشا وفخري باشا وعلي باشا مبارك ومحمود باشا سامي وتحدثنا معهم ملياً في احوال القطر المصري والقطر السوري وكثر اجتماعنا بالمرحوم الشيخ محمد عبده واصدقائهِ في الايام القليلة التي قضيناها في هذه العاصمة . ثم خرجنا من القطر المصري وقد رسخ في ذهننا مما رأيناهُ فيهِ وسمعناهُ من نخبة رجالهِ ان الضغط على النفوس بلغ اقصاهُ فكادت تتمزق وتنفجر انفجاراً لان الاسراف السابق ترك البلاد في العسر الشديد مديونة بمئة مليون من الجنيهات لم يصلها منها النصف ولم ينفق فيها مما وصلها العشر وهي مضطرة ان تحمل عبئها وتوفي رباها. هذا الدين الاهلي الباهظ الذي اثقل كاهل الاهلين . واجود الاطيان قد خرج من ايدي مالكيهِ قسراً فصاروا اجراء فيهِ. وظهر الفرق حينئذٍ بين مصر والشام كظهورهِ الآن ولكنهُ كان معكوساً

كانت بلاد الشام متمتعة بالعدل تحاضر في سبيل الارتقاء مطلقة القلم واللسان تحبّر اقلام الاحرار جرائدها وترصّع السنة الخطباء منابرها · ومصر بلاد الضيم والضغط يحاول نفر من اهاليها اخراجها مما هي فيهِ فيجدونها مقيدة بالمشاكل المالية والامتيازات الاجنبية ويجدون جمهور الامة في حضيض الذل والعسر · ولحظنا حينئذٍ ان جماعة من الافاقين يحاولون اضرام نار الثورة في نفوس ذلك النفر القليل من المتنورين ويمنونهم بما يتعذَّر نيلهُ فتجمعت الاسباب وولدت الثورة

وقد يركب الخطب الذي هو قاتل اذا لم يكن الاَّ عليهِ معرَّجُ

وانت الجيوش الانكليزية فاخمدت الثورة واحتلت البلاد · وكان في الامكان ان تخرج منها بعد استتباب الامن ومعاقبة الثائرين وحل الجيش المصري وكان في الامكان ان تبقى فيها ولا تحرك يدًا في اصلاحها فتلبث على ما كانت عليهِ او تزيد تأخرًا فلا تكون الآن اصلح من بلاد الشام كما لم تكن اصلح منها قبل الثورة لان اهاليها ليسوا اعلى همة ولا اشد عزيمة من اهالي الشام ولا هم اعلى همة من العرب الصميم سكان اليمن والحجاز وحالهم الآن معلوم لكن قدَّر الله ان وكيل الدولة المحتلة اهتمَّ باصلاح البلاد بميل فطري فيهِ وايدتهُ دولتهُ في ما كان يرتئيهِ وقدَّر ايضًا ان الذين عليهم الاعتماد من رجال الحكومة وطنيين كانوا او غير وطنيين جاروهُ في هذا المضمار فتغلبوا على المشاكل السياسية والمصاعب الطبيعية والآفات الجوية ورقّوا البلاد هذا الرقيّ الذي لم ترَهُ في عصر من عصورها السالفة

وضعت بعض الدول العراقيل في سبيلهم فلم تعقهم بل تغلبوا عليها وحولوا الجفاء الى صفاء · ثار السودان واستفحلت الثورة فيهِ فخرَّبت البلاد واهلكت العباد وتهددت مصر وكاد لسانها يندلع اليها وضنَّت محاكم مصر بخمس مئة الف جنيه تستخدم لانقاذ السودان ولكن صبر كرومر وهمة كتشنر وبسالة الجنود وقوادهم استردت السودان وردتهُ الى معالم الحضارة

قصَّر النيل عن الوفاء كما جرت عادتهُ في السنين الغابرة وبالغ في التقصير ولكن تقصيرهُ لم يفضِ الى جدب ومجاعة كما افضى في زمن يوسف الصديق وعبد اللطيف البغدادي لان حكمة كرومر ورجالهِ كانت اعدت العدة لهذا الشح ببناء الخزان الذي قاومهُ كل صاحب قلم من مدعي الوطنية كما قاوموا قبل ذلك اصلاح القناطر الخيرية .. وتكرر مجيء الطاعون والكوليرا ووباء المواشي ووقوع الدودة والندوة في القطن وكل بلية من هذه البلايا كانت تكفي لاتلاف مصالح العباد ومعايشهم ولكن الاستعداد لطوارق الحدثان تغلَّب عليها فذهبت ولم توقع بالبلاد ضررًا يذكر او ازيل ضررها سريعًا بالمنعشات والمقويات التي اشار بها طبيب القطر ورجالهُ

وقد يظن غير المطلع على اعمال لورد كرومر انهُ كان ينظر في الكليات ويغضي عن

الجزئيات كأكثر الرجال العظام اما الواقفون على اعماله فيعلمون انهُ كان ينظر في الكليات وفي الجزئيات ايضاً ولا سيما في ما يمثّل مبدأً . بلغهُ مرةً ان مستخدماً صغيراً عُزل من غير محاكمة تثبت عليهِ ذنباً يوجب عزلهُ فقال هذا استبداد يجب نزعهُ من البلاد واشتغل بامر هذا الرجل كأن مسألتهُ من المسائل الدولية العظيمة حتى رسخ في اذهان اولي الامر الذين تعلقت المسألة بهم انهُ ما دام الاحتلال مؤيداً فلا يمكن ان يسمح بما فيهِ اثر للاستبداد

واطّلع مرةً على تلغراف في جريدة يشكو صاحبهُ من انقطاع ماء الري عن قطنهِ في غير الميعاد ولغير سبب فطلب من مصلحة الري تحقيق ذلك حالاً ولما اتضح لهُ صدق الشكوى لامها لوماً عنيفاً ورفع ظلامة الشاكي

ويسهل ذكر المئات والالوف من امثال هاتين الحادثتين وكلها تدل على تفانيهِ في انصاف المظلومين وتوسيع معايش الناس لانهُ كان يعلم ان العدل في الرعية والاهتمام بمصالحها فرضان واجبان على اولياء الامور على حدٍّ سوى واذا كانا مقامين في البلاد فالعوارض والاحداث تجيء وتذهب كغمامة صيف

ومعلوم ان المال قوام كل اصلاح والسبيل اليهِ توسيع موارده والاقتصاد في انفاقهِ. وقد بذل جهدهُ هو وكل رجال الحكومة الذين اتبعوا سياستهُ في اصلاح موارد الرزق وزيادة ريع البلاد وفي الضن بالمال الاَّ على ما لا بدَّ منهُ من النفقات . وحسبنا النتيجة التي نتجت عن ذلك وهي انهُ تضاعف دخل الاهلين ضعفين او ثلاثة كما تشهد قيمة الصادر والوارد وتضاعف دخل الحكومة ايضاً بعد ان كانت البلاد والحكومة على شفا الافلاس . ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ذلك فعليهِ بمراجعة الفصل الذي موضوعهُ السياسة المالية في تقريره عن ١٩٠١ وقد نشر في المجلد ٢٨ من المقتطف تحت عنوان اصلاح القطر المصري

وجرى ارتقاء البلاد الادبي مع هذا الارتقاء المادي فعلم الناس ما لهم وما عليهم واهتموا بتعليم اولادهم واصلاح شؤونهم وغاية ما نرجوهُ ان يستمرَّ هذا الاهتمام حتى يبلغ غايتهُ

الاَّ ان الاشتغال بمهام الامة زماناً طويلاً يضني اصح الاجسام واقواها بنية ولذلك استحكم السقم من جسم لورد كرومر هذا الشتاء فاوجب عليهِ اطباؤهُ اعتزال الاشغال فاعتزل كما ذكرنا في الجزء الماضي وودعهُ اهالي القطر في الاوبرا الخديوية توديع عارف بقدرهِ ذاكر لجميلهِ وخطب في حفلة الوداع عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار نيابة عن الوطنيين وجناب الكونت ده سربون نيابة عن الاجانب فاجابهما لورد كرومر بخطبة نفيسة استهلها بفقرات فرنسوية اجاب بها الكونت ده سربون ثم تكلم بالانكليزية فقال ما تعريبهُ

" ارجو ان تقابلوا اقوالي بالحلم والاغضاء فان خطابي هذا يكلفني جهداً عظيماً جسدياً وادبيًّا . اما جسديًّا فلانهُ يلزمني ان اجمع قوتي كلها لا خطب عليكم واما ادبيًّا فلأن اللطف الذي غمرني بهِ الناس على اختلاف طبقاتهم في الاسبوع الذي فات قد غلبني وحملني جميلاً كثيرًا ولاني اشعر بألم الحزن الشديد في نفسي على فراق هذه البلاد التي لي فيها اصدقاء كثيرون وبها تقترن كل الحوادث التي حدثت لي في خدمتي العمومية وكذلك الافراح والاتراح التي اصابتني في حياتي المنزلية ومعيشتي العائليَّة مدة جيل تقريبًا

(اسباب مفارقتهِ هذا القطر)

" اني لا افارق هذا القطر ايها السادة لاسباب سياسية وانما افارقهُ لان يد الدهر ابتدأت تثقل عليَّ ولاني بعد ما قضيت في الخدمة العمومية نحو نصف قرن كنت في اكثرهِ اكدُّ كدًّا واعدو عدوًا يحقُّ لي الآن ان انال نصيبي من الراحة . ولاني اشعر ايضًا ان المهام والمصالح العظيمة التي يطلب من وكيل الدولة البريطانية السهر عليها في هذا القطر يكون السهر عليها الآن اوفى واتم اذا عُيّن لها من هو اصغر سنًّا وفي ابان قوتهِ ونشاطهِ عقلاً وجسدًا "

ثم اشار الى الذين كان لهم اليد الطولى في مساعدتهِ فذكر المغفور لهُ الخديوي توفيق باشا والمرحوم نوبار باشا ودولتلو رياض باشا وعطوفتلو مصطفى باشا فهمي واصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول والسر كولن سكوت منكريف والسر وليم جارستن والمسيو مسبرو والسر رجينلد ونجت باشا الى ان قال

" فبمساعدة الذين ذكرتهم ومساعدة كثيرين غيرهم اظن اننا عملنا عملاً غير رديء في ربع قرن من الزمن وان يكن فيهِ ما فيهِ من القصور والتقصير ولكن يقول لي قوم كثيرون ان المصريين بوجه الاجمال لا يعترفون كثيرًا بالجميل وبالمنافع والفوائد التي لا شك في انها منحت لهم فاجيب على ذلك اني لا اعرف ما يشعر بهِ المصريون من هذا القبيل ولكن فيلسوفًا فرنسويًّا قال قولاً اورد معناهُ ولست اجزم باقتباس مبناهُ قال اذا قاسى شعب آلام الظلم والضيم طويلاً لم يكد يبقى لهُ طاقة على شكر الذين يخلّصونهُ منها

" ولا ريب ان اهل مصر قاسوا كثيرًا في ماضي زمانهم ومهما كان شعور المصريين وكانت حاساتهم ومهما برهن لي المبرهنون واقاموا عليَّ الحجة والدليل فلست بتاركهم يحجونني ليخرجوني من الوهم الشريف الذي انا فيهِ ان صحَّ انهُ وهم لا حقيقة واعني بذلك انهُ لا يمكن ان اصدق ان المصريين — او احسنهم على كل حال — ينكرون ان يد التمدن الغربي التي كانت تستعملها انكلترا لعمل عملها في الخمس والعشرين سنة الماضية هي التي نشلتهم من بالوعة

اليأس بعدما القاهم دهرهم فيها. وهب اني أُقنعت — وما انا بمقتنع مطلقاً — ان ابناء الجيل الحاضر لا يعترفون بهذه الحقيقة الجلية فاني لا ازال أؤمل مع ذلك ان نسلهم يعترف بها

(الغرض السياسي)

" ايها السادة لما اتيت هذه الديار لاتقلد وظيفتي الحالية فيها وضعت نصب عيني غرضين وجعلت اسعى اليهما دواماً مدة اعوام طويلة احدهما سياسي والآخر اداري

" فالغرض السياسي الذي وضعتهُ نصب عيني هو ان اكون من جملة المساعدين على اعادة ذلك الاتفاق الذي قضت الاحوال بمسهِ بين فرنسا وانكلترا "

ثم افاض في ما بذل من السعي لاعادة الاتفاق الى ان قال —

" ولستُ ادعي اني كنت من اشهر واضعي ذلك الاتفاق بل اعترف ان الفضل في عقدهِ كان لارباب السياسة المتولين زمام الامور الخارجيَّة يومئذٍ في باريس ولندن وربما جاز لي من غير ان امس واجب الاكرام والاحترام ان اضيف اليهم مليكنا السامي النهى العظيم المواهب العقلية الذي نلت الفخر والامتياز بخدمتهِ السنيَّة (تصفيق) ولكن يسوغ لي ان اقول ان الجهد المتواصل الذي بذلهُ أُولو الشأن في مصر مدة اعوام طويلة لاجتناب كل ما يمكن اجتنابهُ من المنازعات ولفض كل الدعاوي والشكاوي الصغيرة التي نجمت عن احتلال بريطانيا العظمى لمصر — هذا كلهُ مهد طريق الاتفاق وسهل الامر على المتفاوضين فيهِ

(الغرض الاداري)

"واتكلم الآن عن الغرض الاداري الذي وضعتهُ نصب عيني فاقول اني سمعت في هذه الايام لغطاً ولغواً كثيراً عن ان حكومة مصر حكومة مستبدة ظالمة . فلا يهمني ان اطيل في الرد على مثل هذا الكلام بالتطويل بل اقول اني افرغت جهدي مدة خدمتي كلها بمصر في بث روح الحرية في نظام حكومة اقتضت الضرورة ان تكون حكومة " بيروقراطية " ولكني لم ادخر وسعاً في الاطلاع على حقيقة الرأي العام سواء كان اوربياً او محلياً واعطائهِ حقهُ من الاعتبار والاهتمام وحسبي ان اترك لغيري الحكم في مقدار نجاحي من هذا القبيل

(الارتقاء الادبي والعقلي)

"ثم التفتُ الى امر آخر وهو اني اسمع قوماً يقولون ان مصر ارتقت ارتقاء مادياً عجيباً في الاعوام الاخيرة ولكن لم يعمل فيها شيء لترقية اهلها ادبياً وعقلياً . عجباً ايها السادة كيف يقال ان مصر لم ترتقِ ادبياً ؟ هل الحكم فيها اليوم للكرباج وحده كما كان في الايام الغابرة ؟ هل السخرة (العُونة) باقية فيها ولم تطوِ الايام عليها ؟ هل لعنة الرق لا تزال حالَّة عليها ولم

تزل عنها ؟ اليس كل شخص فيها من الامير الى الصعلوك الحقير سواء امام القانون ؟ الم ينشط الناس فيها الى السعي والكسب ؟ اليس اصغر الناس فيها يجنون اليوم ثمار سعيهم ويتمتعون بما يحصلونهُ بعرق جبينهم ؟ اليس من الحقائق المقررة ان العدالة لا تشرى وتباع اليوم وان كل انسان حرٌّ — بل ربما ظن قوم انهُ حرٌّ اكثر مما يجب ان يكون — في الجاهرة بآرائهِ والتعبير عما في ضميرهِ . وان سلطان "البخشيش" قد ثلَّ عرشهُ وعزل عن مقاماتهِ العليا في الحكومة ولم يبقَ لهُ اثر الاَّ في اخرياتها وضواحيها وان ماء النيل الذي يحيي الاراضي ويأتيها بالخصب يوزع على الامير الخطير والفلاح الفقير بالقسط والعدل . وان المرضى يمرَّضون ويعالجون الآن في مستشفيات مستكملة العدد ووسائط الراحة . وان المجرمين والمجانين لا يعاملون الآن معاملة الوحوش الضارية حتى الحيوان الاعجم لم يفت الرفق بهِ عناية المصلحين . وان اشتراك الحكام والمحكومين في المصالح اصبح امرًا مقررًا عند الفريقين قولاً وفعلاً . وان كل عمل تعملهُ الادارة وان كان خطاء — اذ العصمة لله وحدهُ — تكون آثار حسن القصد بادية عليهِ ورغبة الحكومة في خير الاهالي ظاهرة منهُ . وان الاموال التي تؤخذ من جيوب الذين يدفعون الضرائب والتي قلَّت كثيرًا عما كانت عليهِ تصرف الآن في الوجوه النافعة للبلاد بعد ما كان معظمها يصرف على بناء قصور لا منفعة لها ونحو ذلك من الامور التي لم تكن تهم السكان بوجهٍ من الوجوه . فان كانت هذه الامور كلها وكان غيرها مما يمكنني ان اذكر منهُ كثيرًا لا تعد ترقية ادبية فالحق يقال اني لا اعلم بعد ذلك ما المراد من قولهم آداب وادبيات (تصفيق طويل وهتاف شديد)

(تعليم البنات)

"ولكن يقول قوم ان عقول المصريين وآدابهم لم ترتقِ . فانكر هذا القول ايضًا انكارًا باتًا

"انظروا الى تعليم البنات فهل يظن عاقل انهُ يمكن لهذه البلاد ان تتشرب روح التمدن الحقيقي ما دام مقام المرأة غير متغير فيها ان كان احد يظن ذلك فاني اخالفهُ في ظنهِ كل المخالفة . ومع ذلك فانهُ منذ بضع سنين — والعهد غير بعيد — لم يكن احد يهتم بهذه المسألة غير صديقي سعادة يعقوب باشا ارتين وعزتلو قاسم بك امين وآخرين قليلين واما بقية الاهالي فلم يكونوا يبالون بذلك بل انهم كانوا ضدهُ فانظروا التغيير الذي حصل الآن لم يبقَ عند الحكومة المصرية مدارس تسع كل البنات اللواتي يروم والدوهنَّ تعليمهنَّ"

(التعليم الابتدائي)

"وانظروا ايضًا الى التعليم الابتدائي فان النظام الذي كان متبعًا قبل الاحتلال البريطاني

لم يكن يصلح لشيء ثم تغير ذلك ايضاً تغيراً عظيماً لان الكتاتيب تنشأ في كل جهة من جهات القطر بعناية كثيرين من اعيان المستنيرين . وقد ابتدأت حركة اخرى تستحق الذكر لتعليم الصنائع للاهلين

(التعليم العالي)

" اما تعليم العلوم العالية واعني بها الحقوق والطب والهندسة وما شاكل فالتقدم فيها كلها مستمر مطرد منذ اعوام

" نعم انهُ لو تيسر للحكومة المال الوافر منذ عشرين سنة لكان قد تم اكثر مما تم الآن كثيراً ولكن عقدة القضية المصرية ان المال الذي كان للحكومة سبيل اليهِ لم يكن وافراً بل لم يكد يكون كافياً مدة اعوام كثيرة لسد حاجاتها الضرورية

" على اني لا انكر ان البلاد لا تزال مفتقرة الى تقدم كثير ادبياً وعقلياً وانا واثق ان المعارف ستتقدم وترتقي سريعاً على يد ناظر المعارف الحالي وجناب المستر دنلوب مستشارهِ

واشار الى ما ينتظر من الجناب الخديوي من اصلاح ديوان الاوقاف والمحاكم الشرعية وقال

" اخاف ان اكون قد اتعبتكم ايها السادة بطول الكلام ولكن كل ما قلتهُ كان عن الماضي فاذا تكرمتم عليَّ بالاصغاء فاني اقول شيئاً عن المستقبل

"ما هي حقائق الحالة المصرية الآن : اولاها في ان الاحتلال البريطاني يدوم الى ما شاء الله وقد قالت لنا حكومة جلالة الملك ذلك رسمياً . وثانيتها هي انهُ ما دام الاحتلال باقياً فالحكومة البريطانية تكون بالضرورة مسؤولة عن الخطة التي تجري عليها الادارة المصرية لا تفصيلاً بل اجمالاً . ولا يكن عند احد اقل ريب في هذه الحقيقة الثانية . والنتيجة التي استنتجها من هاتين المقدمتين هي ان نظام الحكومة الحالي دائم رغماً عمَّا يعتريهِ من العيوب والشواذ الكثيرة التي لا يعترف بها احد اكثر مني واظن انهُ ليس في الناس من هو اقدر على ضمان الدوام لهذا النظام من جناب السر الدن غورست خلفي المقتدر البارع

"بقي لي نصيحة اخرى احب ان اقولها قبل ان اجلس في مكاني وهي ان قولهم « الاتحاد قوة » لا يصدق على الذين هم في خدمة الحكومة فقط بل على جميع الذين يهمهم ادخال التمدن الحقيقي الى هذه البلاد . فالواجب عليهم ان يتحدوا معاً ولا اعني بذلك ان الانكليز والفرنسويين والالمان وسائر الاوربيين فقط يطرحون عنهم ما بينهم من المناظرة والمنافسة ويتحدون معاً في مصلحة واحدة بل ان جميع الذين يريدون ان تكون الحكومة حكومة عقل وان يكون تقدم البلاد مستمراً دائماً يتحدون جميعهم معاً سواء كانوا مسلمين او مسيحيين

اوربيين او افريقيين او اسيويين ويقاومون القوات المجاهدة في سبيل التأخر والتقهقر حقيقة سواءٌ كان جهادها عن جهل او عن عمد وقصد

"واشكركم ايها السادة في الختام على اصغائكم اليَّ بالصبر وطول الاناة هذه المدة التي قلت فيها كل ما اردت قولهُ ولا شك عندي ان الصعوبات لا تزال كثيرة في سبيل المصلح المصري وخصوصاً السر الدن غورست ولكن آخر كلمة اقولها لهُ ولكم كلكم هي كلمة كان عبَّاد الالهة ايزيس في هذه البلاد كثيرًا ما ينقشونها على قبورهم بلغة القوم الذين هم اصل التمدن الاوربي والذين استوطن اناس كثيرون من ذريتهم هذه البلاد لخيرها والذين اعدُّ منهم اصدقاء كثيرين لي — واعني بها لغة اليونان — ومعنى تلك اللفظة اليونانية تشجعوا (تصفيق)

" فاودعكم ايها السادة وانا واثق ثقة تامة بمستقبل هذه البلاد التي كانت موطناً لي سنين هذا عددها والتي تأصلت جراثيم التمدن الحقيقي فيها على ما ارجو حتى صار يعسر استئصالها . اودعكم على الكره مني واستودعكم الله " (تصفيق طويل وهتاف شديد متكرر)

ولم يخرج لورد كرومر من هذا القطر حتى اهدى صورتهُ الى كثيرين من اصدقائهِ والذين يعلم انهم ساعدوهُ في ترقية البلاد وكتب الى بعضهم مكاتيب شكر فكتب الى احدنا محرر هذه المجلة يقول ارجو ان تقبل صورتي المرسلة اليك طي هذا كتذكار طفيف لعلاقاتنا السابقة ومعها شكري المخلص للمساعدة الكبيرة التي ساعدتَ بها مدة سنين كثيرة الارتقاء العقلي والادبي في هذه البلاد[1] وكتب بمثل ذلك الى احدنا محرر المقطم واهدى اليهِ كتاباً سياسيًّا من مكتبتهِ . وورد عليهِ الوف من الرسائل البرقية والبريدية من جماعات مختلفة في هذا القطر تعرب كلها عن اسف مرسليها لان انحراف صحتهِ دعاهُ الى ترك هذه البلاد وعمَّا يشعرون بهِ من الشكر لهُ على اعمالهِ العظيمة التي رقَّت القطر ادبيًّا وماديًّا

وكان لوداعهِ في المحطة احتفال عظيم جدًّا ولاستقبالهِ في مدينة لندن احتفال اعظم منهُ وقف فيهِ ولي عهد انكلترا واخو ملكها حاسري الراس ووزراءُ الحكومة الانكليزية وقواد جيوشها وكثيرون من ذوي المقامات العالية فيها ورحبت بهِ الجرائد والمجلات الانكليزية ترحيباً يدلُّ على انها تعدهُ اعظم رجل قام في الامة الانكليزية . ولا غرابة في ذلك لان العقلاء ينظرون بعين العقل الى النتائج الحاضرة والمستقبلة ايضاً والفضل يعرفهُ ذووهُ

(1) I hope that you will accept the enclosed photograph of myself as a slight souvenir of our past relations, and with it the expression of my sincere thanks for the powerful assistance which you have rendered for so many years to the cause of intellectual enlightenment and moral development in this country.

تاريخ المكروب

(تابع ما قبله)

قال ارسطو اذا تحوَّلت الجوامد الى سوائل والسوائل الى جوامد تولد من هذا التحول حيوانات . وقال ڤرجيل ان النحل يتولد في احشاء العجل الفاسدة · وفي ايام لويس الرابع عشر لم يتجاوز العلم هذا الحد لان طبيباً شهيراً ضليعاً في الكيمياء وهو ڤان هلمونت كان يقول ان الروائح التي تتصاعد من اعماق البرك تولّد الضفادع والحلازين والعلق والطحالب وما هو من نوعها واذا ضُغط قميص وسخ على فوهة وعاء يحتوي على حبوب حنطة تولدت فيهِ الفيران وعلَّل ذلك بان الخمير الحاصل من القميص الوسخ يتنوع برائحة الحب فيتحول الخمير الى فيران بعد واحد وعشرين يوماً واغرب من ذلك قوله انهُ شاهد ذلك عياناً وان الفيران تولّدت بالغةً ذكوراً واناثاً وتولّد جنساً بتناسلها · ومن غرائب اقواله ايضاً اننا اذا ثقبنا ثقباً في قرميدةٍ ووضعنا فيهِ حبقاً مسحوقاً واطبقنا عليهِ قرميدةً اخرى وعرضناها الى الشمس فبعد بضعة ايام تفعل رائحة الحبق فعل الخمير وتحول النبات الى سراطين حقيقية

ثم قام طبيعي ايطالي اسمهُ ردّي · وبحث في هذه المسألة بحثاً ادق واظهر ان الديدان التي تتولد في الرمم انما تتولّد من بزور او بيوض هوام تسطو على الرمة وتبيض فيها لاننا اذا لففنا الرمة بقماش قبل تعرضها للهواء بحيث يمتنع على الهوام وضع بزورها فيها فلا تظهر الديدان المذكورة · وبهذا ضعف حزب القائلين بالتولّد الذاتي وانحصر البحث فيهِ في نطاق ضيق الى ان ظهر المكروسكوب وظهرت بواسطتهِ الكائنات المتناهية في الصغر فعادت المسألة الى الظهور وعاد الجدل فيها الى الاحتدام فاعترف زعماء التولد الذاتي بغلطهم في اصل الفيران والديدان ولكنهم قالوا ان لا سبيل للانكار ان الكائنات المكروسكوبية هي من فعل التولد الذاتي اذ لا يعلل بغيرهِ عن وجودها وتكاثرها في اي مادة حيوانية ونباتية في حال الانحلال · وكان بوفون من زعماء هذا الرأي وكان مقامهُ في العلم دعامةً لهُ ثم دخل رجال الدين في البحث والجدل ومنهم من يثبت ومنهم من ينكر · ولا اتعرَّض هنا الى كل ما قيل بهذا الصدد واقتصر على البعض المهم من البحث العلمي الذي يوم ظاهرهُ بصحة المبدإ وهو ان بوشة مدير معرض التاريخ الطبيعي في روان ومراسل اكاديمية العلوم ارسل سنة ١٨٥٨ تقريراً الى الاكاديمية يقول فيهِ انهُ يثبت بالامتحان ان الكائنات المكرسكوبية تظهر الى الوجود بدون جراثيم وبدون

ان تتولَّد من كائنات مشابهة لها . وبالحقيقة لم يكن غير بوشه من زعماء التولد الذاتي جرى على خطة قانونية وبحث فيهِ بحثاً علمياً فمهد السبيل الى كشف الحقيقة . واهم امتحاناتهِ التي ابهر بها الاندية العلمية الامتحان الآتي وهو : ملأ اناء بالماء الغالي وسدهُ سداً هرمسياً بكل دقة واحتراس ثم غمس الاناء في حوض زئبقي ولما برد الماء تماماً ازال سدة الاناء تحت الزئبق وادخل اليهِ نصف ليتر من غاز الاكسجين النقي وهو كما لا يخفى الجزء الحيوي والصحي في الهواء اللازم لحياة الكائنات المكروسكوبية كلزومهِ لحياة الحيوانات والنباتات الكبرى . فالواضح في هذا الحد من الامتحان ان ليس في الاناء سوى الماء النقي الطاهر وغاز الاكسجين ثم ادخل قبضة من الشوفان موضوعة في اناء مسدود سداً هرمسياً بعد ان امرَّهُ على فرن محمى مدة طويلة الى اعلى من ١٠٠ درجة وبعد ثمانية ايام ظهر في نقيع الشوفان مادة عفنية . فكان لهذا الامتحان صدًى في الاندية العلمية وفوز باهر لبوشه لان الطبقة العفنية التي تكونت ليست من الاكسجين لان بوشه حضرهُ تحضيراً كيماوياً على حرارة بدرجة الحمرة . والماء قد وضع بحالة الغليان فهو اذاً خالٍ من كل جرثومة حيويَّة . والشوفان قد احترقت فيهِ ايضاً كل جرثومة حيوة عقيب امرارهِ على درجة حرارة فوق المائة . ولكي يزيل كل ريبةٍ من هذا القبيل اعاد الامتحان وجعل حرارة الفرن ٢٠٠ و ٣٠٠ درجة حتى الى اية درجة كانت وكانت النتيجة واحدة . فحق لهُ ان يزعم انهُ افحم خصومهُ وافسد اعتقادهم بوجود جراثيم حية في الهواء تنتقل بهِ الى ابعاد كثرت او قلت لان الكائنات الحية في امتحانهِ المذكور تولَّدت بوجود هواء صناعي قام مقام الهواء الجوي

فاتى باستور على الاثر وافسد القول والعمل بامتحاناتهِ الباهرة وابان للندوة العلمية ان امتحان بوشه حسن ومعقول ولكن فاتهُ ان يطهر الزئبق لانهُ يحتوي على الجراثيم المطلوب بيانها . وهنا ينفسح المجال كثيراً لبيان الامتحانات الكثيرة التي اجراها الفريقان وكان الفوز فيها اخيراً لباستور . ولا ارى لزوماً لتعدادها لان نتيجتها صارت اليوم من المبادئ الاولية الراسخة في اذهان الاطباء والعلماء ولا يجهلها التلامذة وهم على بداءة من العلم بل اصبحت من المعارف الشائعة عند العامة فاجوز الى بحث آخر كان لهُ شأن عظيم في عالم الطب وفضل كثير على الانسانية وفيهِ تتمة البحث المتقدم ذكرهُ اعني بذلك تخفيف السموم المرضية والتلقيح

قال احد المعاصرين " ان من يستطيع ان يتحقق طبيعة الخمير والاختمار سيستطيع دون سواهُ ان يعلل تعليلاً صحيحاً عن الظواهر المرضية المختلفة كما في الحميات والعلل المتنوعة . وتلك الظواهر لا يمكن فهمها الفهم الواجب الا بعد معرفة فلسفة الاختمار معرفة صحيحة وراهنة "

وكان باستور اذ ذاك منصرفاً الى درس الاختمار وصارت اكتشافاتهُ فيهِ النور المرشد لحل المعضلات ولتذليل العقبات الحائلة دون كشف الستار عن سر الكائنات المكروسكوبيَّة . ولا يخفى ان المذهب الالماني او مذهب ليبغ كان الى ذاك الوقت هو المعول عليهِ في التعليل عن ظواهر الحياة في الاختمار اي ان الاختمار يحصل من تعريض اية مادة عضوية وازوتية والبومينية وفيبرينية وجبنية الى الهواء وان الخمير الحي ليس الاَّ مادة كيماوية في حال الفساد . اما باستور فقد تحقق وجود رابطة في الاختمار بين الفعل الكيماوي والكائنات المكروسكوبيَّة ورأي ليبغ لا يقوم بتفسير هذه الرابطة فاصبح الخمير الحي شغلهُ الشاغل وهو المسأَلة الرئيسية والعلة الكبرى في الاختمار واصبحت معرفة اصل الكائنات المكروسكوبية فيهِ قضية لا مناص لهُ منها بل رسخ في ذهنهِ انهُ لا يقدر ان يخطو خطوة الى الامام قبل حل هذه المسأَلة

فهذه كانت توطئة البحث لباستور في موضوع التولد الذاتي الذي شغل افكار علماء ذاك الوقت وقد نهاهُ كثيرون من اصحابهِ عن الولوج في هذا البحث لما فيهِ من وعورة المسلك ولاعتقادهم باستحالة الوصول الى كشف الستار عن غامضهِ . على انهُ لم يكن ليقف عند عقبة علمية او ليحجم عن كشف حقيقة غامضة لا سيما وان مباحثهُ في الاختمار يتوقف فصل الخطاب فيها على كشف الستار عن الكائنات الحية المتناهية في الصغر وهي الى ذاك الحين لا اصل حيوي لها ولا جرثومة حياة سابقة . وكان قد انبلج لهُ صبح المسأَلة فاندفع الى الجدل فيها وكان اصحاب التولد الذاتي هم اصحاب المكانة في العلم ولا نصير لهُ اذ ذاك سوى جوهر عقلهِ الساطع وسلسلة افكارهِ المرتبطة الحلقات فلقي من المعارضة والمقاومة ما يضعف هم الابطال و يثبطها ولكنهُ بطل العلم الذي لا يُغلب وفارس الجال الذي لا يجارى

والتعاليم الطبية ولا سيما ما يختص منها بالامراض السارية كانت تضطر دائماً الى احتمال صدمات الاراء المتنوعة في الاختمار ولما شرع باستور بامتحاناتهِ الاولية سنة ١٨٥٦ كان راي ليبغ شائعاً وسائداً في كل مكان وكان رأيهم في السموم والمصادر المرضية كرأيهم في الاختمار اي انها حركات خاصة في المواد الآخذة بالانحلال تنقل العدوى بانتقالها الى الاجسام المستعدة لها . ولكن ابحاث باستور في افعال الكائنات المكروسكوبية بالاختمار صرفت هذه الاراء عن مجاريها فعاد اصحابها من ثمَّ الى التعليم الطبي القديم القائل بالحلميات التي تنتقل من جسم الى آخر بواسطة كائنات اخرى ذات حياة

وفي سنة ١٨٦٤ قرر الاستاذ تروب الالماني في احدى خطبهِ التعليمية ان الاختمار النشادوي في البول لا يحدث من فعل المخاط بهِ ولا من زيادتهِ عن الحد الطبيعي ولا من

طول مدة بقائهِ في المثانة بل يحصل من ملامستهِ للهواء بعد خروجهِ منها. وكان هذا رأي ليبغ واتباعهِ . وكان باستور اوضح في احد تقاريرهِ عن التولد الذاتي منذ سنة ١٨٦٢ ان في كل اختمار نشادري في البول يتولد فطر مكرسكوبي وهذا مخالف لرأي ليبغ وتروب. وقد ثبت رأي باستور لانهُ تحقق بعدئذٍ انهُ لا يمكن ان يكون بول نشادري في كل علل المثانة ان لم يكن هذا الفطر موجوداً وبهِ عُرف سبب مرض من اهم امراض المثانة. وعليهِ رأى باستور ان يؤيد هذه الحقيقة بطرق العلاج فيبين العلاقة بين الفعل الدوائي والعلم الصحيح فاخذ يدرس خواص الحامض البوريك فعرف خاصتهُ المضادة للفساد ومقاومتهُ لانتشار الخمير النشادري فاشار على الدكتور غويون وهو استاذ الامراض البولية في مدرسة باريس بان يعالج الاختمار النشادري الشديد الخطر بحقن المثانة بمحلول من الحامض البوريك وكانت النتيجة نجاحاً باهراً

فنرى هنا كيف اتخذت المسأله وجهاً جديداً واستطرقت الى الجراحة وهي القسم المهم من الطب الذي خطا بفضل هذه الاكتشافات الخطوة الكبرى وسبق قسم الطب الباطني لقبول الآراء الجديدة فنشط علماؤهُ من عقال التقليد واندفعوا الى العمل بنشاط لانشاط بعدهُ وبهمةٍ لا تبارى فاوصلوهُ الى أوجهِ وسبقوا زملاءهم الاطباء الى الاعتراف بفضل المجتهد فكوفئوا بنجاح اعمالهم وتوصلوا الى مباشرة اعمال لم تكن تخطر لهم على بال فاصبحت عملية فتح البطن عندهم من العمليات الناجحة وعملية الفتق من العمليات الناجحة التي لا يعتد بها كثيراً وجراحة الدماغ ميسورة وممكنة

فالبحث في الاختمار والتولد الذاتي كان مهدهُ في فرنسا والمانيا وانما الفوز بهِ كان لفرنسا بفضل باستور رجلها الممتاز وكانت المانيا قد بدأت تعترف لهُ بالسبق والفضل ولم تكن انكلترا قليلة النهضة وقتئذٍ اذ كان فيها وفي مدرستها الممتازة في ادنبرج استاذ فاضل وهو ليستر المشهور الذي اشتهر بطريقتهِ المعروفة باسمهِ وقد بدأ بها سنة ٦٤ فكان يملأ جو غرفة العمليات ببخار الحامض الفينيك ويلقي رذاذاً منهُ على مكان العملية وآلات الجراحة وايادي المساعدين وقد كتب الى باستور كتاباً يدل على لطفهِ ونزاهتهِ قال . لا ارتاب بانك تنظر بعين الاهمية الى ما كتبتهُ عن المادة الآلية التي درستها انت اولاً في درسك الاختمار اللبني واني اجهل اذا كنت اطلعت على المجلات الجراحية البريطانية فاذا كنت اطلعت عليها فلا بد من ان تكون عثرت من وقت الى آخر على الطريقة المضادة للفساد التي اتتبعها منذ تسع سنوات واجتهد ان اوصلها الى درجة الكمال فاسمح لي ان اغتنم هذه الفرصة واقدم لك

تشكراتي القلبية لانك اوضحت لي بابحاثك الباهرة حقيقة المعرفة بجراثيم التعفن وارشدتني الى المبدإ الوحيد الذي يوصل طريقة التطهير الى الغاية السديدة

فهذه الحركة في افكار العلماء زادت باستور همة وحققت آماله البعيدة الراسخة في ذهنهِ فقال انهُ يستطيع ان يبعد بابحاثهِ الى ان يهيئ الطريق لدرس اصل الامراض درساً عميقاً . وكان كلما تقدم باكتشاف الخمير الحي زاد املاً بمعرفة اسباب الامراض المعدية وبالحقيقة قد نفث باستور من فيهِ منذ سنة ٦٠ روح حيوة الطب الحاضرة

ومع ذلك فقد كان يتردد في ولوج هذه الطريق الوعرة لانهُ ليس طبيباً ولا بيطرياً ولكن نفسهُ الكبيرة لا تسمح لهُ ان يقف وقوف المتفرج على الاعمال التي كانت تقودهُ اليها دروسهُ في الاختمار والتولد الذاتي وآفات الخمر والبيرا وكانت دوافع عظيمة تدفعهُ الى التقدم وهي الآمال المتعلقة على طرق ابحاثهِ والثناء الوافر الذي كان يتوارد عليهِ من كل صوب فقد كتب اليهِ تندل الفيلسوف الانكليزي الشهير سنة ٧٦ يقول " لما اطلعت على اكتشافاتك في الكائنات النقيعية امتلأ ذهني من اعمالك التي ولدت فيَّ اعجاباً بك وبها منذ اول اطلاعي عليها وقد اتخذت على نفسي تتبع هذه الاكتشافات حتى يزول عندي كل ريب ارتابهُ بها القوم لان نتائجها صحيحة لا تعارض ولا تقاوم . ففي بدء تاريخ العلم كنا نتأمل املاً كبيراً بأنهُ يتسنى للطب ان يتخلص من وعورة التجارب في الامراض الوبائية وان يبني مبانيهُ على اسس علمية راهنة . فاذا اتى هذا اليوم العظيم فالانسانية على ما اعتقد ستكون مديونة لك بهذا الفضل الذي يتسنى لها على يدك دون سواك "

وهنا بدأ باستور يدرس السموم المرضية وقصد ان يكتشف سر مرض الشربون (البثرة الخبيثة) الذي كان يفتك بمواشي فرنسا واسبانيا وروسيا وهنكاريا والبرازيل وتألفت لجنة طبية في مقاطعة اورولوار وامتحنت امتحانات عديدة تحققت بها ان شربون الخروف ينتقل بالتلقيح الى خروف مثلهِ ومنهُ الى الحصان والعجل والارنب وبالعكس وان من يصاب بالبثرة غالباً هم الرعاة والحلابون والفلاحون وتجار الجلود والدباغون وغزالو الصوف والجزارون والذين يعيشون من حاصلات المواشي . وانهُ يكفي للعدوى وقوع الڤيروس (المادة المعدية اوالسامة) على اقل سحج في الجلد او لسع الهوام جلداً صحيحاً . وهذا صحيح كلهُ وانما لم يصلوا بعد الى العلم الصحيح والمعرفة الصحيحة باصل العدوى حتى اشاع داڤين ورايير انهما وجدا في دم الخروف اجساماً صغيرة خويطية اطول قليلاً من الكريات الدموية ولا حركة ذاتية لها

فهذا بدوُّ المعرفة بالجسيمات الحلمية في مرض الشربون والغريب ان هذا الاكتشاف

المهم لم تتوجه اليهِ افكار العلماء وداير وداڤين لم يهتما بهِ الاهتمام الواجب وبقي منسيًّا ثلاث عشرة سنة وربما دام اكثر من ذلك لولا ان الراي بالخلميات في الامراض السارية ثار ثائرهُ في كل نشرة او في كل قول من نشرات او اقوال باستور . فمن سنة ١٨٥٧ — ٦٠ اظهر باستور ان الاختمار اللبني هو كالاختمار الكحولي يتولد من خمير حي وسنة ١٨٦١ اكتشف ان عامل الاختمار اللبني مكوَّن من خيوط صغيرة متحركة حجمها كحجم الخيوط التي اكتشفها داڤين ودايو في دم الحيوان المصاب بالشربون وسنة ٦٢ ابان انهُ لا يكون بول نشادري بدون وجود كائن مكروسكوبي وسنة ٦٣ اثبت ان اجسام الحيوانات الصحيحة لا تقبل جراثيم العضويات المكروسكوبيَّة وان الدم اذا اخذ باحتراس من الاوردة او الشرايين والبول اذا اخذ من المثانة وعُرِض على هواء طاهر لا يطرأُ عليهما فساد ولا يظهر فيهما كائنات خويطية من اي نوع كان متحركة كانت او غير متحركة . فهذه القضايا حركت ساكن داڤين ودفعتهُ الى زيادة البحث لتحقيق ماسبق فعرفهُ قبلاً

وانخرط في هذا البحث جلَّة من العلماء الذين عرفوا مكروب الشربون في دم الحيوان المصاب ولكنهم لم يعرفوا سر العدوى لانهم كانوا يلقحون حيوانًا سليمًا بدم حيوان مصاب فاثبت باستور ان العدوى انما هي في تلك الخويطات التي اكتشفها داڤين ودرس كوخ حياتها وشرح تنوعاتها فانجلى هذا السر واصبحت المعرفة بالمكروب حقيقة راهنة وحان الاوان لدرس طبائعهِ كدرس طبائع الحيوانات الكبرى فشرعوا بفصلهِ من الوسط الذي هو فيهِ وباستنباتهِ اي بتوليدهِ في وسط صناعي ولقحوا من مستنبتهِ الحيوانات السليمة وحصلت الغاية التي كان باستور يسعى وراءها والفائدة التي كان العالم يتوخاها من هذا الاكتشاف المهم

لا بلية على الانسان اعظم من بلية الامراض الوافدة كالقرمزية والحصبة والجدري والنزلة الوافدة والطاعون والهواء الاصفر التي يكفي بمجرد ذكرها ان تنهلع القلوب وتنكسر النفوس وبها يتبدَّد شمل الجماعة وينحل نظام العائلة ويشبهها الداء الزهري والسل والكلب ولبعضها اطوار غريبة فانها موسمية اي لا تنتكس ولا تصيب الانسان في الغالب الَّا مرة واحدة في العمر فهذه الخاصة الغريبة تؤدي بالباحث الى ان يرمي بمطلبهِ الى غاية بعيدة وهي امكان اكتشاف حالة مرضية اذا ادخلت الى الدم السليم وقت من الاصابة بها لانهُ كما ان التلقيح بالجدري يقي منها فقياس التمثيل يقتضي ان يكون للامراض التي من هذا النوع مطعوم يقي منها ايضًا واذا نظرنا الى الفائدة التي حصلت من اكتشاف جنّر جزمنا بصحة المبدإ قبل الوصول اليهِ . على ان جنّر لما اكتشف ان التلقيح بالجدري البقري يقي من الاصابة بالجدري

الحقيقي اعتقد انهُ يجب ان نلتجئ الى المطعوم البقري في كل تلقيح ولكن ظهر بالاختبار ان التلقيح جائز ونافع من زند الى زند فهذا هو اذاً الڤيروس المخفف وهذا ما حدا بباستور الى تخفيف الڤيروسات فبدأ بتخفيف ڤيروس كوليرا الدجاج ولكن ظهر لهُ ان السم يبقى قتالاً مهما تخفف اي لو خفف الڤيروس عشر مرات او مئة مرة او الف مرة فانهُ يبقى قتالاً ثم عرف بعد اعمال الروية ان الڤيروس يخف فعلهُ ويصير صالحاً للتلقيح بعد مرور ٢٤ ساعة على استنباته اي يجب ان يكون بين الاستنبات الاول والثاني ٢٤ ساعة وبين الثاني والثالث ٢٤ ساعة وهكذا الى ان يحصل من الاستنبات الاخير ڤيروس غير قتال . واكمل الامتحان بان حقن ٢٠ دجاجة بستنبت قريب العهد فماتت كلها ثم حقن غيرها بستنبت مرَّ عليهِ ثلاثة اشهر فلم يمت منها واحدة بل ظهرت عليها علامات مرضيَّة كالحمى والكرب وضعف القابلية شفيت منها بعد ثمانية ايام . وهذه الظاهرة الغريبة ظهر ايضاً اغرب منها وهي ان الدجاجات الملقحة لُقحت بعد شفائها باللقاح القوي فمرضت ثم شفيت ولم يمت منها واحدة اي انها أُصيبت بالمرض الوبائي بكل اعراضهِ من غير ان تموت وهذه هي المناعة بعينها

فالمهم في هذا الاكتشاف هو امكان استنبات المكروب وتوليدهِ في المعامل البكتريولوجية على درجات متنوعة من السمية وعلى ارادة المعلم البكتريولوجي بحيث يولد ويخلق ما يشاء من تنوعاتهِ . وهو بمشابهة فعلهِ لفعل لقاح الجدري وبنسبة فعلهِ وهو مخفف الى فعلهِ وهو قتال يحسب لقاحاً . الَّا ان الفرق بين لقاح الجدري ولقاح الڤيروس المخفف هو ان الاول لم يقتضِ من العالم الانكليزي سوى حسن المراقبة واقتضى من العالم الفرنسوي أعمالاً جزيلة واتعاباً شاقة ودروساً عميقة وطويلة . والتلقيح بالڤيروس المخفف يقي من التلقيح بڤيروس اقوى منهُ وهذا من اقوى منهُ ايضاً وهكذا الى ان تحصل المناعة وتقي من الاصابة بالمرض نفسهِ

وعلى هذه الخطة جرى العمل بتخفيف ڤيروس الشربون وكان قد ظهر فضل باستور فاعطتهُ الندوة العلمية ومعاونيهِ شامبرلان وروكس ستين خروفاً للامتحان وكانت النتيجة ثبوت الحقيقة فعم تلقيح المواشي في فرانسا ثم في اوربا فسلمت من غائلة الوباء الذي كاد يفنيها ويقضي على ثروة الكثيرين من اصحابها

لا بد لكل اكتشاف جديد من ان يحدث تغييراً في الآراء العامة فيقبلهُ البعض بسهولةٍ ومسرة ويرفضهُ البعض عناداً ومكابرةً لانهُ ينبذ آراءهم ويسفّه اقوالهم ويضيع آمالهم بالنجاح في مسئلة كانوا يبحثون فيها فانجلت على يد غير يدهم وعلى طريقة مخالفة لطريقتهم

وبنتيجة غير النتيجة التي كانوا ينتظرونها. فالصدمة الاولى التي وقفت في وجه هذا الاكتشاف نشأت في المانيا . وفي سنة ٨١ تألفت جمعية طبية دولية في لوندرا بسط فيها باستور اكتشافهُ هذا ونسب اهتداءهُ اليهِ الى سابق فضل جنّر واثنى عليهِ افضل ثناء ولكن الانكليز امة تحب الحقيقة فشكرت لباستور ثناءهُ على فيلوسفهم ولكنها اعترفت لهُ بالافضلية واطنبت بمديحهِ وعرفت بهِ رجل العلم والبحث الذي لا يبارى. فخرج من الجمعية باهر الفضل بعيد الصيت حاملاً اكاليل المجد لهُ ولدولتهِ. وكان كوخ حاضرًا في الجمعية فقال لطبيب فرنساوي ان هذا حسن جدًّا لو كان صحيحًا ولما عاد هو ومعاوناهُ غافكي ولوفلر الى برلين نشروا رسالة تقدح بهذا الاكتشاف وتحاول الاقناع بعدم امكان استعمالهِ في المواشي . اما باستور فاجاب اني لا ادحض اقوال علماء الالمان الا في برلين وكانت تتوارد عليهِ الرسائل تباعًا من المانيا فارسل بعض تلامذتهِ اليها حيث اخذوا يلقحون المواشي بنجاح لا يقبل الاعتراض ولا يسمح بالاغضاء عن الاعتراف بفضل المكتشف . ولما رأت الحكومة الالمانية ان هذا الاكتشاف الفرنساوي قد اثار في عالم العلم ثورة لم يسبق لها مثال الّفت لجنة من علمائها للنظر فيهِ فالتأمت وكان من جملة اعضائها فيرخو الشهير فاسفرت ابحاثها عن صحة مذهب باستور وفائدة اكتشافهِ وبقي باستور ينتظر فرصةً لافحام كوخ فتسنت لهُ سنة ٨٢ في الجمعية التي التأمت في جنوى وبعد ان بهر العلماء باقوالهِ واختباراتهِ دعا كوخ للجدل في حضرة لجنة تحكم بينهما فصفقت الجمعية وطلب كوخ فرصة ثلاثة اشهر ولما انقضت نشر كوخ رسالة كان لها من الجدوى والفائدة ما لا مزيد عليهِ لانهُ وهو الخصم الالد والمقاوم الاكبر منذ سنة اصبح الآن في طليعة علماء هذا الفن ومن اكبر انصار باستور ومن افضل تابعي طريقتهِ وكفى برهانًا لذلك اكتشافهُ التوبركلين المعروف باسمهِ وهو فيروس السل المخفف الذي وان لم يأخذ المحل المعين لهُ في الشفاء فهو يحسب من اعظم الاكتشافات البكتريولوجية

لم يبقَ اليوم من العلماء من يفكر في هذه المشاحنات التي قضت على باستور بالعمل اربعين سنة لانها ذهبت مع زمانها وسقطت الاعتراضات بسقوط اوقاتها وانتشرت مآثر باستور في كل صقع ومكان واستفاد منها الطب والصناعة والزراعة . وقد قال هكسلي الفيلسوف الانكليزي الواسع الشهرة ان اكتشافات باستور تكفي فرنسا تعويضًا عن غرامة الحرب التي اخذتها منها المانيا . فابحاثهُ في الامراض الوبائية فتحت للطب آمالاً واسعة للوقاية منها ومع ذلك فكل اعمالهِ العظيمة بل العجيبة كان يعدها بداءة عمل بسيط وكان يقول دائمًا سترون في المستقبل كم يكون لهذا العمل من جليل الاثر ويا حبذا لو يكون لي وقت لاكمل ما بدأت بهِ . فتحققت

نبوتهُ وتخلصت الانسانية بفضلهِ من شر الكلب ولم تغادر نفسهُ الشريفة هذه الحياة حتى فتحت للعلماء الابواب المغلقة وسهلت لهم سبل العمل فرأى كوخ واعوانهُ يكتشفون المكروبات ويخففون الفيرهوسات وتلامذتهُ يكتشفون مصل الدفثيريا والحمرة والتيفويد والطاعون والتتنوس وراهم يواصلون السير لايصال خطتهِ الى اوجها الاعلى حقق الله آمالنا بهم ونفع الانسانية بفضلهم واعمالهم

الدكتور امين ابو خاطر

اصلاح غلط ورد في صفحة ٣٥٠ من العدد الماضي سطر ٨ كلمة الباتولوجي وصوابها الباثوجني اي علم اصل الامراض

حقوق الامم

(٥) المهاجرة

وجدت المهاجرة مع الانسان فنمت بنموّهِ وتكيَّفت بتكيّف احوالهِ

وهي نتيجة اسباب عديدة . فقد تدفع احوال البلاد الطبيعيَّة (من حيث كونها جبلية قاحلة او غيلية ردئة الهواء والتربة) بسكانها الى مهاجرتها وطلب ربوع أُخرى . وقد يدفع الظلم السياسي او الديني الناس الى تركِ بلادهم والالتجاء الى بلادٍ أُخرى — وقد يكون السبب تطلب الغنى والثروة في بلادٍ غير البلاد المهجورة

فالمهاجرة على كل الاحوال امر طبيعي لهُ مساس بالبلاد المهجورة وبالبلاد المهاجر اليها قد ينفع الاولى ويضرّ بالثانية او بضرُّ الاولى وننفع الثانية . ولهذا وضعت الحكومات نظامات وقيوداً تسير عليها متبعة في ذلك مصلحة البلاد ماديًّا وادبيًّا

على ان من المبادىء المقرَّرة الآن في العالم المتمدن كلهِ ان المهاجرة حقٌّ من حقوق الفرد الانساني لا يصحُّ ان يحرم منهُ او يعارض فيهِ لانهُ نتيجة المبدإ القائل بحرّية الانسان الشخصيَّة

ولم يكن الامر كذلك في كل الممالك وفي كل الازمنة فبروسيا لا تعترف الى يومنا هذا لسكانها بحق المهاجرة بل تمنعهم منهُ وتعاقب المهاجر بحرمانهِ من جنسيتهِ ورفع حمايتها عنهُ . والدولة العثمانية لا تنظر بعين الرضا الى المهاجرين من ابنائها ولكنها تتبع مبدأ حرّية المهاجرة رسميًّا

وان مسألة المسائل عند الحكومات القائلات بحق المهاجرة على الاطلاق هي وضع حدّ لحقوق المهاجرين الذين يزاحمون عملة البلاد المهاجَر اليها برضاهم باجور بخسة مع المحافظة على مبدإِ حرّية المهاجرة . وهذه المسألة اساس الاختلاف بين الولايات المتحدة الاميركانية وبين اليابان الآن واهمّ مسائل الترنسفال الاجتماعيَّة

***

يراد بالمهاجر بالمعنى الحقوقي الدولي الرجل الذي يترك وطنهُ على ان يستوطن البلد الذي هاجر اليهِ ولا يرجع الى وطنهِ الاصلي . فلا يعدُّ مهاجرًا من يذهب قصد التجارة والاثراء الى احدى البلدان ثم يقفل راجعاً الى بلادهِ كما انهُ لا يشترط بمن يستوطن البلاد الجديدة ان يتجنس بجنسيتها

متى علم ذلك صحّ لنا ان نسأل : ترى هل من الواجب على البلاد المهاجر اليها ان تمنح المهاجرين كل الحقوق التي يتمتع بها رعاياها وان تفرض عليهم كل ما تفرضهُ على رعاياها وهل يجوز لبلادٍ ما ان ترفض قبول المهاجرين او هل يجوز لها ان تمنع رعاياها من المهاجرة

ان للحكومة حق المحافظة على كيانها وحق استعمال كل الطرق المؤَدية الى سعادتها ورفاهيتها . فيجوز لها بناءً على ذلك ان تمنع المهاجرة الى بلادها لا منعاً باتًّا فانها ان فعلت ذلك عدّ عملها عدائيًّا للدولة التي ينتمي اليها المهاجرون . ولكن لها ان تشترط على من يقصد المهاجرة بعض الشروط المالية او الادبيَّة او الصحيَّة فلا تسمح بالدخول الى مدنها لغير من تمّت بهِ تلك الشروط

وللمهاجرين كل الحقوق المدنية التي يتمتع بها اهل البلاد الاصليين وعليهم ما على هؤلاء من الواجبات الاَّ الحقوق السياسية كحقوق الانتخاب والتوظف وما شاكل فانها لا تعطى للمهاجر الاَّ اذا تجنس بجنسيَّة البلاد

وكما انهُ ليس للحكومة ان تمنع المهاجرين من ابناء الدول الاخرى دخول بلادها منعاً قطعيًّا كذلك لا يجوز لها ان تمنع رعاياها من المهاجرة الاَّ اذا سارت في سبل الظلم والاستبداد . ولكن لا بأس اذا ضيّقت على ابنائها في المهاجرة اذا رأَت بذلك ضررًا عليهم وعليها ويجب ان يكون هذا التضييق قانونيًّا مشروطًا معروفًا عند كل السكان حتى لو شاؤُوا اتبعوهُ والاَّ هاجروا طبقاً لنصوصهِ

ومهما قيل في مبدإِ حرية المهاجرة فانهُ من الظاهر الآن للعالم اجمع ان الدول التي تبيحهُ وتتوسع في اعطاء المهاجرين كل الحقوق التي يتمتع بها سكانها هي اكثر الدول تمدنًا

وارقاها علماً وصناعة وتجارة كأنها تعلم مقدرتها وترى نفسها بأمنٍ من مزاحمة المزاحمين او انها تنظر الى المهاجرين نظرها الى ابنائها الاصليين فيزدادون غيرة على مصالحها ويصبحون مع الزمن من اشدّ رعاياها نفعاً واكثرهم اخلاصاً . ويكون مثل الحكومة في هذا الامر مثل التاجر يأتي دائماً بالجديد النافع في ما يجلب من متاعٍ وبضاعةٍ وهي سياسة حكيمة مبنيّة على قاعدة بيولوجية معروفة وهي ان الشعوب المختلطة ارقى من سواها التي ظلت محافظة على دمها فلم يمتزج بدم آخر . فان الشعوب مثل جسم الانسان يطرأ عليها ما يحتاج معهُ الى تبديل الهواء اوتنقية الدم ولا تتأتى هذه الامور بغير المخالطة مع الشعوب الأُخرى وامتزاج الدم بواسطة الزواج

وعندي ان هذا الميل الى المهاجرة الذي نراهُ في معظم سكان المعمور من نتائج مبدإ بقاء الاصلح فمهما شددت امةٌ في المحافظة على كيانها باتباعها قاعدة العزلة والابتعاد عن بقية الامم فليست آمنة شرّ التقهقر والانقراض اذا قضى بذلك نظام سير التمدن - كما انها تصل الى مثل هذه النتيجة اذا خالطت غيرها وامتزجت بمدنية سواها وسار هذا النظام سيرهُ بتغلب الاقوى الاصلح على الضعيف غير الصالح

فاذا كانت النتيجة واحدة في الحالتين — حالة العزلة والانفراد وحالة الامتزاج والمخالطة — وهي ان المدنية المناسبة هي التي تسود فما احرى الامم ان يفكوا قيود التقليد والجهل ويزيلوا الاعتقاد بوجود اختلاف بين شعب وآخر فيسهلّوا سبل الارتقاء على كل الشعوب ويزيلوا الحدود الفاصلة بين الشعوب — الحدود المادية والحدود الادبيّة — الحدود التي يضعونها في الخرائط ويجيشون الجيوش لوقايتها وحدود التعصب الديني والتعصب الجنسي التي يبثونها في عقول التلامذة في الكتب والمدارس

ومن راقب سير الحوادث في العالم يرى ان الميل الى ازالة حواجز الجنسيّة وما شابهها من بين الشعوب اخذ في التقدم والنموّ بين الامم المتمدنة ولهُ من الزعماء امثال جوريس وهرفه القرنساو بين وبابل الالماني .

وليس مشروع اللورد كرومر في الجنسيّة المصريّة الاّ مظهراً من مظاهر هذه الفكرة السامية

سامي الجريديني
محام

المحاضرة الشعرية

المحاضرة في اللغة مصدر من حاضر الجواب اي جاء بهِ حاضرًا . وهي فن حديث عرف في صدر الاسلام او ما يقرب من هذا العهد . على ان ما كان شائعًا في عصر الجاهلية والمخضرمين من تناشد الاشعار يعدُّ من قبيل المحاضرة ايضًا لانهم كانوا يرتجلون ويجيزون ويماتنون كما كان يفعل من بعدهم . ثم لما جاء المسلمون هبت ريحها فيما بينهم وراجت سوقها في عصرهم حتى بلغ من تنافسهم في الشعر انهم جعلوهُ ذريعة لتناول حاجاتهم والاعراب عن افكارهم على تباين منازعها فلم يكن للنثر عندهم الاَّ مقام ثانوي لا يلجأ اليهِ الاَّ من كان عييًا حصر اللسان في مذهب بعضهم . فهذا التمرُّس مضافًا الى ما نشأ فيهم من سليقة الشعر بوأهم المنزلة العليا في البديهة والارتجال حتى صارت تضرب بهم الامثال وصرنا نحسب ما اتصل الينا من هذا القبيل محالاً في محال لما نرى بيننا وبينهم من تباين النسبة وبعد المجال . على ان في المتأخرين من لا يتقاصر ذكاؤُهم وصفاء ذهنهم عن المتقدمين فهم يجارونهم اذا ارادوا ويجيدون في ما اجادوا . وانما السر في تقاصرهم انهم انصرفوا عن الشعر الى التوسع في المدنية والتبسط في اسباب الحضارة والتنافس في مرافق الحياة فضعفت فيهم ملكة الشعر وركدت ريح القريض واصبح الشاعر لا يجيش في صدرهِ الشعر الاَّ للتسلية او الفكاهة في اوقات الفراغ . اما المتقدمون فقد كان الشعر موضوع حديثهم وسمرهم والغاية التي يرمون اليها في حلهم وسفرهم . يرتزقون من اسبابهِ ويستنزلون ري الصلات من فواصلهِ ويرفعون قبابهم بضرب اوتادهِ . وكانوا يزاولونهُ في الدعاء الى الله واستغفارهِ وفي الفخر والانتساب والمديح والهجاء والهناء والرثاء وجميع الفنون الشعرية المنقولة عنهم . وعلى الجملة فقد كان الشعر تاريخًا لهم نقرأُ فيهِ عاداتهم واخلاقهم ومواقعهم وكل ما لهُ علاقة بهم . فهذا كلهُ مع ما علمت من زهد المتأخرين افضى الى بعد النسبة بين الفريقين واستحالة التشابه بينهما في العصرين . بل ادَّى الى استغراب بعض المتأخرين مما انتهى اليهم من اخبار المتقدمين في هذا الصدد حتى صاروا يحسبون ما ينسب الى شعراء الجاهلية والذين بعدهم من البديهة وسرعة الخاطر نوعًا من الخرافات في حين انهُ حقيقي لا ريب فيهِ ولا غبار عليهِ من الاشكال كما يتضح لمن استقصى اخبارهم وطالع اسفارهم . والحق ان لا موضع للغرابة من هذا القبيل لما هو معروف عن توحد اللغة في عصرهم بمعنى انها كانت معربة فصيحة اما اليوم فهي معربة وعامية فاذا اراد شاعر نظم بيت مثلاً اضطر الى اجهاد الذهن والتلقف من هنا وهناك حتى تأتي الفاظهُ فصيحة وعباراتهُ

معربة غير عامية اما هم فلم يكونوا يضطرون الى شيء من هذا بل كانوا ينظمون كما يتكلمون على نحو ما يفعل شعراء الزجل في ايامنا هذه فانهم يرتجلون من المعاني ما يكاد يفوق معاني المتقدمين ببلاغتهِ وجزالتهِ ولكنهُ غير معرب بل هو عامي مثل اللغة التي ننطق بها فحكم الشعراء في ذلك العهد كحكم الزاجلين او "قوالي المغنَّى" في هذا العهد والفرق بينهما في اللغة فقط . وسنورد لك في هذه المقالة من محاضراتهم ما يكفي للمقابلة بين شعراء العهدين ولكنني قبل الشروع في ذلك اعود بالقارىء الاديب الى حد المحاضرة الذي ذكرتهُ في صدر هذه المقالة فيتضح لهُ ان هذا الفن لا يختص بالشعر بل يجري في النثر ايضاً . على انني اخترت هنا الاقتصار على المحاضرة الشعرية لان الشعر اوقع في النفس واعلق بالذهن واضمن لشوق القاريء وميلهِ من النثر . ثم ان البديهة والارتجال والاجازة وما اليها من الفنون ادرجناها كلها تحت قولنا المحاضرات فلا يشكل على المطالع اذا اوردنا شيئاً من الاجازة او توارد الخواطر مثلاً لان المحاضرة اسم عام يطلق على كل جواب جيء بهِ حاضرًا سواء كان لاقتراحٍ او غيرهُ . اذا تقرر كل هذا نقول

سمع مانٍ الموسوس قول بعضهم

حجبوها عن النسيم لاني قلت ياريح بلّغيها السلاما

فقال فتنفستُ ثم قلت لطيفي ويك ان زرت طيفها الماما

حيّها بالسلام سرًّا والا منعوها لشقوتي ان تناما

وحضر النابغة الذبياني عند رجل وكان عمهُ يحاضر بهِ الناس ويخاف ان يكون عيياً فوضع الرجل كأساً في يدهِ وقال

تطيب نفوسنا لولا قذاها وتحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة قذاها ان صاحبها بخيلٌ يحاسب نفسهُ بكم اشتراها

واجتمع الفرزدق وجرير والاخطل في مجلس عبد الملك بن مروان فاحضر بين يديهِ كيساً فيهِ خمسمائة دينار وقال لهم ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسهِ فايكم غلب فلهُ الكيس فبدر الفرزدق فقال

انا القطران والشعراء جربَى وفي القطران للجربى شفاء

فقال الاخطل

فان تكُ زقّ زاملة فاني[1] انا الطاعون ليس لهُ دواء

---

(١) الزاملة الدابة التي يحمل عليها من الابل وغيرها

فقال جرير

انا الموت الذي آتي عليكم فليس لهاربٍ مني نجاه

فقال خذ الكيس فلعمري ان الموت يأتي على كل شيءٍ

واستجاز المتوكل على الله صاحب بطليوس من بلاد الاندلس احد وزراء دولتهِ قسيماً من الشعر وهو

الشعر خطة خسفٍ . فاجاب الوزير مسرعاً . لكل طالب عرفٍ

للشيخ عيبةُ عيبٍ وللفتى ظرف ظرفٍ

وقصد ابن جاخ الشاعر فخر الدولة ابا عمرٍو فلما وصل اليهِ ودخل عليهِ قال لهُ فخر الدولة أجز

اذا مررت بركب العيس حييها

فقال ابن جاخ في الحال يا ناقتي فعسى احبابنا فيها

يا ناقُ عوجي على الاطلال علَّ بها منهم غريباً يراني كيف ابكيها

ام كيف ارفض طيب العيش بعدهمُ ام كيف اسكبُ دمعاً في مغانيها

اني لاكتمُ اشواقي واسترها جهدي ولكن دموع العين تبديها

وروي ان القاضي الفقيه ابا الحسن احد رؤساء المغرب الاوسط حضر بين يديهِ ابن سوَّار الشاعر ورجل آخر يقال لهُ ابو موسى وهو خفيف الروح ثقيل الجسم فجعل يعبث(١) بالحاضرين بابيات من الشعر فقال القاضي ابو الحسن معابثاً لهُ

وشاعرٍ اثقل من جسمهِ

فتصدَّى ابن سوَّار مجيزاً في الحال بقولهِ تأتي معانيهِ على حكمهِ

يهجو ولا يُهجى فهل عندكم ظلامةٍ تعدىء على ظلمهِ

لسانهُ في هجوهِ حية منيَّة الحية في سمّهِ

اما ابو موسى ففي كفهِ عصا ابنهِ والسحر في نظمهِ

يصيبُ سرَّ المرءِ في رميهِ كأنما العالم في علمهِ

ودخل يحيى بن خالد بستان دارهِ ومعهُ جاريتهُ دنانير فرأى بهجة الورد على شجرة فقال اجيزي يا دنانير

الورد احسن منظرًا ، فتمتعوا باللحظ منهُ

فقالت مسرعة فاذا انقضت ايامهُ فالورد انت تنوب عنهُ

(١) يمزح ويهزل

ورأى ابو نواس عنان جارية الناطفي في بعض ايام الربيع فقال اجيزي يا عنان

كلَّ يومٍ عن أُقحوانٍ جديدٍ تضحك الارض من بكاء السماء

فقالت مسرعة

فهو كالوشي من ثياب عروسٍ جلبتهُ التجار من صنعاء

ورآها يوماً وهي تبكي وكان قد ضربها مولاها فقال

بكت عنانٌ فجرى دمعها كلؤلؤ ينسلُّ من خيطهِ

فقالت فليت من يضربها ظالماً تجفُّ يمناهُ على سوطهِ

ورأى العباس بن الاحنف الزلفاء جارية ابن طرخان فقال لها اجيزي

اهدى لهُ احبابهُ أُترجةً(١) فبكى واشفق من عيافة زاجرِ

فقالت ارتجالاً

خاف التلوُّن في الوداد لانها لونان باطنها خلاف الظاهرِ

ودخل رحمون الفارسي على ابي بشر الرياضي يعودهُ فقال لهُ كيف اصبحت يا ابا بشر. فقال

يكاد جسمي من نحول الضنى تحملهُ انفاس عوَّادي

فقال رحمون لم يبقَ الَّا الروح في مهجة يروح او يغدو بها الغادي

وبات ابو بكر البكّي في بعض الفنادق وقد اوقد قنديلاً فدخل عليهِ رجل وعلى وجههِ قناع قد سترهُ فسألهُ عن صناعتهِ فقال انا شاعر. فقال لهُ كالمستهزئ اجز وضرب بعينهِ الى شيء يصفهُ فلم يجد الَّا القنديل فقال

وقنديلٍ كأنَّ الضوء فيهِ محيًّا من احب اذا تجلَّى

فاجاب الرجل في الحال

اشار الى الدجى بلسان افعى فشمَّر ذيلهُ هرباً وولَّى

وصنع زهير بن ابي سلمى بيتاً وقسياً وهما

تراك الارض إمَّا متَّ خفَّا وتحيا ان حييت بها ثقيلا

نزلت بمستقرّ العز منها

فمرَّ بهِ النابغة الذبياني فقال لهُ أجز يا ابا امامة فامسك عن الجواب فاقبل كعب ابنهُ وانهُ لغلام فقال لهُ ابوهُ أجز يا بنيَّ فانشد وتمنع جانبيها ان يزولا

فضمهُ زهير اليهِ وقال لهُ انت ابني حقاً

(١) نوع من الليمون يعرف بالكباد

وولد للفضل بن يحيى بن خالد مولود فدخل عليهِ عمر بن عبد الملك ولم يكن لهُ علم بالخبر فلما مثل بين يديهِ ورأى الناس يهنئونهُ نثرًا ونظماً وقف وانشد ارتجالاً

ونفرح بالمولود من آل برمك بناة الندى والسيف والرمح والنصلِ
وتنبسط الآمال فيهِ لفضلهِ

ثم ارتج عليهِ فقال الفضل ولا سيما ان كان من ولد الفضلِ

وروى احمد بن معاوية قال . قال لي رجل تصفحت كتباً فوجدت فيها بيتاً جهدت جهدي ان اجد من يجيزهُ فلم اجد فقال لي صديق عليك بعنان فجئتها فقلت أجيزي

فما زال يشكو الحب حتى رايتهُ تنفس في احشائهِ وتكلما

فلم تلبث ان قالت

ويبكي فابكي رحمة لبكائهِ اذا ما بكى دمعاً بكيت لهُ دما

ورأى ابو جعفر محمد بن ابرهيم المعدني بيتاً مكتوباً على جدارٍ وهو

لكل شيءٍ فقدتهُ عوضٌ وما لفقد الشباب من عوضِ

فقال مرتجلاً

وليس في الدهر من شدائدهِ اشدُّ من فاقةٍ على مرضِ

وقصد الشيخ ابو الخير الانباري الضرير تعجيز ابي القاسم العدَّاس بين يدي الشيخ العلامة ابي محمد بن برّي لشرّ كان بينهما فقال لهُ ان كنت شاعرًا كما تزعم فأجز

أُدرجت في اثناء نسيانكم حتى كأَني الفُ الوصلِ

فاجابهُ ابو القاسم بديهاً

وكنت عين الفعل في قربكم فصرت لام الجرّ في الفعلِ

وجلس بعض الادباء في روض واخذوا يتذاكرون في ما وُصفت بهِ الدواليب [1] من بعض الاشعار فافضى بهم الحديث وهو ذو شجون الى ذكر الأَعمى التُّطيلي وقولهِ في اسد من نحاس يقذف من فيهِ الماء وهو .

اسدٌ ولو اني انا قشهُ الحساب لقلت صخره
فكأَنهُ اسد السما ء يمج من فيهِ المجرّه

فقال بعضهم يتولد من هذا معنًى في الدولاب يأخذ بمجامع المسامع ويطرب الرائي والسامع فاخذ كلٌّ منهم ينظم ما جاش بهِ غمر بحرهِ وانبأَهُ بهِ شيطان فكرهِ . فلم يكن الاَّ

(1) السواقي بلغة مصر والنواعير بلغة الشام

كنقر العصفور الخائف من الناطور حتى كمل ما ارادوا من غير ان يقف احد منهم على ما نظمهُ الآخر فكان ما نظمهُ القاضي الاعز بن ابي الحسن علي بن المؤيد

حبذا ساعة الجرة والدو لاب يهدي الى النفوس مسرَّه
ادهمٌ لا يزال يعدو ولكن ليس يعدو مكانهُ قدر ذرَّه
ذو عيون من القواديس(١) تبدي كل عين من فائض الماء عبره
فلك دائر يرينا نجوماً كل نجم منها يرينا المجرَّه

وكان ما نظمهُ ابن ظافر

ودولابٍ يئنُّ انينَ ثكلى ولا خطب شكاهُ ولا مضرَّه
ترى الازهار في ضحك اذا ما بكى بدموع عين منهُ ثرَّه(٢)
حكى فلكاً تدور بهِ نجومٌ تؤثر في سرائرنا مسرَّه
يظلُّ النجم يغرب بعد نجم ويطلع بعد ما تجري المجرَّه

وقال ابن المؤيد اجتمعت مع جماعة من ادباء اهل الاسكندرية في بستان لبعض اهلها فحللنا روضاً تثنَّت قامات اشجارهِ . وتغنَّت قينات(٣) اطيارهِ . وبين ايدينا بركة ماء . كجوّ سماء او مرقعة مراء(٤) فنثر عليها بعض الحاضرين ياسميناً زان سماءها بزواهر منيرة . واهدى الى لجتها جواهر نثيرة . فتعاطينا القول في تشبيههِ . واطرق كل منا لتحريك خاطرهِ وتنبيههِ . ثم اظهرنا ما حررنا . ونشرنا ما حبَّرنا . فانشد العباس بن طريف الخرَّاط الاسكندري

نثروا الياسمين لما جنوهُ عبثاً فاستقرَّ فوق الماء
فحسبنا زهر الكواكب تحكي زَهَرَ الارض في اديم السماء

قال وكان الذي صنعتهُ

نثروا الياسمين في لجة الما ء فخلنا النجوم وسط السماء
فكأن السماء في باطن الار ض او الدرَّ طفا فوق الماء

قال وسمع ابو عبدالله بن الزين النحوي القصة ولم يكن حاضراً معنا فقال

نثر الغلام الياسمين ببركة مملوءة من مائها المتدفقِ
فكأنما نثر النجوم باسرها في يوم صحوٍ في سماء ازرقِ

وكان لابن حبيب التنوخي صديق لا يزال يزورهُ اذا غاب عن منزلهِ فاذا حضر لم يأتهِ

(١) واحدها قادوس وهو وعاء للماء (٢) الغزيرة من العيون والسحاب (٣) مغنيات
(٤) واحدها مرآة وهي معروفة

فاخبر بذلك ابن رشيق فقال لهُ هيَّا ننظم شيئاً بهذا المعنى فقال ابن رشيق

ما بالنا نجفى فلا نوصلُ الاَّ خلافاً مثلما تفعلُ
تأتي اذا غبنا فان لم نغبْ جعلتَ لا تأتي ولا تسألُ
كهاجرٍ احبابهُ زائرٍ اطلالهم من بعد ان يرحلوا

وقال ابن حبيب

يا تاركاً ان لم اغب زورتي وزائري دأباً اذا غبتُ
وَدِدت أنْ ودَّك لا ينثني يزور فقداني لو متُّ

وسبقهما الى نظم هذا المعنى ابن خفاجة الاندلسي بقولهِ

صحَّ الهوى منك ولكنني اعجبُ من بينٍ لنا يقدرُ
كأننا في فلك دائرٍ فانت تخفى وانا اظهرُ

وقال علي بن ظافر : روي ان ابن قلاقس ونشوَ الملك اجتمعا في منار الجامع عند الغروب ومعهما نفر من الادباء . فلما رأوا الشمس فوق النيل غاربة والى مستقرها جارية ذاهبة . والهلال في حمرة الشفق . كحاجب الشائب او زورق الورق[1] . اقترحوا عليهما وصف تلك الحال . فقال ابن قلاقس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربةً وانظر لما بعدها من حمرة الشفقِ
غابت وابقت شعاعاً منهُ يخلفها كأنها احترقت بالماء في الغرقِ
وللهلال فهل وافى لينقذها بزورق صاغهُ المولى من الورقِ

وقال نشو الملك : -

يا ربَّ سامية في الجوّ قمت بها امدُّ طرفي في ارضٍ من الافقِ
حيث العشية في التمثيل معركةٌ اذا رآها جبانٌ مات للفرقِ
والشمس هاربة للغرب دراعةٌ بالنيل مصفرَّةٌ من شدة الغرقِ
وللهلال انعطاف كالسنان بدا من سورة الطعن ملقىً في دم الشفقِ

وصعد ابن قلاقس وعلي بن الذروي على منارة الاسكندرية فاقترح ابْن قلاقس على علي ان يصف المنارة فقال بديهاً

وساميةِ الارجاء تهدي اخا السُّرى ضياءً اذا ما حندسُ الليل اظلما
لبست بها برداً من الانس ضافياً فكان بتذكار الاحبة مُعلَما

(١) المراد به الفضة

وقد ظللتني من ذراها بقبةٍ الاحظ فيها من صحابيَ انجما
تخيلتُ انَّ البحر تحتي غمامة واني قد خيَّمت في كبد السما

فقال ابن قلاقس يصفها ويمدح عليًّا

ومنزلٍ جاوز الجوزاء مرتقبًا كأنما فيهِ للنسرين اوكارُ
راسي القرارة سامي الفرع في يدهِ للنون والنور اخبارٌ وآثارُ
اطلقت فيهِ عنان الفكر فاطَّردت خيلٌ لها في بديع الشعر مضمارُ
ولم يدع حسنًا فيها ابو حسنٍ الاَّ تحكَّم فيهِ كيف يختارُ
حلَّى المنارة لما حل ذروتها بجوهر الشعر بحرٌ منهُ زخَّارُ
ما زال يذكي بها نار الذكاء الى ان اصبحت علمًا في رأسهِ نارُ

وجرى نزاع في الشعر بين ابن الدروي وهبة الله بن الوزير وهما في حمام يقال لهُ ابو فروة فتراضيا ان يحكم بينهما احد الادباء فطلب اليهما ان ينظم كل منهما قطعة في وصف الحمام على البديهة ثم يقع التفضيل بينهما بقدر التفاوت بين القطعتين . فقال ابن الدروي

ان عيش الحمَّام عيش هنيءٌ غير انَّ المقام فيهِ قليلُ
جنة تكرهُ الاقامة فيها وجحيمٌ يطيب فيها الدخولُ
فكأَن الغريق فيها كليمٌ وكأَن الحريق فيها خليلُ(١)

وقال ابن الوزير بعد بطءٍ

للهِ يوم بحمَّام نعمتُ بهِ والماء من حوضها ما بيننا جارِ(٢)
كأَنهُ فوق شفاف الرخام بها ماءٌ يسيل على اثواب قصَّارِ(٣)

فانتقد عليهِ الحكم تشبيهُ الماء بالماء كما ترى في البيت الثاني . واستبرد ما اتى بهِ فقال ابن الدروي

وشاعرٍ اوقد الطبع الذكاء لهُ او كاد يحرقهُ من فرط اذكاء
اقام يجهدُ احيانًا رويَّتهُ ففسرَّ الماء بعد الجهد بالماء

وخرج علي بن نظيف الى الاهرام ترويحًا للنفس ومعهُ من الشعراء ابن الساعاتي وابن التاج البغدادي والواسطي وابن الخيمي . فاتفق ان كبَتْ بهِ بغلتهُ ثم وثبت ورفعت يديها فاقترح عليهم ان يتعاطوا القول في ذلك فقال ابن الساعاتي

(١) المراد بالكليم موسى كليم الله وبالخليل ابرهيم خليل الله وفي البيت اشارة لطيفة لا تخفى
(٢) الحمام قد يؤنث ولذلك ارجع اليهِ ضمير الانثى (٣) القصار مبيض الثياب

قيل مادت من تحت ذا السيد الأر ضُ ولم تأتنا لهُ بمثالِ
هو طود النهى ومن اعجب الأشـ ياء ارضٌ تميد تحت الجبالِ

وقال ابن التاج :

جلست بغلة الإمام ثويتا صدق حسٍ كأنهُ إلهامُ
اظهرت ميزةً على النوع اذ أصـ بحَ في الجنس ذا علىً لا ترامُ
نحنُ في خدمة قيام لديهِ ثم بغلاتنا لديهِ قيامُ

وقال الواسطيّ :

لم تكبُ بغلتك الخضراء من خورٍ يا من هو اليوم للاسلام مسعدهُ
لكنما الارض قامت تحتها طرباً اذ شرّفت بك يا من طاب محتدهُ

وقال ابن الخيمي فيهِ :

اقسمت بغلةُ الرئيس المفدّى حين حطّت لعجزها عنهُ ظهرا
انما رفعت يديها قنوتاً(١) بعد ان قبّلت ثرى الارض عشرا

ولما انشد ابو تمام احمد بن المعتصم في حياة ابيهِ بحضرة يعقوب بن الصبّاح الكندي قصيدتهُ التي اولها

مافي وقوفك ساعة من باسِ نقضي رسوم الاربُع الأدراسِ(٢)

وانتهى الى قولهِ

اقدام عمرٍو في سماحة حاتمٍ في حلم احنف في ذكاء اياسِ

قال لهُ الكندي ما زدت ان شبهت الامير بصعاليك العرب . ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم ؟ فاطرق قليلاً ثم انشد

لا تعجبوا ضربي لهُ من دونهُ مثلاً شروداً في الندى والباسِ
فالله قد ضرب الاقلّ لنورهِ مثلاً من المشكاةِ والنبراسِ

فجنّ الحاضرون استحساناً مما اتى بهِ . واجزل احمد صلتهُ . ولما خرج قال الكندي ان هذا الفتى قصير العمر لانهُ ينحت من قلبهِ

وروي ان تميم بن جميل التغلبي عاث ببعض الاعمال فحملهُ مالك بن طوق الى المعتصم فلما قدّم بين يديهِ واحضر السيف والنطع لقتلهِ احب ان يعلم كيف منطقهُ فقال لهُ تكلم . فقال بعد ان حمد الله تعالى ودعا للمعتصم . ان الذنوب تخرس الالسنة وتعمي الافئدة

(١) طاعة (٢) الأربُع الديار والادراس المحوة

وقد عظمت الجريرة وساء الظن ولم يبقَ الاَّ العفو او الانتقام وارجو ان يكون اقربهما مني اليهما بك ثم ارتجل

اری الموت بين النطع والسيف كامناً يلاحظني من حيث لا اتلفتُ
واكثر ظني انك اليوم قاتلي ومن ذا الذي مما قضي الله يفلتُ
واي امرئ يُدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيهِ مصلتُ
يعزُّ على الأوس بن تغلب موقف يسلُّ عليَّ السيف فيهِ واسكتُ
وما جزعي اني اموت وانني لأعلم ان الموت امر موقتُ
ولكنَّ خلفي صبية قد تركتهم واكبادهم من حسرة تتفتتُ
كأني اراهم حين أُنعى اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة اذود الردى عنهم وان متُّ مُوِّتوا

(ستأتي البقية) رشيد عطيه

جرينلندا

معربة عن الانكليزية

هي مجموع جزرٍ عديدةٍ متقاربةٍ يصلها الثلج بعضها ببعض فيخال انها قارة واحدة مترامية الاطراف . ولم تعرف حتى الآن مساحتها بالتدقيق لان قسماً كبيرًا من حدودها الشمالية لا يزال مجهولاً لم تطأهُ قدم انسانٍ الى يومنا هذا ولكن اهل العلم يقولون ان القسم المعروف من مجموع تلك الجزر تعادل مساحتهُ اربعة اضعاف مساحة الجزر البريطانية الثلاث معاً

وسكان جرينلندا قبيلة الاسكيمو واول من عرف هؤلاء الاقوام وبحث في اصلهم ووقف على شيء من عوائدهم واطوارهم الدنمركيون ثم المرسلون المسيحيون الذين جابوا تلك الاصقاع للتبشير منذ مئاتٍ من السنين ثم جماعة من العلماء الرحَّل وصيادي الاسماك الذين حاموا حول شطوط تلك البلاد النائية وتوغلوا في اواسطها

وقبيلة الاسكيمو هذه تقطن بقعةً ممتدة الجوانب تنتهي عند شواطئ الاوقيانوس على ان عددها لا يربو على الخمسين الفاً فسكان قارة جرينلندا والحالة هذه لا يزيدون على سكان

مدينة صغيرة من البلاد المعمورة · وهم قوم بحاتر فتوسط قامة الرجل منهم دون متوسط قامات الاوربيين بكثير · وطول الرجل المعتدل القامة منهم قلما يزيد على خمس اقدام واذا وجد بينهم من يبلغ طولهُ ست اقدام عد من الجبابرة · والذين يقطنون القسم الشمالي من تلك البلاد يأوون الى اكواخ يصطنعونها من الثلج والجليد · اما القاطنون في الجنوب فيسكنون منازل من الحجارة او من الخشب والعشب والتراب ويهجرونها في فصل الصيف ويأوون الى خيام من الجلد · وقد تجتمع عدة عائلات منهم في مكان ليس بالرحب حيث يأكلون ويشربون ويهجعون والاسماك واللحوم منثورة حولهم والكلاب حائمة الى جانبهم · واكثر طعام الاسكيمو من لحوم الحيوانات وهم قليلو التدبير وكثيرًا ما يؤول بهم الامر من جراء ذلك الى الضيق الشديد والجوع وقد روى الكبتن بري الرحالة انهُ التقى بجماعة منهم لم يكن لديهم ما يسدون بهِ الرمق ورآهم ينهشون الجلود التي يكتسون بها لكي لا يهلكوا جوعًا

ونساؤهم يعتنين باولادهن ما زالوا دون الثالثة من عمرهم فيلبسنهم القبعات من الفرو ويحملنهم على ظهورهن ومتى جاوز الصغار هذا السن فلا بدَّ لهم من الاعتناء بانفسهم مقلدين الكبار من ذويهم · والفتيان يتمرَّنون منذ نعومة اظفارهم على الرماية بالقوس والنشاب حتى يجيدوها ومتى بلغ الفتى العاشرة اعطاهُ والدهُ زورقًا خاصًا بالرجال يسمونهُ "الكَيَك" ليتمرن على التجذيف والصيد حتى يحسنهما ومتى بلغ من العمر سبع عشرة سنة رافق والدهُ وعاونهُ على صيد الاسماك واول سمكةٍ يصطادها تكون داعيًا الى سرور العائلة وابتهاجها · اما الفتيات اللواتي لهنَّ من العمر اربع عشرة سنة فيطلب منهن الخياطة والطبخ وتهيئة الجلود وبعد سنتين او ثلاث يجب عليهن اتقان التجذيف في المراكب الخاصة بالنساء وبناء الاكواخ

وتجارة الجرينلنديين ضيقة النطاق محصورة في عددٍ قليل من الاصناف يشحنون بها مراكبهم ويسافرون مع عيالهم للمتاجرة · ولقد تطول رحلتهم احيانًا الى سنة فاكثر وحيثما ألقوا عصا الترحال يبتنون الاكواخ ليأووا اليها

والغش نادر عندهم والسرقة اندر ولكنهم يستحلون خدع الاوربيين ويعدون سلب اموالهم مهارة يفتخرون بها وهم مع ذلك يتاجرون معهم ويبادلونهم شحم الحوت والجلود بالادوات والسلع المصنوعة من الحديد او الفضة · اما الذهب فلا قيمة لهُ عندهم ولا يحسبونهُ اثمن من الفضة والنحاس ويفضلون عليهِ الحديد الذي ينفعهم ولا سيما الادوات التي تصنع منهُ للصيد والقنص

وعندهم اعياد كثيرة اكبرها عيد الشمس يقع في اقصر يوم من السنة وهو الحادي والعشرين من شهر دسمبر فيحتفلون بهِ لظهور الشمس بعد احتجابها ولحلول فصل الصيد والقنص ويعمُّ الابتهاج بهذا العيد جميع انحاء الجزيرة فيعمدون الى كل ما لديهم من انواع اللهو والمسرة

ولقد يندهش الانسان حينما يرى اتقان هذه الامة الصغيرة لبعض اعمالٍ يقدم افرادها عليها رغماً عن قلة الادوات والآلات اللازمة لما عندهم . من ذلك بيوتهم تراها قائمة على احسن نظام هندسي ومبنية على طريقة تدرأُ عنهم الحر وتقيهم زمهرير البرد واضرار العواصف

اما ما يدعونهُ "بالكيك" ومعناهُ قارب الرجل وهو اشبه بزورقٍ طولهُ من ثماني عشرة الى عشرين قدماً يتناقص عرضهُ تدريجاً من وسطهِ الى مقدمهِ ومؤخرهِ فهو اشبه شيء بمكوك الحائك عريض الوسط ضيق الطرفين وهو مع ذلك لا يزيد عرض وسطهِ على قدمٍ ونصف او قدمين وعمقهُ لا يتجاوز القدم الواحدة . لا يسع سوى رجلٍ واحدٍ يجلس في وسطهِ . وكبر هذه الزوارق يختلف باختلاف كبر اجسام اصحابها فمن كان من هؤلاء طويل القامة كان زورقهُ كبيرًا ومن كان قزماً كان زورقهُ صغيرًا . والكيك المتوسط الكبر لا يزن اكثر من ستين ليبرة اي ٢٧ كيلو غراماً ويمكن حملهُ على الرأس بلا عناء شديد . ويجلس الرجل في كيكه وامامهُ قلسه مطوَّى ووراءهُ وعاءٌ صغير من الجلد يحفظهُ دائماً منتفخاً ويوثق الى القلس ويستعمل كجاروفةٍ يرمى بها عند اصابة الفريسة فتعيق سيرها . ويصنع المجذاف من خشب الصنوبر الاحمر ينزَّل بالعظام على جوانبهِ ولا يقل طولهُ عن سبع اقدامٍ . والكيك مدرَّع بجلدٍ يستبدل بغيرهِ كل سنة . وهذا النوع من القوارب سريع السير جدًّا ولذلك صارت الحكومة الدنمركية تستعملهُ لحفظ المواصلات بين المواقع البحرية . اما قارب المرأة فيسمى "أُوميك" ويبلغ طولهُ عادةً عشرين قدماً وعرضهُ خمساً وعمقهُ ثلاثاً والاوميك المتوسط يسع عشرين نفساً ويصنع من الواحٍ تشدّ بعظام الحيتان ويكسى الكل بالجلد . ويتولى عادة قيادة هذا الزورق اربع من النسوة يتعاونَّ على العمل ويتبع الاوميك دائماً زورق من زوارق الرجال حتى اذا مست الحاجة بادر الرجل الى المساعدة . وعندهم مركبة بلا عجل يجرها الايل ويستعين الاسكيمو بها على قطع المراحل الشاسعة مدة ثمانية اشهر من السنة ويُعد الرجل غنياً ومثرياً اذا كان يملك زورقاً ومركبةً زحافة .

ويندر ان توجد في العالم كلهِ شواطئ تكثر فيها الحيوانات البحرية مثل شواطئ الجهات الشمالية المجلدية التي يكسوها الجليد على مدار السنة فمن غرب جرلنلندا على طول شواطئ اميركا الشمالية آلاف من الحيوانات كالدببة والكلاب والثعالب وملايين من البط

وعددٌ لا يعد من الطيور المائية لا تنفك تغدو وتروح البعض في الجو والبعض على بقع شاسعةٍ من الثلج والكل في حركةٍ متواصلة مما يجعل المسافر يهتم بها لانها طعامهُ وبحركتها الدائمة تؤنس ذلك السكون الموحش الباسط رواقهُ على تلك الاصقاع المتنائية . وكلما تقدم في فيافي جرينلندا الشمالية كثر ما يراهُ من انواع الحيوانات وهي وان تكن دون حيوانات الاقاليم الحارة بجمال اللون غير انها تبدو بمظهرٍ في تلك المجاهل يروق الناظر اليها ولذلك لايخلو السفر الى الاصقاع القطبيَّة من اللذة والفكاهة حتى لقد ظنَّ البعض انهُ يمكن جعلها متنزهات لاهل الغنى والترف اذا أُتقن البالون وصار ركوب الهواء مأموناً

ومعلوم ان الدواب في الاقاليم الحارة وبرها قصير ورفيق اما في الاصقاع القطبية فهو غليظ جدًّا كذلك الطيور المائية قد خصت بثوبٍ كثيفٍ من السبد والريش المطلي بمادةٍ دهنية تسهل عليها الغوص في المياه بدون ان تخشى ضرراً او خطراً . ومعظم حيوانات تلك الاصقاع الباردة من الجوارح والضواري تجد طعامها في البحر فالارض هنالك قلَّ ان تنبت ما يقوم بمعيشة الحيوان واكثر الطعام الذي تقتات بهِ جوارح الطير نوع من الاحياء يملأُ تلك البحار . وهو كثير التموُّج كصغار الافاعي ولذلك يقال لهُ "مديوزه" . ويدخل الفصفور في تركيب تلك الاحياء ولذلك تراهُ يضيءُ في الليل وهو يكثر في بعض الاماكن حتى يغطي وجه الماء فمتى تموجت تلك الملايين من الاحياء البراقة خيّل للناظر اليها ليلاً انها امواج من نارٍ متلاطمة

وتختلف تلك الاحياء شكلاً وحجماً فبعضها صغير لا يرى بالعين المجردة وقد اتفق كثيراً ان اناساً لما رأَوا سطح الماء يتلألأُ على هذا الوجه الغريب ذهلوا لعدم رؤْيتهم شيئاً في الماء يوجب هذا اللمعان فانزلوا الدلاء وملأُوها من تلك المياه علَّهم يجدون ما يزيح اللثام عن هذا الامر فلم يروا في الماء شيئاً بعيونهم . والبعض الآخر حجمهُ كبير ولهُ قوةٌ غريبة فهو كثيراً ما يقبض على سمك اكبر حجماً منهُ ويفترسهُ ومع ذلك فلا تجد فيهِ من المادة شيئاً يذكر ومما يوجب العجب والدهشة انهُ اذا وُضع على الشاطىء وعرّض قليلاً للهواء والشمس يجف ولا يبقى منهُ سوى غشاء رقيق . والحيوانات التي من هذا النوع يفوق عدَّها الحصر في البحور الشمالية واحياناً تكثر في الماء فيتغير بها لون البحر على بُعد مئات من الاميال . وجلُّ اعتماد الحيتان وما على شكلها في الغذاء على هذه الحيوانات

ادمون زلزل

الماس الطبيعي والصناعي

(تابع ما قبله)

نشرنا في الجزء الماضي جانباً من خطبة السر وليم كروكس في عمل الماس وكيفية تكوّنهِ في الطبيعة ووعدنا باتمامها في هذا الجزء وانجازاً لذلك نقول :—

التفت الخطيب بعد ما تقدم الى مذهب آخر في تكوُّن الماس فقال :—

ارتأى البعض ان الماس هبة من السماء صُنع فيها ونزل الى الارض مع النيازك . واول من قال بذلك في ما اظن ميدنبور بانياً قولهُ على ان الماس لا يوجد الاَّ حيث توجد حجارة نيزكية سقطت في العصور الخالية وغار بعضها في الارض وكان غورهُ كثيراً او قليلاً حسب ليونة الارض وصلابتها . وقد فعل الهواء والشمس والمطر بهذهِ النيازك ففتتها وجرفت الامطار الجانب الاكبر منها وبقيت حجارة الماس التي كانت تحويها في مجاري الانهر ورمالها

ومفاد هذا المذهب ان انابيب كمبرلي المشار اليها آنفاً حدثت من خرق النيازك للارض بوقوعها عليها فالحجارة الكبيرة خرقت الارض وغارت فيها والحجارة الصغيرة تكسَّرت وتفتت وبقي ماسها على سطح الارض . وهذا المذهب غريب جدًّا ولكن ما نعرفهُ من امر الماس يجعل هبوطهُ من السماء قريب الاحتمال واكبر مؤيد لهُ ما وُجد في اريزونا باميركا فان هناك سهلاً قطرهُ نحو خمسة اميال وجد فيهِ نحو الفي قطعة من الحديد النيزكي يختلف ثقلها من نصف طن الى كسر من الاوقية . ولا شبهة في ان هذه القطع نيازك وقعت من الجو ولو لم يُعلم في اي زمن وقعت . وفي منتصف البقعة التي وجدت فيها فوهة كفوهة بركان مرتفعة الجوانب قطرها ثلاثة ارباع الميل وعمقها نحو ٦٠٠ قدم شكلها مثل شكل ارض وقع عليها جسم ثقيل وغار فيها . وقد بلغ ما جُمع من هذه الحجارة من هناك حتى الآن عشرة اطنان ولا توجد مجموعة جيولوجية خالية منها . وكان احد الجيولوجيين يقطع حجراً من هذه الحجارة فوجد فيهِ اجساماً اصلب من الحديد النيزكي فامتحنهُ كيماويًّا فاكتشف فيهِ ماساً فاعلن ذلك ثم اثبت الاستاذ مواسان والاستاذ فريدل صحة هذا الاكتشاف . وتدلُّ المواد التي وجدت مع الماس ان تلك النيازك كانت في درجة من الحرارة مثل حرارة الاتون الكهربائي . ومن ثم جعل علماء الكيمياء يفتشون عن الماس في الحجارة النيزكية في كل مكان فوجدوهُ فيها وهوذا صور فوتوغرافية صوّرتُ بها حجراً من الماس الحقيقي وجدتهُ في قطعة من الحجارة النيزكية التي أُتي بها من كانيون ديابلو في اريزونا

فلا شبهة اذاً في ان الماس يكون في الحجارة النيزكية . وهذه الحجارة يتأكسدحديدها بفعل الهواء ويلوّن الارض حولها بلونهِ الاحمر ولكن الهواء لا يفعل بالماس الذي فيها فيبقى في مكانهِ . وقد بقيت قطع كثيرة من الحديد النيزكي في اريزونا بسبب جفاف الهواء هناك وقصر الزمن الذي مضى من حين وقعت الى الآن . وما حدث هناك يمكن ان يكون قد حدث في الازمنة الجيولوجية في اماكن كثيرة

ولكن وقوع الماس من الجو ليس بالاسلوب الطبيعي لوجود الماس في الارض بل الاسلوب الطبيعي ان يوجد الماس في الارض كما وُجد في اجرام السماء لان الارض لا تختلف عنها في بنائها فالزبرجد يوجد في اكثر النيازك ومع ذلك لا يقول احد انهُ لا يوجد في صخور الارض ايضاً متكوّناً فيها تكوُّناً . وقد اثبت السبتكرسكوب ان تركيب الاجرام السموية مثل تركيب الارض وان النيازك تشبه الحجارة الارضية في عناصرها كما تشبه اجرام السماء . ولا تقتصر المشابهة على العناصر بل تتناول ايضاً المواد المركَّبة منها اي ان تركيب المواد الارضية والسمويَّة واحد

وقد ثبت مما تقدَّم (في الجزء السابق) ان الحديد اذا أُحمي الى درجة عالية جدًّا وكان عليهِ ضغط شديد كما يحدث في جوف الارض اذاب الكربون ثم ان الكربون الذائب يتبلور كما يتبلور غيرهُ من المواد التي تصهر فيتكوّن منهُ الماس . وقد ثبت ايضاً ان هذه الشروط تتوفَّر في الاجرام السمويَّة كما تتوفَّر في الارض لان نيازك كثيرة سقطت منها حاملة الينا حجارة ماس

وتدلُّ الدلائل كلها على ان ماس المناجم وماس المعامل الكيماويَّة صنعا على اسلوب واحد والماس الذي يوجد في انابيب المناجم لم يتكوّن فيها بل تكوّن في جوف الارض على عمق كثير وتحت ضغط شديد . وتكسُّر حجارة الماس الكبيرة حينما تستخرج دليل على انها تكوّنت تحت ضغط شديد ولذلك تجد بلورات الماس الكاملة اقل من البلورات المتكسّرة . ولم توجد حتى الآن قطع تتألف منها بلورة كاملة الاَّ مرةً واحدة وقد وجدت هذه القطع على اعماق مختلفة وذلك يدلُّ على انها لم توجد حيث تكوّنت لان الطبيعة لا تكون اجزاءً من بلورات بل بلورات كاملة . ثم ان حدود هذه القطع لم تزل حادة دليلاً على انها غير بعيدة من مقرها الاصلي . والظاهر ان الماس تكوّن في اماكن مختلفة في المنجم الواحد والاَّ ما وجد فرق كبير بين حجارتهِ المختلفة

ولا يصعب علينا ان نتصوَّر ان قطعاً كبيرة من الحديد فيها كثير من الكربون كانت في

جوف الارض تحت المناجم الحاليَّة حيث الحرارة والضغط شديدان جدًّا وكافيان لاحداث ما يحدث الآن في المعامل الكيماويَّة

وبعض بلورات الماس مخططة سطوحها بمثلثات متساوية الاضلاع مشتبك بعضها ببعض واذا نظر اليها بالميكرسكوب ظهرت خطوطها غائرة في سطح البلورة. وقد استنتج غوستاف روز من ذلك ان بلورات الماس هذه عرضت للاحتراق بعد تكوُّنها لانهُ وجد ان حجارة الماس التي حاول احراقها بالبوري تولَّد على سطحها مثل هذه الخطوط. وقد عرضتُ حجارة الماس للحرارة فحدث فيها مثل هذه الخطوط ولكنها لم تكن جميلة كالخطوط الطبيعيَّة اي ليست منتظمة ولا حادة مثل الخطوط الطبيعيَّة

وقد يكون الماس الصناعي كمثريّ الشكل كأنهُ كان سائلاً في جسم آخر سائل ثم برد وتبلور وهذا الشكل موجود ايضاً في الماس الطبيعي . وقد لا يكون الماس الطبيعي متبلورًا كما يحدث لو جمد جسم سائل في وسط جسم آخر سائل والاول لا يمتزج بالثاني

وذكر الخطيب خواص اخرى من خواص الماس الدالَّة على انهُ كان سائلاً فتبلور تحت ضغط شديد كانكسار البلورات الكبيرة من تلقاء نفسها حال خروجها من المنجم ولا سيما اذا مسكتها بيدك وكانت يدك سخنة. وانتقل الى الكلام على صلابة الماس فقال ان الماس صلب جدًّا ولكن صلابتهُ على درجات مختلفة وقد يكون بعض جوانب الحجر الواحد اصلب من البعض الآخر. والماس الذي وجد في نيوسوث وايلس باستراليا اصلب جدًّا من ماس جنوبي افريقية حتى تعذَّرت شخشنتهُ في اول الامر. ولما كان الحجر المعروف بقوه نور يشخشن وُجد جانب منهُ شديد الصلابة جدًّا وبقيت الآلة تنحتهُ ست ساعات متوالية ولم تنحت منهُ شيئًا وكانت سرعها ٢٤٠٠ دورة في الدقيقة فزيدت الى ٣٠٠٠ دورة فأثَّرت فيهِ

ثم اظهر صلابة الماس بعملية عملها امام الحضور وهي انهُ وضع حجرًا من الماس على سندان من الفولاذ وانزل عليهِ مطرقة من الفولاذ وضغط الاثنين بالمضغط المائي فدخل حجر الماس في الفولاذ كما تدخل الحصاة في التفاحة من غير ان تثلم حدودهُ. ثم قال ولا يفوق الماس في صلابتهِ الاَّ معدن التنتالوم وهوذا قطعة منهُ اعطانيها الخواجات سمنس اخوان . وقد أُريد ان يثقب ثقب في صفيحة من هذا المعدن فاستُخدم لذلك مثقاب من الماس يدور خمسة آلاف دورة في الدقيقة وبقي هذا المثقاب يدور كذلك ثلاثة ايام بلياليها فلم ينزل في الماس الاَّ ربع مليمتر. وتستعمل اسلاك التنتالوم الآن بدلاً اسلاك الكربون في القناديل الكهربائية لانها لا تصهر الاَّ عند الدرجة ٢٣٠٠ بميزان سنتغراد

الَّا ان صلابة الماس ليست اهم خواصهِ واهم منها تكسيرهُ لاشعة النور فانهُ يحرفها كثيرًا فلا تعود تنفذهُ اذا كانت سطوحهُ السفلى مائلة على ٢٤ درجة و١٣ دقيقة او اكثر بل تنعكس عنها الى الاعلى فكل النور الذي يقع على حجر الماس المشحَّن ينعكس عنهُ الى جهات كثيرة حسب سطوحهِ وهذا سبب لمعانهِ وبريقهِ وتلوُّن النور المنعكس عنهُ

واذا عُرِض الماس لنور الشمس مدة صار ينير في الظلام . وبعض حجارة الماس تظهر مبيضَّة في نور الشمس . واذا وضعت في مكان مفرَّغ من الهواء ومرَّ بها مجرًى كهربائي شديد انارت بنور ضارب الى الزرقة اذا كانت من جنوبي افريقية واذا كانت من اماكن اخرى فالغالب ان نورها هذا يكون ازرق زاهيًا او برتقاليًّا او احمر او اخضر ضاربًا الى الصفرة . وعندي حجر اخضر اللون اذا وضع في انبوب مفرَّغ من الهواء واتصل بهِ المجرى الكهربائي صدر منهُ نور ساطع كأنهُ مصباح منير حتى تستطيع ان تقرأ على نورهِ في الظلام . ونورهُ ابيض ضارب الى الخضرة . وقد بقي هذا الحجر مدة طويلة والكهربائية تفعل بهِ فاظلم سطحهُ ثم احمي الى الدرجة ٥٠٠ فزالت الظلمة وعاد كما كان اولاً . وها حجر آخر اذا عُرِض لقنديل كهربائي صغير مما يوضع في الجيب ثم فُرِك بقطعة من الجوخ ظهر على الجوخ خط فصفوري منير

احتراق الماس

اذا أُحمي الماس في الاكسجين الى درجة عالية من الحرارة من ٧٦٠ الى ٨٧٥ احترق وبقي منهُ قليل من الرماد شكلهُ كشكل الحجر قبلما احترق وهذا الرماد مؤلف من الحديد والكلس والمغنيسيا والسلكا والتيتانيوم . والرماد قليل جدًّا واكثرهُ حديد ولكن الرماد من الماس المدخن يبلغ احيانًا اربعة في المئة

فعل الراديوم بالماس

اذا مرَّت اشعة الراديوم المعروفة باشعة ب على حجر من الماس اضاء بنور ساطع . وقد وضع حجر من الماس في قطعة من بروميد الراديوم وترك فيها اكثر من اثني عشر شهرًا فاكتسب لونًا ازرق جميلاً زاد بهِ ثمنهُ . وارى الخطيب الحضور حجارة من الماس ازرقَّ لونها بتعريضها لاشعة الراديوم وقال ان الازرقاق غائر في الحجر لا يزول باحمائهِ في الحامض النيتريك وكلورات البوتاسيوم ولا باحمائهِ الى درجة الحمرة الَّا ان اشعة الراديوم قد تلوّن حجارة الماس بلون اسود وامتحن الخطيب ذلك امام الحضور فسوَّد حجرًا من تكون الغرافيت على سطحهِ وختم الخطبة باحماء حجر من الماس الثمين بالمجرى الكهربائي وتحويلهِ الى فحم اسود من نوع الغرافيت

اليابان والاستعراض البحري

اجتمع في مرفإ جمستون باميركا في الشهر الماضي ٦٧ سفينة حربية اربعون منها للولايات المتحدة الاميركية وسبع وعشرون لدول الارض ارسلتها الى هناك اكراماً للولايات المتحدة ولم ترسل هذه الدول من اكبر بوارجها بل من اكبر طراداتها المدرعة التي صنعتها قبل حرب اليابان والروس ماعدا اليابان فانها ارسلت طرّاداً جديداً صنعتهُ بعد الحرب صُنع في بلادها بكل مافيهِ كأنها تقول بهِ لاهالي اوربا واميركا انظروا ما تستطيعهُ هذه المملكة الشرقية من غير ان تلجأ الى مساعدتكم في شيء فقد صارت مستقلة عنكم غير محتاجة اليكم حتى في بناء البوارج الحربية. وهذا الطراد او البارجة في شكل الطرّاد واسمهُ صوكوبا محمولهُ ١٤٠٠٠ طن وسرعتهُ ٢١ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة واثنا عشر مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وابراجهُ مدرعة بدرع من الصلب سمكهُ ٩ بوصات ولهُ منطقة من الصلب سمكها ٧ بوصات فهو من حيث مدافعهُ مثل اقوى البوارج الانكليزية والاميركية

ويتلو الطراد الياباني طراد انكليزي اسمهُ جود هوب محمولهُ ١٤١٠٠ طن وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا ونصف ميل فهو اسرع من الطراد الياباني ولكنهُ دونهُ في قوتهِ الحربية لانهُ مسلح بمدفعين قطر فوهة كل منهما ٩ بوصات وعشران و١٦ مدفعاً قطر فوهة كل منها ٦ بوصات وهو مدرَّع بمنطقة سمكها ٦ بوصات

ويتلوهُ طرّاد فرنسوي اسمهُ فكتور هيغو محمولهُ ١٢٤١٦ طناً وسرعتهُ ٢٢ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كل منها سبع بوصات وستة اعشار و ١٦ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات واربعة اعشار وهو مدرَّع بمنطقة سمكها ست بوصات وثلاثة ارباع البوصة وابراجهُ مدرعة ايضاً بدرع سمكهما ٨ بوصات ومن مزاياهُ ان ابراجهُ عالية تعلو من ٢٦ قدماً الى ٣٤ قدماً عن سطح البحر فتشرف على ما حولها الى امد بعيد

وارسل الانكليز ثلاثة طرادات اخرى غير الطراد المشار اليهِ آنفاً وكلها مدرعة وكبيرة وسريعة السير ولكنها دون الطراد الياباني وان كانت اكبر واقوى مما ارسلتهُ سائر الدول لان محمول كلٍّ منها ١٠٩٥٠ طناً وسرعتهُ من ٢٣ ميلاً وستة اعشار الميل الى ٢٢ ميلاً

والدول التي اشتركت في هذا الاستعراض البحري هي انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا واسوج والبرتغال واليابان وشيلي وارجنتين والبرازيل. اي كل الدول البحرية ماعدا روسيا واسبانيا. وجاءت اليابان في هذا الاستعراض بعد انكلترا وقبل سائر الدول الاوربيَّة لان

ليس عند دولة منها طراد يقابل بالطراد الياباني

اما الولايات المتحدة الاميركية فاستعرضت ثماني عشرة بارجة كبيرة اكثرها من الطبقة الاولى بين بوارج دول الارض في محمولها وكبر مدافعها فان بعضها مما محموله ١٦٠٠٠ طن او ١٥٠٠٠ طن ومدافعها مما قطره ١٢ بوصة او ١٣ بوصة . واستعرضت طرادين مدرعين محمول كلٍّ منهما ١٤٥٠٠ طن وفيهِ اربعة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ١٠ بوصات

وقد بانت الولايات المتحدة بهذا الاستعراض انها من اقوى الدول البحريَّة ونفت من الاوهام الحلم الذي يحلم بهِ كثيرون وهو ان الناس لا بد من ان يبطلوا الحروب في القريب العاجل وتكون الولايات المتحدة رائدهم الى ذلك . فانهم قد لا يلتقون في ميادين القتال ولكنهم يتبارون في الانفاق على الاستعداد للحرب كأنهم يتحاربون فعلاً . فالثماني عشرة بارجة التي عرضتها الولايات المتحدة انفقت على عملها اكثر من عشرين مليونًا من الجنيهات وهي تنفق على حفظها وتمرين رجالها بضعة ملايين اخرى وكل هذه الاموال مبتزَّة من دماء الفلاحين والصنَّاع . وقس على ذلك بوارج سائر الدول فان ثمن البارجة منها من مليون الى مليونين من الجنيهات وهي لا تحفظ ما لم ينفق عليها وعلى رجالها نحو ربع مليون جنيه كل سنة ولا تقيم اكثر من عشرين سنة ثم تحسب عتيقة غير صالحة للاستعمال . وقد قيل ان الاستعداد للحرب يمنع الحرب وهذا صحيح ولكن هذا "السلم المسلَّح" ثقيل الوطأة كالحرب ثم اذا نشبت الحرب والدول على هذا النمط من الاستعداد والمنتفعون منها من اصحاب الاموال والمعامل والضباط والقوَّاد متربّصون للانتفاع تربُّص الجياع ومتهالكون في سبيلهِ تهالك المجانين فمن يستطيع ان يقدّر ما ينتج منها و يترتب عليها من الضرر والالم لنوع الانسان

وغاية ما يستفاد من هذا الاستعراض ان اليابان صارت دولة منيعة الجانب تستطيع ان تستغني عن اوربا في عمل البوارج وآلات الحرب . ولا يبعد ان تتعلَّم الصين منها وتقتدي بها وتحاول ممالك الهند ان تنسج على منوالها فتنهض ممالك اوربا لمناوأتها ويعود العراك والصدام فينجلي عن فوز الشرق او فوز الغرب فان كان الفوز للشرق قبل ان يستعدَّ ابناؤُهُ او جمهورهم للحكم الدستوري بقي الاستبداد فيهِ او استولت الفوضى عليهِ وان كان الفوز للغرب توالت الحروب والخطوب الى امد بعيد . وكيفما التفتنا لا نرى من وراء هذا الاستعداد الكثير الاَّ التعب والنصب ولا نجد فيهِ بارقة امل بالكفِّ عنهُ والعدول عن هذا الجنون الذي تملَّك العقول كأن الاحياء لم توجد الاَّ لتجاهد وتصارع ويفني بعضها بعضًا حتى لا يبقى منها الاَّ الاقوى والاصلح للبقاء

الفلسفة العملية

الخطبة الثانية

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة الخطبة الاولى التي تلاها الاستاذ وليم جمس الفيلسوف الاميركي وجعلها تمهيدًا لبحثهِ في الفلسفة العملية · ونحن ذاكرون الآن خلاصة الخطبة الثانية

قال الخطيب كنت منذ بضع سنوات اتنزَّه مع بعض الرفاق بين الجبال وانفصلت عنهم قليلاً لبعض شؤوني ثم رجعت اليهم فوجدتهم يتحاورون محاورةً فلسفية وموضوع محاورتهم سنجاب كان واقفًا على ساق شجرة وعلى الجانب الآخر منها رجل يدور حول ساق الشجرة ليرى السنجاب والسنجاب يهرب منهُ الى الجهة المقابلة فلا يستطيع ان يراهُ مهما اسرع في الدوران حول الشجرة · وكان بعضهم يقول ان الرجل يدور حول السنجاب في دورانهِ حول الشجرة وبعضهم يقول انهُ لا يدور حول السنجاب ولو دار حول الشجرة · فلما رجعت اليهم عرضوا الخلاف عليَّ واقاموني حكماً بينهم فخطر ببالي قول اهل الجدل انهُ اذا وقع الخلاف وجب الالتجاء اولاً الى التخصيص فقلت لهم ان الحكم في هذا الخلاف يتوقف على المعنى المراد من الدوران حول السنجاب فاذا اردتم بذلك الدوران من الجهة الشمالية منهُ الى الجهة الشرقية فالجنوبية فالغربية فالشمالية فالانسان دار حولهُ لانهُ كان الى شمالهِ مثلاً فدار الى الشرق منهُ وظلَّ دائرًا حتى عاد الى شمالهِ . ولكن اذا اردتم بالدوران ان الرجل كان امام السنجاب ثم صار الى يمينهِ ثم وراءهُ الى يسارهِ ثم عاد الى امامهِ فواضح ان الرجل لم يفعل ذلك فلم يدر حول السنجاب بل بقي امامهُ ولو فصل ساق الشجرة بينهما · فاذا ادخلتم هذا التخصيص في المسألة فالفريقان مصيبان ومخطئان حسب المراد من كلمة دار · فاقتنع جمهورهم بصحة كلامي ولكن بقي منهم مَن يقول اني لجأتُ الى المغالطة لكي لا احكم لهم

وقد ذكرت هذه الحادثة الطفيفة لانها تدلُّ على ما اريدهُ بالفلسفة العملية فان الفلاسفة يختلفون في مسائل كثيرة واختلافهم فيها من هذا القبيل · من ذلك اختلافهم في هل العالم واحد او متعدد وهل هو هيولي او روحي وهل الامور مقدَّرة او غير مقدرة · فالفلسفة العملية تستدعي ان يفسَّر المراد بكل قول من هذه الاقوال بتتبعهِ الى نتيجتهِ العملية فاذا لم يوجد فرق عمليّ بين هذا القول وذاك فالمراد بهما واحد ولو اختلفا لفظًا وبذلك ينتهي الجدال واذا كان القولان او الرأيان مختلفين حقيقةً وجب ان يوجد فرق فعلي بين مدلوليهما وبهذا الفرق الفعلي يتبين الصحيح من الفاسد

واول من استعمل كلمة البرغمتزم (اي الفلسفة العملية) المستر تشارلس بيرس في مقالة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية سنة ١٨٧٩ ولكن لم يلتفت اليها الفلاسفة الى ان اعدتُ ذكرها منذ تسع سنوات واوضحتُ فائدتها ومن ثمَّ كثر استعمالها في المجلات الفلسفية . وقد رأيت ان اوستفلد استاذ الكيمياء في مدرسة ليبسك جرى على هذه الفلسفة ولو لم يسمها بهذا الاسم وكتب اليَّ يقول " ان كل الحقائق تؤثر في اعمالنا وتأثيرها هذا هو المعنى الذي نفهمهُ لها . ولقد اعتدت ان اسأل تلاميذي قائلاً ان كان هذا الامر صحيحاً فما تأثيرهُ في العالم وان كان ذاك صحيحاً فما تأثيرهُ ايضاً فاذا كان تأثيرها واحداً فهما صحيحان على حدٍ سوى او لا اختلاف بينهما والاَّ فهما مختلفان " (اي ان الامور بنتائجها)

ما اكثر المسائل الخلافية التي يزول الخلاف منها وينتهي جدال الفلاسفة فيها اذا امتحنت بهذا المقياس اي نُظر الى نتائجها العملية . فان كان فيها اختلاف حقيقي وجب ان يظهر في نتائجها والاَّ فلا اختلاف فيها . فيجب ان يكون غرض الفلسفة البحث عن النتائج التي تنتج لك ولي ولكل احدٍ في وقت معلوم من حياتنا اذا كان هذا المذهب صحيحاً او ذاك

والفلسفة العملية ليست امراً جديداً فقد كان سقراط من انصارها وجرى ارسطوطاليس عليها وعلى اسلوبها سار لوك وبركلي وهيوم لكن هؤلاء الفلاسفة استعملوها من غير انتظام وعلى غير قاعدة ولم يظهر انها عامة الاَّ في زماننا . وعندي انها ستعمُّ كل معارف الناس ويكون الفوز لها اخيراً

نعم ان القسم العملي من الفلسفة كان شائعاً دائماً ويراد الآن ايضاحهُ على اسلوب قانوني وبصورة مقبولة . والفيلسوف العملي يغضي عن كثير من المسلَّمات التي اعتاد الفلاسفة التصديق لها والاعتماد عليها — يغضي عن الاقوال الموضوعة التي تتخذ حججاً والقضايا المسلَّمة التي تحسب من البديهيات والقواعد التي تقيّد العقل بها والدعاوي التي مفادها خرق حجاب الغيب والوصول الى ما لا تدركهُ العقول . يغضي عن هذه كلها ويلتفت الى الحقائق المقرَّرة الى الامور المادية . الى الاعمال . الى القوى . الى ما نراهُ ونشعر بهِ . فيترك الامور النظريَّة ويتمسك بالامور العملية . يترك العقائد والاقوال الموضوعة والدعوى بمعرفة حقيقة الاشياء ويتمسك بما توحيهِ اليهِ الطبيعة ويستنتجهُ من افعالها

وهذه الطريقة اي الطريقة العملية تغير مزاج الفلسفة فيقف امامها الفلاسفة النظريون مغلولي الايدي كما يقف رجال الملكية اذا صارت البلاد جمهورية تقترب بها الفلسفة من العلم ويتصافحان ويتفقان

لقد كان للسحر شان كبير في تاريخ الانسان وكان اعتماده على الالفاظ والجمل التي يعزّم بها على الجن والشياطين والعفاريت التي قالوا ان سليمان كان يجمعها ويأمرها بما يشاء لانهُ كان يعرف اسماءها . وكذلك جرت الفلسفة معتمدة على الالفاظ والحدود كأن اسرار العالم طلاسم لا تحل الأ بهذه الالفاظ او بما فيها من القوة التي تنير العقول مثل كلمة هيولى وقوة وعقل وما اشبه وتجد الانسان يستريح اذا وصل اليها فيقف عندها كأنها خاتمة المطاف ولا شيء وراءها

ولكن الفلسفة العملية لا تقف عند حد الالفاظ بل تطلب ان تعلم مدلول كل لفظة منها اي قيمتها العملية وهي لا تحل مشاكل الفلسفة بل ترشد الى طريق البحث والاستقصاء والاستقراء . وعليهِ تصير الآراء النظرية آلات للبحث عن الغوامض ولا تبقى حلاً للغوامض كما كانت قبلاً فلا ننام معتمدين عليها بل نسير ونستعين بها في سيرنا . وليس في ذلك شيء جديد في الجوهر بل هو مطابق لما مال اليهِ وجرى عليهِ كثيرون من الفلاسفة الاقدمون فهو موافق لما اعتقدهُ الفلاسفة النفعيون في نظرهِ الى الجهات العملية والفلاسفة اليقينيون في احتقارهِ الحل اللفظي والغث من المسائل وما لا يدرك منها

فالفلسفة العملية تقاوم الفلسفة النظرية في ادعائها كشف الغوامض وحل المشكلات ولكنها لا تدعي انها تؤدي الى نتيجة محدودة ولو في مبدإها وما هي سوى طريقة للبحث او كما قال عنها الفيلسوف بابيني الايطالي انها كالدهليز في المنزل تفتح اليهِ كل ابواب غرفهِ فترى في غرفة منها رجلاً يؤلف كتاباً في موضوع ادبي وفي الثانية رجلاً راكعاً على ركبتيهِ يطلب الايمان والقوة وفي الثالثة كيماوياً يمتحن خواص الاجسام وفي الرابعة اناساً يكشفون بعض الغوامض الفلسفية وفي الخامسة اناساً غيرهم يبينون استحالة المذاهب الفلسفية ولكنهم كلهم يمتلكون الدهليز الذي بين غرفهم ويستعملونهُ للوصول اليها والخروج منها

فالفلسفة العملية طريقة للبحث ترشد من يسير فيها الى الاعتماد على النتائج والوقائع والثمرات بدل الاعتماد على المبادىء والمقولات والمسلمات

وسنأتي على تتمة هذه الخطبة في الجزء التالي لان معانيها عويصة تقتضي تفصيلاً مسهباً لا يحتملهُ هذا الجزء فضلاً عن ان غرضها من اهم الاغراض التي يرمي اليها محبو نوع الانسان

خطبة شيشرون في المحاماة عن ليكاريوس (١)

تمهيد للمترجم

قلَّت اذن بشرٍ في الخافقين لم تسمع باسم شيشرون فخر الرومانيين وامام خطبائهم غير ان خطبهُ لم تنقل الى اللسان العربيّ فيما اعلم ولشدّ ما كان يشوقني ما اسمعهُ واقرأهُ من اطراء بلاغتهِ أن اقف على خطبهِ لكي أرى اين هو من هذا الصيت الذي جاب الارض وازداد رفعةً على تطاول الدهر لكن الاعمال التي كنت ازاول لم تكن تبقي لي من الوقت الّا ما لا بدَّ منهُ لاستجمام القوّة واستعادة النشاط وقد تيسَّر لي هذه السنة الاشتغال بتصنيف يطلب مثل هذه المطالعات وكان فيما قرأت خطبة لهُ في الدفاع عن ليكاريوس وردّ دعوى تيبرون عليهِ مترجمة بالفرنسويَّة ومطبوعة في باريز سنة ١٨٥٣ مع الاصل اللاتيني فنقلتها الى العربيَّة حبّ ان يطَّلع عليها من الناطقين بالضاد من لا سبيل لهم الى الوقوف على ما لصاحبها من الخطب الّا مترجمًا بالعربية وهذه الخطبة هي التي حملت قيصر ان يعفو عن ليكاريوس بما تضمنت من قوة الاحتجاج ولطف الاستعطاف وكلِّلت بابهر الانتصارات الخطابيَّة ألا وان قيصر لتأثرهِ من بعض فقرها سقطت من يديهِ الالواح التي كان قد خطّ فيها القضاء على ليكاريوس وتلك هي الفقر التي دافع بها عن ليكاريوس وعلّق بعنق تيبرون تلك الجناية التي تجنّى بها على ليكاريوس ومثّلهُ للعيان يقاتل قيصر باشدّ العداوة في واقعة فرسال وبيَّن على رؤوس الملا انهُ اكبر من ليكاريوس جرمًا

والذي وصل الى ايدي الناس من خطب شيشرون ٥٦ خطبة بعضها قضائيَّة دافع بها عن المتهمين وبعضها سياسيَّة وقد خدمها الكتاب والخطباء وفُرِض استظهارها على الطلبة ولم تزل في مقدّمة الامثلة التي يحتذى عليها . ولقد انشأ عدّة مصنفات في علم الخطابة لا يزال علَم شرفها منشورًا . وقصارى القول ان بقاء كتب شيشرون وخطبهِ في الرتبة الاولى في جميع الممالك الافرنجيَّة وقد نبغ فيها من الخطباء والادباء خلق كثير لا يذكرونها الّا بالثناء بعد التنقيب وتدقيق النظر من كل وجهٍ من الوجوه التي يقضي بها للخطبة او عليها ينتظم دليلين على امرين الدليل الاوّل على علو طبقتها والدليل الثاني على سعة علم المقرّظين وسلامة صدورهم من التعصُّب لهُ اوعليهِ

(١) Ligarius رومانيّ اشتهر بمقاتلة قيصر وخلصهُ شيشرون ببلاغتهِ وقوّة بيانهِ وتوفي ليكاريوس هذا في السنة ٤٦ قبل المسيح

ألا ليت شعري هل سمع عن عالم عالم تقريظ لا مسوّغ لهُ الاَّ الحبّ اوجامعة من الجوامع ام هل نُقل عن عالم عالم انتقاد لم يحمل عليهِ الاَّ حسدٌ تتّقد في الصدر نارهُ بل ليت شعري هل كان الحبّ هو الذي دفع ابولونيوس حتى يقول لشيشرون يوم خلب ألباب اليونان بطلاوة بيانهِ وحملهم على تصدية الاستحسان مرارًا ما هذا تعريبهُ بالحرف الواحد "انا أُطريك اطراءً لا شكّ فيهِ واعجب منك لكنني اتلهّف اسفًا على حظ بلاد اليونان فلم يبقَ لها الاَّ مجد الخطابة وقد اوشكت ان تسلبها اياهُ وتهبهُ للرومانيين" . فهذا كلام عارف صادق لم يعمِ بصيرتهُ الهوى ولم يدفعهُ الى الخروج عن الصواب . وكفى هذا الرجل فخرًا ان يقال فيهِ مثل هذا الكلام

وقد بقي عليّ ان اذكر ان هذا الخطيب ولد سنة ١٠٦ وتوفي قتيلاً سنة ٤٣ قبل المسيح وبذل على تنشئتهِ غاية ما في الوسع وهو فقد تعلم اليونانيَّة وبرع فيها حتى صار من الطراز الاول كما كان في لغتهِ اللاتينية ومن شيوخهِ اركياس نزيل رومة وسيفولا الذي علّمهُ الفقه وفيلون الذي علّمهُ التعاليم الافلاطونيَّة وسوسيان ديودت الذي علّمهُ المنطق وابولونيوس الشهير استاذ الخطابة في رودس الذي خرّجهُ في طريقة الاداء واساليب الالقاء وهو الذي نقلنا ترجمة تقريظهِ لهُ . وهو من محتدٍ مكرّم غير ان احدًا من عشيرتهِ لم يتقلّد منصبًا من مناصب الدولة ولذلك كان يقال "شيشرون رجلٌ جديدٌ" وكان اوّل طلبهِ الانتظام في عداد خدّام الدولة يُعيَّر بلقبهِ فقال آليتُ لأجملنّهُ اشرف لقب عند الرومانيين وقد لعمرك أبرّ قسمهُ

الخطبة

(١) قيصر ان تيبرون احد انسبائي قد رفع الى مقامك شكاية جديدة لم يُعرف لها نظير حتى اليوم . قد شكا ليكاريوس انهُ كان بافريقية . ولقد تجرَّأ على الاعتراف بهذا الامر لما كان واثقًا بمكانتهِ عندك ولذلك بلغ ارتيا كي الغاية القصوى . واذ كنت على يقين انك لم تطّلع على الأمر بنفسك وان لا احد يعرّفك بهِ رأيت من المفيد ان أُطلعك عليهِ انقاذًا لا ثيم . ولكن بما ان العدوّ قد تحيّل فكشف سرّنا وصاحبي قد اخذ عليّ سبيل البقاء على ما كان في قصدي بادئ الامر فلا أُنكر شيئًا ولا ملاذ لي الاَّ ما اختبرهُ كثير من ابناء الوطن من حلمك وكرم سجيّتك ولا سيما ان حلمك أنالهم من نسيان الزلة فوق ما أنالهم من العفو والمغفرة ومن ثمّ فقد ظفرتَ يا تيبرون بما هو احبّ شيء الى المشتكي اي باقرار المشتكى عليهِ . لكن بماذا اقرّ اقرّ بانهُ شايعَ الحزب الذي شايعتهُ انت والذي ابوك الجليل كان

مثلك تعلقاً بهِ فلا بدَّ لكليكما قبل ان تعيبا ليكاريوس ان تعرفا انفسكما مجترمين نفس الجريمة التي اجترم

ان ليكاريوس أُقيم وكيلاً لكونسيديوس فشخص الى افريقية وليس ثمَّةَ من دليل على الحرب . وكان في منصبهِ هذا يستألف ويستميل الوطنيين والاحلاف وان كونسيديوس لو ألقى مقاليد الولاية الى آخر لكان قد برح ذلك الاقليم وهو مخيّب آمال اهلهِ عامة . واما ليكاريوس فقد امتنع طويلاً عن قبول القيادة حتى الجأتهُ الحال بعد الاباء الشديد ان يقبلها . ولقد احسن الادارة كل ايام السلم ونهج منهج النصفة والنزاهة حتى احبتهُ قلوب الرومانيين والاحلاف وانطلقت أَلسنتهم بالثناء عليهِ

فلما نشبت الحرب فجأَةً علم الذين في افريقية قبل ان يعلم غيرهم ما أُعدَّ لها فلدن انتشر خبرها اخذ الغضب جماعةً واعمى الخوف جماعةً فطلبوا زعيماً يستطيع ان يخلصهم ويؤيد حزبهم . فلم يتقيد معهم ليكاريوس بعهدٍ ولا حلفٍ فان انظارهُ كانت طامحةً الى رومة ولا بغية لهُ الاَّ الانضمام الى عترتهِ

وفي هذه الاثناء ورد مدينة اوتيكا[1] فاريوس الذي كان والي الاقليم قديماً فتبادر الناس اليهِ من كل صوب وللحال قبض بفرط الرغبة على زمام السلطة ان صحَّ ان نسمي سلطة السلطة التي يأخذها رجل بمجرَّد هتاف دهماء[2] عمياء لم تشترك معها الحكومة البتَّة . اما ليكاريوس فسُرَّ بأَن لم يكن لهُ دخلٌ في شيءٍ من جميع هذه الحركات وقد شعر ببعض الراحة عند وفود فاريوس المشار اليهِ

(٣) فالى الآن ليكاريوس غير ملوم . لم يغادر رومة لاضرام نار الحرب بل لم يكن يخالج ضميرهُ ان يصطلي بحرب . ولما تقلّد الوكالة سافر ايام السلم ولما كان يدبر شؤُون خير الاقاليم واكثرها امناً واطمئناناً كان من مصلحتهِ ان يستمرَّ الاطمئنان فما كان سفرهُ موجباً لسخطك البتة وان كنت تؤَاخذهُ على اقامتهِ بافريقية فذهابهُ اليها لم يقع عن مقصدٍ سيءٍ واقامتهُ بها كانت بحكم الضرورة ولم يكن فيها الاَّ شريفاً . وبناءٌ على ذلك سواء سافر بصفة انهُ والٍ وسواءٌ قبل ولاية افريقية بطلب الاقليم فلا سبيل الى ان يوجَّه اليهِ عتاب او لومٌ في هاتين المدَّتين

اما مكثهُ في مدينة اوتيكا بعد وفود فاريوس اليها فان كان جنايةً فعن غير اختيارٍ بل عن اضطرار . ولو أن الامر في يدهِ لأفلت ولوازنَ بين مدينة اوتيكا ورومة ولقابل بين

(١) مدينة قديمة بافريقية . اشتهرت بانتحار كاتون الروماني فيها ولذلك دعي كاتون الاوتيكيّ

(٢) الدهماء : العامة

التيوس واخوتهِ الاعزَّاء عليهِ وبين الغرباء وبين اهلهِ وعترتهِ (١) ففرط محبَّتهِ لم كان لهُ كل مدَّة ولايتهِ داعي الأسف والجزع فأنَّى يرتضي ان ينفصل عنهم ليسير تحت اعلام الاعداء

فاذن ياقيصر لم تجد في اعمال ليكاريوس حتى الساعة دليلاً على خبث نيتهِ

وانظر بايّ ثقة أُدافع عنهُ . اخون مصلحتي في خدمة مصلحتهِ فيا لها من شفقة عجيبة ويا لها من فضيلة جديرة بكل اماديحنا وحقيقة بان الاقلام تقيم لها الذكر الخالد . وحسبك ان شيشرون ينكر بين يديك ان المحامي عنهُ كانت لهُ هذه المقاصد التي يعترف انها كانت مقاصدهُ دون من عداهُ ولم يخشَ ما ربما يخطر لك فيهِ وهو يحامي عن ذلك الشخص

(٣) ألا انظر أي اطمئنان لي ألا انظر الى ما لكرمك وحكمتك من عظيم الوقع عندي وقد هممت ان اصيح باعلى صوتي حتى يسمع كلامي الشعب الروماني كلهُ

قيصر ان الحرب كانت قد ابتدأت وكانت كأنها قد انتهت يوم هممتُ مختاراً غير مكرهٍ ان انضم الى الثائرين عليك

اذن الى من اسوق كلامي اسوقهُ الى من احاط علماً بكل اعمالي ولم ينتظر ان يراني لكي يردني الى المشيخة . الى الذي كتب اليَّ من مصر أن حالتي في مأمن من أي تغيير . الى الذي انفرد في المملكة الرومانية بلقب امبراطور ولم يأنف ان اقاسمهُ هذا الشرف والجاه . الى الذي اخبرني على لسان بنصا الحاضر هذا النادي انهُ قد اباح لي ان احفظ الحُزم المكللة بأكلة الغار ما شئت . الى من لا يعدّ انهُ صنع معي جميلاً ان لم يحافظ لي على كل هذه النعم اتمّ المحافظة

اتحسبني ياتيبرون اخشى ان اعترف لليكاريوس بما اعترفت بهِ لنفسي . مع ذلك قد تكلمت عن نفسي محاذرةَ ان تيبرون يستقبح ان اذكر الشيء نفسهُ عنهُ . اني اهتم بامورهِ فكلانا مرتبط بحبال قرابة دموية ولقد طبت نفساً بما اوتيهُ من الذكاء والشغف بالآداب ولا جرم ان لي ان افتخر بمجد شاب من ذوي قرابتي

لكني اسألهُ من ذا الذي يؤاخذ ليكاريوس على وجودهِ بافريقية ويعتدُّ ذلك جريمة عليهِ فهو يجيب أن المؤاخذهُ على ذلك رجل مالت نفسهُ الى ان يكون بافريقية فتشكى من ان ليكاريوس حال بينهُ وبين بغيتهِ فحقد ذلك عليهِ ورجل انتهى بهِ الامر الى ان حارب قيصر نفسهُ . ما ذا كنت يا تيبرون تفعل في ميادين فرسال (٢). والسيف بيدك تريق بهِ

(١) العترة : ولد الرجل وذريتهُ وعقبه من صلبهِ وقيل رهطهُ وعشيرتهُ الادنون ممن مضى وغبر

(٢) مدينة قديمة بناحية من بلاد اليونان يقال لها تسالية وفي فرسال هذه انتصر قيصر على بومبه بعد ملحمة هائلة .

الدماء . ما الدم الذي كنت تريد ان تسفكهُ وفي شاكلة من كنت تريد ان تغمد حسامك وعلى مَن هاج هائجك وفار فائرك . فأيّ عدوٍ كنت تبغي الايقاع بهِ . ما ذا كنت تريد وماذا كنت تتمنى

(٤) وآخر الامر يا تيبرون ما كانت بغيتنا الاَّ ان نفعل ما يفعلهُ المنتصر اليوم ومن ثمَّ يا قيصر فالذين تجاوز بك الحلم عن جناياتهم واصبحوا بمعزل عن العقوبة هم يدعونك الى الشدة والقسوة . آه يا تيبرون هذا امر لا ارى فيهِ اثرًا لحكمتك ولا اثرًا لحكمة والدك على تميّزهِ بقوة العقل وغزارة المعارف . لم يرَ عواقب شكوى مثل هذه والاَّ لرسم لك خطة غير هذه الخطة . قد افرغت جهدك ان تجرّم من هو مقرٌّ بجرمهِ بل انك قد اشتكيت على من هو اخفُّ منك جرمًا او ان كان لهُ ذنبٌ فهو الذنب الذي انت تعترف انك اقترفتهُ

فهذا ولا ريب صنيع ادهش منهُ . والامر الذي لا يكاد يصدق هو ان شكواك لا تقف عند نفي ليكاريوس بل تتخطى الى اهلاكهِ . وما من رومانيٍ قبلك تجرأ على ما تجرأتَ عليهِ فذلك خلق غريب عندنا اجنبيٌّ عنا . فلم يتعود ارواء الحقد بسفك الدم الاَّ اليونان والبرابرة . وماذا تطلب مع ذلك . اتطلب ان لا يكون لكاريوس في رومه وان لا يعيش مع عترتهِ ومع اخوتهِ ومع بروكيوس عمهِ ومع ابن عمهِ هذا ومعنا . أتطلب ان لا يكون في وطنهِ . لكن هل هو في وطنهِ . وهل في الامكان ان يحرَم عترتهُ واحباءهُ اكثر مما هو محرومهم . ابواب ايطاليا مسدودة في وجههِ هو منفيٌّ مغرَّب . ليس هو في وطنهِ الذي تبغي ان تحرمهُ اياهُ . ما من احد التمس مثل هذا الملتمس حتى من الوالي الذي كان يقتل كل من يكره ويأمر بالملاحم من عند نفسهِ بلا التماس من احد ولست مغاليًا في ذلك بل كان يشجع الناس و يعدهم العطايا السنية ومع ذلك فان قيصر الذي تحاول ان تحملهُ اليوم على القساوة قد عاقب عمالهُ القساة

(٥) ولكن أتقول يا تيبرون انك لا تطلب قتل ليكاريوس . انا اعتقد ذلك فلقد عرفتك وعرفت أباك وعترتك وقد عرفت ان حبَّ الفضيلة والانسانيَّة والعلوم والفنون كانت في كل الازمان صفةً متوارثةً في بيتكم فانا على يقين اذن انك لا تطلب الدم لكنما سلكت طريقة الحمق . ألا وقد بينت لنا انَّ ما كابد ليكاريوس من العناء لا يشفي غليلك فهل بعد ذلك غير الموت . هو مغرَّبٌ منفيٌّ فما لك عليهِ بعد هذا أأن لا يُعفى عنهُ . فيالهُ من ملتمس هو لعمر الحقّ اشدّ قسوةً وافظع بربريَّةً . وانَّا نسأل في قصر قيصر نعمةً واحدةً نلتمسها بدعواتنا وعبراتنا خارّين على قدميهِ وتعويلنا على حلمهِ اشدّ من تعويلنا على صحة دعوانا . واما أنت

فتفرغ ما في وسعك حتى نُرفض طلبتنا ولايجاب سؤلنا فانت تخمد زفراتنا ومتى قبلّنا ركبتيهِ تمنعنا ان نرفع صوت الاستعطاف والاسترحام. فلو فاجأتنا ساعة استعطفنا قيصر وتضرَّعنا لهُ في صرحهِ ولم يذهب تضرُّعنا باطلاً وهتفت وقتئذٍ أَن يا قيصر لا تشفع اخوةً يشفعون في اخٍ لهم لكان ذلك صنيعاً بربريّاً وأَقبح من هذا وأَفظع ان تحضر المحكمة لتحاول ان تمنع قيصر ان يجود بالعفو مع الحاحنا في التماسهِ وان تغلق باب حلمهِ في وجوه كثير من الاشقياء

يا قيصر اصرّح بين يديك بما يخطر لي فاقول لو لم يكن سعدك العالي مصحوباً بما جبلتَ عليهِ من رقة الطباع . نعم بما جبلتَ عليهِ من رقة الطباع (انا افهم ما اقول) لغشي سواد الحداد بياض انتصارك فان كان في المغلوبين جماعة يريدونك قاسياً فكم من امثال لهم في الغالبين وكم في الغالبين ايضاً من اهل الحفائظ الذين لا تنحلُّ عقدة غضبهم يحولون بين الناس وبين حلمك وعفوك فانَّ هؤلاء الذين اصابوا نعمة عندك لا يريدونك الاّ قاسياً على غيرهم

اذا نحن أَقنعنا قيصر ان ليكاريوس لم يأْتِ الى افريقية . واذا توسّلنا الى انقاذ وطني مرزوء بكذبٍ يسوغهُ الشرف وتقضي بهِ الانسانيَّة يكون قبيحاً والحالة هذه ان نفنّد ذلك الكذب وندحضهُ وان حقَّ ذلك لأَحد فلا يحقُّ لمن يتأيدهِ تلك الدعوى اقتحم هذا الخطر نفسهُ . على ان القصد الى ان يكون قيصر مخدوعاً او القصد الى انهُ لا يعفو امران مختلفان كل الاختلاف . ولو كان ذلك لكنت قلت يا قيصر ان الناس يخدعونك . فان ليكاريوس كان في افريقية وثار بالسلاح وخرج عليك ماذا تقول اليوم . تقول احذر أَن تعفو . أَهذه لغة انسان في حقّ انسان . يا قيصر ايُّ من خاطبك بمثل هذا الكلام فقد جرَّد قلبهُ من الحنان وأَخمد نفس المروءة ولكن يدهُ أَضعف من أن تستأصل الحنوّ من قلبك

(٦) ان تيبرون في عرضهِ الاوَّل أَراد ان يتكلم في جريمة ليكاريوس ان لم اكن واهماً . وما دعواهُ على ليكاريوس الاَّ من الامور المدهشة فما من احدٍ اشتكى شكوى لها مثل هذا الوجه . ولا سمع ان الشاكي كان مجرماً الجريمة التي شكا بها غيرهُ . أَهذا يا تيبرون تسميهِ جرماً ولمَ سميتهُ . انّ هذه الدعوى حتى الساعة لم تنجلِ . فبعض يسميها خطاء وبعض يسميها خوفاً وبعض قلة عفو وبعض يدعوها طمعاً وشراهةً وبغضاً وعناداً

وقال الذين أَقسى منهم ان هذه الدعوى جنون . وانت وحدك تدعوها جرماً فان طلبنا كلمةً محكمةً او اسماً وضعياً موافقاً لبلايانا فأَقول ان سطوةً مشؤومةً منتشرة في المشيخة جرّت الاضطراب والمذيان على الأَرواح كافَّةً وانهُ لا عجبَ ان كانت الآراء البشريَّة تخلّى

لإرادة الآلهة الضابطة الكل وفي امكاننا ان لا نكون اشقياء وحاكمنا ذلك المظفر العظيم · لكن لا أعنينا · انما أعني الذين هلكوا · نعم قد يكون انهم كانوا طامعين اهل حدة وعناد ولكن لا بدَّ على الاقل ان لا نهين روح بومبه [1] ولا ارواح غيره بنبزهم [2] بالحمق والغضب وقتلة الآباء · أُجلك يا قيصر عن النطق بهذه الالفاظ الفاضحة ألا وانك لم تقصد بالحرب الا كشف العار · وجيشك المظفر لم يحارب الا اثباتاً لحقوقه وحفظاً لمقامك . ولما عقدت الصلح لم تعقده مع المنافقين بل مع فضلاء بلادك

يا قيصر اما انا فلا يكون قيمة في عيني لما اوليتنيه من النعم لو ظننتك عفوت عني عفوك عن مجرم واما انت فلو ابقيت جمّاً غفيراً من الخائنين في مقاماتهم وكراماتهم ما كنت قد خدمت الوطن وقد توهمت بادىء بدء ان الفتنة في البلاد كانت اختلافات آراء لا وقائع دموية بين متضادين · نعم كلا الحزبين كان يريد مصلحة المملكة لكننا التحزب والمصلحة الشخصية قد أديا الى اغفال هذا المقصد · وأما فضل رؤساء الفريقين فقد كان سواء ولو لم يكن فضل اشياعهم متساوياً · فاشتبه الامر على الناس فلم يقدروا ان يميزوا بين الصالح والفاسد · واما اليوم فقد جاءت الآلهة بفصل الخطاب واذ كان حلمك قد ظهر ظهوراً باهراً فلا يسعنا الا السرور بظفر ان كان قد هلك فيه احد فبحد السيف في حومة الوغى

(٧) لنخلِّ الدعوى العمومية اي مصلحة الامة ولنقبل على دعوانا الخصوصية · اتقول يا تيبرون ان خروج ليكاريوس من افريقية كان اسهل عليه من عدم اتيانك اليها · انهُ كان عليه ان ينفذ اوامر مجلس الشيوخ ولا تنسَ ان مجلس الشيوخ نفسهُ كان قد انتدب لكاريوس لهذه الخطة فأطاع ايام كانت الطاعة فرضاً لازماً وحين اطعت انت لم تكن الطاعة واجبة على احد . فهل اعدك في ذلك ملوماً · كلاَّ ان محتدك واسمك وبيتك ومبادئك لم تكن لتسمح لك ان تأتي امراً غير هذا فلا يسعني ان اوافقك على الافتخار بصنيع انت تلوم الناس عليه

قد جرى الاقتراع على ولاية الاقاليم بامر مجلس الشيوخ فخرجت افريقية في نصيب تيبرون وكان غائباً عليلاً فعزم ان لا يقبل الولاية وقد تمكنت بما لي من العلاقات معهُ ان اقف على تفاصيل هذه المسئلة كافة — قد ربينا معاً وكنا رفيقين في الجندية ثم مرتبطين بالمصاهرة وحبيبين منذ قديم وزد على ذلك ان اتفاق الآراء قد احكم ايضاً كل هذه الرُبط

(1) بومبه اشتهر في افريقية وغلب في فرسال بعد وقعة هائلة وقتل في مصر بامر بطليموس العاشر وكان ذلك سنة ٤٨ وميلادهُ سنة ١٠٦ قبل المسيح

(٢) يقال نبزه بكذا : اذا لقبهُ بهِ وهو شائع في الالقاب المستهجنة القبيحة

بيننا ووثق هذه الاواصر[1] فاعلم اذن ان اول فكر افتكرهُ تيبرون ان لايغادر رومة لكن الحّوا عليهِ واستجاروا باسم المشيخة المقدس بحيث لو كان رأيهُ مخالفاً لآرائهم لما استطاع ردّ تلك الالحاحات الشديدة ولا التخلص منها . فاذعن بل بالاحرى اطاع سلطة رجل نبيل عالي المقام فشخص في اولئك الذين كانوا متحزبين لهذه الدعوى نفسها ولما كان قد ابطأ في سيرهِ شيئاً وصل افريقية فاذا هي في يد غيرهِ فكان ذلك مدعاة لشكوى تيبرون من ليكاريوس وحقدهِ عليهِ

لكن ان كل ابتغاء الولاية على هذه البلاد جريمةٌ فانت الذي اردت ان تكون افريقية تحت امرك وهي اعظم اقاليمنا التي اعدتها الطبيعة لأن تحارب الرومانيين فلم تكن انت اخف جريمةً من رجل لم يكن اشدّ منك ميلاً الى البقاء بها ومع كل ذلك فما الذي تشكوهُ بهِ . أتشكو عدم قبولنا في افريقية . وهب انك قبلت فيها اكنت سلمتها الى قيصر ام كنت منعتهُ منها بالسلاح

(٨) لاحظ يا قيصر كم يلقي في قلبي حلمك وكرم اخلاقك من الشجاعة بل من الجسارة . فان زعم تيبرون ان اباهُ كان قد سلمك الاقليم الذي مجلس الشيوخ والقرعة كانا قد القيا مقاليدهُ اليهِ لما ترددت حتى في حضرتك ان انكر باشد العبارات وابلغها مقصداً لو انفذ لكان انفاذهُ مفيداً لمصلحتك . فانك لو انتفعت بالخيانة لاستحقرت الخائن وهذا القول حسبي لا ازيدك عليهِ. وليس ذلك خوف ان أخدش مسامعك الحليمة بل كراهية ان يعزى الى تيبرون امرٌ لم يدر في خلدهِ. قد حظر عليك يا تيبرون ان تطأ ارض اقليمك وزعمت ان منعهم اياك كان على اقبح الوجوه هواناً فكيف اطقت ذلك الهوان والى من رفعت شكواك بهِ أالى من سرت تحت لوائهِ. فان كنت قد اتيت الاقليم لتخدم قيصر فكان ينبغي ان تنضم الى قيصر فلم تفعل بل ذهبت فانحزت الى عدوهِ بومبه فكيف تجرأت ان تشتكي بين يدي قيصر على من منعك ان تحارب قيصر . ومع ذلك تفتخر مموهاً انهُ لو لا معارضة فاريوس وغيره من الناس لكنت قد سلمت الاقليم الى قيصر . واني انقم على ليكاريوس انهُ حرمك فرصة فخر باهر ومجد عظيم

(٩) قيصر . انظر اي ثبات لتيبرون الرجل التحلي بكثير من الصفات الرائعة . فالثبات افضل عندي من سائر الفضائل ولو لم اعلم انك انت نفسك تقدمهُ على جميعها لما ذكرت

(1) الاواصر جمع آصرة وهي ما عطفك على الرجل من رحم او قرابة او صهر . والآصرة ايضاً المعروف

ذلك فهل رئي قطُّ في رجل ما ثبات مثل هذا بل صبرٌ كصبرهِ فما اقل أُولئك الذين في الفتن الاهلية كانوا قادرين ان ينضموا الى من لم يحسنوا استقبالهم بل اطرحوهم بقساوة . مثل هذا السعي يشف عن نفس كبيرة ويدلُّ على ان لا هوان ولا شدة ولا خطر تستطيع ان تذهب بصاحبهِ عن الحزب الذي حاز بهُ

هذا ولنفترض ان تيبرون وفاريوس سواءٌ في الفضائل والشرف وعلو المقام والذكاء فان الاول اي تيبرون يفضل الثاني اي فاريوس بانهُ وفد على اقليمهِ بامر مجلس الشيوخ مؤيدًا بسلطة شرعية ولما رفضهُ الاقليم ذهب لكن لا الى قيصر خوف ان يقال انهُ كان يفعل ذلك عن حقد ولا الى رومة تملصًا من ان يرمى بالتهاون والتواني ولا الى اقليم آخر من الاقاليم محاذرة ان يقال انهُ خطَّأَ الحزب الذي مال اليهِ بل توجه الى مقدونية الى معسكر بومبه الي ذلك الحزب الذي كان قد اطرحهُ اطراحًا مخزيًا

ان قلة مبالاة الرجل الذي انحزت اليهِ مما نزل بك من الاهانة فتت في عضدك وبردت حميتك . نعم كنتم في المعسكر لكن قلوبكم كانت بعيدةً منهُ ولا غرو ففي الحروب الاهلية يتشوَّق الناس كما كنت اتشوَّق وانتم تتشوَّقون الى الفوز . نعم لا انكر اني كنت أُشير بالسلم لكن كان قد فات وقتهُ . فكان الفكر في السلم ضربًا من الجنون وقد كانت الجيوش في حومة الوغى فكلنا كما قلت واقول نريد ان نغلب ولا سيما انت اذ انضممت الى الجيش فلم يبقَ لك ندحةٌ عن الانتصار او الموت ومع ذلك ففي هذه الحال لا اشك انك لا تفضل الحياة التي منَّ بها عليك قيصر على الانتصار الذي تتوق اليهِ

(١٠) ما كنت قلتُ ما قلتُ يا تيبرون لو علمت انك ستندم على ثباتك او ان قيصر سيندم على احسانهِ فايُّ اهانة كنت تسعى للانتقام لها أَاهانتك ام إهانة المشيخة فان كانت إهانة المشيخة فابدأ بتبرئة ثباتك مع هذا الحزب وان كانت اهانتك افتطن ان قيصر ينتقم لك من اعدائك وهو لم ينتقم من اعدائهِ فهل ترى يا قيصر اني حاولت ان أُدافع عن ليكاريوس وان ابرئهُ وازكيهُ ولم يكن غرضي من الكلام الَّا ان احرك مروءتك وحلمك ورأْفتك

قد دافعتُ في كثير من الدعاوى حتى معك حين نجاحك الاول في المحاماة ولم تسمعني قط اقول امام المحاكم اعفوا ايها القضاة ان من أُدافع عنهُ قد ارتكب الخطأ والاثم لا عن رويَّة وان كان لا سمحت الآلهة قد وقع ذلك منهُ فيما بعد

هذا منهج المدافعة عن ولدٍ بين يدي والدهِ واما القضاة فيقال لهم لم يفعل ذلك ولم يكن لهُ اربٌ فيهِ والشهود مزورون والشكوى افتراءٌ . ألا قل يا قيصر فلستَ هنا الآقاضيًا قل ايّ

حزب اتبع ليكاريوس . انا اسكت على هذا واعدل عن كثير من الوسائل التي كانت تقع موقع القبول عند قاضٍ . فانهُ غبَّ ان سافر وكيلاً عن الحاكم قبل القتال وبعد ان ترك في اقليمهِ كل مدَّة السلم وعقب ان فاجأتهُ حرب غير متوقَّعة فبدلاً من ان يسعى في قتالك كان ميلهُ معك يدعو لك بالفوز . هذا ما ينبغي ان يقال لقاضٍ لو كنتَ قاضياً لكني اخاطب اباً فاقول اني اخطأت وغلطت وانا نادم مستغفر عن زلّتي فان كنت حتى الساعة لم تعفُ عن احدٍ فتوسَّلي لحقه مني وان كنت قد عفوت عن كثير من المجرمين فاجرِ معي على ما خوَّلتني من حقّ الامل والرجاء . أفيبقى ليكاريوس بلا املٍ وقد اذنت ان اقوم شفيعاً بين يديك

(١١) لا على خطابي ولا على التماس اصحابك بنيت الأمل في نيل الارب فقد علمت انك في جميع الحوادث التي يشفع فيها عندك في وطنيٍّ كنت لحجج الشفعاء ارعى منك لشفاعتهم فلا تراعي مالهم من الحظوة قدر ما تراعي اهتمامهم بشأن من يشفعون فيهِ عندك ومع انك ترتاح الى ان تغمر اصفياءك بالنعم فالذين يتمتعون بكرمك يظهر لي انهم بعض الاحيان اسعد حالاً منك انت الذي تنعم عليهم مع ذلك قلت واقول ان حججهم تكون اقوى عليك من شفاعتهم . والذين تتبيَّن غمّهم اعدل فلهم على قلبك حقوق اقوى

لا ريب انك بالابقاء على ليكاريوس تفيض الابتهاج على قلوب جمّ من اوليائك فلا تصغِ الاَّ الى الحجج التي من شأنها ان تحضك على ذلك . فهؤلاء السابان الذين أجالت بسالتهم وهذا اقليمهم زهرة ايطاليا وغرَّة جبينها واثبت سندٍ للمشيخة هم يعرفونك معرفة كاملةً . ألا انظر الى توجُّعهم وحزنهم . ثم اعلم منزلة بروكيوس في عينك وهو وابنهُ حاضران هنا وانت ترى الدموع منسجمة من عيونهما والغمّاء باديةً على وجوههما . وهل اذكر اخوة ليكاريوس آه فلا تحسبنَّ هذا يتعلق بخلاص رجلٍ واحدٍ فانت مزمع إمّا أن تبقي في رومة بني ليكاريوس الثلاثة واما ان تنفيهم ثلاثتهم . والمنفى كائناً ما كان يظهر لهم افضل من الوطن والبيوت وآلهتها . وان كان هو وحدهُ الذي ينفى فعسى دموع اخوتهِ ومن اخذهم التوجع لهُ ورأفتهم الاخويَّة وعواطفهم الطبيعيَّة ان تلاقي منك قلباً يرثي لها . وعسى ان تحقق هذه الكلمة الخارجة من فم الغالب "خصومي كما تقولون يعدُّون عدوَّا كلَّ من لا يحطب في حبلهم[1] وانا اعدُّ كل من لا يحطب في حبل عدوّي صديقاً لي". اترون ايها الوطنيون الاماثل عترة بروكيوس كلهم ومرسيوس وسيزينيوس وكورفيديوس الفوارس

(١) يقال حطب فلان في حبل فلان : اذا نصبوهُ واعانهُ

الرومانيين لابسين ثياب الحداد . انتم تعرفونهم وتجلونهم ولقد كانوا معكم ولقد هجنا عليهم ولمناهم على تغيبهم حتى ان بعضنا اوسعوهم وعيداً وتهديداً

ألا استبق لاصفيائك الصفيّ الذي يسألونك الابقاء عليهِ وبيّن ان وعد قيصر لم يكن مَلْثاً (١)

لو استطعت ان ترى ما كان من الاتحاد بين بني ليكارس كما هو لحكمت انهم ثلاثتهم كانوا معك ومن ذا الذي يجد طريقاً الى الشك ان ليكاريوس لو تسنّى لهُ ان يكون في ايطاليا لانحاز الى هذا الحزب كما انحاز اليهِ اخوتهُ . هل من احدٍ يجهل ما بين هذه الاخلاق القويَّة التشابه من متانة المبادىء واتفاق الآراء . وهل خالج احداً الريب ان لا يراهم مختلفي الاهواء والمصالح . نعم كلهم ثلاثتهم كان هواهم معك غير ان واحداً قد اقصتهُ الزوبعة التي حدثت في البحر، وهب ان ذلك كان عن اختيارٍ فلهُ اسوةٌ بكثيرين ممن ظفروا بعفوك وكرم صفحك . ذلك وافترض الآن انهُ سافر وفي ضميرهِ ان يوقد نار الحرب وانهُ انحاز عنك وعن اخوتهِ ايضاً فاخوتهُ الذين كانوا معك يشفعون فيهِ عندك . وان الارتباكات التي أُحدثت لك في رومة تشهد كما اتذكر بما بدا لليكاريوس وقد كان وزير المالية يوم ذاك من العناية والهمة تأييداً لحقوق مقامك وفي الاشارة الى ذلك غناء . فارجو ان قيصر الذي نفسهُ الشريفة الكريمة لا تستطيع ان تنسى الاَّ الاهانة ان يذكر ما لوزير المالية هذا من الخدم المحمودة وان يذكر سيرة بعض حلفائهِ ورفقائهِ

لم يكن في وسع ليكاريوس ان يسبق فيتلافى ما حدث فلم يقم في ضميرهِ يوم ذاك الاَّ ان يثبت لك غيرتهُ وخلوصهُ وهو اليوم يتضرع اليك في خلاص اخيهِ . فاذا ذكرت هذه الخدمة قدَّمت لهم وللجميع هؤلاء الوطنيين الأَجلاء ولي انا وليهم بل لجميع المشيخة ثلاثة اخوة ملء نفوسهم شرف وفضيلة . فما صنعتهُ من عهدٍ قريب في مجلس الشيوخ مع مرسلوس العظيم فتكرَّم واصنعهُ اليوم في الفورم (٢) مع اخوة يحترمهم هذا المشهد . فقد وهبت مرسلوس لمجلس الشيوخ فهب ليكاريوس للشعب الذين خاطرهم غالٍ عندك . فاذا كان يوم الصفو امجد لك واحبَّ الى الشعب الرومانيّ فلا تتردَّد يا قيصر ولا تتأخر عنهُ . استحلفك ان تغتنم الفرص الموصلة الى مثل هذا المجد فلا احبَّ الى الناس من الرأفة وهي موضع اعجابهم دون جميع ما تزيَّنت بهِ من المناقب وبها يُعرف الناس انهم ادنى الى الالوهيَّة . فما من شيء اعظم

(١) الملث بفتح فسكون : وعد لا ينوى بهِ الوفاء والغرض منهُ ان يرد بهِ السائل طيب النفس
(٢) الفورم مكان برومة كان يحتفل فيهِ للتكلم في الشؤون العمومية

في سعادتك من ان تجعل البشر سعداء وما من شيءٍ احسن في طباعك من ان تصبوالي ذلك ربما كانت هذه الدعوى تقتضي خطبة اطول لكنما خطبة اقصر من هذه كانت كافية لقلب من مثل قلبك . ولما كان قائماً في اعتقادي ان افضل خطيب يقوم بين يديك انما هو انت نفسك وقفتُ عند هذا الحدّ لا اضيف اليهِ الاَّ هذه العبارة انك بالعفو عن ليكاريوس الغائب تقلّد نعمة جسيمةً اعناق كل من ترى من هؤلاء الملتمِين بين يديك. انتهى

سعيد الخوري الشرتوني

الشعر ومصلحة الامة

كان شعراؤُنا يرفعون قصائدهم الى الملوك والامراء ولا يضمنونها الاَّ المديح والاطراء وان المُّوا بغاية لم تتعدَّ مصلحة لهم او التعريض بامرٍ لا مصلحة فيهِ للامَّة اما الآن فصرنا نرى من الشعراء اهتماماً بالمصالح العامَّة . وقد بعث الينا احد فضلاء تونس بقصيدة رفعها الى مولاهُ باي الايالة التونسية مهنئًا اياهُ بالعام الجديد ومتوسلاً اليهِ ان يرفع منار العلم في البلاد . وممَّا جاء فيها قولهُ

سعد السعود اليك اهدى	في ساعة الاقبال وفدا
عامٌ سعيدٌ امَّكم	دامت لك العلياء تُهدَى
ان الولاء اعز ما	يهدى لسدتكم ويسدى
سعدت مطالع عمركم	وحباك عون الله رفدا
وامدكم بتوفيقهُ	فيما الى الاصلاح ادَّى
يا ايها الملك الذي	فرشت لهُ العلياء خدا
ما جاء مثلك سيد	ركب الثناء اليهِ يحدى
ملك تراهُ مع الفتـ	ـوة للعلاء ابًا وجدا
اسهر على خير البلا	د فانك الملك المفدَّى
وامدد يمينك للنجا	ح وجدَّ في الاصلاح جدا
ان كنت أُصدق سيدي	فالحال تؤذي الحر جدا
او كنت اكذبهُ فقد	داهنتهُ والغش اعدى
ابناء قومك اصبحوا	في زمرة الاموات عدا

لا نصرة الّا اذا ربع العلوم بك استنجدا
فالعلم يمنح اهلهُ بين الورى عزًّا ومجدا
قد جئت ارجو منكمُ ما حافظ من سعد ودًّا (١)
والامر سهل سائغ ومقال مثلك لن يردا
فارحم مداوسنا التي فيها الجهول قد استبدا
وانظر لجامعنا الذي هدتهُ ايدي الجهل هدًّا
فلقد تجلل بالسواد وبالجهالة قد تردّى
هل فيهِ للعمران من نور تالق او تبدى
مع انهُ البحر الخضم لهُ الرحال تشدُّ شدا
فاذا تراجع جزرهُ وغدا بعرفان ممدًّا
أغنى العباد بلجهِ وسقى البلاد وساغ وردا
فانعش بهِ آمالهم حتى يجدُّوا فيهِ جدا
ويذوق فيهِ شبابنا من لذة التعليم شهدا
وليفقهوا من امرهم ما كان بالاصلاح اجدى
وليسألوا التاريخ عما جر للاجيال حمدا
فالعلم نور ساطع يؤذي عيونًا بتن رُمدا
لو بات كل عاملاً بالزهد امسى السهل صلدا
والله يكره في الخلائق كل بطّال علندى
يا ايها الملك الذي اربى على الجوزاء مجدا
اني اصوغ لجيدكم من لؤلوء الاخلاص عقدا
ورجايَ عند قبولهِ ان لا يحل ولا يردا
قد صغتهُ من جوهرٍ اضحى بمدحي فيك فردا
يهنيك عام اسعد عش مثلهُ الفين عدا
ارختهُ نورًا يرَى سعد السعود اليك اهدى

"ش . ف"

(١) اشارة الى دالية حافظ افندي ابرهيم التي رفعها الى ناظر المعارف المصرية سعد باشا زغلول

كانت سورية مدرسة اوربا

يعلم القراء الالباء ان غارة الاسكندر المكدوني على سوريَّة ورسوخ قدم خلفائهِ السلوقيين فيها صبغ البلاد بالصبغة اليونانية بحيث اصبح الكثيرون من سكانها يتكلمون لغة السائدين فيها ويتجلون مناهجهم وامسى كبراؤُهم وادباؤُهم يقرأُون كتب اليونانية وآدابها ويتعلم متأَدبوهم العلوم والفنون المتصلة اليهم من حكماء اليونان . ولم ينحصر هذا في القطر السوري بل تعدَّاهُ الى ما بين النهرين وغيرهِ من الاقطار الاسيويَّة التي ساد فيها العنصر اليوناني غير ان القول بتأدب المستنيرين باليونانيَّة لا يفيد ان سكان تلك الاقطار بجملتهم نبذوا لغاتهم ظهريًّا والاَّ لما قام في اذسًا وهي الرها الحالية مدرسة تعلّم العلوم واللغتين اليونانيَّة والسريانية تعليمًا حسنًا اذاع صيت المدرسة حتى تقاطر اليها طلاب العلم

وكانت اذسًا يومئذٍ محط رحال علماء السريان وفيها المكاتب الحافلة بكتب لغتهم اليونانية . على ان الكتب اليونانية كانت واعيةً فلسفة اليونان وآدابهم فانبرى بعض جهابذة السريان لنقل تلك العلوم الى لغاتهم لفائدة السواد الاعظم من ابناء جنسهم

وظلت هذه المدرسة عاملةً على نشر العلوم من القرن الخامس للمسيح الى ان جلس على اريكة الدولة الشرقية الامبراطور زينون فاضطهد النساطرة لانهم على غير مذهبهِ اضطهادًا شديدًا حمل علماء اذسًا على مبارحتها والنجاة بانفسهم من ظلمهِ الى نصيبين فتضررت مدرسة اذسا لكن نشأ عوضها مدرسة نصيبين وشاع ذكرها

اما اليعاقبة فكان من امرهم انهم طلبوا العلم والفلسفة وبرعوا في تحصيلهما ونشرهما وانشأُوا لذلك مدرستين لاحداهما في رساين اسَّسها سركيس مطران تلك المدينة والاخرى في قنسترين

والعلوم التي كانت تدرّس في تلك المدارس هي الفلسفة والطب والصيدلة والحيوان والنبات والجغرافيا وعلم الفلك وغير ذلك مما كان لليونان فيهِ باع طولى

اما الطب فكان اشتغال النساطرة بهِ قديمًا ومشهورًا بين اهل الشرق يرجع فيهِ الى آراء مشاهيرهم الآخذين هذا العلم عن اليونان

وشهرتهم فيهِ سهّلت لبعض من فرَّ من علماء اذسا الى خوزستان ان ينشئ هنالك مدرسة للتعليم فما عتّم ان اشتهرت هذه المدرسة بنجاحها الباهر وخرج منها كثيرون من العلماء ونطس الاطباء الذين علت مكانتهم بما نالوا من الحظوة في البلاط الكسروي ولدى امراء العرب في الحيرة وغسَّان .

ولما فتح العرب سوريَّة وبين النهرين ورسخت قدمهم فيهما نشأت مدرستان عظيمتان احداها في انطاكية والاخرى في حاران لتعليم الطب واللغات العربية والسريانية واليونانيَّة وآدابها

اما في بلاد فارس فان العلم تقوضت اركانهُ بعد الفتح وكاد ينطمس على اثاره لولا نهوض العباسيين لنصرة العلوم والفنون . فان اولئك الخلفاء اولعوا بالحكمة والطب فاحيوا موات الهمم في طلبهما واستخدموا لنشرها تلامذة المدارس النسطورية من السريان واليعاقبة الذين مرت بهم زعازع الحروب فلم يراعوا بل حفظوا خزائن كتبهم سليمةً لتكون مشكاة هدًى للعالمين

اعتبر ذلك بما عُرف عن الخليفة المأمون كيف بعث يطلب الكتب اليونانية في الحكمة والطب من القسطنطينية عاصمة الروم فلما نالها شرع يهتم بتعريبها وعهد الى حنين بن اسحق احد نطس الاطباء من نساطرة الحيرة بنقل كتب الطب ففعل وكان الرجل ضليعاً بمعرفة اللغات العربية والسريانية فاحكم النقل وانشأ الطب العربي جارياً فيهِ على النهج اليوناني

والنهج اليوناني في الطب ظلَّ عماد الطب العربي الأَّ ان نوابغ الاطباء من العرب لم يكتفوا بما اتصل اليهم منقولاً عن اليونان بل اخذوا شيئاً من مناهج الهند وغيرهم من المشارقة وزادوا فيهِ اشياء من مبتكراتهم

واشتهر من العلماء في الطب كثيرون من النساطرة وهذه كتب التاريخ تروي اسماء بضعةٍ من نوابغهم وفيهم جماعة من رؤساء الدين وخدمتهِ حتى ذاع فضلهم ولم يأْتِ القرن الحادي عشر للمسيح الأَّ ومدارس الطب في الكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة وانطاكية واورشليم وطرابلس الشام قد عبق اريج شهرتها وتقاطر اليها الطلاب من اقصى الممالك الاسلاميَّة

واما في سورية خصوصاً فان مدرسة الطب الكبرى كان يديرها خدمة الدين من السريان والنساطرة واليعاقبة حتى انهُ يروى ان المطران ميخائيل رئيس اساقفة اليعاقبة في حلب استعفى من مقامهِ الاسقفي واتى طرابلس واقام فيها يعلم الطب بمدرستها الى آخر ايامهِ . وممن اشتهر في تلك الاونة من علماء الطب تيودور الانطاكي الذي صار طبيباً للامبراطور فردريك الثاني والطبيبان باسيل الحلبي ويعقوب النسطوري الطرابلسي والطبيب ابو منصور الاورشليمي وتلميذهُ يعقوب بن صقلان طبيب السلطان صلاح الدين الايوبي

وقد اتصل بنا ان في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كان الاطباء في سوريا اذا عالجوا انساناً يكونون ضامنين لسلامتهِ وشفائهِ من دائهِ وتأْثير العلاج فيهِ ولكن اذا مات



سابا باشا

عليلهم فكان لهم ان يبرهنوا انهُ لم يتَّبع نصائحهم وارشاداتهم ولم يستعمل علاجهم فكان هو الجاني على نفسهِ . وكان الطبيب كلما عاد مريضًا واعطاهُ وصفة علاج تحفظ تلك الوصفة حتى اذا مست الحاجة تؤْخذ الى رئيس الاطباء فيرى هل احسن الطبيب فيها او اساء

واذا اخطأ الطبيب خطأً اودى بحياة العليل يؤْخذ الطبيب بهِ فيشنق ان كان الميت حرًّا وتحجز املاكهُ وان كان رقيقًا غرم بثمنهِ

وهذا النظام الصارم كان من اوضاع الصليبيين في سوريا . ومن الغريب ان يشددوا على الاطباء الوطنيين مع انهم كانوا في اشد الحاجة اليهم كما سترى ومع إنهم لم يكونوا يسمحون لطبيب بالمعالجة الاَّ اذا اجتاز امتحانًا دقيقًا لدى لجنة من الاطباء يرأسها المطران

واما الصيدلة فان القوم كانوا يعتبرونها جزءًا من الطب ولذلك كان الاطباء يهيئون العلاج بايديهم . على ان علم الصيدلة نال من العناية حظًّا حتى كتب اطباء المسلمين والنصارى فيهِ كتبًا جمة منها كتاب الفهُ علي الطرابلسي سنة ١٢١٩ م واتصل باوربا واسمهُ باللاتينية Ornamentum Medici, Tractatus Chymico-Medicus.

وكان في جملة الدروس الطبية امراض العيون والجراحة والبيطرة وقد اهتم الاطباء بالبيطرة كثيرًا وكتبوا فيها واصفين ثلثمئة وعشرين مرضًا يصيب الحيوان

واما الفلسفة فقد كانت عند القوم يومئذٍ ركنًا من اركان العلم الطبيعي لاسيما وان علمي الحيوان والنبات كانا يحسبان من اجزاء الفلسفة ولما ولع القوم بقراءة مؤلفات ارسطو مالت افكارهم الى التبحر في العلوم

وتوسع علماء تلك الايام في التاريخ الطبيعي توسعًا حسنًا بالنسبة الى عالمهِ وينسب الفضل في اجادتهم فيهِ الى ما توفقوا اليهِ من جوب الاقطار ومعرفة حيوانها ونباتها

ففي القرن الثامن نبغ الجاهد بن المامون فجمع مجموعةً حسنة من الحيوان وكثيرون من الطلاب اشتغلوا بدراسة هذا العلم ولولا كراهة التشريح وقلة التمحيص لاجادوا في معرفة خصائص الحيوان

واما النبات فقد اينع في سوريا بل يصح ان يُقال ان العلم بهِ نشأ فيها في القرن الثالث عشر لان ابن البيطار الاندلسي جاء سنة ١٢١٧ م فطاف في مصر واتي انطاكية ونزل دمشق وجال في لبنان يجمع نباتاتهِ ويرتبها وصحب في طوافهِ مصورًا ماهرًا يرسم لهُ ما يعجز عن حملهِ وكان قد سبقهُ الى التبحر في هذا العالم رشيد الدين الصوري الذي وُلد في صور سنة ١١٧٧ وقرأ العلم في دمشق وعكف على جمع نبات جنوبي سوريا وضواحي بيروت

وطرابلس وانطاكية ولبنان . واما القزويني فقد نال قصب السبق بما خلف من المؤلفات الباحثة في التاريخ الطبيعي فجعل القسم الاول من كتابهِ عن المعادن واكثر فيهِ من الاستشهاد بما كتب ارسطو ويحث في القسم الثاني في النبات وفي القسم الثالث في علم الحيوان من الانسان وذوات الثدي والطيور والحشرات . ومما يؤخذ على هذا المؤلف الذي جمع فارعى ان كلامهُ عن الحيوان لم يكن سديداً في مواضع جمة لانهُ لم يرَ معظم الانواع التي وصفها فجاء كلامهُ عنها ضعيفاً ركيكاً

اما علم الهيئة فان العرب اخذوهُ عن اليونان والهنود واكثر ما اعتمدوهُ آراء مدرسة الاسكندرية ولكنهم لم يقفوا عند حد ما اخذوا بل توسعوا فيهِ جداً نظرياً وعملياً فانشأوا كثيراً من المراصد واهتموا باتقان آلاتها فادركوا درجةً حسَّنوا بها ما اتصل اليهم ونحن نعرف عن اليونان انهم اقدر على احكام النظريات منهم على العمليات لقصورهم في الرصد ومعداتهِ فما لم يحسنوهُ في زمانهم اتمهُ العرب بضبط ارصادهم ودقة حسابهم

ومما نقل ان المأمون اقام مرصدين احدهما في بغداد والاخر في دمشق ثم بعث اربعاً من علماء الهيئة وهم سناد بن علي وخالد بن عبد الملك وعلي بن عيسى وعلي بن البحتري الى السهل الواقع بين تدمر والرقة ليتحققوا مقياس الدرجات

وتبحُّر العرب في علوم الهيئة اضطرهم الى اتقان العلوم الرياضية فبرعوا فيها حتى انهُ نبغ منهم في القرن التاسع بضعة من كبار المهندسين ومن ثم اخذوا الجبر عن الهنود واقدم من امتاز بعلم الجبر محمد بن قرة وثابت بن قرة وصلاح الدين الغزي واعظم ما انصرفت اليهِ هممهم ايضاً حساب المثلثات ليقتدروا على الانتفاع بهِ في ارصادهم وكان من اول النابغين الامير محمد بن جابر البتاني الذي توفي في القرن العاشر

ولم يقتصر علماء العرب على حفظ علوم الاقدمين بل فاقوا في الرياضيات معلميهم من علماء مدرسة الاسكندرية ونبغ منهم في ذلك العصر كثيرون منهم الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماه

واما الجغرافيا فقد اتسعت عندهم بنسبة رحلاتهم لانهم طافوا سواحل الهند وسيلان والهند الصينيَّة وجاوى وسومطرة وبورنيو منذ القرن الحادي عشر وكان قد سبق بعض كتابهم وكتبوا في القرن العاشر وصفاً لاقطار اسيا الواقعة بين المتوسط وشبه جزيرة ملقا واجادوا في وصفها بما دلَّ على معرفة احوال البلاد ثم قام المسعودي وهو اعلم اهل عصرهِ وكان قد زار الهند واقام في كامباي ثم في مدكسكر حيناً من الدهر واتى بعدها سوريَّة وسكن طبرية

وانطاكية وقد اجاد في ما كتب عن الاقطار التي عرفها

وانشأ الادريسي مدرسةً في صقلية (سيسيليا) اشتهرت بتعليمها فن الجغرافيا تعليمًا حسنًا

وهكذا كانت سوريَّة في تلك العصور ملأَى بالعلماء العارفين الجغرافيا ولربما كان منهم كتبة اودعوا علمهم بطون الاوراق فضاع بضياعها

والخرائط القديمة المحفوظة في متاحف اوربا وهي من صنع القرن الرابع عشر كلها مبنيَّة على المعارف الجغرافية المستمدة من تلك الايام اعتبر ذلك بالخريطة المكتوبة باللاتينيَّة الموجودة في المكتبة الوطنية في باريز عدد ٤٩٣٩ فانها رسمت سنة ١٣١٠ للارض المقدسة وتجد فيها المواقع مضبوطة كل الضبط ومجموع خرائط بياتروفسكونتي المرسومة سنة ١٣١٨ وبغيرها من الخرائط الاخرى

واما الفلسفة فان كتب اليونان فيها عُربت باهتمام الخلفاء ونقلها العلماء من النساطرة واليعاقبة الى اللغة العربية كما هو مستفيض بين قراء التاريخ

واشتغال العرب بالفلسفة لم يحفظها فقط من الضياع بل اكسبها تفنن بعض الحكماء في البحث وتعليق الحواشي عليها حتى صارت موضوعًا يتهافت عليهِ الطلبة

فاتضح لنا من البحث الاجمالي الذي ذكرنا ان سكان سورية في القرن الحادي عشر للميلاد كانوا راقين في معارفهم وعلومهم رقيًّا يُعد يومئذٍ من الطراز الاول الاَّ ان الفرق بين رقيّ تلك العصور ورقيّ اوربا واميركا لهذا العهد عظيم وذلك لان المتعلمين اليوم هم سواد الامم الراقية بخلاف الحال يومئذٍ فان المستنيرين كانوا نخبة الطالبين فضلاً عن ان العلوم التي كانوا يحسبونها يومئذٍ منتهى الحكمة والمعرفة انما هي اليوم مستفيضة بين الناس الاَّ الفلسفة والطب فانهما ما برحا من دروس الخاصة على انهما ارتقيا بذاتهما كثيرًا

اما الاوربيون الذين اغاروا في اواخر القرن الحادي عشر على سوريَّة وامتلكوا بعض انحائها وعرفوا في التاريخ باسم الصليبيين فانهم كانوا في جهلٍ مطبق . وفضلاً عما كانوا يعانون في بلادهم من سلطة الاكليروس والاعيان كانت خلالهم واخلاقهم وآدابهم الاجتماعية والسياسية ومعارفهم ممَّا يكاد لا يجد لهذا العهد مثيلاً الاَّ بين الامم البعيدة عن العمران . فلما رسخت اقدامهم في البلاد رأى اعيانهم ان القوم المغلوبين ارقى منهم في المعرفة فاندفع ابناؤُهم يطلبون العلم في المدارس التي وجدوها . واهم ما اتجهت اليهِ خواطرهم علم الحقوق فبرع فيهِ كثيرون منهم

ومما يحكى عن احد عظمائهم المسمى رينوده ساجت انهُ برع في العلوم والآداب الشرقية براعةً عقدت عليهِ الخناصر وانهُ كان مولعًا بدروسهِ حتى انهُ استخدم عالمًا من الوطنيين يقرأ لهُ كتب العلم ويفسرها حتى تضلع منها واصبح في مقام يعجب منهُ علماء الشرق انفسهم وقد اجتمع بهِ بعضهم سنة ١١٨٨ في حضرة السلطان صلاح الدين الايوبي فادهشتهم غزارة مادتهِ وسعة علمهِ . وكان لهُ ابن اسمهُ باليان قيل عنهُ انهُ فاق اباهُ

ومال غير من ذكرنا لقراءة علوم اليونان وآداب لغتهم فبرعوا فيها اخصهم جفروى الكاهن فقد ذكر عنهُ احد المؤرخين انهُ كان اعلم اهل زمانهِ باليونانية وادابها

ومعظم الامراء والاعيان ولعوا بتعلم اللغة العربية فبرع منهم كثيرون اخصهم البرنس همفروى ده تورون الذي كان يترجم بين الملك ريشار قلب الاسد والملك العادل اخي السلطان صلاح الدين ومثلهُ بودوين دابلين الذي كان ترجمان الملك لويس القديس اثناء اسرهِ في مصر

واما الجغرافيا فان الصليبيين مالوا لدراستها بكليتهم منذ وطئت اقدامهم ارض سوريا لما قدَّروا من انها تجر لهم نفعًا ومثلها علم الهيئة

واما علم الطب فالمستفاد من تواريخ الشرق والغرب ان الصليبيين كانوا يعتمدون فيهِ على علماء البلاد اكثر من اعتمادهم على علمائهم واخص من نال ثقتهم رجال الدين من السريان اليعاقبة لان الاطباء الافرنج الذين جاؤُوا من اوربا لم يكونوا يضارعون الوطنيين في معارفهم الطبية واقتدارهم ولذلك لبثوا احط منهم شأنًا . لا سيما وان معارف اولئك كانت قاصرةً على تجاربهم من غير علم صحيح بالامراض وخصائص الادواء ولهذا مال الصليبيون منذ حلوا سوريا الى الانتفاع بمعارف الاطباء الوطنيين من سريان ونساطرة ويعاقبة واسرائيليين ومسلمين فاصبح الاطباء في مقام عالٍ في المجتمع الافرنجي . ولا تخلو تواريخ الصليبيين من الامتعاض من حالة اطبائهم وقصور معارفهم ولعل ذلك كان سببًا في تشديد الوطأَة على من يسيء المعالجة منهم . ومعظم مؤَرخي تلك الاونة متى كتبوا عن الطب والاطباء يحصرون كلامهم في العواصم الاسلامية كدمشق وبغداد والقاهرة وما فيهن من المدارس الاَّ ان في تضاعيف اخبارهم ذكرًا لا سماء بعض نوابغ المدارس الاخرى في سوريا لا سيما المدرسة الكبرى المسيحيَّة التي يستفاد من رواية كاترمر quatremere وراي E. Ray انها كانت في طرابلس الشام تعلم الفلسفة والطب وقد نبغ منها كثيرون من المشاهير ومثلها مدرسة انطاكية

واما في التاريخ الطبيعي فلمدرسة طرابلس القدح المعلّى لانها فضلاً عن المؤلفات القديمة التي كان طلابها يقرأونها كانت تأخذ كثيرًا عن السياح والمسافرين

ويستفاد من رواية المؤرخ جاك ده فتري ان بعض الصليبيين وهو في جملتهم طلبوا هذا العلم ايضًا ولكن ما ذكرهُ نتفًا من الموضوع يدل على ان هذا العلم لم يكن خاليًا من الترهات والركاكة على ان بعض نقدة عصرنا يرى ان المؤرخ المأثور عنهُ تحرّي البحث والتدقيق في كل موضوع وقعت عينهُ عليهِ فجاء كلامهُ صحيحًا بخلاف ما ذكرهُ عما لم يرهُ بل نقل حديثهُ نقلاً فان هذا الضرب مملوء بالوهم والخطاء

اما الفلسفة فان مدارس سورية شرعت تعلمها على ما اتصل بها عن اليونان والسريان والعرب وكان يغلب عليها صبغة مذهب ارسطو بدليل ان بعض نقدة العصر يرون في مذهب ابن العبري الفلسفي شيئًا من مظاهر هذه الصبغة . وابن العبري كما روى السمعاني من تلامذة مدرسة طرابلس

وقصارى القول ان السوريين من النساطرة واليعاقبة وغيرهم حفظوا العلوم القديمة من الضياع واتسعوا في فهمها ونشرها وعلموها للصليبيين النازلين بين ظهرانيهم فكانت شعلة نورٍ اتصلت بواسطتهم باوربا ومدارسها القديمة حتى قال جوردان Jourdain ان مدارس باريز ابتدأت تعلم فلسفة المشائين سنة ١٢٢٠ وسنة ١٢٢٥ وهذه الفلسفة على ما ذهب اليهِ العلاَّمة ربنان هي التي كان يعتمدها السوريون

فان صحّ ذلك فلسوريا الفضل الاعظم في تعليم اوربا . الاَّ انَّا ندوّن ذلك من قبيل البحث التاريخي البحت لا نقصد بهِ التفاخر لانهُ لا يفتخر بالرمم الاَّ ساقطو الهمم

ومما يجب ان يذكر ان اطلاقنا اسم العرب على المشتغلين بالعلم لا يختص بابناء الامة العربية بل يشمل كل الذين كانوا قد خضعوا لحكم العرب من الفرس والسريان والروم وغيرهم

فعسى ان تتقد فينا الحميَّة لاسترجاع عز الشرق العلمي ومكانتهِ السامية في الرقيّ بما تأخذ عن القوم السابقين من دراسة مناهج رقيهم لئلاَّ نظلّ في تأخرنا ونراهم في اوج حضارتهم فنقول حسبنا انهم يمتعون بما اخذوهُ عنا

ر . ن

البريد المصري

وسابا باشا

كيفما قلّب المرء طرفهُ في احوال هذا القطر واعمال حكومتهِ رأى دلائل الارتقاء بادية عليها كلها ولو على درجات متفاوتة . والثقات الذين يعتمد على قولهم يشهدون ان مصلحة البريد من ارقى مصالح القطر ان لم تكن ارقاها كلها و يشاركهم في هذه الشهادة الالوف من سكانهِ من وطنيين واجانب . ثم ان الاوربيين والاميركيين الذين تكلموا عن مصلحة البريد المصرية وقابلوها بمصالح البريد في اوربا واميركا شهدوا انها من ارقاها كلها لا تفوقها مصلحة بريد في اوربا ولا في اميركا وان الفضل الاكبر في ترقيتها وابلاغها هذا الحد هو لمديرها العام صاحب السعادة سابا باشا . وقد عزم هذا العامل الهام على اعتزال الخدمة وضمّن التقرير السنوي الاخير الذي وضعهُ لمصلحة البريد ادلّة ارتقائها في العشرين سنة الماضية اي منذ تولى ادارتها الى الآن . وقد جمعنا خلاصة ذلك في الجدول التالي وهو عن ارتقاء كل فرع من فروع البريد من سنة ١٨٨٦ الى سنة ١٩٠٦ محسوبة فيهِ حالتهُ كل سنة خامسة بدلاً من كل سنة

	١٨٨٦	١٨٩١	١٨٩٦	١٩٠١	١٩٠٦
عدد المراسلات	١٣٦٩٥٠٠٠	١٧١١٦٠٠٠	٢٤١١٠٠٠٠	٣٣٧٢٠٠٠٠	٥٨٠٠٠٠٠٠
عدد الخطابات المومن عليها	١٣٦٠	٢١٠٠	٢٢٠٠	٤٠٠٠٠	١١٧٠٠
قيمة " "	٤٢٨٠٠ ج	٨٣٣٠٠	٧٢٨٠٠	١٩٠٠٠٠	١٠٦٨٠٠٠
قيمة الحوالات وصرر النقود	١٠٦٥٣٠٠٠	١٣٣٥٣٠٠٠	١٥٩٠٠٠٠٠	١٧٤٠٠٠٠٠	٢٣٣٥٨٠٠٠
عدد طرود البوسطة	١٢٣٣٠٠	٢٠٣٦٠٠	٢٨٤٠٠٠	٤٤٧٠٠٠	٨٥٨٠٠٠
عدد اوراق التحصيل	٢١٠٠	٣٧٢٠٠	٤٢٨٠٠	٦٢٥٠٠	١١٦٦٠٠
قيمة " "	٦٣٠٠ ج	٦٠١٠٠	١٨٢٢٠٠	٤٣٦٥٠٠	٩٠١٣٠٠
مكاتب البوسطة وفروعها	١٧٤	٥١٧	٧١١	٩٧٣	١٢٤٩
دخل مصلحة البريد	١١٤٣٠٠	١١٢٢٠٠	١١٤٧٠٠	١٤٢٢٠٠	٢٣٧١٠٠

فعدد المراسلات زاد من نحو ١٢ مليونًا الى ٥٨ مليونًا اي نحو خمسة اضعاف وعدد الخطابات المؤمن عليها زاد من ١٣٦٠ الى ١١٧٠٠ اي نحو ثمانية اضعاف وقيمتها من ٤٢٨٠٠ جنيه الى مليون و ٦٨ الف جنيه اي ٢٥ ضعفًا . وقيمة الحوالات وصرر النقود من عشرة ملايين الى ٢٣ مليونًا فزادت ١٣ مليونًا من الجنيهات وعدد الطرود من ١٢ الفًا الى نحو ٦٨

الفًا وعدد اوراق تحصيل النقود من الفين الى ١٦ الفًا وقيمتها من ٦٣٠٠ جنيه الى تسع مئة الف جنيه ومكاتب البوسطة وفروعها من ١٧٤ الى ١٢٤٩

وقد خفضت اجرة نقل المراسلات كلها النصف ومع ذلك زاد دخل مصلحة البريد من نحو سبعين او ثمانين الف جنيه في السنة اي نحو ٢٣٧ الف جنيه اما الدخل المذكور سنة ١٨٨٦ و ١٨٩١ فيشمل ايضًا ايراد وابورات البوسطة التي ابطلت من ذلك العهد

وقد اضيف الى البريد ما سمي بصندوق التوفير يشترك فيهِ الآن نحو تسعة وخمسين الف نفس الوطنيون منهم نحو ٤٤ الفًا والباقون من الاجانب ٠ وثمانية آلاف من هؤُلاء التسعة والخمسين الفًا نساء وكان في هذا الصندوق في ختام العام الماضي ٣٣١ الف جنيه وكان فيهِ في ختام العام الذي قبلهُ ٢٤٠ الف جنيه وفي ختام عام ١٩٠١ الذي انشئَ فيهِ نحو ٤٨ الف جنيه لا غير . واضيف اليها ايضًا صندوق توفير للاحداث فاشترك فيهِ حتى آخر العام الماضي ٤٢٢٥ منهم وعيّن مستخدم مخصوص يذهب الى المدارس في ايام معلومة لاستلام ما يوفرونهُ وايداعهِ صندوق التوفير

وكيفما قلّبت نظرك في اعمال البريد المصري لا تجد الاَّ عقلاً مدبرًا مهتمًّا بمصلحة البلاد وتسهيل المعاملات على سكانها وهو عقل الرجل الهمام سابا باشا مديرهِ العام ٠ ولقد كان يحضر المؤتمرات الدولية ويقترح فيها الاقتراحات المفيدة ويناضل عنها حتى يقبلها رفاقهُ من مديري البرد ويُعمَل بها. فلهُ فضل على البريد بنوع عام كما لهُ فضل على البريد المصري بنوع خاص ٠ وهو لا يزال كهلاً في تمام قوتهِ وهمتهِ فقد ولد سنة ١٨٥٢ من عائلة سورية استوطنت القطر المصري في زمن محمد علي باشا ووظف في مصلحة البوستة سنة ١٨٧٢ وجعل وكيلاً لها سنة ١٨٨٥ ومديرًا عامًّا سنة ١٨٨٧ وناب عن الحكومة المصرية في مؤتمر فينا سنة ١٨٩١ وفي مؤتمر وشنطون سنة ١٨٩٧ وفي مؤتمر رومية سنة ١٩٠٦ ونال الرتبة الثانية سنة ١٨٨٣ ورتبة ميرميران سنة ١٨٨٨ ومن النياشين المجيدي الثاني والعثماني الثاني والمجيدي الاول ونيشان تاج ايطاليا من الدرجة الاولى ونيشان فرنسوى جوزف النمسوي من الدرجة الثانية ٠ ولما عين مديرًا عامًّا للبوستة كتب لورد كرومر في تقريرهِ يقول انهُ اول وطني عين مديرًا لمنصب هام وان تعيينهُ في هذا المنصب الهام ارضى جميع الذين يهمهم ذلك ٠ ولما استعفى من هذا المنصب كتب اليهِ ناظر المالية يقول نيابةً عن الحكومة المصرية " واذا شقَّ عليكم ان تفارقوا مصلحة اهتمّ فيها منذ خمسة وثلاثين عامًا وادرتموها منذ عشرين سنة فنظارتنا تأسف من جهتها اشد الاسف لحرمانها من موظف كبير فاضل مثلكم بعد الخدمة

الطويلة التي قمتم بها لتوسيع مصلحة البريد التي حلّت تحت ادارتكم الموصوفة بالتدبير والفطنة محلاً رفيعاً ونجحت نجاحها الباهر المشهور. ولا يمكنني ختم هذا الكتاب بدون ان اعرب لكم عن خالص شكري وشكر الحكومة لخدماتكم الطيبة الثمينة . واوجه لكم اخلص تهنئاتنا بالتقدم العظيم الذي احسنتم قيادة مصلحة البريد اليهِ"

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاشربة الروحية

قلما تجد مائدة من موائد الافرنج خالية من الشراب من الخمر او البيرا او الشمبانيا . ولا تولم وليمة من غير ان تشرب تليها اقداح الراح . ولا تحسبنَّ ذلك خاصًّا بالافرنج بل هو شائع عند كل الامم حديثهم وقديمهم . فآثار مصر وخرائب بابل واشعار اليونان وتواريخ الرومان واخبار الامم الحاضرة والغابرة وكتب الرحلات كل ذلك ناطق بان الناس لم ينفكوا عن تعاطي كؤوس الراح من اول عهدهم بين مقلٍّ ومكثر ومتعلّل ومدمن . ولم ينفكّ فضلاؤُهم عن التحذير منها والنهي عنها وحجتهم انها تسكر وتذهب العقل وتتلف المال والصحة. لكن النهي والتحذير لم يأتيا بطائل فلا يزال الناس ينفقون على الخمور اضعاف ما ينفقونهُ على تعليم اولادهم و ينفق بعضهم عليها اكثر مما ينفق على طعامهِ ولا يزال الاطباء يصفونها لضعاف الاجسام كأنها من المقوّيات فيقوّون اعتقاد الناس فيها و يزيدون ميلهم اليها . فهل الاطباء مصيبون في ذلك وهل نفع الخمور كافٍ للتكفير عن مضارها هذه مسألة جديرة بالنظر ولا سيما بنظر الاطباء .

ولا نريد بالمضار هنا مضارّ السكر لانها تفوق كل ما يمكن ان ينسب الى الخمر من النفع اضعافًا كثيرة فلا وجه للموازنة بينهما وانما نريد مضار الشرب المعتدل او شرب الخمور على الطعام الذي اعتادهُ الاوربيون ومن جرى مجراهم واتفق اكثر الاطباء على وصفهِ لنحاف الاجسام او للذين ساء هضمهم للطعام

يُقصد بالطعام تغذية الجسم وبالشراب تسهيل هضم الطعام حتى يغذي الجسم . وليس وراء ذلك فائدة عملية من الطعام او من الشراب لمن يأكل ويشرب . نعم ان من يبيع الاطعمة والاشربة يستفيد كثيرًا من بيع بضاعتهِ نفعت المشترين او اضرتهم ولذلك نرى صانعي الخمور وبائعيها من اغنى اهل الارض ولكن هذه الفائدة خارجة عن موضوع بحثنا ولو كانت الدافع الاكبر لترويج الخمور في الدنيا . ولا ينكر ان في الطعام والشراب لذة للآكل والشارب ولكنها تختلف كثيرًا باختلاف الناس واعمالهم واحوالهم من الصحة والمرض والراحة والتعب والانس والوحشة وباختلاف الرهط والصحب الى غير ذلك مما لا ضابط لهُ لكن هذه اللذة وان افادت في بعض الاحيان لا تعدُّ من النفع المقصود بالطعام والشراب وهو تغذية الاجسام . فان جسم الانسان كجسم الحيوان وكجسم النبات من هذا القبيل ينمو ويقوى وتصلح حالهُ بالغذاء الكافي ويؤذى ويضعف وتفسد حالهُ بقلة الغذاء

ازرع بزرة في التراب واتركها من دون ماء فلا تنبت او ازرع البزرة في الماء واتركها من دون تراب فلا تنبت وان نبتت ذوت ويبست حالاً . لان نمو البزرة حتى تصير شجرة يقتضي ان تغتذي والغذاء يأتيها من التراب ولكن لا بدَّ من ان يذوب اولاً في الماء حتى يتمكن من دخول جسمها وتغذيتها . فاذا زُرعت في التراب ورويت بالخمر لم تعش ولم تنبت . وهذا امر يستطيع كل احد امتحانهُ فيرى ان الخمور لا تذيب الاطعمة على اسلوب يجعلها صالحة لتغذية النبات . وجسم الحيوان يختلف عن جسم النبات من وجوه كثيرة ولكنهما يتغذيان على اسلوب واحد تقريبًا

ولقد ابنا في مقالة سابقة موضوعها الحق والباطل ان مقياس الحقائق استعمالها والانتفاع بها . وهذه الحقيقة اي ضرر شرب المسكرات مهما كان مقدارها قليلاً وجدت لها شركات التأمين على الحياة نفعًا كبيرًا فهي تتساهل مع الذين لا يتعاطون المسكرات ابدًا اكثر مما تتساهل مع الذين يتعاطونها ولو قليلاً . اي صار للامتناع عن شرب المسكرات قيمة مالية تقدرها شركات التأمين بالدرهم والدينار . وقد وصلت الى ذلك بعد اختبار طويل واستقراء دقيق وهذا ادلُّ دليل فعلي على ضرر المسكرات ولو وصفها الاطباء واطنبوا بمدحها ونفعها . فاذا عرض اثنان ان "يسوكرا" حياتيهما على مبلغين متساويين من المال وكان سنهما واحدًا واعمالها واحدة وتساوت فيها كل الشروط التي تشترطها شركات "سوكرتا" الحياة ما عدا شرب المسكرات اي كان احدهما يشرب الخمور والآخر لا يشربها فان الشركة تفرض على الاول اكثر مما تفرض على الثاني لكي تسوكر حياتيهما على مبلغين متساويين . وان

دفعا مبلغين متساويين كل سنة ضمنت للثاني اكثر مما تضمن للاول كأنها تقول بعبارة تجارية حسابية لا تقبل الشك ولا الريب انهُ قد ثبت لي بالاستقراء ان عمر الذي يشرب مسكرًا اقصر من عمر الذي لا يشرب مسكرًا فلا استطيع ان اعاملهما معاملة واحدة واكون بأمن من الخسارة . ولا بدَّ للذي يشرب المسكر من ان يدفع لي سنويًّا اكثر مما يدفع مَن لا يشرب مسكرًا لكي اضمن حياتيهما على مبلغين متساويين من المال . وهذا وحدهُ يكفي لان يكون فصل الخطاب بين الذين يقولون بضرر المسكرات ولو كان مقدارها قليلاً وشربها معتدلاً وبين الذين يقولون ان لا ضرر منها حينئذٍ بل منها نفع

وهذا الحكم العملي التجاري المبني على الاستقراء يؤيدهُ العلم ايضًا . قال الكولونل دافي احد اطباء الجيش الانكليزي في مقالة نشرت حديثًا في مجلة القرن التاسع عشر ان المسكرات تفعل بالطعام فلا يعود ينهضم بالسرعة التي كان ينهضم بها لولاها . وتفعل ايضًا باعضاء الهضم فتقسيها كما تقسي القطع اللحمية التي توضع فيها فلا يعود فعل الهضم سهلاً عليها واذا اختلَّ فعل الهضم اختلَّ فعل التغذية . وتضرُّ ايضًا بالرئتين والكليتين والكبد والدماغ

غير ان كثيرين يشربون المسكرات بالاعتدال ولا ينالهم من شربها ضرر ظاهر فيتخذون ذلك دليلاً على عدم الضرر من الشرب المعتدل . ولكن هل قاس احد قوة هؤلاء الناس الجسدية والعقلية وهم غير شاربين للمسكرات بقوتهم الجسدية والعقلية وهم شاربوها . نعم انهم اذا اعتادوا الشرب فقد تضعف قواهم وتخمل عقولهم في الساعة التي اعتادوا الشرب فيها اذا امتنعوا عن الشرب حينئذٍ ولكن يحدث مثل ذلك بكل مَن يعتاد شيئًا ثم يفطم نفسهُ عنهُ حتى الافيون والحشيش لان اعصابهُ تصير تنتظر المنبّه او المسكن في الساعة التي اعتادتهُ فيها فتضطرب اذا قطع عنها ولكن اذا تكرر هذا الانقطاع مدة الفتهُ الاعصاب ولم تعد تضطرب منهُ

وبديهي ان المسكر جسم غريب يدخل الجسم بل هو سم يتعب الجسم فيجاهد الجسم للتخلص منهُ كما يجاهد للتخلص من سائر السموم التي تدخلهُ . وهذا الجهاد عمل شاقٌ يذهب فيهِ جانب من قوَّة الجسم واذا تكرَّر دخول هذا السم يومًا بعد يوم فلا بدَّ من حصول الضرر اخيرًا

وربَّ قائل يقول اننا نرى الاطباء يصفون المسكرات في بعض الاحيان ويقولون ان لا بدَّ منها ولا يكتفون بوصف الضعيف الفعل كالخمر والبيرا بل يصفون القوي الفعل كالعرق والكنياك فكيف تقولون بضررها قولاً مطلقًا من غير قيد . والجواب ان الالكحول الذي هو العنصر الفعَّال في المسكرات على انواعها نافع في بعض الاحوال المرضية ولازم فيها دواء

لا غذاء وخير للطبيب ان يصف حينئذٍ الالكحول النقي نفسهُ لا امزجتهُ المعروفة بالمسكرات وهو اذا وُصف كذلك شربهُ المريض مكرهًا ولم يجد في شربهِ لذة ولا رأى في نفسهِ ميلاً اليهِ بعد الشفاء من المرض . بل انهُ لو شرب اطيب المسكرات دواء لما وجد في نفسهِ ميلاً اليها كما لو شربها للتلذُّذ بطعمها . اما ما يزعمهُ بعض الاطباء من ان المسكرات غذاء نافع فزعم قديم قوّضت اركانهُ الآن . وليس الالكحول غذاء بل هو سمٌّ زعاف مثل سائر السموم ويجب ان يعامل مثلها يجتنب دوامًا ولا يستعمل الاَّ اذا دعت الحاجة اليهِ دواء لان العلم والاستقراء قد اثبتا ذلك

مسكَّر المشمش

انتقِ المشمش الجيد وشقهُ قليلاً وانزع بزرهُ وضعهُ في اناء فيهِ ماء بارد وضع الاناء على النار حتى يغلي ثم زلّ الماء عن المشمش وضع بدلاً منهُ ماء باردًا ومتى برد زلّ هذا الماء عنهُ

وخذ لكل رطل من المشمش رطلاً من السكَّر وربع رطل من الماء اضفهُ الى السكر واغلهِ حتى يصير قطرًا اذا اخذت قليلاً منهُ باصبعيك تجدهُ يخيط فضع المشمش فيهِ حينئذ واتركهُ على النار حتى يغلي وارفعهُ الى ان يبرد ثم ردهُ الى ما فوق النار حتى يغلي ثانية وصبهُ في اناء آخر واتركهُ الى اليوم التالي وزل القطر عنهُ واغلِ القطر حتى يصير ينتشر على الملعقة وصبهُ فوق المشمش واتركهُ اربعًا وعشرين ساعة ثم زل القطر ثانية واغلهِ حتى يعقد اي اذا اخذت قليلاً منهُ بين اصبعيك وفتحتهما يصير خيطًا متينًا بينهما . وحينئذ رد المشمش الى هذا القطر واغلهِ على النار ثم صب الجميع في اناء واتركهُ الى اليوم التالي . وزل القطر في اليوم التالي وابسط المشمش على لوح حتى يجف ورش عليهِ سكرًا ناعمًا ومتى جفّ السكر عليهِ رش عليهِ سكرًا آخر ناعمًا

وما يقال عن تسكير المشمش يقال ايضًا عن تسكير الخوخ (الدراقن) والبرقوق (الخوخ) والكرز وما اشبه اي لا بدّ من الاغلاء المتكرّر في قطر السكر حتى يحلّ القطر محل كل الماء الذي في المشمش

التسكير المستعجل

اخبط بياض ثلاث بيضات او اربع حتى يصير رغوة كثيفة وضع الاثمار في هذه الرغوة دقيقة او دقيقتين ثم لتّها في السكر الناعم وضعها على ورق في الهواء حتى تجف

رب السفرجل الشفاف

خذ السفرجل الناضج وقشرهُ وانزع البزر منهُ وماحول البزر وضعهُ في ماء بارد حالاً لكي لا يتغير لونهُ ثم اسلقهُ . ويوضع رطل ماء لكل رطل من السفرجل ومتى انسلق جيداً ضعهُ في كيس واعصرهُ ولا تبالغ في العصر لئلاَّ يخرج المربى غير شفاف ثم اضف الى كل رطل من عصير السفرجل ٣/٤ الرطل من السكر الابيض وحركهُ حركةً دائمة وهو على النار حتى ينعقد ويتم انعقادهُ في نحو عشرين دقيقة ثم ارفعهُ عن النار وصبهُ في القناني الواسعة الفم

الماء ونضارة الوجه

كتبت احدى السيدات تقول لا شيء يحفظ نضارة الوجه مثل الإكثار من شرب الماء النقي فعلى السيدة التي تريد ان تحفظ نضارة وجهها ان تشرب كثيراً من الماء على الطعام وبين طعام وطعام سواء كان بارداً او غير بارد ولا سيما في الصباح بعد القيام من النوم وفي المساء عند الذهاب للنوم ويحسن ان يضاف الى الماء عصير الليمون الحامض قبل النوم وعند القيام منهُ

ولا بدَّ لحفظ نضارة الجلد من خمسة امور الاول النظافة والثاني الطعام البسيط المغذي والثالث الهواء النقي والرابع الرياضة القانونية المعتدلة والخامس النوم الكافي فالنظافة تقتضي الاغتسال بالماء والصابون الجيد الذي ينظف الجلد. وغسل الوجه واليدين مراراً كل يوم بالماء والصابون ويحسن ان يكون الماء فاتراً لا بارداً وان يذاب فيهِ قليل من الاملاح الطيبة الرائحة . والماء الذي يستعمل لغسل الوجه يجب ان يكون فاتراً ويصب فيهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين فانها مقوية ومحسنة ثم يغسل الوجه بماء بارد بعد غسلهِ بالماء والصابون وينشف جيداً ولا يحسن ان تضغط العينان لان الضغط عليهما يتلف استدارتهما ويكون التنشيف بالمنشفة من اسفل الى اعلى لا من اعلى الى اسفل ويحسن ان يصب في الماء قليل من ماء كولونيا

والإقلال من الطعام واجب كالاكثار من شرب الماء لان اكثر الناس يأكلون كثيراً ويشربون قليلاً . والرياضة يكفي فيها ان تمشي المرأة ثلاثة اميال كل يوم في الهواء النقي بسرعة لان المشي في البيت ليس رياضة . والنوم يجب ان يكون ثماني ساعات على الاقل كل يوم

اطعام الاطفال

يجب ان يكون لكل طفل ملعقة وشوكة وكباية وصحن خاصَّة بهِ لانهُ ان اكل هو واخوتهُ واخواتهُ من صحن واحد وبملعقة او شوكة واحدة وشربوا من كباية واحدة واصيب

احدهم بمرض معدٍ كالدفتيريا انعدوا كلهم منهُ

واقبح من ذلك ان تمضغ الطعام بفمك ثم تلقمهُ للطفل تسهيلاً لمضغهِ فتنتقل اليهِ ما في فمك من جراثيم الامراض كالجراثيم التي تتلف الاسنان وجراثيم الزكام وجراثيم القيح وجراثيم السل وما اشبه

علّم الاولاد ان لا يعلكوا العلك دواماً ولا يضعوا رؤُوس اقلام الرصاص او اقلام الحجر في افواههم

لعوق التفاح

اسلق ١٢ تفاحة في الماء حتى تنضج جيداً ثم انزع قشرها وامرثها واعصرها بمنخل من الشعر على نصف رطل من السكر . واخبط بياض بيضتين واضفهُ الى التفاح الممروث واخبط الجميع معاً حتى يصير من ذلك لعوق ابيض فضعهُ في صحن من الزجاج للاكل

باب الزراعة

الشاي

قرأْنا في مجلة سينتفك اميركان نبذةً عن الشاي وما يستخدم له ُ وينتفع بهِ فاقتطفنا منها ما يأْتي

لقد كاد الناس يجمعون على شرب الشاي ولكنهم لا يعرفون لهُ نفعاً غير اتخاذهِ شراباً وغير نشر نفاية مغليهِ فوق البسط والسجاد ليعلق عليهِ غبارها ثم يرفع بكنسهِ عنها

اما في الصين فانهم يستخدمون اوراقهُ للكنس ايضاً ولكن لهُ عندهم منافع اخرى ففي الاقطار التي يقلّ فيها الوقود يجمعون النفاية حزماً على شكل الاجرّ ويجففونها ثم يستعملونها وقوداً والطعام او الشواء الذي يُعدّ على نارهِ ينال عندهم اعظم حظوة . ويتخذون رمادهُ سماداً

ويستخدمون النفاية لمنفعة اخرى قبل اتخاذها وقوداً ذلك انهم ينقعونها او يغمرونها بالماء البارد لتستخرج خواصها في الدباغة والصباغ فان الحامض التنيك فيها يبلغ نحو اثني عشر في المئة فاذا احرزوهُ دبغوا بهِ الجلود او صبغوا النسيج فيخرج الصباغ اسمر جوزياً جميلاً ثابت اللون لا يحتاج الى مادةٍ تزيدهُ ثباتاً ولا يبوخ بفعل الشمس ولا بالغسل او العصر

وفي مواضع اخرى يتخذون من النفاية علفاً للماشية انتفاعاً بحجمها لا بما تحوي من الغذاء وفوق هذا فانها اي النفاية تجفف وتمزج بادنى انواع الشاي وتعدّ للتجارة ومغلي هذا النوع ليس باطى من الشاي المألوف عندنا شربهُ

ومن اعجب ما يستعمل لهُ الشاي المجفف في بعض انحاء الصين استخدامهُ عملةً وقد نوّه بذكر هذه المعاملة الغريبة غير واحد من المؤلفين والسيّاح . ولم تزل هذه السكة جارية في اقصى داخلية الصين واخص مواضع استعمالها جنوبي البامير وتيبت وفي الشمال على مدى منغوليا والتخوم السيبرية . وقد خمنت قيمة المال الذي تتداولهُ الايدي بين مدينة اوركا من منغوليا ومدينة كياكتا من سيبريا بنحو نصف مليون ريال كلها من وريقات الشاي . وفي ما وراء مدينة كياكتا لا يتعاملون بهذه النقود بل يستعملون اوراق الشاي المجففة للتجارة لان هذا النوع منهُ يستعمل كثيرًا في الجيش الروسي ولا يحجم عن استعمالهِ السياح والمسافرون

ولقد نشرت المجلة التي نقتطف منها رسم قطعة من الشاي المستعمل سكةً بقيمة ريالين وقالت انها مصنوعة من انخر الانواع وهو الشاي الاسود وتراهم يكتبون عليها قيمتها وعلامة الحكومة او البنك الذي اصدرها فتقوم لديهم مقام القراطيس المالية ولا تنحصر قيمتها في الريالين بل تكون مختلفة المقادير

والشاي الذي يصدر من الصين للاتجار ليس من الانواع الفاخرة على ان بعض التجار الذين يستوردونهُ الى اوربا واميركا قد يطلبون من عملائهم نموذجاً من الفاخر فيرسلون اليهم قليلاً لا يعتمد في التجارة الاَّ نادرًا لان اثمانهُ تتراوح بين ١٥ و ٢٠ جنيهاً الليبرة الواحدة بل بلغ ثمن شيء منهُ بيع في لندن نحو ٤٥ جنيهاً الليبرة . فاذا اعتبرت ان الليبرة تنتج نحو مئتي كأس من النقيع تبين لك مقدار غلاء الثمن وان هذا النوع الفاخر يكاد يعادل وزنهُ ذهباً

اما الشاي المستعمل من الزهر لا من الورق فقلَّ ان تجد منهُ بين الاصناف التجارية وهم يتخذون من ورق الزهر ومدقاتهِ نوعاً آخر بتجفيفها في الشمس فاذا نقعت اعطت لوناً شديد السمرة تتضوع منهُ رائحة لطيفة وتجد طعمهُ اكثر حرافة من طعم الوريقات العادية ولذلك لا يرجى ان يقبل عليهِ عامة الرغاب

اما النوع المسمى بجنانة الشاي فرائج التجارة في اوربا بخلاف ما هو عليهِ في اميركا حيث يبيعونهُ لطلاَّب الرخيص فلو جفف اقراصاً او على شكل الاجرّ كما هو الحال في الصين لراجت تجارتهُ اذ يصطنع منهُ شراب مقبول

وفي الصين يستعملون ضرباً من الشاي يسمونهُ بيجيكي شي اي شاي العذراء سموهُ كذلك لانهم يستعملونهُ في اعراسهم وهو وريقات النبات مجففةً في الشمس ومن ثمَّ تُربط بثلث قدد من الحرير الملوَّن . وهذا الضرب يستعمل بعد شرب نقيعهِ مكبوساً في الخل ويؤْكل تابلاً

وهنالك ضربٌ اخر من الشاي لم يخرج من بلادهِ ولا عرفهُ الاوربيون والاميركيون الاَّ في الصين حيث ينبت في غربيها ولا ينتج منهُ الاَّ مقدار قليل لان القيام على زراعتهِ مكتومٌ في صدور زرّاعهِ الذين توارثوا مناهج الاعتناء بهِ ابًا عن جد منذ قرون وحرصوا على كتمان سرهم . وميزة هذا الضرب من الشاي انهُ حلو المذاق من فطرتهِ والارجح ان حلاوتهُ مسببة عن التلقيح وعن اهتمام المزارعين الزائد والاعتناء بهِ ودرس خصائص نبتهِ

ولقد رأى العارفون باحوال الشاي ان نتاج الهند وسيلان يحدثان طعماً ونكهةً تذهبان سريعاً بخلاف شاي الصين فان نقيعهُ اكثر ثباتاً في صفاتهِ وينسبون هذا لزراعة النبات في الهند وسيلان في مزارع وسيعة يقوم على الاعتناء بها جماعة من المستأجرين الذين لا فائدة لهم من تحسين نوعهِ بينما ترى زراعتهُ في الصين يقوم بها افراد من الملاَّك يتخذون حقولاً صغيرة وكل حارث منهم يبذل وسعهُ ووقتهُ وما اوتي من المعرفة والذكاء في تحسين زرعهِ وتنميتهِ فيعرف خصائص نبتهِ ويتدبر في اصلاح ما يراهُ شاذًّا عن قصدهِ فلذلك توالت السنون وزادتهُ خبرةً وكان النتاج فاخرًا . وهذا الثبات في صفات الشاي الصيني هو الذي بلغ باثمانهِ حدًّا عاليًا ربما تجاوز العشرين جنيهاً في الليبرة مما لم يبلغهُ الهندي او السيلاني الاَّ ان التجارين من الافرنج قد ادخلوا الى الصين طريقة الزراعة الهنديَّة انتفاعاً بسعة الحقول وخدمة المستأجرين فكانت النتيجة ضعف الصفات التي امتاز بها الشاي الصيني ولا يزال مع ذلك انخر انواع الشاي . . .

الرفق بالحيوان

الحكيم يراعي بهيمتهُ ويعتني بها لان ذلك يعود بالنفع عليهِ . ولقد احسن الفضلاء الذين انشأوا جمعيَّة الرفق بالحيوان وفروعها في هذا القطر . وحبذا لو عمموها فلا تبقى مقصورة على دواب النقل كالخيل والبغال والحمير والجمال بل تتناول البقر والجواميس ايضاً حيث تستخدم في الحرث والتقصيب فان الفلاحين قد ينهكونها تعباً ويشغلونها فوق طاقتها فيعود ذلك بالضرر عليهم . ومعلوم انهُ يتعذَّر على رجال الحكومة مراقبة اعمال الفلاحين في غيطانهم وليس من الحكمة التعرُّض لهم في اعمالهم الخصوصيَّة ولكن تتم الغاية المقصودة اذا ارسلت

جمعيات الرفق بالحيوان او الجمعيَّة الزراعيَّة مندوبين الى المراكز المختلفة حيث يجتمع عمد البلاد ومشايخها واعيانها فيشرحون لهم كيفيَّة تربية المواشي والاعتناء بها وما يترتَّب على ذلك من النفع لاصحابها . ثم ان الانسان يطلب الفائدة لنفسهِ ولا يتغاضى عنها اذا استطاع الحصول عليها . ومتى اعتنى كبار المزارعين بمواشيهم اقتدى بهم غيرهم من صغار المزارعين وليس في اقناع الناس بالاعتناء بمواشيهم صعوبة كبيرة لان كثيرين منهم يعتنون بها الآن وقد يفضل الواحد منهم بقرتهُ على ولدهِ ويعتني بنظافة بهيمتهِ اكثر مما يعتني بنظافة نفسهِ وكم من مرة نرى الحمَّار مقيلاً مع حمارهِ ورأسهُ على رأس الحمار او عنقهِ كانهما صديقان متحابان ولا يندر ان يبخل الحمَّار على نفسهِ ويطعم حمارهُ فلا يتعذَّر ارشاد اصحاب الدواب والمواشي الى الاعتناء بدوابهم ومواشيهم والرفق بها وان عاملوها بالقسوة فيكون سبب ذلك الجهل لاقصد الاضرار بها

الناموس في المزارع

الحمَّيات الملارية من اشد الضربات على البلدان الزراعيَّة فاذا كان في بلاد مليون نفس من المشتغلين بالزراعة ومرض كلٌّ منهم بالحمى عشرة ايام في السنة وهو اقل متوسط في البلدان الزراعيَّة وفرضنا متوسط اجرة الواحد منهم ثلاثة غروش في اليوم فخسارة البلاد من مرضهم ثلاثون مليون غرش او ثلثمئة الف جنيه أضف الى ذلك الخسارة الناتجة من تعطيل المواشي واعمال الزراعة تجد ان الضرر الناتج لبلاد زراعية كالقطر المصري لا يقلُّ عن مليون جنيه في السنة وسبب هذا الضرر نوع من الناموس (البعوض) فاذا عرف الناس كلهم هذه الحقيقة وعرفوا ايضاً ان الناموس يتولد في المياه الراكدة اذا كانت قليلة وتركت في مكانها اسبوعاً او اسبوعين لم يروا صعوبةً في التخلص من الحمى الملارية بمنع ركود الماء في البرك الصغيرة

ثم ان الحمى الملارية (الدورية) تتولد من نوع من الناموس لا من الناموس كلهِ وهذا النوع الذي يسبب الحمى قليل بالنسبة الى الناموس العادي ويمتاز عنهُ بان جسمهُ مرقَّط ويقف على الحائط عمودياً عليهِ لا موازياً لهُ كالناموس العادي فلا داعي للخوف من الناموس العادي وحسبانهِ من ناموس الحمى الملارية

ولكن الناموس العادي ينقل حمى اخرى وهي حمى الدنج او ابو ركب وهي دون الحمى الملارية في استمرارها لانها لا تستمر الا بضعة ايام ولكنها تصيب كل احد تدخل بيتاً وفيهِ

ستة او سبعة فتصيب كل واحد منهم لان الناموس ينقل الحمى من واحد الى آخر فيكون استئصال الناموس على انواعهِ أمرًا واجبًا من حيث الصحة العمومية

ثم ان الناموس يقلق راحة الناس وراحة المواشي ايضًا حتى الجمال على ضخامتها تقلق منهُ وتعدم راحتها وكثيرًا ما رأينا الفلاحين يحرقون الجلة قرب مواشيهم ليطردوا الناموس عنها وهم لو اهتموا بمنع تولدهِ في البرك الصغيرة لكان ذلك اسهل عليهم

زراعة البساتين

اجتمعت جمعية زراعة البساتين التجارية في الجزيرة وتلي تقرير سكرتيرها فاذا فيهِ ان الجمعية تستطيع ان تنفق ٦٠٠ جنيه على مشترى اغراس جديدة في خلال الشهور الباقية من هذه السنة وستجلب من اغراس اجود انواع البرتقال والليمون من يافا وكرفو واسبانيا لتوزعها في القطر المصري

وجرت المذاكرة في زراعة المنجو فقد ثبت ان هذا الشجر يجود في القطر المصري وان القطر المصري هو البلاد الوحيدة التي يمكن ان ينقل ثمر المنجو منها الى اوربا فضلاً عن تزايد الطلب عليهِ في مصر. والربح من الاشجار الكبيرة كثير جدًّا ولكن اذا زرع المنجو من البزر فقد يخرج منهُ شجر جيد الثمر وقد يخرج منهُ شجر غير جيد الثمر فلا بدَّ من تطعيمهِ بنوع جيد . وقد وصل الى الجمعية اغراس كثيرة من الهند وستجلب اغراسًا اخرى اكثر منها

ثم دار البحث في نبات السيسل الذي تستخرج منهُ الياف متينة تستعمل كالقنّب فانهُ يجود في الاراضي الرملية القاحلة ولا يحتاج الا الى قليل من الماء والطلب على اليافهِ كثير جدًّا في اوربا ويظهر من التجارب التي جرّبت في جهات القطة ان صافي غلة الفدان منهُ ١٨ جنيهًا في السنة . وقد اشار السكرتير بزرع مئتي فدان منهُ في التل الكبير

وجرى ذكر زراعة الموز والربح الكبير الناتج منهُ فان غلة الفدان قد تبلغ ثمانين او تسعين جنيهًا في السنة والمقطوعية كبيرة في القطر المصري ويمكن تصديرهُ الى اوربا

وستخصص الجمعية خمسة افدنة في الجزيرة لزرع الاشجار من انواع مختلفة حتى تنقل الاغراس منها الى البساتين

وقد ارتأى البرنس حسين باشا كامل ان يُعلّم بعض طلبة المدرسة الزراعية علم زراعة البساتين حتى يتولوا ادارة البساتين الكبيرة .



حاجة من حاجات المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت

حضرة العلامتين الفاضلين منشئي المقتطف

قرأت في باب المراسلة والمناظرة في الجزء الثالث من المجلد الثاني والثلاثين من مقتطفكم الاغر مقالة تحت عنوان " حاجة من حاجات المدرسة الكلية " لحضرة الاستاذين الفاضلين جبر افندي ضومط وبولس افندي الخولي . مقالة رشيقة المباني انيقة المعاني مآلها حث الذين تعلموا في المدرسة الكلية والذين علّموا فيها من القطرين المصري والشامي من سنة ٦٧ الى حد هذه السنة على ان يتبرعوا بالمساعدات المالية لاقامة بناية خصوصية لراحة تلامذة تلك المدرسة لا تقل نفقاتها عن الثلاثين الف ريال اميركاني

وقد كنت اقرأ تلك المقالة وافكاري تتسابق لمعرفة نهايتها لارى كيف يتخلص الاستاذان الى استنهاض اخوانهم للسخاء في هذا السبيل حتى جئت على آخرها فشعرت ببلاغة الختام وببراعة الاستاذين في تمنيقهِ حتى جاء آيات لا نرى وصفاً يؤدي حقها الاَّ ان نقتبسها برمتها . قال الاستاذان اعزهما الله " هذا ملخص ما نشرهُ اخواننا الاميركان اثبتناهُ ببعض التصرف واما نحن المعلمين من ابناء العربية فقد رأينا ان نصدر اولاً هذه المقالة على صفحات شيخ المجلات ونبراسها الزاهر ونوجهها الى قرائهِ اخواننا من المعلمين وتلامذة الكلية اجمعين من سنة ٦٧ الى هذا الحين ونعرض لديهم هذه الحاجة ليتبصروا فيها ويمدونا بآرائهم واياديهم ثم نشفعها بكتاب مطبوع ننفذهُ الى كل منهم ونتابعهم باخبار المشروع وارتقائهِ حتى يستكمل ويروا اياديهم في استكمالهِ . فيا ايها الاخوان الاعزاء اساتذتنا ورصفاءنا ورفاقنا ومتخرجي مدرستنا ومحبيها ابناء القطر المصري والشامي في مصر والشام والولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل واستراليا وحيثما كانوا من جهات المعمور تبصروا في الامر وتصوروا ما يصنع لراحة اكثر من سبعمائة شاب من نخبة شبان سوريا ومصر وبعضهم من اخواننا او من ابنائنا او ابناء اصحابنا واقاربنا . تفكروا وليوفقكم الله الى كل خير . واما نحن اخوتكم المعلمين الآن في المدرسة فنؤمل ان يجاب نداؤُنا كما يجاب نداء رفاقنا من المعلمين الاميركان ولا نقول اكثر في بلاد اجنبية عنهم ولكنها مسقط رؤُوسنا ورؤُوسكم والسلام "

والحق يقال انها لعبارات تحرك الجماد وتؤثر في صلد الصخر وقد احسنت عمدة المدرسة بانتقائها مثل هذين الاستاذين في علمها وبراعتهما ويحق لها ولنا ان نباهي بمثلها . على ان من راجع تاريخ المدرسة وتعقب معاملتها للاساتذة الوطنيين يستغرب صدور مثل هذا النداء من استاذين لم يعهد بهما المصانعة من قبلُ ويستبشر من ندائهما هذا بأن عصر المدرسة الحاضر هو غير عصرها الغابر والاّ فما كان الاستاذان ورفاقهما ينفخون في هذا البوق . وعليهِ فلا بد لنا من ان نسأل الاستاذين الفاضلين الاسئلة الآتية ولهما الخيار في الجواب وعدمهِ

(١) هل المدرسة اميركانية او سورية

(٢) هل المعلمون من الاميركان اكثر من المعلمين من السوريين او بالعكس

(٣) كم عدد المعلمين السوريين الذين جعلتهم المدرسة اساتذة منها

(٤) هل رواتب المعلمين السوريين كرواتب المعلمين الاميركان او مدانية لها

(٥) هل الفائدة من هذه البناية راجعة الى التلامذة فقط

ونرجو الاستاذين الكريمين ان يجاوبانا عن هذه الاسئلة الخمسة فانهُ ان كانت المدرسة سورية كما تسمى وكان عدد المعلمين السوريين فيها اكثر من الاميركان وكان عدد الاساتذة من السوريين يضاهي عدة الاساتذة من الاميركان ورواتبها متساوية وكانت فائدة البناية مقصورة على راحة التلامذة فالامر واضح حينئذٍ ان الاستاذين بندائهما هذا يحرضان اخوانهما على امر وطني محض وحريّ باخوانهما من الذين علموا وتعلموا في الكلية ان يلبوا نداءهما ويبذلوا المستطاع في سبيل تحقيق هذا المشروع النبيل والاّ فاننا نستسمح حضرة الاستاذين ان نقول انهما مدفوعان الى مجاراة رفاقهما من الاميركان ولا تثريب عليهما في ذلك فهما يعملان بالقول المأثور

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرَّسْ بانيابٍ ويوطأْ بمنسمِ

على ان بقية اخوانهما من ابناء الكلية لا يلامون اذا لم يجاروهما في الغيرة التي يحاولان اضرامها في صدورهم . ولنا كلام بعد في هذا الصدد نرجئهُ الى ان نقف على جواب الاستاذين الفاضلين هذا اذا تكرما بهِ والسلام

احد متخرجي المدرسة

[المقتطف] نشرنا هذه الرسالة لانها تعبّر عن آراء بعض متخرجي المدرسة ولكن ما دامت اموال المدرسة اميركية فلا حقَّ للسوريين ان يسيطروا على كيفيَّة انفاقها وما دام الغرض من هذا البناء النفع المحض فمساعدة القائمين بهِ واجبة عن كل حال

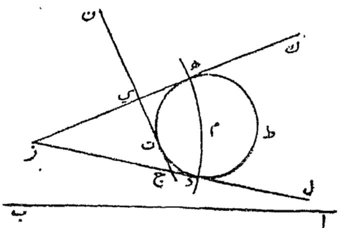
مسألتان رياضيتان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

احييكم تحية تلميذ مخلص وبعدُ فقد كنت اراجع بعض الاجزاء الماضية من المقتطف فعثرت على مسألتين رياضيتين لم ارَ لها حلاً فيهِ فبعثت بالحلين التاليين لها

الاولى هندسية وهي واردة في الصفحة ٥٦١ من المجلد السادس عشر حيث قيل انهُ فرضت زاوية ونقطة خارجة عنها والمطلوب رسم خط مستقيم من تلك النقطة يقطع ضلعي الزاوية بحيث ان المثلث الذي يتكوَّن على هذه الكيفية يكون لهُ محيط معلوم

ليكن ل ز ك الزاوية المفروضة و ن النقطة الخارجية والخط ا ب محيط المثلث فنريد ان نرسم خطًّا من ن يقطع جانبي الزاوية ويكون مثلثًا محيطهُ يعدل الخط ا ب لنفرض ان المسألة محلولة وان ن ج الخط المطلوب رسمهُ بحيث يكون محيط المثلث



ج ى ز يعدل الخط المفروض ا ب

ارسم الدائرة ت د ط ماسة الخطوط ك ى · ى ج · ج ل في النقط ه ت د

فلنا : —

ي ه = ي ت
د ج = ج ت } المماسَّان المرسومان من نقطة خارج المحيط متعادلان
ز ه = ز د

فاذًا ز ي + ي ه + ز ج + ج د = ز ي + ي ت + ز ج + ج ت

اي ز ه + ز د = ز ي + ي ج + ج ز = ا ب

وعليهِ ز ه = ز د = $\frac{ا ب}{٢}$

ولاجل رسم الخط ن ج خذ ز مركزًا وارسم (قوس) دائرة قطرها يعدل الطول المفروض ا ب فتقطع جانبي الزاوية في ه و د

ارسم دائرة تمس زك و زل في ه و د ثم ارسم ن ج ماسًّا الدائرة ه ت د ط وهو ما اردنا رسمهُ من النقطة الخارجيَّة ن

الثانية مسألة اكلس والسلحفاة

في المجلد ١٦ وجه ٧٠٨

المسافات التي يقطعها اكلس ١٠٠٠٠ ١٠٠ ١ $\frac{1}{100}$ $\frac{1}{10000}$ $\frac{1}{1000000}$ .. الخ

وبما ان اكلس اسرع من السلحفاة بمئة مرة ومطارد لها فهي تقطع في ذات الوقت $\frac{1}{100}$ من المسافة التي يكون قد قطعها هو وتبقى دائمًا سابقتهُ بجزء من مئة من المسافة التي يكون قد قطعها اي يكون بينهُ وبينها دائمًا ابدًا $\frac{1}{100}$ من المسافة التي يكون قد قطعها . وهذا الجزء من المئة هو مسافة في نظر المنطق والرياضيات كبيرًا كان ام صغيرًا وعليهِ لا يمكن ان يلحقها (او يلحقها في اللا نهاية من الوقت)

اما المسافة التي هي «حدّ» للمسافة التي يقطعها اثناء مطاردتهِ لها فتكون :—

$$10000 + 100 + 1 + \frac{1}{100} + \frac{1}{10000} + \frac{1}{1000000} \cdots \text{الخ}$$

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left(1 + \frac{1}{100} + \frac{1}{10000} + \frac{1}{1000000} \cdots\cdots\right)$$

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left(1 + \frac{1}{10^2} + \frac{1}{10^4} + \frac{1}{10^6} \cdots\cdots\right)$$

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left\{\frac{1}{1 - \frac{1}{10^2}}\right\}$$ (الكمية ضمن الحواصر سلسلة هندسية متصلة)

$$= 10101 + \frac{1}{100}\left\{\frac{100}{99}\right\}$$

$$= 10101\tfrac{1}{99}$$

هذا اذا نظرنا اليها من الوجهة الرياضية المجردة ولكن الواقع يختلف عنها كثيرًا لاستحالة اتمام الشروط والجري بموجبها وبما ان هذه المسألة من الامثلة الحسنة التي يمكن ان نقدم في تمهيدات كتب حساب التفاضل والتكامل فساوافي القراء الكرام انشاء الله في المستقبل بمقالة ابين فيها بعض خصائص هذا العلم السامي وتطبيقهُ على بعض ما هو مهم في الطبيعيات والميكانيكيات

منصور حنا جرداق
نائب استاذ الرياضيات
في القسم العلمي من الكلية السورية

اعجوبة البناء

حضرة منشئي المقتطف الكرام

دار ذات ست طبقات بنيت على ارض رخوة بالسمنت المربوط باسلاك الحديد . بعد ان تمّ بناؤها اصبحت مشرفة على السقوط بحيث يعجب من تماسكها ويبهت من متانة البناء . ثم بعد ذلك تدارك المهندسون امرها بان حفروا تحتها من الجهة المقابلة للميلان واثقلوا حيطانها باثقال فرجعت الى حالتها الاصليَّة ولم ينكسر منها ولا طبق بلور وقد مضى عليها الآن نحو سنة وهي على حالها من الاستقامة

الشاذلي بن فرحات
عامل الجريد



الجزء الثاني
من ديوان حافظ

شعراء العربيَّة مظلومون ككتَّابها لانهم ان احسنوا ترصيف الكلام واختاروا العربي الصميم والعبارات المنتقاة البعيدة عن الابتذال لم يفقه الجمهور لهم معنىً لان العربية المحكمة انحطت عند المتكلمين بها وبعدت عن المعربة بعداً شاسعاً . وان تنازلوا الى العربية العاميَّة واخلُّوا بقاعدة من قواعد الصرف والنحو او استعملوا لفظة لم ترد في الجوهري والفيروزابادي قامت عليهم قيامة المنتقدين واتهموهم بانتهاك محارم العربية . ولو كان السواد الاعظم من المتكلمين بالعربيَّة يدرك معاني اللغة الفصحى كما يدركها بعض الخاصة لرأيت اهالي مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى يستظهرون اشعار حافظ ومن جرى مجراهُ كما يستظهر الاوربيون اشعار النوابغ من شعرائهم. ولو تدانى شعراؤُنا الى اللغة العاميَّة لراجت دواوينهم اضعاف رواجها الحالي ولتغنى باشعارهم كل احد حتى حداة العيس ومستقيات الماء

والمتكلمون بالعربية واقفون الآن بين قوتين تتجاذبانهم — الكتَّاب والشعراء يحاولون تعويدهم فهم اللغة العربية واستعمالها والناموس الطبيعي الذي يقضي بتغيير لغتهم رويدًا رويداً يحاول ابقاءهم في خطته ومقاومة كل تغيير كبير او انقلاب فجائي . ونخاف ان تكون الغلبة

له اخيرًا فتصير اللغة العربيّة لدى ابنائها كاللاتينيّة لدى الاوربيين ويكون لها اسوة باللاتينيّة لغة العلم والفلسفة والفصاحة ولو قال حافظ "بمات لعمري لم يقس بمات"

وتمتاز اشعار حافظ على اشعار اكثر النوابغ بسلاستها وعذوبتها وقلة الغريب فيها فاذا تعذر على العامي فهم قوله "امة قد فتّ في ساعدها" لم يتعذر عليه فهم قوله

كنتُ اهوى في زماني غادةً وهب الله لها ما وهبا

ذات وجهٍ مزج الحسنُ بهِ صفرة تنسي اليهود الذهبا

ولقد عني بتفسير الكلمات الغامضة ولكن التفسير يراهُ القارئ ولا يراهُ السامع ولا تنتشر الاشعار ما لم تحفظ بالسمع

هذا وتمتاز هذه القصائد من اشعار حافظ بانها حوت تاريخ العصر او اشهر حوادثهِ بلفظ رشيق ومعنى انيق من ذلك قولهُ في وصف امبراطور اليابان

ملك يكفيك منهُ انهُ انهض الشرق فهزّ المغربا

بعث الامة من مرقدها ودعاها للعلا ان تدأبا

فسمت للمجد تبغي شأوهُ وقضت من كل شيء مأربا

وقولهُ للامبراطورة اوجيني عند قدومها القطر المصري منذ سنتين مشيرًا الى الخديوي الاسبق اسمعيل باشا

اين يوم القنال يا ربة التاج ويا شمس ذلك المهرجان

اين مجري القنال اين مميت المال اين العزيزُ ذو السلطان

اين ليث الجزيرة ابن عليّ واهب الالف مكرم الضيفان

الى ان قال مشيرًا الى القصر الذي نزلتهُ في زيارتها الاولى

ربّ بانٍ نأى وربّ بناء اسلمتهُ النوى الى غير بان

تلك حال الايوان يا ربة التاج فما حال صاحب الايوان

قد طواهُ الردى ولو كان حيًّا لمشى في ركابك الثقلان

وتولت حراسة الموكب الاسنى نجوم السماء والنيران

ان يكن غاب عن جبينك تاج كان بالغرب اشرف التيجان

فلقد زانك الزمان بتاجٍ لا يدانيهِ في الجلال مداني

وابيات القصيدة كلها غرر الا بيت "الخان" ولعلهُ اوردهُ على هذه الصورة استدراجًا للاعتذار بطوارىء الحدثان

والشاعر لا يؤآخذ اذا بالغ في الاقوال او غيرّ الوانها والبسها صور الخيال فلا يلام حافظ على قولهِ

على الشرق مني سلام الودود وان طأطأ الشرق للمغربِ
لقد كان خصباً بجدب الزمان فاجدب في الزمن المخصب

وقولهِ

اروني نصف مخترعٍ اروني ربع محتسبِ
اروني نادياً حفلاً باهل الفضل والادبِ
وماذا في مدارسكم من التعليم والكتبِ
وماذا في صحائفكم سوى التمويهِ والكذبِ

ولكن المؤرخ لا يعذر اذا خاطب المحتلين قائلاً

جاء جهالنا بامر وجئتم ضعف ضعفيهِ قسوةً واشتدادا

وهو يعلم ان صاحب الحكم وطنيٌّ ابن وطني ومن اشد القضاة الوطنيين نزاهة ولو حكم بالعفو لعفى عن المجرمين حتماً . وقولهِ

لقد كان فينا الظلم فوضى فهُذبت حواشيهِ حتى صار ظلماً مهذَّبا

الاَّ ان ما كان من هذا القبيل قليل في شعر حافظ وما بقي من الديوان فغرر ودرر تشهد بسلامة ذوقهِ وامتلاكهِ ناصية النظم وقيامهِ في المقام الاسنى بين شعراء العربيَّة

السنَد

رسالة تتضمن اهم الملاحظات في احكام السند (الكمبيالة) والسفتجة والحوالة مع صور كثيرة منها ومن الصكوك والاستدعاءات ومعاملات دائرة الاجراء وتعليمات تحرري المقاولات وقانون الافلاس الخ . لواضعها حضرة عزتلو ملحم بك خلف الكاتب الاول في وكالة المدعي العمومي بمحكمة الاستئناف في متصرفية جبل لبنان

ولا يخفى ان المعاملات التجارية اهم الاعمال واذا جرى الناس فيها على قانون متَّبع خلصوا من مشاكل كثيرة يضيع فيها الوقت والمال . ولذلك احسن حضرة واضع هذه الرسالة في ما جمعهُ فيها من القواعد والامثلة والشروح القانونية والارشادات التي تحفظ بها الحقوق من الضياع كجعل السند رسميًّا (اي تسجيلهُ) ونحو ذلك مما يرى في هذه الرسالة فهي لازمة لكل الذين لهم معاملات تجارية مهما كانت

التقرير المتيورولوجي لسنة ١٩٠٤

Meteorological Report for the year 1904. Part II.

لمصلحة المساحة المصرية ولمديرها العالم الفاضل الكبتن ليونس اكبر فضل على هذا القطر من حيث البحث في اموره الطبيعيَّة. واننا لنرى في كل تقرير تصدرهُ هذه المصلحة دلائل العلم والبحث والتدقيق التي تؤدي اخيرًا الى معرفة الاحداث الجوية والخصائص الطبيعيَّة وما يترتب عليها من التحكم بماء النيل والتخلص من ضرر العوارض الجوية واكتشاف ما في اراضي مصر والسودان من الثروة الطبيعيَّة. ولدينا الآن تقرير مسهب عن الاحداث الجوية سنة ١٩٠٤ وارصادها في الاسكندرية وبورت سعيد والسويس والعباسية بالقاهرة والجيزة واسيوط واصوان ووادي حلفا وبربر وسواكن والخرطوم وود مدني والدويم وكسلا واديس ابابا وحلة دُليب وواو ومنقالا وحلوان وكذلك والرصيرص والابيّض.

و يقال فيهِ ان القطر المصري والقطر السوداني مقسومان الى اربعة اقاليم الاول الشمالي وهو مما يلي بحر الروم من الوجه البحري وتغلب فيهِ الرياح الشمالية الغربية وهي من الرياح التجارية وكان يجب ان تهب فيهِ من الشمال الشرقي لا من الشمال الغربي ولكن الحرارة في القطر المصري وبلاد العرب وبادية الشام تخفف الهواء في كل الجهات الجنوبيَّة والشرقية فيدعو حفظ الموازنة الى هبوب الرياح الباردة وتكون جهة هبوبها شمالية غربية. واذا مرَّت الزوابع في هذا الاقليم من الجنوب الى الشمال تبعها المطر في الشتاء والربيع

والاقليم الثاني متوسط بين الاول والثالث ويصل الى الدرجة ٢٧ من العرض الشمالي وتؤثر فيهِ برودة الاقليم الاول وحرارة الاقليم الثالث

والاقليم الثالث وراءهُ جنوبًا يصل الى الدرجة ١٨ من العرض الشمالي ولا يفعل بهِ هواء البحر المتوسط بل هواء الصحاري التي على جانبيهِ ووراءهُ وتهب فيهِ الرياح التجارية من الشمال الشرقي على مدار سنة ولا تهب فيهِ الرياح الجنوبية الَّا نادرًا وتقع فيهِ الامطار على اثر العواصف الكهربائية

والاقليم الرابع يشمل بقية السودان ويمتد الى الدرجة ٤ من العرض الشمالي وتفعل بهِ رياح الموسم التي تهبُّ في الشمالي الشرقي من قارة افريقية والرياح التجارية الشمالية الشرقية في باقي السنة وهي جافة كما ان الرياح الجنوبية كثيرة الرطوبة ويقع منها المطر

وفي الجدول التالي متوسط درجات الحرارة والرطوبة في كل شهر في العباسية وحلوان والاسكندرية والخرطوم

	العباسية		حلوان		الاسكندرية		الخرطوم	
	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة	الحرارة	الرطوبة
يناير	١١,٣١	٧٢,٧	١١,٤١	٦٧,٢	١٢,٤٨	٧٥,٦	٢٢,٨٥	٣٢,٩
فبراير	١٣,٦٨	٧٣,٥	١٤,٣٦	٥٩,٤	١٣,٨٣	٧٩,٠	٢٣,٣٦	٢٥,٦
مارس	١٥,٢٥	٧٣,٨	١٦,٢٤	٥١,٨	١٤,٤٦	٧٧,١	٢٦,٥٢	١٨,٣
ابريل	١٨,٥٣	٧٢,٥	١٨,٨٦	٥٠,٩	١٦,٢٤	٨٢,٠	٢٩,٣٨	١٥,٨
مايو	٢٢,١٨	٦٥,٢	٢٢,٦٣	٤٦,٣	١٨,٨٦	٨٥,٣	٣٢,٦٣	٢٠,٠
يونيو	٢٥,٠٣	٥٩,٢	٢٥,٧٨	٤٣,١	٢١,٨٧	٨٣,٢	٣٣,٣٤	٢٤,٨
يوليو	٢٦,٩٢	—*	٢٧,٧٨	٤٣,٧	٢٤,٧٧	٧٤,٢	٣١,١٨	٤١,٧
اغسطس	٢٦,٥١	—	٢٦,٦٧	٥٠,٦	٢٤,٩٤	٧٤,٢	٣١,٦١	٤٢,٢
سبتمبر	٢٤,٣٩	٧٧,٢	٢٥,٤٧	٥٤,٠	٢٤,٢٦	٧٢,٢	٣١,٣٦	٤١,٤
اكتوبر	٢٣,٤٢	٧٠,٤	٢٤,٤٢	٥٣,٢	٢٣,٢٧	٧٤,٣	٣٠,٦٢	٣٣,٦
نوفمبر	١٧,١٠	٦٥,٦	١٧,٠٠	٦٠,٣	١٧,٣٤	٧١,٨	٢٦,٦٤	٣٣,٠
ديسمبر	١٢,٥١	٦٦,٠	١١,٩٥	٦٣,٣	١٣,٥٦	٧٣,٤	٢١,٦٨	٣٥,٠
المتوسط	١٩,٧٣	٦٩,٦١	٢٠,٢٢	٥٣,٦	١٨,٨٢	٧٦,٩	٢٨,٦٩	٣٠,٤

واعلى ما بلغتهُ الحرارة في الاماكن التي فيها آلات الرصد واوطأ ما بلغتهُ ما تراهُ في هذا الجدول

المكان	الاعلى	الاوطأ	المكان	الاعلى	الاوطأ
الاسكندرية	٣٨	٥	وادي حلفا	٤٦	١
بورت سعيد	٣٥,٦	٧	بربر	٣٦	٣
السويس	٣٩	٦	سواكن	٤٨	١٥
حلوان	٤٢	٣,٥	الخرطوم	٤٥	٧
العباسية	٤٢	٣,٥	ود مدني	٤٦	٩
الجيزة	٤١,٥	١,٤	الدويم	٤٧,٥	٧
اسيوط	٤١	١	كسلا	٤٣,٣	١٠
إصوان	٤٥	٣	الابيّض	٤٢,٢	٤,٤

وفي التقرير فوائد جمة ملخصة في مقدمة للمستر كريج مدير قسم الحساب في مصلحة المساحة



سكان القاهرة

نشرت ادارة الاحصاء التعداد الرسمي لسكان القاهرة فكان كما يأتي

القسم	ذكور	اناث	المجموع
عابدين	٢٧٣٩٤	٢٣٦٢١	٥١٠١٥
باب الشعرية	٢٨٧٦٢	٢٧٢٢٣	٥٥٩٨٥
بولاق	٤٥١٠٩	٤١٤٨٢	٨٦٥٩١
شبرا	٢٥٤٤٣	٢٣٨٠٩	٤٩٢٥٢
الدرب الاحمر	٣٧٧٨٩	٣١٤٨٨	٦٩٢٧٧
الازبكية	٢٥٢٥٦	٢٤١٠٩	٤٩٣٦٥
الجمالية	٣٣٥٠٩	٢٦٤٤٤	٦٠٩٥٣
الخليفة	٢٨٠٧٨	٢٥٩٧٠	٥٤٠٤٨
مصر العتيقة	١٧٠٧٠	١٤٤٥٥	٣١٥٢٥
الموسكي	١١٨٦٥	١٠٢٩٥	٢٢١٦٠
السيدة زينب	٣٠٥٢٥	٣١٣٩٥	٦١٩٢٠
الوايلي	٢٨٩١٣	٢٣٠٩٤	٥٢٠٠٧
حلوان	٣٩٨١	٣٨٦٣	٧٨٤٤
المجموع	٣٤٣٦٩٤	٣٠٨٢٤٨	٦٥١٩٤٢

وفي هذا التعداد محل للغرابة من وجهين الاول كثرة الفرق بين الذكور والاناث فان الذكور اكثر من الاناث عادةً كما ابنا غير مرة ولكن لا تكون زيادة الذكور على الاناث اكثر من ٣ في المئة الاَّ نادرًا اما في القاهرة فبلغت الزيادة اكثر من عشرة في المئة ولا نرى لذلك سببًا معقولاً لان القاهرة ليست مدينة صناعية يتقاطر اليها العمال الذكور ولا عدد الجيش فيها كثير الى هذا الحد لان الزيادة بلغت اكثر من ٣٥ الفًا. ومن رأي البعض ان السكان يأنفون احيانًا من ذكر اسماء نسائهم وبناتهم وبذلك تعلل قلة عدد الاناث

والوجه الثاني ان سكان القاهرة كانوا في الاحصاء السابق الذي تمَّ منذ عشر سنوات نحو ٥٧٠ الفًا وكانت زيادة المواليد على الوفيات في القطر كلهِ حينئذٍ ٢٫٦٧ في المئة سنويًّا ولو زاد سكان القاهرة على هذه النسبة لبلغ عددهم الآن ٨١٣ الفًا وبلغ سكان القطر المصري كلهم نحو ١٤ مليونًا ولكن سكان القطر لم يبلغوا ١٢ مليونًا ولذلك فالزيادة السنويَّة في العشر السنوات الماضية لم تكن سوى واحد ونحو اربعة اعشار في القطر كلهِ واذا كانت في العاصمة على هذه النسبة وجب ان يزيد سكانها نحو ٧١ الفًا فقط وقد زادوا بحسب الاحصاء الجديد اكثر من ذلك فلا غبار على الاحصاء من

هذا القبيل ولكننا نخلص من مشكل لنقع في غيرهِ وهو كيف كانت الزيادة السنويَّة بين سنة ١٨٨٢ و١٨٩٧ اي زمن الاحصائين السابقين ٢,٦٧ في المئة ولم تبلغ في العشر السنوات الاخيرة سوى نصف ذلك مع ان الاعتناء بالصحة الآن اشد من الاعتناء بالصحة حينئذٍ ولم تقع بالقطر اوبئة تميت الكثيرين من سكانهِ · وعليهِ فإما ان احصاء سنة ١٨٨٢ كان دون الحقيقة بكثير او ان احصاء هذا العام دون الحقيقة بكثير

الاتفاق الانكليزي الفرنسوي

لما نشرنا خطبة لورد كرومر في صدر هذا الجزء اضطرنا ضيق المقام الى حذف كثير من فقراتها وقد رأينا ان نعيد هنا فقرة متعلقة بالاتفاق الانكليزي الفرنسوي عن مصر وهي قال السياسي الطائر الصيت المسيو غمبتا الذي كانت ارادتهُ المتسلطة على العقول مدة تقلدهِ منصبهُ تؤثر في سير تاريخ مصر تأثيرًا دائمًا يوصي اهل بلادهِ " اياكم وان تقطعوا حبل المحالفة الانكليزية " · ومذهبي في السياسة الدولية الذي يشاركني عدد عظيم من اهل بلادي فيهِ يمكن أن يعبر عنهُ بهذه العبارة : اياكم وان تقطعوا حبل الاتفاق الفرنسوي فان هذا الاتفاق الذي اشار اليهِ الكونت دوسربون بعباراتهِ اللطيفة مبني على اشتراك الفريقين في المصلحة وعلى قرب الجوار وتشابه النظامات السياسية واحترام كل فريق للآخر احترامًا ناتجًا عن تلاقيهما في ساحات الوغى كثيرًا واقتتالها فيها شديدًا وعلى كون خصائص كل منهما وصفاتهِ مكملة لخصائص الآخر وصفاتهِ وزد على ذلك كلهِ انهُ ليس في هذا الاتفاق تهديد لاحد وانما هو صادر عن رغبة الفريقين في حفظ السلام في العالم فان كان في العالم امتان تقضي عليهما الاحوال بان تتصادقا وتتحابا فانما هما امتا فرنسا وانكلترا

فلا يخفى على اقل مبتدىء في السياسة انهُ ما دامت هذه القرحة المصريَّة تنزُّ فصداقة تينك الامتين لا بدَّ وان تمسَّ ولذلك لما اتيت مصر سنة ١٨٨٣ عقدت نيتي على ان اسعى في سد هذه الثغرة بقدر ما تمكنني دائرة وظيفتي · وكان ذلك سعيًا شاقًّا كسعي الطالع جبلاً حاملاً ثقلاً فان الامتين قضتا الاعوام وكل منهما تنظر الى الاخرى شزرًا وقد دارت بينهما المضاربة والملاكمة القاسية ولكنها لم تتعدَّ والحمد لله حد الكلام ونلت انا نصيبي منها فقد ظللت زمانًا والجرائد الفرنسويَّة تذكر اسمي منعوتًا بنعوت الذم الاَّ نادرًا · واظن ان اكثرها كان يلقبني بكرومر الوحش (Le brutal Cromer) وقد شبهتني مرة على ما اتذكر باعظم آلهة الوثنيين حبًّا لشرب الدماء حيث لقبتني بمولوك . ولكن مداعبات الجرائد هذه هي في

المناقشات السياسيّة كالافاويه والتوابل في الطعام فتكسبها حياة وتزيدها نكهة وورونقاً فلا يحسن بالانسان ان يحفل بها كثيراً لا سيما وان زمانها قد مضى لحسن الحظ وانقضى وتغيرت لهجة الجرائد الفرنسوية حتى لقبتني مرة في هذه الايام بهذا الشيخ الجليل (Cet illistre viellard) على اني افرغت الجهد مدة اعوام كثيرة في المساعدة على عقد الاتفاق بين الامتين واقول الآن ان اسعد يوم من ايام خدمتي في مصر كان يوم ٦ ابريل سنة ١٩٠٤ الذي وقع فيهِ الاتفاق الانكليزي الفرنسوي

هيروغليف المكسيك

ان بعض سكان المكسيك القدماء كانوا يكتبون كتابة صورية كالكتابة المصرية القديمة من بعض الوجوه . وقد اهتمَّ العلماء من قديم الزمان بحل رموزها ومنهم الدكتور ارنست فورستمان فظهر لهُ ان اهالي المكسيك القدماء كانوا يعرفون كثيراً من الامور الفلكية وكانوا يرصدون الكواكب ويعرفون حركاتها ووجد في كتاباتهم العدد ٢٩٢٠ مكرراً كثيراً مع بعض الاشارات الفلكية فاستنتج انهُ يشير الى الايام التي يتفق فيها دوران الارض في فلكها ودوران الزهرة لان كل ثماني دورات من دورات الارض تعادل خمس مدات قانونية او اجتماعية من مدات الزهرة لان دورة الارض تعادل ٣٦٥ يوماً ومدة الزهرة القانونية ٥٨٤ يوماً والعدد المشار اليهِ آنفاً يعادل ثمانية اضعاف ٣٦٥ وخمسة اضعاف ٥٨٤ . فان كان اهالي المكسيك القدماء وصلوا الى هذه الدرجة من معرفة الحسابات الفلكية فعلمهم يفوق علم اكثر اهالي المشرق الآن ولكننا نظن ان العدد المشار اليهِ آنفاً ذكر لغرض آخر وان انطباقهُ على مدة دوران الارض واستقبال الزهرة جاء اتفاقاً

ثروة كارنجي

ذكر المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية انهُ لما اراد كارنجي اعتزال الاعمال عرض حصتهُ في كل ما يملكهُ من المعامل واملاكها بعشرين مليون جنيه وتعهد سمسار ان يبيعها لهُ بهذا الثمن في وقت محدود والَّا دفع اليهِ مليون ريال غرامة فلم يستطع ان يبيعها لهُ في الوقت المحدود ودفع الغرامة وفي السنة التالية قام بيربونت مورجان وعرض على كارنجي ستين مليون جنيه ثمن حصتهِ لكي يخلص من مناظرتهِ لشركة الفولاذ التي انشأها فكسب كارنجي بهذه الصفقة اربعين مليون جنيه لم يتعب اقل تعب في تحصيلها كأنها هبطت عليهِ من السماء . وصدق فيهِ القول القائل من معهُ يعطى ويزاد . وقال المستر ستد ان المستر

كارنجي نجح نجاحاً تامّاً في كل اعمالهِ الاّ في عمل واحد ارادهُ فلم يفلح فيهِ وهو انهُ اراد ان يقلل ثروتهُ فلم يستطع بل هي تزيد دواماً رغماً عمّا ينفقهُ منها · وقد وهب حديثاً هبتين كبيرتين كل هبة منهما مليونا جنيه ولكن زادت قيمة اسهمهِ التي هي ثروتهُ الآن عشرة في المئة فكأنهُ وهب اربعة ملايين جنيه فكسب بدلاً منها ستة ملايين جنيه وزادت ثروتهُ مليوني جنيه · وهو يقول انهُ من اشقى الناس ويود ان يكون فقيراً ليتخلص من متاعب الغنى

بركان سترمبلي

اعلن مرصد كتانيا انهُ في مساء العاشر من شهر مايو ثار بركان سترمبلي وقذف بالحجارة والرماد والحمم الى الجهة الشرقية من الجزيرة واحرق بعض الكروم · وبركان اتنا ثائر ايضاً

جائزة مدام كوري

منحت دار العلم الملكية ببلاد الانكليز جائزة من جوائزها وقدرها مئة جنيه لمدام كوري على رسالة انشأتها موضوعها البحث في المواد المشعَّة · وليس العبرة بمقدار الجائزة بل العبرة في انها دلَّت على ان مدام كوري امتازت على كل علماء العصر في هذا البحث العلمي

مدرسة جنيفا الجامعة

ستحتفل مدرسة جنيفا الجامعة سنة ١٩٠٩ بمرور ٣٥٠ سنة منذ انشأها جون كلفن سنة ١٥٥٩ ويحق لها الاحتفال لانها ربَّت علماء اعلاماً تفتخر بهم كل بلاد

عيد لينيوس

واحتفلت اكادمية العلوم بنيويورك في ٢٣ مايو الماضي بمرور مئتي سنة على ولادة لينيوس العالم النباتي وتلي في الاحتفال خطب كثيرة علميَّة

حمى مالطة ولبن المعزى

ظهر بالبحث ان السبب الاكبر لانتشار الحمى المعروفة بحمى مالطة هو شرب لبن المعزى ولما منع جنود الحامية الانكليزية من شرب لبن المعزى لم تعد الحمى تصيب احداً منهم

حرارة الشمس

أُعيد البحث في حرارة قرص الشمس فكانت النتيجة انها ٥٦٦٣ درجة في مركز قرص الشمس واذا اعتبر مقدار الامتصاص في جو الشمس فحرارة باطن الشمس ٦١٣٠ درجة

سكك الحديد في الدنيا

طول سكك الحديد في اميركا ٣٠٠٠٠٠ ميل وفي اوربا ٢٠٠٠٠٠ ميل

وفي اسيا ٥٠٠٠٠ ميل وفي استراليا ١٧٠٠٠ ميل وفي افريقية ١٥٠٠٠ ميل . وفي البلاد الانكليزية وحدها ٢٣٠٠٠ ميل اي اكثر مما في كل قارة افريقية ونحو نصف ما في كل قارة اسيا

عظماء اميركا

اختار احد المحررين واحدًا وثلاثين من مشاهير الاميركيين في هذا العصر رجالاً ونساء وطلب اليهم ان يكتب كلٌّ منهم اسماء اشهر عظماء اميركا ثم جمع الاسماء او الاصوات فوجد ان الواحد والثلاثين ذكروا لنكن وثلاثين منهم ذكروا وشنطون ويتلوهُ فرنكلين فقد اصابهُ ١٨ من الاصوات واصاب ركفلر صوت واحد . فلا يزال المقام الاول في عيون الناس للفضيلة لا للثروة

فضائل برتلو

نشرت احدى المجلات الانكليزية ترجمة برتلو وقالت فيها انهُ لم يسجل اكتشافًا من مكتشفاتهِ ولا اختراعًا من مخترعاتهِ ولو سجَّل بعضها لجمع ثروة تقدَّر بالملايين الكثيرة . وذكرت ان صانعي الخمور في شمالي فرنسا عرضوا عليهِ مرة مليوني فرنك اذا خصَّ بهم استعمال اكتشاف واحد من مكتشفاتهِ فابى . وانهُ اكتشف طريقة في استعمال غاز الضوء اقتصدت بها باريس وجدتها مئات من ملايين الفرنكات ولكنهُ اعلنها واباح استعمالها لكل احد من غير ان ينتفع بغرش منها

هبوط اسعار الاسهم

يقال ان هبوط اسعار الاسهم المصرية الذي حدث في الشهر الماضي انقص قيمتها اثني عشر مليونًا من الجنيهات . ومهما كان هذا المبلغ كبيرًا لا يعدُّ شيئًا مذكورًا بالنسبة الى ما حدث في الولايات المتحدة الاميركية فان الهبوط الذي حدث فيها منذ شهرين انقص قيمة اسهم شركاتها ٤٠٠ مليون جنيه

لحم الكلاب

تجيز القوانين الالمانية اكل لحم البقر والغنم والمعزى والخيل والحمير والبغال والكلاب . واكل لحم الكلاب حديث في المانيا واكثر شيوعهِ في سكسونيا وهي تُذبح في مذابح الخيل ويباع لحمها كما يباع لحم الخيل وقد ذبح في سكسونيا ٤٦٨ كلبًا سنة ١٨٦٩ و ١٢٦٠ كلبًا سنة ١٩٠٠ و ٢٥٠٢ سنة ١٩٠١ و ٢٨٦٩ كلبًا سنة ١٩٠٢ . ويقال ان لحم الكلاب اقل غذاء من لحم الخيل وهو عرضة للامراض التي تصل منهُ الى آكليهِ ولذلك لا يسمح ببيعهِ الاَّ بعدما يفحصهُ طبيب من قبل الحكومة ويتحقق انهُ خالٍ من جراثيم الامراض

فهرس الجزء السادس من المجلد الثاني والثلاثين

